أعمال خالدة 15

@ketab_n
Follow Me
4.5.2016

حكايات الأخوين غريم

ترجمة: د. نبيل الحفار

حكايات الأخوين غريم

ترجمة: د. نبيل الحفار

Twitter: @ketab_n

حكايات الأخوين غريم

Twitter: @ketab_n

اعمال خالدة

Author: **Jacop Grimm – Wilhelm GRIMM**
Title: **Die Kinder und Hausmarchen**
Translator: **Dr. Nabil Al haffar**
cover designed by: **Majed Al-Majedy**
P.C. : **Al-Mada**
First Edition: **2016**

المؤلف: الأخوان غريم
عنوان الكتاب: حكايات الأخوين غريم
ترجمة: د. نبيل الحفار
تصميم الغلاف: ماجد الماجدي
الناشر: دار المدى
الطبعة الاولى: 2016

Copyright © Al-Mada

جميع الحقوق محفوظة

للإعلام والثقافة والفنون
Al-mada for media, culture and arts

بغداد : حي ابو نؤاس - محلة 102 - شارع 13 - بناية 141
Iraq/ Baghdad- Abu Nawas-neigh. 102 - 13 Street - Building 141
www.almada-group.com email: info@almada-group.com
+ 964 (0) 770 2799 999
+ 964 (0) 770 8080 800
+ 964 (0) 790 1919 290

بيروت: الحمرا- شارع ليون- بناية منصور- الطابق الاول
info@daralmada.com
+ 961 175 2616
+ 961 175 2617

دمشق: شارع كرجية حداد- متفرع من شارع 29 أيار
al-madahouse@net.sy
ص.ب: 8272
+ 963 11 232 2276
+ 963 11 232 2275
+ 963 11 232 2289

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced or stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means; electronic, mechanical, photocopying, recoding or otherwise, without the prior permission in writing of the publisher.

لايجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو تخزين أي مادة بطريقة الاسترجاع، أو نقله، على أي نحو، أو بأي طريقة سواء كانت الكترونية أو ميكانيكية، أو بالتصوير، أو بالتسجيل أو خلاف ذلك، إلا بموافقة كتابية من الناشر مقدّماً.

Twitter: @ketab_n

حكايات الأخوين غريم - المنهج والتأثير

مقـــدمة

حينمـا يُذكر اسـم الأخوين غريم، تتبـادر إلى الذاكـرة، مجموعة «حكايات الأطفـال والبيت» التي تُعـد منذ قرابة قرنين من الزمن، مصـدراً مهماً من مصادر متعـة الصغار والكبار على حدٍ سواء، ليس في المنطقة الجغرافية الناطقة بالألمانية فحسـب، بـل في معظم بقـاع العالم، عبر العديـد من الترجمـات والإصدارات المتعاقبة، بما فيها ترجمات متفرقة إلى العربية.

إلا أنّ إبـداع الأخوين غريم العلمـي لا ينحصر فقط في جمع وتبويب ودراسة الحكايـات الخرافيـة الشعبية والأساطيـر الألمانية، بل لقد أسهمـا عبر أبحاثهما المشتركة المتوالية في إحياء التراث الأدبي واللغوي الهائل للشعب الألماني، كما يُعـدَّان وبحق من أهم مؤسسي العلـوم اللغوية الجرمانية. وبمـا أنّه لا يمكن فهم وتفسير إبداع أديب ما، فقط من خلال فهمنا لذاته الإبداعية، كذلك الأمر بالنسبة إلـى إنجازٍ علمـي هائل، كالذي قدمه الأخوان غريم. إذ فـي هذه الحال أيضاً، لا يمكن فهمـه وتفسيره، عبر إدراكنا لميولهما الشخصيـة وخصوصية موهبتيهما. فالأدباء والفنانون والعلماء يخضعـون بالدرجة نفسها لمؤثرات عصرهم وبيئتهم الفكرية والسياسية والاقتصادية، ويتواجدون في خضمّ الموروث التاريخي الذي يشكل الأساس لعملهم، ويحمله بالتّالي في تيّاره ليكون قاعدة للتطور اللاحق.

ومـن هنـا فإن الأخوين غريم لم يكونا أول من اشتغـل في حقل التراث الأدبي واللغوي الألماني، بل كان بإمكانهما الاستناد إلى تقاليدِ بحث مهمة تعود بدايتها إلى الحركة الإنسانية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر. وإذا أدركنا إضافة

Twitter: @ketab_n

إلى ذلك أنهما قد عاشا وأنجزا في مرحلة، هيمنت فيها الحركة الرومنسية الألمانية ، على مختلف جوانب الإبداع الأدبي والفني، وأنّ هذه الحركة قد رأت في القرن السادس عشر، بنظامه الإقطاعي الكنسي الصورة المثلى للنقاء والانسجام الاجتماعي المُفتقدِ، في ظروفِ تصاعد البرجوازية الألمانية باتّجاه الرأسمالية، وانعكاس ذلك سلبياً على حياة الفرد والمجتمع، على حدٍّ سواء، عندها سنُدرك سبب اهتمام الأخوين غريم بالتراث الألماني منذ مرحلة الدراسة الجامعية في مدينة ماربورغ. إنّ اهتمام الرومَنسيين الألمان بأجواء القرون الوسطى المنسيّة، أدّى إلى اكتشافاتٍ مهمّةٍ على صعيدِ الأدب التراثي: كقصائد البلاط وقصائد الفروسية وقصائد الحب وأساطير البطولة. ففي محاضرات أوغُست فيلهلم شليغل في برلين بين ١٨٠١–١٨٠٤ يبحث المؤلف في الأصول الأسطورية للأدب الألماني القديم، ويعتبر «نشيد النيبلونِغن» ملحمة الشعب الألماني الكبرى.

وخلال مرحلة الاحتلال النابليوني لألمانيا اكتسبت اكتشافات الرومنسيين الأوائل معنى جديداً ذا راهنيّةٍ مهمّةٍ. إذْ تجلت الآن نماذج أدبِ العصر الوسيط، كشهادات على ماض قومي ألماني حافل. كما وجدت الحركة الشعبية الوطنية في إبداعات ماضيها الغابر ما يؤكد مصداقية مطالبها وطموحاتها القومية. وفي الوقت نفسه، حين تنامى الاهتمام بالمخطوطات والمدونات التراثية، انتبه أدباء وفنانو وباحثو المرحلة الرومنسية إلى أهمية التراث الشفهيّ الخصب الذي مازال حياً بين أفراد الشعب، كالحكايات الخرافية وأساطير البطولة وحكايات الحيوان والأغاني الشعبية. ورأوا أن ينابيع هذا التراث، التي لم يغمرها الزمن بنسيانه بعد، لا بدّ من أن تُدرَسَ وتُحيا كي تزدهر مجدداً، فتكون مُحرّضاً على توليد أدب قومي جديد مؤثر.

وهنا تحوَّلت فكرة الفيلسوف والأديب هِرْدر، التي عبّر عنها عام ١٧٧٧، إلى برنامج عمل، لدى كل من آخيم فوق آرنيم وبرنتانو وغورّه الرومنسيين، ولدى الأخوين غريم أيضاً، إذْ قال هردر حينذاك: «إنَّ ميثولوجيا المناطق الألمانية المختلفة، مثل شفابن وساكِس وهولشتاين، التي مازالت تنبض بالحياة

Twitter: @ketab_n

فـي الأساطير والحكايـات والأغاني، إذا مـا جُمعت بإخلاص ودُرست بتبصُّر وعولجـت بطريقة مثمرة، فإنها ستشكل لا شك كنزاً يمتح منه أدباء عصرنا وأدباء المستقبل».

ولنتعرف الآن بلمحة سريعة على المرحلة المبكرة من حياة الأخوين غريم وعلى طريقهمـا إلى الحكايـات الشعبية: ولد يكوب غريم فـي ١٧٨٥/١/٤ في مدينة هافاو، وتوفي في برلين عام ١٨٦٣. أما أخوه فيلهلم فقد ولد في ١٧٨٦/٢/٢٤ فـي هافاو أيضـاً، وتوفي كذلك في برلين عـام ١٨٥٩. وكان والدهما محامياً ثم صـار رئيس مجلس المدينة. وقد تمتعا بطفولة سعيدة فـي جو أسريٍّ مريح. بعد انتهـاء مرحلة الدراسة الثانوية درس كلاهمـا الحقوق في جامعة ماربورغ، حيث التقيـا البرفسـور الشاب كارل فـون سافيني، مؤسس ما يُدعى بالتّيّـار الحقوقي التاريخـي، والـذي زرع فيهما روح البحـث العلمي، ولفت نظرهمـا إلى تراثِ القـرون الوسطى الألمانية. وعن طريق فون سافينـي تعرف الأخوان على الأديب الرومنسـي كلِمِنْس برنتانو، وتأثّرا إلى حدٍّ بعيد بفكرته حول ضرورة إحياء تراث الأدب واللغة الألمانية.

ومـا أنْ أنهيـا دراستهُما حتـى انكَبّا على البحث والجمـع والتحقيق التراثي، وبَدأا بنشر أعمالهما المنفردة والمشتركة منذ عام ١٨١١. لكن أجمل وأهمّ ثمرة لجهودهمـا المشتركة خلال تلك المرحلة المبكرة مـن حياتهما العلمية والأدبية كانت مجموعة «حكايات الأطفال والبيت» التي صدر جزؤها الأول عام ١٨١٢. رأى الأخوان غريم أنّ ما جمعاه خلال تلك السنوات من حكايات وأساطير شعبية قديمة، يجب أن يعود إلى الشعب الألماني من جديد ليصبحَ بمتناول الجميع. ولم يكـن هدفهما هذا أدبيـاً فحسب، بل كان له جانب سياسـي أيضاً. فقد ساعدهما هـذا العمل العلمي على احتمال وطأة الاحتلال الفرنسي لألمانيا، كما وجدا فيه، حسـب رأي فيلهلم، «إمكانيّةً لاستعـادة روح ذلك الزمان من أجل هذا الزمان». وأمـلاً في أن تُسهِمَ عملية إحياء التراث في تعميق الوعي الوطني والقومي للشعب الألماني في زمن القهر والاضطهاد الأجنبي. وفي عام ١٨١٥ نشر الأخوان غريم

Twitter: @ketab_n

الجزء الثاني من المجموعة، أما الجزء الثالث الأخير والذي يتضمن أول دراسة علمية عن الحكاية الشعبية الخرافية، فقد صدر عام ١٨٢٢، واضعاً حجر الأساس لعلم الفولكلور عالمياً.

خلال السنوات التالية تابعَ الأخوان غريم أبحاثَهُما، متنقلين حسب ظروف العمل والوضع السياسي من منصبٍ إلى آخرَ ومن مدينةٍ إلى أخرى. وفي حين اهتمَّ ياكوب بصورة رئيسية بتاريخ اللغة وفقهها، استمر فيلهلم في نشرِ أبحاثِهِ المتواليةِ في ميدانِ الحكايةِ الخرافيّةِ والأساطير. وفي عام ١٨٢٩ انتقل الأخوان إلى مدينة غوتينغن، حيث صارا أستاذين في جامعتها. وفي عام ١٨٣٢ انتخبتهما «أكاديمية العلوم» في برلين عضوين دائمين فيها.

عندما اعتلى الملك إرنشت أوغُست عام ١٨٣٧ عرشَ مملكةِ هانوفر، بعدَ فصل الإتحاد مع إنكلترا، كان أوّلَ عملٍ قام به، هو حل مجلس المدينة، وإلغاء دستور ١٨٣٣، الذي ناضل الشعب طويلاً في سبيله، وأحلّ محلّهُ دستور عام ١٨١٩ الذي يُعطيهِ صلاحياتٍ مطلقة، للتصرُّف في كافةِ شؤون المملكة، من دون الرجوع إلى ممثلي الشعب. ورغم النقمة الشعبية العارمة، فشلت جميع المحاولات لإعادة دستور عام١٨٣٣، فما كان من أساتِذَةِ جامعةِ غوتينغن إلّا أن صاغوا بياناً يطالبونَ فيه الملك بالعودةِ إلى الدّستور الشرعي، لكن سبعةً فقطْ من كافة الأساتذة، توفرت لديهم الجرأةُ الكافية لتوقيع هذا البيان وتوجيهه إلى الملك. وكان الأخوان غريم من هؤلاء السبعة الوطنيين الجسورين. وبسبب تخوف الملك من احتمال قيام تمردٍ شعبي إثْرَ هذا العمل الجريء غير المتوقَّع، أصدر أمراً ملكياً بتجريد الأساتذة السبعة من مناصبهم الجامعية، وبنفي ثلاثة منهم ساعدوا في تعميم البيان على الشعب، كان ياكوب غريم أحدهم. لكن ردَّ فعل الشعب جاء عفوياً إيجابياً متضامناً مع أبطاله، ففي جميع المدن الألمانية داخل وخارج مملكة هانوفر، أُنشئت جمعياتٌ لجمع التبرُّعات من الشعب، بهدف دعم الأساتذة السبعة مالياً.

وفي عام ١٨٣٨ تلقّى الأخوان غريم عرْضاً من دار نشر فايدْمَن لوضع قاموس جامع للغة الألمانية. وبعد قبول العرض، خطّط الأخوان لسبعة أجزاء، يجب أن تُستكمل خلال سبع سنوات. ولكن نادراً ما أخطأ الأخوان في حساباتهما العلمية مثلما حدث بصدد هذا المشروع العملاق. فبدلاً من السنوات السبع، استمر العمل فيه مئة عام بعد وفاتيهما. وبدلاً من الأجزاء السبعة، اكتملت الموسوعة في ٣٢ جزءاً بإشراف «أكاديمية العلوم» في برلين بالتعاون مع جامعة غوتينغن. ورغم انشغال الأخوين شبه التام في إنجاز هذا القاموس مع ستين مساعداً علمياً على امتدادِ الأرض الألمانية، تَمكّن الأخوان من نشرِ تتمة أبحاثهما في حقلي فقه اللغة والأدب الشعبي.

رغم الأهميّة البالغة لإنجازات الأخوين غريم العلمية في ميدان اللغة الألمانية خاصة، واللغات ذات الأصول الجرمانية عامة، إلّا أنّ العمل الذي جلب لهما المجد والشهرة العالمية، هو بلا شك «حكايات الأطفال والبيت». ورغم وجود مجموعات حكاياتٍ شعبيّةٍ خرافيّةٍ مشابهةٍ لها، مِنْ حيثُ الطّابعِ والغاية، سابقةٍ عليها ولاحقة لها، في ألمانيا وغيرها من الدول الأوروبيّة، إلّا أنَّ خصوصيَّة وتفرُّدَ مجموعة الأخوين غريم، تَكْمُنُ في المنهج الذي اتّبعاه في جمع الحكايات ودراستها وإِصدارها. فإلى حدٍّ كبيرٍ جداً، لمْ يُضَمِّنْ الأخوان مجموعتهما، سوى الحكايات المتوارثة شفهياً، والتي كانت لا تزال في عصرِهما حيَّةً على ألْسُنِ أفراد الشعب. وخلال سنواتٍ طويلةٍ بحث الأخوان في دائرةِ أصدقائِهما ومعارِفهما عن أُناسٍ – وخاصّةً عن عجائز – يعرفون ويحفظون ويُردِّدون حكاياتٍ شعبيَّةٍ خرافية، مثلما كانت تفعلُ الجدَّاتُ والمُربِّياتُ مع الأطفال في ليالي الشتاء الطويلة الباردة منذُ غابرِ الأزمان، وعند العثور على الرَّاوي أو الرَّواية، كانا يدوِّنانِ المادَّة المروية بأَدقّ صورةٍ ممكنة. وقد عَثَر الحُسْنِ حَظُّهما على راويتين رائعتين من حيث الدِّقة وقوَّة الذّاكرة وجودةِ الرواية. أولاهما ابنةُ صيدلاني تدعى دورْتْش أُصبحت زوجة فيلهلم، والثانية فلاحة عجوز من منطقة كاسل تدعى فيمِنين. وكان ياكوب بصورة خاصة يولي أهمية قصوى لدقّة تدوين الحكاية، لأنّه كأخيه فيلهلم، كان

Twitter: @ketab_n

على قناعة تامة بأن هذه الحكايات، إنما تتضمن بقايا أدبٍ شعبيٍ ألماني مُغرقٍ في القدم، تعود أصوله إلى ما قبل أقدم المدونات. وبهذا المعنى يقول فيلهلم: «إن القاسم المشترك بين الحكايات الخرافية جميعها، هو كونها بقايا معتقدات تعود إلى أقدم العصور وتعبر عن نفسها من خلال تصويرها مدركاتٍ غير حسيّة. وهذه المادة الأسطورية تشبه شظايا حجرٍ كريمٍ متناثرة على أرضٍ خصبة، نمت فوقها الحشائِش والزّهور فغطتها، فلا تكتشفها إلّا العين ثاقبة النّظر. ومنذ زمنٍ بعيدٍ فقدت هذه المعتقدات مغزاها، إلّا أنّنا مازلنا نحس بها، وهو الذي يطوِّر بنية الحكاية الخرافية، التي تهتمّ في الوقت نفسه بإشباع المتعة الفطرية في تصوير الأمور العجيبة. ولا يمكننا مطلقاً أن نعتبر الحكايات الخرافية، مجرد لعبة ألوان صادرة عن خيالٍ فارغ». انطلاقاً من هذا الموقف يكون الأخوان غريم قد تجاوزا، إلى حدٍّ بعيد، مختلف الآراء التي طُرحت قبلهما على صعيد البحث في الحكايات الخرافية الشعبية، بما فيها بعض آراء هرود، الذي تخلى في ما بعد عن الاهتمام بالحكايات، والتفت حصراً إلى الأغنيات والأناشيد الشعبية، لما فيها من شعرٍ جاءَ وليدَ الفطرة الشعبية النقيّة. لكن الأخوين تابعا فكرته الجوهرية في تأويل الحكايات، وخاصة أنّ مُثقّفي القرون السابقة لم يروا في الحكايات الخرافية المنتشرة بين أفراد الشّعب عامّة وفئاته الدنيا، سوى أنّها نتاج مُعتقداتٍ غيبيةٍ مُتّصلةٍ بالسحر والشعوذة والتّطَيُّر، وبالتالي لا يمكن السُّموُّ بها إلى مستوى «المجتمع الرفيع» إلّا بصياغةٍ حديثةٍ ذكيّة، بلغةٍ وثوبٍ عصريين. تجاه هذه النظرة الخاطئة والمتعالية على الشعب في الوقت نفسه، كان هرود قبل خمس سنوات فقط من بدء الأخوين غريم بجمع الحكايات، أي في عام ١٨٠١ قد قال: «أيُّ محصول هائل وأيّةُ حكمةٍ وموعظة، تكمن في آداب الأزمان الغابرة، في حكايات مختلف الشعوب، لو أحسنا تقويمها واستخدامها من أجل عصرنا ولما سيأتي من أيام. وهذا لا يدركه إلّا مَن جالَ في حقول الخيال الإنساني الخصبة، متزوّداً ببصرٍ ثاقبٍ ووعيٍ مُتَفَتّح. إذْ يبدو وكأنه قد كان على العقل الإنساني أن يمرّ بالأقوام والعصور كافّةً ليجد، حسب طبيعة الزمان والمكان، لكل شكل صورته وثوبه». في هذا السياق يمكننا أن

نفهم مدى جديّة الأخوين غريم، في تناولهما الحكايات الشعبية وتفسيرهما مغزاها الأخلاقي.

إنّ معظم هذه الحكايات يحمل طابعاً تعليمياً أخلاقياً، يُمرِّر موعظته عبر المبالغة في تصوير الشخوص والحوادث والأفعال. إنها تتمحور حول قطبي الخير والشر اللذين يهيمنان على حياة الإنسان ويُسيّران مصيره منذ الولادة وحتى الموت. والحكايات على الرغم من توجهها إلى الأطفال، لا تستهين بالشر أو تستخف به، بل إنها تصوره جبّاراً بشعاً عاتياً وقوياً، لكن الخير إذا ما واجهه بجرأةٍ وذكاءٍ وتعاون فإنه قادر على تحقيق النصر، وغالباً ما تتدخل الطبيعة في لحظة لتُحقِّق النصر، ولتوقع بأطراف الشر عقوباتٍ فظيعةٍ ومروعة، من حيث وقعها على خيال المستمع أو القارئ. وتفسير هذه المبالغة الشديدة في تصوير عقوبة الشر- سواء كان إنساناً أم حيواناً- أنها تقوم بدور الترهيب والردع عن الإقدام على فعل الشر، في حين تبدو أطراف الخير المنتصرة وهي ترفل بعد عناء في أثواب السعادة والهناء.

إنّ إشارتنا السابقة إلى الدقة التي توخّاها الأخوان غريم في تدوين الحكايات، لا تعني أنهما قد نشرا نسخة طبق الأصل عن الصيغة اللغوية للمادة المروية. بل إنّ الصيغة اللغوية للحكايات المنشورة في المجموعة، قد تحققت بفضل جهود فيلهلم، الذي كان يُهذّب لغة الحكاية من طبعة إلى أخرى. ومن الممتع طبعاً أن نتتبع تعبيراته من خلال الطبقات المختلفة، فنجدها دائماً تزداد سحراً وعمقاً، كما تزداد بساطة وإمتاعاً. وهو إذْ فعل ذلك، لم يتكلف تغيير بنية الحكايات الخرافية وشكلها كي يضعها في صورة صحيحة، مثلما زعم وفعل برنتانو أو لودفيغ تيك مثلاً، وإنّما كان هدفه أنْ يحكي الحكاية الخرافية وفقاً لأحكامها. إذ كان يشعر حقاً بمشقة كبيرة في نقل الحكاية من بنيتها الروائية الشفوية إلى صيغة مكتوبة، تحفظ للحكاية الخرافية حيويّتها وشكلها الخاص. وهكذا نجد أن فيلهلم غريم يختفي كليّاً وراء عمله. وكثيراً ما تبدو لنا حكايات المجموعة وكأنها لم تجد الأديب الذي طبعها بطابعه ولائم بين أجزائها، بل تبدو وكأنها تخرج من أفواه

Twitter: @ketab_n

الشعب مباشرة. ولعل هذا هو السر في النجاح الفريد الذي أحرزه الأخوان، من حيث أنّ حكاياتهما الخرافية تمتلئ بالعناصر الفنية بحيث يتكامل فيها الخاص، هذا إضافةً إلى ما تتميز به من بساطةٍ وقربٍ من روح الشعب. ومع ذلك لا يسعنا أنْ ننفي، أنّ الموقف والقناعة الشخصية والتوجه الفكري لفيلهلم، قد لعب دوراً واضحاً عبر التعديلات المتتالية بين الطبعة والأخرى، في طمس بعض السمات المعبرة عن التناقضات الإجتماعية حسبما وردت في الطبعة الأولى مثلاً. فقد كان فيلهلم محافظاً في فكره وسلوكه، على نقيض أخيه الليبرالي المتحرر.

بيد أن أهمية المنهج الذي اتَّبعه الأخوان غريم في توحيد الصياغة اللغوية للحكايات، والحفاظ على طابعها الشعبي لا يقتصر على هذا الجانب فقط، بل يتعداه إلى تحدٍّ كبير، كانا يواجهانه عند حصولهما على صيغ متعددة لمادة حكايةٍ واحدة. في حالات كهذه، كانا ينطلقان دائماً من اعتقادهما الراسخ بأن الحكاية الخرافية تعود إلى أصل أسطوري قديم، فيحاولان استناداً إلى هذا أن يجردا الصيغ المتعددة من كافة الشوائب التي علقت بها مع مرور الزمن، لكي يحققا الصيغة الأقرب إلى الأصل والأكثر صفاء وغنى، ولم يكن هذا الأمر سهلاً أبداً. وبالاعتماد على هذا المنهج الدقيق، لم تصبح المجموعة مجرد كتاب حكايات حيٍّ وشيّق، بل أصبحت في الوقت نفسه مرجعاً علمياً هو الأول في نوعه في هذا المجال، ولا سيما أنهما قد نشرا في الجزء الثالث من المجموعة، الأبحاث النظرية التي حققاها، خلال مرحلة الجمع والدراسة، وهي تحتوي على بيانات حول أصل الحكايات الخرافية، وإشارات إلى ما في مجموعات الحكايات الخرافية الأخرى، وما لدى الشعوب الأخرى من حكايات قريبة أو مشابهة لما في مجموعتهما، مع دراسة عامة في أدب الحكاية الخرافية، ولأهم المجموعات التي ظهرت حتى عصرهما.

وقد سيطرت بعض آراء الأخوين غريم في مصدر الحكايات الخرافية وأصلها على دراسات الباحثين في هذا الميدان عدة عقود تلت. فلنستمع إلى ما يقولانه بهذا الصدد: «إن التشابه بين الحكايات الخرافية رغم ما يفصل بعضها عن بعض

Twitter: @ketab_n

مـن مسافات زمنية ومكانية بعيدة، ليس أقـل مما بين الشعوب المختلفة من أمور متشابهـة رغم تباعدها. ويعود بعض هـذا التشابه إلى تماثل الأفكار الأساسية عند هـذه الشعوب، وإلى وسيلتها في عرض شخصيات محددة. كما أن البعض الآخر يرجع إلى ما لدى الشعوب من وقائع متشابهة، وإلى طريقتها في الوصول إلى حلٍ لهـا. ذلك أن هناك أحوالاً هي من البساطة والبداهة بمكان، إلى درجة أنها تتكرر بصفـة عامة في جميع أنحاء العالم، مثلها مثل الأفكار المتشابهة التي تبدو وكأنها تظهر من تلقاء نفسها. وبناء عليه فإن من الممكن أن تظهر حكايات خرافية بعينها فـي بلدان مختلفة أو أن تتشابه تشابهاً كبيـراً، رغم ما بينها من استقلالٍ تام. حتى الألفـاظ المفردة يسهل مقارنتها ببعضها البعض على الرغم من انعدام صلة القربى بينهـا، وذلك عن طريق تقليدها أصواتَ الطبيعة، الـذي يحتمل أن يكون مختلفاً بعضَ الشيء أو متفقاً كلياً..». ويتابعـان فيقولان: «إننا لا ننكر احتمال انتقال أو هجـرة الحكايـة الخرافية من شعب إلى آخر أحياناً، ومـن ثم تستقر هذه الحكاية وتنتشر جذورها في الأرض الغريبة. على أن الأمثلة فردية، ولا نستطيع أن نعممها علـى الثروة الهائلة من الحكايـات الخرافية، وأن نفسر بها هـذا الانتشار الواسع لهذه الملكية المشتركة من الحصيلة الشعبية».

إن أثـر هـذه الآراء مـا زلنا نلمسه إلى اليـوم. لكن تيارات البحـث التالية على الأخويـن غريـم قد أتـت بآراء جديـدة، بعضهـا يناقض وجهـات نظرهما حول مصـدر وأصـول الحكايات، وبعضها الآخـر يقترب منها أو ينسجـم معها كلياً. فظهر مثـلاً التيار الذي يتزعمه تيودور ينفي الذي يـرد معظم الحكايات الخرافية إلـى مصدر جغرافي واحد هـو الهند، ثم انتقلت منه مهاجـرةً إلى شعوب أخرى وأماكـن وأزمان أخرى. ثم تبعت ذلك المدرسـة الإنكليزية ممثلةً بـ تيلور ولانغ، ثم المدرسة الفرنسية ممثلةً بـ بديينه، إلى أن ظهرت المدرسة الفنلندية التي تزعمها كارل كـرون وآنتي آرنِه اللذان استفـادا من جهود جميع الباحثين في هذا الحقل، ووضعـا تصنيفاً شاملاً لموضوعات وجزيئات الحكاية الخرافية وأشكالها وطرق انتقالهـا، وذلك خلال الربع الأول من القرن العشرين، فكان عملهما بمثابة حجر

Twitter: @ketab_n

الأساس الثاني، بعد الأخوين غريم في تطوير علم الفولكلور. لكننا لن ندخل هنا في مجال تطورات علم الفلكلور والأساطير ونظرياتها، لأنها ليست موضوع بحثنا، وسنبقى في حيِّز مجموعة حكايات الأخوين غريم.

في كتابه «الحكاية الخرافية» يتساءل باحث الفلكلور الألماني فريدريش فون درلاين عمّا إذا كانت هناك حقاً حكاية خرافية ألمانية، وعمّا إذ كانت حكايات الأخوين وما ظهر بعدها من مجموعات، تساوي في القيمة تراث الحكايات القديمة لدى الهنود والعرب والكلتيين. ثم يورد فون درلاين رأي باحث أمريكي، بأن المنطقة الألمانية تعدُّ في المقام الأول ناقلة للحكايات الشعبية، أما جهدها من حيث الابتكار فأدنى من ذلك بكثير. فالعالم السلافي يحدها من الشرق، كما أن العالم الروماني يحدها من الجنوب والغرب، وهما العالمان اللذان قدما للألمان ثروة من التراث الذي طبعه الشعب الألماني بطابعه. وتعقيباً على هذا الرأي يقول فون درلاين: «صحيح أن الحكاية الخرافية الألمانية – شأنها شأن الأنواع الشعبية الأخرى – قد استقبلت الكثير من التراث الأجنبي، الأمر الذي يحدث بالنسبة إلى الحكايات الشعبية التي يملكها كل بلد. وسبق أن رأينا أنّ قدراً كبيراً من الحكايات الخرافية قد نمّى تصورات عقيدية ساذجة. على أنّ هذه التصورات لا تمثل سوى الأساس الذي قامت عليه الحكاية الخرافية. ولم تتحول هذه التصورات الساذجة عن طبيعة الأشياء إلّا في شكل حكاية خرافية، عن طريق السرد. والعرب الذين يدين لهم العالم الغربي بحكاياته الخرافية، قد نقلوا أكثر مما ألّفوا، سواء في «ألف ليلة وليلة» أم في « كليلة ودمنة»، لكنهم طبعوا كل ما نقلوه بطابعٍ عربي أصيل. وبناء على هذا يحقُّ لنا في ما يبدو أن نتحدث عن الحكاية الخرافية الألمانية، سواء أكانت مادّة الحكايات ألمانية ومستقلة بذاتها – وهذا ينطبق على قدرٍ ضئيلٍ نسبياً من حكايات الألمان – أم كانت أجنبية، ثم أعاد الألمان، روايتها، بحيث صارت تتفق مع الطابع الألماني الخاص، عندما ظهرت الحياة الألمانية جلية من خلال هذه المادّة الأجنبية. وينطبق هذا بوضوح على أهم الحكايات الألمانية في ما يبدو، مثل: «وردة الشوك أو الحسناء النائمة» و «ذات القبعة الحمراء أو ليلى

Twitter: @ketab_n

والذئب» و «بياض الثلج أو الأميرة والأقزام السبعة» التي وصلت إلى الألمان عن طريق الفرنسيين في زمن متأخر.

إنّ عمليـة السرد الروائي في الحكاية الخرافية، هـي في الغالب أهمُّ من عملية الخَلْـق، فعددُ أنماط الحكايات الخرافية قليـل وموضوعاتها محدودة. والمؤكّد هـو أنّ التأثيـر الكبير لحكايات الأخوين غريم، يرجع بعضـه إلى مادة الحكايات الخرافيـة، أما معظمـه فيرجع إلى لغتها وصورها وتكوينهـا، أي إلى الطريقة التي روى بهـا فيلهلم غريم حكاياته. ولهذا فإن مجموعة «حكايات الأطفال والبيت» قـد سلكـت طريقها من جديـد بين الشعوب، لا فـي ألمانيا فحسـب، وإنما بين شعوب العالم أجمع على وجه التقريب.

تتألـف هذه المجموعة من نحـو (٢٠٠) حكاية تتراوح بين الحكاية الخرافية والأسطورة وحكاية الحيـوان والطرائف وبعض الحزازير والألعاب اللغوية. وقد جمع الأخوان غريم معظم هـذه الحكايات من خلال الروايات الشفوية. لكنهما استمدّا بعض نصوص المجموعة من مصادر مخطوطةٍ بعيدةٍ في القدم، كما أدرجا بعض حكايات المجموعات التي ظهرت في القرنين السادس عشر والسابع عشر، والتي بدت لهما شعبية وذات طابعٍ خرافي.

كانـت «ألف ليلة وليلة» قـد ترجمت آنذاك إلى الفرنسيـة وانتقلت عبرها إلى ألمانيـا. ومثال الحكايات التي تأثرت بـ «ألـف ليلة وليلة» حكاية «جبل سيمِلي» و «الشبـح في الكأس» و «حكاية اللغز». أمـا الحكايات التي يميل إليها الأطفال أكثـر من غيرها فهي المتأثرة بحكايات الفرنسي شارل بيرو، مثل «وردة الشوك» و «ذات القبعـة الحمراء» و «القط أبو الجزمـة» و «ذو اللحية الزرقاء». لكن هذه بالذات اشتهرت في ما بعد عالمياً في صيغتها الألمانية وليس الفرنسية الأصلية.

إن مجموعـة «حكايات الأطفال والبيت» تعدُّ منذ زمن بعيد من المجموعات الأكثـر انتشاراً بين أطفال العالم، نظراً لثراء مادتها وخصوبة خيالها وبساطة لغتها وسلاستهـا، ولما تتضمّنـه أيضاً من مقـولات تربوية مؤثّرة غيـر وعظية مباشرة.

Twitter: @ketab_n

وبسبب هذا التأثير الكبير للحكايات على أجيال عديدة من الأطفال، انتبه رجال السينما والمسرح والتلفزيون إلى أهمية هذا الكنز الأدبي وقابليته للإعداد عبر لغات فنية أخرى غير الكتاب. فكان رائد أفلام الأطفال والت ديزني، أول من أنتج أفلاماً طويلة وقصيرة استمدّ مادتها من هذه الحكايات، وأهمها فيلمه الشهير «الحسناء النائمة» المُستوحى من حكاية «وردة الشوك»، وكذلك فيلم «سنووايت والأقزام السبعة» المستوحى من حكاية «بياض الثلج». وتبعه بعد ذلك عدد كبير من منتجي ومخرجي أفلام الأطفال في اقتباس مادة أفلامهم من حكايات الأخوين غريم، سواء اعتمد الفيلم على ممثلين وممثلات حقيقيين أم تقنيّة الرسوم المتحركة التي باتت أحد اختصاصات الفن التشكيلي. وإذا استعرضنا برامج مسارح الأطفال في العالم فسنلاحظ أيضاً أن غالبية العروض معدة أيضاً عن هذه الحكايات.

قبل مدة غير بعيدة وقع بين يدي كتاب إنكليزي يتضمن عشرين مسرحية للأطفال سبق أن قُدّمت في إنكلترا والولايات المتحدة وكندا وأستراليا، وقد لفت انتباهي آنذاك أنّ أكثر من نصف مسرحيات الكتاب يستند إلى حكايات الأخوين غريم والقسم الآخر يستند إلى حكايات شعبية إنكليزية مثل «روبن هود» و «بيتربان». وكان مسرح الأطفال في دمشق مثالاً حياً على ذلك، فقد قدّم خلال ثلاثة مواسم ثلاث مسرحيات لاقت إقبالاً جماهيرياً كبيراً عند أطفالنا. كانت أولى المسرحيات مستمدة من «ألف ليلة وليلة» وهي «علاء الدين والمصباح السحري»، أما المسرحيتان الثانية والثالثة فهما مقتبستان من حكايات الأخوين غريم. فمسرحية «خطيبة الأمير» هي سندريللا أو «أشنيوتِّل» والأخيرة هي «القط أبو جزمة».

ها نحن نرى إذاً، من خلال مثال حكايات الأخوين غريم الأهمية الكبرى التي توليها الشعوب لآدابها الشعبية في الشرق والغرب على حدٍّ سواء، وبشكل خاص منذ تطور علوم الفلكلور في منتصف القرن التاسع عشر، وصدور مئات المجموعات المحققة حول الحكايات الشعبية المختلفة، وكذلك مئات

Twitter: @ketab_n

الدراســات التي تبحث وتحلل مصادرهــا وأصولها وتأويلاتها وعلاقاتها، بعضها ببعض، وطــرق هجرتها وما طــرأ عليها مــن تغيرات وتعديــلات، حسب طبيعة الزمــان والمــكان وخصوصية الشعب الذي أبدعها أو طوَّرهــا. ورغم أن التراث الشعبــي العربي باعتــراف الجميع، أحد أهــم مصادر الحكايــات الخرافية، فإننا مازلنــا جدّ متخلفين في ميدان جمع ودراسة ما لدينــا من أدب شعبي. صحيح أن هناك بعض الجهود الجادة في هذا المجال، لكنهــا مازالت جهوداً فردية محليّة في الغالــب الأعم. وإذا أخذنا بعين الاعتبار، اتساع رقعــة الأرض العربية وتشابه تراثهــا الأصلي، ثــم تنوعه مع التطورات المتباعدة، فإننــا سندرك ضرورة توحيد الجهــود وبذل الكثير في سبيل جمع تراثنــا الشعبي ودراسته بصورة علمية جادة، كي نتعرف على جوهر بنية مجتمعنا الثقافية بالمعنى المتفق عليه في علم الإناسة.

د. نبيل الحفار

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

حكايات الأخوين غريم

الكاملة

ترجمة د. نبيل الحفار

عن الألمانية

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

(١)

الملك الضفدع أو هاينريش الحديدي

في قديم الزمان عندما كانت الأماني تسعف المرء، عاش ملك كانت جميع بناته جميلات، لكن أصغرهن كانت على درجة من الجمال جعلت الشمس نفسها التي رأت كثيراً من الأشياء، تندهش كلما أضاءت وجه الفتاة بأشعتها.

على مسافة قريبة من قصر الملك كانت هناك غابة كبيرة وكثيفة. وتحت شجرة زيزفون هرمة في الغابة هناك بئر، كانت الأميرة في الأيام الشديدة الحرارة تخرج لتجلس على حافتها الباردة. وعندما تشعر بالملل كانت تأخذ معها كرة ذهبية ترميها عالياً في الهواء لتتلقّفها من جديد، وكانت هذه أفضل ألعابها.

وحدث ذات يوم أن الكرة الذهبية لم تسقط بين يديّ الأميرة الممدودتين نحو الأعلى، بل على الأرض إلى جانبها ونطّت مباشرة إلى ماء البئر. تابعتها الأميرة بعينيها، لكن الكرة اختفت والبئر كانت عميقة جداً لا يرى الإنسان قعرها. أخذت الفتاة تبكي، وأخذ صوت بكائها يعلو من دون أن تجد ما يمكن أن يهدِّئَها.

وفيما هي تشكو وتنتحب سمعت صوتاً يعلو ويخاطبها: «ما بك يا ابنة الملك، إن صراخك يجعلني أُشفق على الحجر». التفتت نحو مصدر الصوت، فرأت ضفدعاً برأس سمينٍ بشع شاخصاً من ماء بركة إلى جانب البئر، فقالت: «هذا صوتك إذاً يا بلعوط الماء العجوز. أنا أبكي على كرتي الذهبية التي سقطت مني في البئر». فأجابها الضفدع: «اهدأي وكفاكِ بكاءً، أنا سأجد حلّاً. ولكن ماذا ستعطيني إذا أخرجت لك لعبتك من البئر؟» فقالت: «كل ما تتمناه يا ضفدعي

Twitter: @ketab_n

الصغير. ثيابي، لآلئي، مجوهراتي، والتاج الذهبي الذي أضعه على رأسي». فأجابها الضفدع: «ثيابك ولآلئك ومجوهراتك وتاجك الذهبي لا رغبة لي فيها. ولكن إذا صِرتِ لطيفةً تجاهي وجعلتني صديقك وشريكك في اللعب، وإذا وعدتني بأن أجلس معك إلى طاولتك الصغيرة وآكل معك من صحنك الصغير وأشرب معك من كأسك الصغيرة وأن أنام إلى جانبك في سريرك الصغير، عندها سأنزل إلى البئر وأُخرجُ لك كرتك الذهبية منه». فأسرعت قائلة: «بالتأكيد، أعدك بكل ما تريد، إنْ أعدت إلي كرتي». لكنها كانت تفكر: «ما هذا إلا ضفدع ساذج يجالس أقرانه في الماء وينق وينق ولا يمكن أن يكون صديقاً للإنسان».

عندما حصل الضفدع على تأكيد الأميرة غطس في البئر ورأسه نحو الأسفل وصعد بعد فترة قصيرة حاملاً الكرة ورماها على الحشائش. فرحت الأميرة جداً عندما رأت كرتها الجميلة ثانية، فحملتها وغادرت. فصاح الضفدع وراءها: «انتظري، انتظري، خذيني معك، أنا لا أستطيع الركض مثلك». ولكن كيف سيساعده صياحه «كواك كواك» مهما علا! فهي لم تصغ، بل أسرعت إلى القصر، وسرعان ما نسيت الضفدع المسكين الذي عاد لاشك إلى بئره.

في اليوم التالي، عندما جلست مع الملك والحاشية إلى المائدة وأخذت تأكل من صحنها الذهبي الصغير، سُمع صوتُ خطواتٍ تصعد درج القصر الرّخامي كمن يخوض في الماء، وعند وصول الخطوات أعلى الدرج قُرِع الباب وسُمع صوتٌ ينادي: «يا ابنة الملك الصغرى افتحي لي». ذهبت الأميرة لترى من بالباب، ولما فتحته وجدت الضفدع جالساً وراءه. صفقت الباب بسرعة وعادت إلى المائدة يملؤها الخوف. لاحظ الملك أن قلبها يخفق بشدة، فسألها: «ما الذي يخيفك يا ابنتي؟ أهناك عملاق وراء الباب يا ترى، يريد أن يأخذك؟» فأجابته: «لا أبداً ليس عملاقاً، بل ضفدع كريه». فسألها ثانية: «وماذا يريد الضفدع منك؟» «آه يا أبي الحبيب» قالت الأميرة وتابعت: «بالأمس عندما كنت ألعب إلى جانب البئر سقطت كرتي الذهبية في الماء. وبسبب بكائي الشديد أحضرها لي الضفدع من البئر. ولأنه أصر، وعدته بأن يصبح صديقي. لكنني لم أفكر أبداً بأنه سيتمكن

Twitter: @ketab_n

مـن مغادرة مياه البئر. وهـا هو الآن في الخارج يطالبنـي بالدخول». وعند ذلك قُرع الباب ثانية وسُمع الصوت يقول:

«يا ابنة الملك الصغرى، افتحي لي،

أنسيتِ ما وعدتني به بالأمس

عند ماء البئر البارد؟

يا ابنة الملك الصغرى، افتحي لي!»

فقال لها الملك: «عليكِ أن تفي بما وعدت به، مهما كان. هيا، اذهبي وافتحي له البـاب!» ذهبت الأميرة وفتحت الباب، فقفز الضفـدع داخلاً متتبعاً خطواتها حتـى وصلت إلى كرسيهـا، فجلس على الأرض وقال لها: «احملينـي إليكِ». فتـرددت إلى أن أمرها الملك أخيراً بذلك. عندما جلس الضفدع إلى جانبها على كرسيهـا أراد الصعـود إلى المائدة، وعندما جلس هناك قـال لها: «قرّبي صحنك الذهبي الصغير مني كي نأكل معاً». صحيح أنها قد فعلت ذلك، ولكن كان واضحاً أنهـا لم تكن راغبة فيه. أكل الضفدع حتى شبـع، أما هي فكانت تغصّ بكل لقمة مهمـا صغرت. وأخيراً قـال الضفدع: «لقد استمتعت بالطعـام حتى الشبع، وأنا الآن متعـب، فاحمليني إلى غرفتك الصغيرة وجهزي سريـرك الحريري الصغير، حيث سنتمدد وننام».

بـدأت الأميـرة تبكي خائفة مـن الضفدع البـارد الذي لم تجـرؤ على لمسه والـذي يبغي الآن النوم في سريرها الجميل النظيف. أما الملك فقد انتابه الغضب الشديـد، وقال لها: «مـن ساعدكِ في وقت الضيق لا يجوز لكِ احتقاره بعد انتهاء مساعدتـه». فحملته بأصبعين وصعدت به إلى غرفتها ووضعته في الزاوية. ولكن عندما استلقت في سريرها اقترب منها زاحفاً وقال: «أنا متعب وأريد أن أرتاح في نومي مثلكِ، فاحمليني إلـى جانبك وإلا أخبرت والدك». فغضبت غضباً شديداً، رفعتـه بيدها ورمته بـكل قوتها على الجـدار قائلة: «الآن سترتـاح أيها الضفدع الكريه».

Twitter: @ketab_n

عندما سقط على الأرض لم يكن ضفدعاً بل كان أميراً بعينين جميلتين ودودتين، وصار من ثم بموافقة والدها رفيقها وزوجها الحبيب، وحكى لها أن ساحرة شريرة قد سحرته ضفدعاً، وما كان لأحد أن ينقذه من البئر سوى ابنة الملك الصغرى، ثم جهزا نفسيهما للسفر في صباح اليوم التالي إلى مملكته، وناما.

وعندما أيقظتهما الشمس صباح اليوم التالي وقفت أمام القصر عربة بثمانية جياد بيضاء، على رؤوسها باقات من الريش الأبيض، وألجمتُها مربوطة بسلاسل ذهبية. وكان يقف وراءها خادم الملك الشاب، المسمى هاينريش المخلص، إذْ عندما حوّلت لعنة الساحرة الشريرة الملك الشاب إلى ضفدع اغتمّ هاينريش إلى حد أن اضطر إلى وضع ثلاثة أطواق حديدية حول قلبه كيلا ينفجر من الحزن.

كانت مهمة العربة نقل الملك الشاب إلى مملكته، فساعد هاينريش المخلص كليهما على ركوب العربة وعاد إلى مكانه خلفها، سعيداً بخلاص سيِّده. وبعدما قطعت العربة جزءاً من المسافة سمع الأمير صوت فرقعة وراءه وكأن شيئاً ما قد انكسر. فالتفت إلى الوراء وصاح:

«هاينريش، العربة تتكسر».

«ليس العربة يا سيدي ما يتكسر

بل هو الطوق المحيط بقلبي المحزون

مُذ كنتَ في البئر ضفدعاً ملعوناً».

وثانية وثالثة أثناء الطريق صدر صوت الفرقعة، وفي كل مرة كان الأمير يظن أن العربة تتكسر، لكنها كانت أصوات تكسر الأطواق عن قلب هاينريش المخلص فرحاً بخلاص سيِّده وسعادته.

×××

Twitter: @ketab_n

(٢)

صداقة القطة والفأرة

ذاتَ يـوم تعرفت القطة إلى فأرة وتحمست فـي مديح الحب والصداقة اللتين تُكنُّهُمـا لها، إلى أن وافقت الفأرة أخيراً على أن تعيشا معاً في بيت واحد، وتدبرا شؤونه بصورة مشتركة.

–«ولكن يجب علينا أن نوفر لأنفسنا مؤونة الشتاء منذ الآن، وإلا عانينا الجوع» قالـت القطة وتابعت: «فأنت يا فأرتي الصغيـرة لا تستطيعين التجول بصورة آمنة في كل مكان، وفي نهاية المطاف قد تقعين في مصيدة فأخسرك».

وبناء على اتباع النصيحة الجيدة اشترى الإثنان قدراً مملوءاً بالدهن، لكنهما لم تعرفا مكاناً لتخبئاه فيه. وبعد تفكير طويل قالت القطة:

–«لا أعـرف مكاناً أفضل من الكنيسة لحفظه، فلن يجرؤ أحد على سرقة شيء من هناك. سنخبِّئه تحت المذبح، ولن نلمسه قبل أن نحتاج إليه».

وُضِـع القدر إذاً في المخبأ الأمين، ولكن لم يطل الوقت بالقطة حتى تحركت شهيتها للدهن، فقال للفأرة:

–«أودّ أن أخبـرك يـا فأرتي الصغيـرة أني سأكون اشبينة طفـل ابنة عمي، فقد ولـدت ابناً أبيض ببقع بنية اللون، وعليّ أن أحمله عند عماده. دعيني أخرج اليوم ودبِّري شؤون البيت بنفسك».

–«لابأس، لا بأس» قالت الفـأرة وتابعت: «اذهبي برعايـة الله، وفكري بي

Twitter: @ketab_n

عندما تأكلين من أطايب الطعام، ولا تنسيني عندما تشربين من عصير العنب الأحمر الحلو المذاق الذي يقدمونه في مثل هذه المناسبات».

بيد أن القصة كلها كانت كاذبة، إذ لم يكن للقطة ابنة عم وما كان لها أن تكون اشبينة. لكنها توجهت إلى الكنيسة مباشرة وتسللت إلى مكان قدر الدهن. أخذت تلحس سطحه حتى قضت على الطبقة العلوية كلها. ثم قامت بجولة على سطوح المنازل وتفقدت المنطقة المجاورة، ثم تمددت تحت الشمس وأخذت تلعق شاربيها كلما خطر قدر الدهن في بالها. ولم تعد إلى البيت إلا مع حلول المساء.

-»ها قد عدت أخيراً»، قالت الفأرة وتابعت: «ولاشك في أنك قد أمضيت نهاراً ممتعاً، أليس كذلك؟»

-»كلُّ شيء كان على ما يرام». أجابت القطة.

-»وماذا أسميتم الصبي؟» سألت الفأرة.

-»طار جلده»، أجابت القطة بنبرة جافة.

-»طار جلده» صاحت الفأرة: «ياله من اسم غريب عجيب. وهل هو اسم مألوف في عائلتكم؟»

-»وما الغريب فيه؟» أجابت القطة: «إنه ليس أسوأ من اسم (لص الفتافيت) المنتشر جداً في عائلتك».

بعد فترة ليست طويلة هاجت شهية القطة مجدداً، فقالت للفأرة:

-»عليكِ مرة ثانية أن تسدي إلي معروفاً وتدبري شؤون البيت وحدك، إذ عليَّ للمرة الثانية أن أكون اشبينة، ولا أستطيع أن أرفض، لا سيما أن للطفل طوقاً أبيض حول رقبته».

وافقت الفأرة الطيبة، أما القطة فقد انسلّت من وراء سور المدينة إلى الكنيسة ولحست ولحست حتى بلغ دهن القدر نصفه، فقالت بينها وبين نفسها: «لا

Twitter: @ketab_n

أطيب مما يأكله المرء لوحده». وكانت راضية عما أنجزته في ذاك النهار. وعندما وصلت إلى البيت سألتها الفأرة:

-»بأي اسم عمدّتم هذا الطفل؟»

-»طار نصفه» أجابت القطة.

-»طار نصفه! ما أغرب هذا! لم أسمع بمثل هذا الإسم في حياتي كلها. أراهن على أنه غير وارد في سجل الأسماء المتداولة».

وبعد مـدة قصيرة هذه المرة سـال لعاب القطة مجدداً اشتهـاءً للدهن اللذيذ! فقالت للفأرة:

-»أفضلُ الأمور ثالثها، وعليّ للمرة الثالثة يا عزيزتي أن أكون اشبينة، ولا سيما أن الطفـل أسود كله عـدا يديه وقدميه، ومن دون شعرة بيضـاء واحدة في جسمه كلـه، وهذا لا يحدث سوى مرة واحـدة كل بضع سنوات. ستأذنين لي بالذهاب، أليس كذلك؟»

-»طـار جلده! طار نصفه!» أجابت الفـأرة: «إنها أسماء مستغربة تشغل البال كثيراً».

-»هذا نتيجة بقائك في البيت بثوبك الرمادي القاتم وضفيرة شعرك الطويلة،» قالت القطّة وتابعت: «عندما لا يخرج المرء نهاراً يُشوشُ عقله».

في أثناء غياب القطة نظّفت الفأرة البيت ورتّبته، في حين لحست القطة الشرهة الدهن عن آخره من القدر وقالت لنفسها: «لا يشعر المرء بالراحة إلا بعد أن ينهي الطعـام عن آخره». ولم تعد إلـى البيت ببطنها الممتلئ إلا ليـلاً. ومباشرة سألتها الفأرة عن اسم الصبي الثالث، فأجابتها القطة:

-»أظنه أيضاً لن يعجبك. أسميناه (طار كله)».

Twitter: @ketab_n

–»طار كله!»، صاحت الفأرة: «إنه الإسم الذي يشغل البال أكثر من غيره، إذ أني لم أره مطبوعاً في أي مكان. (طار كله!) ما معنى هذا؟»

هزّت القطة رأسها وتكوّرت على نفسها واستلقت لتنام.

ومنذ ذلك الوقت لم يعد أحدٌ يرغب في أن تكون القطة اشبينة مولوده. ولكن عندما حلّ الشتاء ولم يعد في الخارج ما يؤكل فكرت الفأرة بالمؤونة وقالت:

–»تعالي أيتها القطة، لنذهب إلى مؤونتنا التي حفظناها لوقت الشدة، فلا شك في أننا سنتلذذ بها».

–»هيا بنا»، أجابت القطة وتابعت في نفسها: «ستتلذذين بها حتماً، كطعم الهواء على لسانك عندما تمدينه من النافذة».

خرجتا متوجّهتين نحو هدفهما، وعندما وصلتا وجدتا القدر في مكانه، إلا أنه كان فارغاً. فقالت الفأرة:

–»آخ، الآن أُدرك ما جرى، الآن توضَّح كلّ شيء، يا لك من صديقة حقيقية! التهمت كل شيء في مشاويرك الثلاثة لتكوني اشبينة: في المرة الأولى (طار جلده) وفي الثانية (طار نصفه) وفي الثالثة..».

فقاطعتها القطة قائلة بحدة: «اسكتي الآن! إذا نطقت بكلمة أخرى سألتهمك كلك».

لكن اسم (طار كله) كان على رأس لسان الفأرة المسكينة، وما أن لفظته حتى قفزت عليها القطة وأمسكت بها وابتلعتها.

هكذا تجري الأمور في هذه الدنيا.

× ××

Twitter: @ketab_n

(٣)

طفل مريم

قرب غابةٍ كبيرةٍ عاش حطّاب مع زوجته وابنتهما الوحيدة التي كانت في الثالثة من عمرها. وكانوا فقراء جداً، لا يجدون قوت يومهم ولا ما يُمكن إطعام الصغيرة بـه. وذات صباح خـرج الحطاب إلى عمله في الغابة وقـد أثقلت الهموم كاهله، وبينما هو مشغول بتكسير الحطب انتصبت أمامه فجأة امرأة طويلة وجميلة تضع علـى رأسها تاجاً من نجوم برّاقـة، وخاطبته قائلة: «أنا مريم العـذراء، أمُّ المسيح الصغيـر، أنت فقيـر ومعوز. أعطني ابنتــك، سآخذها معي وسأكــون بمنزلة أمها وسأرعـى شؤونها». أطاعهــا الحطاب، فأحضر ابنته وقدمهــا لمريم العذراء التي أخذتها معها وصعدت إلى السماء، وهناك سارت أمور الطفلة على أحسن ما يرام، فكانــت تأكل الحلويات وتشرب الحليب المُحلّـى وتلبس ثياباً ذهبيةً وتلعب مع صغار الملائكة.

وعندمــا بلغت الرابعة عشـرَ من عمرها نادتها مريم العـذراء ذات مرة وقالت لهــا: «طفلتي الحبيبــة، أمامي رحلةٌ طويلــة، إليكِ مفاتيح أبــواب ملكوت الجنة الثلاثــة عشــر، احفظيها معكِ: يجوز لــك أن تفتحي اثني عشر بابــاً منها لتمتّعي ناظريــك بما وراءها من روائع. أمــا الباب الثالث عشر الــذي يُفتح بهذا المفتاح الصغيـر فيُمنع عليك فتحه، وإيَّاكِ أنْ تفتحيه، وإلا فستكون التعاسة من نصيبك». فوعدتهــا البنت بالطاعة، وعندما سافرت مريم العذراء بدأت البنت بزيارة مساكن ملكوت الجنة، فكانت تفتح كل يوم باباً، إلى أن انتهت الأبواب الإثنا عشر. وقد وجدت فـي كل مسكن أحد حواريّـي السيد المسيح محاطاً بهالــة منيرة كبيرة،

Twitter: @ketab_n

وشعرت بالفرح لروعة وفخامة ما رأت، وكذلك كان حال صغار الملائكة الذين رافقوها. ولم يبق هناك سوى الباب المحظور، فامتلأت البنت رغبةً بمعرفة ما يخبئه وراءه، فخاطبت الملائكة الصغار قائلة: «أنا لا أريد أن أفتح الباب كله ولا أن أدخل، لكنني أودُّ أن أفتحه قليلاً كي أُلقي نظرة عبر الشق». فأجاب الملائكة: «لا، لا، سيكون هذا إثم، فمريم العذراء قد منعت ذلك، ويُحتمل أن يُصيبك هذا بالتّعاسة». صمتت البنت، لكن الفضول في قلبها لم يصمت، بل أخذ ينخر ويقضم بإلحاح حتى لم تعد تجد لحظة راحة.

وذات مرة عندما خرج جميع الملائكة الصغار قالت لنفسها: «ها أنا وحدي الآن،ويمكنني إلقاء نظرة دون أن يلاحظ أحدٌ ماذا أفعل». بحثت عن المفتاح وأمسكته بيدها وأدخلته في القفل ثم أدارته، فقفز الباب منفتحاً عن آخره، ورأت الفتاة الثالوث المقدس[أ]* جالساً في النار المقدسة المنيرة. بقيت الفتاة برهة واقفة، تتأمل ما تراه مندهشة، ثم لمست النور بأصبعها لمسةً خفيفةً فأصبح أصبعها ذهبياً، وغمرها للتو خوف هائل، فصفقت الباب وراءها وهربت. لم يتراجع الخوف ولم يهدأ مهما فعلت وحاولت، وبقي قلبها يدق بشدة وباستمرار، كما بقي أصبعها ذهبياً لا يتغير مهما غسلته وفركته.

لم يطل غياب مريم العذراء، وما إن عادت من رحلتها حتى نادت الفتاة إليها وطالبتها بمفاتيح الجنة. وعندما مدت الفتاة يدها بالمفاتيح نظرت مريم العذراء في عينيها وقالت: «هل فتحتِ الباب الثالث عشر أيضاً؟» فأجابتها الفتاة: «لا». عندها وضعت مريم العذراء يدها على قلب الفتاة وشعرت به يدق ويدق وعرفت أنها قد تجاوزت أمرها وفتحت الباب، فكررت سؤالها: «ألم تفتحي الباب حقّاً؟» «لا» أجابت الفتاة ثانية. وعندما رأت مريم العذراء إصبع الفتاة الذي صار ذهبياً لملامسته نار الجنة، وأدركت أن الفتاة قد أثِمت، سألتها للمرة الثالثة: «ألم تفعليها؟» «لا» أجابت الفتاة لثالث مرة. عند ذلك خاطبتها مريم العذراء قائلة:

أ-* الثالوث المقدس: الأب والابن والروح القدس في الديانة المسيحية.

Twitter: @ketab_n

«أنـت لم تطيعي أمري، كما أنكِ قد كذبتِ، ولهذا لم تعودي تستحقين البقاء في الجنة».

سقطـت البنت في سبات عميـق، وعندما استيقظت منه وجـدت نفسها على الأرضـ في وسـط غابة. أرادت أن تتكلم، لكنها لم تستطـع أن تلفظ أي صوت. قفـزت واقفة لتهـرب، لكنها كانت محاطـةً من كل الجّهات بشجيـراتٍ شوكيةٍ عتيقـةٍ حالـت دون إمكانيـة تخطّيها. وفي القفـر الذي حوصـرت داخله كانت شجـرة عتيقـة مفرغة الجذع باتت مسكنها الذي تأوي إليـه ليلاً لتنام، ولتحتمي فيـه من الريح والمطر. باتت حياتها هناك بائسة شقيّة، وعندما كانت تتذكر أيامها الرائعـة في الجنة ولعبها مع الملائكة كانت تبكي بحسرة ومرارة. لم يتعد طعامها التـوت البري والجذور الدرنيّة التي كانت تبحـث عنها في نطاق ما تطاله يداها، وكانت تجمع في الخريف الجوز والبندق المتساقط وأوراق الشجر وتحملها إلى مأواهـا، فتتغذى على الجوز والبندق شتاءً وتلتحف الأوراق كأي حيوان مسكين عندما ينتشر البرد وتثلج السماء.

بعد مدة قصيرة أخذت ثيابها تتمزّق وتتساقط قطعة بعد أخرى. فكانت حالما تسطـع الشمـس ويدفأ الطقس تخرج مـن مأواها وتجلس أمـام الشجرة وتغطي نفسهـا بشعرها الطويل من جميع الجوانب كمعطـف. وعلى هذا النحو انقضت السنوات واحدة تلو الأخرى والفتاة تعيش في بؤس وشقاء وتشعر بمدى تعاستها.

ذات يـوم بعد أن اكتست الأشجـار بأوراقها الخضراء اليانعة خرج ملك البلاد ليصطاد الغزلان في الغابة، وعندما هرب منه أحدها إلى داخل الشجيرات الشوكية المحيطـة بساحة الغابة، ترجل الملك عن حصانه، وباعد ما بين الشجيرات وفتح لنفسه بالسيف ممراً بين الأشواك، وعندما عبره أخيراً رأى عند الشجرة فتاة رائعة الجمـال جالسة وقد غطاها شعرها الذهبـي حتى أصابع قدميها. توقف في مكانه مندهشـاً وهو يراقب الفتاة، ثم خاطبها سائـلاً: «من أنت؟ لماذا تجلسين في هذا المـكان الخالي من البشر؟» لم تجبه الفتاة لأنهـا لم تكن قادرة على النطق. فتابع

Twitter: @ketab_n

الملك قائلاً: «أترغبين في الذهاب معي إلى قصري؟» فأومأت الفتاة برأسها قليلاً. حملها الملك بذراعيه وأردفها وراءه على حصانه وذهب بها إلى قصره. وحالَ وصوله أمر بإلباسها ثياباً جميلة وأغدق عليها من كرمه. وعلى الرغم من أنها لم تكن قادرة على الكلام، كانت جميلة وظريفة فأحبها الملك من كل قلبه، وسرعان ما تزوجها. وما كادت تمضي سنة حتى أنجبت الملكة صبياً.

في الليلة التالية عندما كانت الملكة مستلقية وحدها في سريرها ظهرت لها مريم العذراء وسألتها: «هل ستقولين الحقيقة وتعترفين بأنك فتحت الباب المحظور؟ إن فعلتِ سأحل عقدة لسانك وأمنحك النطق ثانية. أما إذا أصريت على إثمك ونفيت فعلتك بعناد فسآخذ طفلك الوليد معي». كان بوسع الملكة حينها أن تنطق وتعترف، لكنها تصلبت في موقفها وقالت: «لا، لم أفتح الباب المحظور». فأخذت مريم العذراء الصبي من بين ذراعي الملكة واختفت معه.

في صباح اليوم التالي عندما لم يجد سكان القصر الصبي، تهامس الناس بأن الملكة من أكلة لحم البشر وبأنها قد قتلت ابنها. سمعت الملكة كل شيء، لكنها لم تكن قادرة على الرد، أما الملك فلم يصدّق ما قيل لأن حبّه لها كان عظيماً.

بعد نحو سنة أنجبت الملكة صبياً ثانياً. وفي الليل ظهرت لها مريم العذراء ثانية وخاطبتها قائلة: «إذا اعترفتِ بأنك فتحتِ الباب المحظور، فسأعيد لك ابنك وأحل عقدة لسانك، أما إنْ أصريتِ على الإثم ونفيت فعلتك، فسآخذ معي ابنك الجديد أيضاً». فكررت الملكة قولها: «لا، لم أفتح الباب المحظور». فأخذت مريم العذراء الصبي الوليد من بين ذراعي الملكة وصعدت معه إلى السماء. في صباح اليوم التالي عندما أحس سكان القصر بأن الصبي الجديد قد اختفى أيضاً، جهروا بقولهم إن الملكة قد ابتلعته، كما طالب مستشارو الملك بمحاكمتها. ولمّا كان حب الملك لها عظيماً فإنه لم يصدق أقوالهم وهدد مستشاريه بعقوبة الموت إنْ هم أتوا على ذكر الموضوع ثانية.

في السنة الثالثة ولدت الملكة بنتاً جميلة، ولثالث مرةٍ ظهرت لها مريم العذراء

Twitter: @ketab_n

ليـلاً وخاطبتها قائلة: «اتبعيني»، وأمسكـت بيدها وصعدت بها إلى الجنة وأرتها هنـاك ابنيها الصبيين وهما يضحكان ويلعبـان بطابة تشبه الكرة الأرضية. وعندما ظهـر الفرح على الملكة قالت لها مريم العـذراء: «ألم يلِن قلبك بعد؟ إذا اعترفتِ بأنك قد فتحت الباب المحظور، فسأعيد إليك ابنيك معاً».

غيـر أن الملكة ولثالث مرة أجابت: «لا، لـم أفتح الباب المحظور». فجعلتها مريـم العـذراء تهبط إلـى الأرض ثانية وأخـذت منها طفلها الثالـث. وفي صباح اليـوم التالي وبعدمـا انتشر خبر اختفـاء المولودة صاح جميع الناس وبأصوات عاليـة: «الملكة آكلة لحم البشر يجب إعدامهـا». ولم يعد الملك قادراً على صدّ مستشاريه. فعُقدت المحكمة للنظر في قضيتها، ولأنها لم تكن قادرة على الإجابة والدفاع عن نفسها، أدانتها المحكمة وحكمت عليها بالموت حرقاً.

جُمع حطب كثير، وعندما قُيّدت الملكة إلى عمود المحرقة وتصاعدت ألسنة النـار من حولها، عندهـا ذاب جليد الكبرياء وحرّك الندم قلبهـا، فقالت لنفسها: «ليتنـي أتمكن قبل موتي مـن الاعتراف بأني قد فتحت البـاب»، فإذا بها تستعيد صوتهـا وتصيح: «أجل، يا مريم، لقد فعلتها!» وفي اللحظة نفسها أخذت السماء تمطـر حتى انطفأت نيران المحرقة وسطع فوقهـا نور باهر وهبطت مريم العذراء وإلى جانبيها الصبيان وعلى ذراعها الفتاة الوليدة، وقالت لها بلهجة ودودة: «مَن نـدم على إثم واعترف به، يُغفـر له إثمه». ثم دفعت نحوهـا أولادها الثلاثة برفق وحلّت عقدة لسانها ومنحتها السعادة طوال حياتها.

XXX

Twitter: @ketab_n

(٤)

حكاية الفتى الذي خرج ليتعلم الخوف

كان لأبٍ إبنـان، أكبرهمـا ذكـي ماهـر، ويحسـن التصرف فـي كل الأمور، أمـا الأصغـر فكان ساذجاً لا يفهم شيئـاً ولا يتعلم شيئاً، وعندما يـراه الناس كانوا يقولون: «سيكون عبئاً ثقيلاً على أبيه». وإذا كان هناك عمل لا بد من إنجازه، كان على أكبرهما دائماً أن ينجزه، ولكن إذا طلب منه أبوه مساء أو ليلاً أن يحضر شيئاً مـا، وكان لا بـد له من عبور باحة الكنيسـة أو أيِّ مكان مخيف آخر، كان يجيب أباه: «لا، يا أبي لن أذهب إلى هناك كيلا يقشعر بدني»، فقد كان يخاف. وإذا ما رُويـت حول المدفأة مساء حكايات تثير الرعب كان المستمعون يردّدون أحياناً: «آخ، لقـد اقشعـر بدنـي!» وكان الأخ الأصغر يجلس في إحـدى الزوايا مُنْصتاً، ولكن من دون أن يفهم ما معنى قول أحدهم «لقد اقشعر بدني! لقد اقشعر بدني!» ويقول لنفسه: «أنا لا يقشعرُّ بدني. لا شك في أن هذا فنّ لا أفهم منه شيئاً».

وحـدث ذات يوم أن خاطبه أبوه قائـلاً: «استمع إلي أنت الجالس في الزاوية! أنـت ستكبر وستكـون قوي البنية. ولكن عليـك أن تتعلم شيئـاً تكسب به قوت يومك، ألا ترى كم يبذل أخوك من جهد! ولكن يا خسارة الطعام فيك». فأجاب الفتى: «لا، يا أبي، أنا أريد أن أتعلم شيئاً ما، وإن أمكن ذلك فأرغب في تعلم كيف يقشعـر بدني، فهـذا الأمر مستغلق عليَّ تماماً». ضحـك الأخ الأكبر عندما سمع ذلـك وقال لنفسه: «يا إلهي ما أشد غباء أخي، لن يفلح في شيء طول حياته، فمن يريـد مواجهة العاصفة عليه تعلم الانحنـاء مبكراً». تنهد الأب وأجابه: «قشعريرة البدن ستتعلمها لا شك، لكنها لن توفر لك قوت يومك».

Twitter: @ketab_n

بعد مدة قصيرة زار شمّاس الكنيسة العائلة فشكا له الأب مصيبته بإبنه الأصغر، ثم قال له: «أتتصور أنه عند سؤالي إياه عن كيفية كسبه قوت يومه، طالب بأن يتعلم قشعريـرة البدن!» فأجاب الشماس: «إن لم يتعد الأمر ذلك، فالمسألة بسيطة. يمكنه تعلم قشعريرة البدن عندي. دعه لي وسأصلحه لك». فوافق الأب لظنّه أن أحوال الفتى ستصلح نوعاً ما.

أخذه الشماس معه إلى داره وكلفه بقرع الناقوس. وبعد بضعة أيام أيقظه عند منتصف الليل وأمره بالصعود إلى برج الكنيسة وقرع الناقوس. وكان يقول بينه وبين نفسه: «الآن ستتعلم ما هي قشعريرة البدن». وسبقه إلى البرج سراً. عندما وصل الفتى إلى أعلى البرج والتفت ليمسك بحبل الناقوس شاهد على الدرج مقابل نافذة الصوت هيئةً بيضاء واقفة هناك. فصاح: «من هناك؟» لكن الهيئة البيضاء لم تحر جواباً ولم تتحرك. فصاح الفتى ثانية: «أجبني أو اذهب من هنا، فلا عمل لك هنا في الليل». لكن الشماس بقي واقفاً بلا حركة، كي يعتقد الفتى بأنه شبح. فصاح الفتى مجدداً: «ماذا تريد؟ تكلم إن كنت رجلاً شريفاً، وإلا فسأرميك إلى أسفل الدرج». فكر الشماس بأن تهديد الفتى لا يمكن أن يكون جدياً، فبقي واقفاً وصامتاً كالحجر. كرر الفتى تهديده بصوت عال، ولكن من دون جدوى، فهجم على الشبح ودفعه فتدحرج عشر درجات وبقي ملقياً في الزاوية. قرع الفتى الناقوس وعاد إلى الدار حيث استلقى في سريره وتابع نومه دون أن يقول ايّ كلمة. انتظرت زوجة الشماس زوجها طويلاً، لكنه لم يعد، وعندما غلبها الخوف أيقظت الفتى وسألته: «ألا تعرف أين بقي زوجي؟ لقد صعد إلى البرج قبلك». «لا»، قال الفتى وتابع: «لكن أحدهم وقف على الدرج مقابل نافذة الصوت، وعندما لم يجبني ولم يتحرك من مكانه، ظننته وغداً فدفعته على الدرج. اذهبي وانظري بنفسك، فإن كان هو زوجك فأنا آسف». أسرعت المرأة إلى البرج حيث وجدت زوجها في زاوية الدرج وهو يولول من ساقه المكسورة.

حملت الزوجة رجُلها إلى الدار وهرعت وهي تصرخ إلى والد الفتى وقالت له صائحة: «ابنك تسبب في مصيبة كبيرة. رمى زوجي على درج البرج فكسر

Twitter: @ketab_n

ساقه. أخرج هذا العطّال البطّال من دارنا». ارتعب الأب وركض إلى دار الشماس، حيث شتم ابنه ووبّخه ثم قال: «ما هذه المقالب الفاجرة التي وسوس لك بها الشيطان!» فأجاب الفتى: «اسمعني يا أبي، أنا بريء تماماً مما تقول. كان واقفاً هناك عند منتصف الليل كمن ينوي شرّاً. لم أعرف من هو وحذرته ثلاث مرات، إما أن ينطق أو أن يغادر». فرد الأب: «أخ، لا يأتيني منك سوى المصاعب، اغرب من وجهي، لا أريد أن أراك ثانية». فأجاب الفتى: «حسناً يا أبي، كما تريد، ولكن أمهلني حتى الصباح، وعندها سأمضي لأتعلم قشعريرة البدن، كي أتقن فناً يضمن لي رزقي». «تعلم ما تشاء»، ردّ الأب وتابع: «فالأمر بالنسبة إلي سيّان. هاك بعض النقود لتبدأ. انطلق وإيّاك أن تخبر أحداً عن دار أهلك وعن اسم أبيك، فأنا أخجل بك أمام الناس». فقال الفتى: «حسناً يا أبي، كما تشاء. إن كنت مصرّاً على ذلك، فلا أسهل من أن أتقيّد به».

مع انبلاج الفجر وضع الفتى النقود في جيبه وانطلق على الشارع الرئيسي وهو يردد بينه وبين نفسه «آه لو يقشعر بدني! ليت بدني يقشعر!» بعد فترة قصيرة حاذاه رجل وسمع ما كان يقول الفتى لنفسه. قطعا مسافة من الطريق إلى أن اقتربا من شجرة الشنق، فقال له الرجل: «أترى تلك الشجرة التي يتدلى منها الرجال السبعة الذين غازلوا ابنة الحبّال(ب) والذين يتعلمون الآن الطيران؟ اجلس تحتها حتى يحل الليل، وعندها ستتعلم فعلياً كيف يقشعرُّ البدن." فقال الفتى: "إن لم يتعد الأمر ذلك، فالمسألة بسيطة. وإذا تعلمت قشعريرة البدن بهذه السرعة فأنت تستحق نقودي. ارجع إليَّ صباح الغد."

توجه الفتى إلى الشجرة وجلس تحتها إلى أن حل المساء، ولأنه أحسّ بالبرد أشعل النار ببعض قطع الحطب. ولكن البرد اشتد بعد منتصف الليل بحيث لم تكفِ النار لتدفئته. وعندما حركت الريح المشانيق فصارت جثثهم تصطدم ببعضها، قال الفتى لنفسه: "أنت تشعر بالبرد هنا قرب النار، فما بال المساكين

ب- غازل ابنة الحبّال: تعبير مجازي عمن ارتكب من الآثام ما يستدعي شنقه، وابنة الحبّال هي المشنقة. (المترجم).

Twitter: @ketab_n

فـوق، لا شـك أنهم قد تجمـدوا. وبسبب شفقتـه عليهم أسند السلـم إلى جذع الشجـرة، تسلقه وفكّ الواحد تلو الآخر وأنزلهم جميعهم، ثم وضع حطباً جديداً وأجلس المشانيق في دائرة حول النار كي يشعـروا بالدفء. لكنهم بقوا ساكنين بـلا حراك رغم أن ثيابهم قد التقطت النار. فقـال لهم عندها: "انتبهوا لأنفسكم، وإلا فإني سأعيدكم إلى أماكنكم فوق." بيد أن الموتى لم يسمعوه، وبقوا صامتين، فيما استمـرت النار في التهام ثيابهم الرثة، فغضب عند ذلك وقال: "إن لم تنتبهوا لأنفسكم، فلن أتمكن من مساعدتكم، وأنا لا أريد أن أحترق معكم." ثم حملهم واحداً تلو الآخر وأعاد تعليقهم في المشانق. ثم عاد فجلس أمام النار وغفا.

عنـد الصبـاح جاءه الرجـل مطالبـاً بالنقود، قائـلاً: "الآن بِتَّ تعـرف ما هي قشعريـرة الخـوف، أليس كذلك؟» فأجابـه الفتى: «لا، ومن أين لـي أن أعرفها؟ أولئك المعلقون فوق لم يفتحوا أفواههم بكلمة، وتصرفوا بغباء شديد لدرجة أنهم تركـوا ثيابهم تحترق وهي على أجسامهم». عنـد ذلك أدرك الرجل أن النقود لن تكون من نصيبه، فمشى وهو يقول: «في حياتي كلها لم أصادف مثل هذا الفتى».

ومشـى الفتـى أيضاً في طريقه وهـو لا يكفُّ عن ترديد: «آه لـو يقشعر بدني! ليـت بدني يقشعر!» فسمعه حوذي كان يمشي وراءه وسأله: «من أنت يا فتى؟»، «لا أعـرف» أجاب الفتى، فتابع الحـوذي أسئلته: «ومن أين أنت؟»، «لا أعرف» أجـاب الفتى، «ومن هو أبوك؟» فقال الفتـى: «هذا مالا يجوز لي أن أصرح به». «ومـاذا تبربر طوال الوقت لنفسك؟» تساءل الرجل، فاندفع الفتى قائلاً: «أريد أن يقشعـر بدني. لكنني لا أجد من يعلمني ذلك». فقال له الرجل: «دعك من الثرثرة الفارغة، تعال معي وسأجد لك عملاً». رافق الفتى الحوذي، وعند المساء وصلا إلى منزلٍ قرر الحوذي قضاء الليلة فيه.

ومـا أن دخـل الفتـى النزل حتى كـرر جملته وبصـوت عالٍ: «آه لـو يقشعر بدنـي! ليت بدني يقشعـر!» سمع صاحب النـزل ذلك، فضحك وقـال له: «إن كانت نفسك تهفو إلـى ذلك، فالفرصة متاحة أمامك هنا».، «اصمت يا رجل!»

Twitter: @ketab_n

قالت زوجته بحدة وتابعت: «ما أكثر الفضوليين الذين دفعوا حياتهم ثمناً لذلك. ياخسارة ألاّ ترى هاتان هاتين العينين الجميلتين ضوء النهار مجدداً!» ومع ذلك قال الفتى: «مهما كان الأمر صعباً فأنا مصر على تعلمه، فهذا هو سبب خروجي في الأساس». وأثقل على صاحب النزل بإلحاحه إلى أن رضخ وحكى له أنه بالقرب من النزل يوجد قصر مسكون بأرواح شريرة، وهو المكان الأفضل لتعلم قشعريرة الخوف، هذا إنْ تمكن من أن يقضي فيه ثلاث ليالٍ فقط وهو مستيقظ. وقد وعد الملك من يجرؤ على ذلك وينجح فيه بمنحه ابنته عروساً، وهي أجمل عذراء رأتها عين الشمس. ويوجد في القصر ثلاثة كنوزٍ مخبأة تحرسها أرواح شريرة، سيؤدي النجاح في المهمة إلى تحريرها، فتوصِل محررها إلى الثراء. ولم ينسَ صاحب النُزل أن يضيف أن كثيرين قد دخلوا ذلك القصر، ولكن حتى الآن لم يخرج أحد منهم حيّاً.

في صبيحة اليوم التالي مَثُل الفتى أمام الملك وقال: «أطلب الإذن من جلالتكم بقضاء ثلاث ليالٍ حارساً في القصر المهجور». نظر الملك إليه ملياً فأعجب بهيئته وأجابه: «لك ذلك، ولك أن تطلب مني ثلاثة أمور، على أن تكون جماداً لا حياة فيه، تأخذها معك إلى القصر المهجور. فطلب الفتى ناراً ومِخْرطةً وقطّاعةً مع سكينها. أمر الملك أن تنقل له هذه الأشياء إلى القصر في أثناء النهار، وعندما اقترب الليل توجه الفتى إلى القصر المهجور، دخل إلى إحدى الحجرات، أوقد ناراً متأجّجة، وضع القطاعة وسكينها إلى جانبه وجلس على المخرطة الدوّارة وهو يقول لنفسه: «آه لو يقشعر بدني! لكنني لن أتعلم هذا حتى هنا».

نحو منتصف الليل أراد الفتى أن يزيد النار حطباً، وعندما نفخ على الجمر سمع فجأة صياحاً: «مياو، كم نرتجف هنا من البرد!» فرد الفتى بصوتٍ عالٍ أيضاً: «أيتها المجنونات، إن كنتن تشعرن بالبرد اقتربن من النار لتحصلن على الدفء». وما أن قال ذلك حتى قفزت قطتان سوداوان كبيرتان قفزةً هائلةً وجلستا عن جانبيه وهما تنظران إليه بعيونهن النارية بصمت. وبعد فترة قصيرة شعرتا بالدفء فقالتا: «ما رأيك يا زميل بلعبة ورق؟» «ولماذا لا»، أجاب الفتى وتابع: «ولكن دعاني

Twitter: @ketab_n

أرى كفوفكنّ أولاً!» فمدت القطتان مخالبهن. فقال الفتى مندهشاً: «ما هذه الأظافر الطويلة القذرة! انتظرا، لا بد لي أولاً من أن أقلمها لكما». وأمسكهما من رقبتيهما، رفعهما إلى القطّاعة وثبّت كفوفهما ثم قال: «عندما أنظر إلى أصابعكما أفقد الرغبة في لعب الورق». وضربهما ضربتين قاتلتين ورمى بهما في مياه خندق القصر. وما كاد يلتفت إلى ناره مجدداً، وقبل أن يجلس، حتى خرجت له من جميع الزوايا قطط وكلاب سوداء مربوطة بسلاسل نارية وأخذت تزداد وتزداد وهي تموء وتعوي بأصوات مروّعة وتدوس ناره وتنثر حطبها ذات اليمين وذات الشمال رغبة في إطفائها. راقب الفتى ما يجري لفترة بهدوء، ولكن عندما تفاقم الوضع أمسك بسكين القطاعة صائحاً: «ابتعدوا أيها الأشقياء!» وهو يضربهم بالسكين، فاختفى قسم وقُتل قسم آخر رماه في مياه الخندق.

وعندما عاد إلى الحجرة نفخ على ناره فتأججت من جديد. جلس في الدفء حتى تهدّل جفناه ورغب في النوم. تلفّت حوله فرأى في الزاوية سريراً كبيراً، فتمدد فيه وهو يقول: «إنه يناسبني تماماً الآن». وحالما أغمض عينيه لينام أخذ السرير يتحرك من نفسه ويتجول في جميع أرجاء القصر. «هذا جميل»، قال الفتى: «تابع ولا تقف!» فتابع السرير جولته وكأنه مشدود إلى ستة أحصنة متجاوزاً العتبات، صاعداً ونازلاً على الأدراج إلى أن انقلب رأساً على عقب وتكوّم فوقه مثل جبل، لكن الفتى رفس الأغطية والوسائد عالياً وخرج من تحته وهو يقول: «من يرغب في السفر فليسافر الآن»، واضطجع إلى جانب ناره ونام حتى انبلج الصباح.

عندما دخل عليه الملك صباحاً ووجده مستلقياً على الأرض ظن أن الأشباح قتلته، فقال: «يا خسارة الشاب الوسيم». سمع الفتى ذلك فنهض قائلاً: «ليس بعد يا سيدي، ليس بعد!» أدهشت المفاجأة الملك، لكنها أفرحته في الوقت نفسه فسأله عن حاله، فأجاب الفتى: «بخير وعافية. ها قد انقضت ليلة، والأُخريان ستنقضيان أيضاً». وعندما ذهب إلى النزل لتناول الطعام اتسعت عينا صاحبه دهشة وقال: «ما ظننت أني سأراك حيّاً ثانية. هل تعلمت الآن قشعريرة الخوف؟» فأجابه الفتى: «لا، لا جدوى من كل ما أفعله. لو أني أجد فقط من يشرح لي الأمر!».

Twitter: @ketab_n

ذهب في الليلة الثانية إلى القصر المهجور ثانية، جلس إلى جانب النار وأخذ يردد أغنيته القديمة: «آه لو يقشعر بدني! ليت بدني يقشعر!» إلى أن سمع عند منتصف الليل ضجّة وخبطَ أقدام، خفيفاً في البداية ثم أخذ يتعالى تدريجياً، ساد السكون برهة، وأخيراً ومع صيحة صاخبة تدحرج نحوه من المدخنة نصف رجل. فصاح به الفتى: «اسمع يا أنت! أين نصفك الآخر؟ أنت هكذا لا تكفي». عادت الضجة من جديد مع صخب وصياح إلى أن تدحرج النصف الثاني، فقال الفتى: «انتظر، سأؤجج النار من أجلك». ولما أنهى عمله والتفت وجد أن النصفين قد صارا كلاً واحداً مخيفاً احتل مكانه، فقال له: «هذا لم نتفق عليه. هذا مكاني أنا». حاول الرجل إبعاده عنه، لكن الفتى لم ينصع له، بل دفعه بقوة وأخذ مكانه. وعندها أخذ رجال آخرون يتدحرجون من المدخنة الواحد بعد الآخر، وكانوا يحملون معهم تسع سيقانِ موتى وجمجمتين، نصبوا السيقان وراء بعضها على شكل مثلث وأخذوا يتسابقون في إسقاطها بالجمجمتين. فتملكت الفتى رغبة بمشاركتهم في اللعب فسأل: «هل يمكنني اللعب معكم؟» فأجابوه: «نعم إذا كان معك نقود». فأجاب: «هناك ما يكفي من النقود، لكن كرتيكما ليستا كرويتين بصورة تامة». وجلس إلى المخرطة وأدارها ثم تناول الجمجمتين فكوّرهما وقال: «الآن ستنزلقان بصورة أفضل، وسيصبح الأمر مسلياً!» فشارك في اللعب وخسر بعض نقوده، ولكن عندما دقّت الساعة الثانية عشرة اختفى كل ما كان يراه أمام عينيه، فاستلقى على الأرض ونام بهدوء.

جاء الملك في صباح اليوم الثاني وسأله: «كيف سارت أمورك هذه المرة؟» فأجاب: «لعبنا لعبة الكيغل[ج]، فراهنت وخسرت بعض القروش." "ولم يقشعر بدنك؟" سأله الملك، فأجاب: "أبداً، لقد تسلّيت. ليتني أعرف ما هي قشعريرة البدن."

ج – لعبة الكيغل هي أصل لعبة البولينغ bowling الشهيرة. [م]

Twitter: @ketab_n

جلس في الليلة الثالثة على المخرطة مجدداً وقال لنفسه باستياء شديد: "ليت بدنـي يقشعـر!" عندما تقدم الوقت دخـل الحجرة ستة رجـال طوال يحملون تابوتاً، فقال الفتى: "لا شك أن هذا هو ابن عمي الذي مات قبل يومين." وأشار للرجال بإصبعه وهو يقول: "تعال يا ابن عمي تعال!" وضع الرجال التابوت على الأرض، فذهب الفتى إليه ورفع غطاءه ليجد فيه رجلاً ميتاً. مد يده ولمسه على خده فوجده بارداً كالثلج، فقال: "انتظر، سأبعث فيك بعض الدفء." توجه إلى النار، دفّأ كفيه ووضعهما على وجه الرجل، لكن الميت بقي بارداً، فأخرجه من التابوت وحمله إلى جانب النار حيث جلس والرجل في حضنه، وأخذ يفرك له ذراعيـه كي تتحرك دورته الدمويّة. ولكن عندما لـم يفد هذا شيئاً خطرت بباله فكـرة: "عندمـا يستلقي اثنان فـي السرير معاً فإنهما يدفئـان بعضهما." فحمل الميـت إلى السرير الكبير، دثّره بالأغطية واستلقـى إلى جانبه. بعد فترة قصيرة شعـر الميت بالدفء يتسرب إلى جسمه فبدأ يتحـرك، فقال له الفتى: "أترى يا ابـن عمي، لو لم أدفئك لـ..." لكن الميت أمسك به وصاح: "الآن سأخنقك." "مـاذا؟!" قال الفتى، "أهكذا يكون رد الجميـل!! سأعيدك إلى تابوتك فوراً." وحملـه إلى التابوت، رماه فيه وثبّـت الغطاء عليه، وعندها ظهر الرجال الطوال الستة، حملوا التابوت وغادروا، والفتى يقول لنفسه: "بدني يأبى أن يقشعر. لن أتعلم شيئاً هنا."

ومـا كاد ينهي جملته حتـى دخل عليه رجل أطول مـن الآخرين كلهم وبدا مظهـره مفزعاً، لكنـه كان عجوزاً بلحيـة بيضاء طويلة وصـاح: "أيّها الحقير، الآن سأعلمـك ما هي القشعريرة، لأنك ستموت." فأجاب الفتى: "لا تستعجل كثيـراً! إذا كنتُ سأمـوت فلا بد من أن أكون شاهداً علـى ذلك"، فقال العجوز اللئيـم: "أنـا من سيمسك بك". فمـا كان من الفتـى إلا أن رد بهدوء: "مهلك، مهلـك! لا تتبجّح هكـذا، فأنـا أماثلك قوة، بل أنـا أقوى منـك."، "سنرى"، قال العجـوز اللئيم وتابع: "إذا كنت أقوى منـي فسأدعك وشأنك، تعال معي، سنجري تجربـة لنرى." وقاده عبر ممرات معتمة إلى كورِ حِدادة متأجج النار،

Twitter: @ketab_n

تناول فأساً وضرب بها السندان الأول فشقه نصفين سقطا أرضاً. "أنا أُحسنُ ذلك أفضل منك." قال الفتى وذهب إلى السندان الثاني، فوقف العجوز إلى جانبه كي يرى ما سيفعله وقد تدلت لحيته البيضاء حتى أسفل صدره. أمسك الفتى بالفأس وشقّ السندان بضربة واحدة وحشر لحية العجوز في الشق وقال: "ها قد أوقعت بك. الآن حان دورك لتموت. وتناول قضيباً حديدياً وهوى به على العجوز اللئيم الذي أخذ يبكي ويرجوه أن يتوقف، ووعده إنْ فعل بمنحه كنوزاً عظيمة.سحب الفتى الفأس من الشق وحرر لحية العجوز الذي عاد به إلى القصر المهجور ودله في أحد الأقبية على ثلاثة صناديق مملوءة بالذهب وقال: "ثلث الذهب يعود للفقراء، والثلث الثاني للملك، والثالث لك أنت." وعندها دقت الساعة الثانية عشرة، فاختفى العجوز وبقي الفتى في العتمة وحده، فقال لنفسه: "سأجد لنفسي مخرجاً" وتلمّس طريقه هنا وهناك حتى وصل إلى حجرته وأغراضه، فاستلقى إلى جانب النار ونام.

جاءه الملك في صبيحة اليوم الثالث وبادره قائلاً: "لا شك في أنك قد عرفت ما هي قشعريرة الخوف الآن، أليس كذلك؟" نهض الفتى قائلاً بأسى: "لا، لم أعرفها بعد. جاء ابن عمي الميت وذهب، ثم جاء عجوز ملتح دلني على ذهب كثير في القبو تحت، ولكن لم يخبرني أحد ما هي القشعريرة." وعندها خاطبه الملك قائلاً: "لقد حررتَ القصر من الأشباح الشريرة، لذلك سوف أزوّجك بابنتي."، "هذا كله خير كبير" قال الفتى وأضاف: "لكنني ما زلت لا أعرف ما هي القشعريرة."

وبعد أن أُخرج الذهب من القبو وأقيمت احتفالات العرس كسب الملك الشاب محبة عروسه وبلغ ذروة السعادة. وعلى الرغم من ذلك استمر يردد: "آه لو يقشعرٌّ بدني! ليت بدني يقشعر!" مما أدى إلى استياء عروسه منه، فقالت لها وصيفتها: "سأجد وسيلة تعلّمه ما هي قشعريرة البدن." وخرجت إلى الجدول الذي يجري عبر حديقة القصر، ملأت من مائه دلواً كبيراً يعج بأسماك الشبوط وحملته إلى القصر. وكان على العروس ليلاً أن ترفع الغطاء عن الملك الشاب

Twitter: @ketab_n

النائـم وتفرغ فوقه ماء الجدول البارد بحيث تلعبط سمكات الشبوط الصغيرة حول جسمه. انتفض الملك الشاب من نومه فزعاً وصاح: "ما هذه القشعريرة، ما هذه القشعريرة يا زوجتي الحبيبة!! الآن بتُّ أعرف ما هي القشعريرة."

×××

Twitter: @ketab_n

(٥)

الذئب والعنزات السبع الصغيرات

كان هناك ذات يوم عنزة كبيرة تعيش مع عنزاتها السبع الصغيرات وتحبّهم جداً كحب الأم لأطفالها. وذات مرة أرادت الأم الذهاب إلى الغابة لتجلب العلف، فنادت عنزاتها السبع كلهن إليها وقالت: «اسمعنِ يا حبيباتي، أنا أريد الخروج إلى الغابة فاحذرن الذئب، لأنه إذا دخل البيت فسيفترسكن كلكن بجلودكن وفرواتكن. وهذا الشرير غالباً ما يتنكّر، لكنكنّ ستعرفنه مباشرة من صوته الخشن ويديه السوداوين. فقالت العنزات: «سنحترس منه يا أمّنا الحبيبة. اذهبي ولا تقلقي علينا». ثغت الأم وغادرتْ مرتاحة البال.

بعد وقت قصير قُرع باب البيت وسمعت العنزات صوتاً يقول: «افتحن يا عزيزاتي، لقد عادت أُمّكنّ وأحضرت معها هدية لكل واحدة منكن». لكن العنزات الصغيرات انتبهن إلى الصوت الخشن وعرفن أنه الذئب، فقلن: «لن نفتح لك، أنت لست أُمّنا، فصوتها ناعم وحنون، أما صوتك فهو خشن، أنت الذئب». ذهب الذئب إلى بقّال واشترى قطعة كبيرة من حجر الكلس وأكلها، فصار صوته ناعماً. ثم توجه إلى بيت العنزات، قرع الباب وهتف بصوته الناعم: «افتحن يا عزيزاتي، لقد عادت أمكنّ وأحضرت معها هدية لكل واحدة منكن». وكان الذئب قد استند بيده السوداء على حافة النافذة، فرأت العنزات ذلك وقلن: «لن نفتح لك، فليس لأمنا يد سوداء مثلك. أنت الذئب». ذهب الذئب إلى الخبّاز وقال له: «لقد صدمتُ يدي. ادهنها لي ببعض العجين». وبعد أن دهنها له الخباز، نادى الذئب الطحان وقال له: «رُشّ لي عليها بعض الطحين الأبيض».

Twitter: @ketab_n

ففكر الطحان بأن الذئب يبغي خداع أحدهم، فرفض، لكن الذئب هدده قائلاً: «سأفترسك، إن لم تفعل ما قلت لك». خاف الطحان ورشّ له الطحين على يده حتى صارت بيضاء. نعم، هكذا هم البشر.

وهكذا ذهب الشرير لثالث مرة إلى بيت العنزات، قرع الباب وقال: «افتحن الباب يا بنات، لقد عادت أمكنّ الحبيبة إلى البيت، وأحضرت معها من الغابة شيئاً لكل واحدة منكن». فهتفت العنزات الصغيرات: «أرينا يدك أوّلاً لكي نتأكد من أنّك أمّنا». فرفع الذئب يده إلى النافذة. عندما رأت العنزات أنها بيضاء فتحن الباب. لكنَّ من دخل كان الذئب، ففزعت العنزات وأردن الاختباء. فاختبأت الأولى تحت الطاولة، والثانية في السرير، والثالثة في الموقد، والرابعة في المطبخ، والخامسة في الخزانة، والسادسة تحت طشت الغسيل والسابعة في صندوق الساعة المنتصبة وراء الباب. لكن الذئب وجدهن، ولم يضيّع الوقت في سلخ جلودهن، بل التهمهنّ الواحدة بعد الأخرى، إلا صغراهن في صندوق الساعة فإنه لم يعثر عليها. وبعد أن أطفأ الذئب نهمه خرج من البيت مترنّحاً من الثقل واستلقى في الخارج تحت شجرة على المرج الأخضر وبدأ يغفو.

بعد فترة غير طويلة عادت العنزة الأم من الغابة إلى البيت، فأذهلها ما رأت هناك! بابُ البيت مشرعاً عن آخره، الطاولة والكراسي والمقاعد مقلوبة هنا وهناك، طشت الغسيل محطماً إلى شظايا، ومفرش السرير والوسائد على الأرض. بحثت عن بناتها، لكنها لم تجد أحداً منهن، فأخذت تناديهن بأسمائهن الواحدة بعد الأخرى، لكنها لم تسمع جواباً. وأخيراً عندما وصلت إلى اسم صغراهن سمعت صوتاً رقيقاً يقول: «أمي الحبيبة، أنا مختبئة في صندوق الساعة». أخرجتها الأم من مخبئها فحكت لها الصغيرة أن الذئب قد أتى وافترس الأخريات كلهن. ويمكنكم تصور كيف بكت الأم على بناتها المسكينات. وفي خضَمِّ هذا الشقاء خرجت الأم إلى المرج الأخضر تتبعها صغيرتها، فوجدتا الذئب نائماً تحت الشجرة وهو يشخر بحيث ترتجف الأغصان فوقه. راقبته من جميع الجهات ولاحظت أن ثمة ما يتحرك ويتقلب في بطنه المنتفخ، فقالت لنفسها: «يا إلهي،

Twitter: @ketab_n

أيمكن أن تكون بناتـي اللواتي التهمهنّ لعشائه أحياء في بطنه؟» فأمرت صغيرتها بأن تُحضر من البيت مقصاً وإبرة وخيوطاً. ثم قصت كرش هذا الذئب، فأخرجت إحدى العنزات رأسها. وعندما تابعت القص تقافزت العنزات الست خارجة وكن جميعهـن أحياء ولم يُمسسن بأي سوء، فالذئب بسبب شدة نهمه ابتلعهنّ ابتلاعاً. وكانـت هذه فرحة كبيرة. تعانقـت الأم وبناتها وتبادلن القبل وأخذن يرقصن مثل خيـاط يحتفل بعرسه. ثم قالت لهـن الأم: «اذهبن وابحثن الآن عن أحجار سمينة لنمـلأ بهـا كرش هذا الحيوان الكافر ما دام غارقاً فـي نومه». وبكل سرعة جرّت العنـزات أحجـاراً كبيرة حشون بها ما استطعن بطن الذئـب. ثم خاطته الأم بكل سرعة على الأحجار من دون أن يلاحظ شيئاً أو يبدي أي حركة.

عندما شبع الذئب أخيراً من النوم، نهض على قدميه. ولأن الأحجار الكبيرة في بطنـه قد أثارت عطشاً كبيراً في جسمه، أراد الذهاب إلى أقرب بئر ليشرب. لكنه عندما بدأ يتحرك ويمشي تصادمت الحجارة في بطنه ببعضها وقعقعت، فهتف:

«مـا الذي يخض ويتدحرج في بطني هنا وهناك؟،ظننتها ست عنزات صغيرة، فإذا بها حجارة كبيرة!»

وعندما وصـل إلى البئر وانحنى ليشرب جذبته الأحجـار الثقيلة نحو الأسفل فغـرق حتى القاع ومات ميتـة تعيسة. وعندما رأت العنـزات السبع ذلك ركضن نحـو البئر وأخذن يصحن: «مات الذئب! مات الذئب!» ورقصن مع أمهن حول البئر فرحاً.

×××

Twitter: @ketab_n

(٦)

يوحنا المخلص

في قديم الزمان كان هناك ملك عجوز مريض عرف أن نهايته قد اقتربت، فأمر خادمه بأن يطلب من يوحنّا المخلص الحضور إليه. فقد كان يوحنّا المخلص وصيفه المقرب إلى قلبه، وقد حمل هذا اللقب لأنه كان مخلصاً لسيده طوال حياته. وعندما وقف يوحنا أمام السرير خاطبه الملك قائلاً: «أشعرُ يا أخلص من حولي إلي أن خاتمتي قريبة، ولم يبقَ لي في هذه الحياة سوى ابني، فهو ما زال فتياً يتلمّس طريقه غالباً، فإن لم تعدني بأن تعلمه كل ما يجب أن يعرفه، وترعاه وكأنه ابنك فإني لن أغمض عيني مطمئناً». فأجابه يوحنّاُ المخلص: « لن أتخلى عنه، وسأخدمه بإخلاص حتى ولو كلّفني ذلك حياتي». عندها قال الملك العجوز: «الآن سأموت براحة وسلام»، ثم تابع قائلاً: «وعليك بعد موتي أن تريه القصر كله، بجميع حجراته وقاعاته وأقبيته، وكل ما فيه من كنوز، إلا الحجرة الأخيرة في نهاية الممشى الطويل حيث حُفظ تمثال ابنة ملك قصر الذهب فيجب ألّا يدخلها، لأنه إن وقع نظره على التمثال فسيغمره حب عميق له ويسقط مغشياً عليه، وسيتعرّض بسببه إلى مخاطر كبيرة، عليك أن تحميه منها». وعندما وضع يوحنّا المخلص يده بيد الملك ثانية تصديقاً لوعده، أرخى الملك رأسه على الوسادة ومات.

بعد جنازة الملك ودفنِه حكى يوحنا المخلص للملك الشاب ما وعد به أباه على سرير الموت وقال: «سأحافظ على وعدي بكل تأكيد وسأكون مخلصاً لك مثلما كنت له، حتى ولو كلّفني ذلك حياتي».

Twitter: @ketab_n

بعـد انتهاء مدّة الحِداد قال لـه يوحنا المخلص: «حان الوقت الآن لِتطَّلعَ على ميراثك، وسأعرّفك على قصر أبيك». وقاده عبر القصر طولاً وعرضاً وجعله يرى جميـع الكنوز والحجـرات ذات الفخامة والأبهة، سوى حجـرة واحدة، حيث يوجـد التمثال الخطيـر، لم يفتح بابها. وقـد وُضِع التمثال فيهـا بحيث تقع عليه عيـن الإنسان حال فتحه بابها، وكان متقن الصناعة بشكل يوحي بأن الحياة تدبّ فيـه، وكان فريدَ زمانه بنعومته وجماله في العالـم كله. لكن الملك الشاب لاحظ أن يوحنـا المخلص كان يتجاوز هذا الباب كلّما مرّا به، فسأله: «لماذا لم تفتح لي هـذا الباب قط؟» فأجـاب: «يوجد وراءه ما يرعبك». فقـال الملك: «لقد رأيت القصـر كلـه، وأريد الآن أن أعرف مـاذا يوجد هنا». وحاول فتـح الباب بالقوة، فأبعـده يوحنا المخلص إلى الـوراء بهدوء وقال: «لقد وعدت والدك قبل وفاته ألا تـرى عيناك ما ينتصب داخل هـذه الحجرة لأنه قد يُنزل بك وبي مصيبة كبيرة».، «ولكـن لا» قـال الملك الشاب «بـل المصيبة ستنزل بي حتمـاً إن لم أدخل هذه الحجـرة، فلن أجد الراحـة نهاراً أو ليلاً حتى أرى مـا بداخلها. ولن أتزحزح من مكاني هنا حتى تفتح الباب».

أدرك يوحنـا المخلص أن الأمر قد خرج من بين يديه، فأخذ يتنهّد بقلب كسير وهـو يبحث عن المفتاح في حلقة المفاتيـح الثقيلة. وعندما فتح الباب دخل أولاً وفـي نيّته تغطية التمثال قبل أن يراه الملك الشاب، لكن الأمر لم يسعفه في شيء، إذ وقف الملك على رؤوس أصابعه وراءه ونظر من فوق كتفه، وما أن رأى تمثال الفتاة المتلألئ بالذهب والجواهر حتى سقط على الأرض مغشياً عليه. رفعه يوحنا المخلص وحمله إلى سريره وهو يفكر مهموماً: «لقـد وقعت المصيبة، يا إلهي، إلامَ ستـؤدّي يـا ترى!» ثم سقـاه عصير عنب حتى عاد إلى رشـده. فكان أول ما سألـه: «لمن هذا التمثال البديـع؟»، «إنه تمثال ابنة ملك القصـر الذهبي». أجابه يوحنا المخلص، فتابع الملك الشاب قائلاً: «إنّ حبّي لها عظيم، ولو كانت أوراق جميـع الأشجار ألسناً لما توقّفت عن ترديـد أني سأرهن حياتي من أجل الوصول إليها. أنت يوحنا وصيفي المخلص لي، عليك أن تعينني في هذا الأمر».

Twitter: @ketab_n

فكّر يوحنا المخلص طويلاً بطريقة لتدبير الأمر العسير، فحتّى مقابلة ابنة الملك وجهاً لوجه كانت أمراً صعب المنال. وأخيراً وجد الوسيلة لذلك، فقال للملك: «إنّ كلّ ما يحيط بها مصنوع من الذهب: الطاولات، الكراسي، الصحاف، الصحون، الأقداح وجميع أدوات الطعام. وفي كنزك هنا يوجد خمسة أطنان من الذهب، اطلبْ من صاغة الذهب في المملكة أن يصنعوا لك من طن واحد منها أدوات وأواني بديعة وطيوراً وحيوانات بريّة مختلفة رائعة، فسينال ذلك إعجابها. سنحمل كل هذا ونسافر إليها لنجرّب حظّنا».

استدعى الملك الشاب جميع صاغة الذهب وطلب منهم العمل ليلاً ونهاراً إلى أن أنهوا صياغة أروع التحف. حُمل ذلك كله في سفينة ضخمة، ركبها الملك ويوحنا المخلص متنكرين في ثياب تجّار للتمويه. مخرت السفينة عباب البحر طويلاً إلى أن وصلت إلى المدينة الساحلية التي تسكنها ابنة ملك قصر الذهب.

طلب يوحنا المخلص من الملك انتظاره على متن السفينة، عساه يعود بصحبة ابنة الملك، وعليه حتى ذلك الحين أنْ يرتِّب التُّحف الذهبية للعرض بصورة جذابة في السفينة التي يجب أن تُزيَّن كلها. ثم جمع يوحنا المخلص في جيوبه الواسعة عيّنات مختلفة من التحف.

غادر السفينة وتوجّه مباشرة إلى القصر الملكي. وعندما وصل إلى باحة القصر وجد هناك فتاة جميلة تقف إلى جانب البئر وتملأُ منه دلوين ذهبيين، ثم حملتهما واستدارت لتغادر، فرأت الرجل الغريب، فسألته عن مبتغاه. أجاب يوحنا المخلص: «أنا تاجر»، وعرض أمامها ما في جيوبه، فهتفت: «آه ما أجمل هذه الأشياء الذهبية!» وضعت الدلوين من يديها على الأرض وأخذت تتفحّص التحف واحدة تلو الأخرى، ثم قالت: «لا بدّ لابنة الملك أن تراها، فالأشياء الذهبية تملأُ قلبها بالفرح، وستشتري منك كل شيء». ثم أمسكت بيده وصعدت به إلى القصر، فقد كانت وصيفة ابنة الملك. عندما وقع نظر ابنة الملك على التّحف الذهبية غمرتها السعادة وقالت: «صناعة ماهرة وجميلة، سأشتريها كلها منك».

Twitter: @ketab_n

لكن يوحنا المخلص أجابها: «لست أنا سوى خادم التاجر الثري، وما أحمله هنا ليس إلّا النزر اليسير ممّا تحمله سفينة سيدي من التُّحف الفنِّية الثمينة والنّادرة وهي من أروع ما صنع من الذهب حتى اليوم». فأرادت أن يُحضر إليها كلّ شيء. لكنه قال: «هذا يحتاج إلى أيام كثيرة، فالكميّة هائلة، ولا يوجد في قصرك ما يكفي من القاعات لعرضها كلها». زاد ذلك من فضولها ورغبتها، فقالت أخيراً: «قدني إلى السفينة، سأذهب بنفسي لمعاينة كنوز سيّدك».

قادها يوحنا المخلص إلى السفينة تملؤه السعادة، وحالما رآها الملك أدرك أن جمالها أعظم مما جسّده التمثال واعتقد بأن قلبه سيقفز من بين جوانحه. صعدت ابنة الملك إلى السفينة وقادها الملك الشاب إلى الداخل، أمّا يوحنا المخلص فتأخر عنهما عند قائد الدّفة وأمر برفع المرساة والإنطلاق قائلاً: «انشروا جميع الأشرعة كي تحلق كطائر في الجو». وفي الداخل كان الملك يعرض عليها أدوات الطعام الذهبية قطعة قطعة، وكذلك الصحاف والصحون والأقداح والطيور والحيوانات البرية المذهلة. مضت عدة ساعات حتى رأت كل شيء، ولم تلاحظ في غمرة سعادتها أن السفينة تُبحر. وبعد أن تفحصت القطعة الأخيرة شكرت التاجر وأرادت العودة إلى قصرها، لكنها عندما اقتربت من سور السفينة أدركت أنها في عرض البحر والسفينة مقلعة بكامل أشرعتها، فصاحت برعب: «آخ، لقد خُدعت، لقد اختطفني التاجر عنوة، ليتني أموت بدل البقاء على هذه الحال!» فأمسك الملك بيدها وقال: «أنا لست تاجراً، أنا ملك وسليل ملوك، مثلك تماماً، وكوني لجأت إلى الخديعة لاختطافك فما ذلك إلا وليد حبِّي العظيم لك. فعندما رأيت تمثالك أول مرة، سقطت مغشياً علي. عندما سمعت ابنة ملك القصر الذهبي هذا الكلام اطمأن قلبها وأحست بميل نحو الملك ووافقت بكل سرور على أن تصبح زوجته.

ولكن بينما كانت السفينة تمخر عباب البحر ويوحنا المخلص جالساً في المقدمة يعزف على آلة موسيقية رأى ثلاثة غربان تحطّ على عمود أحد الأشرعة، فتوقّف عن العزف وأنصت لما يدور بينهم من حديث، إذ كان يفهم لسانهم جيداً.

Twitter: @ketab_n

قال أولهم: «ها هو يقود ابنة ملك قصر الذهب إلى بلاده». فعارضه الثاني: «لكنه لم يحصل عليها بعد». فأكد الثالث: «بل هي معه هنا في السفينة». فهتف الأول: «ولكن ما فائدته من ذلك؟ فما أن تطأ قدماه اليابسة سيسرع نحوه حصان بحمرة فروة الثعلب، وسيرغب الملك بامتطائه، فإن فعل ذلك سيقفز الحصان به في الهواء ويختفي عن الأنظار، ولن يرى الملك عذراءه ثانية أبداً». فسأل الثاني: «ألا سبيل لإنقاذه؟» فأجاب الثالث: «طبعاً، إذا امتطى الحصانَ شخصٌ آخر بسرعة وسَحب الغدّارة من الجراب الجانبي وأطلق النار على الحصان فقتله. في هذه الحالة سيُنقذ الملك. ولكن مَن يعرف هذا الأمر؟ وإن عرفه أحد وأخبره به فسيتحول إلى حجر من أصابع قدميه حتى ركبتيه». فقال الأول: «عندي أخبار أكثر من ذلك. حتى إذا قُتل الحصان، لن يحصل الملك على عروسه، إذْ عندما يدخلان القصر معاً سيجد على صحفة هناك قميص عرس يبدو منسوجاً من خيوط ذهبية وفضية، لكنه ليس إلا كبريتاً وقاراً، فإن ارتداه فسيحرق لحمه وعظمه». فسأل الثالث: «وهل من وسيلة لإنقاذه؟» فأجاب الثاني: «طبعاً، إن أمسك بالقميص شخص آخر يرتدي قفازين بيديه ورماه في النار ليحترق. في هذه الحالة سيُنقذ الملك. ولكن ما الجدوى من كلامي؟ فمن يعرف الأمر ويخبر به الملك فسيتحول إلى حجر من ركبتيه حتى قلبه». فكرر الأول: «ما زال عندي أخبار أكثر من ذلك. حتى إذا احترق قميص العرس، لن يحصل الملك على عروسه، فعندما يبدأ الرقص بعد عقد القران وتشارك الملكة الشابة فيه ستشحب فجْأة وتسقط أرضاً كأنها ميّتة، فإن لم يحملها أحدهم ويمتصّ من ثديها الأيمن ثلاث قطرات دم ويبصقها، فستموت. وإن عرف أحدهم بالأمر وأخبر الملك فسيتحول كله إلى حجر من مفرق رأسه حتى أخمص قدمه». وبعد أن أنهت الغربان حديثها حلقت مغادرة، ومنذ أن فهم يوحنا المخلص مغزى حديث الغربان بات رجلاً صموتاً وحزيناً، فإن كتم الأمر عن سيده فسيصبح هذا رجلاً تعيساً، وإن كشف له الأمر، فعليه أن يضحّي بنفسه لقاء ذلك. لكنه قرر بينه وبين نفسه أخيراً: «سأنقذ سيدي، ولو كان في ذلك فنائي».

عندمـا نزلوا إلى اليابسة وقع مـا تنبّأ به الغراب الأول، إذ اندفع نحوهم حصان رائـع أحمر كفروة الثعلب، فصاح الملك: «ما أروعه، سأركبه إلى قصري» وكاد يمتطيـه، لكن يوحنّا المخلص سبقه إلـى ذلك، امتطاه بسرعة، سحب الغّدارة من جراب الحصان وأطلق عليه النار فقتله. عندها صاح بقية خدم الملك الذين كانوا يمقتـون يوحنا المخلص: «يا لشناعة أن يقتُلَ الحيوانَ الجميل الذي كان سيوصل الملك إلى قصره!» فهتف الملك بهـم: «اصمتوا ودعوه، إنه وصيفي المخلص. من يدري أي خير يكمن وراء ذلك!».

ثم تابعوا طريقهم ودخلوا القصر ليجدوا في الصالة صحفة فاخرة رُتِّب عليها قميص عرس بدا كأنـه منسوج من خيوط ذهبية وفضية. اتجه الملك الشاب نحو الصحفـة راغبـاً في رفع القميص، لكـن يوحنا المخلص أزاحه عنهـا جانباً، لبس قفازيـن بسرعة، رفع القميص ورماه في النار مباشرة ليحترق فيها. بدأ بقية الخدم يهمهمـون ويتذمرون قائلين: «انظروا إليه، ها هو يحـرق قميص عرس الملك!» بيد أن الملك أسكتهم بقوله: «من يدري أيُّ خير يكمن وراء ذلك، دعوا وصيفي المخلص يذهب».

وعندما أقيمت حفلة العرس وبدأ الرقص الجماعي شاركت العروس فيه. وكان يوحنـا المخلص يقظاً طوال الوقت يراقـب وجهها، وفجأة اعتراها شحوب قوي وهـوت على الأرض كالميتة، فهرع إليها، رفعهـا وحملها إلى إحدى الحجرات حيـث مددها وركـع فوقها وامتصـ قطرات الدم الثـلاث وبصقهـا وسرعان ما استعـادت وعيها وحيويتها، لكن الملك رأى كل مـا جرى بعينيه ولم يعرف سبباً لما أقدم عليه يوحنا، فغضب غضباً شديداً وصاح: «ارموه في السجن!».

في صبـاح اليوم التالي حُكم على يوحنا بالموت واقتيـد إلى المشنقة للتنفيذ، وعندما وقف على الكرسي وطوّق حبل المشنقة رقبته قال: «يحقُّ لكل من يُحكم عليـه بالمـوت أن يتكلم قبل أن يمـوت. أيشملني هذا الحـق؟» فأجاب الملك: «نعم، لك هذا الحق». فقال يوحنا المخلص: «لقد أُدِنت وأنا بريء ومخلص لك

Twitter: @ketab_n

طـوال الوقت»، وحكى ما سمعه في البحر من الغربـان الثلاثة، وأنه كان مضطراً للإقـدام علـى ما فعله، لكي ينقذ سيده. فصاح الملـك: «لك العفو! لك العفو! يا يوحنـا المخلص. لكن يوحنا كان مع كلمتـه الأخيرة قد بدأ يتحول إلى حجر من قدميه حتى مفرق رأسه، مما سبب حزناً عميقاً للملكة والملك الذي قال: «أيكون هـذا السوء جزاء الإخلاص العظيم! مـاذا فعلت بك؟» وأمر بنقل يوحنا المتحجر كتمثال إلى غرفة نومه ووضعه إلى جانب سريره. فكان كلما رآه يبكي ويقول: «آه لو أستعيدك حيّاً يا يوحنا المخلص».

انقضت مدة من الزمن وضعت الملكة بعدها توأماً، صبيين كانا منبع سعادتها. وذات يـوم بينمـا كانت الملكـة في الكنيسـة والصبيان في القصـر عند والدهما يلعبـان بقربـه، نظر الملك إلى يوحنـا المتحجر مجدداً وقال بـكل حزن: «آه لو أستعيـدك حياً يا يوحنـا المخلص». وتبع ذلك بتنهيدة طويلـة، فبدأ الحجر ينطق وقال: «تستطيع أن تسعيدني حياً إن كنت مستعداً من أجل ذلك بالتضحية بأعزِّ ما عندك». فصاح الملك: «من أجلك سأضحي بكل ما أملك في هذه الدنيا». فتابع الحجر كلامه: «إذا قطعتَ بيدك رأسيْ طفليك ومسحتني بدمهما، عندها ستدبّ فـيّ الحياة مجدداً». فزع الملك عندما سمع أن عليه قتل طفليه بنفسه، لكنه تذكر الإخلاص العظيم وأن يوحنـا المخلص قد مات من أجلـه، فسحب سيفه وقطع بيده رأسي طفليه. وعندما مسح بدمهما الحجر عادت الحياة إلى التمثال وتحرّك يوحنـا المخلص أمامه بكامل صحتـه وعافيته، وتوجّه إلى الملك قائلاً: «لن يبقى إخلاصـك مـن دون جزاء»، ورفع رأسـي الطفلين ووضعهما فـي مكانيهما على الجسدين ومسح الجروح بدمهما، فشفيت للتو وأخذ الطفلان يتقافزان ويتابعان لعبهما وكأن شيئاً لم يحدث قط.

غمـرت الملكَ سعادة جارفة، وعندمـا رأى الملكة قادمة خبّأ يوحنا المخلصَ والطفلين في خزانة كبيرة. ولمّا دخلت خاطبها قائلاً: «هل صليت في الكنيسة؟»، «نعـم»، أجابت الملكة وتابعـت: «وكنت أفكر طوال الوقـت بيوحنا المخلص وبتعاستـه بسببنا»، فقال لها: «نستطيع يا زوجتي الحبيبة أن نعيد إليه الحياة، لكن

Twitter: @ketab_n

ذلــك سيكلفنا التضحيــة بابنينا الصغيريــن». شحبت الملكــة وأصابها الفزع في صميم قلبها، لكنهــا قالت: «إننا مدينون له بسبب إخلاصه العظيم». فرح الملك بجوابها وبأنها تماثله في التفكير، وذهب ففتح باب الخزانة ليخرج منها الصبيان ويوحنــا المخلص، وقال: «الحمد لله على خلاص يوحنا وعلى عودة ابنينا إلينا»، وروى لها كل ما جرى معه. وتابعوا الحياة معاً بسعادة حتى آخر أيامهم.

×××

Twitter: @ketab_n

(٧)

الصفقة الجيدة

ذات يـوم سـاق فلاح بقرته أمامه إلـى السوق وباعها هنـاك بسبعة دنانير. في طريق عودته إلى داره كان لا بد له من المرور إلى جانب بركة كبيرة، وقبل وصوله إليهـا كان يسمع عن بعد نقيق الضفـادع «آك، آك، آك، آك»، فقال الفلاح لنفسه: «يهتفون بما لا يعرفون، فما حصلتُ عليه كان سبعة دنانير وليس ثمانية». وعندما وصـل إلـى البركة صاح في الضفـادع: «لستم سوى حيوانـات غبية! لا تعرفون الصـواب من الخطأ! حصلت ثمنـاً للبقرة على سبعة دنانيـر وليس ثمانية». لكن الضفـادع لـم يغيّـروا أغنيتهـم: «آك، آك، آك، آك»، فقال: «حسنـاً، إذا كنتم لا تصدقـون مـا أقول، يمكنني أن أعدّهـا أمامكم»، وأخرج الدنانيـر من جيبه وبدأ يعدّها بالتتالي، كل مئة قرش على حدة، بيد أن الضفادع لم يبالوا بحساباته وتابعوا ترديدهـم: «آك، آك، آك، آك»، فصاح الفلاح غاضباً: «أتجيدون الحساب أفضل منـي؟ إذًا عدّوها بأنفسكم!» ورمى النقود كلها في البركة، ووقف ينتظر انتهاءهم مـن عدِّها وإعادتها إليه. أما الضفادع فقد أصـروا على رأيهم واستمروا يرددون: «آك، آك، آك، آك» ولـم يعيدوا إليه النقود. بقي الفلاح ينتظر وينتظر إلى أن غابت الشمس وصار لا بُدّ من عودته إلى داره قبل هبوط الظلام، فشتم الضفادع وصاح بهم: «يا لكم من حيوانات مستنقعية حمقاء، بأعينكم الجاحظة وأفواهكم الكبيرة النقّاقـة، التـي تصـمّ آذان الإنسان، حتى سبعـة دنانير لا تستطيعـون أن تعدّوا، آ! أتحسبون أني سأبقى واقفاً هنا حتى تنتهوا من العدّ؟» ودار على عقبيه وغادر، في حيـن تابع الضفادع نقيقهـم وراءه: «آك، آك، آك، آك» إلى أن وصل داره وهو في ذروة الضيق والإنزعاج.

Twitter: @ketab_n

بعد مدة من الزمن اختار بقرة أخرى ليتاجر بها، فذبحها وسلخ جلدها وحسبَ الرّبحَ المحتمل إذا باع اللحم بسعر جيد يساوي ثمن البقرتين معاً، إضافة إلى بقاء الجلد في حوزته. عند وصوله إلى بوابة المدينة ولحم البقرة على العربة، أحاط به قطيع كامل من الكلاب يقوده كلبٌ سلوقيٌّ ضخم، أخذ يقفز نحو العربة ويشتمُّ اللحم وينبح: «عو، عو، عو، عو». وعندما لم يتوقف عن النباح، قال له الفلاح: «لاحظت أنك تقول (عو، عو) لأنك تريد الحصول على بعض اللحم، لكنني سأكون غبياً جداً إنْ أعطيتك شيئاً منه»، فأجاب الكلب: «عو، عو»، فتابع الفلاح: «ألن تلتهمه وحدك، وتتباهى أمام زملائك هؤلاء؟»

كرر الكلب جوابه: «عو، عو»، وعندها خاطبه الفلاح قائلاً: «حسناً، إذا كنت مصرّاً سأعطيك اللحم كله. أنا أعرفك جيداً وأعرف سيدك أيضاً، لكني أقول لك، يجب أن أحصل على نقودي بعد ثلاثة أيام، وإلا فالويل لك. عليك أن تسلمني النقود في داري، هل فهمت!؟ ثم أفرغ حمولة العربة من اللحم وعاد أدراجه، فيما هجم الكلاب على اللحم وهم ينبحون: «عو، عو»، فالتفت الفلاح نحوهم وهو يقول لنفسه: ها هم يطالبون جميعهم بحصصهم من اللحم، لكن كبيرهم هو ضمانتي».

بعد انقضاء الأيام الثلاثة خاطب الفلاح نفسه: «مساء اليوم ستكون نقودك في جيبك» وكان في منتهى السرور. ولكن عندما لم يأتِ أحد ليسلّمه نقوده قال: «ما عاد يمكن للإنسان أن يثق بأحد في هذه الأيام». وأخيراً نفد صبره فتوجه إلى المدينة وذهب إلى اللحام وطالبه بنقوده. ظنّ اللحام أن الأمر لا أكثر من مزاح. غير أن الفلاح أصر على موقفه قائلاً: «لندع المزاح جانباً، أنا أريد نقودي. ألم يحضر لك الكلب السلوقي الكبير البقرة المذبوحة بكاملها قبل ثلاثة أيام؟» عندها ثارت ثائرة اللحام فتناول المكنسة ذات العصا الطويلة وطرد الفلاح من دكّانه. فقال الفلاح: «حسناً، انتظر! ما زال هناك عدالة في هذه الدنيا!».

وتوجه من فوره إلى القصر الملكي والتمس سماع شكواه. قاده الحرس

Twitter: @ketab_n

إلـى قاعة العرش حيث جلس الملك مع ابنته، فسأله الملـك عن المصاب الذي نـزل به، فأجاب: «أخ، لقد نهبت الضفادع والـكلاب نقودي، واللحام سدد لي حقي بعصا المكنسة»، وحكى كل ما جرى له بتفصيل وإسهاب، فما كان من ابنة الملك إلّا أن أخذت تضحك عالياً. فقال له الملك: «أنا لا أستطيع أن أُنصفك في هذه القضية، ولكن كتعويض، خذ ابنتي زوجة لك، لأنها لم تضحك طوال حياتها مثلما ضحكت منك. وكنتُ قد أعطيت كلمتي بتزويجها لمن يضحكها. يمكنك أن تشكـر الله على حسن حظك!» «أخ،» قال الفـلاح: «ولكنني لا أريدها أبداً، إذ عنـدي زوجة في داري، وهي تكفيني وتزيـد، فعندما أدخل الدار أشعر وكأنها واقفة لي بالمرصاد في كل زاوية». غضب الملك منه غضباً شديداً وقال له: «أنت رجـل فظ». فأجابه الفلاح: » وهل تتوقع من ثور يا جلالة الملك شيئاً مختلفاً غير لحـم البقر!» فقال الملـك : «انتظر إذاً، سأجعل أجـرك مختلفاً. أخرج الآن من هنا، ولكن عدْ إليّ بعد ثلاثة أيام لنَعُّد لك خمسمئة غير منقوصة».

عندما وصل الفلاح إلى بوابة القصر خاطبه الحارس قائلاً: «لقد أضحكتَ ابنة الملك يا رجل، ولا شك في أنك قد حصلت على مكافأة كبيرة». فأجابه الفلاح: «نعم، أعتقد ذلك. سيدفعون لي خمسمئة». فقال له الحارس: «ماذا ستفعل بكل هـذه النقود، أعطني شيئاً منهـا!» فرد الفلاح: «لك بالـذات، سأتنازل عن مئتين منهـا. التمسْ مقابلـة الملك بعد ثلاثة أيـام واطلبْ أن يعدّوها لـك». كان يقف قربهمـا خارج القصر يهودي سمع ما دار بينهمـا، فتبعَ الفلاح وأمسكه من ردائه وقـال: «إنها لمعجـزة إلهية، يا لك من رجل محظوظ! أنـا سأصرف لك النقود. ماذا ستفعل بالدنانيـر القاسية؟ سأعطيك (فراطة) بدلاً عنها». «حسناً يا موسى»، أجاب الفلاح وتابع: «ادفع لي الآن ما يعادل ثلاثمئة، تقبضها صحيحة من الملك بعـد ثلاثة أيام». فرح اليهودي بهـذه المقايضة المربحة وأحضر له المبلغ بقروش عتيقة، كل ثلاثة منها يساوي قرشين.

بعـد مضي الأيام الثلاثة وامتثالاً للأمر الملكي ذهب الفلاح إلى القصر، حيث قـال الملك لحراسه: «اخلعوا عنه رداءه ليتلقى الخمسمئة!» فهتف الفلاح: «إنها

Twitter: @ketab_n

لـم تعد لي يا سيدي، فقد أهديتُ مئتين منها لحارس بوابتك، والثلاثمئة المتبقية صرفهـا لي اليهـودي، لذلك لم يعد لي أي حـقٍّ فيها قانونيـاً». وأثناء ذلك دخل اليهـودي والحارس وطالبـا بما لهما من مكافأة الفـلاح، فحصل كل منهما على جلداته بالسوط من دون نقصان. وقد تحمّل الحارس حصته بصبر، إذ كان يعرف طعم السوط، فـي حين أخذ اليهودي يصرخ ويشكو متسائلاً: «أهذه هي الدنانير القاسيـة؟» وكان لا بـد للملك مـن أن يضحك على الملابسـة الطريفة، مما أزال غضبه من الفلاح، فقال له: «بما أنك قد خسرت مكافأتك قبل أن تحصل عليها، فسأعوّضـك عنها: اذهب إلى خزينتي وخذْ منها ما شئت من المال!» ما إن سمع الفلاح ذلك حتى هرع إلى الخزينة وملأ جيوبه على سعتها، ثم ذهب إلى المطعم، جلس وعدَّ النقود.

كان اليهـودي قد تسلل خلفـه وسمعه وهو يقول لنفسه: «لقد خدعني الملك الماكـر! أمـا كان بوسعه إعطائي النقود بنفسه، لأطمئـن إلى ما معي! كيف لي أن أعرف الآن، إذا كان ما وضعته في جيوبي من دون تدقيق ليس مزيفاً؟» «أعوذ بالله» قال اليهودي لنفسه «إنه يسـيء إلى سمعة ملكنا. سأذهب لأخبر عنه، فأحصل أنا على مكافأة وهو على عقاب». لما سمع الملك من اليهودي ما قاله الفلاح تملكه الغضـب وأمر اليهودي بأن يُحضر المذنب إليه. ركض اليهودي إلى الفلاح وقال لـه: «عليك أن تَمثُل أمـام الملك فوراً، مثلما أنت». فأجـاب الفلاح: «أنا أدرى بما يليق، سأجعل الخياط يُفصّل لي ثوباً جديداً. أتظن أنه يليق برجل جيوبه ملأى بالنقـود، أن يقابل الملك بثيابه العتيقة المهلهلة؟» عندما أدرك اليهودي أن الفلاح لن يتحرك من دون ثوب آخر، وأن الملك حالما يتبخر غضبه، سيغض الطرف عن مكافأتـه وعن عقوبة الفلاح، قال له: «لمـدة الزيارة القصيرة عند الملك سأعيرك ثوبـاً جميلاً عربون صداقتنا الصافية، هذا هو ما يدفعني حبي لك إلى عمله!» قبل الفلاح بهذا الحل ولبس ثوب اليهودي وذهب معه إلى القصر، حيث واجه الملك الفلاح بأقواله المسيئة التي نقلها اليهودي إليه. فقال الفلاح: «اليهودي، يا سيدي، يكـذب دائماً وأبداً، ولا تخرج من فمه كلمـة واحدة صادقة. وهذا الشخص هنا

Twitter: @ketab_n

مستعـد لأن يزعـم أني أرتدي ثيابـه». فصاح اليهودي: «ما هـذا الكلام الفارغ! أليس هذا ثوبي؟ ألم أعرك إياه عربوناً لصداقتنا الصافية، كي تتمكن من المثول بين يدبي الملك؟» ولما سمع الملك هذا الكلام، قال: «لقد خدع اليهودي واحداً منا لا شك، إما أنا وإما الفلاح، وأمر بأن يُنقد اليهودي عدداً آخر من الدنانير القاسية.

أمـا الفلاح فقد مشى إلى داره بثيابـه الجديدة، ونقوده الجيدة ملء جيوبه، وقال: هذه المرة أصبت الهدف».

×××

(٨)

العازف العجيب

كان هنــاك ذات يــوم عازفٌ عجيــبٌ، يمشي عبــر الغابة وحده مــن دون أي صحبة، وهو يقلِّب الأفكار في رأسه، وعندما انتهت كل الأفكار قال لنفسه: «إني أشعــر بالملــل في هذه الغابة، سأجلــب صحبة طيبة». وتنــاول الكمان عن ظهره وأخذ يعزف وأصداء أنغامه تتردّد بين الأشجار.

بعــد فترة قصيرة خرج من الدغل ذئب يخب خبّاً، فقال العازف لنفسه: «آخ، جاءنــي ذئب! مــا هذا ما رغبتُ فيه»، في حين اقترب منــه الذئب وقال: «آه، أيها العــازف العزيز، يا لجمال عزفك! كــم أرغب في تعلم ذلــك». فأجابه العازف: «تستطيــع تعلمــه بسرعــة، ولكن فقــط إذا نفّذت كل مــا أقوله». فقــال الذئب: «سأطيعــك أيها العازف مثلمــا يطيع التلميــذ معلمه». أمره العازف بــأن يرافقه، وبعــد أن قطعا جــزءاً من الدرب وصلا إلى شجرة بلــوط هرمة، جذعها فارغ من داخلــه ومفلوق في منتصفه. فقال العازف للذئب: «اسمع، إذا أردت تعلم العزف فضــع يديك في هذا الشق». أطاعه الذئب، لكن العازف وبلمح البصر رفع حجراً وثبّتــه بحركة واحدة فوق اليدين، فبات الذئب كالأسير المقيد. وقال له العازف: «انتظرني هنا ريثما أعود»، وتابع طريقه.

بعــد فترة قصيــرة قال لنفسه ثانية: «إنــي أشعر بالملل هنا فــي الغابة، سأجلب صحبة أخرى» وتناول كمانــه ثانية وأخذ يعزف في أجواء الغابة. بعد فترة قصيرة خــرج له ثعلب متسللاً عبــر الأشجار، فقال لنفسه: «آخ، جاءني ثعلب! ما هذا ما رغبــت فيه»، لكن الثعلب اقتــرب منه وقال: «آه، أيها العــازف العزيز، يا لجمال

Twitter: @ketab_n

عزفك! كم أرغب في تعلّم ذلك». فأجابه العازف: «يمكنك تعلمه بسرعة، ولكن فقط إذا نفذت كل ما أقوله». فقال الثعلب: «سأطيعك أيها العازف مثلما يطيع التلميذ معلمه». «اتبعني إذاً!» قال العازف. وبعد أن قطعا جزءاً من الدرب وصلا إلى طريق تحفُّه من الجانبين أشجار عالية، فتوقّف العازف وثنى حتى الأرض غصن شجرة بندقٍ وثبته بقدمه، ثم ثنى غصناً آخر من الجانب الآخر وقال: «حسناً أيها الثعلب، إذا أردت أن تتعلّم العزف فناولني يدك اليسرى». أطاعه الثعلب، فربطها العازف إلى غصن الجذع الأيسر ثم قال: «ناولني أيها الثعلب يُمناك الآن»، وربطها إلى الغصن الأيمن، وبعد أن تأكد من أن عقدتي الربطتين متينتين، أفلت الغصنين فارتفعا إلى الأعلى ساحبين الثعلب معهما، فبات يتأرجح في الهواء، فقال له العازف: «انتظرني هنا حتى أعود»، وتابع طريقه.

بعد فترة قصيرة قال العازف لنفسه لثالث مرّة: «إنّي أشعر بالملل هنا في الغابة، سأجلب صحبة أخرى» وأخذ يعزف مجدداً في أجواء الغابة. بعد فترة قصيرة ظهر له أرنب يتقافز، فقال لنفسه: «آخ، لقد جاءني أرنب لم أكن راغباً فيه» لكن الأرنب خاطبه بقوله: «آه، أيها العازف العزيز، يا لجمال عزفك! كم أرغب في تعلّم ذلك». فأجابه العازف: «يمكنك تعلُّمه بسرعة، ولكن فقط إذا نفذت كل ما أقوله». فقال الأرنب: «سأطيعك أيها العازف مثلما يطيع التلميذ معلمه». ترافقا جزءاً من الدرب إلى أن بلغا فسحة مشمسة في أرض الغابة، توجد فيها شجرة حورٍ رجراجةٍ. ربط العازف خيطاً طويلاً حول عنق الأرنب وعقد طرفه الآخر إلى الشجرة، وقال: «تنشط أيها الأرنب، هيّا اركض عشرين مرة حول الشجرة». أطاعه الأرنب وركض، فالتف الخيط عشرين مرة حول الشجرة، فبات الأرنب كالمقيد، ومهما جذب وشد ما كان له أن يحقق سوى تضيق الخيط على رقبته الطرية. فقال له العازف: «انتظرني هنا ريثما أعود»، وتابع طريقه.

في أثناء ذلك كان الذئب قد أخذ يدفع ويشدُّ ويعض الحجر، وبذل جهداً طويلاً إلى أن تمكن من تحرير يديه من الشق، وأسرع متتبعاً أثر العازف، ممتلئاً حنقاً وغضباً، وهو ينوي أن يمزّقه. وعندما رآه الثعلبُ يعبر الطريق أخذ يقول

Twitter: @ketab_n

ويصيح بكل طاقته: «يا أخي الذئب ساعدني، لقد خدعني العازف». شدّ الذئب الغصنين وعضّ الرباط حتى حرر الثعلب الذي رافقه كي ينتقما من العازف. وعلى طريقهما وجدا الأرنب المقيّد فحرراه وتابعوا البحث معاً عن عدوِّهم.

على الطريق عبر الغابة عزف العازف مرة رابعة، فكان في هذه المرة أسعد حظّاً، إذ وصلت موسيقاه إلى أذني حطّاب فقير، تأثر بها فترك عمله من فوره وحمل الفأس واقترب من مصدر الموسيقا. «وأخيراً جاءت الصحبة الطيبة»، قال العازف وأردف: «فأنا أبغي إنساناً وليس حيواناً بريّاً». وبدأ يعزف أجمل ألحانه وأكثرها رقّة، فأُخِذ الرجل المسكين كالمسحور وشعر بأن قلبه قد أشرق. وخلال إنصاته وصل الذئب والثعلب والأرنب، وأدرك الحطاب أنهم ينوون شراً، فرفع فأسه البراق ووقف أمام العازف كمن يود أن يقول: «من يريد مهاجمته، فليحترس، لأن معركته ستكون معي أنا». فخافت الحيوانات ورجعت أدراجها إلى الغابة، أما العازف فقد عزف مقطوعة أخرى تعبيراً عن شكره للحطّاب، ثم تابع طريقه.

×××

Twitter: @ketab_n

(٩)

الإخوة الإثنا عشر

كان هنـاك في قديم الزمان ملك وملكة يعيشـان معاً حياة هانئة، وكان لديهما إثنا عشر ولداً، كلهم ذكور. وذات يوم قال الملك لزوجته: «إذا كان الطفل الثالث عشـر الذي ستنجبينه بنتاً، فعلـى الصبيان الإثني عشر أن يموتـوا، كي تكبر ثروة البنت وتكون المملكة من نصيبها وحدها». وأمر الملك بصناعة إثنى عشر تابوتاً وبمـلء أسفلها بنشارة الخشب، ووضع وسادة صغيرة في كل تابوت لحمل رأس الصبي الميت، وأمر بوضعها كلها في غرفةٍ مقفلةٍ وسلَّم مفتاحها للملكة وأوصاها بألاّ تخبر أحداً بتاتاً عن هذا الأمر.

أما الملكة الحامل فباتت تُمضي أيامها حزينة. لاحظ ذلك أصغر أبنائها بنيامين الـذي اختارت اسمه من الإنجيل والذي لـم يكن يفارقها أبداً، فسألها: «ما سبب حزنـك الشديد يا أمي الحبيبـة؟» فأجابته: «لا يجوز لي إخبارك يـا أعزّ أبنائي». لكنـه أخذ يُصرّ ويُلحُّ حتى ذهبـت وفتحت قفل الغرفة وأرته التوابيت الإثني عشر المفروشـة بنشارة الخشب، ثم قالت: «حبيبي بنيامين، لقد أمر والدك بصنع هذه التوابيـت لك ولأخوتك. ففي حال أنجبتُ بنتاً فسيأمـر بقتلكم ودفنكم في هذه التوابيـت». ولما انهمـرت دموعها أثناء حديثها واساهـا بنيامين قائلاً: «لا تبكي يـا أمـي الحبيبة، سننقـذ أنفسنا بأن نهـرب». فقالت له: «اخـرج أنت وأخوتك الأحد عشـر إلى الغابة، وليجلس أحدكم دائماً علـى أعلى شجرة تجدونها هناك ليحرس الطريـق وليراقب برج القصر. فـإن ولدتُ صبيّاً فسأعلـق في البرج راية بيضـاء، وعندها يجـوز لكم أن تعودوا، أمـا إذا ولدت بنتاً فسأعلّـق راية حمراء،

Twitter: @ketab_n

وعندها عليكم الهروب بأسرع ما يمكنكم، وليشملكم الله بحمايته. سأنهض من سريري كل ليلة وأصلّي متضرعة من أجلكم، في الشتاء لتجدوا ناراً تدفئكم، وفي الصيف كيلا ترهقكم الشمس». وبعد أن باركت جميع أبنائها خرجوا إلى الغابة، وأخذوا يتناوبون الحراسة الواحد تلو الآخر، جلوساً على قمّة أطول شجرة سنديان وعيونهم على البرج. عندما جاء دور بنيامين بعد إحدى عشر يوماً، رأى الراية معلقة على البرج، لكنها لم تكن بيضاء، بل حمراء كالدم، معلنةً أن عليهم جميعاً أن يموتوا. عندما سمعوا منه ذلك ثار غضبهم وقالوا: «أعلينا معاناة الموت بسبب بنت! نُقسم على الانتقام لأنفسنا من هذا الظلم بأن نُريق دم كل فتاة نجدها».

دخل الصبية بعد ذلك إلى عمق الغابة حيث تزداد العتمة من كثافة الشجر، فوجدوا هناك بيتاً صغيراً مهجوراً وفارغاً، فقالوا: «سنقيم هنا، وأنت يا بنيامين، بما أنك أصغرنا وأضعفنا، عليك البقاء في البيت لتدبير شؤونه، في حين نخرج نحن للصيد ولجمع ما يُؤكل». وتوزعوا في الغابة واصطادوا أرانب وأيائل وطيوراً وذكور الحمام وغيرها من الطرائد وأحضروها كلها إلى بنيامين، لكي يحضّر لهم منها وجبة طعام تُسكت جوعهم، وأمضى الصبية في الغابة عشر سنوات صاروا في أثنائها فتياناً وشباباً ولم يشعروا بالملل.

أما البنت الصغيرة التي ولدتها أمهم الملكة فقد كبرت أيضاً وكانت طيبة القلب، جميلة الوجه ولها على جبهتها نجمة ذهبية. وذات يوم أثناء حملة غسيلٍ واسعةٍ في القصر لاحظت الفتاة وجود إثني عشر قميصاً ذكورياً، فسألت أمها: «لمن هذه القمصان الإثني عشر يا أمي؟ إنها لا تناسب أبي لأنها صغيرة جداً بالنسبة إلى جسمه». فأجابت الأم بقلب جريح: «إنّها لأخوتك الإثني عشر يا عزيزتي»، «وأين هم أخوتي الإثني عشر، فأنا لم أسمع عنهم شيئاً قط؟» فأجابت الأم: «لا يعلم ذلك إلا الله وحده، إنهم تائهون على وجوههم في هذه الدنيا»، وقادت الفتاة إلى الغرفة المغلقة وأرتها التوابيت الإثني عشر المفروشة بنشارة الخشب ووسائد الموتى، ثم قالت لها: «كانت هذه التوابيت محضَّرة لأخوتك،

لكنهم تسللوا خفية قبل أن تولدي أنت»، وحكت لها القصة كلها. وعندها قالت الفتاة: «لا تبكي يا أمي الحبيبة، أنا سأخرج للبحث عن أخوتي».

أخـذت الفتاة القمصـان الإثني عشر وغـادرت القصر باتجـاه الغابة الكبيرة مباشـرة. انقضـى النهار وهي تتوغّـل في الغابة إلـى أن وصلت مسـاء إلى البيت الصغيـر المهجور، دخلته لتجد أمامها فتىً يافعاً سألها: «من أين أنت قادمة، وإلى أين وجهتك؟» وقد أدهشه جمالها وثيابها الملكية والنجمة الذهبية على جبهتها. فأجابتـه: «أنا ابنة ملك، أبحثُ عن أخوتي الإثني عشر، وأنا مستعدة للذهاب إلى آخر الدنيا حتى أجدهم». وأرته القمصان الإثني عشر أيضاً، فعرف بنيامين عندها أنهـا أخته، فقال لها: «أنا بنيامين أخوك الأصغر»، فأخذت تبكي من الفرح، وهو كذلـك، وتبـادلا القبل والعناق من شـدة الحب، ثم أضاف: «ثمـة تحفُّظ واحد علـى الأمر يا أختي الحبيبة، إذ كنا قـد اتفقنا أنا وأخوتي على قتل كل فتاة نلتقيها، لأننـا بسبب فتاة قـد اضطررنا إلى مغادرة مملكتنا»، فقالـت: «لا مانع عندي أن أمـوت إنْ كان فـي ذلك خلاص أخوتـي الإثني عشر». فأجابهـا: «لا، لا يجوز أن تموتـي. اختبئي تحت هـذا البرميل إلى أن يأتي أخوتـي الأحد عشر، وعندها سأتوصـل معهم إلى اتّفاق جديد». ففعلت ذلـك، ومع هبوط الليل عاد الآخرون من الصيد، وكانت الوجبة جاهزة.

ولمـا جلسوا إلى المائدة وبدأوا بالأكل سألـوه: «ما الجديد؟» فقال بنيامين: «ألا تعرفون؟» «لا»، أجابوه، فأضاف: «أنتم تجوبون الغابة، فيما أبقى في البيت، وأعـرف رغـم ذلك أكثر منكـم». فصاحوا معـاً: «إحكِ لنـا إذاً!» فتابع: «وهل تعدوننـي بعدم قتل أول فتـاة نلتقيها؟» فصاحوا جميعهم: «نعـم، نعدك، سنعفوا عنهـا، ولكن هيّا، إحكِ لنا!» فقـال: «أختنا هنا»، ورفع عنهـا البرميل، فنهضت ابنة الملـك بثيابها الملكية والنجمة الذهبية على جبهتهـا، وكانت جميلة ورقيقة ولطيفة، ففرحوا بها جميعهم وعانقوها وقبّلوها وأحبّوها.

بقيـت الأخت مع بنيامين فـي البيت تساعده في عمله، فـي حين كان الأخوة

Twitter: @ketab_n

الأحد عشر يخرجـون إلى الغابة لصيد الحيوانات البرية والأيائل والطيور وذكور الحمـام، كي يوفِّروا طعامهم الذي يحضِّره لهم بنيامين وأخته التي صارت تبحث عـن الحطب للموقد وعن الخضار والأعشاب للطبخ ليكون كل شيء جاهزاً عند عودتهـم مساء من الصيـد. إضافة إلى ذلـك أخذت تهتم بترتيـب البيت وتفرش الأسرّة بمـلاءات بيضاء نظيفة. وقد سعد الأخوة بحياتهـم مع أختهم وعاشوا في انسجام تام.

وذات يـوم حضَّر الإثنان في البيت وجبةً شهية، وعندما اجتمعوا كلهم جلسوا إلـى الطاولة وأكلوا وشربوا بسرور كبير. ولكـن ثمة حديقة صغيرة كانت ملحقة بالبيـت الصغير المهجور، نبتت فيها إثنا عشـرة زنبقة، وقد رغبت الأخت في أن تولِّد السـرور في قلوب أخوتها، فقطعت الزنابق لكـي تعطي واحدة لكل منهم. لكنهـا ما أن قطعـت الزنابق حتى تحـول أخوتها الإثنـا عشر إلى غربـان سوداء وطاروا فـوق الغابة وغادروا المنطقة، كما اختفى فجـأة البيت وحديقته، فبقيت الفتاة وحيدة في الغابة الموحشة. وعندما تلفتت حولها رأت بقربها امرأة عجوز، بادرتهـا بالحديـث قائلة: «ما الذي فعلته يا ابنتي؟ لماذا لـم تتركي الزنابق الإثنتي عشـرة بسلام في الحديقـة؟ لقد كانت الزنابق أخوتك، وهـا هم قد تحولوا الآن إلى غربـان إلى الأبد». فسألتها الفتاة باكية: «أليـس هناك من وسيلة لفك السحر عنهـم؟» «لا»، قالت العجوز ثم أضافت: «لا يوجد فـي الدنيا كلها سوى وسيلة واحـدة، لكنها عسيرة ولن تتمكني من القيام بها لتخليصهم، إذْ عليك أن تصمتي طـوال سبع سنوات، لا تتكلمين خلالها ولا تضحكين. وإن نطقت بكلمة واحدة حتـى ولو بقي ساعة فقط على انقضاء السنوات السبع، فسيضيع جهدك كله عبثاً، وستؤدّي الكلمة إلى موت أخوتك».

قالت الفتـاة في قلبها: «أنا على يقين من أنـي سأخلِّص أخوتي»، وبحثت عن شجـرة عالية، جلست على أحـد أغصانها وأخذت تحوك مـن دون أن تتكلم أو تضحـك. صـادف ذات يوم أن مر في الغابة ملك للصيـد وبصحبته كلب سلوقي ضخـم ركض نحـو الشجرة التي تجلس عليهـا الفتاة وأخذ يقفـز حولها وينبح.

Twitter: @ketab_n

فاقتـرب الملك مـن الشجرة ورأى ابنة الملك الجميلـة ذات النجمة الذهبية على جبهتهـا، فأُخذ بجمالها وهتف يسألها إذا ما كانـت تقبل به زوجاً. لم تعط الفتاة جوابـاً لكنهـا أومأت برأسها قليلاً. عند ذلك تسلّق الملـك الشجرة وحمل الفتاة ونـزل بها، ثـم أردفها وراءه على حصانـه وتوجّه إلى مملكتـه. وهناك أقيم حفل الزّفـاف» بأبهة وفرح كبيريـن، ومع ذلك لم تتكلم الفتاة ولـم تضحك. وبعد أن أمضيـا بضع سنوات بهناء معاً، بـدأت الملكة الأم الشريـرة بالافتراء على الملكة الشابـة وتشويه سمعتها، فكانت تقول للملك: «هـذه الفتاة التي أتيت بها ليست سـوى متسولـة عادية، ومن يدري بما تدبـره من مكائد شيطانيـة خفيّة. حتى إن كانت بكمـاء لا تستطيع الكلام، أليس بوسعهـا أن تضحك!؟ والذي لا يضحك يكـون ضميـره فاسداً». فـي البداية لم يشـأ الملك أن يصدق مـا تقوله أمه، لكن العجـوز الشريرة استمرت بإلحاح في اتهامها بكثير مـن الأعمال المؤذية إلى أن أقنعت الملك أخيراً فحكم عليها بالموت.

أُعدَّت فـي ساحة القصر محرقة كبيرة لتحترق فيهـا الملكة الشابة وهي حية. وكان الملـك يراقب ما يجري من نافذة الطابق العلـوي بعينين دامعتين، فقد كان لا يـزال يحب زوجته. وعندما قيّدت الملكـة الشابة إلى عمود المحرقة وأخذت ألسنـة النار الحمـراء تلعق ثيابها كانت اللحظات الأخيرة مـن السنوات السبع قد انقضت، فسُمعت من السماء أصوات خفق أجنحة شديدٍ لإثني عشر غراباً هبطوا حـول المحرقة، وما أن لامسوا الأرض حتى تحولـوا إلى أخوتها الذين خلصتهم بتمسكهـا بعهدها، فأبعدوا عنها الخشب المشتعل وأطفؤوا النار وحرروا أختهم الحبيبـة مـن قيودها وقبلوها وعانقوها. ولما بات يجوز لهـا الآن أن تتكلم روت للملـك حكايـة امتناعها عن الـكلام والضّحك طـوال تلك المـدّة. فرح الملك لسماعـه أنها بريئة مما اتهمت به، وتابعـوا حياتهم جميعاً بانسجام، حتى وافاهم الأجـل. أما الحماة الشريرة فقُدِّمت إلى المحكمـة ونالت عقابها العادل على ما اقترفه لسانها.

×××

Twitter: @ketab_n

(١٠)

حثالة الزبائن

قال الديك للدجاجة: «بما أن البندق قد نضج الآن، فقد حان الوقت لنا لنصعد معاً إلى الهضبة لنُشبع بطوننا بحقٍ هذه المرة، قبل أن تجمعه السناجب ولا تترك لنا شيئـاً». فأجابت الدجاجة: «هيّا، فلنذهب ونمرح معاً». فخرجا وصعدا الهضبة، وبما أن النهار كان صحواً فقد بقيا هناك حتى المساء.

ليس معروفاً تمامـاً إذا ما كانا قـد أكلا حتى التخمة أم أنهما قـد تبطّرا، لكن المهـم هو أنهما لـم يريدا العودة مشياً. وتوجب على الديك أن يصنع عربة صغيرة من قشور البندق، وحالما انتهى ركبت الدجاجة فيها وقالت للديك: «قُدها الآن، مادمت تحبُّ القيـادة دائماً!» فقال الديك: «ما أذكاكِ يـا عزيزتي! أُفضِّلُ العودة مشياً على قدمي على أن أجرَّ العربة،، هذا ما لـم نتفق عليه. أنا أريد أن أكون حوذياً أجلس في العربة لأسوق، أما أن أُساق فهذا غير وارد».

وفـي أثناء جدالهما اقتربت منهما بطّة تصيح قائلـة: «يا معشر اللصوص، من سمـح لكمـا بالصعود إلـى هضبة البندق؟ انتظـرا، سأريكما جـزاء وقاحتكما!» وهجمـت على الديك بمنقـار مفتوح. لكن الديك لم يكـن رعديداً، بل كال لها الصفعـات بقوة وضربها أخيـراً بمخالبه بقسوة شديدة حتـى استسلمت وطلبت الرحمة، وقبلت كعقاب لها على تبجّحها أن تجرّ العربة. فجلس الديك الآن على مقعـد العربة بصفتـه حوذياً، والدجاجة وراءه، وصاح: «هيـا، أيها البطة، أرينا ما تستطيعين!».

Twitter: @ketab_n

وبعد أن قطعا مسافة من الطريق التقيا باثنين من المشاة، كانا إبرة خياطة ودبوس، هتفا بهما: «توقفا! توقفا!» وقالا إن الظلام سرعان ما سيخيم، ولن يتمكنا عندها من متابعة طريقهما، ولا سيما أن الدرب متسخ وموحل، فهل بوسعهما الركوب معهما في العربة؟ وأضافا أنهما كانا في نزل الخياطين قرب بوابة السور وقد أخذهما الوقت في المقهى هناك. وبما أنهما نحيلين لن يأخذا حيّزاً كبيراً في العربة سمح لهما الديك بالركوب، بشرط أن لا يدوسا على قدميه أو قدمي الدجاجة.

وفي وقت متأخر من المساء وصلت العربة إلى فندق. وبما أنهم لم يرغبوا في متابعة الطريق ليلاً، ولا سيما أن البطة كانت تعرج قليلاً من المعركة والتعب، دخلوا الفندق. في البداية اعترض صاحب الفندق بأن لا شواغر لديه، كما فكّر بأن هؤلاء الزبائن ليسوا من عليّة القوم، ولكن أمام زلاقة لسان الديك والدجاجة تراجع عن موقفه وقبل بإيوائهم، لا سيما أنهما وعداه بالبيضة التي وضعتها الدجاجة أثناء الطريق، إضافة إلى منحه البطة البيّاضة هدية. فطلبا إعداد المائدة لهم وتبحبحوا في طلباتهم.

مع انبلاج الفجر أيقظ الديك الدجاجة، ثم أخذ البيضة ونقرها حتى انفتحت فأفطرا ورميا القشور على الموقد، ثم ذهبا إلى إبرة الخياطة النائمة، حملاها من رأسها وغرزاها في وسادة كرسي صاحب الفندق، كما غرزا الدبوس في منشفة يديه ووليّا الأدبار عبر المرج غير مباليين بشيء. أما البطة التي فضلت المبيت في الفناء تحت السماء، فقد سمعت حركة هروبهما، فاستيقظت ووجدت جدولاً ينحدر ماؤه سريعاً من أعلى الهضبة فنزلت فيه هاربة بسرعة تجاوزت سرعتها في جر العربة.

لم يفتح صاحب الفندق عينيه من النوم إلا بعد نحو ساعتين. اغتسل وأراد أن يجفف نفسه بالمنشفة فجرحه الدبوس مسبباً خدشاً أحمر على وجهه ممتداً من الأذن إلى الأذن. ثم دخل إلى المطبخ ليشعل غليونه، لكنه ما إن اقترب من

Twitter: @ketab_n

الموقـد حتى قفزت قشور البيضة في وجهـه، فقال: «كل شيء يحب وجهي هذا الصبـاح». وجلـس حانقاً مستاءً على كرسيّ جدِّه، لكنـه سرعان ما قفز كالنابض صارخـاً متألمـاً، فقد وخزتـه الإبرة بصورة أسـوأ، وليس في وجهـه هذه المرة. تملكـه الغضـب وراوده الشك في الزبائن الذين وفدوا فـي وقت متأخر من مساء الأمـس، وعندما بحـث عنهم هنا وهناك وجد أنهم قد اختفـوا، فأخذ على نفسه عهـداً بأن لا يستقبل في فندقه حثالـة، تأكل كثيراً وتصخب طويلاً ولا تدفع شيئاً، ثم تدبِّر المقالب عوضاً عن تقديم الشكر.

×××

Twitter: @ketab_n

(١١)

الأخ والأخت الصغيران

أمسك الأخ بيد أخته وقال لها: «منذ أن ماتت أمّنا لم نرَ ساعةَ خير، زوجةُ أبينا تضربنا يومياً، وإذا اقتربنا منها ترفسنا بقدميها بعيداً عنها. صار طعامنا الخبزَ اليابس وفُتات المائدة، حتى أن حال الكلب الصغير تحت الطاولة أحسن من حالنا، إذْ إنّها ترمي له أحياناً لقمة دسمة. ما كان هذا ليسُرّ والدتنا إطلاقاً، معاذ الله! تعالي لنشق طريقنا معاً في هذا العالم الواسع».

ومشيا طوال النهار عبر مروج وحقول وأرضٍ صخرية، وإذا أمطرت كانت الفتاة تقول: «الرب وقلبانا يبكون معاً!» ووصلا مساء إلى غابة كبيرة وهما مرهقين من الحزن والجوع ومشقّة الطريق الطويل لدرجة أن أويا إلى جوفِ جذع شجرة ضخم وناما.

عندما استيقظا في اليوم التالي كانت الشمس في كبد السماء وحرارتها تتغلغل إلى داخل الشجرة، فقال الأخ: «إني أشعر بالعطش يا أختي، ويُخيّل إليَّ أنّي أسمع خرير نبع صغير، سأذهب لأشرب». نهض وأمسك بيد أخته ليبحثا عن النبع. أما زوجة أبيهما فقد كانت ساحرة شريرة، راقبتهما عندما تسللا هاربين وتعقبتهما خفيّةً كما تفعل الساحرات، ونطقت تعويذتها اللعينة على جميع ينابيع الغابة. عندما وجد الأخ والأخت نبعاً تتلألأ مياهه المندفعة على الحجارة وأراد الأخ أن يروي عطشه منه، سمعت الأخت خرير الماء يقول لها: «مَن يشرب من مائي يتحول إلى نمر، مَن يشرب من مائي يتحول إلى نمر»، فصاحت: «أرجوك يا أخي لا تشرب منه، وإلا تحولتَ إلى وحش ضار ومزقتني تمزيقاً». لم يشرب الأخ

Twitter: @ketab_n

رغم عطشه الشديد وقال: «سأنتظر حتى النبع التالي»، وحالما وصلا إليه سمعت الأخت الخرير يخبرها: «مَن يشرب مني، يصبح ذئباً، مَن يشرب مني يصبح ذئباً»، فصاحت: «لا تشرب يا أخي، أرجوك، وإلا لأصبحتَ ذئباً وافترستني». فلم يشرب الأخ وقال: «سأنتظر حتى النبع التالي، وعندها سأشرب من مائه، مهما قلتِ، فعطشي لا يوصف». وعندما وصلا إلى النبع الثالث سمعت الأخت خريره يخبرها: «مَن يشرب من مائي يصبح غزالاً، مَن يشرب من مائي يصبح غزالاً»، فصاحت: «أرجوك ألا تشرب يا أخي، وإلا أصبحتَ غزالاً وهربتَ مني» لكن الأخ الصغير كان قد ركع عند النبع وانحنى وشرب، وما أن لامست أولى القطرات شفتيه حتى تحول في مكانه إلى غزال صغير.

بكت الأخت أخاها المسحور غزالاً صغيراً وبكى الغزال الصغير بحزن وهو جالس إلى جانبها. وأخيراً قالت الفتاة: «كفى بكاءً أيها الغزال الحبيب، فأنا لن أتخلى عنك بعد الآن أبداً». ثم حلَّت رباط جوربها الذهبي اللون وربطته حول عنق الغزال، ثم فككت نسيج خيوط الرباط الثاني وجدلت منه حبلاً ربطت به الحيوان الصغير وقادته معها باتجاه عمق الغابة. وبعد أن مشيا طويلاً وصلا أخيراً إلى بيت صغير، ألقت الفتاة نظرة إلى داخله فوجدته خالياً، فقالت لنفسها: «هنا يمكننا أن نقيم ونعيش». وبحثت عن أعشاب وطحالب لتهيّئ للغزال مضجعاً مريحاً، كما صارت تخرج كل صباح لتجمع جذوراً درَنيّة وتوتاً وجوزاً لنفسها وحشائش طرية للغزال الذي كان يأكل من يدها وهو مسرور يلعب حولها.

ومساءً عندما تتعب الفتاة وتؤدي صلواتها كانت تسند رأسها على ظهر الغزال المضطجع وكأنّه وسادة وتنام بهدوء. ولو استعاد أخوها الصغير هيئته البشرية لكانت حياتهما رائعة.

انقضى وقت طويل على وجودهما وحدهما في الغابة إلى أن أقام ملك البلاد ذات يوم حملة صيد كبيرة في هذه الغابة. فنُفخت الأبواق وعلا نباح الكلاب وصيحات الصيادين بين الأشجار. سمع الغزال الفتيّ ذلك وتمنى أن يشارك في

Twitter: @ketab_n

هذا الهرج والطـراد. فقال لأخته: «آه يا أختي، دعيني أخرج لأشارك في الطراد، فأنـا مـا عـدت أتحمل»، وألح في الرجـاء إلى أن وافقت قائلـة: «ولكن عليك أن ترجع إلـي مساء. سأغلق باب البيت في وجه الصياديـن الهائجين، ولكي أتعرف عليـك، اقـرع الباب وقل: أدخليني يـا أختي الحبيبة. وإن لم تقـل ذلك، لن أفتح الباب». ركض الغزال خارجاً وشعـر بالسعادة والحبور في الهـواء الطلق. رأى الملـك وصيادوه هذا الحيـوان الجميل فانطلقوا يطاردونـه، لكنهم لم يستطيعوا اللحـاق به، وكلّما ظنّوا أنهم تمكنوا منه كان يقفز فوق الأجمة ويختفي. وعندما حل المساء ذهب إلى البيت الصغير، قرع الباب وقال: «أدخليني يا أختي الحبيبة»، ففُتح له الباب. قفز داخلاً واستلقى في مضجعه المريح طوال الليل.

فـي الصبـاح التالي انطلـق الصيدُ مجـدداً، وعندما سمع الغـزال بوق الصيد وصيحـات الصيادين فقد هـدوءه وقال لأخته: «افتحي لي البـاب يا أختي، لا بد لي من أن أخرج». فتحت له أخته الباب وهي تقول: «ولكن عليك أن تعود مساء وتقول قولك». عندما شاهد الملك وصيادوه الغزال الفتيّ ذا الطوق الذهبي ثانية طـاردوه جميعهم معـاً، لكنه كان أسرع منهـم وأكثر خفة. استمـرّ الطِّراد طوال النهـار، إلى أن حاصروه أخيـراً مع هبوط الظلام، وجرحـه أحدهم جرحاً طفيفاً في قدمه، مما جعله يعرج قليلاً على طريق هروبه، فتبعه أحد الصيادين خفية حتى باب البيت وسمعه يقول: «أدخليني يا أختي الحبيبة»، ورأى الباب يُفتح له ثم يُغلق وراءه بسرعة. طبَعَ الصياد كل ما رآه وسمعه في ذاكرته وأسرع إلى الملك وروى له كل ما جرى معه، فقال الملك: «إذن، غداً سنتابع الصيد!»

أمـا الأخـت الفتية فقد فزعت جـداً عندما رأت غزالها جريحـاً. فغسلت عنه الـدم ووضعت عليه بعضـ الأعشاب وقالت له: «اذهب إلـى مضجعك يا غزالي الحبيب كي تستعيـد عافيتك». ولما كان الجرح طفيفاً حقاً، فإن الغزال لم يشعر بـه صباحـاً. وعندما سمع أصوات الصيد من الخارج قـال لأخته: «لا أستطيع أن أضبـط نفسي، يجب أن أشـارك في الطراد، ولن يمسك بـي أحد»، فبكت أخته وقالـت: «سيقتلونـك هذه المرة، وسأبقـى وحيدة في الغابة، ولـن يبقى لي أحد

Twitter: @ketab_n

فـي الدنيا كلها. لـن أسمح لك بالخروج». «إذًا سأمـوت أمامك هنا من الحزن» ،أجاب الغزال وأضاف: «عندما أسمع بوق الصيد ينتابني شعور بأن علي أن أنطلق بسرعـة!» لم تستطـع الأخت أن تحُولَ بينه وبين رغبتـه، ففتحت له الباب بقلب مثقل بالحزن، فقفز الغزال إلى الغابة فرحاً مرحاً ومعافى.

وعندمـا وقع عليه نظر الملك قال لصياديه: «طاردوه الآن طوال النهار وحتى هبـوط المسـاء، ولكن إيّاكـم أن تلحقوا بـه أي أذى»، وحالما غربـت الشمس خاطب الملك الصياد قائلاً: «تعال الآن وأرني بيت الغابة الصغير». وعندما وقف أمام الباب قرعه وقال: أدخليني يا أختي الحبيبة» ففُتِحَ له الباب ودخل ليجد أمامه فتـاة لم يرَ مثل جمالهـا سابقاً، في حين فزعت الفتاة عندمـا رأت بدلاً من غزالها رجـلاً يضع على رأسه تاجـاً ذهبياً. بيد أن نظرات الملك كانت ودودة، ومدّ إليها يده وقال: «أترغبين فـي مرافقتي إلى قصري لتصبحي زوجتي الحبيبة؟» فأجابت الفتـاة: «بكل سـرور، ولكن لا بد للغـزال الصغير من أن يرافقنـي، فأنا لا أتخلى عنـه». فقال الملك: «سيكـون معك طوال حياتك، ولن ينقصـه شيء»، وعندها قفز الغزال داخلاً، فربطته أخته بالحبل القديم ثانية وأمسكت الطرف الآخر بيدها وغادرت معه بيت الغابة الصغير.

أردف الملـك الفتاة الجميلـة وراءه على حصانه وتوجهـوا إلى قصره، حيث أُقيـم احتفال الزّفاف بأبهة كبيرة، فصارت الفتاة ملكةً وعاشت مع زوجها الملك طويـلاً بسعـادة وهناء، كما تمت العناية كاملةً بالغـزال الفتي الذي بات يلعب في حديقة القصر.

أمـا زوجة أبيهما الشريرة التي كانت السبب في هروبهما إلى الدنيا الواسعة مـن ظلمهـا، فقد اعتقـدت أن الأخت الصغيرة قـد افترستهـا حيوانات الغابة المتوحشة، وأن الصيادين قد قتلوا الغزال الصغير المسحور. ولكن عندما وصل إلى سمعهـا أنهما يعيشان حياة رغيدة وفي صحة جيـدة، ملأ الحسد والحقد قلبهـا. ولم يتركا لهـا ساعةَ راحة وهـي تفكر في طريقة لإفسـاد حياتهما معاً

Twitter: @ketab_n

وتدميرها. وابنتها الحقيقية البشعة كالليل وذات العين الواحدة لم تتوقف عن اتهام أمها بالتقصير قائلة: «أن تصير تلك البنت ملكة! أنا أولى بهذه السعادة». «كفى، اصمتي!» قالت العجوز وهدأتها واعدة إياها: «عندما يحين الوقت سأنفذ خطتي بيدي».

وبالفعل، عندما حان موعد ولادة الملكة وأنجبت صبياً جميلاً، في أثناء غياب الملك في رحلة صيد، اتخذت الساحرة العجوز هيئة الوصيفة، دخلت الحجرة حيث كانت الملكة المرهقة مستلقية، وقالت لها: «تعالي، الحمام جاهز، سينعشك ويعيد إليك قواك، أسرعي قبل أن يبرد». وكانت ابنة الساحرة معها، فتوكأت عليهما الملكة إلى الحمام، حيث جعلتها تستلقي في الحوض» وأقفلتا عليها الباب وولّتا الأدبار، إذ كانتا قد أوقدتا في الحمام ناراً متأججة كالجحيم، بحيث سرعان ما تختنق الملكة الضعيفة.

ولما أنجزتا ذلك، قادت الساحرة العجوز ابنتها إلى حجرة النوم، ألبستها قلنسوة الملكة وجعلتها تستلقي في السرير بدل الملكة، وسحرتها في هيئة الملكة ومظهرها، لكنها لم تستطع أن تعيد إليها عينها الثانية المفقودة. ولكي لا يلاحظ الملك ذلك، كان على الإبنة أن تستلقي على جانب العين المفقودة، عاد الملك مساءً وعلم أنه قد صار أباً لصبي جميل، فملأ الفرح قلبه، وأراد الذهاب إلى سرير زوجته الحبيبة ليطمئن على أحوالها، وعندما اقترب هتفت الساحرة المتنكرة بسرعة: «لا ترفع ستارة السرير، دعها مسدلة، لا يجوز أن يسقط النور على عيني الملكة بعد، كما يجب أن ترتاح». فتراجع الملك من دون أن يعرف أن في السرير ملكة مزيّفة.

ولكن عند منتصف الليل عندما كان الجميع نياماً، وبينما مربية الأطفال ساهرة وحدها في غرفة الأطفال إلى جانب سرير الوليد، انفتح الباب ودخلت الملكة الحقيقية، رفعت الرّضيع من مهده، حملته بين ذراعيها وألقمته ثديها، ثم رتبت وسادته وأعادته إلى مهده وغطته باللحاف الصغير. ولم تنس الغزال

Twitter: @ketab_n

الفتـي، فذهبت إلى الزاوية حيث كان مستلقياً في مضجعه وربتت على ظهره، ثم توجهت نحو الباب ثانية بكل هدوء وغادرت.

فـي صباح اليوم التالـي سألت مربية الأطفال الحراس عمّـا إذا دخل أحد إلى القصـر أثناء الليـل، لكنهم أجابوها: «لا، لم نرَ أحداً». وتكـرر هذا المشهد عدّةِ ليـالٍ من دون أن تنطق الملكة كلمة واحدة. وكانت مربية الأطفال تراها كل مرة، لكنها لم تجرؤ على إخبار أحد بالأمر.

عندما مر بعض الوقت، بدأت الملكة، زائرة الليل، تتكلم وتقول:

«ماذا يفعل ابني؟

ماذا يفعل غزالي؟

سأزوركما مرتين بعد

ومن ثم لن أعود».

لم تجبها مربية الأطفال، ولكن عندما اختفت الملكة ثانية، هرعت إلى الملك وأخبرته بكل ما جرى. فهتف الملك: «يا إلهي! ما الذي يجري؟ سأسهر في الليلة القادمـة عند الطفل». ودخل مساء اليوم التالـي إلى غرفة الأطفال، وعند منتصف الليل تماماً ظهرت الملكة ثانية وأخذت تردد:

«ماذا يفعل ابني؟

ماذا يفعل غزالي؟

سأزوركما مرّة بعد

ومن ثم لن أعود».

Twitter: @ketab_n

ثـم اعتنـت بشؤون الطفـل، كعادتها في الليالـي السابقة، قبـل أن تختفي عن الأنظـار. لـم يجرؤ الملك علـى مخاطبتها، لكنه سهر عند الطفـل في الليلة التالية أيضاً، فظهرت في وقتها كالعادة وأخذت تردد:

«ماذا يفعل ابني؟

ماذا يفعل غزالي؟

سأزوركما هذه المرة

ومن ثم لن أعود».

لم يتمالك الملك نفسه فتوجه إليها وخاطبها قائلاً: «لا يمكن أن تكوني سوى زوجتي العزيزة». فأجابته: «نعم، أنا زوجتك العزيزة» وفي اللحظة نفسها وبقدرة القـادر عادت إليها الحياة، فإذا هي حيويـة، محمرة الخدين، وفي كامل الصحة، وروت للملك مـا فعلته بها الساحرة الشريرة وابنتها. فأمر الملك بمثول الآثمتين أمام المحكمة، ونطق القاضي بالحكم: تُترك الإبنة في الغابة لتفترسها الضواري، وتُرمـى الساحرة العجوز فـي المحرقة. وعندما تحول جسمهـا إلى رماد استعاد الغـزال الفتي هيئته البشرية، وعاش الأخ والأخت حياة سعيدة معاً إلى أن وافاهما الأجل.

×××

Twitter: @ketab_n

(١٢)

خَسَّة

كان هنـاك في قديم الزمان رجل وزوجته، وقـد رغبا طويلاً في أن يكون لهما ولـد، ولكن دونما جـدوى. وأخيـراً حملت الزوجـة وأملت أن يحقـق الله لها رغبتهـا. في الجزء الخلفـي من دار الزوجين كانت هناك نافـذة صغيرة تطل على حديقة رائعة، مليئة بالورود والخضار. لكنها كانت محاطة بسور عالٍ، ولم يجرؤ أحد على دخولها لأنها ملك لساحرة جبّارة يخافها الناس جميعاً.

وذات نهـار كانـت الزوجـة تنظر من النافـذة فشاهدت فـي الحديقة حوضاً مزروعـاً بخسٍّ ذي خُضرةٍ يانعةٍ، فأحسّت برغبة جارفةِ في أن تأكل منه، وأخذت رغبتهـا تزداد من يوم لآخر. وبما أنها كانت تعرف أنها لن تحصل على شيء منه، فقـد نحل جسمهـا وباتت شاحبـة وبائسة،وهذا ما أفزع زوجهـا فسألها: «ماذا أصابـك يـا امرأة؟» فأجابتـه: «إذا لم أحصل على خسٍّ مـن الحديقة خلف دارنا فسأموت».

كان الرجـل يحبّ زوجته فقال لنفسه: «لئلا تترك زوجتك تموت، احضرْ لها مـن ذلك الخس، مهما كلف الأمر!» وعند الغسق تسلق السور وهبط إلى حديقة الساحرة، قطف بسرعة ملء يده من أوراق الخس وأحضرها لزوجته، ومن فورها حضَّرت منها سلطة وأكلتها بنهم كبير.

وبما أنها قد استساغت طعمها جداً، جاءها وحام الخس في اليوم التالي ثلاث مـرات. وما كانـت لتهدأ حتى ينزل زوجهـا إلى الحديقة مرة ثانيـة، فاستعد عند

Twitter: @ketab_n

الغسق، وتسلّق السور، لكنه عندما نزله من الطرف الآخر انتابه فزعٌ شديد إذ وجد الساحرة واقفة أمامه وجهاً لوجه، وخاطبته قائلة: «كيف تجرؤ على النزول إلى حديقتي وسرقة خسّاتي كاللصوص؟ ستدفع ثمن ذلك غالياً». فأجابها: «آه، افسحي مجالاً للعفو يا سيدتي، فأنا لم أحزم أمري إلا مضطّراً: زوجتي رأت خسّاتك من النافذة فأصابها وحام هائل إليها، فكادت تموت إن لم تأكل منها». فخففت الساحرة من غلواء غضبها وقالت: «إذا كان الأمر كما تقول فسأسمح لك بأن تأخذ ماشئت من الخس، ولكن بشرط واحد، أن تعطيني الطفل الذي ستلده زوجتك. سيكون على ما يرام وسأرعاه كأني أمه». وتحت ضغط الخوف وافق الرجل على كل شيء، وعندما أنجبت زوجته بنتاً ظهرت الساحرة مباشرة، أطلقت على المولودة اسم (خسّة) وأخذتها معها.

بمرور الأيام صارت خسّة أجمل طفلة تحت الشمس. وعندما بلغت الثانية عشرة من عمرها حبستها الساحرة في برج عالٍ وسط الغابة، لا درج له ولا باب، ولكن يوجد في أعلاه نافذة صغيرة، وعندما تريد الساحرة دخول البرج كانت تقف أسفله وتنادي:

«خسة، يا خسة،

ارخي لي ضفيرة شعرك».

إذ كان للفتاة شعر طويل رائع وناعم كخيوط الذهب. وكانت عندما تسمع صوت الساحرة، تفك عقدة الضفيرة ثم تربطها مرة حول قضيب النافذة وتدلّي بقيتها التي يبلغ طولها عشرين ذراعاً، فتُمسِكُ بها الساحرة وتتسلق البرج.

بعد عدة سنوات صادف أن مرَّ ابن الملك عبر الغابة وسمع من البرج غناءً بالغ الرقة، فتوقف وأنصت. كان ذلك صوت خسّة التي تمضي الوقت في وحدتها بالغناء، لا سيما أن صوتها كان جميلاً. رغب ابن الملك في الصعود إليها فبحث عن باب البرج، ولكن دون جدوى، فركب حصانه وعاد، لكن الغناء كان قد ملك

Twitter: @ketab_n

شغاف قلبه، فصار يخرج كل يوم إلى الغابة ليستمع إليه. وكان ذات يوم واقفاً وراء شجرة فرأى الساحرة قادمة وسمعها تنادي:

«خسة، يا خسة،

ارخي لي ضفيرة شعرك».

فأرخت الفتاة ضفيرتها وتسلّقتها الساحرة صاعدة إلى النافذة. فقال ابن الملك لنفسه: «إذا كان هذا هو السلَّم الذي يُوصل إلى الأعلى، فلا بدّ لي من أن أجرّب حظّي».

وفي اليوم التالي، مع بداية الغسق، اقترب من البرج ونادى:

«خسّة، يا خسّة،

ارخي لي ضفيرتك».

وسرعان ما نزلت الضفيرة إلى جانبه فتسلقها ابن الملك. فزعت خسة فزعاً شديداً عندما دخل غرفتها رجل، لم تر عيناها مثله قَط، بيد أن ابن الملك أخذ يحدثها بلطف وودٍّ وأخبرها بأن غناءها قد حرّك مشاعر قلبه، فلم يعد قادراً على الصبر حتى يراها. فتلاشى خوف خسة، وعندما سألها إنْ كانت تقبل به زوجاً، وكانت قد لاحظت أنه شاب وسيم، قالت لنفسها: «يُفضَّل أن يأخذني هو، على أن أبقى مع إشبينتي العجوز». فأجابته بنعم ووضعت يدها في يده وأردفت قائلة: «بودّي أن أذهب معك بكل سرور، لكني لا أعرف كيف سأنزل من البرج. لذلك كلما أتيتَ إليّ أحضر لي معك حبلاً من حرير لأجدل منه سلماً، وعندما ينتهي سأنزل عليه لتأخذني على حصانك». وتواعدا على أن يأتي إليها يومياً مساءً، لأن العجوز تأتي نهاراً.

لم تلحظ العجوز شيئاً مما يجري، إلى أن زل لسان خسة ذات يوم عندما

Twitter: @ketab_n

قالت: «ما السبب يـا إشبينتي أنك تكونين ثقيلة جداً عندما أسحبك إليّ، في حيـن يصل إليّ ابـن الملك بطرفة عيـن؟» فصاحت الساحـرة: «أيتها البنت الكافرة، ما هذا الذي أسمعه منك، وأنا التي ظننت أنّي قد أبعدتك عن الناس أجمعيـن، فإذا بـك تخونينني!» وفي ثـورة غضبها أمسكـت بضفيرة الفتاة ولفّتهـا بضع مرات حول يدهـا اليسرى، ثم تناولت مقصـاً بيمناها وأخذت تقصّ وتقصّ حتى تساقطت ضفيرة الشعر الجميـل على الأرض، وكان من شـدة قسوتهـا أن نفت الفتاة إلـى منطقة قَفْر، حيث كان عليهـا أن تعيش في منتهى الشقاء.

وفـي اليـوم نفسه بعـد أن نفـت الساحرة خسّـة، ربطت مسـاءً الجديلة المقصوصة إلى قضيب النافذة وثبتتها، وعندما جاء ابن الملك ونادى:

«خسة، يا خسة،

ارخي لي ضفيرة شعرك».

أرخت له الطرف الآخر فتسلقه بسرعة، ولكن بدلاً من حبيبته خسة وجد أمامه الساحرة التي نظرت إليه بعينين ساخطتين تنفثان سماً وقالت له ساخرة: «آها، جئت لـتأخذ زوجتك الحبيبة إذن! لكن الطائر الجميل لم يعد في عشه ولم يعد يغرد. لقد اختطفته القطة التي ستقتلع عينيك بمخالبها. بالنسبة إليك باتـت خسة فتاة مفقودة لن تراها بعد اليوم». ومن شدة الألم واليأس فقد ابن الملـك السيطرة على نفسه وقفز من البـرج: صحيح أنه قد نجا بحياته، لكن الأشواك التي سقط عليها وخزت عينيه، فتاهَ في أرجاء الغابة كالضرير، يتغذى من الجذور الدرنيّة والتوت البري وهو يبكي ويشكو فقدان امرأته الحبيبة.

مضت عـدة سنوات وهو يتجول في البراري الغريبـة إلى أن وصل أخيراً إلـى المنطقة القفر حيث تعيش خسة في بؤس شديد مع الطفلين التوأم اللذين أنجبتهما، وكانا صبياً وفتاة. التقطت أذناه صوتاً كان بالنسبة إليه مألوفاً جداً،

Twitter: @ketab_n

فاتجه نحــوه، وعندما وصل تعرفــت عليه خسة فعانقتــه وبكت، فانهمرت دمعتــان من عينيها وبللتا عينيــه فاستعاد وضوح الرؤية. فأخذهــا والتوأم إلى مملكته حيث استُقبل بفرح وعاشا طويلاً في سعادة ورضا.

×××

Twitter: @ketab_n

(١٣)

الأقزام الثلاثة في الغابة

كان هنـاك رجل توفيت زوجته، وكان هناك امرأة توفّي زوجها، وكان للرجل ابنة وكذلك للمرأة، وكانت البنتان زميلتين تتنزهان معاً ثم تذهبان إلى دار المرأة.

وذات يـوم قالت هذه المرأة لابنة الرجل: «اسمعـي، أخبري أباكِ أني أرغب فـي الزواج به وعندها ستغتسليـن كل صباح بالحليب وتشربيـن النبيذ، أما ابنتي فستغتسـل بالماء وتشرب الماء». عادت الفتاة إلـى دارها وأخبرت أباها بما قالته المـرأة، فقال: «ما العمل؟ الـزواج بهجة، لكنه عذاب أيضـاً». وأخيراً، ولأنه لم يستطـع أن يحسم أمره، خلع جزمته وقال لابنته: «هذه الجزمة مثقوبة في كعبيها، خذيهـا إلى العليَّة وعلقيها علـى المسمار الكبير، ثم صبي فيها ماء. إنْ صمد الماء فيهـا فلسـوف أتزوج ثانية، أمـا إذا زرب فلن أفعلها». نفّذت الفتـاة ما أمرها به، فانقبضـ الثقب بفعل الماء وانسد، وامتـلأت الجزمة حتى حوافها. أخبرت الفتاة أباهـا بما جرى، فصعد إلـى العليَّة وتأكد من صحة ما قالت، ثم ذهب إلى الأرملة وطلب الزواج بها وأقاموا حفلة العرس.

عندما استيقظت الفتاتان في صباح اليوم التالي وجدت ابنة الزوج أمامها حليباً لتغتسـل ونبيذاً لتشرب، أما ابنة الزوجة فوجدت أمامها ماء لتغتسل وماء لتشرب. وفي اليـوم الثاني كان هناك ماء للاغتسال وللشرب أمـام ابنة الزوج وكذلك أمام ابنـة الزوجة. وفي اليوم الثالث كان هناك مـاء للاغتسال وللشرب أمام ابنة الزوج وحليـب للاغتسـال ونبيذ للشـرب أمام ابنة الزوجـة، وعلى هـذا الوضع استمر الحال، كمـا باتت المرأة عدوّاً لدوداً لابنة زوجهـا لا يشغلها سوى جعل حياتها

Twitter: @ketab_n

شقـاءً يوماً بعد يوم. وإضافة إلى ذلك كانت زوجة الأب غيّورة، وذلك لكون ابنة زوجها جميلةً ولطيفةً في حين أنّ ابنتها قبيحةٌ ومقيتة.

ذات يـوم فـي الشتـاء ،كان الصقيـع قاسياً كالحجـر والثلج قد غطـى الجبل والـوادي، صنعـت زوجـة الأب ثوبـاً من ورق ونـادت ابنة الـزوج وقالت لها: «البســي هذا الثوب، واخرجي إلى الغابـة واحضري لي ملْءَ هذه السلة من الفريز الأحمـر (فراولة)، فشهيّتي مفتوحة عليـه». فأجابتها الفتاة: «يا إلهي، لكن الفريز لا ينمـو في الشتاء، فالأرضـ متجلدة من الصقيع والثلج يغطـي كل شيء. ولماذا أخـرج بثوب من ورق؟ الطقس فـي الخارج باردٌ جّداً لدرجـة أن الأنفاس تكاد تتجمـد، وهناك تهب ريح شديدة، ثم إن الأشـواك ستمزقه عن جسمي». فقالت زوجة الأب: «كُفّـي عن الاعتراض، هيّا اخرجي ولا تعودي قبل أن تمتلئ سلتك بالفريز».، وناولتها سلة متوسطة الحجم وقطعة خبز يابس قائلة: «لتكن هذه طعام نهـارك»، وهي تفكر بينها وبين نفسها: «ستتجمّد من البرد في الغابة وتموت من الجوع فأتخلّصُ منها إلى الأبد».

ولما كانت الفتاة مطيعة فقد ارتدت الثوب الورقي وحملت السلة وخرجت. لم يكن هناك ما يُرى في الخارج سوى الثلج في جميع الاتجاهات، ولا حتى عشبة خضراء واحدة، وعندما وصلت إلى الغابة رأت كوخاً صغيراً ينظر من نافذته ثلاثة أقـزام، ألقت عليهم التّحيّة وقرعـت الباب برفق، فقالـوا لها: «تفضلي»، فدخلت الغرفـة وجلســت على المقعـد القريب من الموقـد لكي تدفأ وتتنـاول إفطارها. «أعطنـا شيئاً منــه»، قال لهــا الأقزام، فأجابتهــم: «بسرور،» وكســرت الرّغيف نصفيــن وأعطتْهُم نصفــه. فسألوها: «عمّا تبحثين في الغابة فـي فصل الشتاء وفي هـذا الثوب الرقيق؟» فأجابت: «آه، عليّ أن أبحث عما يملأُ هذه السلة من الفريز وألّا أعـود إلى الدار مـن دونها». وعندما انتهت مـن أكل خبزها ناولوها مكنسة وقالوا: «اكنسي بها الثلج وراء الباب الخلفي».

ولـمـا خرجـت تشـاور الأقزام فيمــا بينهم: «مــاذا سنهديهــا لطيبتهــا وأدبها

Twitter: @ketab_n

ولتقاسمها خبزها معنا؟» فقال الأول: «هديتي لها أن تزداد جمالاً كل يوم»، وقال الثاني: «وهديتي لها أن تسقط قطعة ذهبية من فمها كلما نطقت بكلمة»، وقال الثالث: «وهديتي لها أن يأتيها ملك ويجعلها زوجته». أما الفتاة فقد نفّذت ما طلبه منها الأقزام الثلاثة، فكنست الثلج وراء الباب الخلفيّ الصغير. فماذا وجدت هناك برأيكم؟ وجدت المكان ممتلئاً تحت الثلج بثمار الفريز الأحمر النّاضج، ففرحت وملأت سلتها منها، شكرت الأقزام وصافحتهم واحداً واحداً وغادرتْهُم لتُوصل المطلوب إلى زوجة أبيها.

عندما دخلت الدار وقالت: «مساء الخير» سقطت من فمها قطعة ذهبية. وعندما حكت ما جرى لها في الغابة كانت تتساقط القطع الذهبية مع كل كلمة تنطق بها حتى امتلأت بها الغرفة. فعلّقت ابنة المرأة قائلة: «يا للبطر، انظروا كيف ترمي النقود على الأرض!» وهي تكتم غيرتها الشديدة من حظّ زميلتها، وأرادت أن تخرج إلى الغابة للبحث عن ثمار الفريز بنفسها. فقالت لها أمها: «لا، يا ابنتي الحبيبة، فالبرد قارس وقد تتجمدين هناك». ولشدة ما ألحّت الابنة، تراجعت أمّها أخيراً عن موقفها وخاطت لها ثوباً سميكاً من الفراء لترتديه وأعطتها عدة شرائح من الخبز الطازج المدهون بالزبدة إضافة إلى الحلويات زاداً للطريق.

اتجهت البنت نحو الغابة وإلى البيت الصغير مباشرة. نظر إليها الأقزام الثلاثة من النافذة، لكنها لم تلق عليهم التحية. ومن دون أن تلتفت نحوهم أو أن تقرع الباب دخلت إلى الغرفة، جلست إلى جانب الموقد الدافئ وأخذت تأكل شطائرها وحلوياتها. «أعطنا شيئاً منها»، قال لها الأقزام، لكنها أجابتهم: «إنها لا تكفيني أنا، فكيف أعطي الآخرين منها؟!» وعندما انتهت من أكلها قالوا لها: «إليكِ المكنسة، فاكنسي بها وراء الباب الخلفي». فأجابتهم: «أبداً، اكنسوا بأنفسكم، أنا لست خادمتكم».

وعندما رأت أنّهم لن يهدوها شيئاً خرجت من الباب. فتشاور الأقزام فيما بينهم: «ماذا سنهديها لقلة أدبها وقلبها الغيّور الشرير الذي لا يشتهي الخير

Twitter: @ketab_n

لأحد؟» فقال الأول: «هديتي لها أن تزداد قبحاً كل يوم»، وقال الثاني: «وهديتي لها أن يقفز من فمها ضفدع كلما نطقت بكلمة»، وقال الثالث: «وهديتي لها أن تمـوت ميتة شنيعـة». في الخارج بحثت الفتاة عن ثمـار الفريز، وعندما لم تجد شيئاً منها عـادت إلى الدار منزعجة. وحالما فتحت فمها لتحكي لأمها ما جرى لهـا في الغابة، أخـذت الضفادع تقفز مـن فمها مع كل كلمة، حتـى قرفَ منها الجميع.

تفاقـم غضـب زوجة الأب من ابنـة زوجها الآن ولا سيّما أنهـا أخذت تزداد جمـالاً يومـاً بعد يـوم، وانحصر تفكيرها طـوال الوقت في التنفيـس عن كربها بإيذائهـا. تناولت أخيراً قدراً ورفعته على نـار الموقد بعد أن ملأته بخيوط الغزل وتركتـه حتى يغلي، ثم وضعت خيـوط الغزل على كتف الفتاة الجميلة المسكينة وناولتهـا فأساً وأمرتها بالذهاب إلى النهر المتجمد وحفرِ ثغرةٍ بالفأس في جليده وأن تغطّس خيوط الغزل فيها.

أطاعت الفتاة وخرجت إلى النهر وبدأت بحفر ثغرة في جليده. وأثناء انهماكها في الحفر مرت على الضفة عربة فاخرة يركب فيها الملك. توقفت العربة وسألها الملـك: «من أنت يا صبية؟ وماذا تفعلين هنـا؟» فأجابته الفتاة: «أنا فتاة مسكينة أغطّس خيـوط الغزل». أشفق الملك عليها ولفتت نظـره روعة جمالها فسألها: «أترغبيـن بالذهاب معـي؟» فأجابت الفتـاة: «نعم، بكل سـرور»، فقد فرحت بالابتعاد عن زوجة أبيها وابنتها.

ركبـت الفتـاة إذاً ورحلـت مع الملك في عربتـه، وعندما وصـلا إلى القصر أقيمـت هناك حفلة عرس بأُبهة كبيرة، بحسب هدية الأقـزام الثلاثة، وفي السنة التالية أنجبت الملكة صبياً.

عندمـا سمعت زوجة أبيها بالحظ الكبيـر الذي أصابها توجهت مع ابنتها إلى القصر وكأنها تقـوم بواجب الزيارة. ولكن حالما خرج الملك، أمسكت المرأة الشريـرة بالملكة من رأسها وأمسكت بها الابنة من قدميها وحملاها من سريرها

Twitter: @ketab_n

ورمتاهـا من النافذة في النهر المجاور للقصر، ثم استلقت الابنة القبيحة في سرير الملكة وغطّتها أمها حتى ما فوق رأسها.

عندمـا عاد الملك أراد التحـدث مع زوجته، هتفت المـرأة: «هدوء، هدوء، الوقـت الآن غيـر مناسب لأنها مصابـة بالحمى وتتعرق عرقاً شديـداً، عليكم أن تتركوهـا لترتـاح اليوم». لـم يخطر ببال الملـك أي سوء، وعاد فـي صباح اليوم التالـي، وعندما تحدث إلـى زوجته المغطـاة الرأس وأجابته، أخـذت الضفادع تخـرج من فمها بدل القطع الذهبية، فسأل عـن السبب، فأجابته المرأة بأنه نتيجة الحمّى الشديدة وسيزول بزوالها.

وأثناء الليل شاهد خادم المطبخ من النافذة بطة تسبح في المجرى المتفرع من النهر وهي تسأل:

«أيها الملك ماذا تفعل؟

أصاحٍ أنت أم نائم؟»

وعندما لم يحر الخادم جواباً، تابعت تسأل:

«ماذا يفعل ضيوفي؟»

فأجابها الخادم:

«إنهما غارقتان في النوم».

فسألت مجدداً:

«ماذا يفعل صغيري؟»

فأجابها الخادم:

Twitter: @ketab_n

«إنه نائم بعمق في مهده».

فتحولت البطة إلى هيئة الملكة وصعدت إلى القصر، أرضعت صغيرها، هزت مهـده برفق، ثـم استعادت هيئة البطة وتابعت سباحتهـا في المجرى. وكررت ما فعلته ليلتين متتاليتين.

وفـي الليلـة الثالثة قالت للخـادم: «اذهب إلى الملك وأخبره بـأن يأخذ سيفه ويلوِّح به ثلاث مرات فوق رأسي عند العتبة». فأسرع الخادم وأخبر الملك الذي جـاء حاملاً سيفه ولوّح به ثلاث مرات فوق هيئة البطة. وفي المرة الثالثة انتصبت أمامه زوجته صحيحة حيوية ومعافاة كما كانت سابقاً.

فـرح الملك فرحـاً عظيماً، لكنه خبّأ زوجته في حجـرةٍ حتى يوم الأحد الذي سيُعمَّـد فيه الطفل الوليد. وبعدما انتهت مراسم العماد سأل: ماذا يستحق شخص يحمل شخصاً آخر ويرميه في الماء؟» فأجابته زوجة الأب: «لا أفضلَ من أن يوضع الشريـر في برميل يُحكم إغلاقه بالمسامير ويُدحـرج من الجبل إلى النهر». فقال لها الملك: «لقد نطقتِ بحكمكِ على نفسكِ». وأمر بإحضار برميل حُشرت فيه المرأة مع ابنتها، ثم أُحكم غطاؤهُ بالمسامير وتُرك ليتدَحرجَ من الجبل إلى النهر.

×××

Twitter: @ketab_n

(١٤)

الغزّالات الثلاث

كان هناك فتاةٌ كسولةٌ ترفض تعلّم الغزل. ومهما قالت أمها ومهما فعلت، فإنها لـم تستطع تحفيزها على ذلك. وذات مرّة نفَد صبر الأم وتفاقم غضبها فضربتها، فأخذت الفتاة تبكي بصوت عالٍ.

وصادف أن مرت الملكة في عربتها في ذلك الوقت من هناك، وعندما سمعت البـكاء أمرت الحوذيّ بالتوقف، دخلت الدار وسألت الأم عن سبب ضربها ابنتها بحيـث سُمع صياحها من الطريق. خجلت الأم أن تبوح بكسل ابنتها فقالت: «أنا لا أستطيـع إبعادها عن الغزل، وهي تريد طوال الوقت أن تغزل. لكنّني امرأةٌ فقيرةٌ وغيـر قادرة على أن أوفّر لها الكتّـان». فأجابتها الملكة: «ليس هناك ما هو أحبُّ إليَّ من صوت الغزل، وأبلغُ أقصى سعادتي عندما تدور الدواليب لتغزل الخيطان. أرسلـي ابنتك معي إلى القصر، عندي هناك ما يكفي من الكتّان لتغزل ما شاءت». وافقت الأم بكل سرور، فأخذت الملكة الفتاة معها.

وعندما وصلتا القصر قادتها الملكة إلى ثلاث حجرات في طابق علوي مملوءة من الأرض إلـى السقف بأجمل الكتان، وقالت لها: «اغزلي لي هذا الكتان، وإذا أنجـزتِ ذلك سأزوجك لابني البكـر، ولن أبالي بفقـرك، لأن شطارتك الدائمة ستكـون دوطتك(د)• وهي كافية.» امتلأت نفس الفتاة فزعاً، فهي لن تستطيع غزل هـذا الكتان ولو بلـغ عمرها ثلاثمئة سنة واشتغلت أثناءهـا يومياً من الصباح حتى

د • الدوطة هو ما تدفعه المرأة للرجل عند الزواج، وكان ذلك عادة متبعة في حضارات كثيرة.] م [

Twitter: @ketab_n

المســاء. وعندما بقيت وحدها أخذت تبكي واستمرت ثلاثة أيام على هذه الحال من دون أن تحرك إصبعا.

فــي اليــوم الثالث جاءت الملكــة، وعندمــا رأت أن الفتاة لم تغــزل أي شيء، استغربــت الأمر، لكــن الفتاة تذرعت بكربهــا الكبير لابتعادها عــن أمها وبيتها. أُعجبت الملكة بهذا الــكلام، لكنها قالت وهي تغادر الحجرة: «يجب عليك أن تبدأي العمل منذ الغد».

عندما بقيت الفتاة وحدها ثانية اضطربت ولم تدرِ مخرجاً ينقذها من ورطتها، وفي غمرة حزنهــا اقتربت من النافذة فرأت ثلاث نساء يقتربن. كان للأولى منهن قدم عريضة كالمخباط، وللثانية شفة سفلى كبيرة ومتدلية إلى أسفل ذقنها، وللثالثة أصبــع إبهام عريض في يمناهــا. وقفت النسوة عند النافــذة، رفعن أنظارهن نحو الفتاة وسألنها عما أصابها، فشكت لهن ورطتها. عندها عرضن عليها مساعدتهن وقلن لها: «إذا دعوتِنا إلى عرسك ولم تخجلي بنا، بل اعتبرتينا صديقاتك فنجلس معــك إلــى طاولتــك، فسننهي لك غــزل الكتان كله، وفــي وقت قصيــر أيضاً». فأجابــت الفتــاة: «يسرنــي ذلك من كل قلبــي، ولكن هيا ادخلن وابــدأن بالعمل فــوراً». وأدخلت النساءَ العجيبــات الثلاث، وأفسحت لهن فــي الحجرة الأولى مكانــاً ليجلســن ويبدأن الغزل. فكانــت الأولى تسحب الخيــط وتدوس بقدمها دواسة دولاب الغــزل، وتبلل الثانية الخيط بشفتها، وتفتله الثالثة وتضربه بإبهامها علــى الطاولــة، ومع كل ضربة كانت تسقط على الأرضــ عشر حزم كتان مغزولة بمنتهى الإتقان.

كانــت الفتاة تخبّئ النســاء الثلاث عن الملكة، وتُريها كلمــا جاءت إليها حزمَ الكتان المغزولة الكثيرة، فيتدفق عليها ثناء الملكة بلا حدود. عندما فرغت الحجرة الأولى جاء دور الثانية، وسرعان أيضاً ما انتهى غزل كتان الحجرة الثالثة، وعندها ودَّعت النساء الثلاث الفتاة وقلن لها: «لا تنسي ما وعدتنا به، ففيه سعادتك».

وعندمــا أرَتِ الفتــاةُ الملكة الحجــرات الفارغة وكومة الغــزل الهائلة، أمرت

Twitter: @ketab_n

الملكة بإقامة حفل الزفاف، وفـرح العريس بحصوله على عروس ماهرة وشاطرة وأسهب فـي مديحها والثناء عليها. فقالت الفتاة: «لـي ثلاث صديقات قدّمن لي الكثيـر من الخير، لا أريـد نسيانهن في أوج سعادتي، فاسمحـا لي بدعوتهن إلى حفل الزفـاف وبجلوسهن معنا إلى الطاولة». فقالـت الملكة والعريس: «لا مانع لدينا من دعوتهن».

وعندما ابتدأ الحفل دخلت العذراوات الثلاث في ثياب غريبة بديعة، فخاطبتهن العروس قائلة: «أهلاً وسهلاً بصديقاتي العزيزات». فسألها العريس مندهشاً: «ما هـذه الصّداقات الفظيعة؟» وتوجّـه إلى ذات القدم العريضـة كالمخباط وسألها: «مما صارت قدمك عريضة هكـذا؟» فأجابته: «مـن دواسـة دولاب الغزل». فتوجـه العريس إلى الثانية وسألها: «ومما تدلت شفتـك بهذا الشكل؟» فأجابته: «مـن لحس خيطان الغزل». فتوجـه إلى الثالثة وسألها: «ممـا صار إبهامك بهذا العرض؟» فأجابتـه: «من فتل خيطان الغـزل». ففزع ابن الملك عندها وهتف قائلاً: «إذن، لن تقـرب عروسي الجميلة أي دولاب غزل، منذ الآن وإلى الأبد». وبذلك تخلصت الفتاة من غزلِ الكتّان المزعج.

×××

Twitter: @ketab_n

(١٥)

هِنْـزِل وغْـريتِل

فـي قديم الزمان وقرب غابة كبيـرة كان يعيش حطّاب فقيـر مع زوجته، ومع ولديـه من زوجته الأولى المتوفاة. كان اسم الصبـي هِنزِل، والفتاة اسمها غريتل. ولـم يكـن لدى الحطاب ما يسدّ بـه رمق عائلته، وذات يوم اشتـدّ الغلاء في البلد فلـم يعد الحطـاب قادراً حتى على شراء الخبز لطعام يومـه. وعندما استلقى مساء فـي سريره أخذ يتقلّـب ذات اليميـن وذات اليسار من ضغط الهمـوم والأفكار، فأطلـق تنهيدة عميقة وقال لزوجته: ماذا سيحلُّ بنا يا امرأة؟ كيف سنطعم الطفلين المسكينيـن، ما دمنا لا نجد شيئاً لأنفسنا؟» فأجابته زوجته: «أتعرف ما سنفعله يا رجـل، غداً في الصباح الباكر سنأخذ الطفلين إلـى الغابة، إلى الموقع الأشد كثافة فيها، فنوقد لهما ناراً هناك ونعطيهما قطعة خبز صغيرة، ونتركهما وحيدين ونعود إلى شغلنا. ولن يجدا طريق العودة إلى الدار، فنتخلّصَ من عبئهما». فقال الزوج: «لا، يـا امـرأة، هذا ما لن أفعله، لـن يطاوعني قلبي على تـركِ ولديَّ وحدهما في الغابـة حيث سرعان مـا ستأتي الحيوانات الضاريـة وتفترسهما». فأجابت زوجة الأب: «يا لك مـن مجنون، إن لم نفعلها فسنموت جميعنا من الجوع. ويمكنك منذ الآن سَحْجَ الأخشاب لتوابيتنا». واستمرت تُلِحُّ وتصرُّ حتى وافق وهو يقول: «ومع ذلك فإني أرثي لحال الطفلين».

وبسبـب الجوع لم يستطع الطفلان النوم، فسمعا ما دار من حديث بين أبيهما وزوجتـه. بكت غريتل بكاء مريراً وقالت لهنزل: «لقـد قُضي علينا الآن». فقال: «اهدئي يا غريتل، لا تهتمي، أنا سأجد لنا مخرجاً». وعندما نام الكبيران نهض من

Twitter: @ketab_n

سريره، لبس بنطاله، فتح الباب الصغير في بوابة الدار وانسلّ عبرها إلى الخارج حيث كان القمر ساطعاً يضيء بنوره الحصى الأبيض المفروش أمام الدار فيتلألأ كقطع العملة الذهبية. انحنى هنزل وأخذ يحشو جيوب بنطاله من الحصى حتى امتلأت، ثم عاد إلى الدار وقال لغريتل: لا تبتئسي يا أختي الحبيبة ونامي بهدوء. فالربُّ لن يتخلى عنا». واستلقى في سريره ونام.

عند الفجر، وقبل شروق الشمس، جاءت زوجة الأب وأيقظت الطفلين قائلة: «هيّا انهضا يا كسالى، سنخرج إلى الغابة لنجمع الحطب». ثم أعطت كلاً منهما قطعة خبز وهي تقول: «هذا لطعام الغداء، لا تأكلاه قبل ذلك، إذ لن تحصلا على غيره». خبّأت غريتل الخبز تحت مريلتها، لأن جيوب هنزل كانت مملوءة بالحصى، ثم انطلقوا جميعهم إلى الغابة. بعد فترة قصيرة توقف هنزل والتفت نحو الدار، وأخذ يكرّر ذلك بين الحين والآخر، فقال له والده: «ما بالك يا هنزل تتخلف عنا وتلتفت، انتبه لقدميك كيلا تتعثر». فأجاب هنزل: «آخ يا أبي، إنّي ألتفت إلى قطتي الصغيرة البيضاء الجالسة على سطح الدار وهي تودّعني». فقالت زوجة الأب: «أيها المعتوه، إنها ليست قطتك، بل شمس الصباح التي تضيء مدخنة الدار». بيد أن هنزل لم يكن يلتفت نحو قطته، بل كان كلما توقّف يرمي حصاة بيضاء من جيبه على الدرب.

عندما وصلوا إلى وسطِ الغابة قال الأب: «هيّا اجمعا حطباً يا ولديّ، وأنا سأوقد ناراً كيلا تبردا». جمع هنزل وغريتل كومة كبيرة جداً من الأغصان الجافة وأشعل الأب فيها النار، وعندما ارتفعت ألسنة اللهب قالت زوجة الأب: «اقتربا من النار الآن واستريحا، أما نحن فسنذهب للتحطيب، وعندما ننتهي من عملنا سنعود لنأخذكما».

جلس هنزل وغريتل قرب النار وعند الظهر أكل كل منهما قطعة خبزه الصغيرة. ولأنهما كانا يسمعان ضربات فأس ظنّا أن أباهما قريب. لكنها لم تكن ضربات فأس التّحطيب، بل غصنٌ ربطه الأب إلى شجرة عجفاء وصارت الريح تحركه

Twitter: @ketab_n

فيصدر هذا الصوت. ولما طال بهما الجلوس أغمض التعب عيونهما وناما بعمق.

عندما استيقظا أخيراً كان الليل الحالك قد حل، فأخذت غريتل تنشج وتقول: «كيف سنخرج الآن من الغابة؟» فواساها هنزل بقوله: «انتظري قليلاً ريثما يسطع نور القمر، وعندها سنجد الطريق». وعندما أضاء البدر الغابة أمسك هنزل يد أخته وأخذ يتبع الحصوات التي أخذت تلتمع مثل قطع عملة ذهبية جديدة فتدلّهما على الطريق. مشيًا طوال الليل ووصلا مع انبلاج الصبح إلى دار والدهما. قرعا الباب، ولما فتحته زوجة أبيهما ورأت أنهما هنزل وغريتل، قالت: «أيها الشريران، لماذا أطلتما النوم في الغابة حتى ظننا أنكما لا تريدان الرجوع إلى الدار!» في حين فرح الأب بسلامتهما، فقد انقبض قلبه لتركهما وحيدين هناك.

بعد مدة ليست طويلة عمّت الضائقةُ البلد مجدداً، وسمع الطفلان زوجة أبيهما تقول له في السرير ليلاً: «لقد نفد ما عندنا من طعام، ولم يتبق سوى نصف رغيف لا غير. لا بدّ من التّخلص من الطفلين. سنأخذهما إلى مكان أبعد في الغابة، كيلا يجدا طريق العودة ثانية، وإلاّ فلا خلاص لنا نحن». امتلأ قلب الأب كمداً وفكر: «الأفضل هو أن تتقاسمَ اللقمة الأخيرة مع أولادك». لكن زوجته رفضت كل ما ساقه من حجج ونهرته بشدّة ولامته قائلة: «من يفعلها مرّة يجب أن يفعلها ثانية». ولأنه انصاع لها أول مرة اضطرّ للانصياع في المرّة الثانية أيضاً.

كان الطفلان مستيقظين في سريريهما وسمعا الحديث كله. وعندما نام الكبار نهض هنزل ثانية وأراد التسلل إلى الخارج ليجمع الحصى كالمرة السابقة، بيد أن زوجة الأب كانت قد أقفلت الباب فلم يتمكن هنزل من الخروج، ومع ذلك واسى أخته قائلاً: «لا تبكي يا غريتل، ونامي بهدوء فالرب لا شك سيساعدنا».

وفي الصباح الباكر جاءت المرأة وأيقظت الطفلين من سريريهما وأعطتهما قطعتي خبز أصغر من المرة السابقة. وأثناء الطريق فتّت هنزل خبزته في جيبه وأخذ يكثر من التوقُّف ويرمي الفُتات على الأرض فسأله أبوه: «ما بالك تتوقف وتتلفت من حولك؟ امشِ في طريقك». فأجاب: «إني ألتفت نحو حمامتي

Twitter: @ketab_n

الصغيرة الواقفة على سطح الدار لتودعني». فقالت المرأة: «إنها ليست حمامتك أيها الأحمق، بل شمس الصباح التي تضيء مدخنة الدار». أما هنزل فقد تابع رمي الفتات بالتدريج على طول الطريق.

قادتهما المرأة إلى مكان بعيد في عمق الغابة لم يدوساه سابقاً قط. ومرة أخرى أوقِدت هناك نار كبيرة، ثم قالت لهما المرأة: «ابقيا جالسين هنا، وإذا تعبتما لا بأس في أن تناما قليلاً، سنتوغّل نحن في الغابة لنحتطب، وعندما ننتهي مساء سنعود لأخذكما معنا».

عند الظهر تقاسمت غريتل قطعة خبزها مع أخيها الذي نثر فتات قطعته أثناء الطريق، ثم ناما، ومر المساء من دون أن يأتي أحد لاصطحاب الطفلين المسكينين. عندما استيقظا كان الليل حالكاً، وواسى هنزل أخته قائلاً: «انتظري يا غريتل ريثما يسطع نور القمر، وعندها سنرى فتات الخبز التي نثرتُها، فهي سترشدنا إلى طريق الدار». عندما أضاء القمر أرض الغابة نهضا، لكنهما لم يعثرا على الفتات، فقد التقطتها آلاف الطيور التي تطير عبر الغابة. فقال هنزل لغريتل: «ومع ذلك سنجد الطريق». لكنهما لم يجداه. مشيا طوال الليل ويوماً آخر من الصباح حتى المساء من دون أن يخرجا من الغابة، وكانا جائعين جداً، لم يأكلا سوى بعض حبّات التوت التي التقطاها من الأرض. ولأن أقدامهما لم تعد تحملهما من شدة التعب فقد استلقيا تحت شجرة وناما.

وها قد بدأ الصباح الثالث منذ أن غادرا دار والديهما، فانطلقا يمشيان من جديد، لكنهما كانا يزدادان توغلاً في الغابة بدل الخروج منها، وإن لم تصلهما نجدة سريعة فسيهلكان.

عند الظهر شاهدا طيراً أبيض كالثلج واقفاً على غصن ويغرد بعذوبة فتوقفا لينصتا إليه، وعندما انتهى خفق بجناحيه وطار على مسافة أمامهما فتبعاه حتى وصلا إلى بيت صغير حطّ الطير على سطحه. عندما اقتربا من البيت تبين لهما أنه مبني من خبز، وسطحه مغطّى بالكعك المحلى، ونوافذه من السُّكر الشفاف.

Twitter: @ketab_n

فقال هنزل: «هيا بنا لتناول وجبة مباركة. سأبدأ بقطعة من السطح، وأنت يا غريتل كلي من النافذة فطعمها حلو المذاق». رفع هنزل ذراعه وكسر قطعة من السقف ليجرب طعمها، بينما أخذت غريتل تُقَرمِش من ألواح النوافذ. وفجأة جاءهما صوتٌ رفيعٌ من داخل البيت يقول:

«أسمعُ قرمشةً في أذني،

من الذي يُقرمِش من بيتي؟»

فأجاب الطفلان:

«إنها الرياح، الرياح،

أرسلتها السماء عبر البطاح».

وتابعا الأكل من دون أن يرتبكا. أُعجب هنزل بطعم كعك السقف فكسر لنفسه قطعة كبيرة منه في حين انتزعت غريتل لوح نافذة مستديرة وجلست تأكلها باستمتاع.

وفجأة انفتح الباب وخرجت منه عجوز في أرذل العمر تتوكأ على عكاز. ارتعب الطفلان رعباً شديداً فأسقطا ما كانا يمسكانه بأيديهما. أما العجوز فهزت رأسها يمنة ويسرى وقالت: «يا سلام، أيها الطفلان العزيزان، مَن أوصلكما إلى هنا؟ تفضّلا وابقيا في ضيافتي، ولن يمسّكما أي سوء». وأمسكت بيدي الطفلين وقادتهما إلى داخل بيتها الصغير حيث قدمت لهما طعاماً طيباً: حليباً وفطائر محلاة بالسكر مع تفاح وجوز. ثم فرشت لهما سريرين صغيرين بشراشف بيضاء، فاستلقى هنزل وغريتل وهما يظنّان أنهما في الجنّة.

كانت العجوز تتظاهر باللطف والود، لكنها في حقيقة الأمر كانت ساحرة شريرة، تربّصت بالطفلين وبنت بيت الكعك المحلّى لتغويهما فحسب. وإذا وقع

Twitter: @ketab_n

أحدهم تحت سطوتها تقتله ثم تطبخه وتأكله، ويكون ذلك بالنسبة إليها يوم عيد.

للساحـرات عادة عيون حمراء ويشكين من قِصر النظر، لكنهن يمتلكن حاسة شم قويـة كالحيوانات فيشعرن باقتراب البشر. وعندمـا اقترب هنزل وغريتل من بيتهـا ضحكت ضحكة شريرة وقالت لنفسها بلـؤم: «لقد أوقعت بهما ولن يفلتا مني».

قبـل أن يستيقظ الطفلان في الصباح الباكـر كانت قد نهضت، وعندما رأتهما نائميـن، جميلين بخدودهمـا الوردية همسـت لنفسها قائلـة: «سيكونان وجبة شهيـة»، وأمسكت هنـزل بيدها العجفـاء وقادته إلـى اسطبل صغيـر حبسته فيه وراء بـاب من قضبان حديدية، لا نجاة له منـه، مهما صرخ. ثم عادت إلى غريتل وأخذت تهزُّها وهـي تقول: «انهضي أيّتها الكسولة، اجلبـي ماءً واطبخي طعاماً دسماً لأخيك، إنه يجلس في الخارج في الاسطبل، ويجب تسمينُه، وعندما يصير سمينـاً سآكله». بـدأت غريتل تبكي بمرارة، لكن ذلك كله لـم يجدِ نفعاً، إذ كان عليها تنفيذ ما تطلبه منها الساحرة الشريرة.

صار هنزل منذئذ يأكل أفضل الأطعمة، في حين لم تقدم الساحرة لغريتل سوى بقايا السرطانات النّهريـة، وتتسلل كل صباح إلى الاسطبل وتصيح: «مد أصبعك يـا هنـزل لأتأكد من أنك تسمن» فيمـد لها هنزل قطعة عظم صغيـرة، تتحسّسها العجوز ذات العينين الضعيفتين وتظنها أصبع هنزل، فتستغرب أنه لا يسمن.

بعد انقضاء أربعة أسابيع، من دون أن يسمن هنزل، فقدت العجوز صبرها ولم تعد تطيق الانتظار. فنادت الفتاة: «يا غريتل، هيا، كوني خفيفة واجلبي ماء. سواء كان هنـزل سميناً أم نحيلاً، سأذبحه غداً وأطبخـه». فأخذت أخته الصغيرة تعول وتسفح الدموع وهي تبتهل وتقول: «يا ربي ساعدنا! لو أكلتنا الوحوش المفترسة في الغابة، لكنا على الأقل متنا معاً». فصاحت بها العجوز: «وفّري زعيقك، فكل هذا لن يفيدك شيئاً».

Twitter: @ketab_n

وكان على غريتل منذ الصباح الباكر أن تعلّق القدر المملوء بالماء وتُشعل النار تحتـه، لكن العجوز قالت لهـا: «علينا أن نخبز أولاً. لقد أوقـدتُ النار في الفرن وعجنتُ الطحين»، ودفعت غريتل المسكينة باتجاه الفرن الذي كانت ألسنة النار تخرج من فتحتـه، وأمرتها الساحرة: «ازحفي إلى داخل الفرن وتأكدي من كون حرارتـه كافية لإدخال الخبز،» وكانت تعتزم حالمـا تصبح غريتل داخله أن تغلق بابـه لتشويها بناره ثـم تأكلها. لكن غريتل لاحظت ما يـدور في خلدها، فقالت: «لا أعـرف كيف عليَّ أن أفعل ذلـك، أقصد كيف أدخل؟» فأجابتها العجوز: «ما أغبـاكِ، الفتحة واسعة بما يكفـي، انظري، إنها تكاد تسعنـي أنا» وتقدمت ببطء وأدخلت رأسها في فتحـة الفرن، وعندها دفعتها غريتل إلى داخله بشدة وأغلقت بابـه ثم أوصدتـه. فبدأت الساحرة تولـول بأصوات مخيفة، لكـن غريتل هربت مبتعدة تاركة السّاحرة الكافرة لتحترق بشرورها.

ركضـت غريتل إلى هنزل مباشرة، رفعت العارضة وفتحت قفل الاسطبل وهي تصيـح: «لقد نجونا، الساحرة العجوز ماتـت». قفز هنزل خارجاً مثل طير يغادر القفصـ عندمـا يُفتح له الباب، وفرحـا فرحاً عظيماً وتعانقا وتبـادلا القبل وأخذا يقفزان هنا وهناك. ولأن الخوف قد زال، دخلا بيت الساحرة العجوز فوجدا في كل مكان منه صناديق مملوءة باللآلئ والأحجار الكريمة. فعلّق هنزل قائلاً: «إنها أفضل من الحصى»، وملأ منها جيوبه. وقالت غريتل: «وأنا أيضاً سآخذ منها معي إلـى الدار»، وملأت مريلتها. وعندها قال هنزل: «لا بد لنا أن نغادر فوراً، لنخرج من غابة الساحرة».

وبعد أن قطعا مسافة ساعتين مشياً وصلا إلى ضفة نهر، فقال هنزل: «لا يمكننا عبـوره، فأنا لا أرى لسانـاً خشبياً للقوارب ولا جسـراً»، فأجابته غريتل: «هنا لا توجد قوارب صغيرة ولا كبيرة. لكنني أرى هناك بطة بيضاء تسبح، سأرجوها أن تنقلنا إلى الضفة الأخرى»، ونادتها:

«أيتها البطّة اللطيفة،

Twitter: @ketab_n

هنزل وغريتل على الضفة،

حيث لا جسر ولا لسان،

خذينا على ظهرك الآن».

فجاءتهما البطّة حقّاً، فركب هنزل على ظهرها وطلب من أخته الصغيرة أن تركب وراءه، فقالت غريتل: «لا، سنكون ثقيلَين على البطّة اللطيفة، فلتأخذنا الواحد بعد الآخر». وهذا ما فعله الحيوان الطيب حقاً. عندما وصلا إلى الضفة الأخرى بسلام ومشيا بعض الوقت لاحظا أن الغابة باتت مألوفة بالنسبة إليهما، فأخذا يتقدّمان بثقة، إلى أن لاحت لهما عن بعد دار أبيهما، فأخذا يركضان، ثم اندفعا داخلين إلى الغرفة وارتميا على عنق أبيهما الذي لم يعرف ساعة هناءٍ منذ أن تركهما في الغابة. أما زوجته فكانت قد ماتت. نفضت غريتل مريلتها فانتثرت اللآلئ والأحجار الكريمة على أرض الغرفة، في حين أخذ هنزل يفرغ جيوبه قبضة وراء قبضة. وبذلك انتهت جميع الهموم والمشاكل وعاشوا معاً في سعادة وهناء. إلى هنا انتهت حكايتي، وهناك يركض أرنب، مَن يمسك به، يحق له أن يصنع من فرائه قبّعة.

×××

Twitter: @ketab_n

(١٦)

ورقات الأفعى الثلاث

كان هناك رجل فقير لم يعد قادراً على إعالةِ ابنه الوحيد، فقال له الإبن: «يا أبي الحبيب إنّ حالك قد صار بائساً، وصرتُ أنا عِبئاً ثقيلاً عليك، لذلك أفضِّلُ أن أرحل بحثاً عن رزقي بنفسي». فمنحه أبوه بركاته وودّعه بحزنٍ كبير.

في ذلك الوقت كان ملكُ دولةٍ قويةٍ يخوض حرباً، فدخل الفتى في خدمته وصار جنديّاً في الميدان. وعندما واجه العدو في المعركة المحتدمة كان الوضع ينذر بالخطر بسبب رصاص البنادق المنهمر عليهم كالمطر، مما أدى إلى سقوط زملائه من حوله على نطاق واسع. وعلى الرغم من بقاء قائدهم أراد الآخرون الهروب من المعركة، لكن الفتى هبَّ من بينهم وخطب فيهم مشجعاً وقال: «نحن لا نريد الدمار لوطننا». فتبعه الآخرون وهو يهاجم العدو ويهزمه. عندما سمع الملك أن النصر كان بفضله وحده، رفع مكانته فوق الجميع ومنحه كنوزاً وجعله الرّجل الأول في المملكة.

كان لدى الملك ابنة بالغة الجمال من ناحية وغريبة الأطوار من ناحيةٍ أخرى، فقد آلت على نفسها ألا تتزوج أحداً ؛ إن لم يعدها الخطيب، في حال موتها قبله، أن يُدفن معها وهو حيّ يرزق. وكانت تقول: «إذا كان يحبني من كل قلبه، فما فائدة حياته بعدي؟» وأعلنت استعدادها للقيام بالفعل نفسه، أي أن تُدفن حيّةً معه، إنْ مات قبلها. وحتى ذلك الوقت كان هذا النذر قد أرعب وأبعد جميع الخطاب، لكن جمالها الفتان استحوذ على الفتى إلى حد أنّه لم يأبه لأيِّ شيء، وإنما طلب يدها من أبيها الملك، الذي خاطبه قائلاً: «أتعرف الوعدَ الذي عليك أن تقدمه

Twitter: @ketab_n

لهــا؟» فأجاب الفتى: «أن أُدفن معها حياً، إذا عشت بعد موتها. لكن حبي العظيم لهــا يجعلني لا أهاب هذا الخطر». عندها وافق الملــك وأُقيم الزفافُ في احتفالٍ عظيمٍ بهيج.

عاشـ الزوجــان مدة من الزمن مــع بعضهما بسعادة ورضــا، ولكن خدث أن أصيبــت الأميرة الشابّة بمرضٍ خطيرٍ عجــزَ الأطبّاء عن شفائها منه. وعندما ماتت تذكــر الأميــر الشاب ما كان عليه أن يعد به، وفزع من فكــرة أن يدخل القبر حياً. ولكــن ليس ثمّة مخرج آخر، فقد وضع الملــك حرساً عند جميع أبواب المدينة، ثم إن الهروب من القدر لم يكن ممكناً.

وعندمــا جاء يوم دفن الجثمان في الأقبية الملكية اقتيد مع الجنازة إلى المدفن ثــم أُغلقت بوابته وأرتجت. كان في المدفن إلى جانب التابوت أربعة شمعدانات وأربعــة أرغفة خبز وأربع زجاجات نبيذ. وحالما تنتهي هــذه الزوادة تبدأ نهايته، فجلــس هناك غارقاً في الألم والحزن، يأكل كل يوم لقمة خبز ويشرب جرعة نبيذ ورأى الموت يقترب رويداً رويداً.

وفيمــا هو يحملق في الفراغ رأى أفعــى تزحف متقدمة من زاوية القبو باتجاه التابــوت. ظن أنها تبغي قضم شيء من الجثمــان، فاستل سيفه قائلاً: «لن تلمسيها مــا دمتُ حياً»، وقطعها بضربتين ثلاث قطع. بعد فترة قصيرة خرجت من الزاوية نفسهــا أفعى أخــرى، ولما رأت الأخرى ميتة ومقطّعة عــادت من حيث أتت، ثم خرجت تزحف ثانية حاملة في فمها ثلاث ورقات خضراء، ثم رتَّبت القطع الثلاث كما ينبغي أن تكون ووضعت فوق كل جرح إحدى الورقات الخضراء، فما لبثت القطع الثلاث أن التأمت مع بعضها ودبّت فيها الحياة، وبسرعة انسحبت كلتاهما وغابتا. أما الورقات الخضراء فبقيت على الأرض، فخطرت ببال الأمير المنكود، الــذي رأى كل شــيء، فكرة ما إذا كانت طاقــة الأوراق العجيبة يمكن أن تسعف إنساناً، مثلما أحيت الأفعى.

فحمــل الأوراق ووضــع إحداهــا على فم الميتــة والأخرين علــى عينيها. ما

Twitter: @ketab_n

إن فعل ذلك حتى تحرك الدم في أوردة الجثمان صاعداً نحو الوجه الشاحب فاستعاد نضارته الوردية، ثم تنفست الميتة وفتحت عينيها وقال: «يا إلهي، أين أنا؟» فأجابها الأمير: «أنت إلى جانبي يا زوجتي الحبيبة»، وحكى لها كل ما جرى وكيف أعاد إليها الحياة، ثم ناولها بعض الخبز والنبيذ. وعندما استردت قوتها نهضت من التابوت، وذهبا إلى بوابة المدفن وأخذا يخبطان عليها بأيديهما ويصيحان حتى سمعهما أحد الحراس فأخبر الملك، الذي حضر بنفسه وفتح لهما البوابة ليجدهما أمامه حيّين يرزقان، ففرح معهما بالتغلّب على المحنة التي مرت بهم جميعاً. أما الورقات الخضراء الثلاث فقد أخذها الأمير الشاب وأعطاها لأحد خدمه قائلاً: «احفظها لي معك بحرص، واحملها معك دائماً، فمَن يدري في أي شِدةٍ يمكن أن تسعفنا».

لكن ثمة تغير طرأ على الأميرة بعد أن عادت إليها الحياة: وكأن كل حبها لزوجها قد مُحيَّ من قلبها. وبعد فترة قصيرة أراد الأمير أن يُبحر لزيارة أبيه العجوز، فركب مع زوجته وخادمه إحدى السفن. وفي عرض البحر نسيت الزوجة الحب العظيم والإخلاص الكبير الذي أبداه زوجها تجاهها عندما أنقذها من الموت ومال قلبها باندفاع شرير نحو قبطان السفينة.

وذات يوم عندما كان الأمير نائماً في سريره، نادت الرُّبان، وحملا الأمير النائم من رأسه وقدميه ورمياه في لجة البحر. وحالما تمّ لهما ذلك، خاطبت الأميرة الربان قائلة: «لنعد الآن إلى الديار، وسنزعم أنه قد مات أثناء الطريق. وسأمتدحك وأرفع من مكانتك عند أبي الملك فيزوّجني لك ويجعلك وريث العرش». أما الخادم المخلص الذي رأى وسمع كل شيء، فقد قام سراً بإنزال قارب نجاة من السفينة، ركبه وجدَّف وراء سيده مبتعداً عن السفينة، ثم انتشل سيده الميت من الماء، واستعان بالورقات الخضراء الثلاث بوضعها على فم وعيني الميت، فنجح في إعادة الحياة إليه.

جدّف كلاهما بكل طاقتهما نهاراً وليلاً، فمخر قاربهما الصغير العباب بسرعة

Twitter: @ketab_n

الطير، فوصلا إلى الملك قبل السفينة الكبيرة. عندما رآهما الملك داخلين عليه في القصر، استغرب الأمر وسألهما عما جرى. ولمّا علم بفعلة ابنته الشريرة قال: «لا أستطيع أن أصدق سلوكها الشائن هذا، لكن الحقيقة سرعان ما ستظهر»، وأمرهما بالاختباء في حجرة سريّة بحيث لا يعرف أحد بوجودهما.

بعد حين وصلت السفينة الكبيرة إلى الميناء، ومثّلت الزوجة الكافرة أمام والدها بسحنة مكفهرة. فسألها: «لماذا عدت وحدك؟ أين زوجك؟» فأجابت: «آهٍ يا أبي الحبيب، إني أعود إلى الديار مكلومة محزونة، فلقد مرض زوجي فجأة أثناء الرحلة ومات، ولولا مساعدة الرّبان الطيب لساءت أحوالي، لقد كان حاضراً عندما فارق زوجي الحياة، ويمكنه أن يخبرك بكل شيء». فقال الملك: «لكنني سأحيي الميت»، وفتح باب الحجرة السرية وأمر الاثنين بالظهور. عندما رأت الزوجة زوجها حياً أمامها، كانت كمن ضربتها صاعقة، فخرت على ركبتيها طالبة العفو. فقال الملك: «لا عفو في هذا الأمر. لقد أبدى استعداده للموت معك، ومنحك الحياة ثانية، أما أنت فقد قتلته أثناء نومه، ولهذا سوف تلقين أجرك الذي تستحقين». ووُضِعت مع شريكها في الجريمة على متن سفينة تملؤها الثقوب ودُفعت إلى عرض البحر حيث سرعان ما غرقت براكبيها.

×××

Twitter: @ketab_n

(١٧)

الحيّة البيضاء

فـي قديم الزمان عاش ملك عُرِف بحكمته في طول البلد وعرضها، فلم يخْفَ عليـه أمر مهما كان، وكأن أكثـر الأسرار تكتماً كانت تصلـه أخبارها عبر الأثير. وكانت له عادة عجيبة. كان يومياً ظهراً بعدما تُفرغ المائدة من كل ما عليها ويبقى فـي غرفة الطعام وحده، يأتيه خادم موثوق بصحفـة طعام ذات غطاء، ولم يعرف الخـادم ولا أي شخـص آخر في القصر مـا فيها. إذ لم يكن الملـك يرفع غطاءها ويـأكل منها إلا عندما يكون وحده تماماً ، وقد حافظ الملك على هذه العادة مدة طويلة.

وذاتَ يـوم تملّك الخـادم فضول قاهر ليعرف ما فيها، وبـدلاً من إيصالها إلى المطبخ بعد انتهاء الملك منها أخذها إلى غرفته. أرتج الباب وراءه بحرص ثم رفع غطـاء الصحفة، فوجد فيها حيّة بيضاء، فلم يستطع السيطرة على نفسه ومنْعَ نفسه مـن تذوّقهـا، فقطع منها لقمة بالسكيـن ووضعها في فمه، ولكـن ما أن لامست اللقمة لسانه حتى سمع من خارج نافذته أصواتاً حادة مثل تهامس غريب. اقترب من النافذة وأنصت فلاحظ أنهـا أصوات العصافير وهي تتبادل الحديث وتحكي لبعضها عما رأته في الحقول والغابة. لقد منحه تذوق لحم الحيّة القدرة على فهم لغات الحيوانات.

وصـادف في ذلك اليوم تحديداً أن فقـدت الملكة أجمل خواتمها، وتركّزت الشكوك حول هذا الخادم الموثوق والمتاح له الدخول إلى كل مكان في القصر. أمـره الملك بأن يَمثُل أمامه، وهدّده وهو يشتمه بكلمات مقذعة، بأنه إن لم يذكر

Twitter: @ketab_n

اســم الفاعل حتى الغد فستثبت عليه التهمة وسـوف يُدان. أكدّ الرجل على براءته مراراً وتكراراً، ولكن بلا فائدة، سوى سماعه الإنذار ثانية قبل انسحابه.

اجتاحه القلق والخوف فخرج إلى باحة القصر ليفكّر بمخرج من هذا المأزق. كانـت البطّات هناك على ضفّة الجدول تجلس إلـى جانب بعضها بسلام تنظّف ريشهـا بمناقيرها وتملّسه وتديرُ فيما بينهـا الحديث المعتاد، فوقف الخادم قربها منصتاً. تحدثت البطـات عن أماكن تجوالها خلال اليوم وعن الطعام الجيد الذي عثرت عليه هنا وهناك، إلى أن قالت إحداها بإنزعاج: «هناك ما يثقل على معدتي. كان هنـاك خاتم علـى الأرض تحت نافذة الملكة، فابتلعتـه سهواً بسبب تسرعي فـي الأكل». فأمسكها الخادم من عنقهـا وحملها إلى المطبخ حيث قال للطباخ: «اذبح هـذه فهي سمينة كفاية». فوزنها الطباخ بيده وقـال: «حسناً، يبدو أنها لم توفـر جهداً فـي تسمين نفسها، وهي تتلهـف منذ فترة للوصول إلـى المشواة». وقطع رقبتها.

وعندمـا أُفرغت أحشاؤها وُجِد خاتم الملكة فـي معدتها، وبذلك سَهُل على الخـادم تقديم البرهان على براءته أمـام الملك. أراد الملك أن يصحح خطأه بحق الخـادم، فسمح له بـأن يطلب المِنَّة التـي يشاءُ ووعده بمنحه أعلـى مرتبة شرف يختارها في البلاط.

رفضـ الخادم هذه العروض كلها، لكنّه رجا الملـك أن يمنحه حصاناً وبعض المال لرحلة ينوي القيام بها ليتعرف على الدنيا من حوله لمدّة من الزمن. وعندما لبّـى الملك طلبه انطلق الخـادم في رحلته، فمرّ ذات يوم أثنـاء الطريق قرب بركة كبيـرة ولاحظ أن ثـلاث سمكات قد علقت بين أعواد القصـب عند الضفة وهي تنتفضـ للعودة إلـى الماء فتتحرر. وعلى الرغم مما يقال عـن بُكْم السمك، سمع الخـادم شكواهـا بأنها ستلاقي بئسـ المصيرِ بين القصب. ولـمّـا كان قلبه شفوقاً فقـد ترجل عن حصانه وحـرر السمكات الأسيـرات، فلعبطت فرحـاً وسروراً، وأخرجت رؤوسها وقالت: «سنشكرك ونجزيك لإنقاذك إيانا».

Twitter: @ketab_n

تابع الخادم طريقه، وخيّل إليه بعد حين وكأنه يسمع صوتاً قادماً من تراب الأرض، فأنصت وسمع شكوى ملكِ النمل يقول: «لو أنّ البشر وحيواناتهم الخرقاء تكفّ عن إيذائنا! ما بال هذا الحصان الغبي يدوس شعبي بحوافره الثقيلة من دون أي شفقة!» فانعطف الخادم بحصانه إلى درب جانبي وسمع صوت ملك النمل من ورائه يقول: «سنشكرك ونجزيك».

أدى به الدرب إلى غابة، رأى فيها غرابين، ذكراً وأنثى، يقفان على غصن قرب عشهما ويرميان صغارهما إلى خارجه وهما يقولان: «هيا اخرجوا أيها الكسالى، نحن لم نعد قادرين على إشباعكم، لقد كبرتم وصار بوسعكم إطعام أنفسكم بأنفسكم». وكان صغار الغربان على الأرض يخفقون ويضربون بأجنحتهم الطرية ويصيحون: «كيف لنا نحن الصغار العاجزين أن نطعم أنفسنا! إننا لا نستطيع الطيران بعد! ماذا تبقى لنا سوى أن نموت هنا جوعاً!» فترجل الخادم وقتل حصانه بسيفه وتركه طعاماً لصغار الغربان. اقترب الغربان وأكلوا حتى شبعوا ثم صاحوا: «سنشكرك ونجزيك».

والآن بات الخادم مضطرّاً للمشي على قدميه، وبعد أن قطع مسافات طويلة وصل إلى مدينة كبيرة شوارعها مزدحمة ومليئة بالضجيج. ثم جاء منادٍ على حصان وأعلن أن ابنة الملك تبحث عن زوجٍ، ومن يريد التقدم لطلب يدها عليه أن ينجز مهمة كبيرة، وإن لم يوفق في تنفيذها فقد قُضي على حياته. ولقد حاول ذلك كثيرون، لكنّهم خسروا أرواحهم سدى. وعندما رأى الخادم الفتيُّ الأميرة بعينيه، أعماه جمالها الفتّان عن جميع الأخطار، فطلب يدها من الملك.

أُخِذ الخطيب الجديد في قاربٍ إلى عرض البحر حيث رُمي أمام عينيه خاتم ذهبي إلى قعره. بعد ذلك أمره الملك بإخراج هذا الخاتم من قاع البحر وقال مضيفاً: «إذا عدت من دونه إلى الأعلى فستُدفعُ إلى الغطس مجدداً ومجدداً إلى أن تموت». أسف الجميع على الشاب الوسيم، لكنهم تركوه عند البحر

Twitter: @ketab_n

وحـده وعادوا لشؤونهـم، فوقف على الشاطئ وهو يفكر بمـا عليه أن يفعل، وإذ بثـلاث سمكات تتقدم منه سابحة. كانت وسطاها، تحمل في فمها صدفةً وضعتها على الشاطئ عند قدمي الخادم الذي رفعها وفتحها بيديه، فوجد فيها الخاتـم الذهبي. كانت السعادة تملأ جوانحه عندما قدّمه إلى الملك متوقِّعاً أن يتلقّى لقاءه المكافأة الموعودة.

غيـر أن الأميـرة المغرورة التي عرفـت أنه أدنى من مستواهـا الإجتماعي، ازدرته وطالبته بتنفيذ مهمة ثانية قبل الزواج.

نزلـت إلـى الحديقة ونثـرت بنفسها عشـرة أكياس من الـذرة البيضاء بين الحشائش وأمرته قائلة: «عليك أن تجمعها كلها، من دون أن تنقص حبّةٌ واحدة، قبـل شروق الشمس غداً!» جلس الخادم فـي الحديقة وهو يفكّر بطريقة لحل المشكلـة، لكنه لـم يستطع التوصل إلى أي حل، فبقـى جالساً غارقاً في حزنه بانتظار انبلاج الفجر ليُساق إلى حتفه. ولكن مع بزوغ أولى إشعاعات الشمس علـى الحديقـة رأى الأكياس العشرة ممتلئة ومصفوفـة إلى جانب بعضها، من دون أن تنقصهـا حبة واحدة. فقـد حضر ملك النمل مع آلاف مؤلفة من النمل في الليل فجمعوا الذرة بهمة كبيرة اعترافاً بالجميل. وقد نزلت الأميرة بنفسها إلى الحديقة لترى بعينيها أنه قد نفّذ المهمة حقّاً.

ومـع ذلك لم يلن قلبها المغرور، فقالت: «حتـى وإنْ نفَّذ المهمتين فإنه لن يصيـر زوجي قبل أن يأتيني بتفاحة مـن شجرة الحياة». لم يكن الخادم الوسيم يعـرف أين توجد شجرة الحيـاة، لكنه انطلق ماشياً، مصـرّاً على الاستمرار ما دامـت ساقاه تحملانـه، ورغم أنه لم يكن آملاً بالعثـور عليها. وبعد أن تجول عبر ثلاث ممالـك وصل إلى غابة، فجلس تحت إحدى الأشجار يبتغي النوم، عندمـا سمع صوتـاً صادراً من بين الأغصان، تبعه سقـوط تفّاحة ذهبية في يده المفتوحـة. ثم حـطَّ على ركبتيه مـن الشجرة ثلاثـة غربان وقالـوا له: «نحن الغربـان الثلاثة الصغار الذين أنقذتهم من المـوت جوعاً. عندما كبرنا وسمعنا

Twitter: @ketab_n

أنـك تبحث عن شجرة الحياة، طرنـا فوق البحر وإلى آخر الدنيا، حيث توجد شجرة الحياة وجلبنا لك منها هذه التفاحة».

غمرت السعادة الخادم الفتي فانطلق عائداً أدراجه وأوصل التّفاحة الذهبية إلى الأميـرة الجميلة التـي لم يعد لديها أي عذر. تقاسما التفاحـة وأكلاها معاً، فامتلأ قلبها بالحب تجاه خطيبها، فتزوّجا وعاشا سنوات طويلة معاً في سعادة وهناء.

×××

Twitter: @ketab_n

(١٨)

القشة والفحمة وحبة الفاصولياء

كانـت هناك عجوزٌ فقيرةٌ تعيش في قرية، وقـد تمكنت من جمع ما يكفي من حبـات الفاصولياء لطبخ وجبة تأكلهـا. فأشعلت ناراً في موقدهـا، ولكي تشتعلَ بسرعـة أكبـر ألقمتها قبضةَ يدٍ من القشـ. وعندما أفرغت حبـات الفاصولياء في القِدر، سقطت منها سهواً حبّة على الأرض إلى جانب قشة، وبعد قليل طارت من الموقد قطعة فحم ملتهبة وسقطت إلى جانب الحبّة والقشّة التي افتتحت الحديث بقولهـا: «من أين جئتما ايّتهاالصديقتان العزيزتان؟» فأجابت الفحمة: «من حُسن حظّـي أني طرت من نار الموقد، ولو لم أستخدم قوّتي لذلك لكان موتي محتوماً ولاحترقـت حتى أصبحـتُ رماداً». وقالـت الفاصولياء: «وأنـا نجوت بجلدي سالمـة، فلو سقطت في القدر لطبختني العجوز مع الأخريات من دون شفقة حتى نصبـح عصيدة». فقالت القشة: «وهل كان قـدَري أفضل يا ترى؟ جميع أخواتي احترقـن في النار، فقد قبضت العجوز بيدها علـى ستين منا دفعة واحدة وأعدمتنا فـي النار. لحسن حظي سقطتُ من بين أصابعها». فسألت الفحمة: «والآن، ماذا سنفعـل؟» فأجابـت الفاصوليـاء: «أرى، بما أن الحظ قد أسعفنـا من الموت، أن نتكاتـف ونبقـى معاً، وكيلا يصيبنا مكروه جديد هنا فلنهاجـر معاً إلى بلد آخر». لاقى الاقتراح إعجاباً، فانطلق الثلاثة معاً على طريق السفر.

وبعـد مدة غيـر طويلة وصلوا إلى جـدول صغير. وبما أنهم لـم يجدوا هناك جسـراً ولا لساناً خشبيـاً للقوارب، فإنهم لـم يعرفوا كيف سيصلـون إلى الضفة الأخرى. لكن القشّة وجدت حلاً جيداً، فقالت: «سأستلقي على الجدول بشكل

Twitter: @ketab_n

عرضانـي فيمكنكما العبور فوقي وكأني جسر». مدت القشة جسمها الطويل من الضفـة الأولى إلى الثانية، والفحمة المحمومة بطبيعتها خطت بلهفة وسرعة على الجسـر الجديـد. لكنها عندما وصلت إلـى منتصفه وسمعت خريـر الماء تحتها خافـت وتوقفت مـن دون أن تجرؤ علـى المتابعة نحو الضفـة الأخرى. فبدأت القشة تحترق تحت الفحمة ثم انكسرت نصفين وسقطت في الجدول، وانزلقت الفحمة وراءها فأصدرت صوت طشيش عندما لاقت الماء وأسلمت الروح.

أما حبة الفاصولياء التي كانت حذرة فانتظرت على الضفة فقد أصابها الضّحك لمـا حدث أمامها، ولم تستطع التوقف عن الضحك حتى انفزرت، وكادت تفقد روحهـا أيضاً لـولا وجود خياط كان يقوم بجولة وجلس هنـاك ليرتاح. ولأنه ذو قلـب شفوق أخرج الإبرة والخيـط من جيبه وخاط حبة الفاصوليـاء التي شكرته بامتنانٍ كبيرٍ. ولكن بما أنه قد استخدم في خياطتها خيطاً أسود صار لجميع حبّات الفاصولياء منذ ذلك الحين أثر خياطة سوداء.

×××

Twitter: @ketab_n

(١٩)

حكاية صياد السمك وزوجته

في قديم الزمــان كان هناك صياد سمك يعيش مع زوجته في قِدْرٍ فخاري كبير وعتيـق قرب شاطئ البحر. وكان الصياد يخرج يوميـاً إلى الشاطئ، يرمي سنّارته ويجلـس منتظراً طوال النهار وهو يحدّق في صفحة الماء الصافي. يجلس وينتظر ويحدّق.

وذات يوم انشدَّت سنارته بقوة نحو القاع، وعندما تمكن من سحبها خرجت لـه سمكة كبيـرة مفلطحة الشكل، خاطبتـه مباشرة بقولها: «اسمـع أيها الصياد، أتوسلُ إليك أن تدعني أعيش، أنا لستُ سمكةً حقيقية، أنا أمير مسحور، ما الذي ستستفيـده من قتلي؟ لن تستطيب طعمـي، أعدني إلى الماء ودعني أذهب». فقال لهـا الصياد: «لا حاجةَ بـكِ إلى كل هذا الكلام، فأي سمكـة قادرة على الكلام، كنـتُ سأدعها تذهب». وأعاد السمكة إلى المـاء الصافي، فسبحت باتّجاه القاع مخلفـةً وراءها خيطاً طويلاً من الدم. ثم نهض الصياد وعاد إلى زوجته في القِدْر، فسألتـه: «ألم تصطد شيئاً اليوم يا رجـل؟» فأجابها: لا، علقتْ في سنارتي سمكة كبيرة مفلطحة أخبرتني بأنها أمير مسحور فأعدتها إلى البحر». فسألته ثانية: «ألم تطلـب منها أن تحقّق لك شيئاً؟» فأجابهـا: «لا، وماذا عساي أن أتمنى؟» فقالت المـرأة: «السكن طوال العمـر في هذا القِدْر سيّءٌ لا يحتمل، فهو مقرف ورائحته كريهـة. كان بوسعك أن تتمنى كوخاً صغيـراً. ارجع إلى الشاطئ وناديها. قل لها أننـا نتمنى من كل قلبنا كوخاً صغيراً. مؤكد أنها ستلبيـك». فقال الصياد: «أعليَّ أن أرجـع الآن ثانية؟» فقالت المرأة: «يا سلام! ألم تصطدها وتتركها تسبح ثانية!

Twitter: @ketab_n

مؤكد أنها ستلبيك. هيا ارجع فوراً».

لـم يكن الصياد راغباً في الذهاب، لكنه في الوقت نفسه لم يرغب أن يعارض زوجته، فعاد إلى الشاطئ. عندما وصل رأى أن لون البحر قد صار أخضر وأصفر ولم يعد صافياً، فوقف هناك وهتف:

«أيها الأمير المسحورْ

سمكةً في مياه البحورْ،

زوجتي إلْزِبِل ركبها الغضب،

فهي لا ترغب مثلما أنا أرغب».

فاقتربـت منه السمكـة سابحة وسألته: «وماذا تريـد إذن؟» فقال الصياد: «بما أنـي قد اصطدتـك بسنارتي، تقول زوجتـي أنه كان علـيَّ أن أطلب منك تحقيق أمنيـة. وهي لم تعد تريـد السكن في القِدر، بل ترغب في كوخ صغير». فقالت له السمكة: «اذهب إليها. إنها في الكوخ الآن».

عـاد الصيـاد ليجد أن زوجته لـم تعد تقيم في القِدر، وإنمـا تجلس على مقعد أمام بـاب كوخ صغير. أمسكت زوجته بيده قائلة: «تعال ادخل وانظر، لقد صار الحـال أفضـل بكثير». فرأى فـي الكوخ دهليزاً صغيـراً يؤدي إلـى غرفة معيشة رائعة، وإلى حجرة نوم بسرير لكل منهما، ومطبخ وحجرة مؤونة، وكلها مجهزة بأفضل الأثاث والأدوات، وكل شيء يلمع من الجِدّة والنظافة، إضافة إلى الأواني القصديرية والنحاسية اللازمة. وكان هناك خلف الكوخ فناء صغير فيه بط ودجاج وحديقـة مزروعة بالخضـار وأشجار الفاكهة. «أنظر، أليس هـذا جميلاً؟» سألته المرأة، فأجابها: «نعم، ولنقنَع بما لدينا كي نعيش بسعادة حقيقية». فعلّقت المرأة قائلة: «هذا ما يجب أن نمعن التفكير فيه»، ثم تناولا الطعام وأويا إلى فراشيهما.

Twitter: @ketab_n

استمـر الحال نحو أربعة عشر يوماً على ما هو عليـه، ثم قالت المرأة: «اسمع يـا زوجي، هـذا الكوخ ضيّقٌ جـداً، والفِناء والحديقة صغيران جـداً. كان بوسع السمكـة المسحورة أن تهدينا داراً أكبر. أنا أتوق للعيش في صرحٍ حجريٍّ كبير. اذهب إلى السمكة واطلب منها صرحاً». فقال الرجل «يا امرأة الكوخ واسع بما يكفينـا، فما حاجتنا للسكن في صرح!» فردت المـرأة قائلة: «بالعكس يا رجل، أنت اذهب فقط، والسمكة ستلبيـك». فاعترض الرجل بقوله: «لا، يا امرأة، منذ بضعـة أيـام فقط أعطتنا السمكة الكوخ. وأنا لا أريـد أن أعود إليها بطلبٍ جديدٍ، فقـد تستاء». فأجابته المرأة: «اذهب أنت فحسب، فهي قادرة على ذلك ويسرُها تحقيقـه. ما عليك أنـت إلا الذهاب». كره الصياد الأمر ولـم يرغب في الذهاب وقال لنفسه: «الأمر ليس صائباً»، ومع ذلك فقد ذهـب.

عندما وصل إلى الشاطئ كان لون البحر بنفسجياً وأزرق داكناً ورمادياً عكراً، ولم يعد أخضر وأصفر، لكنه ما زال هادئاً، فوقف الصياد وهتف:

«أيها الأمير المسحورْ

سمكةً في مياه البحورْ،

زوجتي إلْزِبل ركبها الغضب،

فهي لا ترغب مثلما أنا أرغب».

فسألتـه السمكـة: «ومـاذا تريـد إذن؟» فأجـاب الصياد وفي كلامـه ما يشي بالأسف: «تريد أن تسكـن في صرحٍ حجري كبير». فقالت له السمكة: «اذهب إليهـا، إنها تقف أمامه». فمشـى الصياد وفي نيته العودة إلـى كوخه، لكنه عندما وصـل وجد فـي مكانه صرحـاً حجرياً كبيـراً، وكانت زوجته واقفـة على أعلى الدرج تنـوي الدخول، فأمسكت بيـده وقالت: «هيا تفضّـل». فدخل معها عبر ممشـى طويل أرضيتـه من المرمر، وقـد انتشر على جانبيه عـدد كبير من الخدم

Twitter: @ketab_n

لفتح الأبواب الكبيرة أمامهما، وكانت جميع الجدران لامعة ومزينة بلوحات جميلة، وكانت الغرف مملوءة بالطاولات والكراسي المذهبة وثريات الكريستال متدلية من السقوف فوقها. وكانت جميع الغرف والحجرات مفروشة بالسجاد، وبموائد متخمة بأفخم أنواع المأكولات والمشروبات، تكاد من ثقلها أن تنكسر الطاولات تحتها. وكان وراء القصر فناء واسع فيه اسطبلات للخيول والبقر إضافة إلى أفخر العربات، إلى جانب بستان كبير يغص بأجمل الورود والأزهار وأشجار الفاكهة. كما كانت هناك حديقة بطول ألف متر، فيها وعول وغزلان وأرانب وكل ما يمكن أن يرغب فيه إنسان. فسألته زوجته: «ما رأيك، أليس هذا جميلاً؟» فأجابها: «طبعاً، ولنقنعْ بالعيش في هذا الصرح الجميل». فعلّقت المرأة قائلة: «هذا ما يجب أن نُمعن التفكير فيه أثناء الليل» ودخلا ليناما.

في صباح اليوم التالي استيقظت المرأة قبل رجلها، وكان صباحاً منيراً يسمح لأي إنسان ولو من سريره بأن يرى بوضوح الأرض الرائعة الممتدة أمامه. كان الصياد يتمطى عندما لكزته بكوعها في جنبه وقالت: «انهض يا رجل وانظر من النافذة! ألا ترى معي أنه يمكننا أن نصبح ملوكاً على هذه الأرض كلها؟ اذهب إلى السمكة المسحورة وقل لها أننا نريد أن نكون ملوكاً». فقال لها الصياد: «ما هذا يا امرأة! نحن نصبح ملوكاً! أنا لا أريد أن أصبح ملكاً». فأجابته المرأة: «يا سلام، إذا كنت أنتَ لا تريد، فأنا أريد أن أصبح ملكة. اذهب إلى السمكة وقل لها أني أريد أن أصبح ملكة». فقال الرجل متعجّباً: «ما هذا يا زوجتي! أتصبحين أنت ملكة! لا استطيع أن أقول لها ذلك». «ولماذا لا؟» سألته المرأة وأمرته: «اذهب من فورك، فأنا يجب أن أصبح ملكة». خرج الصياد مغتمّاً من إصرار زوجته على أن تصبح ملكة، وقال لنفسه: «الأمر ليس صائباً، ليس صائباً». ومع ذلك فقد ذهب.

وعندما بلغ الشاطئ رأى لون البحر رمادياً قاتماً وكانت المياه تفور من الأسفل إلى السطح وتنبعث منها رائحة فاسدة. فتوقف هناك وقال:

Twitter: @ketab_n

أيها الأمير المسحور،

سمكةً في مياه البحورْ،

زوجتي إلْزِبِل ركبها الغضب،

فهي لا ترغب مثلما أنا أرغب».

فسألته السمكة: «وماذا تريد إذن؟» فأجابها الصياد وفي كلامه ما يشي بأسى: «تريد أن تصبح ملكة». فقالت السمكة: «اذهب إليها، فلقد صارت».

عاد الصياد أدراجه، وعندما اقترب من الصّرح وجد أنه قد كبر جداً وصار له برج عالٍ بزخارف رائعة. وكان حرس الشرف منتصباً عند البوابة، إضافة إلى عدد كبير من الجنود بطبولهم وأبواقهم. وعندما دخل القصر وجد كل شيء من المرمر المزيّن بالذهب، ورأى ستائر مخملية ذات شراريب ذهبية. ثم فُتح باب القاعة فرأى حاشية البلاط كلها محتشدة حول زوجته التي تعتلي عرشاً مرتفعاً من الذهب والماس، وعلى رأسها تاج ذهبي ضخم وفي يدها صولجان من الذهب الخالص والأحجار الكريمة، وقد اصطفت ست عذراوات على كل جانب من جانبي العرش المرتفع، كل واحدة منهن أقصر من التالية بمقدار رأس. فوقف الصياد هناك وقال: «آه يا زوجتي، هل صرتِ الآن ملكة؟» «أجل»، أجابت زوجته «الآن أنا ملكة». فنظر إليها وأمعن النظر طويلاً ثم قال: «آه يا زوجتي، يا لجمال أن تكوني ملكة! لكننا سنقنعُ الآن، ولن نتمنى شيئاً آخر». فأجابته المرأة في لهجة يشوبها التململ: «لا، يا رجل، السأم يقتلني، ما عدت أحتمل، اذهب إلى السمكة وقل لها: بما أنني قد صرت الآن ملكة، فلا بد من أصير قيصرة». فقال الصياد: «ما بك يا امرأة! لماذا تريدين أن تصيري قيصرة؟» فأمرته زوجته: «اذهب إلى السمكة. أنا أريد أن أصير قيصرة». فاحتج الصياد قائلاً: «ما أظنها يا امرأة تستطيع أن تجعلك قيصرة. ثم إني لا استطيع أن أطلب منها ذلك، ففي بلدنا كلها لا يوجد سوى قيصر واحد، ولا يمكن أن يوجد قيصر ثان. السمكة لا

Twitter: @ketab_n

تستطيع أن تصنع قيصراً، لا تستطيع، لا تستطيع». فردت المرأة: ماذا؟ أنا الملكة هنـا، وأنت زوجي فقط. ألم تسمع الأمر؟ اذهب فـوراً! إذا كانت السمكة قادرة علـى صنع الملوك فستكون قـادرة أيضاً على صنع القياصـرة. وأنا أريد أن أكون قيصرة. اذهب حالاً! »

وكان لا بـدَّ لـه من أن يذهب. وعلـى الطريق إلى الشاطـئ كان يشعر بخوف شديـد، وقال لنفسـه: «هذا كثير، هذا كثير جـداً. أن تصبح قيصـرة، هذا منتهى الوقاحة، والسمكة أخيراً ستملّ من الأمر كله».

وعندما بلغ الشاطئ رأى أن مياه البحر ما زالت سوداء خائرة، تفور من الأسفل نحو السطـح وتقذف الفقاعات، وهبت فجأة ريحٌ هيَّجت الموج عالياً مما أفزع الصياد، لكنه وقف هناك وقال:

أيها الأمير المسحور،

سمكةً في مياه البحورْ،

زوجتي إلْزِبِل ركبها الغضب،

فهي لا ترغب مثلما أنا أرغب».

فسألته السمكة: «وماذا تريد إذن؟» فأجابها الصياد: «آه أيتها السمكة، زوجتي تريد أن تصير قيصرة». فقالت السمكة: «اذهب إليها، فلقد صارت».

عاد الصياد أدراجه، وعندما وصل وجد أن القصر كله صار من المرمر الملمَّع مـع تماثيل من الرّخام الأبيض وزخارف مذهّبـة ورأى جنوداً يمشون أمام البوابة مشيـة عسكرية على إيقاعـات الطبول الصغيـرة والكبيرة وأبـواق النفير. أما في الداخـل فقد كان رجـال الإدارة القيصرية من أصحاب السمـو والمعالي والنيافة يتحركـون في المكان بمنزلـةِ الخدم، ففتحوا له الأبـواب المصنوعة من الذهب

Twitter: @ketab_n

الخالص. ولمّا دخل رأى زوجته جالسة على عرش منحوت من كتلة واحدة من الذهب بارتفاع ثلاثة أذرع، وعلى رأسها تاج ذهبي ضخم مطعم بالماس والياقوت، وكانت تحمل الصولجان بيمناها والكرة الامبراطورية بيسراها. وقد اصطف على جانبيها حراسها الشخصيّون في صفّين، بدءاً من عملاقٍ بطول ست أذرع إلى قزم بطول الخنصر، كما وقف بين يديها عدد كبير من الأمراء وكبار الأعيان. فوقف زوجها هناك على استحياء وسألها: «هل صرتِ الآن قيصرةً يا زوجتي؟» فأجابته: «أجل، أنا قيصرة». فاقترب منها ودقّق فيها النظر مدة من الزمن ثم قال: «آه يا زوجتي، يا لجمال أن تكوني قيصرة!» فقالت بلهجةٍ جافّة: «ما بك جامداً في مكانك يا رجل؟ لقد صرتُ قيصرة، وأريد الآن أن أكون البابا أيضاً، فاذهب إلى السمكة وأخبرها!» فقال الرجل مذهولاً: «ما أغرب طلباتك يا زوجتي! يستحيل أن تصيري البابا، إذْ لا يوجد للمسيحيين سوى بابا واحد. لذلك لا يمكن للسمكة تحقيق طلبك». فقالت له بصوت باتر: «أنا أريد أن أصبح البابا، تحرّك من فورك يا رجل! ولا بدّ من أن أصبح البابا اليوم بالذّات». فقال الرجل: «لا، يا امرأة، لن أستطيع النطق بذلك، لن تكون عاقبة ذلك خيراً، فالأمر في منتهى الوقاحة، والسمكة لا تقدر على أن تجعل أحداً البابا». «ماهذا الهراء يا رجل»، علّقت المرأة وأردفت: «إذ كان بوسعها صنع قيصر، فبوسعها أيضاً صنع بابا. تحرك فوراً! أنا هنا القيصرة وأنت زوجي فقط. ألم تتحرك بعد!» هلع الرجل من كلامها وذهب وهو يرتجف ويشعر بالوهن وبركبتيه وساقيه ترتعد بقوة.

كانت الريح تعصف وتسوق الغيوم بسرعة وقد بدأت عتمة المساء تنتشر، وكانت الأوراق تتطاير عن الأشجار والموج يصطخب كأنه يغلي ويضرب الشاطئ بقوة. وفي الأفق البعيد شاهد الصياد سفناً تتراقص وتتقافز ويتقاذفها الموجْ. ومع ذلك كان في وسط السماء بقية زرقة في حين احتشدت الغيوم على الأطراف استعداداً لعاصفة رعدية. فوقف الصياد هناك وهتف:

أيها الأمير المسحور،

Twitter: @ketab_n

سمكةً في مياه البحورْ،

زوجتي إِلْزِبِل ركبها الغضب،

فهي لا ترغب مثلما أنا أرغب».

فسألته السمكة: «وماذا تريد إذن؟» فقال الصياد بلهجة ساخطة: «إنها تريد أن تصير البابا». فقالت السمكة: «اذهب إليها، فلقد صارت».

عاد الصياد أدراجه، ولمّا وصل تبدّى له المكان مثل كنيسة ضخمة محاطة بقصور، فشق لنفسه طريقاً بين الناس حتى وصل الباب ودخل، فوجد هناك آلاف الشموع مضاءة، وزوجته مرتدية ثياباً ذهبية محضة، متربعة على عرش أعلى من السابق بكثير، وعلى رأسها ثلاثة تيجان ذهبيّة كبيرة، ويحيط بها كبار رجال الدين من كافة الجهات، وعلى جانبيها صفان من الشمعدانات، أكبرها يماثل برجاً هائلاً وأصغرها بحجم شمعدان المطبخ، وكان جميع الأساقفة والملوك راكعين عند قدميها يلثمون حذاءها. أمعن زوجها فيها النظر طويلاً ثم سألها: «هل صرتِ يا زوجتي البابا الآن؟» فأجابته: «أجل، أنا البابا الآن». فعاد يحملق فيها ويحلق، كمن يحاول التحديق في عين الشمس، حتى اكتفى ثم قال لها: «ما أجمل أن تكوني البابا!» أما هي فقد كانت جامدة متخشبة في جلستها لا تَصدر عنها نأمة حركة، فأردف قائلاً: «اقتنعي وارضي الآن يا امرأة بما وصلتِ إليه! ها أنت البابا الآن، وليس ثمة ما يعلو على ذلك». فأجابته المرأة: هذا ما يجب إمعان التفكير فيه»، ودخلا ليناما. لكنها لم تكن قانعة ولا راضية، ولم يتركها الجشع تنام وهي مستغرقة في التفكير بما تريد أن تكونه.

نام الرجل طويلاً وعميقاً، فقد أمضى نهاره وهو يمشي، أما زوجته فقد جفاها النوم، وأمضت الليل وهي تتقلب على جنبيها، غارقة في التفكير بما يمكن أن تكونه بعد، ولكن لم يخطر ببالها أي شيء. خلال ذلك كان موعد الشروق قد اقترب، وعندما رأت الزوجة حمرة الفجر، اعتدلت في سريرها ووجهّت

Twitter: @ketab_n

نظرها نحو الشرق، وعندما رأت من النافذة الشمس وهي ترتفع نحو كبد السماء، خطرت ببالها فكرة، فقالت لنفسها: «أهـا، لماذا لا يكون بمقدوري أنا أيضاً أن أجعل الشمس والقمر يشرقان؟» ثم لكزت زوجها بكوعها في خاصرته قائلة: «استيقظ يا رجل، هيا اذهب إلى السمكة وقل لها أني أريد أن أكون مثل القادر العزيز». لم يكن الرجل قد استيقظ تماماً بعد، لكنه انتفض لسماعه كلماتها، فسقط من السرير. ظن أنه لم يسمع جيداً، ففرك عينيه وسألها: «آه يا امرأة، ما الذي قلتِه؟» فأجابته: اسمع يا رجل، إنْ لم أصبح قادرة بنفسي على تحريك الشمس والقمر، بدلاً من أن أرى ذلك يحدث فحسب، فإني لن أحتمل الوضع، ولن أجد لحظة راحة قبل أن أصير قادرة على ذلك». ونظرت إليه نظرة مخيفة اقشعر لها بدنه كله، وتابعت قائلة: «هيا تحرك، أريد أن أكون مثل القادر العزيز». فركع الرجل على ركبتيه أمامها وقال راجياً: «السمكة يا امرأة لا تستطيع ذلك. لقد جعلَتْكِ قيصرةً وبابا، صحيحْ. لكن أرجوكِ تواضعي وابقي البابا. فاستشاطت غضباً ووقف شعر رأسها، رفعتْ قميصَ نومها ورفستْ زوجها بقدمها وصرخت: «ما عدتُ أحتمل، ما عدتُ أحتمل. هيا تحرك من فورك!» لبس الصيّاد سرواله وخرج راكضاً كالمجنون.

وفي الخارج كانت الرياح تعصف بشدة وتكاد تطيح به، وأخذت البيوت والأشجار تتمايل والجبال تهتز والصخور تتدحرج إلى البحر، وكانت السماء سوداء مثل القطران وهي تبرق وترعد، كما ارتفعت أمواج البحر السوداء حتى طاولت ارتفاع أبراج الكنائس وحتى الجبال، وكانت ذرا الأمواج ذات رغوة بيضاء كالتيجان. فصاح الرجل بأقصى صوته من دون أن يتمكن حتى من سماع كلماته:

أيها الأمير المسحور،

سمكةً في مياه البحورْ،

زوجتي إلْزِبل ركبها الغضب،

Twitter: @ketab_n

فهي لا ترغب مثلما أنا أرغب».

فسألتـه السمكة: «وماذا تريـد الآن إذن؟» فقال الصياد: «تريد أن تكون مثل القـادر العزيز». فقالت السمكة: «اذهب إليهـا فهي في القِدْر العتيق ثانية». وما زال كلاهما فيه حتى يومنا هذا.

× ××

Twitter: @ketab_n

(٢٠)

الخياط الشجاع

في أحد أيام الصّيف، قديماً، جلس خيّاطٌ نحيل وقصير إلى طاولة عمله المجاورة للنافذة، وكان رائق المزاج ويخيط بكل همّة ونشاط. مرت في الشارع فلاحة تنادي: «مربّياتٌ لذيذةٌ للبيع! مربيات لذيذة للبيع!» بصوت كان وقعه حسناً في أذن الخياط، فمدّ رأسه الطريّ من النافذة ونادى: «هنا، اصعدي إلي يا سيدتي العزيزة، فهنا ستنفق بضاعتك كلها. صعدت الفلاحة حاملة سلتها الثقيلة إلى الخيّاط في الطابق الثالث، فطلب أن تريه كل ما في السلّة من عبوات، ففعلت.

تفحّصها كلها، رفعها عالياً، قرّبها من فمه وتشمّمها وقال أخيراً: «يبدو لي أن المربّى جيد، زني لي أوقية يا سيّدتي العزيزة، وإن زادت حتى ربع الكيلو فلا بأس». والفلّاحة التي أمِلت بصفقة جيدة، لبّت طلبه، لكنها غادرت المكان غاضبة متذمّرة. ما إن ذهبت حتّى قال الخياط: «ليبارك الله لي هذا المربى وليمنحني القوّة والصّحّة»، وتناول رغيف الخبز من الخزانة، وقطع لنفسه جزءاً منه ودهنه بالمربّى وقال: «سيكون طعمه شهيّاً لاشك. ولكن عليَّ أن أُنهي بطانة الدّرع هذه قبل أن أقضم لقمة».

وضع شريحة الخبز المدهون إلى جانبه وتابع الخياطة، ومن لهفته أخذ يوسّع المسافة ما بين غرزات الخياطة. في أثناء ذلك تسلقت رائحة المربى الحلو الجدار، حيث حطّت أعداد كبيرة من الذباب، فحركتها الغواية وهبطت أسرابها غازية شريحة الخبز. فقال الخياط: «يا سلام! من دعاكم؟» وأخذ يهشّ الضيوف المتطفّلين. لكن الذباب الذي لم يفهم اللغة الألمانية تأبّى على عملية الطرد،

Twitter: @ketab_n

وازدادت أسرابــه الغازية. عندها فقد الخياط أعصابه وتناول خرقة كبيرة من فتحة زوائد الخياطة في طاولته وهو يقول: «انتظروا، سأريكم!» وضرب ضربة شديدة دونمــا رحمــة. ثم رفع الخرقة وأخذ يعد، فوجد هناك مــا لا يقل عن سبع ذبابات ميتة وقد استطالت أرجلها، فقال بينه وبين نفسه معجباً بشجاعته «ما هذه البطولة يــا رجــل!؟ يجب أن أُعلــن ذلك في المدينة كلهــا». وبسرعة قص لنفسه حزاماً وخاطـه وطرّز عليه بحروف كبيرة (سبعة بضربة!) ثم قال: «ولماذا المدينة فقط! على الدنيا كلها أن تعلم بالأمر!» وأخذ قلبه يهتزّ طرباً مثل ليّة نعجة.

ربــط الخياط الحزام حول خصــره وأراد الخروج إلى الدنيــا الواسعة لظنّه أن ضيق مشغله لا يتسع لبطولته. وقبل خروجه فتّش في ما حوله عما يمكن أن يأخذه معه، لكنه لم يجد سوى قطعة جبن بائتة، فوضعها في جيبه، ورأى عند باب البناء عصفوراً مشتبكاً بين الأغصان الكثيفة فأمسك به ووضعه إلى جانب قطعة الجبن.

ثــم مشى على الدّرب بجرأة وهمّة، ولأنه كان خفيف الوزن رشيق الحركة لم يشعــر بــأي تعب، وصل في نهاية الدرب إلى جبــل، وعندما بلغ أعلى قممه وجد هناك عملاقاً ضخماً جالساً باسترخاء ويستطلع ما حوله. اقترب منه بجرأة وخاطبه قائلاً: «نهارك سعيد يا زميل، أتوقع أنك تملّي نظرك في هذه الدنيا الواسعة، أليس كذلك؟ أنا في طريقي لدخــول هذه الدنيا والتعرف عليها. أترغب في مرافقتي؟» نظــرَ العملاق إلــى الخيّاط باحتقار وقال: «معك أنت يا وغــد، يا حقير!» فأجابه الخيــاط: «هذا يكفي!» وفــكّ أزرار سترته وأرى العملاق حزامه وقال: «اقرأ هنا واعــرف مع مَــن تتكلم!» فقرأ العمــلاق (سبعة بضربة) واعتقــد أن المقصود هو أناس قتلهــم الخياط، وأحسّ بشيء من الاحترام تجاه هــذا الشاب الضّئيل، لكنّه أراد أن يختبــره أولاً، فتنــاول حجراً وعصره في كفّ يده حتــى سال ماؤهُ نقاطاً، وقال: «هيّا افعل مثلما فعلت إن كنت تملك القوة لذلك». فقال الخياط: ما أبسط الأمــر، هذا لعب لا أكثر»، ومد يده إلى جيبه، أخرج قطعة الجبن الطريّة وعصرها فــي كف يده حتى سال ماؤها كالخيط، وقال «هكــذا أحسن، أليس كذلك؟» لم يدر العملاق بماذا يجيب ولم يصدّق أن يفعل الشاب الضئيل ذلك، فتناول حجراً

Twitter: @ketab_n

آخـر ورماه عالياً بحيث لم تعد تراه العين، وقال: «أرني ما تستطيع يا فرخ البط!» فقـال له الخياط: «رمية جيّدة، لكـن حجرك كان لا بد من أن يسقط على الأرض ثانية. أنا سأرمي لك حجراً، لن يعود إلى الأرض أبداً»، ومدّ يده إلى جيبه، أمسك بالعصفـور ورماه في الهواء. ونتيجة فرح العصفور بحريته حلّق عالياً وتابع طيرانه ولـم يعد، فقال الخيـاط: «أأعجبك هذا يا زميل؟» فأجابـه العملاق: «إنك تجيد الرمـي. ولكن أرنـي الآن قدرتك على الحمـل»، وقاد الخياط إلـى شجرة بلوط هائلـة ساقطة على الأرض، وقال: «إذا كنـت قوياً كفاية، فساعدنـي في إخراج هـذه الشجرة من الغابة». فأجابه الخيـاط: «بكل سرور، احمل أنت الجذع على كتفك، وسأرفع أنا الفروع والأغصان، فهي الأثقل». حمل العملاق الجذع على كتفـه، في حين جلس الخياط على أحد الأغصان، فكان على العملاق غير القادر علـى الالتفات، أن يحمل الشجرة كلها وحـده، والخياط فوقها أيضاً وهو يتسلى ويصفِّر لحن أغنية:

«من باب المدينة المتين

خرج ثلاثة خياطين

على جيادهم راكبين».

وكأن حمل مثل هذه الشجرة لعبُ أولادٍ لا أكثر. وبعد أن جرّ العملاق الحملَ الثقيـل مسافة لا بأس بها، لم يعد قادراً على المتابعة فهتف قائلاً: «اسمع، سأُسقط الشجـرة عن كتفـي الآن». فقفـز الخياط برشاقة إلـى الأرض، أمسـك الشجرة بساعديـه وكأنـه يحملها، وقال للعمـلاق: «كل هذا الجسم الهائـل ولا تستطيع حمل شجرة!»

تابعـا المسير معـاً حتى وصلا إلى شجرة كرز فأمسـك العملاق بتاج الشجرة حيـث توجد أنضج حبات الكرز وأماله نحـو الأسفل كي يأكل الخياط من الكرز الناضـج. بيد أن الخيـاط لم يكن قوياً كفاية لتثبيت التـاج، وحالما تركه العملاق

Twitter: @ketab_n

من يده طار الخياط معه نحو الأعلى، ولكن عندما نزل من دون أن يتأذى، خاطبه العملاق قائلاً: «ما بالك، ألا تقوى على الإمساك بأغصان ضعيفة؟» فأجابه الخياط: «القوة متوفرة. أتظن هذا الاختبار لائقاً بمن قتل سبعة بضربة؟ أنا قفزت إلى أعلى الشجرة لأن الصيادين في الدّغل تحت يطلقون النّار. هيا، قلّد قفزتي إنْ استطعت». قام العملاق بمحاولة للقفز، لكنه لم يصل إلى أعلى الشجرة، بل بقي مشتبكاً بين الأغصان، وهكذا هنا أيضاً خرج الخيّاط فائزاً.

قال العملاق: «إذا كنت على هذه الدرجة من البسالة، فتعال معي إلى كهفنا ونم عندنا». فأبدى الخياط استعداده وتبعه. عندما دخلا المغارة وجد هناك عمالقة آخرين جالسين حول النار وفي يد كل منهم نعجة مشوية يأكلها. نظر الخياط في ما حوله وفكر: «المكان هنا أوسع كثيراً من مشغلي». أشار العملاق نحو سرير وقال له: «استلق هنا ونم حتى تشبع». لكن الخياط الذي وجد أن السرير كبير جداً فضل اللجوء إلى زاوية معتمة. عند منتصف الليل ظنّ العملاق أن الخياط مستغرق في نومه، فنهض وتناول قضيباً حديدياً ضخماً وخبط به السرير خبطة كسرته، فاعتقد بأنه قد قضى على الجرادة النّطّاطة. في الصباح الباكر خرج العمالقة إلى الغابة وقد نسوا أمر الخياط كليّاً، فإذا به يخرج وراءهم جسوراً وبكل بشاشةٍ، ففزع العمالقة وخافوا أن يضربهم فيقتلهم فهرولوا هاربين.

تابع الخياط الضّئيل طريقه متتبعاً حاسة شمه. وبعد أن تجول طويلاً وصل إلى فناء قصر ملكي، ولشعوره بالتعب استلقى على الحشائش وغفا. وفي أثناء نومه جاء الناس ونظروا إليه من كافة الزوايا وقرؤوا ما كُتب على حزامه (سبعة بضربة)، فتساءلوا في ما بينهم عما يفعله هذا المحارب الصنديد في هذه المنطقة المسالمة، وتوقّعوا أن يكون سيّداً ذا نفوذ. ذهبوا إلى القصر وأخبروا الملك بما رأوه وأشاروا عليه بأن هذا الرجل سيكون مهماً ومفيداً في حال اندلاع حرب، ولهذا لا يجوز أن يتركه يذهب مهما كان الثمن. أُعجب الملك بهذه المشورة وأرسل أحد أفراد حاشيته إلى الخياط ليعرض عليه، حال استيقاظه، القيام بخدمات حربية للملك. بقي الرسول واقفاً إلى جانب النائم إلى أن أخذ يتمطى وفتح عينيه، فقدّم له عرض

Twitter: @ketab_n

الملك، فأجاب الخيّاط: «لهذا السبب جئتكم. أنا مستعد لوضع نفسي في خدمة الملك».

فاستُقبِل بما يليق ومُنح داراً خاصة به. أما محاربو الملك فقد أضمروا له العداء وتمنّـوا لو كان بعيداً عنهم مسافة ألفي كيلـوا متراً. وتهامسوا في ما بينهم قائلين: «مـا فائدة أن نتشاجـر معه ما دام إنْ ضربَ فسيُسقِط سبعـة منا بكل ضربة؟ ليس بيننـا من سيتمكن من الصمود»، وتوصّلوا إلى قرارٍ حاسم، فتوجّهوا جميعهم إلى الملك وطلبوا إعفاءهم من أعمالهم وقالوا: «لسنا أهلاً للصمود بجانب مَن يصرع سبعة بضربة». حـزن الملك لفقدانه جميع خُلصائه بسبب شخص واحد، وتمنى لـو أن عينيه لم تقعا عليـه قط، وتمنى كذلك أن يتخلص منـه، لكنه لم يجرؤ على تسريحه لخوفه من أن يقتله مع شعبه كّله ويحتلّ مكانه على العرش.

فكّر في الأمر طويلاً إلى أن توصّل إلى حل، فأرسل إليه رسولاً يخبره بأن الملك يعرض عليه نظراً لبطولته الحربية العظيمة ما يلي: في إحدى غابات مملكته يعيش عملاقان تسببا في أذى كبير بالنهب والقتل وإشعال الحرائق، ولم يجرؤ أحد على الاقتراب منهما من دون أن يعرّض حياته للخطر. فإن تغلّب البطل عليهما وقتلهما فسيزوّجـه ابنته الوحيدة وسيمنحه ضرائب نصـف مملكته، وسيزوّده بمئة فارس لدعمه. قال الخياط لنفسه: «هذه مهمّة تليق برجل مثلي. ثم إن الزواج من الأميرة الجميلـة والحصول على ضرائب نصف المملكـة، عرض لا يسنح للمرء يومياً». فأعطـى جوابه للملك قائلاً: «قبلت. سأروّض العملاقين، ولا حاجة لي بالفرسان المئة، فمن يصرع سبعة بضربة لن يخشى مواجهة اثنين».

انطلـق الخيـاط، فتبعه الفرسان المئـة، وعندما وصل إلى طـرف الغابة التفت إليهم وقال: «ابقوا أنتم هنا، وأنا سأنهي أمر العملاقين وحدي». ثم قفز إلى داخل الغابـة وهو يتلفّت ذات اليميـن وذات اليسار، وبعد فترة قصيرة شاهد العملاقين، نائمين تحت شجـرة ويشخران بحيث تتأرجح الأغصـان صعوداً وهبوطاً. ومن دون أدنـى كسل ملأ الخيـاط جيبه بالحصى وتسلّق الشجـرة، وعندما وصل إلى

Twitter: @ketab_n

منتصفهـا انزلق نحو أحد فروعهـا حتى صار فوق النائمين تمامـاً وجلس. أخذ يرمـي العملاق الأول على صدره بحصـاة بعد الأخرى. لم يشعر العملاق بشيء فـي البداية، لكنه استيقـظ أخيراً، لكز زميله وقال له: «لمـاذا تضربني؟» فأجاب الثانـي: «أنـت تحلم، أنا لم أضربـك». وعادا للنوم. فرمـى الخياط حصاة على العملاق الثاني الذي صاح: «ما بـك؟ لماذا ترميني بالحجارة؟» فأجاب الثاني: «أنـا لم أرمك بشيء» وزمجر. فتلاسنا لفترة وجيزة، ولأنهما كانا مرهقَين، أبعدا الخصـام جانباً وأغمضـا عيونهما ثانية. عـاود الخياط لعبته مـن جديد، فانتقى أكبر حصاة ورمى بهـا العملاق الأول على صدره بقوة، فصاح: «هذا لا يحتمل نهائيـاً!» وقفـز كالمجنـون، أمسك بتلابيـب الثاني وخبطه علـى جذع شجرة فجعلهـا تهتز بقـوة، فرد الثاني عليـه بالطريقة نفسها، وتصاعـد غضبهما فصارا ينتزعان الأشجار ويضربان بعضهما بها بشدة، إلى أن سقط كلاهما على الأرض ميتيـن. عندها قفـز الخياط من مكانه إلى الأرض وهـو يقول: «من حسن حظي أنهما لم يقتلعا الشجـرة التي أجلس فيها وإلا لاضطررت إلى القفز مثل سنجاب إلـى شجرة أخرى، فأنا خفيف الحركة!» ثم استل سيفه وطعن كلاً من العملاقين عـدة طعنـات قوية في صـدره ،وخرج بعد ذلك إلـى الفرسان وقـال: «المهمة أُنجزت، لقد قضيت عليهما معاً. لكن المعركة كانت قاسية، فقد اضطرّا لاقتلاع بعضـ الأشجار للدفـاع عن نفسيهما. لكـن هذا كله لا يفيد فـي مواجهة رجل مثلي، يصرع سبعة بضربة». فسأله الفرسان: «ألم تصب بأية جروح؟» فأجابهم: «اطمئنـوا، إنهما لم يمسّا حتـى شعرة من رأسي». لم يصدّقه الفرسان، بل دخلوا الغابة وفتّشوها حتى وجدوا العملاقين غارقين في دمائهما ومن حولهما الأشجار المقتلعة من جذورها.

طالـبَ الخياطُ الملكَ بالمكافأة الموعودة، لكن الملك ندم على وعده وأخذ يفكّـر من جديد بطريقـة تخلّصه من وطأة هذا البطل، ثم خاطبـه قائلاً: «قبل أن تحصـل على ابنتي وضرائب نصف المملكة، لا بد لك من أن تنجز عملاً بطولياً آخـر. هناك في الغابة يوجـد كَرْكَدَن سبب خراباً واسعـاً، وعليك أن تصطاده».

Twitter: @ketab_n

فقال له الخياط: «خطر وحيد القرن عليّ أقل من خطر العملاقين، فأنا أصرع سبعة بضربة واحدة. هذا هو مستواي».

فأخذ معه حبلاً وفأساً وخرج إلى الغابة. وللمرة الثانية ترك فرسان الدعم ينتظرونه خارج الغابة. لم يحتج الخياط إلى وقت طويل في البحث، إذ سرعان ما ظهر له الكركدن وقفز نحوه مباشرة ليطعنه بقرنه الوحيد من دون مناورة. فقال له الخياط: «تمهل، تمهل! لِمَ هذه العجلة؟» وبقي واقفاً بانتظاره حتى كاد الوحش أن يلمسه، وعندها قفز بخفّة شديدة واحتمى بشجرةٍ خلفه، في حين بقي الكركدن راكضاً نحو الشجرة وطعنها بقرنه بكل قوته فاخترق الجذع، ولم يعد لديه ما يكفي من القوة لسحبه منه، فبات مقيَّداً بقرنه إلى الشجرة. وعندها قال الخياط: «ها قد أمسكت بالعصفور»، وخرج من خلف الشجرة، طوّق رقبة الكركدن بالحبل ثم تناول الفأس وقطع به القرن ففصله عن الشجرة. ولما استتبت له الأمور قاد الحيوان بالحبل إلى الملك.

لم يكن الملك مستعدّاً بعد للوفاء بوعده، فقدّم طلباً ثالثاً، على الخياط تحقيقه قبل الزّفاف، وهو أن يأسر له الخنزير البري الذي يعيث في الغابة فساداً كبيراً، وأضاف أن الصيادين سيعاونونه في ذلك. «بكل سرور. هذه لعبة أولاد». قال الخياط، ولم يأخذ معه الصيادين إلى الغابة، فطربوا لذلك جداً، فمواجهاتهم السابقة مع هذا الخنزير لا تشجعهم على تكرار مطاردته. وعندما رأى الخنزيرُ الصيادَ ركض يهاجمه بفم مزبد وأسنان تصرف وأراد أن يبطحه أرضاً، لكن البطل الخفيف الحركة قفز إلى داخل صومعة قريبة ثم قفز ثانية عبر نافذتها الخلفية إلى خارجها. طارده الخنزير البري إلى داخل الصومعة، فيما التف هو إلى الباب الأمامي وأغلق الباب على الحيوان الغاضب الذي بات أسيراً والذي جعله ثقل وزنه عاجزاً عن القفز عبر النافذة إلى الخارج. نادى الخياط الضئيل الصيادين ليروا بأم أعينهم الخنزير الأسير، بينما اتجه هو إلى قصر الملك الذي كان عليه الآن، شاء أم أبى أن يفي بوعده وأن يتنازل له عن ابنته وعن نصف ضرائب المملكة. ولو عرف أن الماثل أمامه ليس بطل حرب بل مجرد خيّاط، لتفتّتَ كبده كمداً. فأقيم

Twitter: @ketab_n

حفل الزّفاف بكثير من الأبهة وقليل من البهجة، وبهذا صار الخياط ولي العهد.

بعد فترة من الزمن سمعت الأميرة زوجها وهو يتكلم أثناء نومه ليلاً ويقول: «خِطْ لي بطانة درعي يا فتى وصلِّح ليَ السروال، وإلا فسأضربك بالمسطرة على أذنيك، أسمعت؟!» فأدركت الأميرة في أي زقاق ولد زوجها الشاب، وشكت همّها في صباح اليوم التالي لأبيها، ورجته أن يساعدها في التّخلص من زوجها الذي تمخّض عن خياط لا أكثر. فواساها الملك ثم قال لها: «دعي باب غرفة نومك في الليلة القادمة مفتوحاً. سيقف خدمي خارج الغرفة، وحالما يستغرق الخياط في نومه سيدخلون ويقيدونه ويحملونه إلى سفينة ستأخذه بعيداً». قبلت الأميرة بخطة أبيها، أما حامل أسلحة الملك الذي سمع كل شيء، والذي كان متعاطفاً مع السيد الشاب، فقد أخبره بأمر المؤامرة، فقال له الخياط: «أنا سأنهي الموضوع».

وفي الموعد المعتاد مساء أوى الخياط مع زوجته إلى فراشهما، وعندما ظنت أنه قد غط في نومه، نهضت وفتحت الباب وعادت إلى الفراش. أما الخيّاط الذي تظاهر بالنوم فبدأ يتكلم بصوت واضح قائلاً: «خِطْ لي بطانة درعي يا فتى وصلِّح لي السروال، وإلا فسأضربك بالمسطرة على أذنيك! لقد أسقطتُ سبعة بضربة واحدة وقتلت عملاقين وسقتُ الكركدن أمامي وأسرت الخنزير البري، فهل سأخاف من الواقفين وراء باب غرفتي!» عندما سمع خدم الملك كلام الخياط فزعوا فزعاً شديداً وهربوا كمن يطارده جيش جبار. ومن يومها لم يعد يجرؤ أحد على الاقتراب من الخيّاط الذي أمضى بقية حياته ملكاً.

×××

Twitter: @ketab_n

(٢١)

المُشَحّرة (سندريّلا)

كان هنـاك ذات يـوم رجل غنـي، مرضت زوجتـه وشارفت علـى نهايتها، فاستدعـت ابنتها الوحيـدة إلى سريرها وقالـت لها: «يا بنتـي الحبيبة ابقي تقية وطيّبـة، كي يقف الرّب الرّحيم دائماً معـك، وسأتابعك من علياء السّماء وأكون قريبة منك». ثم أغمضتْ عينيها وتوفيت.

داومـت الفتـاة على زيارة قبر أمها كل يوم حيث كانـت تبكيها، وبقيت تقّية وطيّبة. عندما جاء الشتاء غطّى الثلج قبر الأم بوشاح أبيض، وعندما أذابته شمس الربيـع مجدداً اتّخـذ الرجل الثري لنفسه زوجة أخرى، جلبـت معها ابنتيها إلى البيـت. كانت الفتاتـان بيضاويـن وجميلتي المظهـر، أما قلباهمـا فكانا فظّين أسودين.

منـذ ذلك الحيـن بدأت مرحلةٌ عصيبة فـي حياة الفتاة اليتيمـة المسكينة، إذ صارتـا تقولان: «هل ستجلس معنا هذه الحمقاء فـي الغرفة نفسها؟ من يريد أن يـأكل خبـزاً، عليه أن يكسبه بعـرق جبينه. اخرجي من هنا يـا خادمة المطبخ!» ونزعوا عنها ثيابها الجميلة، ثم ألبسوها مريلة رماديّة عتيقة وحذاء خشبياً، وقالتا: «انظـروا، ما أروع هـذه الأميرة المتباهيـة بنفسها!» وضحكتا مـلء شدقيهما وساقتاها إلى المطبخ حيث كان عليها من الصباح وحتى المساء أن تقوم بأشغال شاقـة، فتنهض من الفجر لحمل الماء من البئر وإشعال النار في الموقد والمدافئ وتطبخ وتغسل وتنظّف. إضافة إلى ذلك كله كانت الفتاتان تبتكران كل ما يسيء إليها ويؤلمهـا، وتسخران منها وتسكبان حبوب العدس والبازلاء اليابسة على

Twitter: @ketab_n

رمـاد الموقد كي تُضطرّ المسكينة إلى تنقيتهـا وهي جالسة على أرض المطبخ. ومسـاءً عندما يكون التعب قـد أنهكها، فإنها لا تجد سريـراً لتنام فيه، بل عليها أن تنـام على الرماد إلـى جانبِ الموقد. ولأن منظرها بسبـب ذلك صار وسخاً ومُعفَّراً، فقد لقبوها: المشحَّرة.

وحـدث ذات يوم أن زوج أمها المتوفـاة كان سيسافر للمشاركة في السوق الموسمـي، فسأل ابنتَـيّ زوجته عما ترغبان في أن يجلبـه لهما. «ثياباً جميلة»، قالـت الأولـى «لآلئ وجواهـر» قالت الثانية، ثـم سأل ابنة زوجتـه المرحومة: «ومـاذا عنك يا مشحرّة، ماذا أُحضر لك؟» فأجابته: «أول غصن يلامس قبعتك على طريق عودتـك، اكسره واحضره لي». فاشترى لابنتـي زوجته ثياباً جميلة ولآلئ وجواهر. وعلى طريق عودته عندما عبر بحصانه دغلاً لامس غصنُ شجرة بنـدق قبعتَه وأسقطها، فكسـر الغصن وأخذه معه. وعندما وصـل إلى داره قدَّم لابنتـي زوجته ما طلبتـاه وأعطى المشحـرة غصن البندق. شكرتـه المشحرة، وذهبت إلـى قبر أمها فزرعت الغصن عليه وأخـذت تبكي بغزارة بحيث سالت دموعهـا وروت الغصن، فنما وأصبح شجرة جميلة. وصارت المشحّرة تذهب ثـلاث مـرات يومياً لتجلس تحـت الشجرة وتبكي وتصلي. وفـي كل مرة كان يحطّ على الشجرة طائر صغير أبيض يرمي بين يديها كل ما كانت تتمناه لنفسها.

بعد مـدّة من الزمن أعلن الملك عن إقامة حفلة رقـص تستمر ثلاثة أيام، دعا إليهـا جميع عذراوات مملكتـه الجميلات، ليتمكن ابنه، ولـي العهد من انتقاء عروسـه. عندما سمعت ابنتا الزوجة أنه يجوز لهمـا المشاركة في حفلة الرّقص طربتـا للأمر وأمرتا المشحـرَّة: «سرّحي لنـا شعرنا. نظّفي لنـا حذائينا وشدّي أربطتهـا، فسنشارك في حفلِ انتقاء العروس في القصر الملكي». لبت المشحرّة الأوامـر، لكنها ذرفت الدمـوع سرّاً لأنها كانت ترغـب أيضـاً في المشاركة في حفلـة الرقص، وطلبت من زوجة راعيها السمـاح لها بذلك. فقالت لها المرأة: «اسمعـي يا مشحرّة، كيـف تريدين الذهاب إلى حفلـة بوسخك وشحّارك؟ ثم إنـه ليس لديك ثياب لائقة ولا حذاء، وتريدين الرّقص!» ولكن عندما لم يتوقف

Twitter: @ketab_n

إلحـاح المشحرة عن الرجاء، قالت المـرأة أخيراً: «لقد سكبتُ صحناً من حب العدس في الرماد، فإذا تمكنتِ من تنقيته خلال ساعتين، يمكنك الذهاب معنا».

خرجت الفتاة عبر الباب الخلفـي إلى الحديقة ونادت: «أيها الحمام الأليف، أيها اليمام البري، يا جميع عصافير السماء، ساعدوني في تنقية العدس:

الحبات الصالحة إلى الصحن

والحبات الطالحة إلى البطن».

فدخلـت حمامتان بيضاوان من نافذة المطبخ، ثم جـاء اليمام، وأخيراً ازدحم المطبـخ بعصافير السماء، واحتشد الكل على الرمـاد. بدأ الحمام بالتقاط العدس بمناقيـره: بِـك، بِك، بِـك، بِك فتبعـه الباقون بانتقاء حـب العدس الصالح إلى الصحن. ولم تمض ساعة حتى انتهت الطيور من عملها وطارت مغادرة المطبخ. حملـت الفتاة صحـن العدس إلى زوجة راعيهـا، فرحةً وآملـة بالسماح لها الآن بالذهـاب إلى الحفلة، لكن المرأة قالت لها: «لا، يا مشحرّة، لا ثياب لائقة لديك تصلـح للرقص، سيضحك الضيوف عليك». ولما بكت الفتاة، قالت المرأة: «إذا نقّيتِ لي صحني عدس من الرماد خلال ساعة واحدة، فسيمكنك الذهاب معنا»، وكانـت تقول لنفسها: «لـن تستطيع إنجاز ذلك قطعـاً». وسكبت الصحنين في الرماد.

فخرجـت الفتاة من باب المطبخ الخلفي إلـى الحديقة ونادت: «أيها الحمام الأليف، أيها اليمام البري، يا جميع عصافير السماء، ساعدوني في تنقية العدس:

الحبّات الصالحة إلى الصحن

والحبّات الطالحة إلى البطن».

فدخلـت حمامتان بيضاوان من نافذة المطبخ، ثم جـاء اليمام، وأخيراً ازدحم

Twitter: @ketab_n

المطبخ بعصافير السماء، واحتشد الكل على الرماد. بدأ الحمام بالتقاط العدس بمناقيره: بِك، بِك، بِك، بِك فتبعه الباقون بانتقاء حبِّ العدس الصالح إلى الصحن. وما كادت تمضي نصف ساعة حتى انتهت الطيور من عملها وطارت مغادرة المطبخ. حملت الفتاة صحني العدس إلى زوجة راعيها، فرحةً وآملة بالسماح لها الآن بالذهاب إلى الحفلة، لكن المرأة قالت لها: «لاحلّ أمامك إطلاقاً، لن تأتي معنا، لأنه لا ثياب لديك لائقة بالرّقص، ولسوف نخجل بك». وأعطتها ظهرها مسرعة إلى ابنتيها المغرورتين.

عندما غادر الجميع الدار إلى الحفلة الملكية خرجت المشحرَّة إلى قبر أمّها تحت شجرة البندق ونادت:

«اهتزي أيتها الشجرة واغمريني،

من الفضة والذهب ألبسيني».

فرمى إليها الطائر الأبيض ثوباً فضّياً وذهبيّاً، وحذاء مشغولاً بالحرير والفضة. وبأقصى سرعة اغتسلت الفتاة ولبست الثوب والحذاء وذهبت إلى الحفلة. وهناك لم تعرفها زوجة راعيها وابنتاها وخيِّل إليهنّ أنها إحدى الأميرات، فقد بدت رائعة الجمال في ثوبها الذهبي والفضي، فلم تخطر المشحرَّة ببالهن إطلاقاً، إذ اعتقدن أنها تجلس في الدار بين الأوساخ تنقّي العدس من الرماد. أما الأمير فقد استقبلها وأمسك بيدها ورقص معها، ولم يرغب في الرّقص مع أي فتاة سواها، ولهذا فإنه لم يترك يدها من يده. وإذا ما تقدّم أحد الشبّان لطلبها إلى الرقص كان الأمير يقول له: «هذه شريكتي أنا في الرقص».

رقصت الفتاة حتى حل المساء، فأرادت العودة إلى الدار. لكن الأمير خاطبها قائلاً: «سأذهب معكِ وأرافقك»، فقد أراد أن يعرف من أين أتت هذه الفتاة الجميلة. لكنها انسلّت من بين يديه وقفزت إلى داخل بيت الحمام، فبقي الأمير منتظراً هناك إلى أن مرّ راعيها مصادفةً، فأخبره ولي العهد بأن الفتاة الغريبة قد

Twitter: @ketab_n

قفزت إلى داخل بيت الحمام، ففكر الثري العجوز: «أيعقلُ أن تكون المشحرّة!» وطلب بلطة وفأساً كي يشطر بيت الحمام نصفين، بيد أنّهما لم يجدا فيه أحداً.

عندما عادت العائلة إلى الدار كانت المشحرّة مستلقية بثيابها القذرة على الرماد وهناك سراج زيتٍ بشعلةٍ خافتة معلّق على مدخنة الموقد، فقد كانت الفتاة قد قفزت بسرعة من الجانب الآخر لبيت الحمام وركضت حتى شجرة البندق، فخلعت الثوب الجميل والحذاء ووضعتهما على القبر، فأخذهما الطائر الأبيض بعيداً، ثم ارتدت ثوبها الرماديّ المتّسخ في المطبخ واستلقت على الرّماد.

في اليوم الثاني عندما بدأت الحفلة مجدداً وغادرت العائلة كلها الدار، ذهبت المشحرّة إلى شجرة البندق ونادت:

«اهتزي أيتها الشجرة واغمريني،

من الفضة والذهب ألبسيني».

فرمى لها الطائر الأبيض ثوباً أكثر فخامة من سابقه، ولما ظهرت بهذا الثوب في الحفلة دُهش الجميع لجمالها. أما الأمير فقد بقي منتظراً قدومها، فأخذها من يدها فوراً وراقصها، ولم يرقص مع غيرها من الفتيات. وإذا ما تقدم الشبان الآخرون لطلبها إلى الرقص كان الأمير يقول: «هذه شريكتي أنا في الرقص». ولكن عندما حل المساء، أرادت الفتاة الذهاب، فلحق بها الأمير ليرى الدار التي ستدخل إليها. لكنها هربت منه إلى الحديقة وراء القصر، حيث توجد شجرة ضخمة جميلة تتدلى من أغصانها أجمل ثمار الأجاص. فتسلقتها الفتاة بخفة مثل سنجاب واختبأت بين الأغصان، فلم يعرف الأمير أين اختفت. لكنه انتظر هناك إلى أن جاء الثري العجوز باحثاً عنه، فقال له: «لقد هربت مني الفتاة الغريبة وأظن أنها قفزت إلى داخل شجرة الأجاص. ففكر الثري العجوز: «أيعقل أن تكون المشحرّة؟» وطلب فأساً لإسقاط الشجرة، لكنهما لم يجدا أحداً فيها. وعندما دخلت العائلة في الدار إلى المطبخ وجدت المشحرّة مستلقية كالعادة على

Twitter: @ketab_n

الرمـاد، فقد قفزت بسرعة من الجانب الخلفـي لشجرة الأجاص وركضت حتى قبـر أمّها حيث أعـادت للطائر الأبيض على شجرة البنـدق ثيابه الجميلة وارتدت ثوبها الرماديّ المتسخ.

في اليوم الثالث، عندما غادر أفراد العائلة كلّهم إلى الحفلة، خرجت المشحّرة مجدداً إلى قبر أمها تحت شجرة البندق ونادت:

«اهتزي أيتها الشجرة واغمريني،

من الفضة والذهب ألبسيني».

فرمـى لها الطائر الأبيض هذه المرة ثوباً أجمل وأروع مـن السابقين، وحذاءً ذهبيـاً. وعندمـا ظهرت فـي الحفلة بهذا الثـوب البديع، لم يـدرِ الضيوف كيف يعبرون عن إعجابهم ودهشتهم. ولم يراقص الأمير فتاة سواها، وكلما طلبها أحد الشبان للرقص كان يقول له: «هذه شريكتي أنا في الرقص».

عندمـا حان وقتها مسـاءً أرادت الفتاة الذهاب، وأراد الأميـر مرافقتها، لكنها هرولـت مسرعـة فلم يستطع اللّحاق بهـا، بيد أنه كان قد لجـأ إلى خدعة، بطلاء الـدرج كله بالقطران اللزج. وعندما قفـزت الفتاة على الدرج بقيت فردة حذائها اليسرى ملتصقة بالدرج. فاحتفظ بها الأمير ووجدها صغيرة رشيقة وذهبية.

وفـي صباح اليوم بدأ بأقرب دار إلى القصر، وكانت دار الثري العجوز، فقال له: «لـن أتزوّج سوى الفتاة التي يلائم هذا الحـذاء الذهبي قدمها». ففرحت ابنتا زوجته، فقد كانت أقدامهمـا جميلة. تناولت الابنة الكبرى فردة الحذاء ودخلت إلـى حجرتهـا لتجربها، وكانـت أمها واقفة إلـى جانبها، غير أن إبهـام قدمها لم يدخـل في الحذاء الذي كان أصغر بكثير من قياسهـا. فناولتها أمها سكّيناً وقالت لها: «اقطعي الإبهام، فعندمـا تصبحين ملكة، لن تحتاجي للمشي على قدميك». قطعت الفتاة الإبهام وحشرت قدمها في الحذاء وهي تعض على ناجذيها من الألم،

Twitter: @ketab_n

وخرجت إلى الأميـر فأخذها عروساً له وأردفها وراءه على حصانه وغادر. وكان طريقهما يمر بجانب قبر الأم حيث وقفت حمامتان على شجرة البندق وهتفتا:

«إحمْ إحمْ، إحمْ إحمْ،

هناك في الحذاء دمْ،

فالحذاء أصغر من هذه القدمْ،

والعروس الحقيقية لا زالتِ المغْنَم.

فالتفـت الأمير إلى قدمها ورآها تنزف فاستدار بحصانه وأعاد العروس المزيفة إلـى دارها وقال: «هذه ليست العروسـ الحقيقية. على الأخت الأخرى أن تلبس الحـذاء». فذهبت الصغرى إلى الحجـرة وقاست الحـذاء. ونجحت في إدخال أصابـع قدمها فيه، لكن كعبها كان أكبر من الـلازم للقياس. فناولتها أمها السكين وقالـت لها: «اقطعي جزءاً من كعبكِ، فعندما تصبحين ملكة، لن تحتاجي للمشي على قدميك». قطعـت الصغرى جزءاً من كعبها وحشرت قدمها في الحذاء وهي تعضـ على ناجذيها من الألـم، وخرجت إلى الأمير. فأخذهـا عروساً له وأردفها وراءه علـى حصانـه وغادر. وعندما مـرا بجوار شجرة البنـدق كانت الحمامتان واقفتين هناك، فهتفتا:

«إحمْ إحمْ، إحمْ إحمْ،

هناك في الحذاء دمْ،

فالحذاء أصغر من هذه القدمْ،

والعروس الحقيقية لا زالتِ المغْنَم.

التفت الأمير نحـو قدمها فرآها تنزف بغزارة والدم يسيل من الحذاء وقد لوث

Twitter: @ketab_n

الجوارب البيضاء. فاستدار بحصانه وأعاد العروس المزيفة إلى دارها وقال: «هذه ليست العروس الحقيقية. أليس لديكما ابنة أخرى؟» فأجابه الرجل الغني: «لا، ليس لدينا سوى ابنة زوجتي المتوفاة، وهي فتاة مشحرّة ذابلة، يستحيل أن تكون هي العروس». فطلب الأمير منه أن يأتيه بها، وهنا تدخلت أم البنتين قائلة: «لا يا سيدي، إنها وسخة جداً ولا يجوز أن تظهر أمامكم». لكن الأمير أصر، فكان لا بد من استدعاء المشحرة.

فغسلت وجهها ويديها وذهبت وانحنت احتراماً للأمير الذي ناولها الحذاء الذهبي. جلست الفتاة على كرسي واطئ، سحبت قدمها من الحذاء الخشبي الثقيل ولبست الحذاء الذهبي الذي لاءم قدمها تماماً. وعندما نهضت واقفة ونظر الأمير إلى وجهها، تعرف على الفتاة الجميلة التي راقصها، فهتف: «هذه هي العروس الحقيقية!» ارتعدت الزوجة وابنتاها وشحبت وجوههم حنقاً. أما الأمير فأردف المشحّرة وراءه على حصانه وانطلق، وعندما مرّا إلى جانب شجرة البندق هتفت الحمامتان:

«إحمْ إحمْ، إحمْ إحمْ،
هذا الحذاء لهذه القدمْ،
لا كبير هو ولا صغيرْ،
والعروس الحقيقية مع الأميرْ».

ثم طارت الحمامتان ووقفتا على كتفي المشحرة، واحدة على اليمين والثانية على اليسار وبقيتا هناك واقفتين.

وعندما أقيم حفل زفاف الأمير والفتاة، جاءت العروستان المزيفتان متملقتين مداهنتين للتكسب من حظّ الفتاة. وعندما دخل العريسان إلى الكنيسة لعقد القران مشت الكبرى إلى يمين العروس والصغرى إلى يسارها، فنقرت الحمامتان

Twitter: @ketab_n

عيناً من كل منهما. ومن ثم عند مغادرة الكنيسة مشت الكبرى إلى يسار العروس والصغرى إلى يمينها، وعندها نقرت الحمامتان العينين الأُخريين، فعوقبت البنتان بالعمى طوال حياتهما لشرورهما وزيفهما.

×××

Twitter: @ketab_n

(٢٢)

الأحجية

في قديم الزمان كان هناك أمير شاب رغب في أن يجول في العالم الواسع ليتعرّف عليه، ولم يصطحب معه سوى خادم مخلص. وذات يوم توغل في غابة كبيرة، وعندما حلّ المساء لم يجد مكاناً للمبيت ولم يدر أين سيقضي الليلة، وإذا به يرى فتاة تسير نحو بيت صغير، وعندما اقترب منها وجدها صغيرة وجميلة، فخاطبها قائلاً: «هل يمكن يا طفلتي العزيزة أن نمضي الليلة أنا وخادمي في هذا البيت الصغير؟» فأجابته الفتاة بصوت حزين: «طبعاً يمكنكما، لكنني لا أنصحكما بذلك. لا تدخلا هذا البيت». فسألها الأمير: «وما السبب؟» فأجابته الفتاة: «زوجة أبي تمارس فنون السحر، وهي لا تضمر الخير للغرباء». فأدرك أنه قد وصل إلى بيت ساحرة، ولكن بسبب الظلام، وعدم القدرة على المسير، وعدم خوفه من الساحرة، دخل. كانت العجوز جالسة على كرسي بذراعين قرب النار، نظرت إلى الغريبين بعينيها الحمراوين وقالت لهما بودٍ ظاهري: «مساء الخير، تفضلا، استريحا» ثم نفخت على الفحم الذي كانت تغلي فوقه شيئاً ما في قدر صغير. وكانت الفتاة قد حذرتهما أن لا يأكلا شيئاً أو يشربا شيئاً من يد الساحرة لأنها تُحضّر مشروبات مؤذية.

فناما بارتياح حتى الصباح، وعندما استعدّا لمتابعة رحلتهما وكان الأمير قد ركب فرسه، قالت العجوز: «انتظرا لحظة، سأُقدّم لكما شراب الوداع». وبينما دخلت لتأتي به، كان الأمير قد غادر، أما الخادم فبقي وحيداً يشدُّ أحزمة سرج حصانه عندما عادت الساحرة الشريرة حاملة الشراب وقالت: «خذ هذا لسيدك!»

Twitter: @ketab_n

ولكـن في اللحظة نفسها انفجر الكأس وأصاب رذاذ الشراب المسموم الحصان فسقـط ميتـاً من فوره. ركض الخـادم وراء سيده وأخبره بما جـرى، لكنه لم يرِد التخلي عن سرجه فرجع أدراجه ليحمله، بيد أنه عندما اقترب من الحصان الميّت وجـد فوقه غراباً ينهش مـن لحمه، فقال لنفسه: «من يـدري إنْ كنا سنجد ما هو أفضل اليوم». فقتل الغراب وأخذه معه.

تابعا طريقهما عبر الغابة طوال النّهار دون أن يتمكنا من مغادرتها. ومع حلول المسـاء وجدا مطعماً فدخلاه، وقدّم الخادم الغراب لصاحب المطعم كي يُحضِّره لهمـا للعشاء. لكنهما من حيث لا يدريان وقعا في فخ مجموعة من قطاع الطرق. ففي عتمة المكان دخل المطعم إثنا عشر قاتلاً بهدف قتل الغريبين ونهب ما معهما. ولكن قبل البدء بعمليتهـم جلسوا إلى طاولة كبيرة مع صاحب المطعم والساحرة وتناولـوا عشاءهم من قدر كبيـر مملوء بالحساء ولحم الغـراب المفروم فيه، وما كادوا ينتهون حتى تساقطوا جميعهم ميتين، فقد انتقل السم من لحم الحصان إلى الغراب المفـروم في الحساء. فلم يتبقّ في الدار كلهـا سوى ابنة صاحب المطعم التـي صدقت بقولها إنها لم تشارك قط في أعمال الشر، ثم فتحت للغريبين جميع الأبـواب وأرتهما الكنـوز المتراكمة، فقال لها الأميـر: «يمكنك الاحتفاظ بكل شيء، فأنا لا أريد منها شيئاً». وتابع طريقه صباحاً مع خادمه.

وبعد تجـوال طويل وصلا إلى مدينـة تحكمها أميرة جميلـة ومترفّعة، كانت قـد أعلنـت أن مَن يقدم إليها أحجيـة لا تستطيع أن تجد حلها يصيـر زوجها، أمّا إن حلّتهـا فعليه التسليـم بقطع رأسه. وهي تأخذ عادة مهلـة ثلاثة أيام للتفكير في الحـل، بيـد أنها كانت على درجة مـن الذكاء بحيث تتوصل إلـى الحل المنشود دائمـاً قبل نهاية المهلـة. وسبق لسبعة متقدمين أن فقـدوا رؤوسهم. عندما وصل الأمير ورآهـا أعماه جمالها فعزم على المخاطرة بحياتـه. تقدم الأمير من الأميرة وطـرح عليها أحجيته قائلاً: «مـات دون أن يقتل أحداً، لكنه أماتَ دزينة، فكيف ذلـك؟» لم تعرف الأميرة الحل، وفكرت وأمعنـت التفكير من دون أن تصل إلى نتيجة. راجعت كتب الأحاجي ولم تجدها فيها، ولـم يعد ذكاؤها يسعفها بشيء.

Twitter: @ketab_n

وعندهـا لجأت إلى أسلوب آخر، إذ طلبت من خادمتها أن تتسلل إلى مخدع نـوم الأمير لتتنصت على أحلامه، فقد خطـر ببالها أن يحكي في نومه ويفشي سرّ أُحجيتـه. بيد أن خادمه الذكي استلقى فـي السرير بدلاً من سيده، وعندما اقتربت الخادمة منه نزع عنها العباءة التي التحفت بها وطردها بالعصا.

وفـي الليلة الثانية أرسلت الأميرة وصيفتها، عسى أن تنجح في ما لم تنجح فيه الخادمـة، لكن الخادم المخلص انتزع عباءة هـذه أيضاً وطردها بالعصا. وعندها ظنّ الأمير أنه سيكون آمناً في الليلة الثالثة، فاستلقى بنفسه في سريره، لكن الأميرة الشديـدة الفضـول تسللت بنفسها إلـى مخدعه متسترة بعبـاءة ذات لون رمادي كالضباب وجلست إلى جانبه. وعندما ظنت أنه مستغرق في نومه ويحلم، كلمته آملـة أن يجيبها في الحلم، كمـا يفعل كثير من الناس. غير أنه كان مستيقظاً وسمع وفهـم كل شـيء بوضوح. سألته الأميرة: «مـات دون أن يقتل أحداً، ماذا تعني؟» فأجابها: «غراب مات مسموماً بلحم حصان». فتابعت تسأله: «لكنه أمات دزينة، فكيف ذلك؟» فأجابها: «إثنا عشر قاطع طريق أكلوا الغراب فماتوا بسمّه». عندما عرفت حل الأحجية أرادت أن تتسلل خارجة مثلما دخلت، لكنه تمسّك بعباءتها، فاضطرت لتركها وراءها.

وفـي صباح اليـوم التالـي أعلنت الأميـرة أنها توصلـت إلى حـل الأحجية، واستدعـت المحّكميـن الإثني عشر وحلّتها أمامهم. بيـد أن الأمير الشاب طلب الإذن بالـكلام وقال: «لقد تسللـت الأميرة إلى مخدعي ليـلاً وسألتني عن الحل فأجبتها، وإلّا لما عرفته أبداً». فقال له المحكّمون: «ألديك برهان على كلامك؟» فدخـل الخادم المخلص حاملاً العباءات الثلاث. وحالما رأى المحكّمون العباءة الرماديّـة بلون الضباب التي اعتادت الأميرة أن ترتديها، قالوا: «فلتزيَّن هذه العباءة بالذهب والفضة، لتكون عباءة زفافكما».

×××

Twitter: @ketab_n

(٢٣)

حكاية الفأر والعصفور وقطعة السجق

في قديم الزمان تصاحب فأر وعصفور وقطعة سجق، فسكنوا بيتاً واحداً دبّروا شؤونـه معاً بصورة جيِّدة مدّة طويلة مـن الزمن، وعاشوا في سلام هانيء، وكانت مؤونتهم وافرة. كان عمل العصفور أن يطير يومياً في أرجاء الغابة ليجمع الحطب. وكان علـى الفـأر أن يجلب الماء من البئر ويُشعل النار في الموقد ويحضِّر المائدة للطعام. أما قطعة السجق فكانت مهمتها الطّبخ.

ومن يعيش في رخاء يشتهي أموراً جديدة. وهكذا حـدث ذات يوم أن التقى العصفور أثناء جولته بعصفـور آخر، فحكى له عن وضعه المريح وامتدحه أمامه. لكنّ العصفـور الآخر وصمه بالغبي المسكين الذي يقـوم بالعمل المجهد، بينما يُمضي شريكاه في البيت أوقاتاً مريحة. فالفأر بعد إشعال النار وجلب الماء يدخل مخدعه ليرتاح حتى يحين موعد تحضير المائدة للطعام. وقطعة السجق تقف أمام القدر مراقبة الطبخة حتى تستوي، وعندما يحين موعد تناول الطعام تحرِّك الثريد أو الخضـار عدة مـرات وتضيف الدهن والملح فتصبح الطبخـة جاهزة. وعندما يرجع العصفـور إلى البيت ويلقي حمله من الحطب، يجلسون إلى المائدة، وبعد الانتهاء من الأكل ينامون ملء جفونهم حتى الصّباح التالي، فأيُّ حياة مريحةٍ هذه؟

في اليوم التالي رفض العصفـور، بناء على تحريض العصفور الآخر، أن يخرج لجمـع الحطب وقال بأنه قد اكتفى من عمل السخرة ولا يريد القيام بدور الخادم بعـد الآن، ولهذا لا بدَّ لهـم أن يجرِّبوا تبديل المهمات. وعلـى الرغم من إلحاح الفأر وقطعة السجق في الرجاء، بقي العصفور مصراً على أنه لا بدّ من الجرأة على

Twitter: @ketab_n

التغييـر، فكفى لفّاً ودوراناً: فصارت مهمة قطعة السّجـق حمل الحطب، وصار الفأر طاهياً، وبقي للعصفور جلب الماء وتوابعه.

فمـاذا جرى؟ خرجت قطعة السّجق إلى الغابـة، وأشعل العصفور النّار ووضع الفـأر القدر على الموقد وانتظروا حتى تعود قطعـة السجق حاملة الحطب للغد. لكـن انتظارهما طال جداً وشغلتهمـا الوساوس الخبيثة، فخـرج العصفور طائراً ليبحث عن شريكهما، لكنه رأى على مسافة قريبة كلباً قد اعتبر قطعة السّجق طريدة سائبة فانقضّ عليها. احتج العصفور أمام الكلب واتّهمه بالسرقة المكشوفة، لكن الكلام كله ضـاع عبثاً، إذ كان تبرير الكلب أنه وجد بحوزة قطعة السجق بضاعة مهربـة فباتت مدانة ومن حقه. حزن العصفـور وأخذ البضاعة المهرّبة (الحطب) وطار عائداً إلى البيت وأخبر الفأر بما جرى وسمع.

اغتـمّ كلاهما وتكدّرا، لكنهمـا صمما على بذل كل ما بوسعهمـا للبقاء معاً. ولهذا حضّر العصفور المائدة للطعام وأشرف الفأر على الطبخ، وأراد أن يفعل في الختام مثلما كانت تفعل قطعة السجق، أي أن يحرك الخضار ويضيف إليها الدّهن والملح، لكنه عندما اقترب من وسط القدر تعثر وغرق في الطبخة ففقد حياته.

عندمـا جـاء العصفور لنقل الطعام إلـى المائدة، لم يجد الطّاهـي، فقلق وبعثر الحطـب هنا وهناك وفتش ونـادى، لكن الطاهي لم يظهـر. وبسبب عدم انتباهه سقطـت جمـرة من الموقد فوق الحطـب فاشتعل. أسرع العصفـور لجلب الماء فسقط منه الدلو المليء في البئر وجره وراءه إلى القاع فغرق وفارق الحياة.

×××

Twitter: @ketab_n

(٢٤)

النّدافة

في قديم الزمــان كان هناك أرملة لديها بنتان، إحداهما جميلةٌ وشاطرةٌ والثانية قبيحةٌ وكسولةٌ. لكن الأرملة كانت تفضِّل القبيحة الكسولة لأنها ابنتها من لحمها ودمهــا، في حين كانت الجميلة الشاطـرة ابنة زوجها المرحوم، لذلك كان عليها القيام بأعباء الدار كلها وأن تكون الخادمة المطيعة.

كان علــى الفتاة المسكينة أن تجلس يوميّاً عند البئر في الشارع العريض، وأن تغــزل حتى ينفرَ الدّم من أصابعها. وحدث مرة أن تخضَّبت بكرة الخيطان بالدم، فانحنت الفتاة فوق حافــة البئر لتغسل البكرة، لكنها أُفلتت من يدها وسقطت في البئر. بكت الفتاة وعادت إلى زوجة أبيها وأخبرتها بمصيبتها. فأقذعت لها المرأة بالسباب من دون أي شفقة وقالت لها: «مثلما أسقطت البكرة عودي وأخرجيها».

عــادت الفتاة إلــى البئر ولم تدرِ ماذا تفعل، ونتيجــة خوفها الشديد من زوجة أبيها قفزت في البئر لتُخــرج البكرة منه، فأغمي عليها. وعندما أفاقت واستعادت وعيهــا وجدت نفسها على مرج جميــل مليء بآلاف الزهــور والشمس ساطعة. مشت الفتاة عبر هذا المرج إلى أن مرَّت بتنّور مليء بأرغفة الخبز، فنادتها الأرغفة قائلــة: «اسحبينا اسحبينا، وإلا احترقنا، فقد نضجنا وانتفخنا». فاقتربت الفتاة من فتحــة التنور وأخــذت تخرج الأرغفة الواحــد تلو الآخر بالمسحــاب الخشبي. تابعــت الفتاة طريقهــا حتى وصلت إلــى شجرة تفــاح مثقلة بالثمــار التي نادتها قائلــة: «نرجوكِ نرجوكِ، هزي الشجــرة، فقد نضجنا كلنا». هزت الفتاة الشجرة فتساقطت التفاحات كالمطر، ثم جمعتها كلها في كومة واحدة وتابعت طريقها.

Twitter: @ketab_n

وصلت أخيراً إلى دار صغيرة فرأت امرأة عجوز تنظر إليها من نافذتها، ولما كانت أسنان العجوز كبيرة خافت الفتاة وأرادت الهروب، فنادتها العجوز قائلة: «لـمَ الخوف يا ابنتي العزيزة؟ ابقي عندي! إذا قمت بأعمال الدار بصورة مرتّبة فستكون أحوالك على ما يرام. وانتبهي إلى ترتيب سريري بصورة جيدة، فانفضي اللّحاف بقوة لكي يطير ما فيه من ريش، وعندها يندف الثلج في الدنيا، فأنا ندّافة الثلج. وعندما ينزل الثلج يقول الناس في ألمانيا إن الندافة تنفض لحافها». ولأن كلام العجوز كان لطيفاً وودوداً تشجعت الفتاة وقررت أن تخدمها. وصارت تلبي طلبات العجوز بما يرضيها وتنفض لها لحافها بقوة بحيث يتطاير الريش مثل ندف الثلج من حولها.

وفي مقابل ذلك سارت حياتها على ما يرام، فلم تسمع يوماً كلمة نابية من السيدة الندافة التي كانت تقدم لها كل يوم أطعمة مطبوخة ومشويّة. وبعد أن خدمت الفتاة مدّة طويلة عند السيّدة النّدافة انتابها نوع من الحزن، لم تدر له سبباً في بداية الأمر، إلى أن لاحظت أخيراً أنها تحنُّ إلى دارها، على الرغم من أن حالها هنا أفضل بما لا يقاس مما كان عليه في دارها، ومع ذلك فقد شعرت بالحنين إليه، فأخبرت السيدة الندافة قائلة: «لقد أصابني مرض الحنين إلى بيتي. ورغم أن حالي هنا تحت جيد جداً، لا يمكنني البقاء هنا، لا بد لي أن أصعد إلى أهلي وناسي». فقالت لها الندافة: «يعجبني أنك تريدين العودة إلى ديارك، وبما أنك خدمتني بإخلاص فسأوصلك بنفسي إلى فوق».

ثم أمسكت بيدها وقادتها إلى أمام بوابة كبيرة. فُتحت البوابة على مصراعيها، وعندما وقفت الفتاة تحتها تماماً هطل عليها مطر ذهبي في زخات قوية، والتصق الذهب كله بها بحيث غطاها تماماً. وقالت لها الندافة: «هذا من نصيبك، لجودة عملك وشطارتك»، وناولتها بكرة الخيطان التي كانت قد سقطت من يدها في البئر. ثم انغلقت البوابة فوجدت الفتاة نفسها في دنياها غير بعيدة عن دار أهلها. ولما دخلت فناء دارها كان الديك واقفاً على البئر، فصاح:

Twitter: @ketab_n

«كيكي ري كي وتهانينا،

فتاتنا الذهبية عادت إلينا».

دخلت الفتاة إلى زوجة أبيها وأختها غير الشقيقة، وبما أنها كانت مغطاة بالذهب فقد استقبلتاها كلتاهما بصورة لائقة.

حكت لهما الفتاة كل ما جرى لها،ولمّا سمعت زوجة الأب عن كيفية حصول الفتاة على الثروة، أرادت لابنتها القبيحة الكسولة أن تحظى بمثل هذا الحظ. فجعلتها تجلس عند البئر وتغزل، ولكي تصطبغ بكرة الخيطان بالدم وخزت الكسلانة أصابعها بنفسها وحشرت يدها بين أشواك ورد السياج، ثم رمت البكرة في البئر وقفزت وراءها فيها، فوصلت كالفتاة الأخرى إلى المرج الجميل ومشت على الدرب نفسه. عندما وصلت إلى التنور صاحت بها الأرغفة قائلة: «اسحبينا اسحبينا، وإلا احترقنا، فقد نضجنا وانتفخنا»، فأجابت الكسولة: «لا رغبة عندي في أن أوسّخ نفسي»، وتابعت طريقها. وبعد مدة قصيرة وصلت إلى شجرة التفاح، فصاحت بها التفاحات: «نرجوكِ نرجوكِ، هزي الشجرة، فقد نضجنا كلنا». فأجابت الكسولة: «ما كان ينقصني إلا أن تسقط إحداكن على رأسي»، وتابعت طريقها.

وعندما وصلت إلى دار الندافة لم تشعر بالخوف، إذ سبق أن سمعت من أختها عن أسنانها الكبيرة، ودخلت من فورها في خدمتها. بذلت في اليوم الأول أقصى جهدها وكانت نشطة واتبعت تعاليم النّدافة في شغل البيت، فقد كانت تفكر بالذهب الكثير الذي ستزودها به. لكنها بدأت بالتكاسل منذ اليوم الثاني، وتفاقم الأمر منذ اليوم الثالث فلم تعد تريد النهوض من سريرها صباحاً، كما أنها لم تعد ترتب سرير النّدافة كما ينبغي، ولم تعد تنفض اللحاف بحيث يتطاير الريش. وسرعان ما ضاقت بها الندافة ذرعاً فأنهت خدمتها لديها. كانت الكسولة راضية عما جرى ظناً منها بأن أوان المطر الذهبي قد آن. قادتها الندافة حتى البوابة الكبيرة، وعندما وقفت الكسلانة تحتها هطل عليها بدلاً من الذهب سطل مليء

Twitter: @ketab_n

بالقطران، وقالـت لها الندافة: «هذا جزاء خدمتـك»، وأغلقت البوابة، فوجدت الكسلانة نفسها قرب الدار، لكنها كانت كالمغمسة بالقطران، ولما رآها الديك، صاح:

«كيكي ري كي، كيكي ري كي،

القذرةُ الكسولة عادتْ، يا ويلي».

وبقي القطران لاصقاً بها طوال حياتها من دون أن يزول.

×××

Twitter: @ketab_n

(٢٥)

الغربان السبعة

كان لرجل سبعةُ صبيان، ولم يحظَ بعد بابنة صغيرة، رغم رغبته الشديدة في ذلك. وعندما حملت زوجته مجدداً استيقظ حلمه ثانية، ولمّا وضعت جاء المولود بنتاً حقاً. كانت الفرحة عارمة، لكن الطفلة كانت هزيلة وضئيلة الحجم، وبسبب ضعفها كان لا بد من أن تتلقى العماد الاضطراري، كيلا تموت من دون عماد. فأرسل الأب أحد أولاده إلى البئر ليُحضر بسرعة ماء للتعميد، فركض معه الصبيان الستة الآخرون. ولأن كلاً منهم كان يرغب في أن يكون السبّاق إلى ملء الوعاء سقط الوعاء من بين أيديهم في البئر. فوقفوا هناك حيارى لا يدرون ما يفعلون، ولم يجرؤ أحد منهم على العودة إلى الدار. نفد صبر الأب لتأخرهم فقال: «لا شك أنهم نسوا الأمر لانشغالهم في اللعب، يا لهم من أولاد كفرة». وخشي أن تموت الطفلة دون أن تتلقى عمادها. وفي ثورة غضبه صاح: «يا ليتكم كنتم كلكم غرباناً». وما أن نطق هذه الكلمات حتى سمع فوق رأسه خفق أجنحة في الهواء، فرفع نظره نحو السماء ورأى سبعة غربان داكنة السواد تحلّق مغادرة المكان.

لم يتمكن الوالدان من سحب اللعنة المشؤومة، ورغم حزنهما الشديد لفقدان الصبيان السبعة فقد واسيا نفسيهما إلى حدٍ ما بوجود الابنة الصغيرة التي سرعان ما تعافتْ وقويت وازدادت جمالاً. لم يكن لدى البنت أدنى فكرة عن وجود أخوة لها، فقد تحاشى الوالدان ذكر الموضوع أمامها، إلى أن سمعتهما مصادفة ذات يوم وهما يتحدّثان عنها ويقولان إنها حقّاً جميلة، لكنها مع ذلك كانت السبب في مصيبة أخوتها السبعة.

Twitter: @ketab_n

اغتمـت الفتاة وشعرت بكربٍ شديد وتوجّهت إلى والديها وسألتهما عمّا إذا كان لديهـا أخوة وماذا أصابهم. ولم يستطع الوالـدان الاستمرار في التكتّم على السر، لكنهما قـالا بأن الأمر كان عقاباً إلهياً وأن ولادتها كانت مجرد مُحفِّز من دون ذنـب. لكن الفتاة صـارت تؤنب نفسها يومياً، معتقدة بـأن عليها أن تحرّر أخوتها. فلم يهدأ لها بال إلى أن قررت الانطلاق بحثاً في أرجاء الدنيا الواسعة عن أخوتها، حتى تعثـر عليهم وتحررهـم، مهما كان الثمن. لم تأخذ الفتاة معها شيئاً سـوى خاتم صغير كتذكار من والديها ورغيف خبز لتسد جوعها ومطرة صغيرة لتسكت عطشها وكرسيّاً صغيراً للتعب.

وبقيـت الفتاة تمشي حتى وصلت إلى آخر الدنيا، فاقتربت من الشمس، لكن الشمـس كانت حارقة ومرعبة تفترس الأطفال الصغار، فهربت الفتاة بسرعة إلى القمر، لكنه كان بارداً كالصقيـع ومخيفاً وشريراً، فعندما شعر باقتراب الفتاة منه قـال: «أنا أشم، أنا أشم رائحة لحم بشري». فهرولت الفتاة بعيداً عنه إلى النجوم التـي استقبلتها بود وطيبة، وكان كل نجم جالساً على كرسيّه الصغير الخاص به. لكن نجمة الصبح نهضت وناولت الفتاة عظمة صوص وقال لها: «من دون عظمة الصوص هذه لن تتمكني من فتح بوابة جبل الزجاج، حيث يوجد أخوتك».

أخـذت الفتاة عظمـة الصوص ولفّتها فـي منديلٍ صغيرٍ، وتابعـت مشوارها الطويل حتى بلغت جبل الزجاج. وجدت البوابة مقفلة، فأرادت أن تُخرج عظمة الصوص، لكنها عندما فردت المنديل، وجدته فارغاً، فأدركت أنها فقدت هدية النجـوم الطيبة. فماذا عليها أن تفعل الآن؟ إنها تريد إنقاذ أخوتها ولا مفتاح معها لجبل الزجـاج. فأخرجت الأخـت الصغيرة الطيبة سكينـاً وقطعت به خنصرها الصغير، ووضعت الخنصر في فتحة قفل البوابة ونجحت في فتحها. ولمّا دخلت استقبلها قزم صغير قائلاً: «عمّا تبحثين يا طفلتي؟» فأجابته: «أبحث عن أخوتي، الغربـان السبعة». فقال لها القزم: «الغربان ليسـوا هنا الآن، ولكن إذا رغبت في انتظارهـم حتى يعودوا فادخلي». ثم حمـل القزم طعام وشراب الغربان في سبعة صحـون صغيرة وسبع طاسات صغيرة، فأكلت الفتاة لقمة صغيرة من كل صحن

Twitter: @ketab_n

وشربت جرعة صغيرة من كل طاسة، وتركت خاتمها الصغير في الطاسة الصغيرة الأخيرة.

سمعت الفتاة في الهواء فجأة خفق أجنحة وأصوات أنين، فقال لها القزم الصغير: «ها قد عاد الغربان إلى ديارهم». حط الغربان وأرادوا أن يأكلوا ويشربوا وفتشوا عن صحونهم وطاساتهم وبدأوا يقولون الواحد تلو الآخر: «مَن الذي أكل من صحني الصغير، من الذي شرب من طاستي الصغيرة؟ إنه فم إنسان». وعندما وصل السابع إلى آخر ما في طاسته تدحرج الخاتم نحوه فرآه وعرفه، عرف أنه خاتم أبويه فصاح: «الرب كريم، أختنا هنا، أي أن اللعنة ستزول». كانت أختهم واقفة وراء الباب، فلما سمعت أمنيتهم ظهرت لهم، فعادوا واكتسبوا هيئاتهم البشرية. وتعانقوا وقبّلوا بعضهم بعضاً وانطلقوا بمرح عائدين إلى دارهم.

×××

Twitter: @ketab_n

(٢٦)

ذات القبعة الحمراء

كان هنـاك في قديم الزمان فتاة صغيرة حلوة، يحبّهـا كل من تقع عيناه عليها، ولا سيّمـا جدتها التي كانت تكثر مـن هداياها لها. وذات يوم أهدتها قبعة صغيرة مصنوعـة مـن مخمل أحمر. ولشدة حـب الفتاة للقبعة الصغيرة، لـم تعد تريد أن تلبس غيرها، فأطلق الناس عليها لقب (ذات القبعة الحمراء). وفي إحدى المرات قالت لها أمها: «تعالي يا ذات القبعة الحمراء، خذي الفطائر، وزجاجة النبيذ هذه إلى جدتك، فهي مريضة وضعيفة، عسى أن تنعشها وتشفيها. انطلقي قبل أن تشتد الحـرارة، وعندما تصلين إلى الـدرب كوني يقظة ولا تغادريه أبـداً، وإلا لتعثرت وأسقطـت الزجاجة وكسرْتها، فلا يبقى شيءٌ للجـدة. لا تنسي أن تقولي «صباح الخيـر» قبـل أن تفتّشي فـي كل زوايا بيت جدتك». فقالـت ذات القبعة الحمراء لأمهـا: «سأنفذ كل شيء على ما يرام»، ووضعت يدها في يد أمها وهزّتها مؤكدة على كلامها.

كانـت الجدة تسكن فـي الغابة على مسافـة نصف ساعة مـن القرية. وعندما وصلـت ذات القبعة الحمراء إلى الغابة التقت هنـاك بالذئب، ولم تكن تدري أنه حيـوان مفترس شرير، فلـم تخف منه. «نهـاركِ سعيد يا ذات القبعـة الحمراء»، قـال لها الذئـب، فأجابته: «شكراً أيها الذئب». فسألهـا: » إلى أين مبكرة يا ذات القبعـة الحمراء؟» فأجابته: «إلى دار جدتي». فسألها ثانية: «وماذا تحملين تحت مريلتـك؟» فأجابته: «فطائـرٌ ونبيذٌ. لقد خبزنـا بالأمس، وعلـيّ أن آخذ لجدتي المريضـة مـا يقويها وينعشهـا». فتابع الذئـب أسئلته: «وأين تسكـن جدتك، يا

Twitter: @ketab_n

ذات القبعـة الحمراء؟» فأجابته: «في الغابة علـى مسافة ربع ساعة من هنا، تحت شجـرات السنديان الضخمة الثلاث، ووراء شجيـرات الجوز، لا شك أنك تعرف المكان». فقال الذئب لنفسه: «هذه الصبية الفتية ستكون لقمة طريّة، وأطيب من جدتهـا العجوز: لا بد من الحيلة لاصطيادهمـا كلتيهما». ومشى فترة إلى جانب ذات القبعـة الحمراء ثـم قال لها: «انظري إلى هذه الـورود الجميلة المنتشرة من حولـك. لماذا لا توليها شيئاً من اهتمامـك؟ أظنّك حتى لا تسمعين تغريد الطيور العذب، بل تمشين غير منتبهة إلى أي شيء، وكأنك ذاهبة إلى المدرسة، علماً بأن طريق الغابة مسلٍّ جدّاً، يا ذات القبعة الحمراء».

فتحـت الفتاة عينيهـا على اتّساعهمـا، وعندمـا رأت أشعّة الشمـس تتراقص بيـن الأشجار وأن الأرضـ مغطاة بورود جميلة، فكـرت: «إذا أحضرت لجدتي باقـة ورود طازجة فستفـرح بها، الوقت ما زال مبكـراً، وسأصل إليها في الوقت المناسـب». فتركت الدرب وتوغّلـت في الغابة باحثة عـن ورود جميلة. وكلما قطعـت واحدة كانـت تُقنع نفسها بأن الورود الأجمل ما زالـت إلى الأمام قليلاً، فتـزداد توغـلاً شيئـاً فشيئاً في عمق الغابة، فـي حين توجّه الذئب إلـى دار الجدّة مباشرة وقرع الباب. «من هناك؟» سألت الجدة، فأجابها الذئب: «أنا ذات القبعة الحمـراء، وقد أحضرت لك معي فطائر ونبيـذاً». فقالت الجدة: «اضغطي قبضة البـاب نحو الأسفل فينفتح. أنا ضعيفة وغير قـادرة على النهوض». ضغط الذئب القبضة فانفتح الباب، ودخل من دون أن ينطق بكلمة، بل توجّه إلى السرير مباشرة والتهم الجدة. ثم ارتدى ملابسها ولبس غطاء رأسها واضطجع مكانها في السرير وسحب الستائر فأغلقها.

أمـا ذاتُ القبّعـة الحمـراء فتابعت جولتها داخـل الغابة وهي تجمـع الورود، حتـى لم تعد قادرة على حمل المزيد. فتذكـرت جدتها وعادت إلى الدرب نحو دارها. ولما وصلت استغربت كـون الباب مفتوحاً. وعندما دخلت انتابها شعور غريب، فقالت لنفسها: «ما هذا يا ربي، لماذا أشعرُ بمثل هذا الخوف اليوم، رغم رغبتـي الشديدة بزيارة جدتي!» فصاحت: «صباح الخير»، لكنها لم تتلق جواباً،

Twitter: @ketab_n

فتوجّهت نحو سرير جدتها ورفعت الستائر، فرأت جدتها مستلقية وغطاء رأسها يحجب جزءاً كبيراً من وجهها، كما بدا شكلها كله مستغرباً، فخاطبتها قائلة: «يا سلام يا جدتي ما أكبر أذنيكِ!» فأجاب الذئب: «لكي أسمعك بشكل أفضل»، فتابعت الفتاة: «يا سلام يا جدتي ما أكبر عينيك!» «لأراكِ بشكل أفضل»، أجاب الذئب، فقالت الفتاة: «يا سلام يا جدتي ما أكبر يديكِ!» «لأمسكك بشكل أفضل»، أجاب الذئب، فقالت الفتاة: «ولكن لماذا فمك كبير جداً يا جدتي؟» «لكي ألتهمك بشكل أفضل»، ولم يكد يكمل الذئب كلامه حتى قفز من السرير وابتلع ذات القبعة الحمراء المسكينة.

حالما أشبع الذئب نهمه عاد فاستلقى في السرير واستغرق في النوم وهو يشخر شخيراً عالياً. في ذلك الحين مر الصياد قرب دار الجدة فسمع الشخير الغريب وقال لنفسه: «ما بال العجوز تشخر بهذه الطريقة؟ يجب عليكَ أن تدخل لترى ما بها». ولما دخل الدار واقترب من السرير، رأى الذئب مستلقياً هناك، فقال لنفسه: «أهُنا مكانكَ أيها اللعين؟ لطالما بحثت عنك!» وكان على وشك تلقيم بندقيته عندما خطر بباله احتمال أن يكون الذئب قد افترس الجدة، وأن بإمكانه إنقاذها. فلم يطلق النار، بل تناول مقصّاً وبدأ يفتح بطن الذئب النائم، فرأى بعد بضع قصات قبعة الفتاة الحمراء، وبعد قصات قليلة أخرى قفزت الفتاة خارجة وصاحت: «يا إلهي كم ارتعبتُ في عتمة بطن الذئب!» ثم خرجت الجدة أيضاً حيّة ومتلهّفة إلى الهواء. وبسرعة كبيرة أحضرت ذات القبعة الحمراء أحجاراً ثقيلة ملؤوا بها بطن الذئب. وعندما أفاق أراد الهروب، لكن ثقل الأحجار جعله يخر أرضاً ويموت، وبذلك تمت سعادة الثلاثة: فقد سلخ الصياد فروة الذئب وأخذها معه إلى داره، أما الجدة فأكلت الفطائر التي أحضرتها لها ذات القبعة الحمراء وشربت النبيذ فتعافت ثانية، في حين قالت ذات القبعة الحمراء لنفسها: «عليكِ أن لا تتركي درب الغابة عندما تكونين وحدكِ مطلقاً، ما دامت أمُّك قد منعتك من ذلك».

ويُحكى أيضاً أن ذات القبعة الحمراء في أحد الأيام عندما أخذت لجدتها

Twitter: @ketab_n

ثانيـة فطائر طازجة، التقت فـي الغابة بذئب آخر، حـاول أن يغريها بترك الدرب إلـى داخل الغابة. لكن ذات القبعة الحمراء تحاشت ذلك وتابعت طريقها إلى دار جدتها مباشـرة وأخبرتها أنها التقت بالذئب الذي ألقـى عليها تحية الصباح فيما كان الشـر ينبع من عينيه، وقالت: «لو لم نكن على الدرب المطروق لافترسني». فقالت لهـا جدتها: «تعالي، سنقفل الباب ونوصده كيـلا يدخل علينا». بعد فترة وجيـزة قرع الذئب الباب قائلاً: «افتحي الباب يا جدتي، أنا ذات القبعة الحمراء، أحضـرت لك بعض الفطائر». لكنهما بقيتا ساكنتين ولم تفتحا الباب. دار الذئب حول الدار عدة مرات بخطوات بطيئة وقفز أخيراً إلى السطح لينتظر هناك خروج ذات القبعـة الحمراء قبيل المسـاء لتعود إلى دارها، فيتسلـل وراءها ويفترسها في الظلام. بيد أن الجدة فطنت إلى ما يدور في خلده، فقالت لحفيدتها:

«طبخـتُ البارحة سجقـاً، فخذي الدلـو وانقلي به مرق السجـق إلى الجرن الحجـري»، فنقلت الفتاة المرق حتى امتلأ الجرن خارج باب الدار، وتصاعدت رائحـة مرق السجق إلى أنف الذئب، فأخذ يشتمُّ، ثم نظر نحو الأسفل ومدّ رقبته طويلاً بحيث اختلّ توازنـه وسقط داخل الجرن الكبير وغرق فيه. أما ذات القبعة الحمراء فعادت إلى دارها مسرورة من دون أن يمسَّها أحد بسوء.

×××

Twitter: @ketab_n

(٢٧)

موسيقو مدينة بريمن

كان عنـد رجل حمار، حمل له الأكياس إلى الطاحون طوال سنوات، من دون كلـل أو ملـل، إلى أن تراجعت قـواه ولم يعد صالحاً لهذا العمـل المجهد. ففكر صاحبـه بالتخلص منه، لكـن الحمار أحس بما يُضمره لـه صاحبه، فهرب وأخذ الطريـق المؤدي إلى بريمن، ظناً منه أن بإمكانه هنـاك أن يشتغل موسيقياً في فرقة المدينة.

بعـد أن قطـع جزءاً من الطريق التقى بكلب صيـد مستلقياً على جانب الطريق وهـو يلهث كمـن ركض حتى الإنهاك، فسأله الحمار: «مـا بك تلهث هكذا أيها الصيّـاد الشجـاع؟» فأجابه الكلـب: «آخ، لأني هرمت وضعفي يـزداد يوماً بعد الآخر، ولم أعد صالحاً للخروج إلى الصيد، أراد صاحبي أن يقتلني فهربت، ولكن كيـف سأكسب رزقي الآن؟» فقال لـه الحمار: اسمع، أنا ذاهب إلى بريمن حيث سأشتغـل موسيقياً في الفرقـة هناك. اذهب معي ورشح نفسـك للفرقة الموسيقية نفسهـا. أنا أعزف على الغيتار وأنت تقرع الطبـول الصغيرة». وافق الكلب على الاقتراح وتابعا طريقهما.

لـم يطل بهمـا الوقت حتى التقيا بقطّة على الطريق وقـد علا وجهها تعبير مَنْ أمضـى ثلاثة أيام تحت عاصفة مطريّة، فسألها الحمار: «ماذا جرى لكِ يا صاحبة الشـوارب المتهدّلـة؟» «وهل هناك مـا يُبهجُ عندما يضيق بـكَ الحال حتى تكادُ تختنـق»، أجابـتِ القطة وتابعت: «لأنـي تقدمت بالعمر وأنيابي لـم تعد سليمة، ولأني صـرت أفضل النوم وراء الموقد بدلاً من اصطياد الفئران، أرادت صاحبتي

Twitter: @ketab_n

أن تغرقنـي. صحيح أني قـد نجوت بهروبي، لكني أواجـه مشكلة عويصة، فإلى أيـن سأذهب الآن؟» فأجابها الحمار: «اذهبي معنا إلـى بريمن لتصبحي موسيقية هنـاك». وجـدت القطة العرض وجيهـاً فذهبت معهما. وأثنـاء الطريق مر الثلاثة بفنـاء دار كان ديكها يقف على قمة البوابة ويصيح بـكل طاقته، فخاطبه الحمار: «صياحـك يقشعر لـه البدن، فما خطبك؟» فأجاب الديـك: «لقد تنبّأتُ بتحسن الحـال لأن سيدتي في يوم الغسيل قـد غسلت ثياب صغيرها وتريد نشرها لتجف استعداداً ليوم الأحد حين تستقبل ضيوفها وتفخر به أمامهم، لكنّها خالفت نبوءتي وأمرت الطباخة بذبحي من دون شفقة وطبخي مع حساء الغد. وها أنَذا أصيح في ما تبقى لي من وقت قبل أن يُقطع رأسي مساء اليوم». فقال له الحمار: «دعْ عنك هـذا يا صاحب العرف الأحمر، وتعال معنا إلى بريمـن، فحيثما ذهبتَ ستجد ما هو أفضل من الموت. صوتـك قوي صداح، فإذا نحن عزفنا، ارفع أنت عقيرتك بالغناء ليكتمل الفن». أعجب الديك بالاقتراح وتابع الأربعة طريقهم معاً.

لم يكن ممكناً بالنسبة لأحوالهم أن يقطعوا الطريق حتى بريمن في يوم واحد، وعندمـا حـل المساء كانوا قـد بلغوا غابـة أرادوا أن يمضوا الليلة فيهـا. فاستلقى الحمـار والكلب تحت شجـرة ضخمة في حين اعتلى القـط والديك الأغصان، لكـن الديك طار حتـى ذروة الشجرة طلبـاً للأمان التام. وقبـل أن ينام تلفت إلى الجهـات الأربع، فتراءى له أنه يرى ضوءاً بعيـداً، فصاح برفاقه قائلاً: «هناك بيت غيـر بعيد من هنا، فقد رأيت نوراً». فقال الحمار: «علينا إذن أن ننطلق إلى هناك، فظروف المبيت هنا رديئة». وكان رأي الكلب أن بعض العظام مع شيء من اللحم ستكون مفيدة.

فانطلقوا في اتّجاه النور الذي رأوه بعد مدّةٍ وجيزة واضحاً، وأخذ يكبر كلّما تقدّموا إلى أن وصلوا إلى وكرٍ للصوص مُنارٍ بصورةٍ جيّدة. وبحكم كون الحمار أطولهم فقد اقترب من النّافذة ونظر إلى الداخل. «ماذا ترى أيها الحمار الرمادي؟» سألـه الديك، فأجابه الحمار: «أرى طاولة عامـرة بأطايب الطّعام والمشروبات، ومـن حوّلها تجلس مجموعـة من اللصوص المستمتعين جـداً». فعلّق الديك:

Twitter: @ketab_n

«لو كان لنا في ذلك نصيب!» وعلّق الحمـار: «آه لو كنا في مكانهم!» ثم بدأت الحيوانات تتبادل الآراء حول الطّريقة التي عليهم اتّباعها لطرد اللصوص من الدار، وتوصّلوا أخيراً إلى حلّ: إذْ كان على الحمار أن يسند قائمتيه الأماميتين على حافّة النافـذة، ثم يقفز الكلب على ظهر الحمار والقطّـة على ظهر الكلب وأخيراً يطير الدّيـك ليقف على رأس القطّة. وعندما تمّ لهم ذلك، وبإشـارة من الحمار بدأوا جميعهـم بإصدار موسيقاهم: فنهق الحمار وعـوى الكلب وماءتْ القطة وصاح الدّيك، ثم اخترقوا النّافذة إلى داخل الغرفة محطّمين ألواح الزّجاج.

عنـد سماع اللصوص هذا الصياح المرعب انتفضوا واقفين ظنّاً منهم أن شبحاً يهاجمهـم وولـوا الأدبار إلـى الغابة يرافقهـم الذعر والفزع. فجلس الرفاق إلى الطاولـة والتهموا ما تبقى عليها، وكأنهـم سيعانون مجاعة خلال الأسابيع الأربعة القادمة.

وعندما انتهى الموسيقيون الأربعة أطفأوا النور وبحثوا عن مضاجع للنوم، كل منهم حسب طبيعته. فاستلقى الحمار عند كومة الروث والكلب وراء الباب والقط على الموقد إلى جانب الرماد الدافئ، بينما وقف الديك على دعامة الدّيكة، ولما كانوا متعبين من مشوارهم الطّويل فقد ناموا بسرعة.

بعـد أن تجـاوز الوقت منتصف الليـل ورأى اللصوص مـن موقعهم البعيد أن العتمة قد حلّت في الدّار ولم يسمعوا أي ضجّة في هدأةِ الليل، قال قائدهم: «كان يجب علينا ألاّ نهرب بهذه الطريقة»، وأرسلَ أحد رجاله لاستطلاع حال البيت.

ولمّا وجدَ هذا كل شيء هادئاً دخل إلى المطبخ ليشعل الفانوس، وظن أن عينيّ القطـة الناريتين قطعتا فحم ملتهبتان، فقرّب منهما عـود الكبريت ليشعله. ولكن بمـا أن القطة لا تحبّ المزاح في هذه المسـائـل فقد قفزت على وجهه وهي تفحّ بشدة وخدشته. فزع الرجل وارتعد وركض يريد الخروج من الباب الخلفي، لكن الكلب المستلقي هنـاك قفز وعضه في ساقه، ولما تابع هروبه ماراً بكومة الروث رفسـه الحمار رفسة عظيمة بقائمته الخلفية، والديـك الذي أيقظته الضّجة صاح

Twitter: @ketab_n

بأعلـى صوتـه: «كيكي ري كي!». فولّـى الرجل الأدبار بأقصى مـا يمكنه عائداً إلـى قائده، وقـال له: «هناك في البيـت ساحرة مرعبة نفخت فـي وجهي ومزقته بأظافرهـا الطويلة، وعند البـاب الخلفي يقف رجل يحمل سكينـاً طعنني بها في ساقي، وفي الفنـاء الخلفي هناك غول أسود ضربني بالهراوة، وهناك على السطح يجلس القاضي الذي صاح: «هاتوا اللصّ لي»، فهربت بأقصى سرعة».

ومنـذ تلك الليلة لم يجرؤ اللصوص على العودة إلى بيتهم، أما موسيقيو بريمن الأربعـة فقد أعجبهم الحال في الدار ولم يغادروها. والذي روى هذه القصة آخر مرّة، ما زال لسانه دافئاً كجمرة.

×××

Twitter: @ketab_n

(٢٨)

العظْمة التي غنّت

ذات يوم عانت إحدى الممالك عناءً شديداً من خنزير برّي ضخم خرَّب حقول الفلاحين وقتل مواشيهم ومزّق أجساد البشر بأنيابه. وقد وعد الملك مَنْ يخلِّص البلد من هذه المصيبة بجائزة كبيرة. لكن الحيوان كان من الضّخامة والقوة بحيث لم يجرُؤْ أحدٌ على الاقتراب من الغابة التي يسكن فيها. وأخيراً أعلن الملك أن مَن يصطاد الخنزير حيّاً أو ميّتاً سيصير زوجاً لابنته الوحيدة.

وفي تلك المملكة كان يعيش أخوان شابان، ابنا رجل فقير، فسجلا اسميهما في القصر وصرحا بأنهما سيأخذان هذه المهمة الخطيرة على عاتقيهما. أكبرهما، وكان ذكياً وخبيثاً، أقدم على المخاطرة نتيجة عجرفته وغطرسته، أما أصغرهما، وكان بريئاً ساذجاً، فقد أقدم لطيبة قلبه. فخاطبهما الملك قائلاً: «لكي تقابلا الحيوان بصورة أكثر أمناً، ادخلا الغابة من جهتين متقابلتين». فدخلها الكبير من جهة الغرب والصغير من جهة الشرق. وبعد أن قطع الصغير شوطاً من الطريق ظهر له قزمٌ يحمل بيده رمحاً أسود، تقدم منه وقال له: «أقدم لك هذا الرمح لطيبتك وبراءة قلبك، بإمكانك به مواجهة الخنزير البري من دون وجل، فلا يسبب لك أي أذى»، فشكر القزم وأخذ منه الرمح. حمله على كتفه وتابع طريقه دونما خوف.

وبعد مدّةٍ قصيرةٍ شاهد الحيوان الذي ركض باتجاهه مهاجماً، فوجه الشاب الصغير الرمح نحوه، لكن الخنزير البري الهائج بشدة قفز عليه مباشرة، فاخترقه الرمح وشطر قلبه نصفين. حمل الشاب الوحش على كتفه وتوجه عائداً إلى مدينته

Twitter: @ketab_n

ليقدمه إلى الملك. وعندما غادر الغابة من الجهة الأخرى وجد على ناصية الدرب بيتاً، والناس فيه يرقصون ويحتسون النبيذ ويرفّهون عن أنفسهم، وكان من بينهم أخوه الأكبر الذي أقنع نفسه بأن الخنزير البري لن يهرب، ولا ضير في أن يشحن شجاعته ببعض النبيذ. وعندما رأى أخاه الأصغر خارجاً من الغابة حاملاً الطريدة على كتفه، تحرك في قلبه الحسد والشر، فصاح به: «ادخل يا أخي العزيز، استرح وخفف عنك الحملَ وقوّي نفسك بقدح من النبيذ». لم يتوقع الأخ الأصغر سوءاً من وراء الدعوة فدخل وحكى له عن القزم الذي أهداه الرمح وعن قتله الخنزير به. تمكن الأكبر من إعاقة الأصغر عن العودة حتى المساء ثم غادرا معاً، وفي الظلام عندما بلغا جسراً على نهر دفع الأكبر الأصغر أمامه، وعند منتصف الجسر غدر به من الخلف بضربة قاضية رمته إلى النهر ميّتاً. دفنه تحت الجسر مباشرة، ثم حمل الخنزير وذهب به إلى الملك وزعم أمامه أنه قد قتله، ففاز بالأميرة زوجة. وعندما لم يعد الأخ الأصغر أبداً، زعم الأكبر قائلاً: «يحتمل أن يكون الخنزير قد مزقه قبل أن أقتله أنا بالرمح»، وصدق الجميع زعمه.

وبما أن لا شيء يبقى مخفياً إلى الأبد، كان لا بد لهذه الفعلة الشنيعة من أن تظهر. فبعد سنوات طويلة كان راع يعبر الجسر مع قطيعه فرأى على التراب تحت الجسر قطعة عظم بيضاء ناصعة تصلح لأن تكون مَبْسِماً، فنزل إلى الضفة وأخذ العظمة، ثم نحتها حتى صارت مبسماً لمزماره. وعندما نفخ فيها أول مرة، اندهش الراعي دهشة عظيمة عندما أخذت العظمة تغني وتقول:

«آهٍ، أيها العزيز الراعي،

إنّك تنفخ في عظامي!

أخي الشقيق قتلني،

وتحت الجسر دفنني.

Twitter: @ketab_n

بسبب الخنزير حسدني،

ليفوز بالأميرة غدرني».

فقــال الراعــي: «يا له من مزمار عجيب يغنّي من نفســه. لا بد من أن آخذه إلى الملك». وعندما مثُل أمام الملك ونفخ فيه، كرر المزمار أغنيته الصغيرة التي فهمها الملــك جيداً، فأمر بحفر التراب تحت الجسر حتى ظهر الهيكل العظمي الكامل للأخ القتيل. لم يتمكن الأخ الشرير من نفي فعلته، فوضع في كيس خيطت فتحته ورمي ليغرق حيّاً. أما عظام القتيل فنقلت إلى المقبرة المجاورة للكنيسة وسجيّت في قبر جميل.

×××

Twitter: @ketab_n

(٢٩)

الشيطان ذو الشعرات الذهبية الثلاث

في قديم الزمان كانت هناك امرأة فقيرة ولدت صبيّاً. ولأنه نزل إلى الدنيا سليماً، رغم أن حبل الخلاص كان ملتفاً حول عنقه، فقد اعتُبر طفلاً محظوظاً، وتنبأت له العرّافة بأنه عندما يبلغ الرابعة عشرة من عمره ستصبح ابنة الملك عروسه. وصادف بعد فترة قصيرة أن جاء الملك نفسه إلى القرية متنكراً، ولما سأل الناس عن آخر أخبارهم أجابوه: «لقد ولد في القرية مؤخراً طفل محظوظ، كل ما سيفعله سينقلب عليه خيراً. وتقول العرّافة بأنه سيصبح صهر الملك وهو في الرابعة عشرة من عمره». كان قلب هذا الملك خبيثاً وقد أزعجته النبوءة وأقلقته، فذهب إلى والديّ الطفل متظاهراً بالود واللطف وقال لهما: «إنكم أناس فقراء طيبون، دعوني آخذ على عاتقي رعاية ابنكم». في البداية رفضا، ولكن عندما عرض عليهما الرجل الغريب ذهباً ثقيلاً مقابله، فكرا: «إنه طفل محظوظ، وهذا الأمر سينقلب لمصلحته لا شك»، فوافقا أخيراً وسلّماه الصبي.

وضع الملك الصبي داخل صندوق وركب حصانه متابعاً طريقه، إلى أن وصل إلى نهر عميق، فرمى فيه الصندوق وهو يقول لنفسه: «ها قد حررت ابنتي من خطيب الغفلة». لكن الصندوق لم يغرق، بل سبح كزورق صغير، من دون أن تدخله قطرة ماء واحدة، إلى أن وصل إلى طاحون تبعد نحو أربعة كيلو مترات عن عاصمة المملكة، فعلق عند سدّها. ومن حسن حظ الصبي، كان عامل الطاحون واقفاً حينذاك عند السد، فرأى الصندوق و انتشله بخطاف، متوقعاً أن يجد فيه كنزاً كبيراً. لكنه عندما فتحه ووجد فيه صبياً جميلاً ويقظاً، أخذه إلى أصحاب

Twitter: @ketab_n

الطاحون. فرح صاحب الطاحون وزوجته بهذه الهدية الرّبانية، إذ لم يكن لديهما أولاد، فربيا اللّقيط تربية صالحة، فترعرع على خير الفضائل.

وصادف ذات يوم أثناء عاصفة رعدية أن لجأ الملك إلى الطاحون، ولما سألهما عما إذا كان الفتى الذي استقبله ابنهما، أجابه: «لا، إنه لقيط، انتشله عامل الطاحون من النهر». فأدرك الملك أنه لا يمكن أن يكون سوى الطفل المحظوظ الذي رماه في النهر قبل سنوات. فكر الملك قليلاً ثم قال لهما: «أيمكن لفَتاكما أن يوصل رسالة مني إلى الملكة؟ سأمنحه لقاء ذلك قطعتين من الذهب». فأجابا: «بأمر صاحب الجلالة». وأمرا الفتى أن يستعد للانطلاق. كتب الملك رسالة إلى الملكة، جاء فيها: «حالما يسلمكِ هذا الفتى الرسالة، مُري بقتله ودفنه، وليتم ذلك كله قبل عودتي من رحلتي».

انطلق الفتى حاملاً الرسالة، لكنه ضل الطريق ومرَّ مساءً عبر غابة كبيرة، ورأى في الظلمة نوراً ضعيفاً، توجه نحوه، فوصل إلى بيت صغير. وعندما دخله وجد هناك امرأة عجوز تجلس وحيدة قرب النار، فزعت في البداية ثم هدأت لرؤية الفتى فسألته: «من أين جئت وإلى أين تسير؟» فأجابها: «آتٍ من الطاحون وفي طريقي لتسليم رسالة لجلالة الملكة، ولأنني تهتُ في الغابة أرغب في المبيت هنا الليلة». فقالت العجوز: «أيها الفتى المسكين، إنه وكر للصوص، إذا وجدوك هنا عندما يعودون فسوف يقتلونك». فأجاب الفتى: «فليأتِ مَن يشاء. لست أخاف أحداً، لكنني متعب جداً ولا أستطيع متابعة الطريق الآن». وتمدد على مقعد طويل ونام.

بعد فترة غير طويلة عاد اللصوص وسألوا بغضب عن هذا الفتى الغريب النائم، فأجابتهم العجوز: «أخ، إنه فتى طاهر ضل طريقه في الغابة فأشفقت عليه وآويته، وهو يحمل رسالة لجلالة الملكة». فتح اللصوص الرسالة وقرؤوها، فعرفوا أن الفتى سيلاقي موته حالما يسُلّم الرسالة. أحس اللصوص بالشفقة على الفتى، فمزّق قائدهم الرسالة وكتب رسالة جديدة تقول بأن على الملكة أن تزوّج الأميرة

Twitter: @ketab_n

للفتى حال وصوله. وتركوا الفتى نائماً على المقعد حتى الصباح التالي، وعندما استيقظ أعطوه الرسالة وأرشدوه إلى طريق القصر.

عندما استلمت الملكة الرسالة وقرأتها، نفّذت ما ورد فيها فأقامت حفل عرس فاخر، زُفَّت فيه ابنة الملك إلى الطفل المحظوظ، ولما كان الفتى وسيماً وودوداً فقد عاشت معه بسعادة ورضا.

بعد مدّة من الزمن عاد الملك من رحلته إلى قصره ورأى أن النّبوءة قد تحقّقت بزواج المحظوظ بابنته، فسأل الملكة: «كيف حصل هذا؟ فلقد وجهت إليك في رسالتي أمراً مغايراً تماماً». فأعطته الملكة الرسالة قائلة: «اقرأ بنفسك ما جاء فيها». قرأها الملك ولاحظ أنها قد استُبدلت بأخرى. فسأل الفتى عن الرسالة التي كلّفه إيصالها ولماذا سلَّم الملكةَ رسالة أخرى. فأجاب الفتى: «لا علم لي بشيء. لا بد أن الرسالة قد استُبدلت أثناء نومي ليلاً في الغابة». فقال الملك وهو في ذروة غضبه: «لن يمر الأمر بمثل هذه السهولة. فمن يريد ابنتي، عليه أن يُحضر لي من جحيم الشيطان ثلاث شعرات ذهبية من رأسه. إن أحضرتَ لي ما أطلبه، تبقى ابنتي لك». وبذلك أمل الملك أن يتخلص من الفتى بصورة نهائية. لكن الفتى أجابه: «سأحضر الشعرات الذهبية حتماً، فأنا لا أخاف الشيطان». ثم ودَّع زوجته وانطلق.

وصل في طريقه إلى مدينة كبيرة، وعند بوابة سورها سأله الحارس عن مهنته ومعارفه، فأجابه طفل الحظ: «أعرف كل شيء». فقال له الحارس: «تكرَّم علينا إذن وفسِّر لنا، لماذا نافورة الساحة التي كانت تتدفق نبيذاً، لم تعد تعطي حتى ماء؟» فأجابه الفتى: «ستعرفون ذلك، ولكن انتظروا ريثما أعود». وتابع طريقه حتى وصل مدينة أخرى فسأله حارس بوابتها عن مهنته ومعارفه، فأجابه طفل الحظ: «أعرف كل شيء». فقال له الحارس: «تكرَّم وفسِّر لنا إذن لماذا توقفت شجرة مدينتنا التي كانت تثمر تفّاحاً ذهبيّاً، فلم تعد تحمل حتى الأوراق؟» فأجابه الفتى: «ستعرفون ذلك، ولكن انتظروا ريثما أعود». وتابع طريقه حتى وصل إلى

Twitter: @ketab_n

نهـر عريض، لا بد مـن أن يعبره إلى الجانب الآخر. فسألـه قائد العبَّارة عن مهنته ومعارفـه، فأجابه طفل الحـظ: «أعرف كل شيء». فقال له قائـد العبارة: «تكرَّم وأخبرنـي إذن، لماذا يجب عليَّ أن أخوض النهر ذهاباً وإياباً دائماً، ولا يحل أحد محلي؟» فأجابه الفتى: «ستعرف ذلك، ولكن انتظر ريثما أعود».

بعدما غادر الفتى العبارة على الضفة الأخرى، سرعان ما وجد مدخل الجحيم. كان كل شيء في الداخل أسودَ وصدئاً، أما الشيطان فكان غائباً، في حين جلست جدتـه على أريكة مريحة واسعة، ولم يبدُ عليها قط أنها شريرة. سألته العجوز عمّا يريد فأجابها: «بودّي الحصـول على ثلاث شعرات ذهبية من رأس الشيطان وإلا فإني لن أتمكن من الاحتفاظ بزوجتي».

«أنت تطلب الكثير»، قالت العجوز وأردفت: «إذا عاد الشيطان ووجدك هنا، فسيسـوء حالك جداً، لكني أشفق عليك وسأجد طريقة لمساعدتك». حولته إلى نملـة وأمرته بأن يختفـي بين طيّات ثوبها حيث سيكون فـي مأمن. «حسنٌ» قال الفتـى وتابع: «لكنني أود معرفة ثلاثة أمور أيضاً: لماذا جفت نافورةٌ كانت تتدفق نبيـذاً ولم تعد تعطي حتى مـاء، ولماذا ذبُلت شجرةٌ كانت تثمـر تفاحاً ذهبياً ولم تعد تحمل حتى الأوراق، ولماذا يجب على قائد عبارة أن يقطع النهر ذهاباً وإياباً دائمـاً ولا يحل أحدٌ محلّه؟» فأجابته جدّة الشيطان: «إنها أسئلة صعبة، ولكن ابقَ صامتـاً وهادئاً وانصتْ لما يقوله الشيطان عندمـا أنتزعُ الشعرات الذهبية الثلاث من رأسه».

عندمـا حلّ المساء عـاد الشيطان إلى بيته، وما إن دخـل حتى لاحظ أن الهواء ملـوث، فقال: «أشـم، أشم رائحة بشـر، الجو هنا ليس نقيـاً». وفتش في جميع زوايـا المكان، لكنه لم يجد أحـداً، فشتمته جدته قائلة: «لم أكد أنتهي من ترتيب المـكان، وها أنت تُعيث فيه الفوضى ثانية، رائحة البشر معشّشةٌ في أنفك دائماً! هيا اجلس وتناول طعام عشائك». وما إن انتهى من أكله وشربه حتى شعر بالنعاس، ووضع رأسه في حضن جدته وطلب منها أن تُفلّيه من القمل قليلاً. وما إن نام بعد

Twitter: @ketab_n

قليل حتى بدأ ينفخ ويشخر، فأمسكت الجدة بشعرة ذهبية ونتفتها ووضعتها إلى جانبها. «آخ، ماذا تنوين أن تفعلي؟» صاح الشيطان، فأجابته الجدة: «حلمتُ حلماً ثقيلاً فتمسكتُ بشعرك». «بماذا حلمتِ؟» سألها الشيطان، فقالت: «رأيت نافورة في ساحة مدينة كان يتدفق منها النبيذ، لكنها جفت ولم يعد يسيل منها حتى الماء، فما تفسير ذلك يا ترى؟» فقال الشيطان: «آه لو أنهم يعرفون. هناك ضفدع كبير يسد المجرى تحت النافورة، إنْ قتلوه فسيتدفق النبيذ ثانية». تابعت الجدة تفليةَ رأسه إلى أن نام ثانية وشخر حتى صارت النوافذ ترتجف، فنتفت شعرة ثانية. «آخ، ما بكِ؟» صاح الشيطان غاضباً، فقالت له العجوز: «لا تؤاخذني، فعلتها وأنا أحلم». «وماذا حلمتِ؟» سألها الشيطان، فقالت: «هناك في إحدى الممالك شجرة كانت تثمر دائماً تفاحاً ذهبياً، وفجأة لم تعد تحمل حتى الأوراق. فما تفسير ذلك يا ترى؟» فأجاب الشيطان: «آه لو أنهم يعرفون. هناك فأر يقرض الجذور، إنْ قتلوه فستثمر الشجرة ثانية تفاحاً ذهبياً، أما إن تركوه يتابع القرض فستذبل الشجرة كلها. ولكن دعيني من أحلامكِ بسلام الآن. إذا أزعجتني في نومي ثانية فسأضربك». طيّبت الجدة خاطره وتابعت تفلية رأسه حتى نام وشخر، فأمسكت بالشعرة الذهبية الثالثة ونتفتها. انتفض واقفاً وكاد أن يؤذيها، لكنها هدّأتْ من ثورته ثانيةً وقالت: «وماذا بيدي حيال الأحلام المحيّرة!» فسألها بفضول: «وماذا حلمت الآن؟» فقالت: «رأيت في منامي قائد عبّارةٍ يشكو من قيادته المستمرة لها من دون بديل يريحه. فما الحل يا ترى؟» فأجابها الشيطان: «يا له من غبي! عندما يأتيه راكب يريد العبور، فليجعله يمسك المجذاف بنفسه وليغادر هو فيتحرر، بينما يضطر الآخر للتجذيف إلى الضفة الأخرى».

بعد أن حصلت الجدة على الشعرات الذهبية الثلاث وعلى أجوبة الأسئلة الثلاث تركت الشّيطان بسلام، فتابع نومه حتى انبلاج الصباح، فاستيقظ وغادر. وعندها أخرجت الجدة النملة من بين طيّات ثوبها وأعادت تحويلها إلى هيئة الطفل المحظوظ وقالت له: «إليك الشعرات الذهبية الثلاث، وقد سمعتَ حتماً ما قاله الشيطان جواباً على الأسئلة الثلاث». فأجابها الفتى: «نعم، سمعتُ

Twitter: @ketab_n

وحفظتْ». فقالت العجوز: «قد حصلتَ على مرادِك إذن، وبإمكانك الآن أن تذهب في دربك». شكر الفتى العجوز لمساعدته في شدّته وغادر الجحيم وهو سعيد بنجاحه في مهمته.

عندما وصل الفتى إلى قائد العبارة، كان عليه أن يقدم إليه الجواب الموعود، فقال له: «خذني أولاً إلى الضفة الأخرى، وسأخبرك من ثم كيف ستعمل على استبدالك»، وحالما نزل على الضفة الأخرى، أعطاه جواب الشيطان: «عندما يأتيك راكب جديد يريد العبور، اجعله يمسك المجذاف بنفسه وغادر». ثم تابع طريقه إلى المدينة حيث تقف الشجرة الجرداء وحيث يطالب حارس بوابتها بالجواب أيضاً، فأخبره بما سمعه من الشيطان: «اقتلوا الفأر الذي يقرض جذور الشجرة، وعندها ستثمر مجدداً تفّاحاً ذهبياً». فشكره الحارس وأعطاه مكافأة، كانت حمارين محمّلين ذهباً، فساقهما وراءه إلى المدينة التي جفت نافورتها، وأخبر حارس بوابتها بما قاله الشيطان: «هناك ضفدع كبير يسد المجرى تحت النافورة، إنْ قتلتموه فسيتدفق النبيذ ثانية». وهنا أيضاً شكره الحارس ومنحه حمارين محمّلين ذهباً.

وفي نهاية المطاف بلغ الفتى المملكة حيث توجد زوجته الأميرة، التي فرحت من قلبها عندما رأته وسمعت صوته يتحدث عن نجاحاته في كل ما مرَّ به. قدّم الفتى للملك شعرات الشيطان الذهبية الثلاث التي طلبها منه، وعندما رأى الملك الحمير الأربعة المحملة بالذهب امتلأ بهجة وسروراً وقال: «لقد لبّيتَ شروطي ويمكنك الاحتفاظ بابنتي. ولكن أخبرني يا صهري العزيز، من أين لك هذا الذهب الوفير؟ إنه كنزٌ هائل!» فأجابه الفتى: «لقد عبرتُ نهراً عريضاً وغرفتُ من ضفته حيث يتراكم الذهب هناك بدلاً من الرّمل». «وهل يمكن لي أنا أيضاً أن أغرف منه؟» سأله الملك بجشع واضح، فأجابه الفتى: «كل ما تبغيه. دع قائد العبارة يوصلك إلى الضفة الأخرى حيث يمكنك هناك أن تملأ ما شئت من الأكياس». وبكل سرعة جهّز الملك الطماع نفسه للرحلة، وحالما وصل إلى النهر، أشار إلى قائد العبارة لينقله، فجاء قائد العبارة وقال له: «تفضل اركب!» وما إنْ وصلا إلى

Twitter: @ketab_n

الضفة الأخرى حتى وضـع القائد المجذاف في يد الملك وولّى الأدبار. ومنذئذ كان على الملك أن يقود العبارة بنفسه عقاباً له على خطاياه.

«أما زال يجذف يا ترى؟» «حتماً، إذ إنه لن يجد من يأخذ عنه المجذاف».

×××

Twitter: @ketab_n

(٣٠)

القملة والبرغوثة

في يوم من الأيام عاشت قملة وبرغوثة حياة مشتركة في بيت واحد وكانتا تحضّران الطعام في قشرة بيضة. وذات مرة سقطت القملة داخل قشرة البيضة واحترقت، فأخذت البرغوتة تصرخ بصوت عالٍ. سألها باب الغرفة الصغير: «لماذا تصرخين يا برغوتة؟» «لأن القملة احترقت». أجابته البرغوتة، فأخذ الباب الصغير يصدر صريراً، فسألته المكنسة الصغيرة في زاوية الغرفة: «لماذا تصرُّ أيها الباب الصغير؟» فأجابها: «وكيف لا أصرّ؟

القملة احترقت،

والبرغوثة صرخت».

فأخذت المكنسة تكنس بشدة. رأتها عربةٌ صغيرةٌ عابرةٌ فسألتها: «ولماذا تكنسين بهذه الشدة؟» فأجابتها المكنسة الصغيرة: «وكيف لا أشتد في الكنس؟

القملة احترقت،

والبرغوثة صرخت

والبوابة صرّت».

فقالت العربة عندها، «إذن أنا سأسرع»، وأخذت تكرج بسرعة، فمرت بكومة زبل على الناصية سألتها: «لماذا تكرجين بسرعة؟» فأجابته العربة الصغيرة:

Twitter: @ketab_n

«وكيف لا أكرج بسرعة؟

القملة احترقت،

والبرغوثة صرخت،

والبوابة صرّت،

والمكنسة توتّرت».

فقالـت كومة الزبل الصغيـرة: «إذن سأرمـي نفسي في النـار» ورمت نفسها حقاً فـي النار وأخذت تطقطق، فسألتها شجرة صغيـرة واقفة إلى جانبها: «لماذا تطقطقين في النار؟» فأجابتها كومة الزبل الصغيرة: «وكيف لا أطقطق؟

القملة احترقت،

والبرغوثة صرخت،

والبوابة صرّت،

والمكنسة توترت،

والعربة أسرعت».

فقالـت الشجرة الصغيرة عندهـا: «إذًا أنا سأهزّ نفسـي»، وأخذت تهتز حتى تساقطـت جميع أوراقهـا. ورأت ذلك فتاة صغيرة تحمل جـرة صغيرة فسألتها: «لماذا تهتزين هكذا؟» فأجابتها الشجرة الصغيرة: «وكيف لا أهتز؟

القملة احترقت،

والبرغوثة صرخت،

Twitter: @ketab_n

والبوابة صرّت،

والمكنسة توترت،

والعربة أسرعت،

وكومة الزبل طقطقت».

فقالــت الفتاة الصغيرة عندهــا: «إذًا سأكســر أنا جرة الماء الصغيــرة» فسألها الينبــوع الذي يسيــل منه الماء: «لمــاذا كسرتِ جرتــكِ يا فتــاة؟» فأجابته الفتاة الصغيرة: «وكيف لا أكسر جرتي الصغيرة؟

القملة احترقت،

والبرغوثة صرخت،

والبوابة صرّت،

والمكنسة توترت،

والعربة أسرعت،

وكومة الزبل طقطقت،

والشجرة اهتزت».

فقــال الينبوع: «يــا سلام، إذن أنــا سأتدفق»، واندفع يهدر بقــوّة، فجرف في طريقــه الفتاة والشجرة وكومة الزبل والعربة والمكنسة والباب والبرغوثة والقملة وأغرقهم جميعم.

×××

Twitter: @ketab_n

(٣١)

الفتاة المبتورة اليدين

في قديم الزمان كان هناك طحّان جارَ عليه الزمن فازداد فقراً، حتى لم يعد لديه سوى الطاحون وشجرة تفاح كبيرة وراءها.

وذات يوم خرج إلى الغابة ليحتطب، فاقترب منه رجل عجوز، لم يسبق له أن رآه وقال له: «لماذا تجهد نفسك في قطع الأخشاب؟ أنا سأجعلك رجلاً ثرياً، إذا وعدتني بما يقف وراء طاحونك. ففكر الطحان: «وماذا يمكن أن يكون هناك سوى شجرة تفاحي؟» فوافق ووعد الرجل الغريب بذلك. فضحك الغريب وقال ساخراً: «بعد ثلاث سنوات سآتيك لأستلم ما صار حقي» ،وغادر.

عندما وصل الطّحان إلى داره تقدمت منه زوجته وسألته: «أخبرني يا زوجي، من أين جاءت فجأة هذه الثروة إلى بيتنا؟ الصناديق والعلب جميعها ممتلئة، ولم أر أحداً يُدخل شيئاً، ولا أعرف كيف جرى هذا». فأجابها: «هذا من الرجل الغريب الذي التقيته في الغابة وبشّرني بثروة كبيرة، ولقاء ذلك وعدته بما يقف وراء الطاحون: يمكننا طبعاً إعطاؤه شجرة التفاح الكبيرة لقاء الثروة». ارتعبت المرأة مما سمعت وقالت: «آخ يا زوجي، إنه الشيطان، وهو لم يقصد شجرة التفاح، بل ابنتنا التي كانت تكنس الفناء وراء الطاحون».

كانت ابنة الطحان فتاة جميلة وتقية وأمضت السنوات الثلاث في خشية الله من دون خطايا، وعندما انقضى الوقت وأزف موعد استلامها من قبل الشرير، اغتسلت الفتاة ورسمت بالطبشور دائرة حولها. جاء الشيطان في مطلع النهار،

Twitter: @ketab_n

لكنه لم يستطع الاقتراب منها، فخاطب الطحان بغضب قائلاً: «أبعدْ عنها الماء كله كيلا تستطيع الاغتسال والتطهر، وإلا فلا سلطان لي عليها». خشي الطحان الشيطان ونفّذ ما أمره به.

في صباح اليوم التالي جاء الشيطان ثانية، لكنها كانت قد بكت على يديها فتطهرتا، فلم يتمكن من الاقتراب منها مجدداً. ثارت ثائرته وقال للطحان: «ابتر يديها كي أتمكن من السيطرة عليها». فزع الطحان وأجابه: «كيف لي أن أبتر يدي ابنتي!» فهدده الشرير قائلاً: «إنْ لم تفعلها فسآخذك أنت بدلاً منها». هلع والدها ووعده بالطاعة، وذهب إلى الفتاة وقال لها: «يا ابنتي، إذا لم أبتر يديك فسيأخذني الشيطان لي أنا، ونتيجة للخوف فقد وعدتُه بالتنفيذ. ساعديني يا ابنتي في شدتي وسامحيني لما سأُلحقه بك من أذى». فأجابته الفتاة: «افعل بي ما شئت يا أبي الحبيب، فأنا ابنتك» ومدّت كلتي يديها فبترهما. جاء الشيطان في المرة الثالثة فوجد أنها قد بكت طويلاً على جوربيها فبقيت طاهرة نقية، فخسر بذلك حقه فيها.

أما والدها الطحان فقال لها: «لقد غنمت الكثير بسببك يا ابنتي، ولذلك فإني سأرعاك طوال الحياة وبأفضل مستوى»، لكنها أجابته «لا يمكنني البقاء هنا، أريد أن أغادر. كثير من الناس سيشفقون علي ويعطونني أكثر من حاجتي». ثم طلبت منه أن يربط لها ذراعيها المشوهتين إلى ظهرها.

وما إن أشرقت الشمس حتى انطلقت على الطريق، ومشت طوال النهار حتى جاء الليل، فوصلت إلى حديقة ملكيّة، رأت فيها تحت ضياء القمر أشجاراً مثقلة بفاكهة ناضجة جميلة. لكنها لم تستطع الدخول لأن الحديقة كانت محاطة بخندق مملوء بالماء. ولأنها مشت طوال النهار من دون أن تأكل لقمة، وقد نال منها الجوع، فكرت في نفسها: «يا ليتني كنت داخلها لآكل بعض ثمارها، وإلا فإني سأهلك». ثم ركعت ونادت ربها وابتهلت إليه، فظهر ملاك من حيث لا تدري، أغلق بوابة السد فجف الخندق وتمكنت الفتاة من عبوره. فدخلت

Twitter: @ketab_n

الحديقـة والمـلاك معها، ورأت شجرة مثمـرة بأجاصات شهية، بيـد أنها كانت معـدودة. اقتربت الفتـاة وأكلت أجاصـة بفمها من الشجرة مباشـرة حتى سكن جوعهـا فتوقفـت. شاهد البستاني كل ما جرى، ولكـنّ وجود الملاك جعله يظن أن الفتـاة روح، فصمت ولم يجرؤ أن يصيح أو أن يخاطب الروح. بعد أن انتهت الفتاة من أكل حبة الأجاص ذهبت واختبأت بين شجيرات الدغل.

فـي صباح اليوم التالي نزل الملك إلـى حديقته وعدَّ الثمار، فلاحظ نقص حبة أجاص. وعندما سأل البستاني عـن مصيرها لأنه لم يجدها تحت الشجرة، أجابه البستانـي: «فـي الليلة الفائتة دخلـت الحديقة روح بلا يديـن وأكلت بفمها حبة أجاص واحـدة». فسأله الملك: «وكيف عبرت الروح المـاء إلى الحديقة؟ وأين ذهبت بعد أن أكلت الأجاصة؟» فأجابه البستاني: «نزل أحدهـم من السماء بثوب كالثلـج، أغلق بوابـة السد، فمنع المـاء عن الخندق حتى عبـرت الروح. ولأنني أُرجّح أنه كان ملاكاً خشيت أن أصيح أو أن أسأل. وبعد أن أكلت الروح الأجاصة ذهبت من حيث أتت». فقال الملك: «إذا كانت روايتك صحيحة فسأسهر معك هذه الليلة».

عندمـا حلّ الليل نـزل الملك إلى الحديقة ومعه قسٌ ليخاطب الروح. جلس الثلاثـة وراء الشجرة متيقظين. وعند منتصف الليل تسلّلت الفتاة من الدّغل، دنت من الشجرة وأكلت بفمها حبة أجاص واحدة والملاك واقف إلى جانبها في ردائه الأبيض. فظهر القس من تحت الشجرة وقال: «أقادمة أنتِ من السماء أم من هذه الدنيا؟» فأجابته الفتاة: «أنـا لست روحاً، بل إنسان مسكين، تخلّى عنه الجميع، إلّا الله». فقال الملك: «إذا كان جميع البشر قد تخلّوا عنكِ، فأنا لن أتخلّى عنكِ» وأخذهـا معه إلى قصره الملكي. ولمّا كانت جميلة وتقية فقد أحبها من كل قلبه، وأمر بصنع يدين فضّيتين لها وجعلها زوجته.

بعـد مرور سنة اضطر الملك لقيادة جيشه فـي القتال، فطلب من والدته رعاية الملكـة الشابة وقال: «عندمـا يأتيها المخاض اعتنوا بها جيـداً واكتبوا لي رسالة

Twitter: @ketab_n

فوراً». وضعت الملكة الشابة صبيّاً جميلاً، فكتبت أم الملك لابنها على عجل تزف إليه البشرى السعيدة. لكن الرسول قرر أن يستريح قليلاً قرب جدول، وبما أنه كان مرهقاً من طول الطريق فقد نام في مكانه. فجاءه الشيطان الذي لم يتخل عن إيذاء الملكة التقية، واستبدل بالرسالة أخرى، ورد فيها أن الملكة قد ولدت ابن جنّي ممسوخاً. عندما قرأ الملك الرسالة أرعبه الخبر فتكدر، لكنه كتب في جوابه أن عليهم الاستمرار في رعايتها حتى عودته. عاد الرسول بالجواب واستراح في المكان نفسه ونام. فجاءه الشيطان ثانية واستبدل بالرسالة التي في محفظته أخرى جديدة تأمر الملكة الأم بقتل الملكة الشابة ومولودها. هال الملكة الأم جواب ابنها ولم تستطع تصديقها، فكتبت إليه مرة ثانية، لكنها لم تستلم جواباً مغايراً، لأن الشيطان كان يعترض الرسول النائم كل مرة ويستبدل الرسائل، وأضاف إلى جواب الملك الأخير أن عليهم في القصر الاحتفاظ بلسان وعينيّ الملكة الشابّة كدليل.

لكن والدة الملك الشفوقة بكت من إراقة دم بريء، فأمرت ليلاً بإحضار غزالة ليُقَص لسانُها وتُقتلع عيناها، وحفظتهم عندها، ثم قالت للملكة الشابة: «لا استطيع أن آمر بقتلك وفق أمر الملك، ولكن لا يجوز أن تبقي هنا بعد الآن. اذهبي مع طفلك إلى دنيا الله الواسعة. ولا تعودي أبداً». ربطت لها ابنها على ظهرها، فخرجت المسكينة من القصر وهي تذرف الدموع، ومشت إلى أن وصلت إلى غابة كثيفة فركعت وابتهلت إلى ربها، فظهر لها الملاك وقادها إلى بيت صغير، عُلِّقت على بابه لوحة كُتب عليها: «من يعيش هنا فهو حر». خرجت من البيت الصغير عذراء بيضاء كالثلج وقالت لها: «صباح الخير أيتها الملكة» وأدخلتها، ثم فكت رباط الطفل عن ظهرها ووضعته على صدر الأم ليرضع، ثم وسَّدته في سريرٍ صغير مرتب وجميل. فسألتها المرأة المسكينة: «كيف عرفتِ أني كنتُ ملكة؟» فأجابتها العذراء البيضاء: «أنا ملاك أرسله الرب إليك لرعايتك مع ابنك». وبقيت المرأة وطفلها في هذا البيت طوال سبع سنوات في رعاية ممتازة. وكان من رحمة الرب بها لتُقاها وورعها أن نمت يداها المبتورتان ثانية.

Twitter: @ketab_n

وأخيراً عاد الملك من ميدان المعارك إلى قصره، وكان أول ما أراده هو رؤية زوجته وابنه. عندها أخذت الملكة الأم تذرف الدموع وقالت لابنها: «أيها الرجل القاسي، كيف تأمرني في رسالتك بقتل نفسين بريئتين!» وأرته الرسالتين اللتين استبدلهما الشيطان، وأردفت: «لقد نفذت أمرك»، وأرته الأدلة: اللسان والعينين. وهنا بدأ الملك ينتحب بمرارة متحسراً على زوجته وابنه، حتى أشفقت عليه أمه وقالت له: «كن راضياً، إنهما مازالا على قيد الحياة. لقد أمرت سراً بذبح غزالة وأخذت الأدلة منها. أما زوجتك فقد ربطت لها ابنها على ظهرها وأمرتها بأن تخرج إلى الدنيا الواسعة بعد أن تعهدت لي بألا تعود إلى هنا أبداً بسبب غضبك الشديد عليها». فقال الملك: «سوف أصل إلى آخر الدنيا بحثاً عن زوجتي الحبيبة وابني وأتعهد بألا آكل أو اشرب إلى أن أحقِّق هدفي، هذا إن لم يكونا خلال هذه المدّة قد ماتا جوعاً».

وخرج الملك في جولة بحث امتدت سبع سنوات، فتش خلالها في مقالع الحجارة والمغاور جميعها من دون أن يجدهما، وفكر بأنهما قد هلكا. واستمر طوال الوقت من دون طعام أو شراب، لكن الرب حفظه. وفي نهاية المطاف وصل إلى غابة كبيرة وجد فيها البيت الصغير الذي يحمل لوحة: «مَن يعيش هنا فهو حر». خرجت العذراء البيضاء لاستقباله وأمسكت بيده وأدخلته مرحّبة بقولها: «أهلاً وسهلاً بالملك». وسألته: «من أين أنت قادم؟» فأجابها: «كدت أشارف على السبع سنوات وأنا أجول بحثاً عن زوجتي وابني، لكنني لم أجدهما». قدّم له الملاك طعاماً وشراباً، لكنه امتنع وأراد فقط أن يرتاح قليلاً، واستلقى لينام وغطّى وجهه بمنديل.

دخل الملاك إلى الحجرة حيث تجلس الملكة وابنها الذي أسمته (عذاب) وقالت لها: «اخرجي إلى الردهة مع ابنك، فقد حضر زوجك»، فخرجت إلى حيث كان مضطّجعاً وقد سقط المنديل عن وجهه. فخاطبت ابنها قائلة: «ارفع يا عذاب المنديل وغطِّي به وجه أبيك». فرفعه الصبي وغطّى به وجه المستلقي. سمع الملك ذلك في غفوته فترك المنديل يسقط ثانية عن وجهه. نفد صبر

Twitter: @ketab_n

الصبي وقال: «يا أمي الحبيبة، كيف يمكن أن أغطّي وجه أبي، وأنا لا أب لي في هذه الدنيا؟ لقد تعلمتُ أن أقول في الصلاة (أبانا الذي في السماوات) وأنتِ أخبرتني أن أبي في السماء هو الرب الرحيم: فكيف سأتعرف على أبي في هذا الرجل المتوحش؟» عندما سمع الملك ذلك اعتدل وسألها من تكون. فأجابته: «أنا زوجتك وهذا ابنك (عذاب)» وعندما رأى يديها الطبيعيتين قال: «ولكن لزوجتي يدين فضيتين!» فقالت: «الرب الرحيم جعل يدي الطبيعيتين تنموان من جديد» وذهب الملاك إلى الحجرة وأحضر اليدين الفضيتين وأراه إياهما، فتأكد عندها من أنها زوجته الحبيبة ومن أن (عذاب) هو ابنه، فقبلّهما كليهما وقال بفرح واضح: «الآن سقط عن قلبي حجر ثقيل». فقدّم لهم ملاك الرب الطعام والشراب وغادروا معاً إلى أم الملك العجوز في قصره، حيث عمّت الأفراح في كل مكان، وأقام الملك والملكة حفل زفاف جديد، وعاشوا في سعادة معاً حتى نهاية أيّامهم.

×××

Twitter: @ketab_n

(٣٢)

هانس الذكي

تلاعب لغوي بالعامية، وغير قابل للترجمة.

Twitter: @ketab_n

(٣٣)

اللغات الثلاث

فـي سويسرا كان يعيش ذات يوم دوقٌ عجوزٌ، لديه ابن وحيد، لكن الابن كان غبيّـاً لا يستطيع أن يتعلّم شيئاً. فقال له أبوه: «اسمع يا بني! أنا أخفقت في تعليمك أي شـيء، فلا شـيء يبقى فـي رأسك، مهما حاولـت. لذلك لا بد مـن رحيلك، سأرسلـك إلى معلم شهير ليحـاول جهده معك». وأرسل الفتـى إلى مدينة أخرى بقي فيها تحت إشراف المعلم سنة كاملة.

بعـد انقضـاء الأجل عاد الفتى إلى دار أبيه الذي سألـه: «والآن يا بني، أخبرني مـاذا تعلمت». فأجابه: «لقد تعلمت لغة الكلاب يا أبي». «أعوذ بالله، أهذا كل ما تعلمتـه!» صاح الأب، ثم أضـاف: «سأرسلك إلى مدينة أخـرى وإلى معلم آخر، وسنرى». أُرسل الفتى إلى المعّلم الجديد وبقي عنده أيضاً سنة كاملة. وحال عودته سأله أبوه مجدداً: «ماذا تعلمت الآن يا بني؟» فأجابه: «تعلمت لغة الطيور يا أبي». فغضب الأب غضباً شديداً وصاح: «يا خسارتك، أضعت الوقت الثمين ولم تتعلم شيئـاً، وتواجهني بذلك مـن دون أن تخجل من نفسك! سأرسلك إلى معلم ثالث، وإنْ لم تتعلم هذه المرة شيئاً فسأتبرأ من أبوّتك».

بقـي الفتى عنـد المعلم الثالث سنة كاملـة أيضاً، وعندما عاد إلـى دار أبيه سأله فـوراً: «مـاذا تعلمت الآن يا بنـي؟» فأجابه: «في هـذه السنة يا أبـي، تعلمت لغة الضفـادع». بلغ الأب ذروة غضبه، فانتفض واقفـاً ونادى أقاربه وموظفيه وأعلن: «هـذا المخلوق لم يعد ابنـي، أنا أتبرأ منه. خذوه إلى الغابـة واقتلوه. فاقتادوه إلى

Twitter: @ketab_n

الغابة، لكنهم أشفقوا عليه فلم يقتلوه، بل تركوه طليقاً، وذبحوا غزالاً أخذوا لسانه وعينيه إلى الدوق العجوز دليلاً على تنفيذهم أمره.

شرد الفتى في البرية إلى أن وصل بعد مدة إلى قلعة فطلب من سيّدها المبيت ليلاً، فأجابه سيد القلعة: «أوافق على مبيتك ولكن أسفل البرج القديم، وأحذرك من أنّ في ذلك خطراً على حياتك، فالبرج مليء بكلاب متوحّشة تعوي وتنبح بلا توقف. وفي أوقات محددة نرمي إليها جثة إنسان فتفترسها فوراً».

كانت المنطقة تشعر بالحزن والألم لهذه الحال، لكن الجميع بقوا عاجزين عن إيجاد حلٍّ للخلاص. أما الفتى فإنه لم يشعر بأي خوف من هذا الكلام، بل قال: «أنزلوني إلى الكلاب النابحة في أسفل البرج، ولكن زوّدوني بما أستطيع أن أرميه لها، فهي لن تؤذيني». ونزولاً عند رغبته زودوه ببعض الطعام للكلاب المتوحّشة وأنزلوه إلى أسفل البرج. وعندما وصل لم تنبح الكلاب وتهاجمه، بل أخذت تهز أذنابها بفرح وتحلقت حوله. أكلت الكلاب ما قدمه إليها من دون أن تمسّه بأي أذى.

وفي صباح اليوم التالي ولدهشة الجميع خرج لهم الشاب صحيحاً معافى وقال لسيد القلعة: «لقد أسَّرت إلي الكلاب بلغتها سبب وجودها الدائم هناك ونشرها الذعر بين سكان المنطقة. إنها كلاب مسحورة وعليها حراسة كنز كبير موجود هناك أسفل البرج. ولن يزول عنها السحر حتى يُرفع الكنز، وقد أرشدوني بلغتهم إلى طريقة تحقيق ذلك». فرح الجميع بما سمعوه واطمأنوا. وقال سيّد القلعة للفتى بأنه سيجعله بمنزلة ابنه إذا نفّذ العملية بنجاح. فنزل الفتى إلى أسفل البرج ثانية، وبما أنه كان يعرف ما عليه نجح وخرج إلى الناس حاملاً معه صندوقاً مملوءاً بالذهب. ومنذئذ توقف النباح واختفت الكلاب وتحررت البلد من اللعنة.

بعد مدة من الزمن خطر ببال الفتى أن يسافر إلى روما. وفي أثناء رحلته مرّ قرب مستنقع تجلس على ضفته الضفادع وهي تنق مع بعضها، فأنصت إليها، وعندما

Twitter: @ketab_n

فهــم ما تتحدث عنه، بدا قلقــاً وحزيناً. وأخيراً وصل إلــى روما، حيث كان البابا قد توفي مؤخــراً والكرادلة يتخبطون ولا يدرون من ينتخبون خلَفاً له على كرسي البابويــة. لكنهم اتفقوا أخيراً علــى أن مَن تتبدى عليه علامَةُ معجزةٍ ربانية سيكون البابا الجديد. وما إن أقروا هذا الاتفاق حتى دخل الدوق الشاب الكنيسة، وفجأة طــارت حمامتان بيضاوان وحطتا على كتفي الــدوق وبقيتا هناك، فاعتبر مجلس الكرادلــة ذلك علامةً من الرب، فسألوه من فورهــم، عما إذا كان يقبل بأن يصبح البابــا. فوقع في حيرة ولم يدرِ إذا مــا كان لائقاً بالمنصب. لكن الحمامتين أقنعتاه بوجــوب القبول، فوافق أخيراً. وسرعــان ما مُشِح ورُسِم بابــا، وبذلك تحقق ما سمعه علــى الطريق من نقيق الضفادع، وما أقلقه وأذهلــه، أي أن يصبح هو نفسه قداســة البابا. وكان عليه عقب ذلــك أن يرأس قداساً وينشد فيه من دون أن يعرف كلمة واحدة من النشيد، لكن الحمامتين الجالستين على كتفيه لقَّنتاه كل شيء في أذنيه.

×××

(٣٤)

إِلْزة الذكية

كان لرجل ابنة، ينادونها إلزة الذكية. وعندما كبرت البنت قال أبوها: «يجب أن نزوِّجها». وقالت أمها: «نعم يجب، ولكن لو يأتينا من يرغب فيها». وأخيراً جاءهم شاب من مكان بعيد، اسمه هانس، وخطبها لنفسه، بشرط أن تكون إلزة الذكية ذكيّة حقاً وفعلاً. فقال له أبوها: «إن رأسها مليء بالأفكار»، وقالت له أمها: «إنها ترى الريح وهي تمرح في الأزقة وتسمع سعال الذباب». فأجاب هانس: «حسناً، فإنْ لم تكن ذكية حقاً وفعلاً لن آخذها».

وعندما جلسوا جميعهم لتناول الطعام، قالت لها أمها: «إلزة، انزلي إلى القبو واملئي لنا إبريق البيرة». فأخذت إلزة الذكية الإبريق عن الرف ونزلت إلى القبو، وصارت تطرق بغطائه على الدرج كيلا تشعر بالملل. ولما وصلت إلى القبو أخذت كرسيّاً واطئاً ووضعته أمام برميل البيرة كيلا تضطر إلى الانحناء فيؤلمها ظهرها وتُلحق به أذى غير متوقع، ثم وضعت الإبريق أمامها وأدارت صنبور البرميل، وأرادت حتى امتلاء الإبريق ألا تترك عينيها في حالة خمول، فأخذت تنقل نظرها في أرجاء السقف، وبعد كثير من التحديق رأت فوقها تماماً شَنْكلاً نسيه عمال البناء سهواً. وفجأة أخذت إلزة الذكية تبكي وهي تقول لنفسها: «إذا تزوجتُ هانسِ وأنجبت منه طفلاً وكبر الطفل وأرسلناه إلى القبو ليملأ إبريق البيرة فقد يسقط الشنكل على رأسه ويقتله»، وبقيتْ جالسةً تنتحب وتولول خوفاً من الكارثة القادمة.

والجالسون فوق كانوا بانتظار البيرة، لكن إلزة الذكية لم تأتِ ولم تأتِ.

Twitter: @ketab_n

فقالت الأم للخادمة: «انزلي إلى القبو وانظري لماذا تأخرت إلزة». نزلت الخادمة فوجدتها جالسة أمام البرميل وهي تولول، فسألتها: «ما بك يا إلزة، لماذا تبكين؟» فأجابتها: «وكيف تريدينني ألا أبكي؟ إذا تزوجتُ هانس وأنجبت منه طفلاً وكبر الطفل وأرسلناه إلى القبو ليملأ إبريق البيرة فقد يسقط الشنكل على رأسه ويقتله»، فقالت الخادمة: «ما أذكاكِ يا إلزة!» وجلست إلى جانبها تبكي الكارثة القادمة.

عندما لم ترجع الخادمة بعد فترة من الزمن وازداد عطش الجالسين فوق، قال الأب للخادم: «انزل أنت إلى القبو وانظر لماذا تأخرت إلزة و الخادمة». فنزل الخادم ووجد إلزة والخادمة جالستين أمام البرميل وتنتحبان معاً، فسألهما: «لماذا تبكيان؟» فأجابته إلزة: «وكيف تريدنا ألا أبكي؟ إذا تزوجتُ هانس وأنجبت منه طفلاً وكبر الطفل وأرسلناه إلى القبو ليملأ إبريق البيرة فقدْ يسقطُ الشّنكل على رأسه ويقتله»، فقال الخادم: «ما أذكاكِ يا إلزة!» وجلس إلى جانبهما يبكي الكارثة القادمة.

انتظر الجماعة فوق عودةَ الخادم، ولكن عندما لم يعد، قال الزوج لزوجته: «اذهبي بنفسك إلى تحت وانظري لماذا تأخرت إلزة». نزلت الزوجة فوجدت الثلاثة جالسين ينتحبون، فسألتهم عن السبب، فحكت لها إلزة أن طفلها الذي ستلده في المستقبل قد يموت قتلاً بسبب سقوط الشنكل فوق رأسه، عندما يكبر وينزل إلى القبو لملء إبريق البيرة. فإذا بالأم تردد كالآخرين: «ما أذكاكِ يا إلزة!» وجلست إلى جانبهم وشاركتهم النحيب.

انتظر الزوج فوق، فترةً أخرى من الوقت، ولكنْ عندما لم تعد زوجته من تحت واشتد عطشه، قال: «يبدو أنه لا بد من نزولي أنا إلى القبو لأرى لماذا تأخرت إلزة». لكنه عندما وصل ورأى الجميع جالسين ينتحبون، وسمع أن السبب في ذلك هو طفل إلزة الذي قد تنجبه ذات يوم إلى هذه الدنيا والذي يُحتمل أن يقتله الشنكل إذا صادف جلوسه لملء إبريق البيرة لحظة سقوطه، صاح عندها: «ما أذكاكِ يا إلزة!» وشاركهم الجلوس والولولة.

Twitter: @ketab_n

أما الخطيب فقد طال انتظاره وحده فوق، ولمّا لم يعد أحدٌ منهم قال لنفسه: «لا شك أنهم بانتظارك تحت، فانزل لترى ما يخططون له». عندما دخل القبو رأى الخمسة هناك جالسين يبكون ويولولون بصورة تقطع نياط القلب، وكل منهم يجود أكثر من الآخر. فسأل: «ما الكارثة التي وقعت؟» فأجابته إلزة: «أخ، يا عزيزي هانس، عندما نتزوج نحن الاثنان وننجب طفلاً ويكبر، يمكن أن نرسله إلى هنا ليجلب لنا بيرة، وعندها يمكن لهذا الشنكل المنسي إذا سقط أن يفدغَ رأسه فيقتله. فكيف لا نبكي؟» فقال هانس: «أظن أن بيتي لا يحتاج إلى ذكاء أكثر من هذا. وبما أنكِ يا إلزة على هذه الدرجة من الذكاء فسآخذك»، وأمسك بيدها وصعد معها إلى فوق وعقد قرانه عليها.

بعد مرور مدة على زواجهما قال هانس: «سأذهب يا زوجتي لأشتغل وأكسب نقوداً لمصروفنا، اخرجي أنت إلى الأرض واقطعي الذرة ليكون عندنا خبز». فأجابته: «حسناً، يا هانس العزيز، سأخرج».

بعد ذهاب هانس أعدت إلزة لنفسها عصيدة جيدة أخذتها معها إلى الأرض، وعندما وصلت إلى حقلهم قالت لنفسها: «ماذا أفعل الآن؟ هل أقطف الذرة أم آكل أولاً؟ سآكل أولاً،» وأكلت العصيدة كلها حتى انتفخت شبعاً، فقالت لنفسها ثانية: «ماذا أفعل الآن؟ هل أقطف الذرة أم أنام أولاً؟ سأنام أولاً». واستلقت على الأرض بين أكواز الذرة وغرقت في النوم، في حين أن هانس كان قد عاد إلى البيت وقال لنفسه: «يا لذكاء زوجتي إلزة ويا لشطارتها، إنها حتى لم تعد إلى البيت ظهراً لتأكل».

وعندما حل المساء ولم ترجع إلزة بعد، خرج من الدار ليرى كم قطفت من الأكواز. لكنه لم يجد أي كوز مقطوف، ووجدها مستلقية ونائمة. فأسرع إلى البيت وأخرج شبكة لصيد العصافير ذات أصداف معلقة بأطرافها، وعلقها فوقها بحيث غطتها وهي لا تزال نائمة، ثم عاد إلى البيت وأقفل الباب من الداخل، وجلس على كرسيه ليعمل.

Twitter: @ketab_n

وأخيـراً بعدمـا غرقت الدنيا في عتمة الظـلام استيقظت إلـزة الذكية، وعندما نهضـت واقفـة سمعت طقطقة مـن حولها، ومـع كل حركة أخـذت الأصداف تـرن كأجراسـ صغيرة، ففزعت ولم تعد واثقة ما إذا كانـت هي إلزة الذكية حقاً، وقالـت لنفسها: «هل أنا إلزة ، أم أنني لسـت هي؟» لكنها لم تدرِ جواباً للسؤال، فتوقفـت برهة مُشكّكة فـي الأمر، ثم فكرت: «سأذهب إلـى البيت واسأل ما إذا كُنت هي أم لم أكُن، فهم حتماً يعرفون». ومشت حتى باب البيت، فوجدته مقفلاً من الداخـل، فقرعت على النافذة وصاحت: «هانس، هل إلزة عندك؟» فأجابها: «نعـم، إلزة عندي». فارتعبت وقالت: «يا إلهـي، إذاً أنا لست إلزة»، وذهبت إلى باب بيت آخـر، ولكن عندما سمع سكانه رنين الأصـداف لم يفتحوا بابهم، فلم تجد إلزة أي مأوى، فمشت مغادرة القرية ولم يعد يراها أحد.

×××

Twitter: @ketab_n

(٣٥)

الخياط في السماء

حـدث ذات يومٍ صحو جميل أن رغـب الرب العزيز بالتجول في الحديقة السماوية، وأخذ معه جميـع الرُّسل والقدِّيسين، فلم يتبق أحد في الجنة سوى القديسـ بطرس. وقـد أمره الـرب ألاّ يسمح لأحد بالدخول فـي أثناء غيابه، فوقف بطرس عند بوابة الجنة حارساً.

بعـد مدةٍ قصيـرةٍ قَرع أحدهم على البوابة، فسألـه بطرس من يكون وماذا يبغـي. فجاءه الجـواب بصوت ناعـم: «أنا خيـاطٌ فقيرٌ شريـفٌ يرجو الإذن بالدخـول». فقال لـه بطرس: «آه شريف، مثل اللص علـى المشنقة، تلاعبتَ بأصابعـك وقصصـت لنفسك من أقمشة الناس. لن تدخـل الجنة. لقد أمرني الرب بألاّ أُدخل أحداً طوال غيابه». فصاح الخياط: «كن رحيماً. خِرقُ الرتْقِ التـي تسقط مـن نفسها عن طاولة الخياطـة لا تُعد سرقـة ولا تستحق الذكر. انظـر، إنـي أعرج وقـد تقرحت قدمـاي من الطريـق حتى هنـا. يستحيل أن أتمكن مـن الرجوع على عقبي. دعني أدخل أرجوك. سأقوم بجميع الأعمال المبتذلة. سأحمل صغار الأطفال، وأغسل الأقمطة وأنظّف المقاعد التي لعبوا فوقهـا وأرتق ثيابهـم». أشفق عليه بطرس وفتح بوابـة الجنة بمقدار ما يسمح بمـرور الخياط النحيل والأعرج. وأمره بالجلوس فـي زاوية وراء البوابة كيلا ينتبـه إليه الرب عند عودته فيغضب. أطاع الخيـاط الأمر، ولكن عندما خرج القديس من البوابة قليلاً، نهض الخياط يملؤه الفضول وتجول في أنحاء الجنة وهـو يدقق النظر فـي كل شيء، إلى أن وصل إلى ساحة فيها كثير من الكراسي

Twitter: @ketab_n

الجميلـة والثمينـة، وفي وسطهـا مقعدٌ مريح مـن الذهب الخالص ومرصع بأحجـار كريمة متلألئة، وكان أعلى بكثير من سائـر الكراسي، وأمامه كرسيٌّ ذهبيٌّ واطـئٌ للقدمين. وكان هذا كرسي الرب، يجلس عليه أثناء وجوده في الجنـة. ومنه يستطيع أن يرى كل ما يجري على الأرض. وقف الخياط طويلاً أمام هذا الكرسي وهو يُمعن فيه النظر، فقد أعجبه أكثر من أي شيء آخر.

وبما أنه لم يتمكن من لجم فضوله، فقد تسلّق الكرسي وجلس عليه، فرأى كل ما يجري على الأرض، ولاحظ عجوزاً شمطاء تقف عند نهر وتغسل ثياباً وقد أخفت جانباً وشاحين. أغضبَ هذا المشهدُ الخياط إلى درجة أن أمسك كرسـيّ القدمين الذهبي وقذفه من الجنة باتجاه اللصـة العجوز على الأرض. وبمـا أنه لم يتمكن من استعادة الكرسـي الذهبي الصغير فقد تسلل بهدوء عن كرسي الـرب وعاد للجلوس في مكانه وراء بوابة الجنـة متظاهراً أنه لم يمسّ حتى قشّة.

عندما عاد الرب بصحبة الحاشية السماوية، لم ينتبه إلى وجود الخياط وراء البوابـة، لكنه عندما جلس على كرسيّه افتقد كرسي القدمين الواطئ. سأل عنه القديسـ بطرس، بيد أنه لم يجد لديه جواباً، فتابع يسأله عما إذا كان قد أدخلَ أحـداً، فأجاب: «لا أعرف إن جاء أحدٌ سوى خياط أعرج ما زال يجلس وراء البوابة». أمر الرب أن يَمثُل الخياط أمامه ثم سأله إنْ كان قد أخذ الكرسي وأين وضعـه. فأجاب الخياط بانشـراح: «كنتُ يا ربي وسيدي فـي سورةِ غضبٍ فرميتـه على امرأة عجوز، ضبطتها تسرق وشاحين أثناء غسلها الثياب». فقال الرب: «يا لـك من مهرّجٍ خبيث. لو أردتُ محاكمة الناس بطريقتك، أتعرف إلام كان سيـؤول حالُك، ومنذ مدة طويلة؟ ولمـا بقي عندي هنا أيّة كراسٍ أو مقاعـد أو أرائك، ولا حتى منكاش المدفأة، بل كنتُ سأرميها على الخطاة. لا يسعـك أن تبقى في الجنة بعد الآن، بل عليك الخروج من بوابتها، ومن هناك انتبه إلى طريقك. لا يوجد هنا من يعاقِب سواي أنا الرب».

Twitter: @ketab_n

كان على القديس بطرس إيصالَ الخياط إلى خارج الجنة، ولأن حذاءه كان مهترئاً وممزقاً وقدميه متقرحتين، تناول عصا وتعكز عليها حتى وصل إلى قاعة «انتظر بُرهة»، حيث يجلس الجنود الشهداء بسرور وهناء.

×××

Twitter: @ketab_n

(٣٦)

المائدة العجيبة والحمار الذهبي والهراوة الراقصة

في قديم الزمان كان هناك خياط عنده ثلاثة أبناء وعنزة واحدة. وبما أن هذه العنزة كانت تغذّيهم جميعهم بحليبها، كان لا بد من إخراجها يومياً لترعى في المروج عشباً دسماً. وقام الأبناء بهذه المهمة على نحو منتظم، كلٌّ في دوره. وذات يوم ساق الابن البكر العنزة إلى مقبرة الكنيسة حيث تنمو أفضل الأعشاب وتركها ترعى هنا وهناك إلى أن جاء المساء وحان وقت العودة إلى الدار، فسأل البكر العنزة: «يا عنزة، هل شبعتِ؟» فأجابته العنزة:

«نعم، بطني امتلأ،

لا أرغب بأي كلأ: ماع، ماع!»

«لنذهب إلى الدار إذاً»، قال البكر، وقادها من حبلها الرقيق إلى الزريبة وربطها هناك. فسأله الخياط العجوز: «هل حصلت العنزة على ما يكفي من العشب؟» فأجابه البكر: «طبعاً، فبطنها قد امتلأ، وهي لا ترغب بأي كلأ». لكن الوالد أراد أن يتأكد من الأمر بنفسه، فنزل إلى الزريبة، ربّت على الحيوان العزيز وسأله: «يا عنزة، هل شبعت؟» فأجابته العنزة:

«ومن أين سيأتي الشبع؟

قفزت بين القبور بفزع

ولم أر هناك عشبةً تنفع: ماع، ماع!»

Twitter: @ketab_n

«ما هذا الذي أسمعه!» صاح الخياط وهرع إلى بكره قائلاً: «يا سلام ما أكذبك، تزعم أن العنزة قد شبعت في حين أنك تركتها تجوع؟» وفي ثورة غضبه تناول المتر الخشبي المعلّق على الجدار وأخذ يلاحق به بِكره بالضربات حتى طرده من الدار.

في اليوم التالي جاء دور الابن الأوسط، فاختار عند سياج البستان مكاناً ممتلئاً بالحشائش النضرة، فالتهمتها العنزة كلها. وعندما أراد العودة إلى الدار مساءً سألها: يا عنزة، هل شبعتِ؟» فأجابته:

«نعم، بطني امتلأ،

لا أرغب بأي كلأ: ماع، ماع!»

«لنذهب إلى الدار إذاً»، قال الأوسط وساقها إلى الزريبة حيث ربطها. فسأله الخيّاط العجوز: «هل حصلت العنزة على ما يكفي من العشب؟» فأجابه الأوسط: «طبعاً، فبطنها قد امتلأ، وهي لا ترغب بأي كلأ». لم يركن الوالد إلى هذه الكلام المريح، فنزل إلى الزريبة وسأل العنزة: «يا عنزة، هل شبعتِ؟» فأجابته:

«ومن أين سيأتي الشبع؟

بحثت تحت السياج بدون دلع،

ولم أرَ هناك عشبة تنفع: ماع، ماع!»

«أيها الزنديق اللعين» صاح الخياط «كيف تترك هذا الحيوان المسكين ليجوع!» وهرع إلى ابنه وأوسعه ضرباً بالمتر الخشبي حتى طرده من الدار.

وأخيراً جاء دور الابن الأصغر الذي أراد أن ينجز مهمته بنجاح، ففتش عن دغل غني بالأعشاب والحشائش وأطلق العنزة هناك لترعى. وعندما حل المساء سألها: «يا عنزة، هل شبعت؟» فأجابته:

Twitter: @ketab_n

«نعم، بطني امتلأ،

لا أرغب بأي كلأ: ماع، ماع!»

«لنذهب إلى الدار إذاً»، قال الابن الأصغر وساقها إلى الزريبة وربطها هناك. فسأله الخياط العجوز: «هل حصلت العنزة على ما يكفي من العشب؟» فأجابه الأصغر: «طبعاً، فبطنها قد امتلأ، وهي لا ترغب بأي كلأ». لم يثق الخياط بهذا الكلام المكرر، فنزل بنفسه وسألها: «يا عنزة هل شبعت؟» فأجابته اللئيمة:

«ومن أين يأتي الشبع؟

ضعت بين الأغصان ولم أتمتع،

ولم أجد عشبة واحدة تنفع: ماع، ماع!»

«أيها الكذاب الشّرير»، صاح الخياط «أولاد كفرة لا تعرفون الواجب، لن تتلاعبوا بي بعد الآن أبداً!» وفي ذروة غيظه وغضبه هرول صاعداً وأوسع أصغر أبنائه ضرباً على ظهره بالمتر الخشبي إلى أن قفز الفتى من الباب هارباً.

بقي الخياط العجوز الآن وحيداً مع عنزته. وفي صباح اليوم التالي نزل إلى الزريبة وربّت على الحيوان العزيز وهو يقول: «تعالي يا صغيرتي، سآخذك إلى المرعى بنفسي»، وقادها من حبلها الرقيق إلى مرعى غنيٍّ بكل ما تشتهيه العنزة من علف طازج، وقال لها:

«هنا يمكنك أن تأكلي حتى الشّبع من كل ما تشتهيه نفسك»، وتركها هناك حتى المساء ثم سألها: «يا عنزة، هل شبعتِ؟» فأجابته:

«نعم، بطني امتلأ،

Twitter: @ketab_n

لا أرغب بأي كلأ: ماع، ماع!»

«لنذهب إلى الدار إذاً»، قال الخيّاط وساقها من حبلها إلى الزريبة حيث ربطها. وقبيل أن يغادر التفت إليها ثانية وقال: «حتماً شبعتِ اليوم، أليس كذلك؟ لكن العنزة لم تُسمِعْه ما يخفف عنه، بل قالت:

«ومن أين سيأتي الشبع؟

لاسِنٌ قضَمتْ ولا حلقٌ بلع،

لم أجد هناك عشبه تنفعْ: ماع، ماع!»

ذُهل الخياط لسماع هذا الكلام وأدرك أنه قد طرد أبناءه الثلاثة من دون سبب، فصاح: «انتظر أيها الحيوان الجاحد! طردكَ عقوبةٌ أقل مما تستحق، لذلك سأسِمُك أولاً، كيلا تجرؤ على اللجوء إلى أي خياط شريف». وصعد بسرعة فأحضر موس الحلاقة والصابون، وحلق رأس العنزة حتى صار بنعومة راحة اليد. وبما أن للمتر الخشبي مكانته الخاصة، فقد أحضر السوط وساط العنزة بحيث قفزت هاربة كالمجنونة. وعندما جلس الخياط في داره وحيداً تماماً غمره حزنٌ عظيمٌ شوقاً إلى أبنائه الثلاثة وتمنى أن يعودوا، لكن مصائرهم كانت مجهولة لا يعرف أحد عنها شيئاً.

كان بِكر أبنائه قد بدأ يتدرب عند معلم نجارة، وكان ماهراً ودؤوباً في عمله من دون تأفّف. وعندما انتهت مدة التدريب وأراد الفتى البحث عن عمل، أهداه المعلم مائدة خشبية مستديرة لا تبدو ذات قيمة، لكنّ لها خاصيّة مميزة. فإذا نصبها صاحبها وأمرها: «يا مائدتي أوْلمي لي!» فإن المائدة تغطي نفسها بمفرش نظيف وفوقه صحن وشوكة وسكين وإلى جانبه صحفة من المشاوي والمقالي وقدح نبيذ أحمر، مما يسرُّ القلب ويُسيل اللعاب. ففكر الفتى: «ها قد اكتفيت لما تبقى من حياتي». وانطلق في جولته مسروراً من دون هموم، ومن دون أن يبالي ما

Twitter: @ketab_n

إذا كانت النُزُل التي مرَّ بها جيّدة أم سيئة الطعام، أو ما إذا كانت مستعدة لتقديم أي طعام لنزلائها. وكثيراً ما كان ينصب مائدته الصغيرة في غابة أو حقل أو مرج، وما إن يقول «يا مائدة أولمي!» حتى يكون كل شيء جاهزاً بما تشتهيه نفسه. وأخيراً خطر في باله أن يعود إلى دار أبيه، فلا شك في أن غضبه قد زال، ولا ريب في أنه سيرحّب بعودته ما دامت المائدة بحوزته.

وصادف على الطريق أن دخل مساء إلى نُزل كان مطعمه مزدحماً بالزبائن، فرحبّوا به ودعوه إلى الجلوس معهم ومشاركتهم الطعام، إذ إن مطبخ المطعم قد فرغ مما يمكن تحضيره. فشكرهم النجار وقال: «لن آخذ اللقيمات المتبقية من أفواهكم، والأفضل هو أن تصبحوا أنتم ضيوفي». فضحكوا ظنّاً منهم أنه يمازحهم. لكنه نصب مائدته الصغيرة في وسط صالة المطعم وأمرها: «يا مائدتي أوْلمي لي!» وفي التو واللحظة امتلأت الطاولة بالأطعمة الفاخرة التي ما كان بوسع طباخ النُزل أن يحضِّر مثلها، وتغلغلت روائحها في أنوف الضيوف. «تفضّلوا يا أصدقاء»، قال النجار، ولما رأى الضيوف أن الأمر جدّي، لم ينتظروا الدعوة الثانية، بل مدوا سكاكينهم وشوَكاتهم فوراً. وكان أكثر ما أدهشهم هو نزول صحفة جديدة حالما تفرغ صحفة على المائدة. وقف صاحب النزل في إحدى زوايا الصالة يراقب ما يجري، من دون أن يدري ما يقول، لكنه فكر: «مثل هذا الطبّاخ ينفع جداً في مطبخي».

طالت جلسة النجار وضيوفه في حبور وسرور حتى وقت متأخر من الليل، لكن كلاً منهم ذهب أخيراً إلى سريره لينام، وكذلك الفتى النجار الذي علّق مائدته الصغيرة على الجدار. أمّا صاحب النزل فقد شغلته فكرته وأرّقته إلى أن تذكر وجود مائدة صغيرة في غرفة الكراكيب تماثل التي رآها مع النجار، فأخرجها من هناك بهدوء واستبدلها بالمائدة العجيبة.

في صباح اليوم التالي دفع النجار أجرة مبيته وحمل الطاولة المستديرة على ظهره من دون أن يخطر بباله أبداً أنها مزيّفة وتابع طريقه. وصل ظهراً إلى دار

Twitter: @ketab_n

أبيه الذي لاقاه بفرح غامر، ثم سأله: «ماذا تعلمت في غيبتك يا بني العزيز؟» فأجابه: «لقد صرت نجاراً يا أبي». فقال العجوز: «إنها صنعة جيدة. وماذا جلبت معك من جولتك؟» فأجاب النجار: أفضل ما جلبته معي يا أبي هو هذه المائدة الصغيرة». عاينها الخياط من جميع الجوانب وقال: «لكنك لم تصنع تحفة يا بني، إنها عتيقة ورديئة». «لكنها مائدة عجيبة»، أجاب الابن وتابع: «إذا نصبتها وقلت لها أولمي لي، تظهر عليها فوراً أشهى المأكولات إضافة إلى النبيذ الذي ينعش القلب. ادع يا أبي جميع أقاربنا وأصدقائنا ليأكلوا ويشربوا ويستمتعوا ويهنؤوا مرّة، فهذه المائدة الصغيرة ستُشبعهم جميعهم». عندما التمّ شمل المدعوين نصب النجار المائدة في وسط الغرفة وأمرها: «يا مائدتي أولمي لي!» لكن المائدة لم تأتِ بحركة وبقيت كأي طاولة أخرى لا تفهم اللغة. وعندها أدرك الفتى النجار المسكين أن المائدة قد استُبدلت، وشعر بالخجل أمام الجمع لأنه بدا كاذباً. أمّا الضيوف فسخروا منه، لكنهم اضطروا للعودة إلى دورهم من دون طعام أو شراب. بعد ذلك أخرج الخياط أقمشته وتابع عمله في الخياطة، في حين التحق البِكر بمعلم نجارة واشتغل عنده.

أما الابن الأوسط فقد اشتغل متدرباً عند طحان. ولمّا انتهت سنوات تدربه قال له معلمه: «لأنك كنت حسن السلوك طوال هذه المدة فسأهديك حماراً له خاصية مميزة. إنه لا يجر عربات ولا يحمل أكياساً. «فما الفائدة منه إذن؟» سأل الفتى المتدرب، فأجابه معلمه: «إذا أوقفته على قطعة قماش وقلت له (تَفَّلْ تَفَّلْ!)، فإن هذا الحيوان الطيب سيتفل لك ذهباً، من الأمام والخلف». «يا له من عمل جميل»، قال الفتى وشكر معلمه وغادر الطاحون إلى الدنيا الواسعة. وإذا ما احتاج إلى نقود لم يكن عليه سوى أن يمد القماشة ويقول لحماله «تَفَّلْ تَفَّلْ!» فيمطر ذهباً، ولن يبذل من الجهد سوى جمع القطع الذهبية عن القماشة. وحيثما ارتحل ونزل كان يطلب الأفضل، وكلّما غلا سعره كان أحبّ إلى قلبه، فكيس نقوده دائماً ملآن.

وبعد مدة من الزمن، بعدما اكتفى من التجوال والمشاهدة فكر: «لا بد من

Twitter: @ketab_n

أن أزور أبـي، إذا جئته مع الحمار الذهبي فسينسـى غضبه ويستقبلني بترحاب».
وصادف على الطريق أن دخل إلى النُزل نفسه، حيث استُبدلت مائدة أخيه العجيبة. كان يسـوقِ حماره بيـده، وأراد صاحب النزل أن يأخذ عنـه الحيوان ليربطه في الاسطبـل، ولكن الفتى الطحان قال له: «لا تتعب نفسك، سآخذ حماري وأربطه في الاسطبل بنفسي، إذا يجب أن أكون واثقاً من مكان وجوده. استغرب صاحب النـزل هذا السلوك وقال لنفســه إن من يخدم حماره بنفسه لن يطلب سوى القليل مـن الطعام. ولكن عندمـا أخرج الفتى الغريب من جيبـه قطعتي ذهب وطلب أن يُحضِر له أفضل الموجود اندهش الرجل وأحضر له أفضل ما عنده. وبعد أن انتهى الفتـى الطحان من تناول الوجبة سأله عمّا يدين له به، فلم يتخلَّ صاحب النزل عن عادته في الغشِ وطلب قطعتي ذهب آخريين.

مـدّ الطحان يده إلى جيبه فوجده خالياً، فقـال: «انتظرني لحظة ريثما أحضر الذهــب». وأخـذ معه مفرش طاولـة المطعم. لم يجد الرجل تفسيـراً لذلك وثار فضوله فتسلـل وراءه، لكن الضيف أقفل باب الاسطبـل وراءه، فبصبص صاحب النـزل من ثقب في خشب الباب. مدَّ الضيـف مفرش الطاولة تحت الحمار وقال له: «تَفِّلْ تَفِّلْ!» فأخذ الحمار من فوره يتفل قطعاً ذهبية من الخلف والأمام وكأنها تمطـر حقاً. فقال صاحب النـزل لنفسه: «يا سلام! إنها تربـو على الألف قطعة، وكلّها مسكوكـة رسمياً، ما هذه السرعة؟! يُستحسـن أن يحوز المرء كيس نقود كهذا». دفع الضيف حسابه وأوى إلى الفراش ونام.

واثناء الليـل تسلل صاحب النزل إلى الاسطبل وقاد معلـمَ سكِّ الذهب بعيداً، وربـط فـي مكانه حماراً آخر يشبهـه. في صباح اليوم التالي غـادر الطحان النزل بصحبـة الحمار، ظاناً إنه حماره الذهبي. وصل عند الظهر إلى دار أبيه الذي فرح بلقائـه وسرّته عودته، ثم سأله: «مـاذا صنعت منك الأيام يا بني؟» «صرتُ طحاناً يـا أبي». أجاب الفتى. «وماذا جلبت معك مـن جولتك؟» سأله الخياط العجوز، فأجاب الطحان: «لم أجلب سوى حمار». فعلّق الخياط: «عندنا كثير من الحمير هنـا. ليتـك أحضرت عنـزة حلوباً، لـكان أفضل». فقـال الطحـان: «لكنه ليس

Twitter: @ketab_n

حمـاراً عادياً ا أبي، بل حمار ذهبـي. عندما أقول له (تَفِّلْ تَفّلْ!) فإنه يغطي مفرشاً كامـلاً بالقطع الذهبية. ادع أقاربنا يا أبـي، فسأجعلهم من الأغنياء». فقال الخياط العجـوز: «هذا يناسبني تماماً، كفاني عذاباً من شغل الإبرة»، وذهب بنفسه ودعا الأقـارب إلـى داره، وحالما اجتمعـوا كلهم طلب منهم الطحـان أن يفسحوا في المجـال ومد مفرشاً على الأرض، أوقف الحمار فوقه وقال لهم: «انتبهوا الآن!» ثـم صاح بالحمار: «تَفِّلْ تَفّلْ!» لكن ما طرحه الحمار لم يكن قطعاً ذهبية، وتبين أن هذا الحمار لا يفهم شيئاً من فنّ سكّ الذهب، فما كل حمار يبلغ هذه المرتبة. وعندها صارت سحنة الطحان المسكين كالأهبل وأدرك أنه قد خُدع. فطلب من أقربائـه المعذرة لعودتهم إلى دورهم فقراء كما كانوا. ولم يتبقّ أمام الأب العجوز سوى العودة إلى الإبرة والخيط، في حين اشتغل ابنه الأوسط أجيراً عند طحان.

أمـا الابن الأصغر وثالث الأخوة فقـد التحق بمعلم خراطة وتدرب على يديه، وبمـا أنها حرفة تحتـاج إلى مهارة فنية عالية فقد طالت مدّة تدريبه أكثر من أخويه اللذيـن راسلاه وأخبراه بما آلت إليه أحوالهما وكيف خدعهما صاحب النزل ليلة عودتهما إلى دار أبيهما فانتزع منهما هديتيهما العجيبتين.

عندمـا أنهى الخـراط الشاب مدة تدريبـه وأزفَ يوم مغادرتـه الورشة، أهداه معلمـه لحسن سلوكه مخلاة وقـال له: «يوجد في داخلها هـراوة». فقال الفتى: «المخـلاة أعلقها على كتفي وتفيدني في أمور عـدة، ولكن ماذا عن الهراوة التي في داخلها؟ إنها تثقلهـا لا أكثر». «سأقول لك»، أجابه معلمه وأردف: «إذا أراد أحـد أن يؤذيك، فما عليك إلا أن تقول: (اخرجـي يا هراوة!) فتقفز من المخلاة وتضـرب المعتدي على ظهره بحيث يرقص مـن الألم ولا يستطيع من ثم الحراك طـوال أسبوع، ولن تتوقف الهراوة عن ترقيصه حتى تأمرها: (يا هراوة ادخلي!)، «فشكـر الخراط الشاب معلمـه وعلقَ المخلاة على كتفه وغـادر. وكلما اقترب منه أحد قطاع الطـرق كان يصيح: «اخرجي يا هراوة!» فتقفز من فورها وتُرقِّص المهاجـم حتـى تُعريه من ثيابه كلها، وفي حال وجـود أكثر من مهاجم، ما كانت الهراوة تترك لأحدهم فرصة لالتقاط أنفاسه.

Twitter: @ketab_n

وصل الخراط الشاب مساء إلى النزل الذي خدع صاحبه أخويه. فوضع المخلاة أمامه على الطاولة وأخذ يحكي عن غرائب ما صادفَ خلال تجواله في أنحاء هذا العالم، وتابع قائلاً: «فهناك مثلاً المائدة العجيبة والحمار الذهبي وما شابه ذلك، وهي أشياء لا أُبخس من قيمتها، لكنها لا تساوي شيئاً أمام الكنز الذي حصلت أنا عليه والذي أحمله في مخلاتي». أرهف صاحب النزل أذنيه وفكر: «وماذا يمكن أن يكون هذا الكنز؟ لا شك في أن المخلاة مملوءة بالأحجار الكريمة، ولا بد لي من الحصول عليها، فأفضل الأمور دائماً ثالثها». وعندما حان موعد النوم تمدد الضيف على المقعد ووضع المخلاة تحت رأسه كوسادة. بعد مدة غير طويلة اعتقد صاحب النزل أن الضيف قد غرق في نوم عميق، فاقترب منه بهدوءٍ وحذرٍ وبدأ يسحب المخلاة ليضع في مكانها مخلاة بديلة، وهذا ما كان ينتظره الخرّاط الشاب. وحينما شد صاحب النزل المخلاة بعزم، صاح الخراط: «اخرجي يا هراوة!» وللتو خرجت الهراوة وبدأت تضرب الرجل على جسمه كله، ولا سيما على درزات خياطة ثيابه حتى أخذ يصرخ طالباً الرحمة، وكلما علا صوته اشتدت قوة الضرب وبصورة إيقاعية على ظهره حتى أنهك وسقط أرضاً. فقال له الخراط: «إن لم تسلمني المائدة العجيبة والحمار الذهبي فستبدأ الرقصة من جديد. «لا، أرجوك» صاح صاحب النزل بتذلل «سأسلمك كل شيء، فقط أبعد هذا الوحش المسعور عني إلى مخلاته». فقال الخراط: «سأعفو عنك، ولكن إياك والمراوغة!» ثم صاح: «يا هراوة ادخلي!»

في صبيحة اليوم التالي توجّه الخراط الشاب نحو دار أبيه ومعه الطاولة العجيبة والحمار الذهبي. فرح الخياط العجوز لرؤيته ثانية وطرح عليه أيضاً سؤالاً ماذا تعلّم في الغربة، فأجابه: «لقد صرت خراطاً يا أبي»، فعلّق الخياط: «إنها حرفة غنيّة بالشغل الغني»، وكرر سؤاله: «وماذا جلبت معك من جولتك؟» فأجابه ابنه: «تحفة نادرة يا أبي، هراوة في مخلاة». فعلق الأب: «هراوة؟ وهل تستحق الجهد؟ يمكنك تحويل أي غصن شجرة إلى هراوة». فأجاب الابن: «ولكن ليس كهذه الهراوة يا أبي العزيز. فعندما أقول لهذه (يا هراوة اخرجي!) فإنها تقفز

Twitter: @ketab_n

لترقّص كل من ينوي بي شراً رقصة رهيبة ولا تتركه حتى يتهاوى أرضاً طالباً الرحمة. انظر إليها يا أبي، بهذه الهراوة استعدت المائدة العجيبة والحمار الذهبي اللذين سرقهما صاحب النزل من أخويّ. استدعيهما الآن يا أبي وادعُ جميع الأقارب، فسأطعمهم وأسقيهم وأملأ جيوبهم بالذهب».

لم يكن الخياط العجوز واثقاً تماماً بوعد ابنه، لكنه دعا رغم ذلك جميع الأقارب، وعندها مد الخراط مفرشاً على أرض الغرفة وأوقف الحمار الذهبي فوقه وقال لأخيه الأوسط: «هيا كلمه يا أخي الحبيب»، فقال له الطحان: «تَفَّلْ تَفّلْ!» وللتو انهمرت القطع الذهبية على المفرش كالمطر الغزير، ولم يتوقف الحمار حتى لم يعد بوسع أحد من الأقارب حمل المزيد. [أرى على وجهك أنك تتمنى لو كنت معهم].

ثم أحضر الخرّاط المائدة العجيبة وقال لأخيه البكر: «هيا كلمها يا أخي الحبيب»، وما إن نطق النجار جملة: «يا مائدتي أولمي لي!» حتى امتلأت بأفخر الأطباق، فأقيمت وليمة عامرة لم يسبق لدار الخياط أن رأت مثيلاً لها. وبقي الأقارب مجتمعين معاً حتى وقت متأخر من الليل في حبور وسرور. وأقفل الخياط باب الخزانة على الإبر والخيطان والمتر والمكواة وأمضى بقية أيامه مع أبنائه الثلاثة بسعادةٍ وأبهةٍ.

× × ×

ولكن ماذا جرى للعنزة التي كانت السبب في طرد الخياط لأبنائه الثلاثة؟ هذا ما سأرويه لك. خجلت العنزة الظهور برأسها الحليق فدخلت في وجار ثعلب واختبأت هناك. عندما عاد الثعلب إلى وجاره برقت أمامه عينان كبيرتان من أعماق العتمة ففزع وفر هارباً. فالتقاه الدب على الدرب، ولمّا بدا الثعلب مضطرباً جداً بادره الدب بالسؤال: «ما بك يا أخي الثعلب، ما هذا الوجه الحزين؟» فأجابه الثعلب الأحمر: «آخ، هناك حيوان مخيف يجلس في وجاري وقد حدّق في وجهي بعينين ناريتين». فقال الدب: «لا تبالي سرعان ما سنطرده

Twitter: @ketab_n

مـن هناك». وعاد معه إلى الوجار وألقى نظرة إلى داخله، لكنه عندما رأى العينين الناريتيـن غمـره الخـوف أيضـاً وتراجع عن التدخل فـي أمر الحيـوان المخيف وهرب. وعلى الدرب أيضاً التقته النحلة، ولما وجدته مخضوضاً على غير عادته، سألتـه: «ما بالك أيها الـدب، يبدو وجهك معكراً مكـدراً، أين ذهب مرحك؟» فأجابهـا الدب: «ما أسهل الـكلام، هناك حيوان مخيف في وجـار الثعلب، ولم نستطـع طرده خارجاً». فردّت النحلة: «كم أشفق عليك أيها الدب، أنا المخلوق الضعيـف المسكيـن الذي لا تولونه حتى نظرة على الـدرب. ومع ذلك أعتقد أن بوسعـي مساعدتكما»، وطارت إلى داخل وجار الثعلب ووقفت على رأس العنزة المحلـوق بنعومةِ صلعةٍ ووخزتـه بإبرتها وخزة لعينة، فقفـزت بسببها العنزة وهي تثغـو «ماع، مـاع» كالمجنونة وهرولت خـارج الوجار. وحتى هـذه الساعة لا يعرف أحد مصيرها.

×××

Twitter: @ketab_n

(٣٧)

عقلة الإصبع

يحكى أنه كان هناك فلاح فقير يجلس مساء إلى جانب مدفأة الحطب ويحرّك الجمر بقضيب الحديد، فيما تجلس زوجته إلى جانبه وتحيك الصوف. وقال ذات مساء: «يا له من أمر محزن أن لا يكون عندنا أطفال! دارنا هادئة جداً، فيما تمتلئ الدور الأخرى بحبور صاخب». فتنهدت زوجته وقالت: «نعم، ولو كان ابناً وحيداً، ولو كان بحجم عقلة الإصبع سأكون راضية، وسنحبه محبة كبيرة». وحدث أن اعتلّت صحة المرأة فأنجبت بعد سبعة شهور ابناً كامل الأعضاء، لكنه كان بطول الإبهام، فقال الوالدان: «لقد جاء مثلما تمنينا، وسيكون ابننا الحبيب، وسمّياه بسبب حجمه (عقلة الإصبع). وفّرا له كل الغذاء الضروري، لكن حجم الطفل لم يكبر، بل بقي على ما كان عليه ساعة ولادته. ورغم ذلك بدا من عينيه أنه يتفاهم مع الآخرين، وسرعان ما أثبت ذكاءه وحيويته ونجاحه في كل ما يقوم به كلّما كبر في السن.

ذات يوم استعد الفلاح للخروج إلى الغابة كي يحتطب، وقال لنفسه: «لو كان هناك مَن يحضر لي العربة لاحقاً». سمعه عقلة الإصبع فصاح: «يا أبي أنا سأحضر لك العربة، كن على ثقة بأنها ستكون عندك في الغابة في الوقت المحدد». فضحك الفلاح وقال له: «وكيف سيمكنك ذلك، فأنت أصغر بكثير من أن تمسك بالرّسن لتقود الحصان». فأجابه عقلة الإصبع: «هذا لايهم يا أبي، فإذا ربطت، أمي الحصان إلى العربة، سأجلس أنا في أذن الحصان وأرشده إلى الطريق بصوتي». فقال والده: «حسناً، لنجرب الأمر مرة». وعندما حان الوقت ربطت

Twitter: @ketab_n

الأم سيور الحصان إلى العربة ووضعت عقلة الإصبع في أذن الحصان، ومن ثم أخذ الصغير يطلق إرشادات الطريق في أذن الحصان وكأنه حوذيّ ماهر، فسارت الأمور على ما يرام وأخذت العربة مسارها الصحيح إلى قلب الغابة.

وعند أحد المنعطفات حدث أن سمع رجلان غريبان صيحات الصغير بالتعليمات، فقال أولهما: «ما هذا؟ كيف نسمع صوت الحوذيّ ولا نراه يقود العربة؟» فعلّق الثاني: «هناك إنَّ في الموضوع. لنلحق بالعربة ونرى أين ستتوقف!» توغلت العربة في الغابة وتوقفت تماماً في المكان الذي يحتطب فيه الفلاح. وعندما رأى عقلة الإصبع أباه، صاح: «أرأيت يا أبي، ها أنا مع العربة. أنزلني الآن من أذن الحصان!» أمسك الفلاح رأس الحصان بيسراه وأنزل بيمناه ابنه الضئيل من أذن الحصان حيث كان جالساً بكل سرور على قشة. عندما رأى الرجلان الغريبان عقلة الإصبع لم يدريا ما يقولان من الدهشة. جرَّ أحدهما الثاني من ذراعه جانباً وقال له: «اسمع، هذا الصغير يمكن أن يجعلنا أغنياء، إذا أخذناه إلى المدينة وعرضناه هناك مقابل أجر لمشاهدته، تعال لنشتريه». فذهبا إلى الفلاح وقالا له: «بعنا هذا الرجل الصغير، سيعيش عندنا حياة مرفهة». «لا»، أجاب الفلاح وأردف: «إنه حشاشة قلبي، لا أبيعه بذهب الدنيا كلها». لكن عقلة الإصبع الذي استمع إلى حديث الصفقة تسلّق على ثياب أبيه حتى وصل إلى كتفه وهمس في أذنه: «بعني لهما يا أبي ولا تخف، سأعود حتماً».

فباعه أبوه لهما لقاء مبلغ محترم. سأل الغريبان عقلة الإصبع: «أين تفضل أن تجلس؟» فأجاب: «ضعاني على طرف إحدى قبعتيكما، حيث أتمكن من المشي حولها ومشاهدة مناظر الطريق من دون أن أسقط». لبيا رغبته، وبعد أن ودع أباه انطلقا مشياً إلى أن اقترب المساء، فقال عقلة الإصبع: «أنزلاني قليلاً لأقضي حاجتي!» فأجابه الذي يجلس على طرف قبعته: «اقضها عندك فوق. أنا لن أبالي، فكثيراً ما تترك الطيور آثارها على القبعة». «يستحيل، أنزلاني قليلاً، فأنا أعرف حدود الأدب». فرفع الرجل قبعته ووضع عقلة الإصبع على جانب الحقل، فتوغل قليلاً بين كتل التراب ثم اندس فجأة داخل جحر لفئران الحقول،

Twitter: @ketab_n

وصـاح: «تابعا طريقكما من دوني أيها السيدان، فأنا سأبقى هنا». وأخذ يضحك ساخـراً. فتشا المكان حولهما ووخزا جحر الفئران بعصا، من دون جدوى، فقد كان عقلة الإصبع يدخل أعمـق فأعمق داخل الجحر. وعندما حل الظلام اضطرا لمتابعة طريقهما غاضبين من دون الغنيمة. وبعدما تأكد عقلة الإصبع من ابتعادهما خـرج من نفق تحـت الأرض إلى سطح الحقل وقال لنفســه: «المشي في الحقل فـي الظلام خطـر، فما أسهل أن يكسر المرء ساقـه أو حتى رقبته»، ولحسن حظه صادف في طريقه بيـت حلزون فارغ، فقال: «الحمد لله، هنا يمكنني قضاء الليل في أمان»، وجلس داخله.

بعد مـدة قصيـرة، وكان على وشك النـوم، سمع رجلين عابريـن يتحادثان. قـال أولهمـا للثاني: «كيف سنتمكـن من أخذ أمـوال وفضّة الخـوري الثري؟» فقاطعـه عقلة الإصبـع صائحاً: «أنا أدلك على طريقـة». ارتعب اللص وقال: «ما هذا؟ سمعت شخصاً يتكلم». توقفـا وأنصتا، فصاح عقلة الإصبع ثانية: «خذاني معكما، سأساعدكما». «ولكن من أين تتكلم؟» سأله اللص، فأجاب: «ابحثا على الأرض ولاحظـا من أين يأتي الصـوت». وأخيراً وجداه والتقطـاه ورفعاه وهما يقولان: «أنت أيها القميء الضئيـل تستطيع أن تساعدنا!» فقال لهما: «انظرا، أنا أستطيع الانسلال بين القضبان الحديدية إلى داخل غرفة الخوري، وأناولكما منها ما تريدان». فقالا: «حسناً، سنرى قدراتك».

عندمـا وصلـوا إلى دار الخوري تسلـل عقلة الإصبع إلى الغرفـة وأخذ يصيح بـكل طاقته: «أتريدان كل ما هو موجود هنـا؟» ارتعب اللصان من صياحه وقالا: «أخفض صوتك كيلا توقظ أحداً». لكن عقلة الإصبع تظاهر بأنه لم يفهم وصاح مجدداً: «ماذا تريدان؟ أتريدان كل ما هو موجود هنا؟»سمعت الطّباخة النائمة في الغرفة المجاورة الصوت، فاعتدلت فـي السرير وأنصتت. أما اللصان المرعوبان فقـد تراجعـا إلى الـوراء قليلاً، ثم تمالـكا نفسيهما وقـالا: «لا شـك أن الصغير يمازحنا» فعادا إلى النافذة وهمسا له: «بلا مزاح الآن، هيا ناولنا شيئاً ما». فصاح عقلة الإصبع مرة ثالثة: «سأناولكما كل شيء، مدّا أيديكما إلي». سمعت الطباخة

Twitter: @ketab_n

ذلك بكل وضوح، فقفزت من سريرها وهرولت إلى الباب، فتحته ودخلت. هرب اللصان بسرعةِ طريدتين يلاحقهما صياد، أما الطباخة التي لم تستطع أن ترى شيئاً، فقد عادت لتجلب قنديلاً. وعندما عادت به كان عقلة الإصبع قد تسلل إلى الزريبة من دون أن تلاحظه، ولما فتشت جميع الزوايا ولم تجد شيئاً، عادت فاستلقت في سريرها ظانةً أنها كانت تحلم بأذنين وعينين مفتوحتين. تسلق عقلة الإصبع أكوام القش في الزريبة، إلى أن وجد مكاناً ملائماً للنوم، حيث سيمضي الليلة حتى الصباح التالي، ثم يتابع طريقه إلى دار أبيه.

ولكنه كان لا بد من أن يمرّ بتجارب أخرى! فالدنيا مليئة بالأحزان والشدائد! مع انبلاج الفجر نزلت الخادمة إلى الزريبة لتوزّع العلف على الحيوانات، فحملت تحت إبطها حزمة القش التي كان عقلة الإصبع نائماً فيها. وكان على درجة من الاستغراق في النوم بحيث أنه لم ينتبه إلى ما يجري ولم يستيقظ إلا وهو داخل فم البقرة التي لقفته بلسانها مع كومة من القش، فصاح: «يا إلهي، كيف وصلتُ إلى هذه الطاحون!» وسرعان ما أدرك مكان وجوده، فكان عليه أخذ الحيطة بسرعة كيلا يُطحن بين الأسنان، ثم انزلق إلى داخل المعدة فصاح: «في هذه الحجرة نسي السكان الشبابيك. هنا لا يوجد نور شمس ولا حتى نور قنديل»، فلم يعجبه هذه المستقر، ولا سيما أن العلف كان يدخل من باب الحجرة من دون توقف، فأخذ المكان يزداد ضيقاً. ومن شدة خوفه صاح بأعلى صوته: «كفى علفاً طازجاً، كفى علفاً طازجاً».

في تلك اللحظة كانت الخادمة تحلب البقرة، وعندما سمعت كلاماً من دون أن ترى أحداً، وكان الصوت هو نفسه الذي سمعته في الليل، فزعت ووقعت عن الكرسي الواطئ فاندلق الحليب على الأرض. ركضت الخادمة بأقصى سرعة إلى سيدها وصاحت: «يا إلهي، يا سيدي الخوري، لقد تكلمت البقرة». فأجابها الخوري: «أنت مجنونة»، وذهب بنفسه إلى الزريبة ليتأكد مما يجري . وما إن وضع قدمه في الزريبة حتى صاح عقلة الإصبع مجدداً وبأعلى صوته: «كفى علفاً طازجاً، كفى علفاً طازجاً». ارتعب الخوري وظن أن عفريتاً شريراً قد تلبّس

Twitter: @ketab_n

البقـرة، فأمر بذبحهـا. ذُبحت البقرة، أما معدتها، حيـث كان عقلة الإصبع، فقد رميـت إلـى كومة الزبالة. بذل عقلـة الإصبع جهداً كبيراً كي يشـق لنفسه طريقاً، وتمكـن ذلك بشق الأنفس، ولكنه ما كاد يمد رأسه من بوابة المعدة حتى داهمته مصيبة جديدة.

تقـدم من كومة الزبالة ذئب جائع والتهم معـدة البقرة دفعة واحدة. لكن عقلة الإصبـع لم يفقد شجاعته وفكـر: «لربما أمكن إقناع الذئـب»، وناداه من داخل كرشـه: «أيهـا الذئـب العزيز، أعـرف مكان وجبـةٍ دسمة لك»، فسألـه الذئب: «وأيـن هذا المـكان؟» فأجابه عقلة الإصبع: «في دار فـلانٍ، حيث عليك التسلل عبـر المجاري، وفي الداخل ستجد حلوى وشحمـاً وسجقاً أكثر مما تستطيع أن تـأكل»، ووصف لـه دار والده بدقة. لم يتردد الذئب مطلقـاً، بل حشر نفسه ليلاً فـي المجرى حتى وصل إلـى غرفة المؤونة حيث أخذ حريته في التهام ما أعجبه. عندمـا شبع، أراد الخـروج من المجرى نفسه، بيد أنه كان قد سمن ولم يعد قادراً علـى ولوج المجرى. وهذا ما كان عقلة الإصبع قد حسب حسابه، فأخذ يصرخ ويصيح من داخل بطن الذئـب بأعلى صوت. فأمره الذئب: «ألن تصمت وتهدأ! ستوقـظ سكان الدار». فأجاب الصغير: «لا يهمني، أنت أكلت حتى شبعت، وأنا أريد أن أتسلى» وعاود الصراخ بأقصى طاقته.

وأخيـراً استيقظ أبـوه وأمه وذهبا إلى غرفة المؤونة، نظـرا من شق الباب ورأيا الذئـب داخلها، فأسرعا وأحضرا فأساً للأب ومنجـلاً للأم. قال لها الأب: «ابقي ورائـي، فإذا ضربته ضربـة لم تقتله، عليكِ ضربه بالمنجـل حتى ينشق جسمه». سمـع عقلة الإصبع صوت أبيـه فصاح: «أنا هنا يا أبي، فـي كرش الذئب». فقال الأب: «الحمـد لله، لقـد عـاد ابننا إلينا»، وأمـر زوجته بترك المنجـل جانباً كيلا يصـاب غقلة الإصبع بأي أذى. ثـم تحمَّى وضرب الذئب بالفأس على رأسه فخر علـى الأرض صريعاً، ثم جلب الوالدان سكيناً ومقصاً وقصا جسم الذئب وسحبا صغيرهما من بطنه، وعندها قال الأب: «آه، كم قلقنا عليك!» فقال عقلة الإصبع: «معك حق يا أبي، فقد تجولت كثيراً في هذه الدنيا، والحمد لله أني أستنشق هواء

Twitter: @ketab_n

نظيفاً أخيراً». فسأله الأب: «وفي أية أماكن كنت؟» فأجابه: «آخ، كنت في جحر فــأر وفي معــدة بقرة وفي بطن ذئب. أما الآن فسأبقــى عندكما». «ونحن بدورنا لــن نبيعك ثانية بأموال الدنيا كلها». قال الوالدان معــاً وضمّا إليهما عقلة الإصبع وأوسعــاه تقبيلاً، ثم قدموا لــه الطعام والشراب وخاطوا له ثياباً جديدة بدل التي اهترأت في أثناء رحلته.

×××

Twitter: @ketab_n

(٣٨)

عرس السيدة ثعلبة

الحكاية الأولى

يُحكى أن كان هناك ثعلب عجوز له تسعة ذيول، خيِّل إليه أن زوجته تخونه، فأراد وضعها على محك التجربة. تمدد على الأرض تحت المقعد ولم يحرك ساكناً، وكأنه قد مات ورحل، فدخلت السيدة ثعلبة غرفتها وأغلقت عليها الباب، أما الخادمة، وهي قطّة عذراء، فقد وقفت عند الموقد وتابعت الطبخ.

عندما شاع خبر موت الثعلب العجوز، بدأ الخطّاب يتقدمون لطلب يد الأرملة. سمعت الخادمة أحدهم يقرع باب الدار، فذهبت وفتحته، وإذا بثعلب شاب يقف بالباب ويقول: «كيف حال الآنسة القطة، أنائمة كانت أم مستيقظة؟» فأجابته: «بل مستيقظة ولست نائمة. وهل يريد السيد الثعلب معرفة ما أفعل؟ أنا أُحضِّر حساءً وسأضيف إليه الزبدة، فهل يرغب السيد بأن يكون ضيفي؟» فقال الثعلب: «شكراً لدعوتك آنسة قطة، ولكن ما أخبار السيدة ثعلبة؟» فأجابته الخادمة: «إنها تجلس في حجرتها، تتحسر على حالها، تبكي حتى تحمرُّ عيناها حزناً على موت الثعلب العجوز». فقال الثعلب: «أخبريها إذاً يا آنسة أن ثعلباً شاباً يتقدّم لخطبتها». «حسناً أيها الشاب»، قالت الآنسة قطة وصعدت الدرج إلى الطابق الثاني، قرعت باب سيدتها وقالت: «يا سيدتي، هل تسمعينني؟» «أسمعك يا قطتي، نعم أسمعك». فتابعت القطة: «هناك خاطب بالباب». فسألتها سيدتها: «وكيف يبدو يا صغيرتي؟ ألديه أيضاً تسعة ذيول

Twitter: @ketab_n

فخمة كذيول السنجاب أو كذيول المرحوم؟» فأجابت الخادمة: «لا لا، ليس لديه سوى ذيل واحد». «إذن لا أريده». قالت السيدة ثعلبة، فنزلت الآنسة قطة واعتذرت من الخاطب.

بعد مدّةٍ قصيرةٍ قُرع الباب مرة ثانية، وإذا بثعلب آخر يودُّ خطبة الأرملة، وكان لديه ذيلان، لكن حظّه لم يكن أفضل من الأول. ثم كثر الخطاب، ولكل منهم ذيل أكثر من سابقه، ومع ذلك فقد رُفضوا جميعهم، إلى أن جاء أخيراً ثعلب بتسعة ذيول مثل العجوز المرحوم. عندما سمعت الأرملة ذلك قالت لقطتها بكل سرور: «الآن افتحي لي الباب والبوابة، واكنسي العجوز الميت إلى الحارة».

ولكن عند البدء بحفلة العرس تحرك الثعلب العجوز من تحت المقعد ونزل بالجميع ضرباً ولكماً ورفساً، وطرد السيّدة ثعلبة إلى الحارة.

×××

الحكاية الثانية

بعد أن مات السيد الثعلب العجوز تقدم الذئب خاطباً وقرع الباب، والقطة التي تشتغل خادمة عند السيدة ثعلبة فتحت له الباب. حيّاها الذئب وقال: «نهارك سعيد أيتها السيدة القطة يا زعيمة النظافة، أراكِ وحدكِ في ذروة اللياقة، فما مِنَ الأطايب تُحضّرين؟» فأجابته القطة: «أحضِّر كعكاً بالسكر والحليب. أيرغب السيد أن يكون ضيفي؟» فأجاب الذئب: « لك الشكر سيدتي القطة. هل السيدة ثعلبة في الدار؟» فقالت له القطة: «إنّها تجلس في غرفتها فوق، تتحسّر على حالها وتبكي مصيبتها بموت السيد الثعلب العجوز». فقال لها الذئب: «إذا كانت ترغب

Twitter: @ketab_n

برجل آخـر، فلتنزل إلي». هرولت القطة صاعدة الـدرج وذيلها يتراقص وراءها، عبرت الدهليـز الطويل وقرعت الباب بخواتمها الذهبية الخمسة، وصاحت: «يا سيدتي، هل تسمعينني؟ إذا كنت ترغبين برجل آخر، فما عليك سوى النزول لرؤية الخاطـب». فسألتها السيدة ثعلبة: «أيرتـدي السيد بنطالاً أحمر، وهل فمه صغير ومدبب؟» «لا» أجابت القطة. فقالت الأرملة: «إذن لا نفع لي به».

وبعد الاعتذار من الذئب جاء كلب ووعل وأرنب ودب وأسد وجميع حيوانات الغابة البرية الواحد بعد الآخر. ولكن ثمة دائماً ما كان ينقص هذا أو ذاك الخاطب مـن المواصفات المطلوبة، التـي كان يمتلكها المرحوم العجـوز، فكانت القطة تعتـذر من الخُطّـاب بالتتالي. وأخيراً جـاء ثعلبٌ شاب، فسألـت الأرملة قطتها: «أيرتدي السيد بنطالاً أحمر، وهل فمه صغير ومدبب؟» فأجابت القطة: «نعم إنه لكذلك». «فليصعد إلـي إذن!» قالت السيدة ثعلبة وأمرت قطتها بتحضير العرس وأردفـت: «نظّفـي الغرفة يا قطة، وارمي الثعلب العجوز مـن النافذة. فعندما كان يُحضـر معه بعض الفئران السمـان، كان دائماً يفترسها وحده ولا يترك لي شيئاً». فأقيمت حفلة العرس مع الثعلب الشاب ورقص الجميع بمرح وسرور، وإذا كانوا لم يتوقفوا، فهم ما زالوا يرقصون حتى الآن.

×××

Twitter: @ketab_n

(٣٩)

الأقزام

الحكاية الأولى

في قديم الزمان كان هناك حذّاء أفلس من دون ذنب، ولم يبقَ عنده من الجلد سوى ما يكفي لفردتي حذاء واحد فقط. فقصّ مساءً قطعة الجلد لفردتين أراد تفصيلهما في اليوم التالي. وبما أنه مرتاح الضمير، سلّم أمره لله ونام.

وصباحاً بعد أن صلّى وأراد الجلوس ليبدأ عمله، وجد الفردتين مفصّلتين جاهزتين على طاولته. استغرب ذلك ولم يدر ما يقول. تناول الفردتين بيديه ليعاينهما من قرب، فوجدهما متقني الصنعة من دون أي خطأ في الخياطة، وكأنهما قطعة فنية من صنع معلم. وسرعان ما دخل محلّ الحذّاء زبون أعجبه الحذاء جداً فدفع فيه أكثر من المعتاد. وبهذه النقود تمكن الحذّاء من شراء جلد يكفي لصنع حذائين. قص الجلد مساء مزمعاً أن يبدأ بتفصيلهما بهمّة عالية.

في اليوم التالي، لكنه لم يحتج إلى ذلك، إذ أنه عندما استيقظ صباحاً كان الحذاءان جاهزين. وفي هذا اليوم أيضاً حضر زبونان ودفعا له كثيراً من النقود، ما يكفي لشراء جلد لأربعة أحذية. وكالسابق وجدَ صباحاً الأحذية الأربعة جاهزة، واستمرّ الحال على هذا المنوال: ما يقصه مساءً يجده صباحاً مفصلاً جاهزاً، لدرجة أن استعاد مستوى دخله السابق، وصار أخيراً رجلاً مقتدراً.

Twitter: @ketab_n

وذات مساء قبيل عيد الميلاد، بعد أن انتهى الحذّاء من قصّ الجلد، وقبيل الخلود إلى النوم، قال الرجل لزوجته: «ما رأيك أن نسهر هذه الليلة لكي نرى مَن الذي يساعدنا بهذا السخاء؟» وافقت الزوجة على اقتراحه وأشعلت قنديلاً ثم اختبأا في زاوية الغرفة وراء الثياب المعلقة وتيقظّا. عند منتصف الليل جاء قزمان لطيفان عاريان وجلسا على طاولة الحذّاء. وأخذا الجلد المقصوص إليهما وبدأا بأصابعهما الصغيرة بسرعة وحيوية ومهارة بالثّقب والخياطة والطّرْق بحيث لم يستطع الحذّاء رفع عينيه عنهما. ولم يتوقّفا عن العمل حتى انتهيا وأصبح كل شيء جاهزاً على الطاولة، ثم غادرا بسرعة.

في اليوم التالي قالت الزوجة لزوجها: «لقد جعلنا القزمان أغنياء، فيجب أن نبدي شكرنا لهما. إنهما يتجولان عراة، لا شيء يغطي جسميهما. لا شك في أنهما يشعران ببرد شديد. أتدري ما سأفعله؟ سأخيط لهما على قياسهما قميصين وبنطالين وصدارتين، وسأحيك لكل منهما زوجين من الجوارب. اصنع لهما أنت حذائين صغيرين». فقال الرجل: «موافق». ومساء عندما أنهيا كل شيء وضعا هداياهما على الطاولة بدل الجلد المقصوص واختبأا ليريا كيف سيتصرف القزمان حيال الأمر. وعند منتصف الليل جاءا يتقافزان عازمين على البدء بالعمل فوراً. لكنهما عندما لم يجدا جلداً مقصوصاً، بل قطع ثياب صغيرة لطيفة، دهشا ثم أبديا سروراً كبيراً، ولبسا الثياب بأقصى سرعة وتحسّسا القطع الجميلة على جسديهما وغنيا معاً:

«ألسنا شابين نظيفين وأنيقين؟

فما ضرورة أن نبقى حذّائين!»

ثم رقصا وتقافزا على الكراسي والمقاعد إلى أن غادرا من الباب. ومنذئذ لم يعودا ثانية إلى دار الحذّاء الذي سارت أموره على خير ما يرام حتى آخر أيامه ونجح في جميع الأعمال التي أقدم عليها.

Twitter: @ketab_n

الحكاية الثانية

في قديم الزمان كانت هناك خادمة نظيفة وشاطرة، تكنس الدار يومياً وترمي ماكنسته على كومة كبيرة قرب باب الدار. وذات يوم عندما كادت تبدأ عملها صباحاً، عثرت على رسالة، وبما أنها لا تعرف القراءة والكتابة ركنت المكنسة في الزاوية وأوصلت الرسالة إلى سيدها، فتبيّن أنها دعوة من الأقزام للخادمة، يرجونها فيها أن تحمل طفلاً لهم في أثناء مراسم العماد في الكنيسة.

لم تدر الفتاة ما تفعل، لكنها وافقت أخيراً بعد محاولات إقناع كثيرة من جانب أهل الدار، الذين قالوا لها أيضاً إنه لا يجوز للإنسان رفض مثل هذه الدعوة. فجاء ثلاثة أقزام قادوا الفتاة إلى جبل مجوّف حيث يعيش الأقزام. كان كل شيء هناك صغيراً، لكنه ناعمٌ وفخمٌ في الوقت نفسه بصورة لا توصف. كانت النّفساء مستلقية في سرير من خشب الأبنوس الأسود مزين بأزرار لؤلؤية، والأغطية مشغولة بالذهب وكان مهد الطفل من العاج وحوض الحمام من الذهب. وبعدما أدت الفتاة دور الإشبينة أرادت العودة إلى الدار حيث تشتغل، بيد أن الأقزام رجوها بإلحاح أن تبقى عندهم ثلاثة أيام، فبقيت وأمضت الوقت بمرح وفرح، وقام الأقزام بكل ما يسرها. لكنها أرادت في نهاية المطاف العودة إلى الدار، فملأ لها الأقزام جيوبها بالذهب ورافقوها حتى غادرت الجبل. وعند وصولها إلى الدار أرادت من فورها أن تبدأ العمل، فتناولت المكنسة من الزاوية حيث تركتها وبدأت تكنس، فخرج لها من غرف الدار أناس غرباء سألوها مَن هي وماذا تفعل. وتبيّن بعدئذ أنها لم تغب عن الدار ثلاثة أيام فقط، حسبما ظنت، بل أمضت لدى الأقزام في الجبل المجوف سبع سنوات. أمّا أصحاب البيت السابقين فقد ماتوا.

Twitter: @ketab_n

الحكاية الثالثة

في قديم الزمان أخذ الأقـزام طفلاً من مهده ووضعوا لأمه بدلاً عنه مسخاً مشوّهاً برأس سمين وعينين جامدتين، لا يحسن سوى الأكل والشرب. لجأت الأم في شدّتها إلى جارتها وطلبت مشورتها في مُصابها. قالت لها الجارة بأن عليهـا أن تحمل المسخ المسحور إلى المطبخ وتُجلسه على الموقد، ثم توقد النـار وتغلي ماء فـي قشرتي بيض، فهذا سيدفع الطفـل المشوه إلى الضحك، وإذا ضحك فإنه سيموت. نفذت الأم كل ما قالته لها الجارة. وعندما وضعت قشرتي البيض المملوءتين بالماء على النار قال ذو الرأس السمين:

«بلغت من العمر عتيّا
ورأيت الكثير مذْ كنت صبيا
لكني حتى الساعة لم أرَ
مَن يغلي ماء في بيضة بدل الطنجرة».

وأخذ يضحك. وفي أثنـاء ضحكه جاء عدد كبير من الأقزام حاملين معهم الطفل الأصلي، الذي وضعـوه على حافة الموقد، وحملوا المسخ المسحور وغادروا.

×××

Twitter: @ketab_n

(٤٠)

العريس المجرم

في قديم الزمان كان هناك طحّان لديه ابنة جميلة، وعندما كبرت وصارت صبية تمنى أن يأتيها زوج يرعاها جيداً، وفكر: «إذا جاءها خاطب محترم وطلب يدها فسأعطيه إياها».

بعد مدة غير طويلة جاءها خاطب بدا عليه الثراء والغنى، ولمّا لم يجد فيه والدها نقيصة تذكر وعده بابنته. لكن الابنة لم تستلطفه ولم تشعر نحوه شعور العروس تجاه عريسها، ولم تشعر حياله بأي ثقة. كانت كلما رأته أو فكرت به ينقبض قلبها.

وذات مرة خاطبها قائلاً: «كيف تكونين عروسي ولا تزورينني!» فأجابته الصبية: «أنا لا أعرف مكان دارك»، فقال: «داري تقع في الغابة المعتمة، ليست بعيدة عن هنا». بحثت الصبيّة عن حجج، فقالت إنها لن تجد الطريق إلى داره، فقال العريس بحسم: «يوم الأحد القادم لا بد من أن تأتي إلى داري، فلقد دعوت الضيوف، ولكي لا تضلّي الطريق عبر الغابة سأنثر رماداً على الدرب».

عندما جاء يوم الأحد وأرادت الصبية أن تنطلق انتابها خوف كبير، لم تدر له سبباً، ولكي تعلّم الطريق للعودة ملأت جيبيها بحبوب البازلاء والعدس. عند مدخل الغابة وجدت الرماد منثوراً على الدرب فمشت في إثره، لكنها كانت تنثر بعض الحبوب يميناً ويساراً طوال الطريق. استغرق الطريق النهار كله تقريباً حتى وصلت إلى منتصف الغابة حيث العتمة الكثيفة وحيث وجدت داراً وحيدة لم

Twitter: @ketab_n

يعجبها شكلها، إذ بدت كئيبة ومخيفة. دخلت الدار فلم تجد أحداً داخلها سوى سكون عظيم، وفجأة انطلق صوت:

عودي عودي، يا صبية يا عروس،

فوكر المجرمين هذا ألعن من كابوس».

فزِعتِ الصبية ورفعت نظرها فعرفت أن الصوت صادر من طائر في قفص معلق على الجدار. عاود الطائر تحذيره.

عودي عودي، يا صبية يا عروس،

فوكر المجرمين هذا ألعن من كابوس».

تابعت العروس الجميلة جولتها من غرفة إلى أخرى عبر الدار كلها، لكنها كانت خالية خاوية. وأخيراً نزلت إلى القبو أيضاً فوجدت هناك امرأة عجوز تهز رأسها طوال الوقت يميناً ويساراً. بادرتها الصبية سائلة: «أيمكن أن تخبريني ما إذا كان عريسي يسكن في هذه الدار؟» فأجابتها العجوز: «آه، يا صغيرتي المسكينة، ما الذي جاء بك إلى هذا المكان، إنه وكر عصابة من المجرمين. تعتقدين أنك عروس سيُحتفل قريباً بعرسها، لكنهك ستُزفين إلى الموت. انظري إلى هذا القدر الكبير الذي سأرفعه على النار لأغلي فيه الماء، عندما تصبحين في قبضتهم سيقطعونك إرباً من دون شفقة ويطبخونك ويأكلونك، فهم من أكلة لحوم البشر. لولا أني أشفق عليك وأريد مساعدتك، لضعت يا صغيرتي».

قادتها المرأة العجوز إلى خلف برميل ضخم لتختبئ فلا يراها أحد، وقالت لها: «عليك بالهدوء والصمت كفأر. لا تتحركي من هنا، وإلا فستفقدين حياتك. وفي الليل، عندما يغطّ المجرمون في نومهم سنهرب. لقد انتظرت هذه الفرصة منذ وقت طويل». وما أن أنهت كلامها حتى وصلت عصابة المجرمين إلى الدار، وهم يجرّون معهم عذراء أخرى. كانوا سكرانين فلم يأبهوا لصراخها وبكائها.

Twitter: @ketab_n

سقوها ثلاثة كؤوس ملآنة بالنبيذ الأحمر والأبيض والأصفر فانفجر قلبها وماتت. ثم مزقوا ثيابها الجديدة ومدّدوها فوق الطاولة وقطّعوا جسمها الجميل إرباً ورشوا عليها الملح. أما العروس المسكينة المختبئة وراء البرميل فكانت ترتجف وترتعد، فقد رأت مصيرها أمام عينيها. انتبه أحد المجرمين إلى وجود خاتم ذهبي في خنصر العذراء القتيلة، ولمّا لم يستطع نزعه عن الإصبع تناول بلطة وقطع بها الإصبع الذي طار في الهواء فوق البرميل وسقط في حضن العروس المختبئة تماماً. أخذ المجرم قنديلاً وأراد البحث عنه، لكنه لم يجده حوله، فقال له مجرم آخر: «هل بحثت وراء البرميل أيضاً؟» لكن العجوز صاحت في تلك اللحظة: «تعالوا إلى الأكل الآن، ودعوا التفتيش إلى الغد، فالإصبع لن يهرب منكم». فقال المجرمون: «العجوز محقة»، وتركوا التفتيش ليأكلوا. قطرت لهم العجوز في النبيذ مادة منومة وسرعان ما استلقوا في القبو وغطوا في النوم وهم يشخرون.

عندما سمعت العروس ذلك خرجت من وراء البرميل واضطرت لأن تخطو فوق النائمين، فقسم منهم قد نام على الأرض، وخافت أن توقظ أحدهم سهواً، لكن الرب ساعدها فتمكنت من تجاوزهم بنجاح. صعدت العجوز معها وفتحت باب الدار وأسرعتا بقدر ما تستطيعان بعيداً عن وكر السفاحين. أثناء الليل ذرت الريح الرماد المنثور، أما حبوب البازلاء والعدس فقد أنتشت ودلّتهما في ضوء القمر إلى الطريق.

سارتا الليل كله، ومع الصباح وصلتا إلى الطاحون، حيث حكت الصبية لأبيها كل شيء مثلما جرى. وعندما جاء يوم حفلة العرس ظهر العريس، وكان الطحان قد دعا جميع أقاربه ومعارفه لحضور المناسبة. وعندما جلسوا جميعاً حول مائدة الطعام كان على كل واحد من الضيوف أن يروي شيئاً ما. أمّا العروس فجلست صامتة ولم تنطق بكلمة، فقال لها العريس: «والآن يا قلبي، جاء دورِكِ، ألا تعرفين شيئاً؟ احكي لنا أية حكاية». فأجابت: «إذن سأحكي لكم حلماً.

Twitter: @ketab_n

مشيت وحدي عبر الغابة ووصلت أخيراً إلى دار لم أجد فيها أحداً قط، ولكن على الجدار كان هناك قفص فيه طير صغير أخذ يصيح بي:

عودي عودي، يا صبية يا عروس،

فوكر المجرمين هذا ألعن من كابوس».

وكـرر ذلك. هكذا كان الأمـر في الحلم يا كنزي. ثـم تجولت عبر حجرات الـدار كلها، فوجدتها خاليـة، وكان جوها يبعث على القشعريـرة. وأخيراً نزلت إلى القبـو فوجدت هناك امرأة عجوز جالسة تهز برأسهـا يميناً ويساراً، فسألتها: (أيسكـن عريسي في هذه الدار؟) فأجابتني: (آه، يـا صغيرتي المسكينة، ما الذي جـاء بك إلى هذا المكان، إنـه وكر عصابة من المجرميـن. عريسك يسكن هنا، لكنـه سيقطّعك إرباً ويقتلك ثم سيطبخك ويأكلـك.) هكذا كان الأمر في الحلم يـا كنزي. لكن العجوز خبأتني وراء برميـل كبير، وما إن شعرت بشيء من الأمان في مخبأي حتى وصل المجرمون وهم يجرجرون معهم فتاة عذراء، سقوها ثلاثة أنواع من النبيـذ، أبيض واصفر وأحمر، فانفجر قلبها. هكذا كان الأمر في الحلم يـا كنزي. ثم عرّوها مـن ثيابها الراقية وقطعوا جسمها الجميـل إرباً فوق الطاولة ورشـوا عليها ملحاً. هكـذا كان الأمر فـي الحلم يا كنزي. وفجـأة رأى أحدهم خاتماً ذهبياً فـي خنصر العذراء، ولأن انتزاعه من الاصبع كان عسيراً، تناول بلطة وقطع بها الإصبع الذي طار في الهواء وسقط وراء البرميل الضخم في حضني أنا. وها هو الإصبع بالخاتم». ومع هذه الكلمات الأخيرة أخرجت الإصبع من جيبها وأرته لجميع الحاضرين.

أثنـاء رواية العروس شحب لون العريس وبات مثـل الطباشير، ثم انتفض واقفاً ليهـرب بجلده، لكن الضيوف أمسكوا به وسلموه إلى القضاء. فحكم عليه وعلى جميع عصابته بالموت لجرائمهم المروّعة.

×××

Twitter: @ketab_n

(٤١)

السيد كورْبِس

قديمـاً، في يوم من تلك الأيـام، أراد الدّيك والدجاجة القيام برحلةٍ معاً، فصنع الديـك عربة جميلـة بأربع عجلات حمراء اللون، وربط أمـام العربة أربعة فئران. جلـس الديـك والدجاجة في العربة وانطلقـا. بعد مدّة قصيـرة التقيا على الطريق قطـةً سألتهمـا: «إلى أين ذاهبـان؟» فأجابها الديك: «مجرد نزهـة إلى دار السيد كوربس». فقالت القطة: «خذاني معكما» فقال لها الديك: «بكل سرور، اجلسي وراءنا كيلا تسقطي من الأمام»، ثم صاح: «انتبها لئلا توسخا لي عجلاتي الحمراء الجميلة. انطلقي أيتها العجلات وصفِّري أيتها الفئران في مشوارنا حتى دار السيد كوربِس».

وبعـد فترة أخرى قابلوا على الطريق حجر طاحون ثـم بيضة ثم بطة ثم دبوساً ثم إبـرة خياطة، فجلسوا جميعهم بالتتالي في العربـة وشاركوا في النزهة. لكنهم عندما وصلوا إلى هدفهم لم يجدوا السيد كوربِس في داره، فجرت الفئران العربة إلى مرآب العربات، وطار الديك والدجاجة ووقفا على عارضة السور، وجلست القطـة على طرف الموقـد، ونزلت البطة فـي برميل الماء، ولفَّـت البيضة نفسها بالمنشفـة، وغزّ الدبوس نفسه في وسادة الكرسي، أمـا الإبرة فقفزت إلى السرير وإلى وسط وسادة الرأس، في حين استلقى حجر الطاحون فوق الباب.

عندما وصل السيد كوربس إلى داره توجه إلى الموقد ليشعل ناراً فرشَّت القطة وجهـه بالرمـاد. دخل إلى المطبـخ بسرعة ليغسل وجهه فرشّتـه البطة بالماء على وجهـه، أراد أن يجفف وجهه بالمنشفة فتدحرجت البيضة نحوه وانكسرت على

Twitter: @ketab_n

وجهــه فالتصقت عيناه. أراد أن يستريح قليــلاً من الصدمات المتتالية فجلس على الكرســي، فوخزه الدبوس. ثار غضبه فرمى بنفسه على السرير، لكنه عندما وضع رأسه على الوسادة وخزته الإبرة فانتفض صارخاً حانقاً يريد مغادرة الدار إلى الدنيا الواسعــة، بيد أنه عندما حرك بــاب الدار سقط فوقه حجر الطاحون فقتله. لا شك في أن السيد كوربس كان رجلاً شريراً حقاً.

×××

Twitter: @ketab_n

(٤٢)

العرّاب[٥]

فـي قديم الزمـان كان هناك رجل فقير لديه الكثير من الأولاد، إلى درجة أن لم يبـقَ أحد من جيرانـه إلا وكان عرّاباً لأحد أبنائه أو بناته. وعندما جاءه طفل جديد لم يجد من يرجوه أن يكون عراباًله.

احتـار وضاقت به الدنيـا فاضطجع ونام، فرأى في منامه أن عليه الانتظار عند البوابـة، وأول من يقابله عليه سؤاله أن يكون عرابـاً. وعندما استيقظ قرر تنفيذ ما رآه في المنام، فخرج إلى البوابة وسأل أول عابر سبيل أن يصبح عراباً لابنه. قدَّم له الغريب قدح ماء صغير وقال له: "هذا ماء عجيب، يمكنك به أن تشفي المرضى، وكل ما عليك فعله هو أن تتأكد من مكان وقوف عزرائيل. إذا كان واقفاً عند رأس المريضـ فاسقه من الماء وسيشفى، أما إذا كان واقفـاً عند القدمين فعبثاً تبذل أي جهد، إذ لا بد من أن يموت."

ومنذئذ صار بوسع الرجل أن يقول ما إذا كان هذا أو ذاك المريض سيُنقذ أم لا، وذاع صيتـه وصار غنياً. وذات يوم استُدعي لمعاينـة ابن الملك، ولما دخل رأى عزرائيـل واقفاً عند رأس الأمير فسقاه من الماء وشفاه. وتكرر الأمر ثانية بالطريقة نفسها، أما في المرة الثالثة فكان الموت واقفاً عند قدمي الأمير، فمات.

أراد الرجـل بعـد مدة من الزمـن أن يزور العراب الغريـب ليحكي له ما جرى معـه باستعمـال الماء العجيـب. لكنه عندما دخـل إلى دار الغريـب وجد أحوالاً

هـ – العرّاب: كلمة سريانية تستخدم عند النصارى للدلالة على كفيل الطفل مادياً ومعنوياً.

Twitter: @ketab_n

تثير التساؤل والعجب، ففي الطابق الأول رأى المكنسة والجاروف يتنازعان ويتشاتمان بصخب، فسألهما: "أين يسكن العراب؟" فأجابته المكنسة: "في الطابق الأعلى." عندما صعد إلى الطابق الثاني شاهد عدداً كبيراً من الأصابع الميتة منثورة على الأرض، فسألها: "أين يسكن العرّاب؟" فأجابه إصبع: "في الطابق الأعلى." وفي الطابق الثالث وجد الرجل كومة من الرؤوس الميتة أشار له أحدها نحو الطابق الأعلى. عندما وصل إلى الطابق الرابع وجد سمكاً يقلي نفسه بنفسه في مقلاة والزيت يُطشطش. وهنا أيضاً قالت له السمكات: "في الطابق الأعلى." فصعد إلى الطابق الخامس ووجد نفسه أمام باب حجرة، فنظر عبر ثقب المفتاح فرأى العرّاب في الداخل وعلى رأسه قرنان طويلان.

فتح الرجل الباب ودخل، وسرعان ما استلقى العراب في السرير وغطى نفسه. بادر الرجلُ العرابَ قائلاً: "يا لغرابة الأحوال التي تسود في داركم يا سيدي!؟ في الطابق الأول رأيت المكنسة والجاروف يتلاسنان ويتضاربان بقسوة." فأجابه العراب: "يا لسذاجتك يا رجل! هذان كانا الخادم والخادمة يتحاوران." فتابع الرجل: "وفي الطابق الثاني رأيت أصابع ميتة منثورة على الأرض." فقال العراب: "يا سلام، ما هذا الهراء! إنها الجذور السوداء ألا تعرفها؟!" فقال الرجل: "وفي الطابق الثالث كانت هناك كومة من الرؤوس الميتة." "ما أحمقك! إنها رؤوس كرنب" قال العرّاب، فأردف الرجل: "طيب، في الطابق الرابع رأيت سمكاً يقلي نفسه بنفسه في المقلاة والزيت يطشطش"، وما إن لفظ ذلك حتى دخلت السمكات المقلية واصطفت على المائدة جاهزة للأكل، ومع ذلك تابع الرجل: "وعندما وصلت إلى الطابق الخامس نظرت عبر ثقب الباب فرأيتك يا سيدي العرّاب وعلى رأسك قرنان طويلان." فأجابه العرّاب: "عجباً! هذا كلام غير صحيح." فخاف الرجل وهرب، ومن يدري ما كان يمكن للعرّاب أن يفعله به أكثر من ذلك.

×××

Twitter: @ketab_n

(٤٣)

السيدة ترودِه(و)

في قديم الزمان كان هناك فتاة صغيرة عنيدة وطويلة اللسان، ولم تكن تطيع أبويها قط، فكيف ستكون أحوالها بخير؟.

وذاتَ يوم قالت الفتاة لأبويها: "لقد سمعتُ الكثير عن السيدة تروده، وأنا أريد أن أزورها، إذ يقول الناس إن بيتها عجيب غريب، ويحكون أن عندها أشياء تثير الدهشة، وقد ثار فضولي لرؤية ذلك." منعها أبواها عن ذلك بحزم وقالا لها: "السيدة تروده امرأة شريرة تمارس أعمال الكفرة، وإذا ذهبت إليها فلن تكوني ابنتنا بعد الآن." لكن الفتاة لم تأبه بمنع أبويها لها، بل ذهبت على الرغم من ذلك إلى بيت السيدة تروده.

وعندما دخلت بيتها سألتها السيدة تروده: "ما بالك شاحبة هكذا؟" فأجابتها الفتاة وجسمها كلّه يرتعد: "لقد ارتعبت جداً مما رأيت." "وماذا رأيت؟" سألتها تروده، فقالت الفتاة: "رأيت على درج بيتك رجلاً أسود"، فأجابت تروده: "هذا كان الفحّام." "ثم رأيت رجلاً أخضر"، فقالت الفتاة. "هذا كان الصياد"، أجابت تروده. "ثم رأيت رجلاً أحمر كالدم"، قالت الفتاة. "هذا كان اللحّام"، أجابت تروده. فتابعت الفتاة قائلة: "آه يا سيدة تروده، لقد فزعت عندما نظرت عبر النافذة، إذ أني لم أركِ لكني رأيت الشيطان برأسه الناري." فقالت السيدة تروده ساخرة: "هاها! إذن فقد رأيت الساحرة على حقيقتها من دون تنكّر. لقد انتظرتك طويلاً، واحتجت إليك لتضيئي لي المكان." وحولت الفتاة إلى

و • – تروده: اسم يستخدمه الألمان للاشارة إلى الساحرة الشريرة المتنكرة في هيئة بشرية.

Twitter: @ketab_n

قطعة خشب رمتها في نار المدفأة. وعندما اشتعلت تماماً وارتفع لهيبها، جلست السيدة ترودة إلى جانبها فشعرت بالدفء وقالت: "يا له من لهيبٍ مضيءٍ حقًّا!"

×××

Twitter: @ketab_n

(٤٤)

الموتُ عَرّاباً

في قديم الزمان كان لدى رجل فقير إثنا عشر ولداً وكان عليه أن يكدّ ويكدح ليوفّر لهم الخبز الحاف فقط.

وعندما جاءه الولد الثالث عشر لم يدر في شدّته كيف عليه أن يتصرف، فغادر داره إلى الطريق العام عازماً أن يسأل أول عابر سبيل يقابله أن يصبح عراباً لابنه الجديد. فكان أول من التقاه هو الإله الطبيب الذي كان عارفاً بمراده وبما يُثقل على قلبه، فخاطبه قائلاً: «أيها الرجل الفقير إني أشفق عليك. أنا مستعد لأن أعمّد ابنك بنفسي ولأن أرعاه وأُسعده في الحياة». فسأله الرجل الفقير: «ومن أنت؟» فأجاب: «أنا الإله الطيب»، فقال له الفقير: «إذاً، لا أريدك عراباً لابني، فأنت تزيد في ثروة الغني وتترك الفقير ليجوع». هذا ما قاله الرجل الذي لم يدرك حكمة الإله الطيب في توزيع الثروة والفقر، والتفت عنه متابعاً طريقه.

فظهر له الشيطان وخاطبه قائلاً: «عمَّ تبحث؟ أتريدني عراباً لابنك، فأمنحه من الذهب الكثير إضافة إلى مسرّات الدنيا كلها؟» فسأله الرجل الفقير: «ومن أنت؟» فأجاب: «أنا الشيطان»، فقال له الفقير: «إذاً، لا أريدك عراباً لابني، فأنت تخدع البشر وتغويهم»، والتفت عنه متابعاً طريقه.

فظهر له الموت ذو الساقين العجفاوين وتقدم منه قائلاً: «خذني عراباً»، فسأله الفقير: «ومن أنت؟» فأجاب: «أنا الموت الذي يساوي بين الجميع»،

Twitter: @ketab_n

فقـال الرجل: «أنت العراب المناسب، فأنت تقبض أرواح الأغنياء كما الفقراء مـن دون تفريق»، فأجابه الموت: «سأجعل ابنـك ثرياً وشهيراً، فمن يصادقني لـن يخيب له أمر»، فقال له الفقير: «عماد الولد سيكون يوم الأحد القادم، كن هنـاك في الوقت المناسـب». ظهر الموت في الموعد المحـدد وصار رسمياً عرّاب الولد.

عندما كبر الصبي ونضج ظهر عرابهِ وطلب منه مرافقته. قاده إلى الغابة وأراه عشباً ينمو هناك وقال له: «حان الوقت الآن لتتلقى مني هدية العرابة. سأجعلك حكيماً شهيـراً. عندما تُستدعى لمعاينة مريض سأكون أنـا حاضراً دائماً، فإذا رأيتني واقفاً من جهة رأس المريض فتجاسر وقل إنك ستعيد إليه عافيته، ثم أعطه شيئـاً من هذا العشب وسرعان ما سيتعافـى. أما إذا رأيتني واقفاً من جهة قدمي المريضـ، فهـذا يعني أنه لي، وعندها عليك أن تقول بـأن مساعدته لن تُجدي مهمـا كان نوعها ولا يوجـد حكيم في الدنيا يمكن أن ينقذه من مرضه. ولكن إيّاك أن تستخدم هذا العشب بما يخالف إرادتي، فعندها سيسوء حالُك».

لـم يمضِ وقت طويـل حتى صار الشـابُ الطبيبَ الأشهر فـي العالم كله. وصار الناس يقولون عنه: «لا يحتاج هذا الطبيب إلا لإلقاء نظرة على المريض ليعـرف حالته وما إذا كان سيشفى أم يمـوت». وكان يُستدعى من كل حدب وصوب لعيادة المرضى، وكانوا يدفعون له ذهباً كثيراً حتى بات رجلاً ثريّاً.

وحـدث ذات يوم أن مرض ملك البلاد، فاستدعي الحكيم، وكان مضطراً لإبـداء رأيه في ما إذا كان الشفاء ممكناً. لكنـه عندما دنا من سرير الملك رأى المـوت واقفاً من جهة القدمين، فلن ينفعه أي عشـب إذاً. لكن الحكيم فكّر: «ألا يمكنتـي أن أخـدع الموت مرّةً يا تُرى!؟ لا ريب أنـه سيستاء مني، ولكن بمـا أنه عرابي فسيغض النظر، إذن سأجرب»، فحمـل المريض وأدار وضعية استلقائـه، فبـات رأسه عند مكان وقـوف الموت، ثم أعطـاه شيئاً من العشب فانتعش الملـك وتعافى. أما الموت فقد جاء إلـى الحكيم بوجه عبوس ينضح

Twitter: @ketab_n

شراً وهدده بإصبعه قائلاً: «لقد تلاعبت بي. هذه المرة سأرحمك لأني عرّابك، أمـا إن تجرأت على ذلك مرة أخرى فسيكون حسابـك عندي عسيراً، إذ إني سأقبض روحك أنت».

بعـد فترة وجيزة مرضت الأميرة مرضاً عضالاً، وكانت وحيدة أبيها الملك الـذي بكاها حتـى كاد يفقد البصر، وأعلن أن مَـن ينقذها من الموت سيمسي زوجها ويـرث العرش. عندما اقترب الحكيم من سريـر المريضة رأى الموت واقفـاً عند قدميها. كان عليه أن يتذكر تحذير عرابه، لكن جمال الأميرة الباهر واحتمـال صعود نجمه بالزواج منها قد فتنا عقله وجعلاه يضرب العقلَ عرض الحائـط، فلـم يعد يرى نظرات المـوت الغاضبة التي رماه بهـا، ولا قبضة يده العجفـاء التي رفعها عالياً مهدداً، بل حمل المريضة وجعل رأسها باتجاه مكان وقـوف المـوت، ثم أعطاها شيئاً مـن العشب، فتورد خداهـا للتو ودبت فيها الحياة مجدداً.

عندمـا رأى الموت أنه قد تعرض للاحتيال مـرة ثانية في ما يخص مُلكيته، ذهـب إلـى الحكيم بخطوات واسعة وقـال له: «لقد انتهى أمـرك إذ جاء الآن دورك»، وأمســك به بيده الجليديـة بشدة بحيث شل حركتـه، وقاده معه إلى مغارة تحت الأرض. رأى الحكيـم هناك آلافاً مؤلفة من الشموع في صفوف لا يحيـط بها النظر. بعضها طويـل، وبعضها متوسط، وبعضهـا الآخر صغير. وفي كل لحظة كان بعضها ينطفئ فيما يشتعل بعضها الآخر، فكانت الشعلات الصغيـرة في حركة تبدُّلٍ دائمة هنا وهنـاك وكأنها تتقافز. «أترى» قال الموت «إنهـا أضواء حيوات البشـر. الشموع الطويلة للأطفـال والمتوسطة للأزواج فـي أفضل سنـوات معيشتهم والصغيـرة للعجائز. ولكن حتـى بعض الأطفال والفتيـان يمكن لشموعهـم أن تكون قصيرة». فقال لـه الحكيم: «أرني ضوء حياتـي»، وهـو يظنه شمعة ما زالـت طويلة أشار الموت نحـو ذبالةِ شمعةٍ في نهايتها وتـكاد تنطفئ وقال: «ها هو، أرأيته؟» فقال الحكيم مرتعباً: «ولكن يا عرابـي العزيز، هلا أشعلت لي شمعة جديـدة، كرمى لي، لكي أستمتع بحياتي

Twitter: @ketab_n

فأصبح ملكاً وزوجاً للأميرة الجميلة!» فأجاب الموت: «لا أستطيع. يجب أن تنطفئ واحدة أولاً، قبل أن تشتعل واحدة أخرى». فتوسل إليه الحكيم: «ضع إذاً القديمة فوق واحدة جديدة لتشتعل فور انطفاء القديمة». تظاهر الموت بأنه سيحقق رغبة الحكيم، فتناول شمعة طويلة جديدة، ولكن بما أنه ابتغى الانتقام فقد ارتبك عامداً عند نقل الشعلة من القديمة إلى الجديدة فسقطت القديمة من بين أصابعه وانطفأت، فتهاوى الحكيم فوراً على الأرض وبات في قبضة الموت.

×××

Twitter: @ketab_n

(٤٥)

جولة عقلة الإصبع

كان هناك في قديم الزمان خياط لديه ابن ضئيل الحجم ولا يبلغ طوله أكثر من إصبـع، ولهذا سُمي عقلة الإصبـع، لكنه كان فتى شجاعاً جسوراً. وذات يوم قال لأبيـه: «ينبغـي يا أبي أن أتعرّف على الدنيا، بل لا بـد من ذلك». حسن، يا بني»، قـال والده العجوز وتناول دبوساً طويلاً وذوَّب عليـه بالشمعة ما يشبه العقدة من مـادة ختم الرسائل وتابـع قائلاً: «وإليك هذا السيـف لجولتك». وقبل الانطلاق أراد الخيـاط الصغير أن يشارك والديه الطعام، فقفز إلى المطبخ ليرى ما تطهو أمه من أطايب الطعام لوجبته الأخيرة، بيد أن أمه كانت قد رفعت القدر على النار منذ برهـة، فسألها: «ما طبخة اليوم يا أماه؟» «انظر بنفسك وستعرف»، قالت له أمه. فقفـز عقلة الإصبع إلى الموقد وألقى نظرة داخل القدر. ولأنه مدَّ رقبته كثيراً فوق القـدر رفعه بخار الطبخـة الكثيف في الهواء ودفع به عبـر المدخنة إلى الخارج. بقي راكباً سحابة البخار فترةً والهواء يأخذها هنا وهناك إلى أن بردت فسقط على الأرض.

وبذلـك وجـد عقلة الإصبع نفسه فـي دنيا الله الواسعة، فتجـوّل فيها والتحق بمعلّـم خياطـة واشتغل عنده، لكن طعـام زوجة المعلم لم يعجبـه، فقال لها: «يا سيدتي، إذا لم تقدّمي لنا طعاماً أفضل، فسأترككم وسأكتب على باب داركم غداً بالطباشير: كثير من البطاطا مع قليل من اللحم، وداعاً يا ملكة البطاطا». «وما هي أوامـرك يا جرادة؟» قالت زوجة المعلم بغضب وتناولت ممسحة المطبخ لتلطشه بهـا. لكن الخيـاط الصغير اختبأ بسرعة تحت الكشتبان، مـدَّ رأسه من تحته ومدَّ

Twitter: @ketab_n

لسانـه لزوجة المعلم التي رفعت الكشتبان لتمسك به، فيما قفز عقلة الإصبع على الممسحـة نفسها. وعندما فردتها زوجة المعلـم باحثة عنه، أسرع واختبأ في شق فـي الطاولـة، وأخذ يصيح: «يا معلمة يـا معلمة، أنا هنا، أنا هنـا»، وما أن كادت تلطشـه بالممسحة حتى قفز إلى درج الطاولة، فأمسكت به أخيراً وطردته خارج الدار.

مشـى الخياط الصغير إلى أن وصل إلى غابـة كبيرة التقى فيها بعصابة لصوص تخطط لسرقة كنز ملك البلاد. عندما رأى اللصوص الخياط الصغير فكّروا: «هذا الفتى الضئيل يمكن أن يتسلّل من ثقب باب، لهذا يمكن أن يخدمنا كفاتح أقفال»، ونـادوه: «أنت، أيها العمـلاق، ما رأيك بمرافقتنا إلى الخزانـة الملكية؟ يمكنك التسلـل بسهولة إلى الداخل لترمـي لنا الذهب إلى الخـارج». فكّر عقلة الإصبع برهةً، وقال أخيراً: «موافق». ورافقهم إلى الخزانة الملكية، وهناك تفحص الباب من كافة جوانبه بحثاً عن شق، إلى أن عثر على واحد مناسب أخيراً يتسع ما يكفي للتسلل عبره. كان على وشك التسلل عبر الشق عندما لحظه أحد حارسي الباب، فقال للآخر: «مـا هذا العنكبوت الكريه الذي يزحف هناك؟ سأسحقه بحذائي». فقـال الآخـر: دع المسكين يذهب في سبيله، فهو لم يـؤذِك. تسلل عقلة الإصبع عبـر الشق بنجاح إلى داخـل الخزانة الملكيـة، ففتح النافذة الصغيـرة التي يقف اللصوصـ تحتها وأخذ يرمي إليهم النقود الذهبية ديناراً فدينار. وفيما هو منهمك بعملـه سمع الملكَ قادمـاً للتفتيش، فاختبأ بسرعة. لاحـظ الملك نقص كثير من الدينارات الثقيلة، لكنه لم يجد تفسيراً لكيفية سرقتها ما دام القفل سليماً والمفتاح في الحفـظ والصون. وعند مغادرته غرفة الخزانة قـال للحارسين: «انتبها، هناك مـن يريد سرقة الأموال». ولمّا عاود عقلـة الإصبع انهماكه في رمي الدنانير سمع الحارسان رنين المعـدن في الداخل، فقفزا بسرعة للإمساك باللص. لكن الخياط الصغيـر الذي سمعهما قادمين، كان أسرع منهما فـي الاختباء في إحدى الزوايا، وغطـى نفسه بدينار ذهبي، فلم يظهر منه شـيء، وأخذ يعابث الحارسين صائحاً: «أنـا هنا». أسرع الحارسان نحو مصدر الصوت، لكنه كان قد قفز إلى زاوية ثانية

Twitter: @ketab_n

وغطى نفسه بدينار آخر وصاح ثانية: «أنا هنا». فقفز الحارسان باتجاهه، غير أنه صار بسرعة في الزاوية الثالثة وكرر صيحته: «أنا هنا». واستمر على هذا المنوال حتى دوّخهما وأنهكهما فغادرا الغرفة مطبقين الباب وراءهما. عاود عقلة الإصبع رمي الدنانير عبر النافذة إلى أن وصل إلى الدينار الأخير، فقذفه بأقصى طاقته ثم قفز فركبه وطار فوقه عبر النافذة إلى الخارج. امتدح اللصوص عمله وقرّظوا نباهته، فقالوا: «أنت بطل جبار» وقالوا: «أتريد أن تصير قائدنا؟» شكرهم عقلة الإصبع على أريحيتهم واعتذر بأنه يرغب في اختبار الدنيا أولاً. تقاسم اللصوص الغنيمة، ولم يطالب الخياط الصغير من حصته إلا بقرش واحد، لأنه لا يستطيع أن يحمل أكثر منه.

بعد ذلك حزم عقلة الإصبع سيفه على خصره ثانية وودع اللصوص وسار في سبيله مسرعاً. اشتغل لدى عدد من معلمي الخياطة، لكنه لم يرتح للشغل معهم، إلى أن عمل خادماً في نُزُل. بيد أن الخادمات هنا لم يرتحن إليه، لأنه كان يرى كل ما يفعلنه سراً دون أن يروه، ويخبر أصحاب النزل بما سرقنه من صحون وبما حملنه من القبو لأنفسهن، فقلن: «انتظر، سنرد لك الصاع صاعين»، واتفقن على تدبير مقلب محترم له. وعندما كانت إحداهن في حديقة النزل تحشّ العشب ورأت عقلة الإصبع هناك يقفز من مكان إلى آخر ويتسلق الأعشاب ثم ينزل مسروراً، حَشَّته بسرعة مع العشب وحزمت الربطة في قماشة كبيرة ورمتها سراً علفاً للبقرات. كان بينهن بقرة سوداء ضخمة، ابتلعته مع الربطة من دون أن تعلكه أو تؤذيه. لم يرتح عقلة الإصبع في معدة البقرة بسبب العتمة الشديدة وعدم وجود أضواء. وفي أثناء حلب البقرة أخذ يصيح:

«شْيخ شاخ شْو،

هل امتلأ الدلو؟»

بيد أن أصوات عملية الحلب طغت على صياحه فلم يُسمع صوته. ثم دخل صاحب النزل إلى الاسطبل وقال: «غداً يجب ذبح هذه البقرة السوداء». فخاف

Twitter: @ketab_n

عقلة الإصبع وصاح بأعلى صوته: «أخرجوني أولاً. أنا هنا في بطنها». سمع صاحب النزل الصياح لكنه لم يعرف مصدره، فصاح بدوره: «أين أنت؟» فأجاب عقلة الإصبع: «في السوداء». لكن السيد لم يفهم معنى ذلك وذهب.

في صباح اليوم التالي ذُبحت البقرة، ولحسن الحظ لم يصب عقلة الإصبع بأي ضربة ساطور أثناء تقطيع البقرة، لكن المعدة رميت إلى كومة تحضير السجق. وعندما اقترب اللحام ليبدأ عمله، صاح عقلة الاصبع بأعلى صوته: «لا تُعمّق الضربة، لا تعمق الضربة، أنا عالق هنا». لكن أصوات السكاكين لم تدع مجالاً لسماع صيحته، فتحول وضعه إلى أزمة مستعصية. وكما يقال: الأزمات تخلق لنفسها أرجلاً سريعة. وفعلاً سرعان ما أخذ عقلة الإصبع يقفز بين السكاكين الصاعدة والنازلة بكل خفة، فلم تمسه أي منها ونجا بجلده.

بيد أنه لم يستطع الهرب، إذ لم يكن هناك من مخرج، وكان لا بد من أن يُحشى في السجق في مصران ضيّق جداً، أضف إلى ذلك تعليق حبل السجق في المدخنة ليدخُن ببطء، ما أدى إلى شعوره بملل قاتل. وأخيراً في الشتاء أُنزل حبل السجق من المدخنة لتقديمه لأحد النزلاء على مائدة الطعام. وعندما قامت زوجة صاحب النزل بتقطيع السجق إلى شرائح، ركّز عقلة الإصبع كل انتباهه كيلا تقطع السكين رقبته، وعند أول فرصة متاحة أخذ شهيقاً عميقاً وقفز إلى الحرية.

لم يرغب عقلة الإصبع البقاء مدة أطول في هذا المكان الذي ساءت فيه أحواله، فانطلق من فوره في جولة جديدة، لكن حرّيته لم تدم طويلاً، إذ صادف في الحقل ثعلباً شارداً ابتلعه من حيث لا يدري، فصاح الخياط الصغير: «يا سلام يا سيد ثعلب، ألا تنتبه! أنا هنا في حلقك، هلّا أخرجتني!» «معك حق»، قال الثعلب وأردف: «أنت لا تغني ولا تسمن من جوع، ولكن إذا وعدتني بدجاجات خمّ أبيك، فسأمنحك حريتك». فأجابه عقلة الإصبع: «بكل سرور، ستحصل على جميع الدجاجات، أعدك بذلك».

فأخرجه الثعلب من حلقه وحمله بنفسه إلى دار أبويه. وعندما رأى الأب

Twitter: @ketab_n

ابنــه مجدداً تخلى للثعلــب بسرور عن كل دجاجاته. فقال عقلــة الإصبع: «ولقاء الدجاجــات جلبت لك معي قطعة نقــود جميلة»، وأخرج من جيبه قطعة القروش العشرة التي كسبها من جولته.

«ولكن ما سبب حصول الثعلب على الدجاجات ليلتهمها؟»

«يا سلام يا مجنون! ألا تدرك أن الإبن أحبّ إلى أبيه من كل دجاجات الخمّ؟!»

×××

Twitter: @ketab_n

(٤٦)

طائر الساحر

فــي قديم الزمان كان هناك ساحرٌ كبير، يتخذ لنفسه هيئة رجل يدور من دار إلى دار، يشحــذ ويصطاد الفتيات الجميــلات. لم يعرف أحد إلى أين كان يأخذهن، إذ لم ترجع منهن أي واحدة قط.

وذات يــوم ظهر الساحر عند دار رجل لديه ثلاث بناتٍ جميلات. كان للساحر شكلُ شحّاذ مسكين يحمل على ظهره سلة ليجمع فيها الصدقات المتواضعة. قرعَ البــاب وطلبَ شيئاً من الطعام، وعندما ظهرتْ له الإبنةُ الكبرى لتُناوله رغيف خبز، لمسَها بيده فقط. ما جعَلَها تقفزُ إلى داخل سلته، فهربَ بخطوات سريعة حاملاً إياها إلــى غابةٍ كثيفة معتمة حيــث يوجد بيته في وسطها. وفي داخل البيت كان كل شيء يتصف بالفخامة والأبهة، وهناك قدَّم الساحرُ للفتاة كل ما تتمناهُ نفسها، وقال لها: يا كنزي، ستكونُ أمورك عندي على خير ما يرام، فلديك كل ما يشتهيه قلبك». استمر هذا الحال بضعة أيام ثم قال لها الساحر: «أنا مضطر للسفر وسأتركك وحدك لمدة قصيرة، إليكِ مفاتيح البيت كله، تجولي فيه على راحتك وتفحصي كل شيء، سوى حجــرة واحدة، ها هو مفتاحها الصغير. أمنعكِ مــن دخولها وإلا ستدفعين حياتك ثمنــاً لذلك» ، كمــا أعطاها بيضة وقال: «احفظي هذه البيضــة بكل عناية، ويُفضَّلُ أن تحمليهــا معك دائماً، لأنك إنْ فقدتِها فستحــدثُ كارثة». أخذت منه المفاتيح والبيضــة ووعدته بأن تُنفِّــذ كل شيء على خير وجه. تجوّلت فــي البيت بعد سفره ودخلت إلــى جميع الغرف في الطابقيــن السفلي والعلوي فــرأت الذهب والفضة يلمعان في كل زاوية، وقالت لنفسها إنها لم ترَ بعدْ مثل هذه الفخامة والأبهة.

Twitter: @ketab_n

وأخيراً وصلت إلى باب الحجرة المحظورة، وأرادت أن تتجاوزه وتتابع، لكن فضولها اشتدّ وألحّ. تفحّصت المفتاح الصغير، فوجدته مثل غيره. أدخلته في القفل وأدارته قليلاً وإذا بالباب ينفتح بسرعة على سعته. ولكن ما الذي رأته عندما دخلت؟ رأت في وسط الحجرة حوضاً واسعاً مليئاً بالدم وبأشلاء بشرية، وإلى جانبه قرمةٌ خشبيةٌ عليها بلطة ملتمعة. فزعت الفتاة وارتعدت، فانزلقت البيضة من يدها إلى حوض الدم. لكنها أخرجتها وغسلت عنها آثار الدم، بيد أن كل جهدها ذهب سدى، فحالما تجففها كانت آثار الدم تظهر مجدداً. وحتى بعد الحك والدعك بقيت الآثار بادية للعيان.

بعد مدة قصيرة عاد الساحر من رحلته، وكان أول ما طلبه، المفاتيح والبيضة. أعطته إياهم وهي ترتجف. لاحظ الساحر مباشرة البقع الحمراء على البيضة وعرف أنها كانت في حجرة الدم، فقال غاضباً: «هل دخلتِ حجرة الدم رغماً عن إرادتي، فإذنْ عليك العودة إليها رغماً عن إرادتك. لقد قضيتِ على حياتك». رماها أرضاً وجرها من شعرها وراءه إلى حجرة الدم، قطع رقبتها على القرمة الخشبية وقطّع أوصالها فسال دمها على الأرض ثم رماها إلى بقية الأشلاء في الحوض.

«والآن سأُحضر لنفسي الفتاةَ الثانية»، قال الساحر وعاد مرة ثانية إلى دار الفتيات الثلاث في هيئة شحاذ مسكين يتسول، فأتته الأخت الثانية برغيف خبر، فاصطادها كالأولى بمجرد ملامستها، وحملَها في سلته وذهب. لم يكن حظ الأخت الثانية أحسن من الأولى، فقد انساقت وراء فضولها وفتحت حجرة الدم ورأت ما فيها، ودفعت حياتها ثمناً لذلك حال عودته من رحلته.

ومن ثم ذهب الساحر وأحضر لنفسه الأختَ الثالثة، التي كانت ذكية وداهية، فعندما ناولها المفاتيح والبيضة وسافر، وضعت البيضةَ في مكانٍ آمن ثم زارت غرف البيت كلها ودخلت أخيراً إلى الحجرة المحظورة. وكان أن رأت هناك أختيها الحبيبتين مقطّعتي الأوصال في الحوض. تمالكت الفتاة نفسها وجمعت

Twitter: @ketab_n

الأشـلاء أولاً إلى بعضها البعض: الرأس فالجذع فالذراعان فالساقان. ولما اكتمل الجسمـان التأمت الجروح وزالـت آثارها ودبَّت الحياةُ فـي الجسمين ومنحت الفتاتان عيونَهما، ففرحوا وتعانقوا وقبلوا بعضهم بعضاً.

عندمـا وصل الساحر من رحلته طالبهـا مباشرة بالمفاتيـح والبيضة، ولمّا لم يكتشف على البيضة أية آثار مريبة، قال لها: «لقد اجتزتِ الاختبار بنجاح، ولهذا ستكونين زوجتي». وبذلك فقد سلطته عليها كساحر، وصار عليه أن ينفّذَ طلباتها، فأجابتـه: «فليكن، أنا موافقة، ولكـن قبل ذلك عليك أن توصـل لأمي وأبي سلّةً مملـوءة ذهباً، تحملها إليهما بنفسك على ظهرك، وفـي أثناء ذلك سأرتب لحفلة العرس». ثم ذهبت إلى أختيها اللتين خبأتهما في حجرة صغيرة وقالت لهما: «لقد جـاءت لحظة إنقاذكما: سيحملكما الساحر الشريـر بنفسه إلى دار أبوينا، ولكن حالمـا تصلان أرسـلا إلي نجدة». ثم وضعت أختيها فـي سلة وغطّتهما بالذهب بصـورة تامّة، ثم نادت الساحـر وقالت له: «والآن احمل هـذه السلة إلى أبوي، وإياك أن تقف لتستريح أثناء الطريق، فسوف أراقبك من نافذتي الصغيرة».

رفع الساحر السلة على ظهره وغادر، لكن ثقلها أخذ يضغط عليه بشدة، فأخذ يتعرق بغزارة، وغطّـى العرقُ وجهه. جلس قليلاً ليستريح، لكنه ما إن سكن قليلاً حتـى جاءه صوت مـن السلة يقول: «إني أراقبك من نافذتـي الصغيرة وأرى أنك تستريـح، هيا، تابـع فوراً». ظن الرجل أن هذا كان صـوتَ عروسه، فنهض واقفاً ومشـى. أراد بعـد قليل أن يستريح ثانيـة، فجاءه الصوت فـوراً: «إني أراقبك من نافذتي الصغيرة وأرى أنك تستريح، هيا، تابع فوراً». وكلما توقف ليستريح يعاجله الصوت فوراً، فيضطر إلى المتابعة، حتى وصل أخيراً لاهثاً إلى دار العروس، فسلَّم السلة بالفتاتين المغطّاتين بالذهب.

أمـا في بيت الغابة فقد رتَّبت العروس أمور حفلـة العرس ودعت إليها أصدقاء الساحر. ثم أخذت جمجمةً مكشِّرةَ الأسنان وألبستها إكليل زهور وبعض الزينة، وحملتهـا إلـى الشباك الصغير في سطـح البيت، وجعلتها تُطـلُّ منه على الدرب.

Twitter: @ketab_n

غطَسـت بعـد ذلك في برميلٍ مليءٍ بالعسل، ثم قصت لحـافَ السرير وتمرغت بكاملها في الريش، فبدَت مثل طائرٍ عجيبٍ لا يمكن لإنسان أن يكشف حقيقته. غادرت البيت باتجاه دار أهلها، وعلى الطريق التقت ببعض ضيوف العرس الذين سألوها:

«من أين جئتَ أيها الطائر الغريب؟»

«جئتُ من بيتِ الساحر العجيب».

«وكيف حالُ العروس الشابة هناك؟»

«نظّفتْ ورتّبتْ وجلستْ تطلُّ من الشباك».

وأخيراً التقت بعريسها العائد إلى بيته متمهلاً، فسألها:

«من أين جئتَ أيها الطائر الغريب؟»

«جئتُ من بيتِ الساحر العجيب».

«وكيف حالُ عروسي الشابة هناك؟»

«نظفتْ ورتبتْ وجلستْ تطلُ من الشباك».

رفـع الساحر رأسـه فرأى الجمجمة المزينة، فظن أنهـا عروسه، فحيّاها برأسه بـوِد. وعندما دخل بيتـه مع ضيوف العرس، حضر أخوة وأقـارب العروس الذين أرسلتهم الأختـان نجدةً، فأوصدوا جميع أبواب بيت الساحر، بحيث لا يستطيع أحـد الهروب منـه وأشعلوا فيها النار، فاحتـرق الساحر وجميـع زبانيّته جراء ما اقترفت أيديهم.

×××

Twitter: @ketab_n

(٤٧)

حكاية شجرة العرعر

فـي قديم الزمان، قبل نحـو ألفي عام، عاش رجل ثري مـع زوجته الجميلة والتقيّة. كانا يحبّان بعضهما جداً، لكنهما لم يرزقا بولد، رغم رغبتهما الشديدة في ذلك. وكانت الزوجة تصلّي وتبتهل ليل نهار، ولكن عبثاً كان كل ذلك.

ذات يـوم وقفت الزوجة في فنـاء دارهما تحت شجرة العرعر تُقشّر تفاحة، فجرحت إصبعها بالسكين وقطر الدم على الثلج. «أخ»، قالت الزوجة وتنهدت بحسـرة شديدة وهي تنظر إلى الدم وأردفت: «لو كان عندي طفل بحمرة الدم وبياض الثلج». وما إن قالت ذلك حتـى تحسّن مزاجها، إذ شعرت بأن أمنيتها ستتحقق.

عادت إلى الدار، وبعد مرور شهر ذاب الثلج، وبعد شهرين اخضرّت الدنيا، وبعـد ثلاثـة أزهرت، وبعد أربعـة اشرأبت أشجـار الغابة وتداخلـت أغصانها ببعضهـا. وهناك غرّدت العصافير، فردّدت الغابـة أصداءها وتساقطت الأزهار عن الأشجـار. بعد مضي الشهر الخامس وقفت الزوجـة مجدداً تحت شجرة العرعـر التي عبق شذاهـا في الهواء، فخفق قلبها بقوة مـن الفرح وركعت على ركبتيهـا من شدة سعادتهـا دون أن تتمالـك نفسها. وبمضي الشهـر السادس نضجتْ الثمار وركنت الزوجة إلى الصمت، وفي الشهر السابع اشتهت نفسها التـوت فأكلت منه حتـى الشبع، فحزنـت وتوعكت صحتهـا. انقضى الشهر الثامـن فنادت زوجها وقالت لـه وهي تذرف الدموع: «عندمـا أموت، ادفني تحت شجرة العرعر». شعرت بعد قولها ذلك بنوع من المواساة المبهجة، وفي

Twitter: @ketab_n

نهايـة الشهر التاسع أنجبت صبياً بحمرة الدم وبياض الثلج، وعندما رأته غمرها الفرح وماتت.

دفنها زوجها تحت شجرة العرعر، نزولاً عند رغبتها، وأخذ يبكيها بمرارة. بعـد مدة قصيرة تراجع بكاؤه عليها إلـى أن انحسر الحزن واستعاد الرجل شيئاً من حبوره.

وبعـد مضي بعضـ الوقت اتخذ لنفسـه زوجة جديدة أنجبت لـه فتاة جميلة، أختـاً لابنه من الأولى. وكانـت المرأة الجديدة كلما نظرت إلـى ابنتها تزداد حباً لها، لكنها كلما نظرت إلى الصبي الصغير ينفر قلبها منه، ويتراءى لها أنه يقف في طريقهـا حيثما اتجهـت. ثم صارت تفكر بكيفية أن تـرث ابنتها كل هذه الثروة، وكان هذا وسواسا من الشيطان. ومنذئذ نقمت على الصبي وصارت تدفعه حيثما صادفته من هذه الزاوية إلى تلك، فترفسه هنا وتلكمه هناك، فبات الصبي المسكين فـي حالة خوف دائمة، وحالما يغادر المدرسة عائداً إلى البيت يتملّكه القلق، فلا يهدأ لحظة واحدة.

ذات يـوم صعدت المرأة إلى حجرتها، فلحقت بها ابنتها الصغيرة وقالت لها: «مامـا، أعطنـي تفاحة»، فقالت لها أمهـا: «سأعطيك يا ابنتـي»، وناولتها تفاحة جميلـة من الصندوق الكبير المزود بغطاء ثقيل ذي حواف حديدية حادة. فقالت الصغيرة: «ماما، ألن تعطني تفاحة أخرى لأخي؟» انزعجت أمها من الأمر، لكنها حاولت ألاّ يبدو ذلك عليها وقالت: «نعم، عندما يعود من المدرسة». وعندما رأته من النافذة قادماً شعرت وكأن، الشيطان قد ركبها، فانتزعت التفاحة بسرعة من يد ابنتها قائلة: «ليس قبل أن يعود أخوك». ورمت التفاحة في الصندوق وأغلقته. ولما دخل الصبي من الباب خاطبته متظاهرة بالود: «أتريد تفاحة يا بني؟» لكن وجهها كان ينفـث شراً. فأجاب الصبي: «وجهك يرعبني يـا أمي. نعم، أعطني تفاحة». «تعال إذن!» ورفعت غطاء الصندوق قائلة: «خذ واحدة». وعندما انحنى الصبي على الصندوق، أوعز لها الشيطان بأن تفلت الغطاء من يديها، فانقطع رأس الصبي

Twitter: @ketab_n

وسقط فوق التفاحات الحمراء. وعندها أصابتها قشعريرة وفكرت: «كيف سأزيح الذنـب عني!» فنزلت إلى غرفة المعيشة وأخذت من درج الخزانة السفلي منديلاً أبيض، ثم ركّبت رأس الصبي على جسمه ثانية وربطت المنديل حول رقبته مخفية أثر الجرح، ثم أجلسته على كرسي ووضعت التفاحة في يده.

بعـد فترة وجيزة دخلت ابنتها إلى المطبخ حيث كانت أمها تحرك دون توقف فـي قدر ماء على الموقد. قالت لها الصغيرة: «ماما، أخي يجلس على كرسي وراء الباب ووجهه شاحب ويمسك بيده تفاحة. رجوته أن يعطيني التفاحة فلم يجبني، فخفت جداً». فقالت لها أمها: «عودي واطلبيها منه ثانية، فإنْ لم يجبك، اصفعيه كفاً». ذهبت الصغيرة وقالت له: «أعطني التفاحة يا أخي!» لكنه صمت، فصفعته على أذنه، فهوى رأسه على الأرض. ارتعبت الصغيرة رعباً هائلاً وأخذت تنتحب بشدة، ثم ركضت إلى أمها وقالت: «آه يا أمي، لقد قطعت رأس أخي»، واستمرت في البكاء والنحيب. فقالت أمها: «ما الذي فعلته يا ابنتي! ولكن اهدأي واصمتي كيـلا يلاحظ أحـد شيئاً. ما حدث قد حـدث ولا يمكننا تغييـره. سنطبخ الصغير بالخـل». ثم أخذت المـرأة الصبي الصغيـر وقطّعت أوصالـه ووضعتها في قدر وطهتـه بالخل، فيما وقفت الصغيرة إلى جانبها ودموعها الغزيرة تسيل في القدر، فلم تحتج الأم إلى إضافة الملح.

عندمـا عاد الأب إلـى داره جلس إلى مائدة الطعام وسـأل: «لا أرى ابني، أي هـو؟» فوضعت الأم على المائدة صحفةً كبيرة مملوءة باللحم مع ملفوفٍ بالخل، أمـا الابنة الصغيرة فإنها لم تتوقف عن البكاء، فكـرر الأب سؤاله: «لا أرى ابني، أين هو؟» فأجابته الأم: «آخ، لقد رحل إلى الريف، لعند عمه الكبير، وسيبقى هناك مدة طويلة». «وماذا سيفعل هناك؟ إنه حتى لم يودّعني قبل أن يذهـب». قال الأب مستغربـاً. فأجابت الأم: «كان راغباً جداً في الذهاب وطلب مني البقاء هناك مدة ستة أسابيع. لا تشغل بالك، سيرعونه هناك بشكل جيد». فقال الأب: «ما يحزنني هـو سلوكه. كان عليه أن يودعني قبل أن يذهـب». وبدأ يأكل، ثم التفت إلى ابنته وقال: «مارلين، لماذا تبكين؟ أخوك سيعود حتماً». والتفت إلى زوجته قائلاً: «ما

Twitter: @ketab_n

أطيب هذا الطعام يا امرأة، اسكبي لي المزيد منه!» وكلما أكل أكثر، طلب أكثر فأكثر، ثم قال: «لن أترك لكما شيئاً منه، أشعر وكأن هذا الطعام كله لي وحدي». وأخذ يأكل ويرمي العظام تحت الطاولة، إلى أن أتى على كل شيء.

أما مارلين الصغيرة فذهبت إلى خزانتها وأخذت من درجها السفلي أفضل منديل حريري وجمعت فيه جميع العظام من تحت الطاولة، ثم حملته إلى الفناء وهي تبكي بحرقة ووضعته بين الحشائش تحت شجرة العرعر، فأحست فجأة بنوع من الراحة، ولا سيما أن الشجرة أخذت تتحرك، فتتباعد أغصانها وتعاود الانطواء وكأنها تعبر عن فرحتها بما جاءها. ثم تصاعد من الشجرة ضباب وانتشر بين الضباب لهيب كالنار ثم حلق من قلب النار طائر جميل وابتعد في الجو، ثم عادت شجرة العرعر إلى ما كانت عليه، في حين اختفى المنديل الذي يضم العظام. ولكن مارلين كانت مسرورة وسعيدة وكأن أخاها ما زال حياً، فعادت إلى الدار وجلست إلى المائدة وأكلت.

أما الطائر فقد حلق مبتعداً وحط على سطح دار صائغ ذهبٍ وأخذ يغني:

«أمي هي التي ذبحتني،

وأبي هو الذي أكلني،

أما أختي الصغيرة مارلين،

فجمعت عظامي بحرص ولين،

صرّتها في منديلها الحرير،

ووارتها بين العشب الغزير،

تحت شجرة العرعر، بالمنديل.

Twitter: @ketab_n

آه، يا لي من طائر جميل!».

كان الصائغ جالساً في مشغله يضع اللمسات الأخيرة على سلسال ذهبي عندما سمع غناء الطائر الواقف على سطح داره، فأعجبه الغناء إلى حد كبير، ما دفعه للنهوض والخروج فوراً إلى الطريق. أثناء عبوره الدهليز بسرعة فقد إحدى فردتي حذائه، لكنه لم يهتم بها وتابع الخروج إلى منتصف الطريق العام بفردة حذاء واحدة، مرتدياً مئزره الجلدي، حاملاً السلسال الذهبي بيد، والكمّاشة باليد الأخرى. كانت أشعة الشمس شديدة الضياء فوقف الصائغ بوضع يُمكِّنه من رؤية الطائر بصورة جيدة، ثم ناداه قائلاً: «أيها الطائر، غناؤك في منتهى الجمال. أنشدني المقطوعة مرة أخرى». فأجابه الطائر: «لا، لن أغني ثانية مجاناً. أعطني السلسال الذهبي لأنشدك مرة أخرى». فقال له الصائغ: «خذ السلسال الذهبي وأنشدني مرة أخرى». نزل الطائر والتقط السلسال الذهبي بقدمه اليمنى وحط قرب الصائغ وغنى:

«أمي هي التي ذبحتني،

وأبي هو الذي أكلني،

أما أختي الصغيرة مارلين،

فجمعت عظامي بحرص ولين،

صرّتها في منديلها الحرير،

ووارتها بين العشب الغزير،

تحت شجرة العرعر، بالمنديل.

آه، يا لي من طائر جميل!».

Twitter: @ketab_n

ثم حلّق بعيداً وحطّ على سطح دار صانع الأحذية وغنّى أغنيته من جديد. سمعه الحذّاء فخرج إلى الشارع بقميصه فحسب، رفع رأسه نحو سطح داره مضطراً لوضع كفّه فوق عينيه كيلا تعميه أشعة الشمس وصاح: «أيّها الطائر، غناؤكَ في منتهى الجمال». ثم التفت نحو باب داره وصاح: «تعالي إلى الخارج يا زوجتي، هناك طائر يغني بصوت جميل»، ثم نادى ابنته وأبناءه وعماله والمتدربين عنده كلهم، فخرجوا إلى الشارع وشاهدوا الطائر الفريد في جماله: كان ريشه أحمر وأخضر وله حول عنقه طوق ذهبي، وكانت عيناه تبرقان في رأسه مثل النجوم في سماء داكنة. «أيها الطائر» صاح الحذّاء «أنشدني المقطوعة مرة أخرى!» فأجابه الطائر: «لا، لن أغني ثانية مجاناً. عليك أن تهديني شيئاً». فصاح الحذاء بامرأته: «ادخلي إلى الحانوت وستجدين على الرفّ العلوي حذاء أحمر، أحضريه لي!» فدخلت الزوجة وأحضرت الحذاء الأحمر، أخذه الحذّاء منها وصاح: «أيها الطائر، خذ! أنشدني الآن المقطوعة مرة أخرى!» فنزل الطائر والتقط الحذاء بيسراه وعاد إلى السطح وغنى:

«أمي هي التي ذبحتني،

وأبي هو الذي أكلني،

أما أختي الصغيرة مارلين،

فجمعت عظامي بحرصٍ ولين،

صرّتها في منديلها الحرير،

ووارتها بين العشب الغزير،

تحت شجرة العرعر، بالمنديل.

آه، يا لي من طائر جميل!».

Twitter: @ketab_n

عندما أنهى إنشاده طار وحلّق بعيداً، السلسال بيمناه والحذاء الأحمر بيسراه، حتى وصل إلى طاحون كانت تصدر منها أصوات: كليب كلاب، كليب كلاب، كليب كلاب، وكان في الطاحون عشرون عاملاً يطرقون حجر رحى، فتسمع لهم أصوات: هيك هاك، هيك هاك، هيك هاك لتمتزج مع أصوات الطاحون: كليب كلاب، كليب كلاب، كليب كلاب. وقف الطائر على شجرة زيزفون منتصبة أمام الطاحون وغنّى:

«أمي هي التي ذبحتني،

فتوقف واحد من العمال عن الطرق وأنصت،

وأبي هو الذي أكلني،

فتوقف اثنان آخران،

أما أختي الصغيرة مارلين،

فتوقف أربعة آخرون،

فجمعت عظامي بحرص ولين،

فلم يعد يطرق سوى ثلاثة عشر.

صرَّتها في منديلها الحرير،

لم يبق سوى سبعة.

ووارتها بين العشب الغزير،

لم يبق سوى خمسة.

تحت شجرة العرعر، بالمنديل.

Twitter: @ketab_n

لم يبق سوى واحد.

آه، يا لي من طائر جميل!»

فتوقف هذا الأخير عن الطرق، وكان قد سمع آخر الأغنية، فقال: «أيها الطائر، غناؤك في منتهى الجمال! دعني أسمعها كلها، أنشدني إياها مرة أخرى!» فأجابه الطائر: «لا، لن أغني ثانية مجاناً. أعطني حجر الرحى، عندها سأغني مرة ثانية». فقال العامل: «لو كان لي وحدي لأعطيتك إياه». فقال الآخرون: «إذا غنى ثانية، فليأخذه». فنزل الطائر إليهم وقد حشدوا قواهم بمساعدة العتلات الخشبية لرفع الحجر وهو يصوِّتون: «هو أو أُب، هو أو أُب، هو أو أُب!» ثم أدخل الطائر رأسه عبر ثقب حجر الرحى، وكأنه ياقة قميص وبوزنها، وطار عائداً إلى شجرة الزيزفون، وغنَّى أغنيته مرة ثانية. وما أن انتهى حتى فرد جناحيه وحلّق في الهواء، حجر الرحى في رقبته والسلسال في يمناه والحذاء في يسراه، واتجه نحو بيت أبيه، حيث كان والده وزوجته وأخته يجلسون إلى مائدة الطعام. قال الأب: «ينتابني فجأة شعور بالارتياح والحبور» وقالت الأم: «أما أنا فبالعكس، أشعر بالخوف وكأن عاصفة رعديّة قادمة». في حين بقيت مارلين الصغيرة جالسة تبكي. وصل الطائر، وعندما حط على سطح البيت قال الأب: «أشعر بقلبي فرحاً منطلقاً، والشمس في الخارج تشرق بجمال. يخيل إليّ أني سألتقي مجدداً بشخص أعرفه». وقالت زوجته: «أما أنا فإني أرتعد من الخوف وأسناني تصطك، وأشعر بنار تندلع في شراييني». ونزعت عنها المئزر. أما مارلين فجلست في زاوية الغرفة تبكي وتبكي حتى تبلل منديلها كله. حط الطائر على شجرة العرعر وأخذ يغني:

«أمي هي التي ذبحتني،

فسدّت الأم أذنيها وأغمضت عينيها بشدة، رافضة أن تسمع وترى، لكن الصوت اخترق أذنيها مثل صاعقة هوجاء وجعل عينيها تحرقانها وتلمعان كالبرق.

وأبي هو الذي أكلني،

Twitter: @ketab_n

فقال الأب: «آه يا زوجتي ما أجمل هذا الطائر الذي يغني بهذه العذوبة، الشمس تشع دفئاً والجو يعبق برائحة السوس».

أما أختي الصغيرة مارلين،

فوضعت مارلين رأسها على ركبتيها وأخذت تنتحب، في حين قال أبوها: «سأخرج إلى الفناء لأرى الطائر من قرب»، فرجته زوجته: «أرجوك لا تخرج، اشعر أن البيت يزلزل والنار تشتعل فيه»، لكن الأب كان قد خرج ورأى الطائر يتابع غناءه:

فجمعت عظامي بحرص ولين،

صرَّتها في منديلها الحرير،

وورايتها بين العشب الغزير،

تحت شجرة العرعر، بالمنديل.

آه، يا لي من طائر جميل!»

ومع الخاتمة أفلت الطائر السلسال الذهبي من يمينه فسقط وأحاط برقبة الأب كالطوق، وكأنه قد صيغ له خصيصاً. فدخل البيت مبتهجاً وقال: «ما أطيب هذا الطائر، لقد أهداني هذا السلسال الجميل. والطائر نفسه رائع الجمال». أما زوجته فقد ركبها الخوف فخرّت على ركبتيها في الغرفة وانزلق غطاء رأسها عن شعرها. فعاود الطائر الغناء:

«أمي هي التي ذبحتني،

فصاحت: «آه لو تنشق الأرض وتبتلعني كيلا أسمع هذه الكلمات».

وأبي هو الذي أكلني،

Twitter: @ketab_n

فهوت الزوجة على الأرض كالميتة.

أما أختي الصغيرة مارلين،

فقالت مارلين: «وأنا سأخرج أيضاً لأرى إنْ كان الطائر سيهديني شيئاً»، وخرجت.

فجمعت عظامي بحرص ولين،

صرَّتها في منديلها الحرير،

ورمى لها الطائر الحذاء الأحمر وتابع:

وواراتها بين العشب الغزير،

تحت شجرة العرعر، بالمنديل.

آه، يا لي من طائر جميل!»

سُرّت مارلين وابتهجت بالحذاء الأحمر، فلبسته ورقصت به وهتفت باتجاه البيت: «آه، كم كنت حزينة عندما خرجت، وكم أنا مبتهجة الآن. يا له من طائر رائع، لقد أهداني حذاءً أحمر». «لا، قالت الزوجة، وانتفضت واقفة وشعرها هائج كألسنة نار متأججة، «أشعر أن الدنيا ستتهاوى! أريد الخروج، فقد أشعر ببعض الارتياح». وما أن غادرت باب البيت إلى الفناء حتى أسقط الطائر حجر الرحى من رقبته ليهوي فوق رأسها، فهرسها هرساً. عندما سمع الأب والابنة الصوت، خرجا إلى الفناء، فرأيا دخاناً ولهيباً وناراً حيث كانا واقفين، ولما انطفأ كل شيء رأيا الابن الذي أمسك بيدي أبيه وأخته، فغمرتهم سعادة لا توصف ودخلوا البيت وجلسوا إلى مائدة الطعام وأكلوا.

×××

Twitter: @ketab_n

(٤٨)

الكلب العجوز سلطان

كان هنـاك فلّاح عنده كلب وفـيّ مخلص اسمه سلطان، لكنـه تقدم في العمر وفقد جميع أسنانه فلم يعد قادراً على الإمساك بشيء.

وذات يـوم كان الفـلاح واقفاً مع زوجته أمام باب الـدار يتحادثان، فقال لها: «غـداً سأطلق النار على سلطان العجوز، فهو لم يعد يفيد في شيء»، فقالت زوجته التـي أشفقت علـى الحيوان الوفي: «لقد خدمنا سنوات طويلـة بوفاء واحتمل أيام ضيقنا بصدق، فلماذا لا نحتمله ونطعمه لوجه الله؟» فأجابها الفلاح: «كفاكِ هذراً يـا امـرأة! لم يعد في فمه أي سن ولم يعد يخيـف اللصوص. لا بد من التخلص منه الآن. صحيح أنه قد خدمنا، لكننا كنا نطعمه جيداً أيضاً».

سمـع الكلـب المسكين كل ما قيـل، فقد كان متمدداً فـي الشمس الدافئة غير بعيد عنهما، فحزن لأن غداً سيكون آخر أيامه. كان لديه صديق مقرب هو الذئب، فتسلـل إليه في الغابـة مساء وشكا له مصيـره المنتظر. فقال له الذئـب: «اسمع يا صديقـي، سأساعـدك في تجـاوز محنتك، وقـد وضعت خطة لذلك. غـداً باكراً سيخـرج سيدك مع زوجته إلى الحقـل، وسيأخذان الطفل الصغير معهما لأن الدار ستكـون خالية ممن يعتنـي به، فيقومان بهذا أثناء العمـل وراء شجيرات السور في الظل. اقعد أنت إلى جانبه وكأنك تحرسه، ثم أخرج أنا من الغابة وأختطف الطفل، فتلاحقني أنت بهمة وكأنك تريد تخليصه مني. فأسقطه أنا على الأرض وتعيده أنت إلـى أبويه، فيعتقدان أنك أنقذته فيكونـان مدينين لك بالشكر الجزيل، فلا يفكّران أبداً بإيذائك، بل ستحصل على طعامك لوجه الله، ولن ينقصك شيء من بعد».

Twitter: @ketab_n

أعجبت الخطة الكلب، فنفّذاها بحزافيرها مثلما فكر الذئب بها. صرخ الأب عندما رأى الذئب يعبر الحقل حاملاً الطفل، ولكن عندما أعاده سلطان العجوز سالماً امتلأ فرحاً وربّت على الكلب وقال له: «لن يمسّ أحد شعرة منك بسوء وستحصل على طعامك طوال حياتك لوجه الله»، ثم التفت إلى زوجته وقال لها: «اذهبي إلى الدار فوراً وحضّري لسلطان العجوز عصيدة خبز بالحليب لتلائم فمه الأدْرَد، واحضري وسادة سرير. سأهديها له لينام عليها». ومنذئذ تحسنت أحوال سلطان العجوز بكل ما يشتهيه قلبه.

بعد مدة وجيزة زاره الذئب وكان مسروراً بنجاح الخطة ونتائجها، ثم قال: «ولكن عليك الآن يا صديقي أن تغضّ الطرف إذا سرقتُ خروفاً سميناً من سيّدك بين الحين والآخر، فالأحوال باتت صعبة هذه الأيام فلا نكاد ندبر أمورنا». فأجابه الكلب: «لا تعتمد على ذلك. سأبقى وفياً لسيدي، ولا يمكنني أن أسمح بذلك». ظن الذئب أن الكلب ليس جاداً في كلامه، فعاد في الليل متسللاً ليسرق خروفاً. لكن الفلاح الذي أخبره سلطان الوفي بنوايا الذئب، تربص له واستقبله بمضراب الدراسة استقبالاً معتبراً، اضطر الذئبَ إلى الهروب، لكنه صاح بالكلب قائلاً: «انتظر يا رفيق السوء، ستندم على ذلك».

في صباح اليوم التالي أرسل الذئبُ الخنزير البري ليستدعي الكلب إلى الغابة لتصفية الحساب. لم يجد سلطان العجوز عوناً له في ورطته سوى قطة بثلاث قوائم فقط. ولما انطلقا نحو الغابة معاً كانت المسكينة تعرج بثقل، ومن شدة الألم انتصب ذيلها عالياً. كان الذئب والخنزير ينتظران في المكان المحدد، لكنهما عندما رأيا العدو قادماً ظنّا أنه يحمل معه سيفاً، إذ خيّل إليهما أن ذيل القطة المنتصب سيف باتر. ولمّا كان يتحرك صعوداً وهبوطاً بسبب عرج مشية القطة على ثلاث قوائم، ظنّا أنه يجمع حجارة ليرميهما بها، فخافا كلاهما، واختبأ الخنزير البري بين الأعشاب، فيما تسلق الذئب شجرة. عندما وصل الكلب والقطة إلى مكان الموعد استغربا عدم وجود أحد. لم يتمكن الخنزير من الاختباء بصورة تامة، فبقيت أذناه ظاهرتين، وبينما كانت القطة تتلفت حولها

Twitter: @ketab_n

بيقظـة، حرك الخنزير أذنيه. ظنتهما القطة فـأراً، فقفزت عليه وعضته بقوة، فقفز الخنزيـر من مخبئه صارخاً وهـرب وهو يهتف: «المذنِب علـى الشجرة». نظر الكلب والقطة نحـو الأعلى فشاهدا الذئب الذي خجل من خوفه، وقبل أن يدعه الكلب يغادر بسلام.

xxx

Twitter: @ketab_n

(٤٩)

البجعات الست

ذات يوم كان هناك ملك يصطاد في غابة كبيرة ويطارد حيواناً برياً بسرعةٍ فائقة، فلم يستطع أحد من مرافقيه اللحاق به. وعندما اقترب المساء توقف عن المطاردة ونظر حوله فعرف أنه قد ضل الطريق. حاول البحث عن مخرج من الغابة، ولكن دون جدوى. ثم رأى عجوزاً تقترب منه ورأسها يتمايل في جميع الاتجاهات، وكانت ساحرة. خاطبها الملك قائلاً: «هل يمكن يا سيدتي أن ترشديني إلى طريق الخروج من الغابة؟» فأجابته: «طبعاً أيها الملك، يمكنني ذلك، ولكن ثمة شرط، إنْ لم تلبه فإنك لن تخرج من هذه الغابة أبداً، وستموت فيها جوعاً». «وما هو هذا الشرط؟» سألها الملك، فأجابته العجوز: «عندي ابنة جميلة، جمالها لا مثيل له في الدنيا، وتستحق أن تكون زوجتك. إذا وافقت سأدلك إلى طريق الخروج من الغابة». نتيجة خوفه الشديد وافق الملك، فقادته العجوز إلى كوخها الصغير، حيث جلست ابنتها قرب المدفأة واستقبلته وكأنها كانت تتوقع قدومه. رأى الملك أنها حقاً بارعة الجمال، ومع ذلك فإنها لم تعجبه، ولم يستطع النظر إلى وجهها من دون شعور خفي بالنفور. بعد أن أردف الملك الفتاة وراءه على الحصان دلّته العجوز إلى الطريق المؤدي إلى القصر الملكي، حيث أقيم حفل الزفاف.

سبق أن كان الملك متزوجاً، ولديه من زوجته الأولى سبعة أطفال، ستّة صبيان وفتاة، كان حبه لهم بلا حدود. ولأنه خشي أن تسيء زوجته الجديدة معاملتهم ويحتمل أن تؤذيهم، فقد نقلهم إلى قصر معزول يقع في منتصف غابة تخفيه عن

Twitter: @ketab_n

الأعين تماماً. ولم يكن من السهل العثور على الدرب المؤدي إليه، حتى أن الملك نفسه ما كان ليهتدي إليه، لولا أن أهدته امرأة حكيمة كبة خيطان ذات صفة عجيبة، ما أن يدحرجها أمامه حتى تكر من نفسها مرشدة إياه إلى الدرب.

وكان الملك كان يكثر من الذهاب إلى أطفاله الأحباء، الأمر الذي لفت أنظار الملكة إلى غيابه المتكرر، فثار فضولها وأرادت أن تعرف ماذا يفعل وحده في الغابة. رشت خدمه بمبلغ كبير من المال فكشفوا لها السر وحكوا لها أيضاً عن كبة الخيطان بصفتها الوسيلة الوحيدة لمعرفة الطريق. ومن ثم لم يهدأ لها بال حتى عرفت المكان الذي يخبئ فيه الملك كبة الخيطان، ثم خاطت قمصاناً بيضاء صغيرة من الحرير، أدخلت في نسيجها شيئاً من السحر، حسبما تعلمته من فنون أمها الساحرة. وعندما خرج الملك مرة للصيد، أخذت الملكة القمصان وتوغلت في الغابة متتبعة خيط الكبة. رأى الصبيان من بعد أحدهم قادماً، فظنوه أباهم الحبيب، وخرجوا مسرورين لملاقاته. فرمت الملكة على كل واحد منهم قميصاً صغيراً، ما إن لامس جسمه حتى تحول إلى بجعة، وطارت البجعات الست محلقة فوق الغابة.

عادت الملكة إلى قصرها مسرورة ظانة أنها قد تخلصت من أطفال زوجها، بيد أن الفتاة لم تركض مع الصبيان، والملكة لم تعرف عنها أي شيء. في اليوم التالي جاء الملك لزيارة أطفاله السبعة، لكنه لم يجد في قصر الغابة سوى الفتاة، فسألها: «أين أخوتك؟» فأجابته: «آه يا أبي الحبيب، لقد غادروا وتركوني وحدي»، وحكت له أنها رأت من نافذتها الصغيرة كيف طار أخوتها كبجعات فوق الغابة، وأرته الريشات التي سقطت منهم في فناء القصر عند تحليقهم، فجمعتها بعد ذلك. حزن الملك، ولكن لم يخطر بباله أن الملكة هي التي دبرت هذا الفعل الشرير. ولأنه خشي أن تؤخذ منه هذه الفتاة أيضاً، أراد أن يصطحبها معه. لكنها خافت من زوجته الملكة، فرجت أباها أن يؤجّل ذلك وأن تبقى هذه الليلة في قصر الغابة.

Twitter: @ketab_n

فكّرت الفتـاة المسكينة بينها وبين نفسها: «لن أبقى هنا، بل سأذهب لأبحث عـن أخوتي». ولما هبط الليل هربت ومشت في الغابة طوال الليل والنهار التالي، إلـى أن لم يعد بمقدورهـا المشي أكثر من ذلك، ورأت فـي الغابة كوخاً فلجأت إليـه. وجـدت داخله حجرة فيها سبعـة أسِّرة صغيرة، لكنها رغـم تعبها لم تجرؤ على النوم في أحدها، بل زحفت تحت واحد منها وتمددت على الأرض القاسية لتُمضي الليل. ولكن عند مغيب الشمس سمعت خفق أجنحة ورأت ست بجعات تدخلن مـن النافذة، تجلسن علـى الأرض وتنفخن الريش عـن أنفسهن وتخلعن جلـد البجع وكأنه قميص. وعندما دققت الفتـاة النظر فيهن تعرفت على أخوتها، ففرحت وخرجت من تحت السرير.

عندمـا رأى الصبيـان أختهـم أمامهم لم تكـن فرحتهم أقلّ مـن فرحتها، لكن فرحتهـم كانت قصيرة الأجل، إذ قالوا لهـا: «لا يمكنك المبيت في هذا الكوخ، فهـو مأوى لقطّاع الطـرق، وعندما يعـودون ويجدونك سيقتلونـكِ». فسألتهم أختهـم: «ألا يمكنكـم حمايتي منهـم؟» فأجابوها: «لا، فليـس أمامنا سوى ربع ساعـة فقط كل مساء نستعيد فيها هيئتنـا البشرية ثم نتحول ثانية إلى بجع». بكت الأخت وسألـت: «ألا يمكن فك السحر عنكم؟» فقالـوا: «للأسف لا، فشروط ذلـك عسيـرة جـداً. إذ لا يجوز لك طوال سـت سنوات أن تنطقـي بكلمة أو أن تضحكـي. وخلال هـذه المدة عليك خياطة سبعة قمصان لنـا من زهور النجوم. ولكـن إنْ نطقـت بكلمة واحـدة يضيع كل عملـك سُدى». مـا إن أنهى الأخوة كلامهـم حتى كانت ربع الساعة قد انقضت، فطاروا كبجع عبر النافذة. أما الفتاة فقد حسمت أمرها وقررت أن تفكّ السحر عن أخوتها، ولو كلفها ذلك حياتها.

غادرت الكوخ وتوجهت إلى عمق الغابة حيث تسلّقت شجرة وأمضت الليلة. وفي صباح اليوم التالي تجولت في الغابة وجمعت كمية من زهور النجوم وبدأت الخياطة. لم يكن بوسعها أن تكلّم أحداً، ولم يكن لديها رغبة في الضحك، لذلك جلست مركزة انتباهها طوال الوقت على عملها.

Twitter: @ketab_n

وبعد أن أمضت وقتاً طويلاً على هذه الحال، حدث ذات يوم، أن ملك بلد مجاور كان يصطاد في هذه الغابة مع بعض حاشيته، فوصل صيادوه إلى الشجرة التي تجلس فيها الفتاة، فسألوها: «من أنت؟» لكنها لم تجبهم، فقالوا لها: «انزلي إلينا، فنحن لن نؤذيك»، فهزت رأسها نفياً وحسب. وعندما ألحوا عليها بأسئلتهم وضايقوها، رمت لهم طوقها الذهبي، لعلهم يرضون ويذهبون. لكنهم استمروا في الإلحاح، فرمت لهم حزامها الفاخر، ثم حمالات الجوارب وكل ما يمكنها الاستغناء عنه، حتى لم يبق عليها سوى ثوبها. ومع ذلك لم يقنَع الصيادون، بل تسلقوا الشجرة وحملوا الفتاة فأنزلوها عن الشجرة وأخذوها إلى ملكهم. فسألها الملك: «من أنتِ وماذا تفعلين على الشجرة؟» لكنها لم تجبه. سألها بجميع اللغات التي يعرفها، وبقيت صامتة كسمكة. بيد أن جمالها البارع حرك شغاف قلبه فأحبها، وأحاطها بعباءته ورفعها أمامه على حصانه وذهب بها إلى قصره. أغدق عليها الملك من فاخر الثياب فتألّق جمالها مثل نهار مشرق، ولكن دون أن تنطق بكلمة واحدة. أجلسها إلى المائدة بجانبه وأعجب بسلوكها وتصرفاتها وأدبها إلى حد أن قرر: «هذه الفتاة ستكون زوجتي من دون نساء الأرض قاطبة». وبعد عدّة أيام عقد قرانه عليها.

ولكن كان للملك أم شريرة، لم ترضَ عن هذا الزواج، وأخذت تُسيء بكلامها إلى الملكة الشابة قائلة: «مَن يدري أصل وفصل هذه المتشردة التي لا تُحسن الكلام؟ إنها لا تليق بملك». بعد مرور سنة، عندما أنجبت الملكة الشابة طفلها الأول، أخذت أم الملك الطفل منها ليلاً ولطخت فمها بالدم، ثم ذهبت إلى ابنها الملك زاعمة إن زوجته من أكلة لحوم البشر. لم يصدق الملك زعم أمه ولم يسمح بإيذاء زوجته، التي استمرت في الجلوس وخياطة القمصان من دون أن تهتم بأي أمر آخر. في المرة الثانية، عندما أنجبت صبياً جميلاً لجأت الحماة إلى الحيلة القديمة نفسها، بيد أن الملك لم يستطع أن يحسم أمره ويصدق كلامها، بل قال: «إنها بالغة التقى والطيبة، ولا يُعقل أن تقدم على أمر كهذا. ولو لم تكن بكماء، لدافعت عن نفسها وأثبتت براءتها». وعندما كررت الحماة العجوز

Twitter: @ketab_n

فعلتهـا مرة ثالثة وكررت مزاعمها ضد الملكة التي لم تدافع عن نفسها بكلمة، لم يعـد بوسع الملك سوى تقديم زوجته إلـى المحكمة التي أدانتها وحكمت عليها بالموت حرقاً.

عندما جاء يوم تنفيذ الحكم بالملكة الشابة صادف أنه اليوم الأخير من السنوات الست التي بقيت خلالها من دون كلام ومن دون ضحك، فحررت أخوتها بذلك مـن لعنة السحـر. وفي الوقت نفسه كانت قد أنهت خياطـة القمصان الستة، عدا كـمّ أحدها. وعندما اقتيدت الملكة إلى المحرقة، حملت القمصان على ذراعها، وعندما وقفت هناك وقد أُشعلت النار حولها، رفعت نظرها إلى السماء فرأت ست بجعـات قادمة نحوها، فعرفت أن خلاصها قد اقترب وأخذ قلبها يخفق بشدة من الفـرح. حلقت البجعات فوقها ثـم حطت أمامها بحيث تمكنت الملكة من رمي قميصـ لكل واحدة منها، ما إن لامست أجسامها حتى استعادت البجعات الهيئة البشريـة، ومَثَل أخوتها أمامها أحيـاء بكامل حيويتهم ووسامتهم، بيد أن أصغرهم بقي له جناح بجعة بدل ذراعه الأيسر. فتعانقوا مع أختهم وقبّلوا بعضهم بعضاً.

اتجهت الملكة الشابة إلى زوجها الملك ونطقت فقالت: «يا زوجي الحبيب، الآن يحـق لي الكلام والتصريح لك ببراءتي من الاتهامات المغرضة»، وحكت له عـن مؤامرة حماتها التـي أخذت منها أطفالها الثلاثـة وأخفتهم. ولسعادة الملك الكبـرى أُحضـروا إليه، وحُكم على الحماة بالموت حرقاً فـي المكان نفسه. أما الملك والملكة وأبناؤهما وأخوتها فقد عاشوا بقية حياتهم في سعادة وسلام.

×××

Twitter: @ketab_n

(٥٠)

وردة الشوك

في قديم الزمان كان هناك ملك وملكة لا ينسيا كل يوم ترديد جملة: «آه، لو كان عندنا ولد!» وبقيا مدة من الزمن من دون ولد، إلى أن كانت الملكة ذات يومٍ في الحمّام، فقفز من الماء ضفدع إلى الأرض وخاطبها قائلاً: «أمنيتك سوف تتحقق، وقبل مضي سنة من الآن ستنجبين بنتاً». صدق الضفدع في قوله، وأنجبت الملكة بنتاً بارعة الجمال، ومن شدة الفرح لم يدرِ الملك ما يفعل فأقام حفلة كبيرة. لم يدع الملك إلى الحفلة الأقارب والأصدقاء والمعارف وحسب، بل النساء الحكيمات أيضاً كي يمنحن البنت السعادة ويشملنها بمحبتهن، وكان عددهن في مملكته ثلاث عشرة حكيمة. ولأنه لم يملِك في قصره سوى اثني عشر صحناً ذهبياً ليأكلن منها على المائدة، فقد أُهمِلت إحدى الحكيمات من الدعوة.

كانت الحفلة عامرة وفخمة بكل ما فيها. في ختامها قدّمت الحكيمات للبنت هداياهن السحرية: فأهدتها إحداهن الفضيلة والثانية الجمال والثالثة الثروة وهكذا من كل الخيرات التي يمكن للإنسان أن يتمناها. وعندما انتهت الحكيمة الحادية عشرة من لفظ كلمات هديتها دخلت القاعة فجأة الحكيمة الثالثة عشرة التي لم تُدع، عازمة على الانتقام لإهمالها. ومن دون أن تحيي أحداً أو تنظر في وجه أحد، رفعت صوتها عالياً وقالت: «عندما تبلغ الأميرة الخامسة عشرة من عمرها ستخزُ إصبعها بمغزل وتسقط ميتة». ومن دون كلمة أخرى دارت على عقبيها وغادرت القاعة. ارتاع الجميع وهلعوا، فتقدمت الحكيمة الثانية عشرة

Twitter: @ketab_n

التـي لم تنطق بهديتهـا بعد، فتركز الاهتمام عليها. ولأنهـا لا تستطيع إلغاء النبوءة الشريـرة، بـل أن تخففها فقط، قالـت: «لن تموت الأميرة بـل ستغرق في سبات عميق يدوم مئة سنة».

أراد الملـك أن يحمي ابنته الحبيبة من المصيبة المتوقعـة فأصدر أمراً بإحراق جميـع المغازل الموجودة فـي المملكة. وفي الوقت نفسه سـرى مفعول جميع الهدايـا الأخرى التي حَبَتْ بها الحكيمـات الأميرة، فترعرعت جميلة ومتواضعة وودودة وعاقلة بحيث أحبها الجميع.

بيد أن ما جرى هو أنها في يوم بلوغها الخامسة عشرة من عمرها كان الملك والملكـة غائبين عن القصر، فبقيت الفتاة وحدها تماماً. تجولت في أنحاء القصر ودخلت جميع الغرف والحجرات إلى أن وصلت إلى برج قديم، فصعدت الدرج الحلزوني الضيق حتى بلغت باباً صغيراً. رأت في قفل الباب مفتاحاً صدئاً، أدارته فانفتـح الباب ورأت في وسط حجرة صغيـرة امرأة عجوز، جالسة تحمل مغزلاً، وتغـزل بـه خيوط كتان بهمة وسرعـة، فقالت لها: «نهارك سعيـد يا جدتي، ماذا تفعليـن؟» فأجابتها العجوز: «أنا أغزل»، وهزت برأسهـا. فسألتها الأميرة: «وما هذا الشـيء الذي يفتل متقافزاً بهذا الشكل الغريـب؟» وأمسكت بالمغزل لتغزل مثـل العجوز. لكنها ما أن لمست المغزل حتى تحققت النبوءة السحرية فوخزت الأميـرة إصبعها. وفـي لحظة شعورها بالوخـزة سقطت متمددة علـى سرير إلى جانبها وغرقت في سبات عميق.

وامتـد هذا السبـات فشمل كل ما فـي القصر قاطبة: الملـك والملكة اللذان وصلا لتوهمـا فناما ما إن دخلا ردهة القصر، والحاشيـة معهما. كما نامت أيضاً الخيول في الاسطبل، والكلاب في الفناء، والحمام على السطوح، والذباب على الجدران، والنار في المواقد خمدت وتوقفت عن الطقطقة، والمقالي توقفت عن الطشيشـ، والطباخ الذي كان علـى وشك أن يصفع صبيه لخطـأ ارتكبه، بقيت ذراعه معلقة في الهواء ونام. كما سكنت الريح وتوقفت أوراق الشجر أمام القصر

Twitter: @ketab_n

عـن الحفيف. أما حول القصر فقد تشكل سياج شوكي أخذ ينمو بسرعة، ويزداد ارتفاعـاً سنة بعد أخـرى، إلى أن غلّف القصر كله من جميع الأطراف وحجبه عن الأنظار، بحيث لم يعد يُرى منه حتى الراية على السطح.

وفـي الوقت نفسه، ذاعت في أرجاء البـلاد، أسطورة (وردة الشوك) الجميلة النائمـة، فهكـذا سُمّيت الفتاة. ونتيجـة تأثير الأسطورة كان بعض الأمراء يأتون ويحاولـون الوصول إلى القصر باختراق السيـاج الشوكي، من دون أن ينجح أي منهـم في ذلك، فأشواك السياج كانت تتماسـك كالأيدي، فيبقى الأمراء الشباب عالقين بينها، من دون إمكانية للخلاص، فيموتون أشنع الميتات.

بعـد سنوات كثيـرة وطويلة مر بالبلد أميـر، وسمع رجلاً عجـوزاً يحكي عن السيـاج الشوكي والقصر المخبأ وراءه، وعـن وردة الشوك الحسناء النائمة هناك منـذ مئـة سنة، ومعها كل مَن في القصر وما فيه. وكان قـد سمع من جده أن كثيراً مـن الأمراء قد حاولوا اختـراق السياج الشوكـي، لكنهم بقوا عالقيـن في براثنه وماتوا بصورة محزنة. فقال الأمير: «أنا لست خائفاً. سأذهب لأرى وردة الشوك الجميلـة». حاول العجـوز الطيب أن يثنيه عن عزمه بكل الطـرق، لكن الأمير لم يصـغ لكلامـه. وفي الحقيقة كانـت السنوات المئة في ذلـك الحين قد انقضت، وجاء اليوم الذي ستستيقظ فيه وردة الشوك من سباتها.

وعندما اقترب الأمير مـن السياج الشوكي وجده مغطى بورود كبيرة جميلة، تباعـدت عن بعضها من نفسها وأفسحت له إمكانية العبور من دون أن يتأذى، ثم عـادت فتقاربت وراءه، كمـا ينبغي للسياج أن يكـون. رأى الأمير في فناء القصر الخيول وكلاب الصيد المبرقشة مستلقية نائمة، وعلى السطوح كان الحمام واقفاً ورؤوسـه تحـت أجنحته. وعندما دخل إلـى بناء القصر وجد الذبـاب نائماً على الجـدران والطباخ في المطبخ رافعاً ذراعه وكأنه سيصفع صبيه، والخادمة جالسة وكأنهـا تنتف ريش الدجاجة السوداء. تابـع الأمير طريقه إلى قاعة القصر الكبرى فـرأى حاشية البـلاط مستلقية ونائمة، والملـك والملكة قرب العرش مستلقين

Twitter: @ketab_n

نائمين. وحيثما توجه يشعر المرء بثقل السكون سائداً، بحيث يسمع صوت شهيقه وزفيره.

وأخيراً وصل الأمير إلى البرج القديم ففتح الباب ورأى وردة الشوك نائمة في الحجرة الصغيرة. كانت مستلقية بكل حسنها بحيث لا يستطيع المرء رفع نظره عنها، فانحنى فوقها وقبّلها. وما إن لامسها بالقبلة حتى فتحت وردة الشوك عينيها، استيقظت ونظرت نحوه نظرة ود كبير. فنزلا معاً الدرج الحلزوني، واستيقظ الملك والملكة والحاشية كلها وأخذوا يتبادلون النظر بعيون تملأها الدهشة. وفي الفناء استيقظت الخيول وأخذت تنفض عنها النوم مهتزة والكلاب تقفز وتهز ذيولها، والحمام على السطوح سحب رؤوسه من تحت أجنحته، وتلفت حوله وطار، كما تابع الذباب مشيه على الجدران، وعادت ألسنة اللهب فتعالت من المواقد وتابعت طهي الطعام وغلي الماء، وعاودت المقالي الطشيش. وأكمل الطباخ حركة ذراعه فصفع صبيه، فصرخ هذا متألماً، وأنهت الخادمة نتف ريش الدجاجة السوداء. وعندها أقيم عرس الأمير والأميرة بفخامة وأبهة وعاشا معاً في سعادة وهناء حتى نهاية أيامهما.

×××

Twitter: @ketab_n

(٥١)

طير اللَقطة

كان هنـاك خفيـر غاباتٍ خرج ذات يـوم إلى الصيد، وعندمـا دخل في الغابة قليـلاً، سمع بكاءً مثل بكاء طفل، فمشى متابعاً مصـدر الصوت إلى أن وصل إلى شجـرة باسقة، كان على أحد أغصانهـا العالية عشٌ فيه طفل صغير. وما جرى هو أن أمّـاً قد جلست عند الجذع حاملة رضيعهـا فماتت، ورأى طائر جارحٌ الطفل فـي حضنها فنزل والتقطه بمنقـاره وطار به إلى عشه علـى الشجرة. تسلق خفير الغابات الشجرة، ولقط الطفل بيده ونزل وهو يقول لنفسه: «ما هذا الطير اللَقطة! سآخذه إلى داري لأربّيه مـع ابنتي مارلين الصغيرة». وأخذه فعلاً إلى داره، حيث تربـى الطفلان معـاً، وأطلق على طفل العش اسم (طير اللَقْطـة). تعّلق طير اللقطة ومارليـن ببعضهما تعلّقاً شديداً إلى درجة التـلازم، فكان أحدهما يحزن إذا غاب الآخر عن عينيه.

كان عنـد خفيـر الغابات فـي داره طبّاخة شريـرة، حملـت ذات مساء دلوين ونقلـت بهما ماءً مـن البئر عدة مـرات متتالية. لاحظـت مارلين ذلـك فسألتها: «لمـاذا تحملين كل هذا الماء يا خالتي سـوزان؟» فأجابتها الطبّاخة: «إذ وعدتني بـألاّ تخبري أحداً فسأخبرك». وعدتها مارليـن بذلك، فقالت لها الطباخة: «غداً صباحـاً عندما يخرج أبوكِ إلى الصيد، سأرفع الماء على الموقد، وعندما يغلي في القدر، سأرمي فيه طير اللقطة وأطبخه».

في وقـت مبكر من صباح اليوم التالي ركب خفير الغابات حصانه وخرج إلى الصيد، فيما كان الطفلان ما يزلان في فراشيهما. فقالت مارلين لطير اللقطة: «إذا

Twitter: @ketab_n

لـم تتركني فلن أتركك». فقال لها: «من الآن وإلى الأبد»، فقالت له: «اسمع، لن أخبـر أحداً غيرك: مساء الأمس حملت سـوزان العجوز ماء كثيراً إلى الدار، ولما سألتهـا عن السبـب، قالت إنها ستخبرني إنْ وعدتُها بـألا أخبر أحداً، فقالت لي: (غداً صباحاً عندما يخرج أبوكِ إلى الصيد، سأرفع الماء على الموقد، وعندما يغلي في القدر، سأرمي فيه طير اللقطة وأطبخه). لكننا سننهض الآن بسرعة فنلبس ثيابنا ونهرب».

قفـز الطفلان من فراشيهما، لبسا ثيابهمـا وهربا بسرعة. وعندما غلى الماء في القـدر، دخلت الطباخة إلى غرفة النوم لتأخذ طير اللقطة وتسقطه في الماء. لكنها عندما اقتربت من السريرين لم تجد الطفلين، فأصيبت بخوف شديد وقالت: «ماذا سأقول لخفير الغابات عندما يعود إلى الدار ويرى أن الطفلين قد اختفيا؟ لا بد من اللحـاق بهما بسرعة وإعادتهما». وأرسلت فـي إثرهما ثلاثة خدم وطلبت منهما أن يسرعـوا ويمسكوا بهما. أما الطفلان فكانا جالسين عند طرف الغابة، وعندما رأيـا من بعدٍ الخدم الثلاثة قادمين، قالت مارليـن لطير اللقطة: «إذا لم تتركني فلن أتركك». فأجابها: «من الآن وإلى الأبد». وعندها قالت له: «كنْ أنتَ ساقاً أخضر لأكـون أنا وردة فوقه». عندما وصل الخدم الثلاثة إلى طرف الغابة لم يعثروا على شـيء سـوى وردة على ساق أخضر، فلـم يجدوا الطفلين في أي مـكان، فقالوا: «لا يوجـد أحد هنـا»، وعادوا إلى الدار وأخبروا الطبّاخـة بأنهم لم يروا أحداً في طـول المكان وعرضه سـوى ساق أخضر وعليه وردة، فوبختهـم الطباخة قائلة: «أيها الحمقى، كان يجب عليكم أن تقصوا الساق من منتصفه وأن تقطفوا الوردة وتجلبوها إلى الدار، هيا، نفذوا بسرعة ما أمرتكم به».

فكان عليهم أن ينطلقوا ثانية ليبحثوا عن الوردة وساقها. لكن الطفلين شاهداهم قادميـن، فقالـت مارلين: «يا طير اللقطـة، إذا لم تتركني فلن أتـركك». فأجابها: «مـن الآن وإلى الأبـد». فقالت له: «إذاً، كن أنت كنيسة لأكـون أنا وعاء القربان فيها». عندما وصل الخدم الثلاثة، لم يجدوا سوى كنيسة وفيها وعاء قربان، فقالوا لبعضهـم: «لا عمل لنا هنـا، فلنعد إلى الدار». وحال وصولهـم إلى الدار سألتهم

Twitter: @ketab_n

الطباخـة عما إذا كانوا قد وجـدوا شيئاً، فأجابوها بأنهم لم يجـدوا سوى كنيسة وفيها وعاء قربان. وثانية وبختهم الطاهية قائلة: «أيها المجانين، لماذا لم تحطموا الكنيسة وتجلبوا وعاء القربان إلى الدار؟».

وعندهـا قررت الطباخة أن تقوم بالمهمة بنفسهـا، فانطلقت مع الخدم الثلاثة وراء الطفليـن الذيـن رأوهم من بُعـد والطباخة متقلقلة وراءهـم بمشيتها. فقالت مارليـن: «يا طيـر اللقطة، إذا لم تتركنـي فلن أتركك»، فأجابهـا: «من الآن وإلى الأبد»، فقالت له: «إذاً كن أنت بركةً لأكون أنا بطة فيها». اقتربت الطباخة ورأت البركـة فاستلقت على ضفتهـا ووضعت فمها فـي الماء لتشطفه كلـه. فأسرعت نحوهـا البطة وأمسكتها من شعرهـا بمنقارها وسحبتها إلى داخل البركة، فغرقت الساحـرة الشريرة. وعندها عاد الطفلان معاً إلـى الدار والفرح يملأ قلبيهما، وإنْ لم يكونا قد ماتا حتى الآن، فلا يزالان سعيدين في حياتهما.

Twitter: @ketab_n

(٥٢)

الملك منقار

كان هنـاك ملك عنده ابنـة بديعة الحسن والجمال، لكنهـا متكبرة ومغرورة، لدرجـة أن لـم يعجبها أي خطيب من الكثيرين الذين تقدمـوا لطلب يدها. كانت ترفض الواحد تلو الآخر، وفوق ذلك، تسخر منهم بما لا يليق.

وذات يـوم أقـام الملك حفلـة ضخمة دعا إليهـا جميع الرجـال الراغبين في الـزواج، مـن المملكـة وخارجهـا. ورتّبهم في صـف طويل حسـب الحسب والنسـب والمكانة: الملوك أولاً فالدُوَقة فالأمـراء فالكونتات فالبارونات وأخيراً النبـلاء. مشت الأميرة على طـول الصف مستعرضة الرجـال، لكنها كانت دائماً تجـد ما تنتقده في كل واحد منهم: فهذا سميـن جداً «مثل برميل النبيذ»، والثاني طويل جداً «مثل شجرة حور في مهب الريح»، والثالث قصير وسمين «مثل الكرة العتيقـة»، والرابع شاحب جـداً «يذكّر بالموت»، والخامس مـورّد البشرة «مثل عُرف الديك»، والسادس مائل الظهر «مثل العود اليابس»، وهكذا دواليك.

لكنهـا، وبصورة خاصة، سخرت من ملكٍ طيـب كان يقف في أول الصف، ويتصف ببروز ذقنه قليلاً. فكان تعليقها عليه: «يا سلام، له ذقن مثل منقار السُمّن!» ومنذئـذ التصق به لقب (الملك منقار). ولكن عندمـا رأى والدها أنْ لاهمّ لابنته سوى السخرية من الرجال المجتمعين في قصره وازدرائهم، احتقن غضباً وأقسم بأنه سيزوّجها لأول متسول عابر سبيل.

بعـد الحفلـة ببضعـة أيام وقف عـازف تحت إحـدى نوافذ القصـر وعزف،

Twitter: @ketab_n

لعلهم يتصدقون عليه ببعض القروش. وعندما سمعه الملك أمر قائلاً: «أدخلوه إلـي!» دخل العازف بثيابه القذرة المهترئة وعزف أمام الملك والأميرة، وطلب عندما انتهى صدقةً متواضعة. فقال له الملك: «لقد أعجبني عزفك جداً، ولذلك سأعطيك ابنتي زوجة لك». ارتعبت الأميرة بشدة، لكن الملك تابع قائلاً: «لقد أقسمتُ بأن أزوّجك لأول متسول يقف ببابنا، وسأُنفّذ قسمي». ولم يثنه عن عزمه أي اعتراض. واستدعى الخوري الذي عقد زواجها فوراً على العازف المتسول. ولمّا تم ذلك قال الملك: «بصفتك الآن زوجة هذا المتسول، لا يليق بك أن تبقي في قصري، فاذهبي مع زوجك!» أمسك المتسول بيدها وقادها أمامه مغادراً القصر، ومشيا مدّة حتى وصلا إلى غابة كبيرة، فسألت الأميرة زوجها المتسول: «يا الله! لمن هذه الغابة الجميلة؟» فأجابها:

«إنها للملك منقار،

لو أنكِ تزوجتِه،

لكانتْ لكِ إكليلاً من غار».

فقالت متأسفة نادبة: «ليتني أنا العذراء الشقيّة،

قبِلتُ بالملك منقار،

ليتني لم أكن متكبرة غبيّة».

وصلا بعد الغابة إلى مرج فسيح، فسألته ثانية: «لمن هذا المرج الأخضر الجميل؟» فأجابها:

«إنه للملك منقار،

لو أنك تزوجتِه

Twitter: @ketab_n

لكان لكِ إكليلاً من غار».

فرددت متأسفة نادبة: «ليتني أنا العذراء الشقيّة،

قبِلتُ بالملك منقار،

ليتني لم أكن متكبرة غبيّة».

ثـم وصلا إلى مدينة كبيـرة وجميلة، عبراها أثناء طريقهمـا، فسألته: «مَن سيد هذه المدينة الكبيرة والجميلة؟» فأجابها:

«إنها للملك منقار،

لو أنك تزوجتِه

لكان لكِ كل هذا العمار!»

فعادت إلى التأسف والندب:

«ليتني أنا العذراء الشقيّة،

قبِلتُ بالملك منقار،

ليتني لم أكن متكبرة غبيّة،

لكنت سيدة هذا العمار».

فالتفت إليها العازف المتسول وقال لها: «لستُ مرتاحاً أبداً، لمديحك طوال الوقـت رجلاً آخر. ألا تجدينني زوجاً يليق بـكِ؟» وفي نهاية المطاف وصلا إلى بيت صغير جداً، فقالت الأميرة:

« يا إلهي ما أصغر هذا البيت !

Twitter: @ketab_n

أي بائس يعيش هنا يا ترى ؟! »

فأجابها العازف: «أنا البائس صاحب هذا البيت،

وفيه سنعيش معاً، يا امرأة!»

اضطرت الأميرة للانحناء كي تتمكن من الدخول عبر الباب الواطئ، وللتو سألت: «أين الخدم؟» فأجابها العازف المتسول: «أي خدم؟ هنا عليكِ أن تخدمي نفسك بنفسك. هيا، أوقدي ناراً وارفعي ماءً فوقها لتطبخي لي الطعام، أنا متعب جداً». لكن الأميرة لم تكن تعرف أي شيء عن إشعال النار والطبخ، فاضطر المتسول لمساعدتها بيديه حتى تدبرا الأمر نوعاً ما. وبعد أن أكلا لقمة فقيرة، أويا إلى السرير وناما، لكنه اضطرها إلى الاستيقاظ مع بداية الصباح لتدبير شؤون البيت.

أمضيا بضعة أيام على هذه الحال المرتبكة وهما يأكلان من المؤونة البائسة المتوفرة، ثم قال لها الرجل: «اسمعي يا امرأة، لا يجوز أن نستمر على هذه الحال، نأكل من الموجود، من دون أن نكسب رزقنا. عليكِ أن تصنعي سلالاً لأبيعها». وخرج فجمع بعض أغصان الصفصاف ووضعها أمامها، فبدأت الأميرة تضفر سلة. لكن أغصان الصفصاف القاسية جرحت يديها الناعمتين، فقال لها الرجل: «أرى أن الأمر صعب عليك. قد تُحسنين الغزل بصورة أفضل». فجلست وحاولت البدء بالغزل، لكن خيوط الكتان الغليظة جرحت أصابعها الناعمة فسال منها الدم. فقال الرجل: «أترين! إنك لا تصلحين لأي شغل، لقد خسرت بزواجي بك. سأحاول أنا الآن شراء صحون وآنية من الفخار لنبيعها ونعيش من ربحها. ستجلسين أنت في ساحة السوق وتبيعين البضاعة». ففكرت الأميرة: «يا إلهي، إذا رآني أحد من مملكة أبي جالسة في السوق أبيع البضاعة، كم سيسخر مني!» ولكن كان لا بد لها من الانصياع لأمر زوجها كيلا تموت جوعاً. وفي المرة الأولى سارت الأمور على خير ما يرام، فلأنها جميلة كان الزبائن يرغبون بالشراء منها وبدفع السعر الذي تطلبه، بل كان بعضهم يدفع لها السعر ويترك لها البضاعة

Twitter: @ketab_n

فوق ذلك. ومن هذا الكسب عاشا مدة وجيزة ودون عناء، ثم اشترى الزوج ثانية كمية جديدة من الصحون والأواني الفخارية. فاختارت الزوجة مكاناً عند طرف السوق وعرضت بضاعتها هناك للبيع. فجأة دخل السوق فارس مخمور مسرع، صدم بسطتها بطيش فتكسر كل ما عليها وصار حطاماً، فأخذت تبكي، ونتيجة الخوف ارتبكت ولم تدر ما تفعل قائلة: «يا ويلي من هذه المصيبة! ماذا سيقول زوجي؟» وهرعت إلى البيت وأخبرت زوجها بما حدث، فقال لها: «وهل هناك من يعرض فخاراً عند طرف السوق! كفاكِ بكاءً الآن. من الواضح أنك خائبة لا تصلحين لشيء. لحسن الحظ أني مررت بقصرنا الملكي أتسول، وسألت هناك، عما إذا كانوا يحتاجون إلى خادمة مطبخ، فوعدوني بأن يأخذوكِ. ستحصلين هناك على طعامكِ مجاناً».

صارت الأميرة الآن خادمة مطبخ، تساعد الطبّاخ في عمله وتقوم بأكثر الأعمال مشقة. ثبّتت في جيبي ردائها وعاءين تضع فيهما فضلات موائد القصر وتأخذها معها إلى البيت ليأكلا هي وزوجها منها.

وذات يوم أقيم في القصر حفل زفاف أكبر أبناء الملك، فدفع الفضول خادمة المطبخ إلى الصعود والوقوف عند باب القاعة لتشاهد الاحتفال. وعندما أضيئت الشموع والقناديل وأخذ الضيوف يدخلون بأزيائهم وزيناتهم الفاخرة الرائعة، أخذت تفكر في نفسها وبمصيرها التعِس، ولعنَت غرورها وتعاليها اللذين أوصلاها إلى قاع الفقر والبؤس. وكان الخدم عند دخولهم وخروجهم بصحافِ الطعام والحلويات الفاخرة التي تتصاعد روائحها اللذيذة إلى أنفها يرمون لها أحياناً أشياء كانت تجمعها في وعائي جيبيها لتأخذها إلى البيت.

وفجأة دخل ابن الملك لابساً الحرير والمخمل مُزداناً بسلاسل ذهبية حول رقبته، ولما رأى المرأة الجميلة واقفة عند الباب أمسك بيدها ليراقصها فرفضت فزعاً، إذ لم يكن القادمُ سوى الملك منقار الذي سبق أن تقدم لخطبتها، فرفضته بعجرفةٍ وسخرت منه. لكن تمنعُّها لم ينقذها، فقد سحبها إلى القاعة معه، فتمزق

Twitter: @ketab_n

رباط الوعائين على جنبيها واندلقت على الأرض محتويات الوعائين بكل ما فيهما من حساء ولقيمات مختلفة. وعندما شاهد المحتفلون ما جرى انفجر بينهم ضحك ساخر، فتمنت الخادمة من شدة خجلها لو تنشق الأرض وتبتلعها، فركضت خارجة من الباب تريد الهروب، ولكن على الدرج أمسك بها رجل وأعادها إلى القاعة، ولما رفعت عينيها إلى وجهه، عرفت فيه ثانية الملك منقار الذي خاطبها بودٍ قائلاً: «لا تجزعي يا امرأة، العازف الذي يسكن معك في البيت الصغير البائس وأنا شخص واحد: لقد تنكرتُ في تلك الهيئة حبّاً بك. والفارس الطائش الذي حطم أوانيك هو أنا أيضاً. كان ذلك من أجل كسر تكبّرك وعقاباً لك على عجرفتك التي دفعتك إلى السخرية مني».

بكت الأميرة بمرارة وقالت: «لقد ارتكبتُ خطأً كبيراً، ولا أستحق أن أكون زوجتك». لكنه أجابها: «هوّني عليكِ، لقد انقضت الأيام التعيسة، والآن سوف نحتفل بعرسنا حقاً». ودخلت الوصيفات فألبسنها أبهى الثياب وجاء والدها وحاشيته وتمنوا لها السعادة بزواجها من الملك منقار، وعندها فحسب بدأت البهجة الحقيقية. وآهٍ، لو كنا أنتَ وأنا معهم هناك.

×××

Twitter: @ketab_n

(٥٣)

بياض الثلج

ذات يوم من الأيام، وفي عز الشتاء، حين كان الثلج يندف مثل الريش المتساقط من السماء، كانت إحدى الملكات تجلس وراء نافذة ذات إطار من خشب الأبنوس الأسود وهي تخيط. وأثناء انهماكها في الخياطة رفعت نظرها نحو الثلج فوخزت إصبعها بالإبرة فسالت ثلاث قطرات على الثلج المتراكم على حافة النافذة. ولأن منظر اللون الأحمر فوق الأبيض كان جميلاً جداً خطرت ببالها فكرة، فقالت لنفسها: «آه، لو كان عندي بنت بيضاء كالثلج وحمراء كالدم وسوداء كالأبنوس». وبعد مدة غير طويلة أنجبت الملكة ابنة بيضاء البشرة كالثلج، حمراء الخدين كالدم وسوداء الشعر كخشب الأبنوس، فسميت لذلك (بياض الثلج)، وما إن ولدت الابنة حتى ماتت الأم.

بعد مرور سنة اتخذ الملك لنفسه زوجة جديدة، كانت امرأة جميلة حقاً، لكنها مغرورة بجمالها ومتعجرفة في سلوكها، ولا تحتمل أن يُوجد من هي أجمل منها وكانت تمتلك مرآة عجيبة، إذا وقفت أمامها ونظرت فيها إلى نفسها وسألت:

«مرآتي، يا مرآتي على الجدار،

من الأجمل في كل الديار؟»

تجيبها المرآة: «أنت الأجمل يا ملكتي في الديار».

فتقتنع وترضى، لعلمها بأن المرآة تقول الحقيقة.

Twitter: @ketab_n

أما (بياض الثلج) من جهة أخرى، فقد كانت تكبر وتزداد جملاً. وعندما بلغت السابعة من عمرها كان جمالها يضاهي نهاراً مشرقاً وصارت أجمل من الملكة نفسها. وذات مرة أرادت الملكة التأكد من وضعها فسألت مرآتها:

«مرآتي، يا مرآتي على الجدار،

من الأجمل في كل الديار؟»

فأجابتها المرآة: «كنتِ الأجمل يا ملكتي ذات مرّة،

لكن بياض الثلج صارت أجمل بألف مرّة».

جزعت الملكة واصفرّ لونها واخضرّ من الحسد. ومنذ تلك اللحظة انقلب سلوك الملكة تجاه (بياض الثلج) فصارت عدائية وتنهرها بقسوة كلما رأتها. ونما الحسد والتكبر في قلبها نمو الأعشاب الضارة، وصارا يزدادان نمواً من يوماً بعد يوم، حتى تملكها القلق ليلاً ونهاراً، بلا لحظة راحة. فطلبت صياداً من رجالها وأمرته: «خذ الطفلة إلى الغابة. لا أريد أن أراها أمام عيني بعد الآن. اقتلها واجلب لي كدليل كبدها ورئتيها».

أطاع الصياد أمرها وساق الفتاة إلى الغابة، وعندما استل خنجر الصيد ليطعن به قلب (بياض الثلج) البريء، أخذت الفتاة تبكي وقالت له: «أيها الصياد الطيب، لا تقتلني، سأتوغل في هذه الغابة البرية ولن أعود إلى القصر أبداً». ولأنها كانت بالغة الجمال، أشفق عليها الصياد وقال لها: «هيا، انطلقي إذاً، أيتها المسكينة»، وأردف يقول لنفسه: «فسرعان ما ستفترسك الوحوش»، ومع ذلك أحس وكأن حجراً ثقيلاً قد أزيح عن قلبه، لأنه لم يضطر إلى قتلها. وعندما مرَّ أمامه خنوص صغير يتقافز، اصطاده وطعنه وأخذ كبده ورئتيه للملكة كدليل على تنفيذ المهمة. قام طبّاخ القصر بطهو الدليل بالملح وقدمه للمرأة الشريرة التي التهمته، معتقدة أنها تأكل كبد (بياض الثلج) ورئتيها.

Twitter: @ketab_n

بقيت الفتاة المسكينة وحيدة تماماً في تلك الغابة الشاسعة، وشعرت بخوف شديد رأته جميع أوراق الأشجار بادياً عليها. وبما أنها لم تعرف كيف عليها أن تتصرف، فقد أخذت تمشي، تطأ أحجاراً مدببة وتعبر بين الأشواك، والحيوانات البرية تتجاوزها مهرولة من دون أن تمسّها بأذى.

بقيت تمشي بقدر ما احتملت قدماها المشي وحتى اقترب المساء، فرأت على مسافة منها داراً صغيرة فدخلتها لتستريح. وفي هذه الدار كان كل شيء صغيراً، ولكنه لطيف ونظيف بلا عيوب. رأت هناك طاولة صغيرة مغطاة بمفرش أبيض وعليها سبعةَ صحون صغيرة وأمام كل صحن ملعقةٌ وشوكة وسكيناً صغاراً وسبعةَ كؤوس صغيرة. وعند الجدار اصطفت سبعة أَسّرة صغيرة، عليها ملاءات ناصعة البياض. كانت (بياض الثلج) تشعر بجوع وعطش شديدين فأكلت من كل صحن صغير قليلاً من الخضار المطبوخة والخبز وشربت من كل قدح صغير قطرات من النبيذ، إذ أنها لم تبغِ أكل حصة أحدهم كلها. وبعد ذلك، ولأنها كانت مرهقة من المشي عبر الغابة، استلقت في أحد الأسرة، ولكن لم يلائمها أي منها، فإما أن يكون قصيراً جداً أو طويلاً جداً، إلى أن وجدت السابع ملائماً فبقيت فيه، وصلّت إلى ربّها ونامت.

عندما حلّ الظلام عاد أصحاب البيت الصغير، وإذا بهم الأقزام السبعة الذين ينقّبون في الجبال بحثاً عن المعادن الثمينة. أشعلوا قناديلهم السبعة الصغيرة فانتشر النور في البيت الصغير، فلاحظوا عندها أن ثمة من دخل دارهم، فالأشياء لم تكن كما تركوها صباحاً. قال الأول: «مَن جلس على كرسيي؟» وقال الثاني: «ومَن أكل من صحني؟» وقال الثالث: «ومَن أكل من خبزي؟» وقال الرابع: «ومَن أكل من خضاري؟» وقال الخامس: «ومَن استعمل شوكتي؟» وقال السادس: «ومَن قطع بسكيني؟» وقال السابع: «ومَن شرب من كأسي؟» ثم التفت الأول فرأى انخفاضاً في ملاءة سريره فسأل: «ومن داس على سريري؟» فأسرع الآخرون نحو أسرتهم وقالوا: «وهناك من نام في سريري أيضاً». أما سابعهم فقد رأى (بياض الثلج) في سريره مستلقية نائمة. نادى الآخرين الذين تحلقوا حول السرير

Twitter: @ketab_n

وهـم يصيحون دهشةً، ثم أحضروا قناديلهم وأضاؤوا (بياض الثلج) ثم قالوا دفعة واحـدة: «يا إلهي! يا إلهي! ما أجمل هذه الفتـاة!» وفرحوا جداً لأن أصواتهم لم توقظها، وتركوها تتابع نومها، أما السابع فأمضى الليل في أسرّة زملائه، ساعة مع كل منهم.

استيقظـت بياضـ الثلج صباحاً وارتعبـت لرؤية الأقزام السبعـة. لكنهم كانوا ودودين تجاهها وسألوها: «ما اسمكِ؟» فأجابت: «اسمي بياض الثلج». فتابعوا: «كيـف وصلـت إلى بيتنا؟» فحكت لهم أن زوجة أبيهـا قد خططت لقتلها، لكن الصيـاد منحها حياتها فمشت في الغابة طـوال النهار حتى وصلت إلى هذا البيت الصغيـر. فقال لها الأقزام: «إذا دبّرتِ شـؤون بيتنا من طبخ وغسيل وترتيب أسرة وحافظت على نظافة كل شيء، يمكنك البقاء عندنا، ولن ينقصك شيء». فأجابتهم (بياضـ الثلـج): «بكل سرور»، وبقيـت عندهم مشرفة على تدبيـر شؤون البيت ونظامـه. كان الأقزام السبعة يخرجـون إلى عملهم صباحـاً للبحث عن المعادن الثمينـة والذهـب، ويعـودون مساء، وعندها يجب أن يكـون الطعام جاهزاً. وبما أنهـا كانت تمضي النهـار وحدها، فقد حذرها الأقـزام الطيبون بقولهم: «خذي حذرك من زوجة أبيكِ، فسرعان ما ستعرف أنك موجودة هنا، فلا تسمحي لأحد بالدخول».

أمـا الملكة التـي ازدردت كبدَ ورئـة الخنوص، معتقدة بأنهـا قد خلصت من (بياضـ الثلـج) فاستعادت بذلك موقعهـا كأجمل امرأة، فقد وقفـت أمام مرآتها العجيبة وسألتها:

«مرآتي، يا مرآتي على الجدار،

من الأجمل في كل الديار؟»

فأجابتها المرآة: «كنتِ الأجمل يا ملكتي ذات مرّة.

Twitter: @ketab_n

لكن بياض الثلج وراء الجبال السبعة،

في بيت الأقزام السبعة،

ما زالت أجمل منك بألف مرّة».

جزعت الملكة مما سمعت، لعلمها بأن المرآة لا تكذب، وأدركت أن الصياد قد خدعها، وأن (بياض الثلج) ما زالت على قيد الحياة. وعندها فكرت وأمعنت التفكير بطريقة للقضاء عليها، فطالما أنها ليست الأجمل في الديار كلها، لن يهدأ لها بال من الحسد والغيرة.

وعندما توصلت أخيراً إلى خطة، طلت وجهها وتنكرت في ثياب بائعة جوالة بحيث لم يعد يعرف أحد حقيقتها. وبهذه الهيئة عبرت الملكة الجبال السبعة إلى بيت الأقزام السبعة. قرعت الباب وصاحت: «بضاعة جميلة للبيع، بضاعة جميلة للبيع». نظرت (بياض الثلج) من النافذة وصاحت: «نهارك سعيد أيتها المرأة الطيبة، ماذا تبيعين؟» «بضاعة فاخرة، بضاعة جميلة. أربطة جزمات بكل الألوان»، أجابت الملكة وأخرجت واحداً مضفوراً بخيطان حريرية ملونة. فقالت (بياض الثلج) لنفسها: «لا بأس بإدخال هذه المرأة الطيبة إلى الدار»، ورفعت مزلاج الباب واشترت الرباط الجميل. فقالت لها العجوز: «ما هذا المنظر يا ابنتي! دعيني أربطه لك بشكل صحيح». لم يخطر الشر ببال (بياض الثلج)، فوقفت أمامها وتركتها لتربط لها الرباط بطريقتها. لكن العجوز سرعان ما قيدتها بالرباط بشدة وعنف، بحيث غشي على (بياض الثلج) وهوت كالميتة. فقالت الملكة: «ها قد مضى جمالكِ». وأسرعت خارجة.

مساءً عاد الأقزام السبعة إلى البيت، وارتعبوا رعباً شديداً عندما رأوا (بياض الثلج) مرمية على الأرض، من دون أن تحرك ساكناً، وكأنها ميتة. فأنهضوها وقطعوا الرباط الذي كان يشد على جسمها بقوة. أخذت تتنفس ببطء واستعادت بالتدريج وعيها وحياتها. وعندما سمع الأقزام منها ما جرى، قالوا لها: «البائعة

Twitter: @ketab_n

الجوالة العجوز لم تكن سوى الملكة الزنديقة، فاحترسي ولا تدعي أحداً يدخل الدار في أثناء غيابنا».

أما الملكة الشريرة فحالما وصلت إلى القصر تقدمت من مرآتها وسألتها:

«مرآتي، يا مرآتي على الجدار،

من الأجمل في كل الديار؟»

فأجابتها المرآة كعادتها «كنتِ الأجمل يا ملكتي ذات مرّة.

لكن بياض الثلج وراء الجبال السبعة،

في بيت الأقزام السبعة،

ما زالت أجمل منك بألف مرّة».

عندما سمعت الملكة ذلك اندفع دمها كله نحو قلبها في حالة ذعر شديد، فقد تأكد لها أن (بياض الثلج) قد استعادت الحياة. فقالت لنفسها: «سأبتكر الآن وسيلة ستدمرك نهائياً»، وبمعرفتها بفنون السحر صنعت مشطاً ساماً. تنكرت من ثم في هيئة بائعة عجوز أخرى وانطلقت إلى هدفها عبر الجبال السبعة إلى بيت الأقزام السبعة. قرعت الباب وصاحت: «معنا بضائع جيدة للبيع! بضائع ممتازة للبيع!» نظرت (بياض الثلج) إليها عبر النافذة وقالت لها: «تابعي طريقك، فأنا لا يجوز لي أن أُدخل أحداً». «ولكن يجوز لك كما أظن أن تلقي نظرة على هذا»، قالت البائعة العجوز وأخرجت المشط السام ورفعته بيدها. أُعجبت الفتاة بالمشط الجميل إعجاباً شديداً أغواها بفتح الباب للعجوز التي قالت لها بعد أن اتفقتا على السعر: «أرغب في أن أسرحك بنفسي بهذا المشط تسريحة جميلة». لم يخطر أي سوء ببال الفتاة المسكينة، فسمحت للعجوز بذلك. ولكن ما أن لامس المشط الشعر الأسود حتى سرى مفعول السم فيه، فسقطت الفتاة مغشياً

Twitter: @ketab_n

عليها. فقالت الملكة الشريرة: «يا لك من كومة جمالٍ كان عظيماً وتلاشى الآن». وغادرت بسرعة. لحسن الحظ، كان الوقت يقارب المساء، وهو موعد عودة الأقزام السبعة إلى البيت. وعندما رأوا (بياض الثلج) على الأرض كالميتة، شكّوا فوراً بزوجة أبيها. فحصوها ووجدوا المشط السام، وما أن نزعوه من شعرها حتى استعادت الحياة تدريجياً وحكت لهم ما جرى. حذرها الأقزام مرة ثالثة بأن تحترس وبأن لا تفتح الباب لأحد.

وقفت الملكة في غرفتها أمام مرآتها وسألتها:

«مرآتي، يا مرآتي على الجدار،

من الأجمل في كل الديار؟»

وكالسابق أجابتها المرآة: «كنتِ الأجمل يا ملكتي ذات مرّة.

لكن بياض الثلج وراء الجبال السبعة،

في بيت الأقزام السبعة،

ما زالت أجمل منك بألف مرّة».

عندما سمعت الملكة كلام المرآة، ارتجفت حنقاً وغضباً وصرخت: «لا بد لبياض الثلج من أن تموت، ولو كلفني هذا حياتي». ثم اختفت في حجرة سرّية لا يعرفها أحد ولا يدخلها سواها، وحضّرت هناك تفاحة سامة قاتلة. كان للتفاحة منظر جميل جذاب، ذهبية بخد أحمر، وكل من يراها يشتهيها، لكن من يقضم منها قطعة صغيرة لا بد أن يلاقي حتفه. عندما انتهت من تحضير التفاحة دهنت الملكة وجهها وتنكرت في هيئة فلاحة وانطلقت عبر الجبال السبعة إلى بيت الأقزام السبعة وقرعت الباب. مدت (بياض الثلج) راسها من النافذة وقالت لها: «لا يجوز لي أن أُدخل أحداً، فلقد منعني الأقزام السبعة من ذلك». فأجابت

Twitter: @ketab_n

الفلاحة: «لا بأس عليكِ، سأجد زبوناً لتفاحاتي، ومع ذلك سأهديك هذه التفاحة، خذي!» «لا» قالت (بياض الثلج) «لا يجوز أن آخذ شيئاً من غريب». فسألتها الفلاحة: «ما بالك! أتخافين أن تكون مسمومة؟ انظري! سأقطعها نصفين. كلي أنتِ النصف الأحمر وسآكل أنا النصف الأصفر». لكن التفاحة كانت محضَّرة بطريقة سحرية بحيث كان النصف الأحمر فقط هو السّام. اشتهت (بياض الثلج) التفاحة شهوة عارمة، وعندما رأت الفلاحة تأكل من نصفها، مدت يدها من النافذة وأخذت النصف الأحمر السّام. لكنها ما أن قضمت قطعة منه ودخلت فمها حتى سقطت ميتة. نظرت إليها الملكة نظرات فظيعة وضحكت ضحكة مجلجلة وقالت: «بيضاء كالثلج، حمراء كالدم وسوداء كالأبنوس! هذه المرة لن يتمكن الأقزام السبعة من إحيائك مجدداً». وعندما وصلت إلى القصر وسألت مرآتها العجيبة:

«مرآتي، يا مرآتي على الجدار،

من الأجمل في كل الديار؟»

عندها أجابتها المرآة: «أنتِ يا ملكتي في كل الديار».

فسكن قلبها الحسود، بمقدار ما يمكن لقلبِ حسودٍ أن يسكن.

مساءً، عندما عاد الأقزام السبعة إلى بيتهم وجدوا (بياض الثلج) مرمية على الأرض، ميتة لا يخرج من فمها أي نفس يدل على حياة. فرفعوها وفتشوا عما يحتمل أن يكون السبب في موتها، فلم يجدوا شيئاً، ثم فكوا أربطة ثوبها وسرحوا شعرها وغسلوها بالماء والنبيذ، ولكن من دون جدوى، فقد كانت الفتاة الطيبة ميّتة وبقيت ميّتة.

فوضعوها على حمالة وجلسوا حولها يبكونها طوال ثلاثة أيام. وعندما فكروا بدفنها لاحظوا أنها ما زالت تبدو حية دون تبدل، وما زال خداها حمراوين

Twitter: @ketab_n

جميليـن. فقالـوا: «لا يمكننـا أن نـواري هذا الجمـال تحت التربـة السوداء»، وأوصـوا على تابوت مـن زجاج شفاف، يُـرى ما بداخله من جميـع الجوانب، وسجّوهـا فيه بثيابها النظيفـة وكتبوا عليه بحروف ذهبية اسمَهـا وأنها ابنة ملك. ثم حملوا التابوت إلى قمة الجبل وتناوبوا على حراسته يومياً. وكانت الحيوانات تأتـي وتبكي حزناً على (بياض الثلج) ثم جاءت البومة ومن بعدها الغراب وأخيراً الحمامـة. وبقيت (بياض الثلج) مـدة طويلة طويلة في التابوت الزجاجي من دون أن يتعفـن جسمهـا أو يتحلل، بل بـدت وكأنها نائمة، إذ استمـرت بيضاء البشرة كالثلج، حمراء الخدين كالدم وسوداء الشعر كالأبنوس.

وحدث ذات يوم أن ضلّ أميرٌ طريقه في الغابة، ووصل إلى بيت الأقزام السبعة، ليبيـت فيه ليـلاً، فرأى التابوت على قمة الجبل، وفيه (بياضـ الثلج) الجميلة وقرأ الكتابـة الذهبية عليه، فقال للأقـزام السبعة: «دعوا لي هـذا التابوت وسأعطيكم مقابلـه ما تشاؤون!» لكـن الأقزام أجابوه: «لن نتخلى عنه ولـو لقاء ذهبِ العالم كلـه». فقال: «إذن، اهدونـي إياه، فلن أتمكن من الاستمـرار في الحياة من دون أن أرى (بياضـ الثلج). سأحترمها وأبجّلهـا كأعز ما عندي». عندما سمع الأقزام الطيبون كلامه تعاطفوا معه ومنحوه التابوت.

فأمـر الأمير خدمه بأن يحملـوه على أكتافهم، ولكن حـدث أن تعثر أحدهم بغصـن على درب الغابة، ونتيجة الهزة العنيفـة التي تعرض لها التابوت، فإن لقمة التفـاح التي قضمتها (بياضـ الثلج) خرجت من حلقها. وبعـد قليل رفعت غطاء التابوت واعتدلت حيّة بكامل حيويتها وهتفت: «يا إلهي! أين أنا؟» فأجابها الأمير بفرح غامر: «أنت معي»، وحكى لها كل ما جرى، ثم قال: «أنتِ أحب إلى قلبي مـن أي إنسان في الدنيـا. تعالي معي إلى قصر والـدي، لتصبحين زوجتي». مال قلـب (بياض الثلج) إليه ووافقت على الذهاب معه، ثم أقيم حفل زفافها بكل أبهة وفخامة.

وكان من بين المدعوين إلى العرس أيضاً زوجة أبي (بياض الثلج)، تلك الزنديقة

Twitter: @ketab_n

الشريرة. وحين ارتدت أجمل ثيابها تقدّمت من المرآة وسألتها:

«مرآتي، يا مرآتي على الجدار،

من الأجمل في جميع الديار؟»

فأجابتها مرآتها: «كنتِ الأجمل يا ملكتي ذات مرَّة،

لكن بياض الثلج الشابة أجمل منكِ بألف مرّة».

فأطلقت الملكة الشريرة لعنة يائسة وانتابها هلع شديد، شلَّ قدرتها على اتخاذ قرار. ثم عزمت على عدم الذهاب إلى حفل الزفاف، فيما دفعتها الغيرة دفعاً لرؤية الملكة الشابة. وعندما دخلت قاعة الاحتفال تعرفتْ (بياضَ الثلج) فوراً، لكن الخوف والرعب لجماها في مكانها من دون حركة، بيد أن الخدم قدموا لها حذاءً معدنياً مسخناً على الحجر، قربوه إليها بالكمّاشات. وكان عليها أن ترتديه وترقص به إلى أن سقطت ميتة.

×××

Twitter: @ketab_n

(٥٤)

المحفظة والقبعة والبوق

كان هناك ذات يوم ثلاثة إخوة، أوصلهم الزمن إلى قاع الفقر، حتى جاعوا ولم يجدوا لديهم كسرة خبز ليسدوا بها رمقهم. فقالوا في ما بينهم: «لا يمكن أن يستمر الحال على هذا المنوال. يُفضل أن نخرج إلى الدنيا الواسعة لنبحث عن حظوظنا». جهزوا أنفسهم وانطلقوا، فعبروا حقولاً واجتازوا مروجاً واسعة، ومع ذلك فإنهم لم يلتقوا بحظنا.

وبعد أيام وصلوا إلى غابة هائلة ينتصب في وسطها جبل، وحين اقتربوا منه رأوا أنه كله من فضة. قال أكبرهم: «ها أنا قد عثرت على حظي المنشود، ولا أطلب أكثر من ذلك» وغرف من الفضة بقدر ما يستطيع أن يحمل، ودار على عقبيه عائداً إلى البيت. أما الأخَوان الباقيان فقالا: «نحن نتوقع من الحظ أكثر من الفضة بقليل»، ولم يمدّا أيديهما إلى الجبل، بل تابعا المسير.

وبعد بضعة أيام أخرى وصلا إلى جبل كّله ذهب، فتوقف الأخ الثاني وهو يفكّر متردداً: «ماذا عليَّ أن أفعل الآن؟ هل آخذ من الذهب بقدر ما استطيع، لأعيش بقية حياتي بهناء، أم أتابع طريقي؟» وأخيراً حسم أمره، ملأ جيوبه ذهباً، ودَّع أخاه الأصغر وعاد إلى البيت.

أما الأخ الثالث فقال لنفسه: «الفضة والذهب لا يغرياني. لا أريد التخلي عن حظي، فعسى أن أصادف ما هو أفضل»، وتابع طريقه. بعد ثلاثة أيام وصل إلى غابة أكبر من السابقة، ويبدو أن لا نهاية لها، وبما أنه لم يجد ما يأكله وما يشربه

Twitter: @ketab_n

فقد أوشك على الهلاك. تسلق شجرة باسقة، لعله يرى نهايةً للغابة، لكنه وفي جميع الاتجاهات لم يَر سوى ذرى الأشجار، فأراد الهبوط ثانية، لكن الجوع كاد يقتله، فقال لنفسه: «ليتني آكل الآن فأشبع، ولو مرة واحدة!» وعندما وصل إلى أسفل الشجرة رأى تحتها لدهشته مائدة ملأى بالأطعمة التي يتصاعد بخارها إلى أنفه، فقال: «هذه المرّة تحققت أمنيتي في الوقت المناسب». ومن دون أن يتساءل عمَّن أحضر الطعام وعمَّن طبخه وحضَّره، ذهب إلى المائدة وأكل بشهية حتى شبع. وحالما انتهى من الأكل خطرت بباله فكرة: «خسارة أن يتلف غطاء المائدة الأنيق في جو الغابة»، فطواه بشكل مرتب ووضعه في حقيبة ظهره وتابع طريقه حتى المساء حين جاع، فأراد أن يختبر غطاء المائدة، ففردَه وقال: «أتمنى ثانية أن تمتلئ بمأكولات طيبة»، وما كاد ينهي أمنيته حتى امتلأ الغطاء بصحاف كثيرة عارمة بأنواع شهية من الطعام، فقال: «الآن عرفت في أي مطبخ تُحضَّر لي هذه الأطعمة. إنك أيها الغطاء أعز عليَّ من الفضة والذهب»، فقد أدرك أنه غطاء سحري عجيب. ومع ذلك فإنه لم يكتفِ بهذا الغطاء وحده ليعود به إلى البيت ويستريح، بل فضَّل أن يتابع تجواله بحثاً عن حظه.

وذات مساء التقى في غابة منعزلة فحّاماً مغطى بهباب الفحم الأسود، كان يحوِّل الخشب إلى فحم ليبيعه، وقد رفع بعض حبات البطاطا على النار لطعامه، فحياه الأخ الثالث قائلاً: «مساؤك سعيد أيها الشحرور الأسود! كيف تسير أمورك في هذه المنطقة المنعزلة؟» فأجابه الفحام: «اليوم كالأمس وكالغد، وطعام العشاء بطاطا لا غير، أترغب في أن تشاركني وتكون ضيفي؟» «شكراً جزيلاً»، أجابه الشاب الجوال وأردف: «لا أريد أن أُنقص من وجبتك، فأنت لم تحسب حساب ضيف طارئ، ولكن إنْ قبلتَ أن تكون ضيفي، فإني أدعوك إلى العشاء». فقال الفحام: «ومَن سيهيئ لك الطعام؟ لا أراك تحمل معك شيئاً، وعلى مسافة ساعتين في محيط هذه الغابة لن تجد أحداً يمكن أن يقدم لك شيئاً». فقال الشاب الجوال: «ومع ذلك سنأكل وجبة لم تذق مثل طعمها في حياتك»، وأخرج غطاء المائدة من حقيبة ظهره وفرده على الأرض وقال: «أيها المفرش قدِّم الطعام!» فإذا بالغطاء

Twitter: @ketab_n

وقد امتلأ فوراً بالمشاوي والمقالي الساخنة وكأنها خارجة لتوها من المطبخ. توسعت عينا الفحّام دهشةً، لكنه لم ينتظر تكرار الدعوة، بل مدَّ يده وأخذ يكبِّر القطع التي يدفعها إلى فمه الأسود.

ولمّا أتيا على كل شيء، ابتسم الفحام ابتسامة رضا وقال للشاب: «اسمع، مفرشك هذا يستحق مني كل المديح، وهو يناسبني تماماً هنا في الغابة المنعزلة، حيث لا أجد من يطبخ لي لقمة طيبة. أقترح عليك عملية تبادل. أترى تلك المحفظة المعلقة هناك؟ إنها محفظة جندي، تبدو عتيقة وحقيرة، لكنها تملك قوى عجيبة. وبما أني ما عدت بحاجة إليها، فسأعطيك إياها بدل المفرش». فقال الشاب: «لا بد أن أعرف أولاً، ما هي هذه القوى العجيبة». فأجاب الفحام: «سأخبرك. إذا خبطت عليها بيدك، يخرج لك منها كل مرة رقيب مع ستة جنود مسلحين بالبنادق وحرابها، وينفّذون كل ما تأمرهم به». فقال الشاب: هذا يكفيني، فلنتبادل»، وأعطى الفحام المفرش وأخذ المحفظة عن الشجرة، علّقها على كتفه وودَّعه.

بعد أن مشى بعض الطريق أراد أن يختبر قوى المحفظة العجيبة، فخبط عليها، وللتو ظهر المحاربون الأشاوس أمامه، وخاطبه الرقيب قائلاً: «بماذا يأمر سيدي المطاع؟» فقال له الشاب: «امشوا بالخطوة السريعة إلى الفحام وطالبوه بمفرشي العجيب!» استداروا يساراً ومشوا، وبعد فترة وجيزة عادوا بالمفرش، وقد انتزعوه من الفحام من دون سؤال أو جواب. أمرهم الشاب بالانسحاب وتابع طريقه متأملاً بأن يمّن عليه الحظ بسخاء أكبر. ومع مغيب الشمس التقى بفحام آخر يحضّر وجبة عشائه على النار، فقال له الفحام: «إذا أحببت أن تكون ضيفي فأهلاً بك، الطعام بطاطا مع الملح من دون دهن ولحم». فأجاب الشاب: «لا، هذه المرة ستكون أنت ضيفي» وأخرج المفرش وأمره، وسرعان ماتنضدت المأكولات فوقه، فأكلا وشربا وسُرّا معاً.

وبعد الأكل قال الفحام: «هناك على الرف توجد قبعة عتيقة مهترئة، لكنها

Twitter: @ketab_n

ذات خواص فريدة، فإذا لبسها المرء على رأسه وأدارها، عندها تنطلق القذائف من اثني عشر مدفعاً في صف واحد، فتدمر كل شيء، ولا يستطيع مقاومتها أحد. أنا لا تفيدني القبعة في شيء، وأنا مستعد لإعطائك إياها مقابل مفرشك». فأجابه الشاب الجوال: «هذا كلام جميل» وتناول القبعة وترك له المفرش. لكنه ما إن قطع بعض الطريق حتى خبط على المحفظة، وكان على جنوده أن يستعيدوا له المفرش، فيما كان يفكر قائلاً: «الأمور تُكمل بعضها بعضاً، ويبدو لي أن حظي لم يكتمل بعد».

ولم تخدعه أفكاره، فبعد أن مشى يوماً آخر صادف فحاماً ثالثاً، دعاه كالآخرين إلى مشاركته في وجبة بطاطا من دون دسم. وكالمرتين السابقتين دعاه الشاب الجوال إلى وجبة المفرش العجيب، التي لاقت استحسان الفحام، فعرض عليه لقاء المفرش بوقاً تختلف خواصه عن القبعة، فإذا نفخ المرء فيه تتهاوى الأسوار وتسقط الحصون وتتحول حتى المدن والقرى إلى أنقاض. فأخذه الشاب وأعطى المفرش للفحام، ليستعيده بعد مدة وجيزة بمساعدة جماعته العسكرية. وبذلك اكتملت لديه مجموعة المحفظة والقبعة والبوق، فقال: «الآن صرت مُكمَّلاً، وحان وقت العودة إلى الديار لتفقد أحوال أخوتي».

حين وصل الأخ الأصغر إلى مسقط رأسه رأى أن أخويه قد بنيا داراً جميلة بالذهب والفضة وأنهما يعيشان في سعة ونعيم. دخل عليهما الدار، لكن منظره كان رثاً قميئاً بسترته المهترئة وقبعته البالية ومحفظته العتيقة، فرفضا أن يتعرفا فيه على أخيهما الأصغر، بل سخرا منه بقولهما: «تزعم أنك أخونا الذي ازدرى الفضة والذهب سعياً وراء حظٍّ أفضل. لو كُنتَ هو حقاً لجئتنا بأبهةِ وفخامةِ ملك، وليس مثل شحاذ»، وطرداه من دارهما.

غضب الأخ الأصغر حينها غضباً شديداً وخبط على المحفظة مرات متتالية حتى اصطف أمامه مئة وخمسون جندياً بكامل سلاحهم، فأمرهم بمحاصرة دار الأخوين، وأمر اثنين منهما بأن يأخذا معهما قضيبي بندق ليسلخا بهما جلد أخويه

Twitter: @ketab_n

حتـى يعرفا مكانته. تسببت العملية بتمرد واسع بين الناس الذين تراكضوا ليدعموا الأخوين في شدتهما، لكنهم لم يستطيعوا شيئاً في مواجهة الجنود.

وأخيـراً علم الملك بالأمر فتأفف وامتعض وأرسل نقيباً مع كتيبته لطرد مسببي الشغـب المزعجين من المدينة. بيد أن الأخ الأصغـر طالب محفظته بعدةٍ وعتادٍ أكبر، فتمكن من دحر النقيب وكتيبته، فانسحبوا بأنوف مدمّاة. فقال الملك: «لا بد من لجم جماح هذا الدخيل»، وأرسل قوة عكسرية أكبر للتغلب عليه، لكنها لم تحقق شيئاً، إذ حشد الأخ من محفظته جحفلاً لمواجهتها، وللإسراع في القضاء عليهـا أدار القبعة علـى رأسه بضع مرات فانطلقت بطاريـات المدفعية بالقصف، فانهزم عسكر الملك وتقهقروا خائبين.

فأعلن الأخ الأصغر قائلاً: «لن يحل السلام هنا حتى يزوجني الملك من ابنته، وأحكمُ أنا المملكة كلها باسمه». التفت الملك إلى ابنته وقال: «الإذعان مؤلم يا ابنتي، ولكن ما باليد من حيلة سوى قبول شرطه. من أجل إحلال السلام والحفاظ على التاج فوق رأسي، لا بد لي من التضحية بك».

عُقد القران وأُقيم حفل الزفاف، لكن الأميرة كانت بالغة الاستياء لكون زوجها رجـلاً عادياً، يلبـس قبعة رثة ويحمل محفظة بالية طـوال الوقت. وكان بودّها لو تتخلص منه. أخـذت تفكر نهاراً وليلاً بطريقة للخلاص، وفكرت: «هل تكمن قدراته العجيبة في المحفظة يا ترى؟»، فتقربت إليه وغازلته حتى لان قلبه، فقالت لـه تنويهاً: «لو أنك تتخلى عن حمـل هذه المحفظة البالية التي تسيء إلى مظهرك فأخجل بـك». فقال لها الشـاب: «اسمعي يا عزيزتي، هـذه المحفظة هي أغلى كنوزي، وما دامت معي فلا أخشى أي قوة في الدنيا» وأسّر لها بخواص المحفظة العجيبـة، فطوقتـه بذراعيها وكأنهـا تريد تقبيلـه، لكنها وبسرعة البـرق انتزعت المحفظة عن كتفه وهربت بها.

وما أن صـارت وحدها حتى خبطت عليها وأمرت المقاتلين باعتقال سيدهم السابق وطرده مـن القصر الملكي. أطاع المقاتلون أمرهـا، لكن الزوجة الخبيثة

Twitter: @ketab_n

أرسلت وراءه مزيداً من الرجال لمطاردته خارج المملكة كلها. ولو لم تكن القبعة على رأسه لضاع الرجل نهائياً، فما إن تحررت يداه حتى أدار القبعة بضع مرات، وللتو بدأ القصف المدفعي الهادر فقضى على الجميع، مما اضطر الأميرة للقدوم بنفسها وطلب المغفرة. ولأنها ألحّت وأصرّت ووعدت بتشذيب سلوكها تجاهه اقتنع ووافق على إعلان السلام.

تودّدت الأميرة إليه وتظاهرت بحبه وتدليله حتى كسبت ثقته وأسّر لها بأنه سيبقى منتصراً مهيمناً طالما أن القبعة الرثة على رأسه، حتى ولو كانت المحفظة البالية بحوزة شخص آخر. وحالما عرفت المرأة السر، انتظرت إلى أن غلبه النعاس فأخذت منه القبعة وأمرت بطرده. لكنه ما زال يمتلك البوق الصغير، ومن حنقه وغضبه نفخ فيه بكل طاقته، وللتو تصدع كل شيء وانهار، الأسوار والقلاع والمدن والقرى ودمرّت معها الملك وابنته. ولو لم يتوقف عن النفخ في صُورِه الصغير لما بقي حجر على حجر. وعندها خضع له الجميع فأعلن نفسه ملكاً على البلاد كلها.

×××

Twitter: @ketab_n

(٥٥)

زَمْبَخْرَج(ز)•

في قديم الزمان كان هنــاك طحّان فقير، عنده ابنة جميلة. وصادف ذات يــوم أن التقى بالملك وتحادثــا، ولكي يرفع الطحان مــن شأنه قال للملك: "عنــدي ابنــة لديها القدرة على غــزل القش فيصير ذهباً." فقــال له الملك: "هــذه القــدرة فن يعجبني، فإن كانت ابنتك ماهــرة حسبما تقول، أحضرها إلى قصري غداً، لأضعها على محــك التجربة." عندما أُحضرت الفتاة إليه، قادهــا إلى حجرة مملوءة بالقش، ووضع لها عجلة الغــزل وفَرَّازة الخيوط وقــال لهــا: "ابدأي بالعمل فوراً، فــإذا لم تنهِ غزل كل هــذا القش إلى ذهبٍ حتى فجر الغد، ستموتين." ثم أغلق باب الحجرة بنفسه، فبقيت في الداخل وحدها.

جلست ابنة الطحان المسكينة حائرة لا تدري مخرجاً لإنقاذ حياتها، وهي حقاً لا تعرف كيف يُغزل القش فيصير ذهباً. وأخذ خوفها يزداد ويزداد إلى أن انفجرت بالبكاء. وعند ذلك انفتح الباب ودخل الحجرة قزم قصير وخاطبها قائلاً: "مساء الخير آنستي، لماذا تبكين بهذه الشدة يا ابنة الطحان؟" فأجابته الفتــاة: "عليّ بهذا المغزل أن أحوِّل القش إلى ذهب، وأنا لا أعرف كيف." فقال القزم: "ماذا تعطيني إذا غزلته لك؟" فأجابته الفتاة: "أعطيك قلادتي." أخذ القزم القلادة منها وجلس وراء عجلة الغزل و... لف، لف، لف، اسحبه ثــلاث مرات، فامتلأت البكــرة. ثم وضع بكرة ثانيــة و... لف، لف، لف،

ز –زمبخرج: توليفة لفظية من الحرفين الأخيرين في كل من الكلمات: قزم، شبح، أعرج.

Twitter: @ketab_n

اسحبه ثلاث مرات، فامتلأت الثانية وهكذا دواليك عبر الليل وحتى الفجر، حين انتهى القش وامتلأت البكرات بخيطان الذهب، واختفى القزم.

عند الشروق دخل الملك الحجرة ورأى القش مغزولاً ذهباً، فامتلأ دهشة وفرحاً في الوقت نفسه، لكن نفسه طلبت المزيد من الذهب. لذلك أمر بنقل الفتاة إلى حجرة أكبر وفيها كمية من القش أكبر أيضاً وأمرها كالأمس بأن تغزل الموجود كله حتى الفجر إذا كانت حياتها عزيزة عليها. لم تدر الفتاة ما تفعل فأخذت تبكي مجدداً، فانفتح الباب ثانية ودخل القزم القصير وقال لها: "ماذا تعطيني إذا غزلته لك؟" فأجابته الفتاة: "أعطيك خاتم إصبعي." أخذ القزم الخاتم منها وبدأ كالأمس بالغزل على العجلة والبكرة عبر الليل حتى الفجر التالي حين كان القش كله قد تحول إلى ذهب لمّاع.

سُر الملك كثيراً بهذا المنظر، بيد أن جشعه إلى الذهب لم ينطفئ بعد، فأمر بنقل ابنة الطحان إلى حجرة ثالثة أكبر من السابقتين وقال لها: "عليك هذه الليلة أن تغزلي هذا كله. إذا أنجزت العمل ستصبحين زوجتي." وتابع بينه وبين نفسه: "ولو كنتِ ابنة طحان. ففي الدنيا كلها لن أجد أغنى من هذه المرأة." عندما بقيت الفتاة وحدها في الحجرة جاءها القزم الأعرج لثالث مرة وسألها: "ماذا تعطيني إذا غزلته لك؟" فأجابته الفتاة: "لم يعد معي شيء يمكنني تقديمه لك." فقال لها القزم: "عديني إذاً، عندما تصيرين ملكة أن تعطيني أول أطفالك!" ففكرت ابنة الطحان: "من يدري كيف ستسير الأمور!"، ولم تجد لنفسها في مأزقها مخرجاً سوى أن تعده بما طلب. ولقاء ذلك غزل القزم القش كله طوال الليل بحيث كان جاهزاً عند الفجر. وعندما جاء الملك صباحاً ووجد كل شيء كما تمنى، عقد قرانه عليها، فصارت ابنة الطحان الحسناء ملكة.

في السنة التالية أنجبت الملكة طفلاً جميلاً، ولم يخطر القزم في بالها على الإطلاق. لكنه ظهر فجأة في حجرتها في القصر وطالبها بقوله: "أعطني الآن ما وعدتني به». ارتعبت الملكة وجزعت وعرضت على القزم جميع كنوز المملكة

Twitter: @ketab_n

علـى أن يتـرك لها طفلها. لكنه قـال: «لا، فما هو حيٌّ أحب إلـيَّ من كنوز العالـم كلـه». فأخـذت الملكة تشكو بحسـرة وتنتحب، فأشفق القـزم عليها وقال لها: «سأمهلك ثلاثة أيام، إذ عرفتِ بعدها ما هو اسمي، يمكنك الاحتفاظ بطفلك».

أمضـت الملكـة الليل كله وهي تحـاول تذكـر كل الأسماء التي سبـق لها أن سمعتها، وأرسلت أحـد رجالها إلى الريف ليسأل ويستفسر هنا وهناك عن أسماء أخـرى. عندما عاد القزم في اليوم الأول مـن المهلة، بدأت الملكة تذكر له أسماء مثل: كاسبـر، مِلشيور، بلتازار، وكل الأسماء التي تعرفها بالتتالي. لكن القزم عند كل اسم منها كان يقول: «هذا ليس اسمي».

وفي اليوم الثاني أرسلت الملكة من يسأل في الجوار عن الأسماء المتداولة بين الناس هناك، وذكرت للقزم أغـرب الأسماء وأكثرها ندرة مثل: «هل اسمك ربما وحش الفـلاة أو فخذ الفيل أو ذو الخطوة؟» لكنـه كان دائماً يجيب: «هذا ليس اسمي». في اليوم الثالث عاد رسولها وحكى لها: «لم أجد أي اسم جديد، ولكن في أثنـاء عودتي، على جانب الجبل العالي من طـرف الغابة، حيث يقول الثعلب للأرنب (تصبح على خير)، رأيت بيتاً صغيراً، وأمام البيت كانت هناك نار موقدة، وكان يتقافز حولها على رجلٍ واحدة قزم عجيب مضحك وهو يصيح:

«اليوم أخبز، وغداً أعصر الشعير،

وبعد غد أحضر من الملكة الأمير،

ما أروع أن لا يعرف أُنسي،

أن زمبحرج هو حقاً اسمي!»

يمكنكم أن تتخيلوا الآن مدى سعادة الملكة بسماعها هذا الاسم.

وبعـد ساعات وجيزة عندما دخل عليها القـزم حجرتها وسألها: «والآن أيتها

Twitter: @ketab_n

الملكـة، ما هو اسمي؟» سألته أولاً: «هل اسمـك كونتْش؟»، «لا». «هل اسمك هاينتس؟» «لا، هـذا ليس اسمـي». فقالت الملكـة: «إذن ربما يكـون اسمك زمبحـرج؟» فصـاح القزم بغضـب: «الشيطان أخبـرك بذلك، الشيطـان أخبرك بذلـك». وخبـط الأرض بقدمـه اليمنى فاخترقتهـا حتى جذعه ثـم أمسك قدمه اليسرى بكلتي يديه بغضب بالغ وشقّ نفسه نصفين.

×××

Twitter: @ketab_n

(٥٦)

رولاند الحبيب

في قديم الزمان عاشت امرأة كانت ساحرة بكل معنى الكلمة. وكان عندها ابنتان، الأولى قبيحة وشريرة تحظى بحبها لأنها من رحمها، والثانية جميلة وطيبة، لكنها تكرهها لأنها ابنة زوجها.

وذات مرة كان عند ابنة الزوج مئزرٌ جميل أُعجبت به الأخرى جداً لدرجة الحسد، وطالبت أمها بأن تأخذه منها وتعطيه لها. قالت لها أمها: «اهدئي يا ابنتي، سيكون المئزر لك. أختك تستحق الموت منذ مدة طويلة، وقد آن الأوان. الليلة عندما تنام سآتي وأقطع رأسها. ولذلك عليكِ أنتِ أن تنامي في السرير من جهة الجدار وأن تدفعيها إلى جهة حافته». وكانت الفتاة المسكينة ستضيع لو لم تكن في تلك اللحظة واقفة عند طرف الباب وسمعت كل شيء. لم تسمح لها زوجة أبيها أن تغادر البيت طوال النهار. وعندما حان موعد النوم أرادت كعادتها أن تدخل السرير أولاً لتنام من جهة الجدار، لكن أختها سبقتها. وحين غرقت الأخت في نومها دفعتها المسكينة بكل هدوء نحو الحافة وأخذت مكانها عند الجدار. أثناء الليل جاءت الساحرة العجوز متسللة تحمل بلطة بيمناها، وتحسست بيسراها الجسم النائم عند الحافة، ثم رفعت البلطة بكلتي يديها وهوت بها فقطعت رأس ابنتها.

بعد خروج الساحرة نهضت الفتاة من السرير وخرجت إلى بيت حبيبها رولاند المجاور وقرعت الباب. ولمّا خرج قالت له: «اسمع يا عزيزي رولاند، يجب أن نهرب بسرعة، فقد أرادت زوجة أبي قتلي، لكنها أصابت ابنتها. فإذا

Twitter: @ketab_n

جاء النهـار ورأت فعلتها فسنضيع حتماً». فقال لها رولاند: «أنصحك أولاً بأخذ العصا السحرية منها، وإلا فإننا لن نتمكن من النجاة عندما تطاردنا». أخذت الفتاة العصـا السحرية ثم حملت الرأس المقطوع وجعلتـه ينقط ثلاث قطرات دم على الأرض: الأولـى عند السرير والثانيـة في المطبخ والثالثة علـى الدرج. بعد ذلك هربت الفتاة مع حبيبها رولاند.

فـي صباح اليوم التالي عندما استيقظت الساحرة الشمطاء نادت ابنتها لتعطيها المئـزر، لكـن الابنة لم تجب نداءهـا، فهتفت: «أين أنـت؟» فأجابتها قطرة الدم الثالثـة: «أنا هنـا أنظف الدرج». خرجت الأم من حجرتهـا، لكنها لم تجد أحداً على الدرج، فهتفت ثانية: «أين أنت؟» فأجابتها القطرة الثانية: «أنا هنا في المطبخ أتدفّأ». ذهبت الأم إلى المطبخ، لكنها هناك أيضاً لم تجد أحداً، فهتفت مرة ثالثة: «أيـن أنـت؟» فأجابت القطرة الأولـى: «أنا هنا في السريـر، نائمة». دخلت الأم حجـرة النوم واقتربت من السرير لتـرى ابنتها تسبح في دمائها، ابنتها التي قطعت رأسها بيديها.

جُنّت الساحرة وثارت ثائرتها فقفزت نحو النافذة، وبما أنها قادرة على الرؤية إلى البعيد البعيد، فقد رأت ابنةَ زوجها تسرع هاربة مع حبيبها رولاند، فصاحت: «هذا لن يفيدكما شيئاً، لن تهربا مني ولو كنتما في آخر الدنيا». لبست جزمتها التي تقطـع بكل خطوةٍ مسيرَ ساعة، فلم يمضِ وقـت طويل حتى لحقت بهما. ولكن حينمـا رأت الفتاةُ الساحـرةَ تتقدم نحوهما لجأت إلى العصـا السحرية وحوَّلت بهـا حبيبهـا رولاند إلى بحيرة وحوَّلت نفسها إلى بطـة تسبح في وسطها. عندها جلسـت الساحرة علـى الضفة وأخذت ترمـي فُتات خبز في المـاء باذلة جهدها لاستدراج البطة إليها. لكن البطة لم تخضع للإغراء، فاضطرت الساحرة مساء إلى العودة خالية الوفاض.

بعد ذلـك استعادت الفتاة وحبيبها رولاند هيئتيهمـا الطبيعيتين وتابعا المسير طوال الليل حتى طلوع النهار حين حوّلت الفتاة نفسها إلى وردة جميلة في وسط

Twitter: @ketab_n

مجموعة مـن الشجيرات الشوكية وحوّلت حبيبها رولاند إلى عازف كمان. بعد مدة وجيزة وصلت الساحرة الشمطاء وخاطبت العازف قائلة:

«أتسمـح لي بأن أقطف هـذه الوردة الجميلة أيها العـازف؟» فأجابها: «طبعاً طبعـاً، وسأعزف لك أثناء ذلك». عندما اندفعت الساحرة بسرعة بين الشجيرات الشوكيـة لقطف الوردة، لأنها تعرف من تكونُ الوردة، بـدأ العازف يعزف لحناً أغواها بالرقص، شاءت أم أبت، فقد كان لحناً راقصاً سحرياً، لم تستطع مقاومته. وكلمـا تسارع إيقـاع اللحن كلمـا هاجت خطـوات رقص الساحـرة، فمزقت الأشواكُ ثيابها عن جسدها ووخزتها وجرحتها حتى سال دمها وبما أنه لم يتوقف عن العزف فقد استمرت في رقصتُها المجنونة حتى سقطت ميتة.

حينمـا زال السحرُ عن الفتـاة وحبيبها قال لها: «سأعودُ الآن إلى أبي كي يهيئ أمور عرسنـا». فقالت الفتاة: «وحتى عودتك سأنتظـرك هنا. وكيلا يتعرف أحدٌ علـيّ سأحوّل نفسي إلى حجر أحمـر على جانب الحقل». غادر رولاند إلى داره وبقيـت الفتاة بهيئتها كحجر أحمر تنتظر حبيبها فـي الحقل. ولكن عندما وصل رولاند إلى داره سحرته فتاة أخرى وجعلته ينسى حبيبته التي انتظرته طويلاً. ولمّا لـم يعدْ حوَّلت المسكينة نفسها إلى وردة وقالت لنفسها: «لا بد وأن يمر أحدٌ ما ويدوسني فأنتهي».

لكـن ما جرى هـو أن راعياً شاباً كان يرعى خرافه فـي الحقل، قد رأى الوردة ولفـت جمالُها نظره، فقطفهـا وأخذها معه إلى بيته ووضعهـا في صندوق ثيابه. ومنذ ذلك الحين صارت شؤون بيت الراعي تجري بصورة عجيبة. فعندما يستيقظ صباحاً يجد كل شيء في البيت مرتباً ونظيفاً: الأرض مكنوسة، الطاولة والمقاعد ممسوحـة، النار في الموقد مشتعلـة والماء يغلي فوق الموقـد، وعندما يعود إلى البيت ظهـراً يجد الطاولة ممدودة والطعام جاهزاً. لـم يفهم كيف تجري الأمور بهذه الطريقة، لأنه لم ير أحداً في بيته على الإطلاق، ثم إنه يستحيل أن يختبئ أحد فـي هذا البيت الصغير. لا شك في أنـه كان مرتاحاً لهذه الخدمة الرائعة، لكنه بدأ

Twitter: @ketab_n

يخاف، ما دفعه لزيارة امرأة حكيمة طلباً للنصح. فقالت له المرأة الحكيمة: «ثمة سحرٌ في الأمر، عليك بالاستيقاظ مبكراً والانتباه إلى ما قد يتحرك في بيتك. فإذا رأيت شيئاً، مهما يكن، إرمِ عليه منديلاً أبيض، وعندها يُرفع مفعول السحر».

نفّذ الراعي ما نصحته به الحكيمة العجوز، ففي صباح اليوم التالي استيقظ مبكراً، فرأى صندوق ثيابه ينفتح وتخرج منه الوردة، فأسرع ورمى عليها منديلاً أبيض، وللتو انتهى مفعول التحوّل وظهرت أمامه فتاة جميلة أخبرته أنها كانت الوردة وأنها قد رعتْ شؤون بيته، وحكت له قصتها. ولأنه أُعجب بها عرض عليها الزواج، فأجابته: «لا،» فهي تريد حبيبها رولاند، رغم أنه تخلّى عنها، لكنها ستبقى وفيّة له. ووعدت الراعي بأنها لن تتركه، بل ستستمر في رعاية شؤون بيته.

وحتى ذلك الحين كان قد أزف موعد زفاف رولاند إلى الفتاة الأخرى التي سحرته. وحسب التقاليد القديمة المعمول بها دُعيت إلى العرس جميع فتيات المنطقة للاحتفاء بالعروسين بالغناء لهما. عندما سمعت الفتاة المسكينة بالأمر حزنت حزناً شديداً تفطّر له قلبها وعزفت عن تلبية الدعوة، لكن الفتيات الأخريات جئن مصرّات على أخذها معهن. وحينما جاء دورها للغناء تراجعت إلى الوراء، إلى أن لم يبقَ سواها، ولم يعد أمامها مخرج آخر. وعندما وصل صوتها إلى أذني رولاند قفز ناهضاً وصاح: «أنا أعرف هذا الصوت. إنها العروس الحقيقية، ولا أريد سواها». وتذكر كل ما كان قد مُحي من ذاكرته واستيقظ قلبه مجدداً، فزُفّت الفتاة المخلصة إلى حبيبها رولاند، وانتهت أحزانها وبدأت سعادتها.

×××

Twitter: @ketab_n

(٥٧)

الطائر الذهبي

في قديم الزمان كان هناك ملكٌ عنده حديقةٌ جميلة وراء قصره، توجد فيها شجرةٌ تحمل تفاحاً ذهبياً. عندما تنضج التفاحات كان الملك يعدها، ولكن صبيحة كل يوم كانت تنقص واحدة، فيخبر البستاني الملك بذلك. فأمر الملك بوقوف حرس تحت الشجرة يتبدلون بالتناوب.

وبسبب حرصه على التفاحات كلّف أكبر أبنائه الثلاثة بالحراسة الأولى وأرسله مع هبوط المساء للوقوف تحت الشجرة. ولكن عندما انتصف الليل لم يعد الشاب قادراً على مقاومة النعاس فنام، وفي الصباح نقصت الشجرة تفاحة، في الليلة التالية جاء دور الابن الأوسط في الحراسة، بيد أن حاله لم يكن أحسن من أخيه، فعندما دقت الساعة الثانية عشرة نام الشاب، وصباحاً نقصت الشجرة تفاحة.

والآن جاء دور الابن الأصغر الذي أبدى استعداده للقيام بالمهمة، لكن الملك لم يثق بقدراته واعتقد أن حاله سيكون أسوأ من أخويه، بيد أن إلحاح الفتى دفع الملك للسماح له بالقيام بالمهمة. جلس الفتى تحت الشجرة متيقظاً ولم يسمح للنعاس بأن يغلبه. ولمّا دقت الساعة الثانية عشرة سمع خفق أجنحةٍ في الهواء ورأى في ضوء القمر طائراً يلمع ريشه كالذهب. حط الطائر على الشجرة، وما أن قطفَ تفاحةً حتى قذفه الفتى بسهم من قوسه. نجا الطائر وهرب، لكن السهم أصاب ريشه فسقطت منه ريشة ذهبية على الأرض. التقطها الفتى وقدمها في صباح اليوم التالي للملك وحكى له عما رآه في الليل. جمع الملك مستشاريه،

Twitter: @ketab_n

فاتفقوا جميعهم في الرأي على أن كل ريشةٍ مثل هذه تعادل قيمة المملكة كلها. فقال الملك: «إذا كانت قيمتها حسبما تقولون فهذه الريشة لا تنفعني في شيء، لأنني أريد الطائر كله، ولا بدّ لي من الحصول عليه».

انطلق الابن الأكبر للقيام بالمهمة، معتمداً على ذكائه، وفي ظنه أنه قادر على الوصول إلى الطائر الذهبي. بعد أن قطع شوطاً من الطريق رأى عند طرف غابةٍ ثعلباً جالساً فجهز بندقيته دكاً، وسدد باتجاهه. لكن الثعلب هتف به: «لا تقتلني، فأقدِّم لك نصيحة مفيدة. أنت مسافر بحثاً عن الطائر الذهبي، وستصل مساء اليوم إلى قرية، ستجد فيها نُزلين متقابلين. أحدهما جيد الإضاءة وضجة نُزلائه في المطعم صاخبة، فلا تدخله، بل ادخل إلى الثاني ولو كان معتماً ومظهره سيئاً». ففكر ابن الملك: «كيف لحيوانٍ سخيفٍ أن يقدّم نصيحةً مفيدة!» وأطلق النار، لكنه لم يصب الثعلب الذي مد ذيله الطويل واختفى في الغابة بسرعة. تابع ابن الملك طريقه ووصل مساء إلى القرية التي يوجد فيها نزلان متقابلان: سمع من الأول غناء ورقصاً، في حين بدا الثاني كئيباً وتعيساً. ففكر الشاب: «سأكون مجنوناً إذا دخلت النزل الرثّ بدلاً من الجميل المضياف». ودخل إلى الأخير حيث أقام في بحبوحة وقصفٍ يومي أنساه الطائر الذهبي وأباه وفضائلَ الأخلاق.

بعد مرور مدة من الزمن وعدم عودة ابن الملك البكر إلى القصر، انطلق الابن الثاني بحثاً عن الطائر الذهبي. ومثله مثلَ أخيه الأكبر، قابل الثعلبَ الذي قدَّم له نصيحةً مفيدة، لم يعمل بها. إذ إنه عندما وصل إلى النُزلين وسمع صخب أحدهما ورأى أخاه الذي ناداه عبر النافذة، لم يقاوم الإغراء فدخل وغرق في اللهو فنسي المهمة.

وللمرة الثانية انقضت مدة من الوقت من دون عودة الشابين، فأراد الفتى الأصغر الانطلاق ليجرب حظه. بيد أن الملك لم يكن راغباً بالسماح له، وقال لمستشاريه: «لا جدوى من ذهابه، سيكون حظه في الحصول على الطائر الذهبي أقلّ من حظ أخويه، وإن واجهَ مشكلةً فلنْ يجد لها حلاً، لأن عقله قاصر». ولكن

Twitter: @ketab_n

عندما نفذَ صبرُه من إلحاحِ الفتى سمح له بالانطلاق. التقى الفتى عند الغابة بالثعلب الذي رجاه ألاّ يقتله وقدم له النصيحة. كان الفتى طيبَ القلبِ فقال له: «لا تخف أيها الثعلب، لن أمسَّك بأذى». فأجابه الثعلب: «لن تندم على ذلك. ولكي تصل بسرعة، اركب على ذيلي». وما إن ركب الفتى حتى طار الثعلب بسرعة عبر المروج وفوق الصخور وشعرُ الفتى يتطاير في الريح. عندما وصلا إلى القرية ترجل الفتى ودخل النزل البسيط حسب نصيحة الثعلب من دون حتى أن يتلفت حوله، وأمضى الليلة بهدوء.

وحينما خرج صباحاً إلى الحقل وجد الثعلب بانتظاره، وقد بادره بقوله: «سأخبرك بما عليك فعله في المرحلة الثانية. تابعْ الطريق بشكل مستقيم دائماً وستصل أخيراً إلى قصرٍ، ستجد أمامه عدداً غفيراً من الجنود، لا تهتم لأمرهم لأنك ستسمع شخيرَ نومهم. ادخل بينهم إلى القصر مباشرة واعبرْ جميع القاعات حتى تصل أخيراً إلى حجرة، ستجد فيها الطائر الذهبي داخل قفص خشبي معلّق. وإلى جانبه ستجد قفصاً ذهبياً فخمَ المنظرِ وخالياً. إيّاك أن تُخرج الطائر من القفص الخشبي وتضعه في القفص الفاخر، وإلا فستكون عاقبتك وخيمة». بعد هذه الكلمات مدّ الثعلب ذيله ثانية، فركب الفتى عليه وطار الثعلبُ بسرعة عبر المروج وفوق الصخور وشعرُ الفتى يتطاير في الريح.

عندما وصلا إلى القصرِ وجدَ الفتى كلَّ شيء حسبما وصف الثعلب. دخل الأمير الفتي القصر ووصل إلى الحجرة حيث يوجد الطائر الذهبي في قفص خشبي معلّق، وإلى جانبه قفصٌ ذهبي فاخر، ورأى ثلاث تفاحات ذهبية مرمية على أرض الحجرة، ففكر: «من السخف أن أترك الطائر الذهبي في هذا القفص البسيط والبشع»، وفتح باب القفص، وأمسك بالطائر وأخرجه منه ووضعه في القفص الذهبي الفاخر. وفي تلك اللحظة أطلقَ الطائرُ صيحةً مدويةً استيقظَ لها الجنودُ، فهاجموه واعتقلوه وقادوه إلى السجن. في صباح اليوم التالي عُقدتْ المحكمة واتُهم الأميرُ واعترفَ بكل شيء، فأُدين بفعلته وحُكم عليه بالموت. بيد أن ملك هذا القصر كان مستعداً لمنحه الحياة مقابلَ شرطٍ واحد، وهو أن يُحضر

Twitter: @ketab_n

لـه الحصان الذهبي الذي يعدو أسرع من الريح. وإن نجح فستكون مكافأته فوق ذلك، الطائرَ الذهبي.

غـادر الأمير القصر وهو يزفر حزيناً: فأين عساه يجد الحصانَ الذهبي؟ وفجأةً رأى صديقـه القديم، الثعلبَ، جالساً على جانـب الطريق. «أرأيتْ» قال الثعلب: «هـذه نتيجة عـدم اصغائك لكلامي. ولكـن لا تبتئسْ، سأتكفّـل أنا بالموضوع وسوف أدلّك على طريقةِ الوصول إلى الحصان الذهبي والحصول عليه. عليك أن تتابـع الطريق بشكل مستقيم، إلى أن تصل أخيراً إلى قصرٍ، يقفُ الحصان الذهبي في اصطبله. وعنـد الاصطبلِ ستجد الخدمَ منتشرين على الأرض، لكنّهم نائمون يشخـرون، ولذلك سيمكنك بكل سهولة إخـراج الحصان الذهبي. ولكن عليك أن تنتبه إلى أمر مهم جداً. أسرج الحصان بالسرج الخشبي الجلدي العتيق، وإياك أن تضع عليه السرج الذهبي المعلّق إلى جانبه، وإلا فستكون عاقبتك وخيمة». ثم مدّ الثعلبُ ذيله الطويل فركب عليه الأمير الفتي، وطارد الثعلبُ عبر المروج وفوق الصخور وشعرُ الأمير يتطاير في الهواء.

وقد وجدَ الأميرُ كلَّ شيء حسبما وصفه الثعلب، فدخل الاصطبل حيث يقفُ الحصـان الذهبي، ولكن عندما كاد يسرجه بالسرج العتيق قال لنفسه: «أليس من العار ألاّ أُسرجَ هذا الحصان الجميل بالسرج الفاخر الذي يليق به؟!» ولكن ما أن لامسَ السرجُ الذهبي جلد الحصـان الذهبي حتى صهلَ صهيلاً عالياً أيقظ جميع الخـدم، فأمسكوا بـه ورموه في السجن. في صباح اليـوم التالي جرت محاكمته وحُكـم عليه بالمـوت. لكنَّ ملك هذا القصر وعده بالعفـو عنه وبمنحه الحصان الذهبـي إذا أحضر له الأميـرة الحسناء من القصر الذهبي. خـرج الأمير الفتي من القصر مثقلَ القلب يزفر محزوناً، لكنه لحسن حظه وجد صديقه القديم المخلص جالسـاً على قارعة الطريق بانتظاره، وبادره قائـلاً: «كان عليَّ في حقيقة الأمر أن أتـركك في ورطتك، لكنني أشفقُ عليك وسأساعدك في الخروج من هذا المأزق أيضاً. طريقك يؤدي إلى القصر الذهبي مباشرة. ستصله مساءً، وعندما ينام الجميع ليلاً ويســود السكون تدخلُ الأميرةُ الحسناء إلى الحمـام لتغتسل، وعندما تصبح

Twitter: @ketab_n

داخـلَ الحمام اقفز إليهـا وقبّلها قبلة، وعندها ستلحقُ بـك حيثما تقودَها. ولكن إياك أن تسمح لها قبل الذهاب بوداع والديها، وإلا فستكون عاقبتك وخيمة». ثم مدّ الثعلب ذيله الطويل فركب الأمير الفتي عليه، فعدا الثعلب بسرعة عبر المروج وفوق الصخور وشعرُ الأمير يتطاير في الهواء.

عندما وصل إلى القصر الذهبي وجد كلّ شيء مثلما وصفه الثعلب. انتظر حتى منتصف الليل بعدما غرق الجميع فـي سبات عميق، والفتاةُ الحسناء على طريقها إلـى الحمام، فقفز وقبّلها قبلـة. قالت الحسناء إنها مستعـدة للذهاب معه، لكنها رجته وتوسلت إليه باكيةً أن يسمح لها بتوديع والديها قبل الذهاب. قاوم في البداية توسّلاتها، ولكن مع ازدياد بكائها وركوعها عند قدميه راجيةً أذعن لطلبها. ولكن ما إن اقتربت الفتاةُ من سرير أبيها حتى استيقظ ومعه جميع مَن في القصر، واعتُقل الفتى ورُمي في السجن.

فـي الصبـاح التالي قال له الملك: «لقد ضاعت حياتـك، وليس أمامك سوى طلـب العفو. إذا أزلـت الأكمةَ العالية المنتصبـةَ أمام نافذتي وتسـد عليَّ الرؤية، وذلك في ثمانية أيام، سأمنحك العفو، وفوق ذلك ابنتي الأميرة مكافأة لك». بدأ الأميـر الفتي بالعمل حفـراً وإزاحةً من دون توقف، لكنه عندما رأى بعد سبعة أيام أن مـا أنجزه من عمـل ضئيلٌ جداً مقارنة بما تبقى، غلبـه الحزن وفقدَ الأمل. في مساء اليوم السابع ظهر الثعلب وقال له: «أنت لا تستحقُ أن أساعدك في محنتك، ومـع ذلك اذهب فنم، سأقوم أنا بالعمل عنـك». في الصباح التالي عندما استيقظ الفتى ونظر من النافذة كانت الأكمة قد اختفت، فأسرع إلى الملك مترعاً بالسعادة وأخبـره بأن الشرط قد تحقّق. وكان على الملكِ شـاءَ أم أبى أن يكونَ عند كلمته فيعفو عنه ويمنحه ابنته.

غـادر الأمير والأميرة معاً، ولـم يمض وقت طويل حتى انضـم الثعلب إليهما وقـال للأمير: «صحيح أنك قد حصلت على المكافأة الأفضل، لكن أميرةَ القصرِ الذهبـي يليق بها الحصان الذهبي». «وكيف يمكنني الحصول عليه؟» سأل الأميرُ

Twitter: @ketab_n

الثعلبَ الذي أجابه: «أنا سأخبرك: عليك أولاً أن تأخذ الأميرةَ الحسناء إلى الملكِ الـذي أرسلك إلى القصر الذهبي لإحضارها. عندهـا ستعمُ المملكةَ فرحةٌ غامرة وسيمنحونك الحصانَ الذهبي بطيب خاطر وسيحضرونه إليك، فاركبه من فورك وصافـح الجميع مودعاً، وآخرهـم الأميرةَ الحسناء، وحالما تمسك بيدها اجذبها إليـك بحركةٍ سريعة وانطلق بهـا هارباً. لن يكون بوسع أحـد اللحاق بكما، لأن الحصان الذهبي أسرع من الريح».

تم تنفيذ الخطة بكل نجـاح وتمكن الأمير من اختطاف الأميرة على الحصان الذهبـي. لحـق بهما الثعلب وقال للأميـر: «والآن سأساعدك فـي الحصول على الطائـر الذهبي. عندما تقترب من القصر، حيث يقيم الطائرُ في قفصه، دعِ الأميرةَ تترجلْ وسأقومُ أنا بحمايتها. تابع طريقكَ بعدئذٍ بالحصان الذهبي إلى باحة القصر. حالما يـرون الحصانَ ستعم الفرحة الجميعَ وسيحضرون لك الطائر الذهبي، وما أن تُمسك القفصَ بيدك طِرْ بالحصان عائداً إلينا لتحمل الحسناء معك».

عندما نجحت هذه الخطة أيضاً، وأراد الأميرُ الفتي العودةَ إلى أبيه ومعه الكنوز الثلاثـة قال لـه الثعلب: «الآن جـاءَ دورُك لتكافئني على مساعدتـي لك». فسأله الأميـر: «ماذا تطلب لقاء ذلـك؟» فأجابه الثعلب: «عندما نصـل إلى تلك الغابة، اقتلنـي ثم اقطع رأسي وقوائمي». فقال له الأمير: «يـا لها من طريقةٍ لردِّ الجميل! يستحيلُ عليَّ أن ألبي لك رغبتك»، فقال الثعلب: «إنْ لمْ تفعلها فسأضطر لتركك. ولكـن قبل أن أذهب، أريدُ أن أقدِّم لـك نصيحة طيبة. احترس من أمرين: لا تشترِ لحماً من مشنقة ولا تجلس على حافة بئر». قال الثعلب ذلك واختفى في الغابة.

قـال الأميرُ لنفسه: «يا له من حيوانٍ عجيبٍ بأوهام غريبة، فهل ثمةَ مَن يشتري لحمـاً من مشنقة؟! ثم إني لم أرغب يوماً في الجلوس على حافة بئر». تابع طريقه مـع الأميرة الحسنـاء، فأوصله الدرب ثانية إلـى القرية التي بقي أخـواه في نزلها الصاخـب. كانـت القرية في حالـة هياج والناسـ مجتمعون. وعندمـا سأل عمّا يجـري، قيل لـه إن رجلين سيُشْنقان. وعندما تقدم أكثـر، تبيَّن له أن الرجلين هما

Twitter: @ketab_n

أخواه اللذان ارتكبا أعمالاً كثيرة مؤذية وبذَّرا كل ما يملكان في القصفِ والعربدة. سأل عن إمكانية شراء حياتهما بالمال، فأجابه الناس: «إذا كنتَ مستعداً للدفعِ من مالك، لا بأس. ولكن ما جدوى أن تهدر مالكَ لتحرير شريرين!؟» بيد أنه لم يُطِل التفكير بالموضوع، بل دفع المبلغ المطلوب فوراً. وحالما أُطلِق سراحهما غادرَ الجميع القرية معاً.

وصلوا في طريق عودتهم إلى ذلك المكان من الغابة حيث قابلوا الثعلب أول مرة، وبما أن الجو هناك كان لطيفاً ومريحاً بعيداً عن الشمس الحارقة قال الأخوان الكبيران: «فلنسترح قليلاً هنا عند البئر ونأكل ونشرب». وافق الأمير الفتي وترجلَ عن الحصان الذهبي مع الأميرة. وفي أثناء تبادل أطراف الحديث نسي نفسه وجلس على حافة البئر من دون أن تخطر بباله أية شكوك. لكن الأخوين دفعاه إلى الخلف فسقط في البئر، وأخذا الأميرة الحسناء والحصان الذهبي والطائر الذهبي وتابعا الطريق إلى قصر الوالد. وعندما وصلا قالا له: «لم نُحضر لك الطائر الذهبي فحسب بل الحصانَ الذهبي وأميرةَ القصر الذهبي أيضاً». عمَّت الفرحة المملكة كلها، لكن الحصانَ عزَفَ عن أكل علفه والطائرُ عزَفَ عن التغريد والأميرةُ الحسناء لم تتوقف عن البكاء.

بيدَ أن الأميرَ الفتي لم يمت، فلحُسنِ الحظِ كانت البئرُ جافةً وقاعُها مغطىً بطحالبَ طرية، فلم يتأذ الأمير، لكنه لم يكن قادراً على تسلق جدار البئر. وفي هذا المأزق أيضاً لم يتخلّ عنه الثعلب الوفي، فقفز إليه وأنبّه بحزمٍ لنسيانه نصائحه، ثم قال له: «ومع ذلك لا يمكنني تركك في هذه الحال. سأساعدك على الخروج». وأمره بالتمسك بذيله بقوة، وتسلقَ الجدارَ جارّاً إياه خلفَه حتى صارا على أرض الغابة، فتابع الثعلب قائلاً: «لم يزل الخطرُ محدقاً بك، فأخواك لم يتأكدا من موتك، فحاصرا الغابةَ برجالِ الحرس لقتلكَ حالما يرونك».

التقى الأميرُ والثعلبُ على الدربِ بعجوزٍ فقير، فتبادلَ معه الأميرُ لباسيهما، وبهذا التنكر تمكنَ الأميرُ من الدخول إلى القصر من دون أن يتعرفَ عليه أحد،

Twitter: @ketab_n

لكن الطائرَ الذهبي أخذ يغردُ من جديد والحصانَ الذهبي عاود الأكلَ، كما توقفت الأميرةُ الحسناء عن البكاء، فسألها الملك مستغرباً: «ما معنى ما يجري؟» فأجابته: «لست أدري، لكنني كنتُ شديدة الحزن، فإذا بالفرح يغمرني الآن. أشعر وكأن عريسي الحقيقي قد عادَ إلي». وحكت له كل ما جرى، رغم تهديدِ الأخوينِ لها بالقتلِ إنْ فعلتْ ذلك. أمر الملك باجتماع جميع سكانِ القصرِ الموجودين فيهِ حالياً، فحضر معهم الأميرُ متنكراً بزي العجوز الفقير، لكن الأميرةَ تعرفتْ عليه فوراً فركضتْ إليه وعانقته. فأُلقي القبضُ على الأخوين المجرمين الزنديقين وحُكم عليهما بالموت، أما الأميرُ الفتي فقد زُفَّ إلى الأميرةِ الحسناء وصارَ وليَّ العهد.

ولكنْ ماذا جرى للثعلبِ المسكين يا تُرى؟ بعدَ مدةٍ من الزمن خرج وليُّ العهد إلى تلك الغابة ثانية، فالتقى الثعلبَ الذي بادره قائلاً: «ها أنتَ تحظى الآنَ بكل ما يمكن أن تتمناه لنفسك، أما مأساتي فيبدو أنها لن تنتهي، رغم أن خلاصي يكمن بين يديك». وتوسل مجدداً لولي العهد كي يُطلق عليه النار فيقتله ثم يقطع له رأسَه وقوائمه. أذعن وليُّ العهدِ لطلبه ونفَّذ له ما أراد، وسرعان ما تحول الثعلب إلى إنسانٍ شابٍ، لم يكن سوى الأخ الأكبر للأميرة الحسناء والذي تخلص أخيراً من رصد السحر. وبذلك اكتملت سعادة الأسرة لما تبقى لها من أيام في حياتها.

×××

Twitter: @ketab_n

(٥٨)

الكلب والعصفور

كان هنــاك كلب مــن كلاب الرّعــاة يعامله صاحبــه معاملة سيئــة، فيتركه يجــوع. وعندما لم يعدْ الكلبُ قادراً على الاحتمال أكثر، اضطر لترك صاحبه وهــو شديد الحزن لذلك. وفي الطريق قابل الكلبُ عصفوراً حطَّ قربه وسأله: «لماذا كل هذا الحزن يا أخي الكلب؟» فأجابه الكلب: «لأنني جائع ولا أجد ما آكله»، فقال العصفور: «يا أخي الكلب، تعال معي إلى المدينة وسأشبعك». وتابعا الطريق معاً إلى المدينة. وعندما مرّا بدكان لحّام، قال العصفور للكلب: «قف هنا، سأقطع لك قطعة من هذا اللحم»، وحطَّ على طاولة الدكان، تلفت حولــه ليــرى إنْ كان قد لاحظه أحد، ثم أخذ يعالج قطعــة لحم كبيرة بمنقاره حتــى اقتطع منها جــزءاً وجعله يسقط على الأرض. التقطه الكلب وذهب به إلى زاوية وأكله. فقال لــه العصفور: «الحقني إلى لحام آخر لأقتطع لك قطعة أخــرى حتى تشبع». بعــد أن أكل الكلب القطعة الثانيــة سأله العصفور: «هل شبعــت يا أخــي الكلــب؟» فأجابه: «نعم، شبعــت لحماً، لكنني لــم آكل أي خبــز». فقال له العصفــور: «ستحصل على الخبز أيضــاً. هيا الحقني». وطار متمهــلاً إلى دكان الخبّاز والكلب يتبعه. حطّ هنــاك وأخذ يدفع رغيفاً صغيراً بمنقــاره حتى سقط على الأرض، ثم ألحقــه برغيف ثانٍ. وعندما أراد الكلب مزيــداً من الخبز ذهبا إلى خبّاز آخر حيث كــرر العصفور دحْرجةَ الخبز حتى شبع الكلــب تماماً وقال: «الآن شبعت، هيا بنا إلــى خارج المدينة»، فخرجا إلى الطريق الزراعي، وكان الطقس حاراً. وبعد أن قطعا شوطاً من الطريق، قال الكلب: «أشعر بالنعاس وأود أن أنام قليلاً»، فأجابه العصفور: «لا بأس عليك،

Twitter: @ketab_n

نم براحتــك. خلال ذلك سأقف أنا على الغصن فوقك». استلقى الكلب على الطريق الزراعي وغرق في نوم عميق.

بعد برهة من الزمن، اقتربت على الطريق عربة محملة ببرميلي نبيذ، تجرها ثلاثــة بغــال ويقودها حــوذي. انتبه العصفــور إلى أن الحوذي لــن يحيد عن الــدرب، بل سيتابع سيــره حيث يستلقي الكلب نائماً، فصــاح به: «لا تفعلها أيها الحــوذي، وإلا سأجعلك رجلاً بائساً». لكــن الحوذي أخذ يبرر لنفسه: «ليس مثلك مَن يجعلني بائساً»، وفرقع بسوطه قائداً العربة فوق الكلب فقتلته العجــلات. فصــاح العصفور: «لقــد دهست أخي الكلــب بعجلاتك، وهذا سيكلفك عربتك وبغالها». فرد عليه الحوذي: «العربة والبغال، نعم، يا لهولِ قدراتك أيها العصفور!» وتابع طريقه.

طــار العصفور ودخل تحت شادِرِ العربة وأخذ ينقب سدادة أحد البرميلين حتــى تقلقلت وسقطت، فأخــذ النبيذ يسيل على الدرب مــن دون أن يلاحظ الحوذي ذلك، إلى أن التفت بعد مدة إلى الخلف ورأى آثار النبيذ على الأرض وراء العربــة. توقف ونزل ليتفحص وضــع البرميلين، فاكتشف أن أحدهما قد فــرغ، فصــاح: «آه، يا لي من رجل بائس!» فأجابه العصفور: «ليس بما يكفي بعدْ أيها الحوذي!» وطار فحط على رأس أحد البغال ونقر عينيه حتى فقأهما. عندما شاهد الحوذي ذلك أخرج معوله من العربة ليضرب به العصفور، بيد أن هذا طار فــي الهواء فأصاب المعولُ رأسَ البغل، فخرَّ على الأرض ميتاً، صاح الحــوذي: «آه، يا لي من رجل بائس!» فأجابه العصفور: «ليس بما يكفي بعدْ أيها الحوذي!» وحينما تابع الحوذي طريقه ببغلين، تسلل العصفور ثانية تحت الشــادر وأخذ ينقب سدادة البرميل الثاني حتى سقطت فتسرب النبيذُ كلُّه إلى التــراب: عندمــا انتبه الحوذي إلى ما جرى، صاح ثانيــة: «آه، يا لي من رجل بائس!» فأجابه العصفور: «ليس بما يكفي بعدْ أيها الحوذي!» وطار إلى رأس البغــل الثاني ونقر عينيه. هــرع الحــوذي ورفع المعول ليضربه، لكن العصفور طــار عالياً، فأصاب المعول البغل الثاني وقتله، فصاح الحوذي: «آه، يا لي من

Twitter: @ketab_n

رجل بائس!» فأجابه العصفور: «ليس بما يكفي بعد أيها الحوذي!» وحط على رأس البغل الثالث ونقب عينيه، فضربه الحوذي بغضب شديد من دون أن يدقق النظر، فأصاب بغله الثالث والأخير بدلاً من العصفور، فصاح: «آه، يا لي من رجل بائس!» فأجابه العصفور: «ليس بما يكفي بعد أيها الحوذي! فالآن سأجعلك بائساً في دارك أيضاً!» وطار.

اضطر الحوذي الآن إلى ترك العربة ومتابعة الطريق إلى داره مشياً وهو مشحون بالحنق والغضب. وعندما وصل بادر زوجته بقوله: «يا للمصيبة التي نزلت بي يا امرأة! النبيذ سال على التراب والبغال الثلاثة ماتت»، فقالت زوجته: «ويا للطير الشرير الذي دخل دارنا! لقد جمع كل طيور العالم فهجمت على حنطتنا في بيت المؤونة، وهي الآن تأكلها كلها». أسرع الحوذي إلى بيتِ المؤونة ليجد هناك آلاف آلاف الطيور تلتقط الحب عن الأرض، وفي وسطها ذلك العصفور، فصاح الحوذي: «آه، يا لي من رجل بائس!» فأجابه العصفور: «ليس بما يكفي بعد أيها الحوذي! لأنك ستدفع الآن حياتك ثمناً لفعلتك!» وطار خارجاً.

نزل الحوذي من بيت المؤونة وقد خسر كل ما يملك، وجلس في المطبخ قرب الموقد ووجهه ينقّط سمّاً وغيظاً. حطَّ العصفور على النافذة وصاح: «أيها الحوذي ستدفع الآن حياتك ثمناً لفعلتك». فتناول الحوذي المعول ورمى به العصفور، لكنه كسر زجاج النافذة ولم يصب العصفور، الذي قفز الآن إلى داخل المطبخ وحطّ على الموقد وصاح: «أيها الحوذي، ستدفع الآن حياتك ثمناً لفعلتك». والحوذي الذي أعماه الغضب تناول مطرقة ضخمة وهوى بها على العصفور، ففلق الموقد نصفين، فيما طار العصفور من مكان إلى آخر والحوذي يلاحقه بالمطرقة حتى حطَّم الطاولة والكراسي والخزانة والمرآة والسرير وجدران الدار، من دون أن يصيبه. لكنه أخيراً تمكن من القبض عليه بيده، فقالت له زوجته: «أتدعه لي لأقتله؟» فصاح: «لا، قتلُكِ له سيكون رحيماً. لا بد أن يموت بطريقةٍ شنيعة. سأبلعه حياً!» ووضعه في

Twitter: @ketab_n

فمـه وبلعه دفعة واحـدة. لكن العصفور أخذ يرفـرف ويرفرف في بطنه حتى تمكن مـن الصعود إلى فمه ثانية، فمدَّ رأسه خارج فم الحوذي وصاح: «أيها الحـوذي، ستدفع الآن حياتك ثمنـاً لفعلتك». ناول الحوذي زوجته المطرقة وقال لها: «اقتلي العصفور داخل فمي يا امرأة!» فضربت المرأة ضربة أصابت زوجها على رأسه، فخرَّ ميتاً. أما العصفور فصفق بجناحيه مغادراً الدار.

×××

Twitter: @ketab_n

(٥٩)

فريدر وكَترليز

في يـوم من الأيام تعارف الشـاب فريدَر والصبية كَترليـز فتزوّجا وسكنا معاً. وذات يـوم قال فريدر لكترليـز: «سأخرج الآن لأشتغل في حقلنـا، وعندما أعود أتوقـع أن أجد على الطاولة شـواءً للشبع وبيرةً للظمأ»، فأجابتـه كترليز: «اذهب أنت، وأنا سأهيئ لك كل شيء».

وعندمـا اقترب موعد تناول الطعام تناولت كترليـز سجقاً مدخَّناً، وضعته في المقـلاة، أضافـت إليه بعض الزبدة ورفعت المقلاة على نـار الموقد. بدأ السجق يطشطـش في الزبدة وكترليز واقفة إلى جانب الموقد ممسكة بيدِ المقلاة وغارقةً فـي أفكارها، فخطـر ببالها: «إلى حين يستوي السجق يمكنـكِ النزول إلى القبو ومـلء إبريق البيرة». فثبّتت المقلاة فوق الموقد، حملت الإبريق ونزلت إلى القبو وفتحـت صنبور برميل البيـرة. سالت البيرة في الإبريق وكترليـز تنظر إليها غارقة فـي أفكارها، فخطر ببالها: «يـا إلهي، الكلب فوق ليس مربوطـاً. سيقفز ويأخذ السجـق من المقلاة. هذا ما كان ينقصنـي!» فقفزت على الدرج بنشاط، وكانت بلحظات في المطبخ. لكن الكلب كان قد أخذ السجق في فمه وهو يجرجره معه علـى الأرض خارجاً من الدار. وبما أن كترليز ليسـت كسولة فقد هرولت وراءه وطاردتـه مسافـة عبر الحقل. لكنـه كان أسرع منها، ولم يتخـل عن السجق، بل تابـع سحبه وراءه عبر الحقل. وأخيراً قالت كترليز: «ما ذهبَ قد ذهبْ!» وقفلت راجعـة، وبما أنها قد ركضـت، فتعبت وتعرقت، مشـت الآن متمهلة كي تبترد. في أثنـاء ذلك كانت البيرة تسيل من البرميل باستمـرار، لأن كترليز نسيت إغلاق

Twitter: @ketab_n

الصنبور. امتلأ الإبريق وفاضت عنه البيرة إلى أرض القبو كله حتى فرغ البرميل. من أعلى درج القبو رأت كترليز المصيبة التي وقعت، فصاحت: «يا ويلي، ماذا سأفعل الآن كيلا يلاحظ فريدر ما حصل!» فكرت فترة من الزمن إلى أن خطر ببالها أخيراً أنه ما زال لديهم في العليَّة من الزيارة الأخيرة لسوق البلد كيس طحين قمح فاخر، ستنزله وتنثره على البيرة في أرض القبو، وقالت لنفسها: «هذه فكرة، فمن يدّخر طحينه الأبيض يجده في يومه الأسود». صعدت إلى العليَّة، حملت الكيس ونزلت به إلى القبو، وأفلتته من يديها فوق إبريق البيرة تماماً. مال الإبريق واندلقت بيرة فريدر على أرض القبو، فقالت كترليز: «هذا هو الصح، ها قد اجتمعت البيرة مع بعضها ثانية». ونثرت محتوى الكيس على أرض القبو كله. عندما انتهت كانت بالغة السرور بما أنجزته من عمل وقالت لنفسها: «هكذا تكون النظافة. كل شيء أبيض».

وصل فريدر إلى الدار وقت تناول الغداء وقال: «هاتِ يا امرأة من أطايب ما حضّرتِ لي!» فقالت كترليز: «آخ يا عزيزي فريدر. كنت أجهز لك سجقاً لذيذاً، لكن وبينما كنت أملأ إبريق البيرة، سرق الكلب السجق من المقلاة وهرب، وبينما كنت أطارده، فرغ برميل البيرة. ولمّا أردت تجفيف البيرة بالطحين، قلبت الإبريق فانسفحت بيرتك. ولكن لا تبتئس يا عزيزي فالقبو ناشف تماماً». فقال لها فريدر: «كترليز يا كترليز، ما كان يجوز أن تفعلي هذا! الكلب يسرق منك السجق ويهرب، وتنسين صنبور البرميل حتى يفرغ، وفوق كل ذلك تنثرين طحيننا الفاخر لتجفيف الأرض!» فقالت له: «لكنني لم أكن أعرف ذلك يا فريدر! كان عليك أن تنبهني مسبقاً». فقال الرجل لنفسه: «إذا استمرت الأمور مع زوجتي على هذه الحال، فلا بد من اتخاذ الحيطة بشكل أفضل».

تمكن الرجل من توفير كمية كبيرة من النقود، وصرفها في السوق مقابل دنانير ذهبية، وقال لزوجته: «أترين هذه القروش الصفراء، سأضعها في جرة وأدفنها في الاصطبل تحت معلف البقرة. إياكِ أن تمدي يديكِ إليها، وإلا ستكون عاقبتك وخيمة». فأجابته: «لا، يا فريدر، لن أمد يدي إليها، حتماً لا».

Twitter: @ketab_n

وذات يوم عندما كان فريدر غائباً في الحقل، حضر باعة متجولون إلى القرية وعرضوا على الزوجة الشابة أوانيهم الفخارية للبيع. فقالت لهم كترليز: «آه، أيها الناس الطيبون. أنا لا أملك نقوداً لأشتري منكم، ولكن إذا قبلتم أخذ قروش صفراء فسأشتري منكم». فقال لها الباعة مستغربين: «قروش صفراء؟ دعينا نراها أولاً». اذهبوا إذاً إلى الإصطبل واحفروا تحت معلف البقرة. هناك ستجدون القروش الصفراء. أنا لا يجوز أن ألمسها». ذهب المحتالون إلى المكان وحفروا ووجدوا ذهباً رناناً، فأخذوه كله وولوا الأدبار تاركين أوانيهم وراءهم في الدار. ففكرت كترليز بأنه لا بد من إيجاد طريقة لاستخدام هذه الأواني، فمطبخها لا ينقصه شيء. كسرت أسفل جميع الأواني وعلقتها على أعمدة سور الحديقة على سبيل الزينة حول الدار كلها. عندما عاد فريدر ورأى الزينة الجديدة، سأل زوجته: «كترليز، ما هذه؟» فأجابته: «لقد اشتريتها، بالقروش الصفراء التي كانت مخبأة تحت معلف البقرة. أنا لم أمد يدي إليها، بل كان على الباعة أن يحفروا بأنفسهم ويخرجوها». فقال فريدر: «آه منكِ يا امرأة، ماذا فعلتِ! لم تكن قروشاً بل دنانير ذهبية، كل ما نملك في هذه الدنيا». فأجابته: «لكنني لم أكن أعرف ذلك يا فريدر! كان عليك أن تنبهني مسبقاً».

وقفت كترليز جانباً برهة من الزمن وهي تفكر ثم قالت: «اسمع يا فريدر. لا بد من أن نستعيد الذهبات. سنلاحق اللصوص». «هيا إذن، لنحاول، خذي معك زبدة وجبنة لنأكل على الطريق!» «حسن يا فريدر، سآخذ». قالت كترليز. انطلقا على الطريق معاً، ولكن لأن فريدر أسرع مشياً من كترليز فقد بقيت متأخرة عنه، وقالت لنفسها: «هذا من مصلحتي، فعندما نعود ستكون المسافة بالنسبة لي أقصر». ثم وصلت إلى هضبة حيث كانت آثار العجلات قد تركت على جانبي الدرب أخدودين عميقين، فقالت: «ما هذه الأفعال الشنيعة المخزية! إنهم يمزقون وجه الأرض ويجرحونه، وهذه الندوب لن تندمل أبداً». وبقلب شفوق حنون أخرجت زبدتها ودهنت بها آثار العجلات يميناً ويساراً، كيلا يزداد ضغط العجلات عليها، ولأنها أكثرت من الحنان في انحنائها تدحرجت

من جيبها كرة جبن نحو أسفل الهضبة، فقالت كترليز: «لقد صعدت الدرب مرة، فلن أنزله ثانية. فلينزل غيري ويأتي بكرة الجبن»، وأخرجت كرة أخرى من جيبها ودحرجتها وراء الأولى. لكن الكرة لم تعاود الصعود، فدحرجت كرة جبن ثالثة نحو الأسفل وهي تفكر: «ربما كانتا تنتظران الصحبة ولا تحبان المشي وحدهما». ولكن عندما غابت الكرات الثلاث قالت كترليز: «لا أعرف ما معنى هذا! ولكن يُحتمل أن الكرة الثالثة قد ضلّت طريقها فتاهت. سأرسل الرابعة لكي ترشدهن إلى طريق العودة صعوداً». لكن كرة الجبن الرابعة لم تكن أفضل من أخوتها. وعندها غضبت كترليز ورمت الكرة الخامسة والسادسة نحو أسفل الهضبة، وكانتا آخر ما معها. بقيت كترليز مدة من الوقت واقفة تنتظر قدومهن، ولكن عندما لم يأتين، قالت: «ما أذكاكن، ترسلن في طلب عزرائيل ليأخذني! أهذا ما تنتظرنه؟ وهل صدَّقتن أني سأبقى منتظرة هنا!؟ أنا سأتابع طريقي، وأنتن يمكنكن اللحاق بي، فأنتن أكثر شباباً مني»، وتابعت كترليز طريقها حتى وجدت فريدر واقفاً بانتظارها، لأنه يشعر بالجوع. قال لها: «أعطني شيئاً من زوادة الطريق!» فناولته خبزاً جافاً. فسألها: «أين الجبنة والزبدة؟» فأجابته: «أخ، يا عزيزي فريدر، بالزبدة دهنت آثار العجلة، وكرات الجبن ستأتي بعد حين، فقد هربت مني إحدى الكرات فأرسلت الأخريات في طلبها». فقال لها فريدر: «ما كان يجوز أن تفعلي ذلك يا كترليز، تدهنين الدرب بالزبدة وتدحرجين كرات الجبن نحو أسفل الهضبة!» فقالت: «كان عليك أن تنبهني مسبقاً يا فريدر!»

جلسا على الأرض وأكلا الخبز الجاف معاً، ثم تذكّر فريدر أمراً فسألها: «كترليز، هل أقفَلتِ باب الدار عندما غادرتِ؟ فقالت: «لا فريدر، كان عليك أن تنبهني مسبقاً». فقال: «عودي إذاً إلى الدار واقفلي الباب قبل أن تغادري، واحضري معك شيئاً آخر للأكل. سأنتظرك هنا». رجعت كترليز وهي تفكر: «فريدر يريد شيئاً آخر للأكل. يبدو أن كرات الجبن والزبدة لم تعد تعجبه. طيب، سأملأ قماشة بفواكه مجففة وآخذ إبريق خلٍ للشرب». بعد ذلك

Twitter: @ketab_n

أوصـدت القسم العلوي من البـاب، أما القسم السفلي فقـد رفعته من مفاصله وحملتـه على كتفها وفي ظنّها أنها إن أمَّنت الباب فقد أمَّنت الدار كلها. مشت كترليز متمهلة وهي تفكر: «كلما تأخرتُ على فريدر تطولُ استراحته». وحينما وصلتْ إليـه أخيراً بادرته بقولها: «خذْ فريدر، إليك بـاب الدار السفلي، اقفله بنفسـك!» فصاح فريدر: «يـا إلهي ما أذكى زوجتي! تفـكُ القسم السفلي من مكانه كـي يدخلَ كل من هبَّ ودبَّ، وتوصّدُ القسـم العلوي. لا جدوى الآن مـن العودة إلـى الدار ثانية. ولكن بما أنكِ قد أحضـرتِ الباب حتى هنا فتابعي حملـه». فأجابته: «سأحمل الباب يا فريـدر، أما الفواكه المجففة وإبريق الخل فستُثقلُ علي جدّاً، لذلك سأعلّقها على الباب، فليحملها هو».

دخـلا الغابـة باحثين عن اللصوصـ، لكنهما لم يجدا أحـداً. وأخيراً عندما هبـط الظلام تسلّقا شجرة ليقضيـا الليل عليها. ومـا إن استتب وضعهما فوق، حتى وصل اللصوص القادرون على سرقة الكحل من العين، واستقر لهم المقام تحـت الشجرة نفسها، أوقدوا ناراً وأرادوا تقاسم الغنائم. نزل فريدر من الجهة الأخرى للشجـرة، جمع بعض الحجارة، وعاد فتسلـق الشجرة هادفاً إلى قتل اللصوصـ برميهم بالحجارة. لكن الحجـارة لم تصبهم، بل تساقطت حولهم، فقالـوا لبعضهـم: «لقد اقترب الفجر، والريـح تهز أكواز التنّوب فتسقط علينا». وكترليـز التي ما زالت تحمل الباب على كتفها فيضغط بثقله عليها، فكرت بأن سبـب ذلك يعود إلـى وزن الفواكه المجففة فقالت: «فريدر، لا بد من أن أرمي الفواكه المجففة لثقلها»، «ليس الآن، كترليز، لأنها ستكشفنا» أجاب زوجها، فقالـت: «ولكنها تضغط عليّ جداً يا فريدر، لا بد من أن أرميها». فقال بحنق: «ارميها إذاً، لجهنم!» فتدحرجت الفواكه المجففة بين الأغصان نحو الأسفل، فقال اللصوص لبعضهم: «الطيور تزرق علينا».

بعـد فترة قصيـرة، ولأن ضغط ثقل البـاب ما زال مستمـراً، قالت كترليز: «فريـدر، لا بد مـن أن أُفرغ إبريق الخـل»، فأجابها زوجهـا: «لا يا كترليز، لا تفعلـي ذلك، وإلا انكشفنا!» فقالت بإصرار: «لكن لا بد يا فريدر، فهو يضغط

Twitter: @ketab_n

علـيّ جداً». فأجابها بحنق: «أفرغيـه إذاً، لجهنم!» فسكبت كترليز الخل على الأغصـان فأصاب رذاذه اللصوصـ تحت، فقالوا لبعضهم: «بـدأ الندى يقطر علينا».

وأخيراً قالت كترليز لنفسها: «هل يمكن أن يكون الباب هو الذي يضغط عليّ بهذا الشكل؟» وقالت لزوجها: «أنا مضطرة لرمي الباب يا فريدر». فقال محذراً: «إيـاكِ، ليسـ الآن، فسقوطه سيكشفنا» لكنها ألحت قائلـة: «ولكنه يضغط عليَّ بطريقـة لا تحتمل». فقال: «إيـاكِ كترليز، امسكيه جيداً!» «بـل سأتركه يسقط» أجابتـه، فـردَّ غاضباً: «اتركيـه إذاً، لجهنم!» وسقط الباب خابطـاً الأرض خبطة مدوية، فقال اللصوص لبعضهم: «سينزل لنا الشيطان من الشجرة!» وولوا الأدبار تاركيـن كل شيء وراءهـم. ومع الفجر عندمـا نزل الزوجان عـن الشجرة وجدا ذهبهما كله، فحملاه وعادا إلى دارهما.

فـي الدار قال فريـدر لكترليز: «يجب عليـكِ منذ اليوم يا كترليـز أن تتنشطي وتشتغلـي بهمّـة» فأجابته: «طيب يا فريـدر، سأقوم بذلك، سأخـرج إلى الحقل وأحصـد الحبـوب». وعندما صارت كترليز في الحقل قالـت لنفسها: «هل آكل قبـل أن أحصد أم أنام قبل أن أحصـد؟ الأفضل أن آكل أولاً!» فأكلت حتى شبعت وأثقل النعاسـ على عينيها، وعندما بدأت تحصد، نصف حالمة، مزقّت بالمنجل اليدوي جميع ثيابها: المئزر والتنورة والقميص، ثم نامت طويلاً، ولمّا استيقظت وفركـت عينيها وجدت نفسها نصـف عارية، فتساءلت: «هل أنا كترليز يا ترى أم لستُ أنا؟ أنا حتماً لست هي!» وفيما تتساءلُ وتفكر صار الوقت ليلاً، فعادت إلى القريـة وتوجهت نحو الدار وقرعت على النافذة وهي تنادي: «فريدر، هل كترليز في الـدار؟» فأجابها فريدر: «طبعاً طبعاً، إنها نائمة فـي فراشها». «حسن إذاً، أنا مطمئنة الآن». وتابعت طريقها.

في طريـق القرية التقت كترليز بعضَ المحتالين الذيـن يريدون السرقة، فقالت لهم: «سأساعدكم في السرقة»، فظن المحتالون أنها تعرف إمكانيةً جيدة فوافقوا.

Twitter: @ketab_n

فأخـذت كترليز تقف أمام كل باب من الأبواب وتصيـح: «يا ناس، أعندكم شيء للسرقـة؟ نريد أن نسـرق». فقال المحتالون لبعضهم: «إنهـا ستورطنا»، وفكروا بطريقـة للخلاص منها، فقالـوا لها: «في حقـل الخوري عنـد أول القرية يوجد كثير مـن الجزر،اذهبي واقتلعي لنا شيئاً منه!»فذهبـت كترليز إلى حقل الخوري وجلست علـى الأرض تقتلع الجزر، ومن شدة كسلهـا فإنها لم تنهض. مر رجل قـرب الحقل فرآهـا وتوقف وهو يقول لنفسه: «لا شك أنـه الشيطان الذي ينتزع المزروعات. فأسرع إلى منـزل الخوري في القرية وقال له: «يا سيدي الخوري، هناك شيطان في حقلكم ينتزع المزروعات»، «يا إلهي»، أجاب الخوري وأردف: «لكـن رجلـي مشلولة، ولا أقدر أن أخرج إلى الحقل لأطـرده». فقال له الرجل: «تعكـز عليّ يـا أبونا» وساعده في الخروج. وعندما وصـلا إلى الحقل، اعتدلت كترليز ونهضت واقفة، فصاح الخوري: «إنه الشيطان!» وهرب كلاهما بسرعة. ومن شدة الخوف نسي الخوري الشلل ومشى معتدلاً كالرجل الذي كان يسنده.

×××

Twitter: @ketab_n

(٦٠)

الأخـوان

فـي قديم الزمــان، كان هناك أخـوان، أولهما غنــي والثاني فقيـر. كان الغني صائـغ ذهب قاسي القلب، والفقيـر الطيب الحلو اللسان كان يكسب رزقه بصنع المكانس، وكان عنده صبيان تـوءم يشبهان بعضهما بعضاً مثل قطرتي ماء، وكانا يترددان على بيت عمهما الغني فيحصلان أحياناً على شيء من فتات مائدته.

وحـدث ذات يوم أن خرج الفقير إلى الغابة ليجمع بعض الحطب، فرأى طيراً ذهبيـاً رائـع الجمال؛ لم ير مثله قط. فتناول حصاة ورمـاه بها فأصابه، لكن الطير هرب مخلفاً وراءه ريشة واحدة سقطت على الأرض. التقط الفقير الريشة وأخذها إلى أخيه الصائغ الذي فحصها وقال: «إنها من ذهب خالص»، وأعطاه ثمنها كثيراً من النقود.

في اليوم التالي تسلق الفقيـر شجرة بتولا ليقطع بعض أغصانها للموقد فشاهد عشـاً فيه بيضة ذهبية. أخذها إلى أخيه الـذي فحصها وقال أيضاً: «إنها من ذهب خالصـ»، وأعطاه قيمتها مالاً وفيراً، ثم قال لـه: «أرغب في الحصول على الطير نفسه».

خرج الفقير إلى الغابة مرة ثالثة، فرأى الطير الذهبي واقفاً على الشجرة، فالتقط حجـراً كرويـاً ورماه به فقتله وجلبه إلى أخيه الذي منحـه لقاءه كمية من الذهـب، فقال الفقير لنفسه: «الآن سأتمكن من تدبير أموري»، وعاد إلى بيته راضياً.

كان صائـغ الذهب ذكيـاً خبيثاً، وكان يعرف حقيقة هـذا الطير. نادى زوجته

Twitter: @ketab_n

وقـال لها: «اشوي لي الطير الذهبـي وانتبهي لئّلا يسقط منه أي شيء: أشعر برغبة في أن آكله كله وحدي». بيد أن الطير لم يكن طيراً عادياً، بل من نوع عجيب، فمن يـأكل قلبه وكبده يجد صباح كل يوم قطعـة ذهبية تحت وسادته. جهزّت الزوجة الطير وشكّته على سيخ نصبته فوق النار حتى يُشوى. وفي أثناء عملية الشي، بينما خرجت الزوجـة من المطبخ لقضاء حاجات أخرى، دخـل الصبيان التوأم ووقفا أمام سيخ الشي وأداراه بضع مرات. وعندما سقطت من الطير في المقلاة قطعتان صغيرتـان، قال أحدهما للآخر: «لنأكل هـذه اللقيمات، اشعر بجوع شديد، ولن يلاحـظ أحد شيئاً». أكلا القطعتين، فرأتهما الزوجة عند دخولها وسألتهما: «ماذا أكلتمـا؟» «لقيمـات سقطت من الطيـر». أجاب الثاني. جزعـت المرأة وقالت: «كان ذلـك قلـب الطير وكبـده»، وكيلا يلاحـظ زوجها شيئـاً فيغضب، جاءت بسرعـة، بفرخ دجـاج صغير، ذبحته وأخذت منه القلب والكبـد وأضافتهما إلى الطيـر الذهبي. وعندما استـوى الشواء قدمته للصائغ الـذي أكله وحده ولم يترك منـه شيئاً. لكنه عندما مد يده في صبـاح اليوم التالي تحت وسادته ليخرج القطعة الذهبية، خرجت يده خاوية الوفاض.

لـم يكـن التوأم على علم بالحظ الـذي نزل عليهما، ففوجئا عنـد استيقاظهما صباحـاً بسقوط شيء يـرن على الأرض، وعندمـا التقطاه رأيـا قطعتين ذهبيتين، فقدماهما لأبيهما الـذي اندهش وتساءل: «كيف لهذا أن يحدث؟» ولكن عندما تكرر الأمر في اليوم التالي والذي بعده، توجه الأب إلى دار أخيه وحكى له القصة الغريبـة. أدرك الصائـغ فوراً أن الصبيين قد أكلا قلب الطيـر الذهبي وكبده. ولأنه كان قاسي القلب حسوداً وأراد الانتقام قال لأبيهما: «لقد تلبّس الشيطان ولديك. إيـاك أن تأخذ الذهـب، ولا تتوانَ عن طردهما مـن دارك، لقد امتلكهما الشيطان ويمكـن لأذاه أن يطالكَ أنت فيهلكك». خـاف الأب من الشيطان وشره، وعلى الرغـم من صعوبة الأمر على قلبه قاد التوأم إلى الغابة وتركهما هناك، وقفل راجعاً بقلب محزون.

جـال الصبيّان فـي الغابة هنا وهناك بحثاً عن طريق العـودة إلى البيت، لكنهما

Twitter: @ketab_n

لـم يجداه، بـل ازدادا تَوهَاً. وأخيـراً التقيا صيـاداً سألهما: «من هـو أبوكما أيها الصبيـان؟» فأجابـا: «أبونا هو صانـع المكانس الفقير»، وحكيا لـه أن أباهما لم يعد يريد بقاءهما في الدار، بسبب قطعتي الذهب اللتين يجدانها كل صباح تحت الوسـادة. فقـال الصياد: «ليس هـذا بالأمر السيـئ إذا بقيتمـا مستقيمي السلوك ونشيطيـن في العمل». وبما أن الصياد الطيب قد أُعجب بالولدين وكان بلا ذرية، أخذهمـا معه إلـى داره وقال لهما: «سأكون لكما بمنزلـة الأب وسأربيكما حتى تكبـرا»، فتعلما عنده الصيـد، وصار يحفظ لهما قطع الذهـب التي يجدانها عند الاستيقاظ، عسى أن يحتاجا إليها عندما يكبران.

عندمـا كبـرا أخذهمـا مربّيهما ذات يـوم معه إلـى الغابة وقال لهمـا: «اليوم ستطلقـان رصاص الاختبار كي أعلنكما صيادَيـن مؤهلَّين. ذهبا معه إلى المكْمَن وانتظـرا طويلاً من دون أن تظهر أية طرائد، فرفع الصياد عينيه نحو السماء فشاهد سرباً من الإوز متخذاً شكل مثلث، فقال للأول: «أطلق على إوزة من كل طرف»، فنفـذ الصبي ونجح في الاختبار. بعد قليل حلَّق فوقهـم سرب آخر بشكل قوس، فطلب الصياد من الفتـى الثاني الطلب نفسه، فنفذ ونجح أيضاً. وعندها قال لهما مربيهما: «إني أعلنكما الآن صيادَين مؤهلين».

بعـد ذلك توغل الفتيان في الغابة وتشاورا واتفقا على أمر وعادا. ولمّا جلسوا مساءً إلى مائدة الطعام قال الفتيان لمربيهما: «لن نمد أيدينا إلى الطعام، ولن نأكل لقمة منـه قبل أن تلبي لنا رجاءً». «وما هو هذا الرجاء؟» سألهما مربيهما، فأجابا: «لقد تدربنا ونجحنا في الاختبار، وعلينا الآن أن نخرج إلى الدنيا الواسعة لنجرب حظّنا، فاسمح لنا بالمغادرة». فقـال الصياد بفرح: «إنكما تتحدثان مثل صيادين شجاعيـن. ورجاؤكمـا كان رغبتي، فانطلقا وستوفقان فـي مسعيكما». وبعدها تناولا الطعام والشراب بهناء وسرور.

عندمـا جاء اليوم المحدد أهدى المربي كلاً منهمـا بندقية جيدة وكلب صيد، وترك لكل منهما أن يأخـذ من مدخراته الذهبية ماشاء. رافقهما شوطاً من الطريق

Twitter: @ketab_n

وأعطاهمـا عند الوداع سكيناً لمّاعة وقـال: «إذا اضطررتما يوماً للافتراق فاطعنا بهـذه السكين شجرةً في مكان افتراقكما، كي يتمكن أحدكما عندما يعود من أن يعـرف حالة أخيه الغائب. فصفحة النصل المشيرة إلى جهة ابتعاد الغائب ستصدأ إذا مات. لكنها ستبقى لمّاعة ما دام حيّاً».

تابـع الأخوان التوأم طريقهما حتى بلغا غابة شاسعة لا يمكن لهما عبورها في يـوم واحد. فأمضيا الليلة فيها وأكلا الزوّادة الموجودة في حقيبة صيد كل منهما. لكنهمـا قطعا يوماً آخر عبر الغابة من دون أن يخرجـا منها، وبما أن زوادتهما قد نفدت، قـال الأول: «لا بد من أن نصطاد شيئاً، وإلا فإننا سنجوع»، ولقَّم بندقيته وتلفت حوله وصوَّب نحو أرنب عجوز عابر، فصاح به الأرنب:

«أيها الصياد الطيب، اهدني حياتي،

فأمنحك لقاءها اثنين من فلذاتي».

وقفـز بيـن الشجيرات وأحضـر أرنبين صغيريـن أخذا يلعبـان بحيوية ولطف بالغين، فصعُب على الصياديـن قتلهما، بل احتفظا بهما وتابعا الطريق والصغيران يتبعانهما خطوة فخطوة. بعد برهة تسلل أمامهما ثعلب فأرادا صيده، فهتف:

«أيها الصياد الطيب، اهدني حياتي،

فأمنحك لقاءها اثنين من فلذاتي».

وأحضـر لهما ثعلبيـن صغيرين، صعب علـى الصيادين قتلهمـا أيضاً، فانضما إلـى الأرنبين ولحقا بالصياديـن. بعد مدة وجيزة خرج ذئب مـن أجمة، فصوَّب الصيادان نحوه، فصاح:

«أيها الصياد الطيب، اهدني حياتي،

فأمنحك لقاءها اثنين من فلذاتي».

Twitter: @ketab_n

ضمّ الصيادان الذئبين الصغيرين إلى الحيوانات الأخرى التي تلحق بهما. وبعد قليل واجها دباً كان مولعاً بمتع الحياة، فصاح:

«أيها الصياد الطيب، اهدني حياتي،

فأمنحك لقاءها اثنين من فلذاتي».

فالتحق بالمجموعة دبّان صغيران فبلغ العدد الآن ثمانية. ولكن مَن ظهر للصيادين أخيراً؟ إنه الأسد يهزُّ بفروته، ومع ذلك لم يخف الصيادان منه، بل صوّبا نحوه، فصاح أيضاً:

«أيها الصياد الطيب، اهدني حياتي،

فأمنحك لقاءها اثنين من فلذاتي».

وأحضر أيضاً شبلين، فصار عند الصيادين: أسدان ودبّان وذئبان وثعلبان وأرنبان يتبعونهما ويقومون على خدمتهما، بيد أن جوعهما لم يسكت بذلك، ولهذا قالا للثعلبين: «اسمعا أيها السلاّلين، دبّرا لنا شيئاً لنأكله، فأنتما ماكران بدهاء»، فأجاب الثعلبان: «هناك قرية قريبة كنا نصطاد منها الدجاج، سندلّكما على الدرب إليها». ذهبوا جميعهم إلى القرية حيث اشترى الصيادان طعاماً لهما وللحيوانات وتابعوا الطريق. كان الثعلبان على معرفة جيدة بالمنطقة وبأمكنة تواجد الدواجن هنا وهناك، فكانا يدلّان الصيادين طوال وقت التجوال.

استمر الصيادان مدةً في التجوال دون أن يجدا مكان عمل يشغّلهما كليهما معاً، فقالا لبعضهما: «يبدو أنه لا بد من أن نفترق». اقتسما الحيوانات بحيث تبع كلاً منهما أسدٌ ودبٌ وذئب وثعلب وأرنب، ثم ودّعا بعضهما وتعاهدا على استمرار المحبة الأخوية بينهما حتى الممات. أخرجا السكين التي زودهما بها مربيهما وطعنا بها شجرة، واتجه أولهما نحو الغرب، والثاني نحو الشرق.

Twitter: @ketab_n

وصـل أولهما مع حيواناته إلى مدينة تغطيها كلهـا أوشحة سوداء. دخل إلى نُزُلٍ وسأل صاحبه عن إمكانية إيواء حيواناته، فأعطاهم صاحب النزل اصطبلاً، توجـد في جداره كوّة، تسلل منها الأرنب وأحضر لنفسه رأسَ ملفوفٍ أخضر، تبعـه الثعلب وأحضر لنفسه دجاجة وديكاً افترسهما، أما الذئب والدب والأسد فلـم يتمكنوا مـن عبور الكوة بسبـب ضخامة أجسامهـم، فأخرجهم صاحب النـزل إلى مـرجٍ ترعى فيه بقـرة فافترسوها حتى شبعوا. بعـد أن اطمأن الصياد علـى أحوال حيواناته، سأل صاحبَ النـزل عن سبب سواد الحِداد الذي يُغلّف المدينـة، فأجابـه: «لأن ابنة ملكنا الوحيـدة ستموت غداً». فسألـه مستفسراً: «وهل مرضُها مميت؟» فأجاب: «لا، إنها في تمام الصحة والنشاط، ومع ذلك يجب أن تموت». «وكيف هذا؟» قال الصياد، فحكى له صاحب النزل القصة: «هنـاك خارج المدينـة يوجد جبل عال، يسكن قمته تنيـن يجب أن يحظى منا كل سنـة على عذراء طاهـرة وإلا دمَّر البلاد كلها. وقدْ قدّمنا له حتى الآن جميع عذراواتنـا، ولم يتبق سوى الأميرة، ابنة ملكنا. ومع ذلك لا رحمة ولا عفو، بل يجـب أن تُقدم إليـه غداً صباحاً». فتابع الصياد يسألـه: «ولماذا لم تعملوا على قتـل التنين؟» فأجاب صاحب النزل: «أخ، لقـد حاول ذلك كثير من الفرسان، فخسـروا أرواحهـم. وقد وعدَ الملكُ مـن ينتصر على التنين بالـزواج من ابنته وبوراثة العرش من بعده».

لـم يعلّق الصياد بشيء على هذا الكلام، لكنـه أخذ حيواناته في صباح اليوم التالي وصعد معهم إلى جبل التنين. وجد على القمة كنيسةً صغيرة، ورأى على المذبـح بداخلها ثلاثـة أقداح مملوءة، وقد كُتبَ تحتهـا: «مَن يشرب الأقداح يصبـح أقـوى رجل فـي الدنيا وبمقـدوره أن يستـل السيفَ المغمـدَ عند عتبة البـاب». لم يقدِم الصياد على الشرب، بل توجه نحو الباب وبحث عن السيف المغمـد في الأرض، لكنه لم يتمكن من سحبـه أو حتى تحريكه. عندها ذهب إلى المذبح وشرب الكؤوس الثلاثة، فدبّت القوة في ساعديه وتمكن من استلال السيف ومن التلويح به بخفة.

Twitter: @ketab_n

وعندما أزِفت ساعة تقديم الأميرة إلى التنين رافقها الملك وقائد الجيش والحاشية. رأتِ الصياد من بعدٍ واقفاً على القمة فظنته التنينَ واقفاً بانتظارها، فرفضت الصعود. لكنها قبلت أخيراً لتنقذ المدينة كلها من الخطر وصعدت الدربَ الصعب. أما الملك وحاشيته فعادوا إلى القصر يغمرهم الحزن. وأما قائد الجيش فكان عليه أن يبقى ليراقب من بعيد كل ما يجري.

عندما وصلت الأميرة إلى قمة الجبل، لم تجد التنين بانتظارها بل صياداً شاباً، واساها ووعدها بإنقاذها. قادها إلى داخل الكنيسة وأوصد عليها الباب. بعد فترة قصيرة أتى التنين ذو الرؤوس السبعة يصفق بجناحيه بصخب، وعندما رأى الصيادَ، استغربَ وجودَه وقال له: «ما الذي أتى بك إلى قمة هذا الجبل؟» فأجابه الصياد: «أريد أن أنازلك». فقال التنين: «كثير من الفرسان فقدوا حياتهم هنا، وأنت لن تكون أفضل منهم»، ونفث من حلقِه ناراً لتُشعل العشبَ الجافَ فيختنقُ الصيادُ باللهب والدخان، ولكن سرعان ما هرعت الحيوانات الخمسة لإطفاء النار بقوائمها. عندها هجم التنين على الصياد الذي لوَّح بسيفه وقطع ثلاثةً من رؤوس التنين. غضب التنين غضباً هائلاً وارتفع في الهواء وقذفَ حممه النارية على الصياد لينقضَ من ثم عليه. لكن الصياد لوّح بسيفه ثانية وقطع به ثلاثة رؤوس أخرى. أُرهِق الوحش وتهاوى، لكنه أراد مع ذلك معاودة الهجوم على الصياد، الذي قطعَ له ذيله بضربةٍ قاصمة استهلكت كل ما تبقى في ساعديه من قوة، ونادى حيواناته فهجمت على التنين بسرعة ومزقته إرباً.

عندما انتهى النزال فتحَ الصيادُ باب الكنيسة فوجدَ الأميرة راقدة على الأرض مغشياً عليها بسبب الخوف من التنين ورعب المعركة. حملها الصياد إلى الهواء الطلق، فاستعادت وعيها تدريجياً وفتحت عينيها، فأراها الصيادُ التنينَ الممزّق وأخبرها بأن خلاصها قد تحقّق الآن. فرحت الأميرةُ وقالت له: «والآن ستصبح زوجي الحبيب، فقد تعهد أبي بتزويجي ممن يقتل التنين». ثم أمسكت بقلادتها المرجانية ووزعت أحجارها على الحيوانات مكافأة لهم، وحصل الأسد على قفل القلادة الذهبي. أما منديلها الذي حيكت عليه حروف

Twitter: @ketab_n

اسمهـا فقدمتـه للصياد، الذي ذهب إلـى التنين وقطع بالسيـف ألسنة الرؤوس السبعة ولفَّها بمنديل الأميرة وحفِظه جيداً في محفظة الصيد.

عندما انتهى من ذلك ولأنه كان منهكاً من النزال والدخان والنار، قال للأميرة العذراء: «كلانا متعبٌ ومرهق، دعينا ننام هنا قليلاً». وافقت الأميرة، فاستلقيا فوراً على الأرض. قال الصياد للأسد: «عليك واجب حراستنا، كيلا يهاجمنا أحد أثناء نومنـا»، وغفا فوراً مع الأميرة، استلقـى الأسد إلى جانبهما ليحرسهما، لكنه كان أيضـاً متعباً من المعركـة، فنادى الدب وقال له: «استلق إلـى جانبي، سأنام قليلاً، وإذا حدث شيء، أيقظني!» استلقى الدب إلى جانب الأسد، لكنه كان أيضاً متعباً، فنادى الذئب وقال له: «استلق إلى جانبي، سأنام قليلاً. وإذا حدث شيء، أيقظني!» والذئـب كان أيضاً متعباً، فنادى الثعلب وقال له: «استلق إلى جانبي. سأنام قليلاً. إذا حدث شيء، أيقظني!» لكنه كان أيضاً مرهقاً من المعركة، فنادى الأرنب وقال لـه: «استلق إلى جانبي. سأنام قليلاً، إذا حدث شيء، أيقظني!» اعتدل الأرنب في جلستـه إلى جانب الذئب ليقـوم بواجبه، لكن المسكيـن كان أيضاً متعباً، وليس هناك من يكلفه بواجب الحراسة، فغفا ونام.

أما قائـد الجيش الواقف بعيداً أسفل الجبل، ليراقـب ما يجري، فإنه عندما لم يـرَ التنيـنَ يحلق حاملاً الأميرة العذراء، وأنَّ كل شـيء هادئ على القمة، استجمع شجاعته وصعد إلى القمة، فوجد التنين ممزّقاً وأجزاءه مفصولة عن بعضها ومتناثرة على الأرض، ورأى على مسافة قريبة الأميرة والصيادَ الشاب وحيواناتِه في سباتٍ عميـق. ولأنه كان شريراً زنديقاً استل سيفَه وقطع بـه رقبة الصياد، وحمل العذراء علـى ساعديه وهبط. استيقظت الأميرة وفزعت مما رأت، فقال لها القائد: «أنتِ الآن بيـن يـدي، وعليكِ أن تقولي أني أنـا مَن قتل التنيـن»، فأجابته: «لا يمكنني ذلـك، فالصيـاد قام بذلك مع حيواناتـه». فاستل سيفه ثانيـة وهددها بالموت إن لـم تُطِعه وأجبرها علـى أن تعده بذلك. ثم أخذها إلى الملك الذي فاض به الفرح عندمـا شاهد ابنته حية ثانية، بعد أن ظن بأن الوحش قـد مزقها وافترسها. خاطبه القائد قائلاً: «لقد قتلـتُ الوحشَ وحررتُ الأميرة والمملكة كلها منه، وبناءً عليه

Twitter: @ketab_n

فإنـي أطالب بالأميـرة زوجةً لي حسبَ العهـد المتفق عليه. فســأل الملك ابنته: «أصحيح مــا يقوله القائد؟» فأجابته: «نعم، لا شك فـي صحته، لكني أشترط أن يتـم عقد القران بعد مرور سنــة على هذا اليوم». فقد اعتقـدت بأنها، خلال هذه المدة، لا شك ستسمع شيئاً عن حبيبها الصياد.

أمّـا على قمـة جبل التنين فقـد كانت الحيوانـات الخمسة لا تـزال نائمة إلى جانـب سيدهـا القتيل، فجاءت نحلـةٌ طنّانةٌ ضخمةٌ وحطّت علـى أنف الأرنب، لكـن الأرنب هشّهـا بيده وتابع النوم. عاودت النحلة الوقـوف على أنفه، فهشّها ثانية، لكنها عادت مرة ثالثة ووخزته بإبرتها في أنفه، فاستيقظ وأيقظ الثعلب الذي أيقـظ الذئب الذي أيقظ الدب الذي أيقظ الأسد. حينمـا استيقظ الأسدُ ورأى أن الأميرةَ مفقودةٌ وسيدَه مقتولٌ زأر بصوت رهيب وصاح: «من فعل ذلك؟ لماذا لم توقظنـي أيها الدب؟» فسأل الدب الذئب الـذي سأل الثعلب الذي سأل الأرنب: «لمـاذا لم توقظني؟» ولم يعرف الأرنب المسكيـن جواباً لهذا السؤال، فبقي هو وحـده المذنب، وكادوا ينقضّون عليه، لكنـه ترجاهم قائلاً: «لا تقتلوني. سأعيد الحياة إلى سيدنا، فأنا أعرف جبلاً تنبت عليه نبتة، مَن يضع جذرها في فمه يُشفى من جميع الأمراض والجراح. لكن الجبلَ يبعد عن هنا مسافة مئتي ساعة». فأمره الأسدُ قائلاً: «عليك أن تذهب وتعود خلال أربع وعشرين ساعة ومعك الجذر». فقفز الأرنب ذاهباً، وعاد بعد أربع وعشرين ساعة حاملاً الجذر.

أعـاد الأسد رأس الصياد إلى جذعه ووضـع الأرنبُ جزءاً مـن الجذر في فم الصيـاد، فاندملـت جراح العنق فوراً وعـاد القلب لخفقانه، فعـادت إليه الحياة. استيقظ الصيادُ وجزع عندما لم ير الأميرةَ إلى جانبه وفكر: «لقد هربت أثناء نومي لتخلص منـي». كان الأسدُ نتيجةَ تعجله قد وضع رأس الصياد بشكل معكوس، لكـن الصيادَ لم يلاحظ ذلك بسبب غرقه في أفكاره الحزينة حول الأميرة، ولكن عندمـا حان وقت الظهر وأراد الصياد أن يأكل شيئاً، انتبه إلى أن رأسه مفتولٌ نحو ظهـره، ولم يدرِ تفسيراً لذلك. فسأل الحيوانات عمّا جرى له خلال نومه. أخبره الأسـد بأنهم قد ناموا أيضـاً بسبب التعب، وأنهم عنـد الاستيقاظ وجدوه مقتولاً

Twitter: @ketab_n

ورأسَه مقطوعاً، وأن الأرنب قد جلب جذر الحياة، لكن الأسد أخطأ عند تركيب الرأس بسبب العجلة، وأنه سيصلحُ خطأه، ففصلَ رأسَ الصيادِ ثانيةً عن جذعه، ثم أداره إلى الاتجاه الصحيح واسرعَ الأرنب فعالجه بالجذر فشفي.

غلبَ الحزن الصيادَ فتجول في أنحاء الدنيا جاعلاً حيواناته ترقص أمام الناس، ولكن حدثَ أنه بعد عام كامل تماماً، عاد إلى المدينة نفسها، حيث أنقذ الأميرة من التنين، فوجد المدينة هذه المرة متشحة بغلالة حمراء. فسأل صاحبَ النزل: «ما معنى هذا؟ قبل سنةٍ كانت المدينة متّشحةً بالسواد، فما سبب اللون الأحمر اليوم؟» فأجابه: «قبل سنة كان على أميرتنا أن تُقدَّم إلى التنين، لكن القائد نازل التنين وقتله، ولذلك سيُعقد قرانهما غداً. فكان الأسود آنذاك دلالةَ حزن، والأحمرُ الآنَ دلالةُ فرح».

في اليوم التالي، موعدِ عقد القران قال الصياد عند الظهر لصاحب النزل في المطعم: «أتراهن يا سيد على أني عندكَ اليوم سآكل من خبز الملك؟» فأجابه صاحب النزل: «موافق، وأراهن بمئة قطعة ذهبية على أنك لن تنجح في ذلك». قبلَ الصيادُ الرهان ووضع مقابله كيساً يحتوي على العدد نفسه من القطع الذهبية. نادى إليه الأرنبَ وأمره: «اذهب يا عزيزي النطّاط واحضر لي خبزاً من الذي يأكله الملك!» كان الأرنب أصغر حيوانات الصياد حجماً، فلم يكن هناكَ من يستطيعُ تكليفه بالمهمة، فعليهِ إذاً أن ينجزها بنفسه. وفي الطريق فكر: «يا سلام، إذا تابعتُ الطريق وحدي هكذا، ستلحق بي كلابُ اللّحامين». ما كادَ ينهي فكرتَه حتى لحقتْ به الكلابُ فعلاً، وكادت أن تنهشَ فروته الجميلة، لولا أن أسرعَ والتجأ إلى محرس من دون أن يلحظه الحارس. اقتربت الكلابُ تبغي إخراجه، بيد أن الحارس لا يعرفُ المزاح أثناء مناوبته فاستخدمَ أخمص بندقيته في ضرب الكلاب حتى فرّت وهي تولول. عندما لاحظ الأرنبُ أن الخطر قد زال، قفز نحو قصر الملك متجهاً إلى ابنة الملك مباشرة. جلس تحت كرسيها وربّت على قدمها، فقالت: «اذهب من هنا!» وهي تظن أنها تخاطب كلبها. لكن الأرنب لم يرتدع وربّت على قدمها ثانية، فكررت الأميرة قولها. لكن الأرنب ربّت مرة

Twitter: @ketab_n

ثالثة، عندها نظرت الأميرة نحو الأسفل وتعرفت على الأرنب من قلادته، فحملته إلى حضنها ثم أخذته إلى حجرتها وسألته: «ما الذي تريده يا عزيزي الأرنب؟» فأجابها: «سيدي الذي قتل التنين موجود هنا وقد أرسلني لأحضر له رغيفاً من خبز الملك». غمرت السعادةُ الأميرةَ وأرسلت في طلب الخبّاز وأمرته بإحضار رغيفٍ من خبز الملك. فأردف الأرنب قائلاً: «وأرجو أن يحمله الخباز عني حتى لا تهاجمني كلابُ اللّحامين». رافق الخباز الأرنب حاملاً الرغيف حتى باب النزل، وعندها انتصب الأرنبُ على قائمتيه الخلفيتين، حملَ الرغيفَ بقائمتيه الأماميتين وأوصله إلى سيده الصياد، الذي قال لصاحب النزل: «أترى يا سيد! الذّهباتُ المئة صارت من نصيبي».

استغرب صاحب النزل الأمر، لكن الصياد تابع وقال: «نعم يا سيد، الخبز صار عندي، لكنني أريد الآن أن آكل من شواء الملك». فعلّق صاحب النزل: «بودّي أن أرى ذلك»، من دون أن يراهن من جديد. نادى الصيادُ الثعلبَ إليه وأمره: «اذهب يا ثعلبي العزيز إلى القصر واحضِر لي من شواء الملك!» كان الثعلب الأحمر أشطر من الأرنب في التسلل عبر المنعطفات والزوايا من دون أن يشعر به أي كلب. جلس تحت كرسي الأميرة وربّت على قدمها. نظرت الأميرة نحوه وتعرفت على الثعلب من قلادته، فأخذته معها إلى حجرتها وسألته: «ماذا تريد يا عزيزي الثعلب؟» فأجابها: «سيدي الذي قتل التنين موجود هنا وقد أرسلني لأحضر له بعضاً من شواء الملك». أرسلت الأميرة في طلب الطبّاخ وأمرته بتحضير طبق من مشاوي الملك وحملِه بمرافقةِ الثعلب إلى باب النزل. عند الباب تناول الثعلب الطبق، لوّح بذيله لإبعاد الذباب عن اللحم وقدّمه لسيده الصياد، الذي قال لصاحب النزل: «أترى يا سيد! صار عندي الخبز واللحم، لكنني أريد الآن أن آكل من خضراوات الملك».

ونادى إليه الذئبَ وأمره: «اذهب يا ذئبي العزيز إلى القصر واحضِر لي من خضراوات الملك!» توجه الذئب نحو القصر مباشرة من دون أن يخافَ أحداً، وعندما دخل حجرة الأميرة جذب ثوبها من الخلف قليلاً، ما اضطرها إلى

Twitter: @ketab_n

الالتفات، فتعرفت عليه من قلادته فسألته: «ماذا تريد يا عزيزي الذئب؟» فأجاب: «سيـدي الذي قتل التنين موجود هنا، وقد أرسلني لأحضر له شيئاً من خضراوات الملـك». طلبت الأميرة الطباخ وأمرته بتحضير طبق خضراوات مما يأكل الملك وحملِـه بمرافقةِ الذئب إلى باب النزل. عند الباب تناول الذئب الوعاء من الطباخ وأدخلـه إلى سيده الصياد، الذي قال: «صار عندي الخبز واللحم والخضراوات، لكنني أريد أن آكل من حلويات الملك».

ونـادى إليـه الدبَ وأمره: «يا دبـي العزيز، بما أنك تحـب لحسَ الحلويات، اذهـب إلـى القصر واحضِر لـي من حلويات الملـك». خبَّ الدبُ إلـى القصر، والناس يبتعدون من طريقه، لكنه عندما وصل إلى الحرس اعترضوه ببنادقهم لمنعه مـن الدخـول، فانتصب واقفاً ووزع بعض الصفعات يميناً ويسـاراً حتى تساقط الحرس، فدخـل إلى الأميرة مباشرة، دبَ وراءها وحمحـم قليلاً. التفتت الأميرة إلـى الخلف وتعرفت عليه من قلادته، فأشارت لـه أن يتبعها إلى حجرتها، وهناك سألتـه: «ماذا تريد أيها الـدب؟» فأجابها: «سيدي الذي قتـل التنين موجود هنا، وقد أرسلني لأحضر له شيئاً من حلويات الملك». طلبت الأميرة صانع الحلويات الملكيـة وأمرته بتحضير بعض حلويـات الملك وحملِها بمرافقةِ الدب حتى باب النزل. وعندها التقط الدبُ بعض حبّاتَ الكرز التي سقطت من الصحفة ثم انتصبَ وأخـذ الصحفة من الصانع وأدخلها إلـى سيده الصياد، الذي قال لصاحب النزل: «أتـرى يا سيد! صار عندي خبز ولحم وخضراوات وحلويات، لكنني أرغب في شرب النبيذ أيضاً، ومن نبيذ الملك تحديداً».

نـادى الأسدَ إليه وأمـره: «يا عزيزي الأسد، أنت تحـبّ النبيذ المنعش أيضاً، فاذهــب إلى القصر واحضر لي شيئاً من نبيذِ الملـك!» مشى الأسدُ عبر الشوارع والناسُ يهربون مـن طريقه، وعندمـا بلغ موقع الحراسـة أراد الحرسُ منعه من الدخـول، فزأر مرةً واحدة فحسب، فهربوا كلهم. دخل الأسدُ إلى القاعة الملكية وقرع الباب بذيله، ففتحت الأميرة الباب وفزعت لرؤية الأسد، لكنها تعرفت عليه مـن قفل قلادتهـا الذهبي حول رقبته، وأشارت لـه بمرافقتها إلى حجرتها، حيث

Twitter: @ketab_n

سألتـه: «مـاذا تريد يا عزيزي الأسد؟» فأجابها: «سيـدي الذي قتل التنين موجود هنا، وقد أرسلني لأحضر له شيئاً من نبيذ الملك الخاص». فأرسلت الأميرةُ بطلب الساقـي وأمرتـه بتزويـد الأسد من نبيذ الملـك الخاص. فقال الأسـد: «سأرافقه لأتأكَد من نوع النبيـذ». ونزل مع الساقي إلى الأقبيةَ. هناكَ أراد الساقي أن يصبَّ لـه من النبيذ العادي الذي يحتسيه أتباعُ الملك. فقال له الأسد: «قف! سأذوقُه أنا أولاً»، وصـبَّ لنفسـه نصفَ لتر، جرعة دفعة واحدة، ثـم قال: «لا، ليس هذا هو النوع المبتغى». نظر إليه الساقي نظرة استخفاف وتوجه إلى برميلٍ آخر ليصب له منـه، وكان مخصصاً لقائد الجيش. قال الأسـد: «قف! سأذوقُه أنا أولاً»، وصبَّ لنفسه نصف لتر وجرعه، ثم قال: «هذا أفضل، لكنه ليس النوع المنشود». عندها غضبَ الساقي وقال: «وهل يفهمُ حيوانٌ غبيّ بأنواع النبيذ!؟» فناوله الأسدُ صفعةً على رقبته خرَّ على أثرها أرضاً. وعندما تمالك نفسه ثانية ونهض قاد الأسدَ بصمتٍ إلى قبوٍ صغيرٍ خاص، يُخزّن فيه النبيذُ الذي لا يحتسيه سوى الملك. صبَّ الأسدُ لنفسـه نصف لترٍ وجرعه، ثم قال: «هذا من النوع المنشود»، وجعلَ الساقي يملأُ لـه ستَ زجاجـات. صعدا بعد ذلك إلـى الهواء الطلق، وعندها بـدا السكُر على الأسـدِ وترنح قليلاً يمنـةً ويسرة، فاضطر الساقي إلى حمـلِ الزجاجاتِ ومرافقته حتـى باب النزل. وعندها أخذَ الأسدُ سلة الزجاجـات من الساقي بفمه وأوصلها إلـى سيده الصياد، الذي قال: «أترى يا سيد! صار عندي خبز ولحم وخضراوات وحلويـات ونبيذ كما عند الملـك، والآن سأجلس لتناول الطعـام مع حيواناتي، وأكلَ وشربَ وقدّم للأرنب والثعلب والذئب والدب والأسد من الطعام والشراب حتى غمره السرور، لشعوره بأن الأميرة لا زالت تحبه.

وبعد الانتهاء من وجبة الطعام، قال الصيادُ لصاحب النزل: «ها أنا ذا قد أكلتُ وشربـتُ مثلَ الملكِ تماماً، والآن سأذهبُ إلى بـلاطِ الملك وسأتزوج الأميرة». فسألـه صاحب النزل باستغـراب: «كيف يمكنُ لهذا أن يتحقـق، ما دام عريسُها موجودٌ وحفـلُ زفافِهما سيقامُ اليوم؟» عندها أخرج الصيـاد منديلَ الأميرةِ الذي أهدتـه إياه على قمة جبل التنين، والذي لفَّ به الصيادُ ألسنةَ الوحشِ السبعة وقال:

Twitter: @ketab_n

«مـا أُمسِكه بيدي سيساعدني في ذلك». نظر صاحبُ النزل إلى المنديل وقال: «إذا كنـتُ قد صدقتُ كل شيء، فإني لا أصدق هذا، وأراهنكَ على ذلك بالنزل وملحقاتـه». أما الصيـاد فأخرج كيساً يحتـوي ألف قطعة ذهبيـة، وضعه على الطاولة وقال: «وهذا لقاء رهانك».

أما في قصر الملك وفي أثناء تناول الطعام فقد سأل الملكُ ابنته: «ماذا أرادت منـكِ كل تلـك الحيوانات البريّة التي دخلت قصري وخرجـت منه؟» فأجابته: «لا يجوز أن أعلنَ ذلكْ، ولكنْ أرسِلْ في طلبِ سيّدِ هذه الحيوانات، وستُحسنُ بذلـك فعلاً». أرسـلَ الملكُ أحدَ خدمه إلـى النزل ليدعو الغريـبَ إلى البلاط، وقد وصلَ الخـادمُ مباشرةً عقب الرهانِ بين الصيادِ وصاحب النزل. بعد سماع الدعـوة، قال الصيادُ لصاحب النـزل: «أترى يا سيد! ها هو الملكُ يرسلُ خادمه ليدعونـي. لكنني لن أذهبَ هكذا». ثـم التفت إلى الخادم وتابع كلامه: «أرجو جلالـةَ الملكِ أن يرسلَ إليَّ ثياباً ملكيةً وعربةً تجرها ستة أحصنة وخدماً ليقوموا على خدمتي». حينما سمع الملكُ هذا الجوابَ قال لابنته: «ماذا أفعل يا ابنتي؟» فأجابته: «أحضِره بشروطهِ، وستُحسنُ بذلك فعلاً».

أرسـلَ الملـكُ إلى الصياد ثياباً ملكيةً وعربةً بستـة أحصنة وخدماً للعناية به. ولمـا رآهم الصيادُ قادمين، قال لصاحـب النزل: «أترى يا سيد! ها هم يدعونني وفق شروطي»، وارتدى الملابس الملكية وأخذَ منديلَ ألسنةِ التنين وركبَ العربةَ إلـى القصر الملكي. عندما رآه الملكُ قادماً سأل ابنته: «كيف أستقبلُه يا ابنتي؟» فأجابتـه: «تقدَّم للقائه يا أبي، وستُحسنُ بذلـك فعلاً». فتقدم الملكُ منه ورافقه مع حيواناتِه إلى قاعةِ العرشِ وأجلسه إلى جانبه وجانب الأميرة، بينما جلس قائدُ الجيش على الجانب الآخر بصفتهِ العريس، لكنه لم يتعرف على الصياد.

وعندها بُـدِئ باستعراضِ رؤوسِ التنين السبعة، وقال الملك: «هذه الرؤوسُ قطعهـا قائـدُ جيشِنا من جسم التنيــن، ولذلك فإني أقدِّم له اليـومَ ابنتي زوجةً». فنهضَ الصيادُ واقفاً، فتحَ أفواهَ الرؤوس وسأل: «أين ألسنةُ التنين السبعة؟» فجزع

Twitter: @ketab_n

قائـدُ الجيشِ وشحُب لونُه ولم يعرف جواباً، لكنه تحتَ ضغطِ الخوفِ قالَ أخيراً: «التنانين لا ألسنة لها»، فقال الصياد: «يُفترضُ بالكاذبين ألاّ يكونَ لهم ألسنة، أما ألسنةُ التنين فستُثبِت حجةَ المنتصر»، وفَرَد منديلَ الأميرةِ وفيه الألسنةُ السبعة، ثم وضعَ لساناً في فمِ كل رأسٍ من رؤوس التنين، فلاءمت أمكنتها تماماً. ثم رفعَ المنديل وأراه للأميرةِ العذراء وسألها: «لمن أهديتِ هذا المنديل الذي يحملُ اسمكِ؟» فأجابت: «أهديتُه للذي قتلَ التنين». ثم نادى الصيادُ حيواناتِه وأخذَ من رقابِها أحجارَ القلادة ومن الأسدِ قفلَ القلادةِ الذهبي، وعرضها على الأميرةِ وسألها: «لمن هذهِ القلادة؟» فأجابت: «أحجارُ القلادة والقفلُ الذهبي، لي أنا، وقدْ وزّعتُها على الحيواناتِ التي ساعدت في الانتصارِ على التنين». عندها قالَ الصياد: «كنتُ مرهقاً من النزال فنمتُ، فجاءَ هذا القائدُ وقطعَ رأسي. ثم حملَ الأميرة ونزل بها وزعمَ أمامكم أنه هو الذي قتل التنين. وحجتي على كذبه هي ألسنةُ التنين والمنديلُ والقلادة». ثم حكى كيف شفته حيواناته بالجذر العجيب وأنه قد تجول معها طوال سنة عاد بعدها إلى هذه المدينة ليعلمَ بخدعةِ القائد من حديثِ صاحب النزل. فسأل الملكُ ابنتَه: «أصحيحٌ أنّ هذا الرجل هو الذي قتل التنين؟» فأجابت: «نعم، صحيح، الآن يجوزُ لي كشفَ خديعةِ القائد، لأنها قد كُشفت دونَ تدخلٍ من جانبي، إذْ أنه قد أجبرني على إعطائه وعداً بالصمت. ولهذا السببْ طالبتُ بأن لا يُعقد القرانُ قبلَ مرورِ سنةٍ كاملة». حينما سمع الملك قولها استدعى اثني عشرَ مستشاراً لينطقوا بالحكم على قائد الجيش. وكان حكمهم أن يُربط إلى أربعةِ ثيرانٍ، يتحركُ كلٌّ منها باتجاهٍ حتى تمزقه، وتم تنفيذُ الحكم، فيما زُفّتِ الأميرة إلى الصيادِ، الذي سُمّي حاكماً على المملكة كلها.

أقيمَ حفلُ الزفافِ في أجواءِ سعادةٍ غامرة، واستدعى الملكُ الشابُ أباه ومرّبيه ومنحهما كنوزاً وفيرة. ولم ينسَ صاحبَ النزل في زُحمةِ الأمورِ، فاستدعاه وقالَ له: «أترى يا سيد! ها قد تزوجتُ الأميرة، فصار نزلك وتوابعه من نصيبي». فأجابه صاحبُ النزل: «نعم، هذا حق»، لكن الملك قال: «فليكن

Twitter: @ketab_n

للعفـو مكانٌ قبل الحق: احتفظ بالنزل وتوابعـه، واعتبرْ الألفَ قطعةٍ ذهبيةٍ هديةً مني لك، لحسنِ تعاملك مع نزلائك».

عاشـ الملكُ الشاب والملكةُ الشابـة حياةً سعيدة هانئة مع بعضهما، وغالباً ما كان الملـكُ الشاب يخرج إلى الصيـد ومعه حيواناته الخمسـة، لاستمتاعه بهذا النشاط. وعلى مسافةٍ قريبة من حدود المملكة كانت هناك غابة، يُحكى أن أموراً غامضـةً تحدثُ فيها، فمن الصعوبة على من يدخلها أن يخرجَ منها سالماً. بيد أنه كانـت لدى الملك رغبةٌ كبيـرة في الصيدِ في هذه الغابة، وأخـذ يُلحّ على الملكِ العجوز إلى أن سمحَ له.

خـرجَ الملـكُ الشاب يرافقُه عددٌ كبيرٌ من الحاشيـة، وحينما وصل إلى الغابةِ رأى غزالـةً بيضاءَ كالثلج، فقال لجماعته: «انتظروني هنـا، ريثما أعود. سألاحق هـذه الطريدة الجميلـة وأصطادها»، وانطلق داخل الغابـة بصحبةِ حيواناته فقط. انتظـرت جماعتُه خـارجَ الغابة حتى هبط المساء، لكنه لم يعـد إليهم، فعادوا إلى القصـر وحكوا للملكة الشابة: «في الغابة المسحـورة طارد الملك الشابُ غزالةً بيضاءَ ولم يعدْ إلينا ثانية»، فانتابها قلق شديد بشأن زوجها، الذي استمرَ في مطاردةِ الغزالةِ البيضاء من دون أن يلحق بها. وكلما ظن أنها على مرمى طلقة، كانت تبدو فجـأة وهي تعدو بعيداً عنه، إلى أن اختفت نهائيـاً. وعندها لاحظَ الملكُ الشاب أنه قد توغل في الغابةِ جداً، فتناول بوقَ الصيدِ ونفخَ فيه، لكنه لم يتلق جواباً، لبعد المسافة عن جماعته. وبما أن الليلَ قد اقترب، أدركَ أنه لن يعودَ اليومَ إلى القصر، فترجلَ عن حصانه وأشعلَ ناراً قربَ شجرةٍ ليُمضي الليلَ هناك.

عندما جلسَ قرب النار، ومن حوله حيواناتُه، خُيِّل إليه أنه يسمع صوتاً بشرياً. تلفـتَ حوله، فلم يلاحـظ شيئاً. بعد برهةٍ سمع مجدداً أنينـاً قادماً من فوقه، فرفع نظـره ورأى امرأةً عجوزاً جالسةً على فرعٍ فـي الشجرة، وهي تشكو بلا توقف: «حـوح، حوح، حوح، أشعر ببـرد شديد». فقال لها: «انزلي إلى هنا وتدفئي، إذا كنت تشعرين بالبرد»، فقالت: «لا، فحيواناتك ستعضني». فهدّأ من روعها بقوله:

Twitter: @ketab_n

إنها لن تلمسك أبداً يا جدتي، هيا انزلي». لكن هذه المرأة العجوز كانت ساحرة، فقالت له: «سأرمي إليك عصا من هذه الشجرة. إذا ربَّتَّ بها على ظهورها فإنها لن تؤذيني»، ورمت له عصا صغيرة، ربّت بها على الحيوانات فربضت من فورها ساكنة وقد تحولت إلى حجارة. ولما أمِنت الساحرة جانب الحيوانات، قفزت نحو الأسفل، وربّتت عليه أيضاً بعصا أخرى وحولته إلى حجر، ثم قهقهت وجرّته مع حيواناتِه إلى خندقٍ مملوءٍ بأمثالهم من الحجارة.

عندما لم يعدْ الملكُ الشاب إلى القصر، ولا في الأيام التالية، ازدادَ قلقُ الملكة الشابة وخوفُها. وفي الوقتِ نفسِه صادفَ أنَّ الأخَ الصياد الثاني، الذي اتجهَ شرقاً عند الافتراق، قد وصل مع حيواناته أيضاً إلى هذه المملكة. كان يبحثُ عن عملٍ ولم يجد، فتجولَ في عدة أماكن حيث جعل حيواناته ترقص للناس. فخطرَ ببالِه بعد هذه المدة، أن يرى حال السكين التي ثبتّاها عند الافتراق في جذع شجرة، وذلك ليطمئن على أخيه. عندما وصل إلى المكان أصابه الجزع لرؤية جهةِ أخيه من نصل السكين نصفَها صدئ والنصف الآخر ما زال لمّاعاً، ففكر: «لا بد أن أخي قد أصيب بمكروهٍ كبير، ولكن لربما كان بوسعي إنقاذَه، فالنصفُ الثاني ما زال لمّاعاً». اتجهَ مع حيواناتِه نحو الغرب، وحينما وصل إلى بوابة سور المدينة، تقدّم إليهِ الحرسُ وسأله عمّا إذا كان عليهم إعلام زوجته بقدومِه، فالملكة الشابةُ تعاني منذ أيام حالةً من القلق والخوف بسبب غيابه، وخشيت أن يكون قد قُتل في الغابة السحرية. إذْ تبادر إلى ذهن الحرس أن هذا الصيادَ هو الملكُ الشاب نفسه برفقةِ حيواناتِه البرية. أدركَ الصياد أن الحرسَ يقصدُ أخاه، وفكر: «يُفضل الآن أنْ أكونَ أخي، فلربما سَهُل عليّ من ثم إنقاذُه». فجعلَ الحرسَ يرافقه إلى القصر، حيث استُقبِل بفرحٍ كبير. ظنت الملكةُ الشابة أنه زوجُها وسألته عن سبب غيابِه الطويل، فأجابها: «لقد تهتُ داخل غابةٍ شاسعةٍ ولم أجد طريقَ الخروج قبل الآن».

عند المساء وفي موعدِ النوم دخل إلى السرير الملكي، لكنه وضع بينه وبين الملكة سيفاً ذا حدين. لم تدرِ الملكة تفسيراً للأمر، ولم تجرؤ على السؤال.

Twitter: @ketab_n

بقي الصيادُ بضعةَ أيامٍ على هذه الحال، استفسرَ خلالَها عن كل ما يتعلقُ بالغابةِ السحرية، وأخيراً قال: «لا بد أن أعاود الصيدَ في تلك الغابة». حاول الملكُ الأبُ والملكةُ الشابة ثنيه عن عزمه، لكنه أصرّ وخرجَ مع مرافقة كبيرة. حينما وصل إلى الغابة، حصلَ له ما حصلَ لأخيه، إذ شاهدَ غزالةً بيضاءَ وقال لجماعته: «ابقوا هنا وانتظروني ريثما أعود. سألاحق هذه الطريدة الجميلة»، وانطلق إلى داخل الغابة تتبعه حيواناتُه. لكنه لم يستطعْ اللحاق بالغزالة وتوغلَ في أعماقِ الغابة، ما اضطره إلى قضاءِ الليلة فيها. ولمّا أوقد النارَ قربَ شجرةٍ وجلس، سمعَ أنيناً قادماً من فوقه وصوتاً يشكو: «حوح، حوح، حوح، أشعر ببردٍ شديد». فنظر نحو الأعلى ورأى الساحرةَ نفسها جالسةً على فرع الشجرة. قال لها: «إذا كنت تشعرين بالبرد يا جدتي، فانزلي وتدفّئي»، فأجابته: «لا، حيواناتُك ستعُضني»، فقال لها: «إنها لن تؤذيكِ»، فصاحت: «سأرمي لك قضيباً، إذا ربَتَّ به على ظهورها، لن تؤذيني». عندما سمع الصيادُ قولها، توجّس سوءاً من العجوز فقال: «حيواناتي لن تؤذيكِ، فانزلي أو سأصعد أنا لانزالك!» فصرخت: «ماذا تريد مني؟ أنت لا تستطيع إيذائي»، فأجابها: «إنْ لم تنزلي فسأسْقطك بالبندقية». فضحكت وقالت: «هيا أطلق! أنا لا أخاف طلقاتك». فلقّم بندقيته وأطلق عليها، لكن الساحرة كانت منيعة ضد أي طلقات رصاصية، وقهقهت حتى صكت أذنيه، ثم قالت: «أنت لن تتمكن من إصابتي». أدرك الصيادُ الأمرَ، فانتزعَ من سترته ثلاثة أزرارٍ فضية ولقّم بها بندقيته، فسِحرُها يعجزُ عن مقاومة الفِضة، وحالما ضغط الصياد الزنادَ هوَت الساحرةُ صارخةً. وضعَ قدمه عليها وقال: «أيتها الساحرة الشمطاء، إذا لم تعترفي فوراً بمكان أخي، فسأحملك بيدي هاتين وأرميكِ في النار!» ذُعرت الساحرة وهلعت من النار، وطلبت العفو قائلة: «إنه متحجر مع حيواناته في خندق». أجبرَها الصيادُ على إرشادِه إلى الخندق وهدّدها قائلاً: «أيتها القطة البحرية العجوز، إذ لم تحيي الآنَ أخي وجميع المخلوقات في هذا الخندق، فسأرميكِ في النار!»

تناولت الساحرة قضيباً ولمست به الأحجار في الخندق، فدبت الحياة مجدداً

Twitter: @ketab_n

في أخيه وحيواناتــه ومخلوقاتٍ أخرى كثيرة: تجارٌ وحرفيونَ ورعاة، نهضوا من الخندق وشكروا الصيادَ لفكه رصدَ السحرِ عنهم، وانطلق كل منهم إلى داره.

أما الأخوان التوأم فإنهما عند التقائهما مجدداً تعانقا وتبادلا القبل وفرحا من أعمــاق قلبيهما. ومن ثم حملا الساحــرة معاً ورمياها في النار المتأججة، وعندما احترقت انفتحــت الغابة من نفسها وتخللها النور والضيــاء، وصار بإمكان المرء رؤيــة القصر الملكي علــى مسافة ثلاث ساعات مشياً. وعلــى الطريق إلى القصر حكــى الأخوان لبعضهما عن مصيريهمــا. وعندما ذكر الأول أنه بات حاكم البلد كلهــا بالنيابة عن الملك الأب، قــال الثاني: «لقد أدركت ذلــك، فعندما وصلتُ إلــى المدينة واعتقدوا أننــي أنت، عامَلني الجميعُ معاملةً ملكيــة، والملكةُ الشابةُ ظنــتْ أني زوجها، فكانَ عليَّ أن أجلسَ إلى جانبها عند تناول الطعام وأن أنامَ في سريرك». عندمــا سمع الأول هذا الكلامَ، تملكته غيرةٌ شديدة وغضبَ بصورة لا توصف، فاستل سيفَه وقطع رأسَ أخيه.

ولكن حالما سقطَ الثانــي ميتاً ودمه الأحمر يخضِّب الأرضَ، ندم الأول على فعلتــه ندماً هائلاً وصــاح: «أخي الذي خلصني من السحــر، أقتلُه بيدي!» وأخذ يُعول ويندُب. تقدّم منه أرنبُــه وأبدى استعدادَه لإحضارِ جذر الحياة، وانطلق من فــوره، وعاد في الوقت المناسب، فاستعادَ الميــتُ حياته من دون أن يلاحظ شيئاً من الجرح الذي كان في رقبته. وتابعا طريقهما مع حيواناتهما البرية، فقال الأول للثانــي: «إنك تماثلني شبهاً، وترتدي ثياباً ملكيــة مثلي، وحيواناتك تتبعك مثلما تتبعنــي حيواناتي، فدعنا ندخــل المدينةَ من بوابتيها المتقابلتيــن ونظهر في وقتٍ واحد أمام الملك الأب». وبناء عليه افترقا.

وبعــد فترة قصيرة، وفي الوقت نفسه قــدِمَ من البوابتين حارسان وأبلغا الملكَ العجوز بأن الملكَ الشاب قد عادَ من الصيدِ تتبعُه حيواناتُه. فقال الملك: «هذا غير ممكــن، فالبوابتان تبعدان عن بعضهما مسافة ساعة». في أثناءِ ذلك تقدم الأخوان مــن الجهتين إلى بهو القصر وصعدا الدرج. فالتفــت الملكُ إلى ابنته و سألها : «

Twitter: @ketab_n

أتستطيعين أن تقولي أيهما زوجك ؟ يبدوان متماثلين تماماً. أنا لا أعرف». خافت الملكـةُ من هذه المواجهةِ المحرِجـة جداً، إلى أن تذكرت قلادَتهـا التي أهدتْها للحيوانـات، فبحثت حتى وجدت القفل الذهبي في عنق أحد الأسدين، فصاحت فرحةً: «مَـن يتبعه هذا الأسدُ هو زوجي الحقيقي». ضحك الملكُ الشابُ وقال: «نعم، إنه يتبعني أنا». وجلسوا معاً إلى المائدة، فأكلوا وشربوا في جو من السرور والمـرح. ومسـاء عندمـا أوى الملكُ الشاب إلـى فراش الزوجيـة، سألته زوجتُه الملكـة: «لماذا كنتَ تضـع بيننا سيفاً ذا حدين في الليالـي الماضية؟ ظننتك تريد قتلي». عندها عرف الملك الشاب مدى وفاء أخيه.

×××

Twitter: @ketab_n

(٦١)

فَلّوح

فـي قديم الزمان، كانـت هناك قرية، كلُّ فلاحيها أثرياء، مـا عدا فقيراً واحداً، فلقَّبـه الناس (فَلّوح). لم يكن عند فلوح الفقير حتى بقرة، ولم يملك ما يكفي من المال لشراء واحدة، وكان وزوجتُه يرغبان جداً في أن يكون لديهما بقرة حلوب.

وذات يـوم قال فلّوح لزوجته: «اسمعي، لدي فكرة رائعة. بما أن قريبنا نجّار، سنطلـب منه أن يصنع لنا عجلاً مـن الخشب ويدهنه باللون البني، ليبدو مثل سائر العجول. بمرور الوقت سيكبُر هذا العجل فيصير بقرة». أُعجبت زوجته بالفكرة، ونَجَر لهمـا النجارُ العجلَ وسَحَجَه وطلاه بلونٍ مناسب وجعلَ رأسه منكَّساً نحو الأرض وكأنه يأكل العشب.

في صباح اليوم التالي عندما سيقت أبقار القرية إلى المرعى نادى فلوح الراعي إليـه وقـال له: «صـار عندي عجـل، لكنه ما زال صغيـراً، ولا بد مـن حمله إلى المرعـى». فقـال الراعي: «لا بأس»، وحمل العجـل الخشبي على ذراعه وخرج به إلى المرعى وأوقفه بين الحشائش. بقي العجل واقفاً في مكانه وكأنه لا يتوقف عـن الأكل، فقال الراعـي لنفسه: «لا شك فـي أنه سيمشي من نفســه قريباً، فهو لا يتوقـف عن العلف!» ومسـاءً عندما أراد أن يسوق البقـرات إلى الحظائر، قال للعجـل: «بما أنـك تستطيع الوقوف والعلف طوال الوقـت، فبإمكانك أن ترجع على أربعتك وحدك. أنا لن أستطيع حملك على ذراعي إلى حظيرتك»، ومشى.

لكـن فلوح كان عند بـاب داره بانتظـار عجله، وعندمـا رأى الراعي يسوق

Twitter: @ketab_n

البقـرات عبر القرية والعجل ليس معها، سأله عنـه، فأجابه الراعي: «ما زال واقفاً هنـاك، يعلف ويعلف. لم يبغِ التوقـف ولا العودة معنا». فقـال فلوح: «يا سلام، أريد عجلـي الآن». وعادا معاً إلى المرعى، لكن أحدهـم سرق العجل الخشبي، فلـم يجداه. قال الراعي: «لاشـك أنه ضل الطريق»، لكن فلـوح أجابه: «لا أظن ذلـك» واقتـاد الراعي إلى مختار القرية، الذي وبّخـه لإهماله وحكم عليه بتقديم بقرة لفلّوح بدل عجله الضائع.

والآن صار عند فلوح وزوجته البقرة المنشودة طويلاً. وفرحا بها جداً، ولكن لم يكن عندهما علف ولا أي شيء آخر ليطعماها، لذلك وبعد مدة قصيرة كان لا بـدّ من ذبحها، ثم ملّحا لحمها للتخزين، ونزل فلوح إلى المدينة ليبيع جلد البقرة ويشتـري بثمنه عجلاً جديـداً. مرّ على طريقه بطاحونٍ يقـف على سورها غرابٌ مكسور الجناحين، فأمسك به ولفه بالجلد. سرعان ما انقلب حال الطقس فهبّت عاصفة وهطل مطر غزير، منعَ فلوح من متابعة الطريق، فلجأ إلى الطاحون وطلب المبيت.

كانـت زوجـة الطّحان وحدها في الـدار، فقالت لفلـوح: «استلق هناك على القش»، وأعطتـه شطيرة خبز وجبن، أكلها فلوح واضطجع لينام وإلى جانبه جلد البقـرة. أمـا المرأة فقالت لنفسها: «إنه متعب وها هـو قد نام». في أثناء ذلك جاء القَس، فاستقبلته المرأة بترحاب وقالت له، «زوجي غائب، دعنا نسرح ونمرح». سمـع فلوح الكلام وانزعج من كلمتي نسرح ونمـرح، وهو الذي لم تتكرم عليه سـوى بشطيرة بائسة. أمـا المرأة فحملت إلـى الطاولة شـواءً وسلطة وحلويات ونبيذاً.

ما أن جلست المرأة مع القس ليأكلا حتى قُرِع الباب، فقالت المرأة: «يا إلهي، هذا زوجي!» وبسرعة هائلة أخفت الشواء في فتحة الموقد والنبيذ تحت الوسادة والسلطـة في السرير والحلويـات تحت السرير والقس فـي الخزانة المنتصبة في دهليـز البيت. ومن ثم فتحت الباب لزوجها وقالت له: «الحمد لله على عودتك،

Twitter: @ketab_n

يا لهذا الطقس التعيس! وكأن العالم سينهار!» شاهد الطّحانُ فلّوح مستلقياً على القش، فسألها: «ما شأن هذا الرجل؟» فأجابته: «أخ، هذا المسكين جاء في العاصفة وتحت المطر ورجاني المبيت، فقدمت له شطيرة خبز وجبن وأشرت إليه أن ينام على القش». فقال زوجها: «لا مانع عندي، ولكن دبّري لي بسرعة شيئاً للأكل،» فقالت المرأة: «ولكن ليس عندي سوى خبز وجبن»، فقال: «حسناً، أي شيء يرضيني، لا بأس بالخبز والجبن» ونظر إلى فلوح وناداه: «تعال وكل معي مرة ثانية». لم يُضطره فلوح لتكرار الدعوة بل نهض وشاركه الطعام.

وبعد الأكل رأى الطحان جلد البقرة الملفوف على الأرض وبداخله الغراب، فسأله: «ما معك هناك؟» فقال فلوح: «معي عرّاف يقرأ الغيب»، فقال الرجل: «وهل يمكنه أن يقرأ لي أنا؟» فأجابه فلوح: «ولماذا لا، لكنه لا يقرأ سوى أربعة أمور، أما الخامس فيحتفظ به لنفسه». ازداد فضول الطحان، فقال: «لنجرب الأمر الأول!» ضغط فلوح على رأسِ الغراب، فنعق قائلاً: «كررر، كررر». فسأله الطحان: «ماذا قال؟» فأجابه فلوح: «الأمر الأول هو أن هناك نبيذاً تحت الوسادة. فصاح الطحان: «هذا من عمل الشيطان!» واتجه نحو السرير ووجد النبيذ تحت الوسادة، فقال: «والأمر الثاني»، فجعل فلوح الغراب ينعق ثانية، وقال للطحان: «الأمر الثاني، هو أن هناك لحماً مشوياً في فتحة الموقد» فصاح الطحان: «هذا من عمل الشيطان!» وذهب إلى الموقد فوجد اللحم المشوي. عندها جعل فلوح غرابه يقرأ مزيداً من الغيب وقال: «الأمر الثالث، أن هناك سلطة في السرير»، فصاح الطحان: «هذا من عمل الشيطان!» واتجه نحو السرير فوجد السلطة. ثم ضغط فلوح على رأس الغراب آخر مرة فنعق مجدداً، فقال فلوح: «الأمر الرابع هو وجود حلويات تحت السرير»، فصاح الطحان: «هذا من عمل الشيطان!» وفتش تحت السرير فوجد الحلويات. وعند ذلك عاد الرجلان فجلسا إلى الطاولة، بينما المرأة في خوف قاتل، فأوت إلى الفراش وأخذت معها جميع المفاتيح. كان الطحان متلهفاً لمعرفة الأمر الخامس، لكن فلوح اعترضه قائلاً: «لنأكل الأمور الأربعة أولاً، لأن الخامس أمرٌ سيءٌ. وبعد أن أنهيا الطعام تساوما حول المبلغ

Twitter: @ketab_n

الـذي سيدفعه الطحـان لقاء معرفة الأمر الخامس، إلـى أن اتفقا على مبلغ ثلاثمئة دينـار. عند ذلك ضغط فلوح ضغطة قوية علـى رأس الغراب، فنعق بصوت عال. سأله الطحان: «ماذا قال؟» فأجابه فلوح: «قال إن الشيطان نفسه مختبئ في خزانة الدهليز»، فصاح الطحان: «لا بد للشيطان من أن يخرج» وفتح باب الدار، وكان على زوجته أن تناوله المفتاح. فتح فلّوح باب الخزانة، فانطلق القس هارباً بأقصى سرعة، فيما قال الطحان: «رأيت الشيطان بعباءته السوداء بأمّ عيني! ما قاله الغراب صحيـح». أما فلوح فقد غـادر الطاحون عند الفجر حاملاً معـه الدنانير الثلاثمئة واختفى عن العيون.

وفي دار فلوح في القرية أخذت الأمور تتحسن بالتدريج، فبنى لنفسه بيتاً جميلاً يلفت النظر، إلى حد أن قال فلاحو قريته: «لا شك في أن فلوح قد كان حيث تثلج السماء ذهباً فيجمعونه بالمجرفة». ثم طلبه مختار القرية وسأله عن مصدر ثروته، فأجابـه: «لقد بعت جلد بقرتي في المدينة بثلاثمئة دينار». عندما سمع الفلاحون ذلـك رغبوا هم أيضاً بانتهاز هـذه الفرصة العظيمة، فهرعـوا إلى دورهم، ذبحوا جميع أبقارهم وسلخـوا جلودها لكي يبيعوها في المدينة بالسعر العالي المغري. قال المختار: «خادمتي ستسبقنا إلى السوق!» وعندما وصلت خادمته إلى التاجر في المدينة، لم يعطها ثمناً للجلد الواحد أكثر من ثلاثة دنانير، ولمّا وصل الآخرون إليه أعطاهم ثمناً أقل، وقال: «ماذا سأفعل بكل هذه الجلود؟»

غضـب الفلاحون بسبب خديعة فلوح، فـأرادوا أن ينتقموا منه بأن شكوه إلى المختـار. وقد أدين فلوح البريء بإجماع الأصـوات، وحكم عليه بالموت غرقاً في برميل مثقَّب يُدحرَج إلـى البحيرة. فاقتادوا فلوح إلى ضفة البحيرة وأحضروا قسّـاً ليتلو عليه صـلاة الروح، فيما هم مختبئون بعيـداً، وعندما رأى فلوح القس تعـرف عليه فـوراً من ليلة العاصفة عند زوجةِ الطحـان، فهمس له: «لقد أنقذتُك آنذاك من الخزانة، فأنقذني الآن من البرميل». في أثناء تلك اللحظات مر بقربهما راعي غنم يسوق قطيعه، وكان فلوح عارفاً برغبة الراعي الدفينة بأن يصير مختاراً، فصاح فلوح بأعلى صوته: «لا، لن أفعلها! حتى لو أراد ذلك العالم أجمع. لا، لن

Twitter: @ketab_n

أفعلهـا!» سمع الراعي الصياح فاقترب وسأل فلوح: «ما قصتك؟ ما الذي لا تريد فعلـه؟» فأجابه فلوح: «يريدون أن يجعلونـي مختاراً إذا جلست في هذا البرميل، لكننـي لن أفعلهـا». فقال له الراعي: «إذا كان هـذا فحسب هو المطلوب ليصبح الإنسان مختاراً، فإني أرغـب في الجلوس في البرميل فوراً». فقال له فلوح: «إذا جلستَ فيه، ستصبح مختار القرية». وافق الراعي وجلس في البرميل، فوضع عليه فلـوح الغطاء ومسْمَره، ثم ساق قطيع الراعي إلى داره باعتباره قد صار مالكه. أما القس فعاد إلى الفلاحين المختبئين وقال لهم بأن صلاة الروح قد انتهت، فخرجوا ودحرجـوا البرميل إلى ماء البحيرة. وعندما انطلق البرميل متدحرجاً، أخذ الراعي يصيـح: «أريد من كل قلبي أن أصبح مختاراً». فظنوا أن فلوح هو الذي يصيح من داخـل البرميل، فقالـوا: «وهذا رأينا أيضاً، ولكن عليك قبـل ذلك أن تتفرج على القاع تحت»، وأوصلوا البرميل إلى الماء.

بعـد ذلك عاد الفلاحون إلى دورهم، وعندما وصلـوا إلى القرية التقوا بفلوح قادمـاً يسـوق بكل هـدوء قطيع غنـم أمامه ويبـدو عليـه الرّضا التـام. استغرب الفلاحـون ذلك وبـادروه السؤال: «فلوح، من أين أنت قـادم الآن؟ هل خرجت مـن مـاء البحيرة؟»، «طبعاً» قال فلـوح وأردف: «فقد غرقـتُ إلى تحت تحت، حتـى وصلت إلى قاع البحيرة، فخبطـتُ البرميل بأرض القاع وخرجت أتجول، كانـت هناك مـروج واسعة جميلة يرعى فيها كثير من الغنـم، فأحضرتُ منها هذا القطيـع». فسأله الفلاحون: «أما زال منه هناك؟» فأجاب فلوح: «طبعاً، أكثر مما تحتاجون».

اتّفـق الفلاحون فيما بينهم علـى أن يتحوّلوا إلى رعاية الأغنام وعلى أن يُحضِر كل منهـم لنفسه قطيعاً من قاع البحيرة، لكـن المختار اعترض قائلاً: «أنا سأكون الأول». توجّهـوا معاً إلى البحيرة، وكانـت السماء آنذاك صافية الزرقة تسبح فيها بعض السحـب الصغيرة التي تشبه الغنـم، وانعكست صورتهـا على صفحة ماء البحيرة. صاح الفلاحون: «إننا نرى الغنم هناك في القاع». دفعهم المختار جانباً وتقدم إلى الأمام قائلاً: «سأغطس أنا أولاً لأستطلع الوضع. إذا سارت الأمور على

Twitter: @ketab_n

ما يرام سأناديكم»، وقفز إلى الماء، فصدر عن اصطدامه بالماء صوت «بْلوبْس»، فظن الفلاحون أنه يناديهم: «تعالوا» فقفزت المجموعة كلها وراءه بأقصى سرعة. وبذلك انقرض سكان القرية، ولكن فلوح الوريث الوحيد صار رجلاً ثرياً.

×××

Twitter: @ketab_n

(٦٢)

ملكة النحل

فـي يوم من الأيـام خرج أميران بقصد المغامـرة، فانغمسا في حياة صاخبة معربدة، إلى درجة أنهما لم يعودا إلى القصر. كان لهما أخ أصغر يلقب بالفتى الغـر، انطلق بحثاً عنهمـا، لكنه عندما وجدهما أخيراً، سخـرا منه لكونه يريد خوض غمار الحياة بسذاجته،في حين أنهمـا أخفقا في ذلك، على الرغم من أنهما أذكى منه بمراحل.

ثـم انطلق الثلاثة معاً على الطريـق ومرّا بجبلِ نملٍ، فـأراد الكبيران نكشَ الجبـل وهدمـه ليريا كيف يتصـرف النمل الخائـف وكيف يعمل علـى إنقاذ بيوضـه، لكن الغرّ قـال: «اتركا النمل فـي سلام، لن أسمح لكمـا بإزعاجه». تابعـوا الطريق حتى وصلوا إلى بحيرة يسبح فيهـا كثير من البط. أراد الكبيران اصطيـاد بعض البط لشيّه وأكله، لكن الغر منعهمـا من ذلك قائلاً: «اتركا البط في سلام، لن أسمح لكما بقتله». وصلوا أخيراً إلى عش نحل غني بالعسل إلى درجـة أنه أخذ يسيل على الأرض. أراد الكبيران إشعال نار تحت الشجرة كي يختنـق النحل فيحصلان على العسل. اعترضهمـا الغرّ قائلاً: «اتركا النحل في سلام، لن أسمح لكما بحرقه».

وفـي نهاية المطاف وصـل الأخوة الثلاثة إلى قصرٍ، لـم يروا في اصطبلاته سوى خيول متحجرة، ولم يروا أي إنسان. مشوا من قاعة إلى قاعة حتى بلغوا بابـاً في آخر القصر، غُلِّقت عليه ثلاثة أقفال، وكان هناك في وسط الباب فتحة بغطـاء تسمـح برؤية ما في داخل الحجرة. نظروا فرأوا قزمـاً معفَّراً جالساً إلى

Twitter: @ketab_n

طاولـة. نادوه مرة وثانية، لكنه لم يسمع. نـادوه مرة ثالثة فوقف وفتح الأقفال الثلاثة وخرج إليهم. لم ينبس بكلمة، لكنه قادهم إلى مائدة عامرة بالمأكولات والمشروبـات. وبعد أن انتهوا من الأكل والشـرب أوصل كلاً منهم إلى غرفة نـوم. وفي صبيحة اليـوم التالي جاء القـزم المعفَّر إلى أكبرهـم، أشار له وقاده إلـى لوح حجري كُتبت عليه ثلاث طرق تـؤدي إلى فكِّ الرصد السحري عن القصر. كانت الطريقة الأولى: (في الغابة تحت الطحالب توجد لآلئ الأميرة، وعددها ألف لؤلؤة. يجـب البحث عنها وإخراجها، ولكن إذا نقصت واحدة منهـا عنـد موعد الغروب يتحـول المرء إلى حجـر). ذهـب الأكبـر إلى الغابة وبحـث طوال النهار، لكنه لم يجـد سوى مئة، فحصل له ما كُتب على اللوح: تحول إلـى حجر. في اليوم الثاني اندفع الأمير الأوسـط إلى خوض المغامرة، لكـن حاله لـم يكن أفضل من حال أخيـه الأكبر، إذ إنه لم يجـد أكثر من مئتي لؤلؤة، فتحول إلى حجر.

وأخيراً جاء دور الغر، فبحث تحت الطحالب، لكن العثور على اللآلئ كان عسيراً جداً والتقدم في العمل بطيئاً جداً. فجلس الغر على صخرةٍ وأخذ يبكي بؤسـه، وإذا بملك النمل الذي سبـق أن أنقذ حياته يأتيه مع خمسة آلاف نملة. ولم يمض وقت طويل حتى جمعت الحشرات الصغيرة جميع اللآلئ في كومة واحدة.

أمـا الطريقـة الثانية فكانـت: (إخراج مفتـاح حجرة نوم الأميـرة من قاع البحيـرة). حينما وصل الغر إلى البحيرة سبحـت باتجاهه البطات التي أنقذها من القتل، ثم غطست إلى القعر وأحضرت له المفتاح.

أما الطريقة الثالثة فكانت أصعبهن: إذ كان على الغر أن يحدِّد من بين الأميرات الثلاث النائمـات أصغرهن وألطفهن. كَمُنت المشكلة في أنهن يتماثلن شبهاً، ولا اختـلاف بينهن سوى أن الكبرى قبل النوم قد أكلت قطعة سكر والوسطى بعض العصير المحلّى والصغرى ملعقة عسل. فجاءت ملكة عش النحل الذي

Twitter: @ketab_n

أنقـذه الغر من الحرق، واقتربت من أفواه الثلاثة النائمات، ووقفت أخيراً على فـم التي أكلت عسـلاً، وهكذا تعرف الأمير الغر علـى صغراهن. وبذلك رُفع الرصـد السحري عن القصر فاستيقظ الجميع، ومَن كان متحجراً استعاد هيئته البشرية. ثم تـزوج الأمير الغر صغرى الأميرات وألطفهن وسُميَّ ملكاً من بعد وفاة والدها. أما أخواه الذكيان فتزوجا الأميرتين الوسطى والكبرى.

×××

Twitter: @ketab_n

(٦٣)

الريشات الثلاث

في قديم الزمان كان هناك ملك، عنده ثلاثة أبناء، الكبير والأوسط ذكيان وفطِنان، أما الأصغر فكان قليل الكلام وتبدو عليه ملامح السذاجة، ولهذا لُقِّب بالساذج.

عندما شاخ الملك وعجز وأخذ يفكر بخاتمته، لم يعرف أياً من أبنائه يجب أن يحكم المملكة من بعده. فاتخذ قراراً وقال لهم: «اذهبوا وابحثوا، ومَن يأتيني منكم بأفضل سجادة، يصبح بعد وفاتي ملكاً». وكيلا يحدث بينهم أي شجار، قادهم إلى بوابة القصر ونفخ ثلاث ريشات في الهواء وقال: «سيتوجه كل منكم حسب طيران ريشته». فطارت الطويلة نحو الشرق والوسطى نحو الغرب، أما الصغرى فقد طارت إلى الأمام مباشرة، ولم تبتعد كثيراً، بل سرعان ما حطت على الأرض. فاتجه الكبير شرقاً والأوسط غرباً وهما يضحكان ساخرين من الصغير الذي عليه البقاء حيث حطّت ريشته.

جلس الصغير إلى جانب ريشته حزيناً خائباً، لكنه انتبه فجأة إلى وجود باب أفقي على الأرض قرب الريشة، فرفع جانبه عالياً فرأى درجاً طويلاً نازلاً نحو العمق. نزل الأمير الساذج على الدرج حتى وصل إلى باب آخر، قرعه، فسمع صوتاً ينادي من الداخل:

«يا صبيّة يا خضراء يا فتيّة،

يا ذات الأرجل الطريّة،

Twitter: @ketab_n

اقفزي بسرعة إلى الباب،

وأدخلي إلينا الأحباب».

فُتح البابُ فرأى وراءه ضفدعاً كبيرةً وسمينة خضراء اللون ومن حولها مجموعة من الضفادع اليافعة. سألته الضفدع السمينةُ عمّا يريد، فأجابها: «بودّي الحصول على أجمل سجادة وأفخرها». فنادت السمينة إحدى اليافعات وقالت لها:

«يا صبية يا خضراء يا فتية،

يا ذات الأرجل الطرية،

اقفزي وهاتي الصندوق،

لنلبّي طلب هذا الفاروق».

أحضرت الضفدع اليافعة الصندوق، ففتحته السمينة وقدّمت للساذج سجادة لا مثيل لصناعتها وبهائها على سطح الأرض، فشكرها جزيل الشكر وصعد الدرج إلى سطح الأرض.

ظن الأخوان الكبيران أن أخاهما الأصغر ساذجاً وبطيئاً إلى حد أنه لن يجد شيئاً ليحضره لوالده، ففكرا: «ما الداعي لبذل جهد كبير في البحث عن الجيد الفاخر» وحينما قابل كل منهما أول راعية عابرة في سبيله، أخذ منها ثيابها الملونة ذات القماش الخشن وحملها إلى والده.

وفي الوقت نفسه وصل الصغير البطيء حاملاً معه سجادته الجميلة. حينما شاهدها الملك دُهش وقال: «إذا أردنا اتباع الحق فالمملكة من نصيب الصغير».

بيد أن الكبيرين أقلقا راحة أبيهما بإلحاحهما، قائلين: «يستحيل أن يصبح ملكاً هذا الساذج البطيء ناقص العقل من كل النواحي»، وطلبا من أبيهما أن يضع شرطاً

Twitter: @ketab_n

جديداً، فقال: «سيرث المملكة من يأتيني بأجمل خاتم». قاد أبناءه الثلاثة إلى خارج القصر، ونفخ الريشات الثلاث في الهواء. انطلق الكبيران كالمرة السابقة نحو الشرق ونحو الغرب. أما الريشة القصيرة فطارت نحو الأمام وسقطت على الأرض عند الباب الأفقي. وثانية نزل البطيء إلى الضفدع السمينة وقال لها إنه بحاجة إلى أجمل خاتم، فطلبت إحضار الصندوق إليها فوراً، وأخرجت منه خاتماً يتلألأ بالأحجار الكريمة، وليس بمقدور صائغ على وجه البسيطة أن يصنع خاتماً يقاربه جمالاً. ضحك الكبيران من أخيهما الساذج البطيء الذي نوى البحث عن خاتم ذهبي، ولم يبذلا جهداً يذكر، بل انتزعا مسامير دولاب عربة عتيقة وقدماه للملك. ولكن عندما قدّم الساذج البطيء خاتمه، كرر الملك قوله السابق: «المملكة من نصيب الصغير». ومع ذلك استمر الكبيران في الإلحاح والإزعاج إلى أن وضع شرطاً ثالثاً، فأعلن: «مَن يُحضر منكم إلى القصر أجمل امرأة، يصبح ملكاً». ونفخ الريشات الثلاث في الهواء، فطِرن كالسابق تماماً.

من دون أدنى تردد نزل الساذج البطيء الدرج إلى الضفدع السمينة وقال لها: «يجب عليَّ أن أُحضر أجمل امرأة». فأجابته: «أجمل امرأة، يا سلام! فليكن، بيد أنها ليست جاهزة الآن، ومع ذلك ستحصل عليها». أعطته حبّةَ لفتٍ كبيرة مجوَّفة يجرّها ستّة فئران. فقال لها بحزن شديد: «وماذا سأفعل بها؟» فأجابته الضفدع: «ضع إحدى بناتي اليافعات فيها»، فمد يده، لا على التعيين، إلى واحدة من مجموعة الضفادع اليافعات، ووضعها في عربة اللفْت، ولكن ما أن جلست فيها حتى تحولت إلى آنسة بديعة الجمال، وتحولت حبة اللفت إلى عربة والفئران إلى خيول. عند ذلك قبّلها الساذج البطيء وأسرع بالعربة إلى والده الملك. أما أخواه فإنهما لم يبذلا أي جهد في البحث عن المرأة الجميلة، بل أخذ كل منهما أول فلاحة صادفها في طريقه وقدمها لوالده بعد وصول الأخ الأصغر.

حين رأى الملك الفلاحتين قال: «المملكة لابني الأصغر من بعد وفاتي». لكن الكبيرين لم يُذعنا، بل كادا يثقبان أذني الملك بتكرار قولهما: «لا يمكن أن نسمح بأن يصير الساذج ملكاً»، وطالبا الملكَ بمنح ميزة المُلْك، لِمَن تستطيع

Twitter: @ketab_n

فتاتُه التي أحضرها القفزَ عبرَ حلقةٍ معلّقةٍ في فضاء قاعة العرش. وكان ما يدور في خلدهمـا، هو أن الفلاحتيـن ستَسْتطعن القفز بسهولة. فوافـق الملك الشيخ على ذلك. قفـزت الفتاتانِ الفلاحتان عبر الحلقة المعلقة، لكنهما كانتا ثقيلتي الحركة ومن دون لياقة، بحيـث سقطتا فكسرتا أيديهن وأرجلهن. ثم قفزت الفتاة البديعة الجمـال التي أتى بها الساذج البطيء، فكانت قفزتها خفيفةً لينةَ الحركة كالغزال، فانتفـى أي سبيل للاعتراض على اعتلائه العرش ولبسَ التاج، فصار ملكاً وحكم البلاد طويلاً بحكمة ورويّة.

×××

Twitter: @ketab_n

(٦٤)

الإوزة الذهبية

كان لرجل ثلاثة أبناء فتيان، وأصغرهم كان يُلقب بالغبي، يهمله الجميع ويسخرون منه ويخذلونه.

ذات يوم أراد كبير الأبناء الذهاب إلى الغابة ليحتطب. قبيل أن يخرج من الدار زوَّدته أمه بقطعة فاخرة من (الكاتو) وبزجاجة نبيذ كيلا يعاني جوعاً أو عطشاً. حين وصل إلى الغابة، التقى قزماً عجوزاً مُعفَّر الهيئة، بادره بتحية الصباح وقال له: «أعطني جزءاً من قطعة الكاتو وجرعةً من نبيذك، فأنا جوعانٌ وعطشانٌ جدّاً». فأجابه الفتى الذكي: «إذا أعطيتك من طعامي وشرابي، فلن يبقى لي شيء. اذهب في سبيلك!» وترك القزمَ العجوزَ واقفاً ومشى. وعندما بدأ بتحطيب شجرة، هوت فأسه بعد حين مُجانبةً هدفها وأصابت ساعده، ما اضطره إلى العودة إلى الدار ليضمّدها. وكان القزم الأشيب وراء هذا الحادث.

بعد ذلك خرج الابن الثاني إلى الغابة، وزوَّدته أمه بمثل ما زودت به الكبير: قطعة كاتو فاخرة وزجاجة نبيذ. فالتقى الابن الثاني أيضاً بالقزم العجوز المعفَّر الهيئة الذي رجاه أن يمنحه جزءاً من قطعة الكاتو وجرعة من النبيذ. بيد أن الثاني كان أيضاً واضحَ الكلام صريحه، إذ قال: «ما أعطيك إياه سينقص من حصتي، فاذهب في سبيلك»، وترك القزم واقفاً ومشى. لم ينج الثاني أيضاً من العقاب، فبعد عدة ضربات بالفأس على الشجرة، هوت الفأس على ساقه، ما أدى إلى حمله إلى الدار.

Twitter: @ketab_n

عند ذلك قال الملقب بالغبي: «اسمح لي يا أبي أن أحتطب في الغابة». فأجابه أبوه: «إذا كان أخواك قد ألحقا الأذى بنفسيهما، فكيف أنت! دعك من الأمر». لكن الصغير استمر في الإلحاح إلى أن قال له: «هيا اذهب، فالإنسان لا يتعلم إلا من تجربته». زوّدته أمه بفطيرةٍ معجونةٍ بالماء ومخبوزة في الرماد، وزجاجةِ بيرة حامضة.

عندما وصل إلى الغابة التقى أيضاً بالقزم العجوز المعفَّر الهيئة الذي حيّاه وقال له: «امنحني جزءاً من قطعة الكاتو وجرعةً من زجاجتك، فأنا جوعان وعطشان جداً». فقال له الغبي: «لكنني لا أحمل سوى فطيرةٍ مخبوزةٍ في الرماد وزجاجة بيرة حامضة. إذا ناسبك ذلك فلنجلس معاً ونأكل». جلسا معاً، وعندما أخرج الغبي فطيرة الرماد وجدها قطعة (كاتو) فاخرة، وبدل البيرة الحامضة وجد نبيذاً، فأكلا وشربا، ثم قال له القزم: «لأنك طيب القلب وكريماً بما تملك، سأجعل الحظ حليفك. ستجد هناك شجرة هرمة، أسقطها بفأسك وستعثر في الجذور على شيء لك»، وودّعه القزم وانصرف.

اتّجه الغبيّ إلى الشجرة الهرمة وأسقطها بفأسه، وعندما هوت جانباً وجد في الجذور إوزّةً ريشُها من الذهب الخالص. أخرجها من بين الجذور وحملها وذهب إلى نُزُل كي يُمضي الليلة فيه.

ولكن كان لصاحب النزل ثلاثُ بناتٍ، رأين الإوزة، فثار فضولهن، ليعرفن ماهية هذا الطائر العجيب، ورغبت كل منهن بالحصول على ريشة منه. فكّرت كبراهن: «لا شك في أني سأجد فرصة ما لأنتزع ريشة منه». وحالما خرج الغبي من غرفته لشأنٍ ما، أمسكت الكبرى الإوزة من جناحها، بيد أن كف يدها وأصابعها التصقوا بالجناح وبقوا عالقين. وسرعان ما جاءت الأخت الوسطى التي لم يكن في رأسها شيء آخر سوى انتزاع ريشة. لكنها ما أن لامست أختها الكبرى حتى التصقت بها وعلقت. أخيراً وصلت الصغرى، عازمة هي أيضاً، على انتزاع ريشة لنفسها، فصاحت بها أختاها: «لا تقتربي، بحق السماء لا تقتربي!»

Twitter: @ketab_n

لكنها لم تفهم سبباً للبقاء بعيدة، ولا سيما أنها كانت تفكر: «بما أنهما قد اقتربتا، فيمكنني أنا أيضاً أن أقترب»، وقفزت إليهما، وما أن لمست الوسطى حتى التصقت بها وعلقت. وهكذا اضطررن لقضاء الليل عند الإوزة.

في صبيحة اليوم التالي حمل الغبي إوزته وغادر، غير آبهٍ للفتيات الثلاث العالقات بها. كان عليهن اللّحاق بخطواته يميناً ويساراً حسبما يخطر ببالِ قدميه أن تمشيا.

وفي منتصف أحد الحقول مروا بالخوري الذي شاهد الموكب فقال: «ألا تخجلن أيتها البنات الفظيعات من أنفسكن! كيف تلحقن بهذا الفتى اليافع عبر الحقل؟ أيليق بكن هذا؟» وكان قد لحق بالصغرى فأمسك يدها عازماً على جرها إلى الوراء. لكنه ما أن لمسها حتى علق هو الآخر، واضطر إلى الركض وراءهن.

بعد فترة وجيزة مرَّ شمّاس الكنيسة ورأى الخوري يهرول في أعقاب ثلاث فتيات. استغرب ذلك وصاح: «ما بالك يا سيدي الخوري: إلى أين بهذه السرعة؟ لا تنسى أنه لدينا معمودية طفلٍ اليومَ مساء!» وركض نحوه وأمسك بمرفقه، فالتصق أيضاً وعلق. وفيما كان الموكب الخماسي يدب الواحد منه وراء الآخر كالسلسة، مرَّ به فلاحان يحملان مجرافيهما. ناداهما الخوري ورجاهما أن يفصلاه مع الشمّاس عن الموكب. ولكن ما أن أمسك الفلاحان بسترة الشماس حتى التصقا وعلقا، فصار عندنا الآن موكب سباعي يهرول وراء الفتى حامل الإوزة.

بعد ذلك وصل الفتى إلى مدينة يحكمها ملك، ولهذا الملك ابنة وحيدة بالغة الجدِّية، بحيث لا يستطيع أحدٌ جعلَها تضحك. ولهذا السبب سنَّ الملك قانوناً يقضي بأن مَن يُضحِكها يتزوجها. عندما سمع الغبي بذلك توجه إلى قصر الأميرة حاملاً إوزّته الذهبية ساحباً وراءه الموكب السباعي. وعندما رأت الأميرة المشهد والحركات الخرقاء لأفراد الموكب في هرولتهم وراء بعضهم بعضاً، انفجرت بضحكٍ صاخب مستمر بلا توقف. عند ذلك طالب بها الفتى الغبي زوجةً. لكن

Twitter: @ketab_n

هـذا الصهرَ لم يلقَ إعجابَ الملك، فاختلق له الملك عراقيل مختلفة، ثم وضعَ له شرطاً يصعب تحقيقه: أن يأتيه برجلٍ قادرٍ على شرب نبيذ القبو كله.

فكـر الفتى الغبي بأن القزم المعفَّر يمكن أن يساعده، وذهب إلى الغابة، فوجد رجلاً جالسـاً حيث أسقط الشجرة الهرمة، وكان مكفهـرّ الوجه. سأله الغبي عن سبـب حزنـه، فأجابه: «اشعـرُ بعطشٍ هائـل لا أستطيع أن أجد مـا يطفئه، فأنا لا أحتمـل الماء البـارد. لقد شربتُ برميـلَ نبيذ، ولكن ماذا تفعلُ قطـرةٌ على حجرٍ ساخن؟» فقال له الفتى: «أنا سأساعدك. تعال معي وستطفئ عطشك». وقاده إلى قبـو الملك حيث بـدأ الرجل يتجرع البرميل تلو الآخر مـن البراميل الكبيرة حتى آلمتـه خاصرتاه. وقبـل أن ينقضي النهار، كان قد شـرب القبو كله، فطالب الفتى ثانيةً بالأميرة زوجةً.

استاء الملك من احتمال أن يتزوج ابنتَه فتى بسيطٌ يلقبه الجميع بالغبي، فوضع شرطـاً ثانياً: على الفتى أن يأتيه برجل قادر علـى أن يأكل جبلاً من الخبز. لم يُطِل الفتـى التفكيـر، بل ذهب من فوره إلى الغابة، فوجد فـي المكان نفسه رجلاً آخر وقد حزم بطنه بشدة بحزام عريض، والبؤس يُقطِّر من وجهه. سأله عما به فأجاب: «لقـد أكلـت ما يعادل فرناً كاملاً من الخبز الأبيـض الفرنسي، لكن هذا لا يشكل شيئاً أمام جوعي الهائل ومعدتي الفارغة دائماً، بحيث أضطر إلى حزم بطني، كيلا أمـوت جوعاً». سُر الفتى للأمر وقال للرجل: «انهض وتعال معي، أنا سأجعلك تشبـع»، وقاده إلى قصر الملك الذي جمع الطحين من جميع أنحاء المملكة وأمر بخبز ما يعادل جبلاً شامخاً.

بيـد أن رجل الغابة جلس أمامه وبدأ يـأكل حتى قضى على الجبل خلال نهار واحـد، فطالب الغبي بالأميرةِ زوجة ثالث مرة، لكن الملكَ بحث عن مخرجٍ من مأزقـه، فطالبه بأن يأتيه بسفينةٍ تستطيع السفر بحراً وبراً أيضاً وقال: «وما أن تَصل بهـا إلى هنـا بأشرعتها التي تملؤها الريح، حتى أزوجـك ابنتي». ذهب الغبيُّ إلى الغابـةِ مباشرة، فوجد هنـاك القزم العجوز المعفَّر الهيئة الـذي ابتدره قائلاً: «لقد

Twitter: @ketab_n

شربتُ وأكلتُ من أجلك، وسأعطيك السفينة أيضاً؛ وكل ذلك لأنكَ كنتَ رحيماً بي». وزوّده بالسفينة البرمائية. عندما شاهدها الملك لم يعد بإمكانه التحفظ على تزويجه من ابنته، فأُقيمت حفلة الزفاف، وبعد وفاة الملك ورثَ الغبيُ المملكةَ وعاش مع زوجته طويلاً في سعادة وهناء.

×××

Twitter: @ketab_n

(٦٥)

الفراء المُبرقش

في قديم الزمان كان هناك ملك وملكة. كانت الملكة ذات شعر ذهبي وتُعدّ آية في الجمال؛ لا مثيل له في الدنيا كلها. وحدث أن مرضت وباتت قعيدة الفراش، وحينما شعرت بأن أجلها قد دنا، نادت إليها زوجها الملك وقالت له: «إذا أردت أن تتزوج ثانية بعد موتي، فلا تتزوج إلا مَن هي بمثل جمالي وشعرها ذهبي مثل شعري. عليك أن تعدني بذلك». وبعد أن قطع الملك على نفسه عهداً بذلك أمامها، أغمضت عينيها ورحلت.

لمدة طويلة من الزمن لم يجد الملك مَن يواسيه من بعدها، ولم تخطر بباله فكرة اتخاذ زوجة ثانية. وأخيراً خاطبه مستشاروه قائلين: «هذا أمر لا بد منه، يجب على الملك أن يتزوج ليصير عندنا ملكة». أُرسل السُعاة في طول البلاد وعرضها وفي الجوار بحثاً عن عروس تماثل الملكة المتوفاة جمالاً. لكنهم في الدنيا كلها لم يجدوا مثيلاً لها؛ وإن وجدوا مَن تُقاربها جمالاً، لم يكن شعرها ذهبياً، فعاد السعاةُ بخُفّي حُنين.

كان للملك ابنة تماثل أمها جمالاً ولها الشعر الذهبي نفسه. وعندما صارت صبيةً أمعنَ النظرَ في ملامحها ووجد أنها تشبه أمها المتوفاة في كل شيء، وشعر فجأة بحب جامح نحوها. من ثم خاطب الملك مستشاريه قائلاً: «أريد أن أتزوج ابنتي، لأنها صورة مماثلة لزوجتي المتوفاة، وإلا فإنني لن أجد العروس التي تماثلها». حين سمع المستشارون ذلك شعروا بصدمة مرعبة وقالوا: «لقد حرَّم الرب زواج الأب بابنته. هذه خطيئة، وإن وقعتْ، فلن ينشأ منها أي خير، وسوف تجر المملكة إلى الخراب».

Twitter: @ketab_n

وعندما سمعت الابنة بقرار أبيها، كان رعبها أكبر من رعب مستشاريه، لكنها أمِلت في أن تثنيه عن عزمه. فكرت وقالت له: «قبل أن أحقق أمنيتك، يجب أن أحصل على ثلاثة أثواب، أحدهما ذهبي كالشمس، والثاني فضي كالقمر، والثالث متلألئ كالنجوم. إضافة إلى ذلك أطلب معطفاً، من آلاف قطع الفراء والجلد الخشن (شاموا) المختلفة معاً، على أن تؤخذ كل قطعة من أحد حيوانات مملكتك. لكنها بينها وبين نفسها كانت تقول: «يستحيل أبداً تحقيق ذلك، وبهذا سأثني أبي عن المضي في تنفيذ فكرته الخبيثة». بيد أن الملك لم يتخل عن فكرته، فأمر أمهر الآنسات في مملكته بنسج الأثواب الثلاثة: أولها ذهبي، كالشمس وثانيها فضي كالقمر وثالثها متلألئ كالنجوم. وأمر صياديه باصطياد جميع حيوانات المملكة، وسلخ قطعة جلد من كل منها، ليُخاط منها معطف مبرقش بآلاف قطع الجلد والفراء الملونة والمختلفة. وأخيراً صار كل شيء جاهزاً، فأمر الملك بإحضار المعطف وفرده أمامها وقال: «غداً سيقام حفل الزفاف».

أدركت الأميرة أنه لا أمل بعدُ في تغيير موقف أبيها من الأمر، فحسمت أمرها وقررت الهروب. وليلاً بعد أن نام الجميع، نهضت وانتقت ثلاثة أشياء من نفائسها: خاتماً ذهبياً ودولاب غزل صغير ذهبي وبكرة غزل صغيرة ذهبية، ثم رتّبت الأثواب الثلاثة، الشمسي والقمري والنجومي في صدفة جوزٍ، ولبست معطف الفراء المبرقش، ثم سوَّدت وجهها ويديها بالسخام، وتوكلت على ربها وغادرت القصر.

مشت طوال الليل إلى أن وصلت إلى غابة واسعةً ومن شدة تعبها جلست في شجرة جوفاء وغرقت في سبات عميق. أشرقت الشمس وهي مستغرقة في نومها، وبقيت على حالها حتى الظهيرة.

وحدث أن ملك البلاد الذي تتبعُ هذه الغابة له، كان يصطاد فيها. عندما وصلت كلابه إلى الشجرة الجوفاء، تشممتها وتراكضت حولها ونبحت، فقال الملك لصياديه: «انظروا أي حيوان بري يختبئ فيها». نفّذ الصيادون الأمر، وحينما

Twitter: @ketab_n

عادوا إلى الملك قالـوا له: «في الشجرة الجوفاء يوجد حيوان عجيب غريب، لم يسبق لنا أن رأينا مثله، فراوُه من ألف نوع، وهو مستقر هناك ونائم». فقال الملك: «ابذلوا جهدكم لاصطياده حياً، ثم قيدوه على العربة وخذوه معكم». حين لمس الصيـادون الفتـاة، استيقظت فزعة وصاحت في وجوههـم: «أنا فتاة مسكينة بلا أب وأم، أشفقـوا على حالـي وخذوني معكم». فقالوا لهـا: «أيتها المبرقشة، قد تصلحين في المطبخ، هيا تعالي معنا! هناك ستجمعين الرماد وتكنسيه». أجلسوها على العربـة وعادوا إلى القصر الملكي، حيث خَصّوهـا بمكانٍ تحت الدرج، لا يـرى النور أبداً، وقالوا لها: «أيها الحيـوان الصغير المبرقش، هنا يمكنك السكن والنـوم»، ثم أُرسلت إلى مطبخ القصر لتعمل فـي جلب الحطب والماء وتحريك النـار ونتـف ريش الدواجن وتنظيـف الخضراوات وتكنيس رمـاد المواقد وكل الأشغال القذرة الأخرى.

أمضت المبرقشة مدة طويلة من الزمن في عيشة زريّة. آه، أيتها الأميرة الجميلة، مـاذا ستواجهين بعد! ولكن حـدث ذات مرة أن أقيمت فـي القصر حفلة كبيرة، فقالت المبرقشـة للطباخ: «أتسمح لي بالصعود قليـلاً لأتفرج؟ سأقف وراء باب القاعـة»، فأجابها الطباخ: «هيا اذهبي، ولكـن عليك أن تعودي بعد نصف ساعة لتفريغ المواقد من الرماد».

حملـت المبرقشة سراجهـا الزيتي وذهبت إلى زريبتهـا. خلعت عنها معطف الفراء وأزالت السخام عـن وجهها ويديها بحيث تبدى جمالها الآسر، ثم فتحت صدفـة الجـوز وأخرجت منهـا الثـوب الشمسي وارتدتـه وصعـدت إلى قاعة الاحتفـال. تراجـع الجميع عند دخولها، لاعتقادهم أنهـا الأميرة. أما ملك البلاد فتقـدم إليهـا وهو يقول في نفسـه: «لم يسبق أن رأت عيناي مثـل هذا الجمال». حينمـا انتهت الرقصة انحنت للملـك، ولمّا رفع الملك رأسه وتلفت حوله كانت قد اختفت، ولم يعرف أحد كيـف وأين. استُدعي حراس بوابات القصر وسُئلوا، فأجابوا بأنهم لم يروها.

Twitter: @ketab_n

لكنها كانت قد تسللت سريعاً إلى زريبتها، حيث خلعت ثوبها وسوَّدت وجهها ويديهـا بالسخام وارتدت معطفها لتصبح المبرقشـة ثانية. عندما دخلت المطبخ لتتابع عملها وتفـرغ الرماد، قال لها الطباخ: «دعي ذلك إلى الغد، واطبخي الآن حساء الملك، بدلاً مني، لأني أنا أيضاً أريد أن ألقي نظرة على الحفلة فوق. ولكن إيـاكِ أن تسقط منـك شعرة في الحسـاء، وإلا فسأحرمك من الطعـام مستقبلاً»، وغـادر الطبـاخ. فأعدّت المبرقشـة للملك بأفضل مـا عندها حسـاء خبز دسِم، وحالما انتهت من عملها هرعت إلى زريبتها وأحضرت خاتمها الذهبي وأسقطته في زبدية الحساء.

عندما انتهى الرقص أمر الملك بإحضار حسائه، ولمّا ذاقه وجده شهياً فاخراً، لـم يذق مثلـه سابقاً. وحينما وصل إلـى قعر الزبدية رأى خاتمـاً ذهبياً، ولم يجد تفسيراً لوجوده هناك. أمر الملك بإحضار الطباخ الذي ارتعب لسماعه أمر الملك وقـال للمبرقشة: «لا شك في أنك قد أسقطتِ شعرة في الحساء. إنْ حصل ذلك، فسأجلـدك». حين مثَل أمام الملك سأله الملك عمَّن أعدَّ الحساء. أجاب الطباخ: «أنا أعددته»، فقال الملك: «هذا غير صحيح، فطريقة إعداده الآن مختلفة وأفضل بمـا لايقاس من عادتك». فاعترف الطبـاخ قائلاً: «أُقر يا سيـدي بأني لستُ من أعـده، وإنما الفتاة المبرقشة». فأمره الملك: «اذهب وأرسلها إلي!» حالما مثُلت المبرقشـة أمامه، بادرها بالسـؤال: «من أنتِ؟» فأجابته: «أنـا فتاة مسكينة باتت يتيمـة» فسألها ثانيـة: «ما سبب وجودك في قصري؟» فأجابـت: «أنا لا أتقن أي عمـل، ولا أستحق أكثر من الضرب على الرأس بالحـذاء». فتابع يسأل: «من أين لـك الخاتم الذهبي الذي كان فـي الحساء؟» فأجابت: «في مـا يتعلق بالخاتم لا أعرف شيئاً». وبالتالي لم يستطع الملك الوصول إلى شيء، فتركها تذهب.

بعد مدة أقيمت في القصر حفلة أخرى. وكالمرّة السابقة رجت المبرقشة الطباخ أن يسمـح لها بالذهاب للفرجة، فقال لها: «هيا اذهبي، وعودي بعد نصف ساعة لتعدي للملك حساء الخبـز الذي يحبه كثيراً». هرعت الفتاة إلى زريبتها ونظفت نفسهـا بسرعة، وأخرجت مـن صدفة الجوز الثوب الفضـي كالقمر وارتدته، ثم

Twitter: @ketab_n

صعدت إلى القاعة كالأميرة، فتقدّم منها الملك مسروراً برؤيتها مجدداً، وبما أن الرقص قد بدأ، راقصها الملك. ولكن ما أن انتهت الرقصة وتبادلا التحية حتى اختفت الفتاة بسرعة لم يلحظ معها الملك في أي اتجاه ذهبت. عادت الفتاة إلى زريبتها وعاودت تنكرها في هيئة المبرقشة ودخلت المطبخ لتعدّ للملك حساء الخبز. وبينما كان الطباخ فوق، أحضرت من زريبتها المغزل الذهبي وأسقطته في زبدية الحساء التي قُدِّمت بعدئذ إلى الملك، فذاقها ووجدها لذيذة كالمرة السابقة، فطلب الطباخ الذي أقر بأن المبرقشة هي التي أعدت الحساء. فمثلت المبرقشة ثانية أمام الملك وكررت أنها لا تستحق أكثر من الضرب على الرأس بالحذاء، وأنها لا تعرف شيئاً عن المغزل الذهبي.

حينما أقام الملك حفلته الثالثة، لم تختلف الأمور عن مجريات المرتين السابقتين. صحيح أن الطباخ هذه المرة قال لها: «أنتِ ساحرةٌ يا مبرقشة، إنك تضعين دائماً في حساء الملك ما يجعله لذيذاً أكثر من الذي أعده بنفسي»، ولكن لأنها رجته بحرارة، سمح لها بالتغيب نصف ساعة. في هذه المرة ارتدت الفتاة الثوب المتلألئ كالنجوم في الليل ودخلت به قاعة الاحتفال. راقص الملك مجدداً الآنسة الفاتنة وهو يقول في نفسه إنها لم تكن بمثل هذا التألق سابقاً. وأثناء الرقص وضع الملك في أصبعها من دون أن تشعر خاتماً ذهبياً، وكان قد أمر بأن تطول مدة الرقص.

وحينما انتهى الرقص أراد الملك إبقاء يديها في يديه، لكنها انتزعتهما واختفت بسرعة بين الضيوف، بحيث غابت عن عينيه. اسرعت بقدر ما تستطيع إلى زريبتها تحت الدرج، ولأنها غابت أكثر من نصف ساعة فإنها لم تتمكن من خلع ثوبها بل لبست فوقه المعطف المبرقش، ونتيجة السرعة الشديدة لم تتقن تسويد نفسها بالسخام كعادتها، فبقي أحد الأصابع أبيض. ركضت المبرقشة الآن إلى المطبخ، أعدّت للملك حساء الخبز وأسقطت في الزبدية البكرة الذهبية أثناء غياب الطباخ. عندما عثر الملك على البكرة في قعر زبدية حسائه، استدعى المبرقشة إليه ورأى الإصبع الأبيض والخاتم الذهبي الذي وضعه فيه أثناء الرقص. فأمسك يدها بقوة،

Twitter: @ketab_n

وعند محاولتها انتزاع يدها للهرب، تباعد طرفا المعطف عن بعضهما قليلاً فتلألأ الثـوب النجمي بجـلاء. أمسك الملك بالمعطـف وشده عنهـا، فانسدل شعرها الذهبـي وتبدت بكامل بهائها، فلم يعد بإمكانها إخفاء حقيقتها. وعندما مسحت عن وجهها بقايا السخام توهج جمالها أكثر من أي صبية على وجه البسيطة. فقال الملك: «أنـت عروسي الحبيبة ولن نفترق عن بعضنا أبـداً». وأقيم حفل الزفاف وعاشا من ثم في سعادة وهناء حتى وافاهما الأجل.

×××

Twitter: @ketab_n

(٦٦)

عروس الأرنب

فـي يوم من الأيام كان هناك امرأة وابنتها تعيشان وسط حديقة جميلة، مزروعة بالملفـوف. وفي الشتاء دخل الحديقة أرنب وأخذ يأكل الملفوف، فقالت المرأة لابنتها: «اخرجي إلـى الحديقة واطردي الأرنب!» قالـت الفتاة للأرنب: «رُخْ، رُخْ، هيا أيها الأرنب، لا تأكل كل ملفوفنا!» فقال لها الأرنب: «تعالي أيتها الفتاة، اجلسي على ذيلي لآخذك إلى كوخي!» فرفضت الفتاة.

فـي اليوم التالي عاد الأرنب إلى الحديقة، وأكل من الملفوف، فقالت لابنتها: «اخرجـي إلى الحديقة واطردي الأرنب!» قالت الفتـاة للأرنب: «رُخْ، رُخْ، هيا أيها الأرنب، لا تأكل كل ملفوفنا!» فقال لها الأرنب: «تعالي أيتها الفتاة، اجلسي على ذيلي لآخذك إلى كوخي!» فرفضت الفتاة.

فـي اليوم الثالث عاد الأرنب إلى الحديقـة، وأكل من الملفوف، فقالت المرأة لابنتها: «اخرجي إلـى الحديقة واطردي الأرنب!» قالـت الفتاة للأرنب: «رُخْ، رُخْ، هيا أيها الأرنب، لا تأكل كل ملفوفنا!» فقال لها الأرنب: «تعالي أيتها الفتاة، اجلسي على ذيلي لآخذك إلى كوخي!». جلست الفتاة على ذيل الأرنب، فركض بهـا بعيداً حتى كوخه، وحين دخلاه قال لهـا: «والآن اطبخي لنا كرنباً أخضر مع ذرة بيضاء، لأني سأدعو ضيوف العرس». فجاء جميع ضيوف العرس. (ومن كان ضيوف العرس؟ سأخبرك بذلك مثلما أخبرني مَن حكى لي الحكاية: كانوا كلهم أرانـب، والخوري هو الغراب الأسـود الذي جاء لعقد القـران، ورافقه الشمّاس الذي هو الثعلب الأحمر. أما المذبح حيث سيُعقد القران فكان تحت قوس قزح).

Twitter: @ketab_n

لكــن الفتاة كانت حزينة جــداً لكونها وحيدة من دون أهلهــا. جاءها الأرنب وقــال: «افتحي، افتحــي، ضيوف العرس فرحــون مرحون!» لم تجبــه العروس وأخــذت تبكي. ذهب الأرنب، ثم عاد وقال: «افتحــي، افتحي، ضيوف العرس جائعــون!» وهذه المرة أيضاً لم تجبــه العروس وتابعت البكاء. ذهب الأرنب، ثم عاد وقال: «افتحي، افتحي، ضيوف العرس ينتظرون!» ولثالث مرة لم تجبه الفتاة، فذهــب الأرنب. لكن الفتاة صنعت دميــة من قش وغطتها ببعض ثيابها، وجعلتها تمسك ملعقة التحريك وأوقفتها إلى جانب قدر الذرة البيضاء، وعادت إلى أمها.

عــاد الأرنب مجدداً وقال: «افتحي، افتحي!» وفتَح البابَ ورمى الدمية بشيء علــى رأسها فسقط عنه منديل الرأس. وعندهــا أدرك الأرنب أنها ليست عروسه، فذهــب حزيناً.

×××

(٦٧)

الصيادون الإثنا عشر

في قديم الزمان أحب أمير أميرة، وعاشا في قصر أبيها الملك في سعادة غامرة. ذات يوم وصله خبر يقول إن أباه يعاني سكرات الموت ويطلب رؤيته قبل وفاته. قال الأمير لعروسه الحبيبة: «يجب علي أن أرحل الآن وأبتعد عنك. إليك هذا الخاتم ليذكرك بي. عندما أصير ملكاً سأعود إليكِ لآخذك إلى مملكتي». وركب حصانه وغادر.

حينما وصل إلى أبيه وجده مريضاً جداً، على شفا الموت، فخاطبه أبوه قائلاً: «يا بني الحبيب طلبت رؤيتك قبل موتي لرغبتي في ذلك، لأنها الأخيرة. عدني يا بني أن تتزوج حسب انتقائي لك»، وذكر له اسم أميرة محددة، هي التي يجب أن تصير زوجته. اغتم الابن جداً، فلم يفكر بالأمر على الإطلاق، بل قال لأبيه: «موافق يا أبي الحبيب، سأمتثل لإرادتك»، ثم أغمض الملك عينيه ورحل.

بعدما تُوِّج الابن ملكاً وانتهت مدّة الحداد، كان عليه أن ينفِّذَ وعده لأبيه، فأرسل يخطب الأميرة المحددة من والدها الذي أعلنَ موافقته. وصل الخبر إلى سمع عروسه الأولى، فأحزنها عدم وفائه لها واكتأبت جداً حتى كادت تموت غماً، فقال لها أبوها الملك: «يا ابنتي الحبيبة، لماذا كل هذا الحزن؟ تمنّي ما شئت، وسأحقق لك أمنيتك». فكرت برهة ثم قالت: «أبي الحبيب، أتمنى أن يكون معي إحدى عشرة فتاة، تشبهنني في ملامح الوجه وتماثلنني في القوام والهيئة»، فعلّق الملك: «إذا كان الأمر في حيّز الممكن، فستُلبّى رغبتك»، وأمر بالبحث طويلاً في جميع أنحاء مملكته حتى عُثِر على إحدى عشرة فتاة يشبهن ابنته في الوجه والقوام والهيئة.

Twitter: @ketab_n

حينما وصلن إلى القصر أوعزت الأميرة بتفصيل اثنتي عشرة بدلة صيد رجالية متماثلة. لبست إحداها وجعلت الفتيات يلبس البقية. ومن ثم ودَّعت والدها وانطلقت على الخيل مع مجموعتها المتنكرة كصيادين إلى مملكة عريسها السابق، الذي ما زالت تحبّه جداً. وعندما قابلته سألته عمّا إذا كان بحاجة إلى صيادين، وعمّا إذا كان مستعداً لتوظيف المجموعة كلها في خدمته. نظر إليها الملك ولم يتعرفها، ونظراً لانسجام المجموعة ووسامة أفرادها، وافق، وبكل سرور على توظيفهم، فصاروا صيادي الملك الاثني عشر.

ولكن كان لدى الملك أسدٌ، عجيب غريب، إذ كان يعرف كل شيء ولا تخفاه خافية. وحدث ذات مساء أن قال للملك: «أتظن أنك قد وظّفت عندك اثني عشر صياداً؟» فأجابه الملك: «نعم، عددهم اثنا عشر صياداً». فأردفَ الأسد: «أنت مخطئ، لأنهن اثنتا عشرة فتاة»، فأجاب الملك: «يستحيل أن يكون كلامك صحيحاً، ثم كيف ستثبت لي ذلك؟» فقال الأسد: «الأمر بسيط، انثر بعض حبوب البازلاء اليابسة على أرض ردهة الاستقبال، وستكشف ذلك فوراً. فللرجل خطوة ثابتة عندما يمشي على البازلاء، فلا تتحرك الحبوب تحت قدميه، في حين تصبح خطوة الفتاة قصيرة ومتعجلة ومتعثرة، ما يؤدي إلى تدحرج الحبوب». لاقت النصيحة استحسان الملك، فأمر بنثر البازلاء.

بيد أن أحد خدم الملك كان ميالاً للصيادين، فما أن سمع أنهم سيتعرضون لاختبار، حتى سارع إلى إخبارهم بكل شيء وأضاف: «يريد الأسد إقناع الملك بأنكم فتيات». شكرته الأميرة ثم قالت لفتياتها: «عليكن بالتماسُك والخطو بثبات على حبوب البازلاء!» وفي صباح اليوم التالي، عندما استدعى الملك الصيادين إليه، فعبروا الردهة، حيث نُثرت الحبوب، كانت مشيتهم قوية وخطواتهم ثابتة، فلم تتحرك أو تتدحرج حبة واحدة. وبعد انسحابهم خاطب الملك الأسد قائلاً: «لقد كذبتَ علي. إنهم يمشون كالرجال»، فأجابه الأسد: «لقد علمن بأنهن سيتعرضن لاختبار، فتماسكن. أَوعِز بوضع اثني عشر دولابَ غزلٍ في الردهة، وعند مرورهن ستلفت المغازل انتباههن، ويبدو عليهن السرور وينشغلن بها.

وهـذا مالا يفعله رجل». لاقت النصيحة قبول الملـك، فأوعز بوضع المغازل في الردهة.

لكـن الخادم نفسـه، المخلص للصياديـن، أخبرهم بالخطـة المدبرة. فقالت الأميـرة للفتيات حالما بقين وحدهن: «تمالكـن أنفسكن ولا تلتفتن إلى دواليب الغزل مطلقاً». وحين استدعى الملك صياديه في صباح اليوم التالي، عبروا الردهة مـن دون أن يبْـدوا أي اهتمام بدواليب الغـزل، فكرر الملك قولـه لأسده: «لقد كذبـتَ علي. إنهم رجال، حتى إنهم لم يأبهوا بوجـود المغازل». فأجابه الأسد: «لقـد علمن بأنهـن سيتعرضن لاختبار، فتماسكـن». إلا أن الملك لم يعد يصدق الأسد.

كان الصيـادون الإثنا عشر يرافقون الملك كلما خـرج للصيد، وكلما امتدّت معاشرته لهم ازداد تعلقاً بهم. وذات مرة في أثناء رحلة صيد، وصل الملكَ خبرُ أن موكـب عروسه في طريقه إلى القصر. عندما سمعت عروسه الحقيقية بذلك آلمها الخبر جداً وكاد قلبها يتوقف عن الخفقان، وسقطت مغشياً عليها. ظن الملك أن صيادَه العزيز أُصيب بمكروه فهرع إليه لمساعدته وخلع عنه قفازيه، فرأى الخاتم التـذكار الذي أهداه لحبيبته، فأمعن النظر فـي وجهها وتعرفها، فتحركت شغاف قلبـه فقبّلهـا، وعندما فتحت عينيها قال لها: «أنتِ لي، وأنـا لك، ولن يغيّر إنسانٌ في الدنيـا ذلك». وأرسل ساعياً إلى العروس الأخرى يرجوها أن تعود إلى مملكة أبيهـا، لأن شريكة حياته موجودة، ومن يعثر على مفتاح قلبه القديم لا يحتاج إلى مفتاح جديد.

بعد ذلـك أُقيم حفلُ الزفاف وعقدُ القرآن، وأعيـد الاعتبار إلى الأسد، فهو لم يقل سوى الحقيقة.

×××

Twitter: @ketab_n

(٦٨)

المشعوذ ومعلمه

رغب يـان في أن يتعلم ابنه حرفة، فذهب إلى الكنيسة وصلّى لربه وسأله عن خير مهنة لابنه. كان الشمّاس واقفاً خلف المذبح فقال موحياً: «الشعوذة، عليه بالشعوذة». عاد يان إلى داره وأخبر ابنه أن عليه تعلم الشعوذة، فهذا هو ما أشار عليه به الرب. ثم خرج بصحبة ابنه بحثاً عن رجل يفهم في أمور الشعوذة.

مشيا مدّة طويلة إلى أن وصلا إلى غابة كبيرة، حيث وجدا كوخاً صغيراً تعيش فيـه امرأة عجوز. سألها يان: «أتعرفين رجلاً يفهم فـي أمور الشعوذة؟» فأجابته العجوز: «يمكنك هنا تعلّم هذه الأمور، فابني معلم في هذه المهنة». فتوجه يان بكلامه إلـى ابنها وسأله، عما إذا كان ضليعاً حقاً فـي الشعوذة؟ فأجابه المعلم: «سأجعـل من ابنك خبيراً. ارجع إلي بعد سنة، فإذا تعرفت بعدها على ابنك، لن أتقاضى منك أجر تعليمه. أما إذا لم تتعرفه فعليك أن تدفع لي مئتي دينار».

عـاد يان إلـى داره، في حين أخذ ابنـه يتعلم الشعوذة وفنـون السحر بصورة جيدة.

وبعـد مضي سنـة، توجّه يان إلى كوخ المعلم، وهو يفكر حزيناً، بما عليه أن يفعله ليتعرف ابنه، وكان يبربر أثناء الطريق عندما التقى قزماً بادره بالسؤال: «ما بالـك تبربر يـا رجل؟ تبدو مكدَّراً مغتمّاً!» فأخبره يـان: «قبل سنة وضعتُ ابني عنـد معلـم ليتعلم مهنة الشعوذة، فطلـب مني المعلم أن أعودَ بعـد سنة، وإنْ لم أتعـرف ابنيٍ فعلـي أن أدفع له مئتي دينار، أما إذا تعرفته فلا حاجة بي لدفع شيء.

Twitter: @ketab_n

وأنا خائف الآن من أن لا أتعرفه، ولا أدري من أين سآتي بالمبلغ». فقال له القزم بأن عليه أن يأخذ معه كسرة خبز ويقف إلى جانب الموقد، وسيرى العارضة المعدنية التي تحمل خطافات قدور الطبخ، وسيرى إلى جانبها قفصاً صغيراً يطل من بين قضبانه طائرٌ صغير، وهذا الطائر هو ابنه.

وصل يان إلى كوخ المعلم ورمى كسرة خبز أسمر أمام القفص، فخرج الطائر الصغير من القفص وعاين كسرة الخبز. وعندها صاح يان: «مرحباً يا بني، أهذا أنت؟» فرح الابن لرؤية أبيه، أما المعلم فقال ليان: «لا شك في أن الشيطان قد أخبرك، وإلا كيف كنت ستتعرف ابنك؟» فتدخل الابن قائلاً: «يا أبي، دعنا نذهب».

على طريق العودة إلى الدار رأى يان وابنه عربة ركاب قادمة، فقال الابن لأبيه: «سأسحر نفسي فأتحول إلى كلب سلوقي كبير، وستربح من بيعي مالاً كثيراً يا أبي». وإذا براكب العربة يصيح به: «يا رجل، أتريد بيع هذا الكلب؟» «نعم» أجابه الأب. «وكم تريد به؟» سأله راكب العربة. «ثلاثين ديناراً» أجاب الأب. فقال الراكب: «هذا كثير يا رجل، ولكن بما أنه ضخم وجميل فسآخذه»، وأخذه إلى عربته. وما أن ابتعدت العربة قليلاً، حتى قفز الكلب عبر نافذة العربة واستعاد هيئته البشرية وعاد إلى أبيه، ليتابعا طريقهما إلى دارهما.

في اليوم التالي كان موعد إقامة السوق في القرية المجاورة، فقال الابن لأبيه: «سأسحر نفسي الآن وأتحول إلى جواد جميل، فتبيعني في السوق، ولكن عندما تفعل ذلك عليك أن تنزع عني اللجام، وإلا فإني لن أستعيد هيئتي البشرية». ذهب الأب بالجواد إلى السوق، وفي الوقت نفسه حضر إلى السوق معلم الشعوذة واشترى هذا الجواد بمئة دينار، إلا أن الأب المرتبك نسي نزع اللجام. ساق المعلم الجواد إلى داره في الغابة وأوقفه في الاصطبل. وحينما عبرت الخادمة الفناء، قال لها الجواد: «انزعي عني اللجام! انزعي عني اللجام!» فتوقفت الخادمة وأصغت ثم قالت: حسناً، أنت تستطيع الكلام؟» وذهبت إليه ونزعت

Twitter: @ketab_n

عنه اللجام. فجأة تحول الجواد إلى عصفور طار فوق الباب، لكن المعلم انتبه لما جرى فتحول هو أيضاً إلى عصفور وطارد الأول.

اشتبك العصفوران ونزلا ببعضهما عضاً ونقراً. اضطر المعلم إلى الانسحاب وغطس في البحيرة المجاورة متحولاً إلى سمكة. وعندها تحول الابن أيضاً إلى سمكة وعاودا عض بعضهما بعضاً حتى استسلم المعلم وتحول إلى دجاجة، فتحول الابن إلى ثعلب طارد الدجاجة وعض رأسها فانتزعه، فسقط المعلم ميتاً وما زال ميتاً حتى يومنا هذا.

×××

Twitter: @ketab_n

(٦٩)

يوريندِه ويورينغِل

فـي سالف الأيام كان هنــاك قصر يتوسط غابة كثيفة واسعــة، سكنت فيه امرأة عجـوز وحدها، وكانت ساحرة مَهولة؛ تحوّل نفسها نهاراً إلى قطة أو بومة لتعود مساء إلى هيئتها البشرية.

كان بمقدورهــا جذب الحيوانات البرية والطيور إليهــا، ثم تذبحها وتسلقها أو تشويهــا أو تقليها. وإذا اقتــرب رجل من أسوار قصرها حتى مسافة مئة خطوة، كان يتصلــب في مكانه، حتى تفك عنــه الرصد. أما إن كان المقترب صبيَّةً عفيفةً فكانــت تسحرها إلـى طائرٍ وتحبسها فــي قفص وتحمل القفصـ إلى حجرة في القصر، حيث احتفظت بسبعة آلاف قفص، فيها أندر الطيور.

وكان هناك في الجوار صبيــة اسمها يوريندِه، هي الأجمل بين الفتيات، وكان هناك شاب وسيم جداً اسمه يورينغل، وقد ارتبطا بأواصر الخطوبة وكانا يمضيان معــاً أيامها، هانئين ببعضهما بعضاً إلى درجة السعــادة. ولكي يأخذا راحتهما في الكلام كانــا يتنزّهان في الغابة. قال يورينغل ليوريندِه: «احترسي من الاقتراب من القصــر!» وكانت فترة بعد العصر جميلة، الشمســ تشع من بين جذوع وأغصان الشجــر فتضيء داخل الغابــة الأخضر القاتــم، واليمام يرتّل نشيــده الحزين على أشجار الزّان الهرمة.

بيــن الحين والآخــر كانت يوريندِه تبكي، وتجلس في ضــوء الشمس وتنوح، مثلهــا مثل يورينغل، وداهمها قلق مفزع وكأنهما سيموتان. تلفتا حولهما، فأدركا

Twitter: @ketab_n

أنهما قد تاها وما عادا يعرفان الطريق إلى القرية. كان نصف قرص الشمس ظاهراً فوق الجبل ونصفه الآخر غائباً وراءه. مدَّ يورينغل نظره بين الشجيرات فرأى سور القصر القديم فارتعب وارتعد. قالت يوريندِه:

«طيري الصغير ذو الطوق الأحمر

يغني: تألمي تألمي تألمي،

ينشد اليمام أغنية موته،

يغني: تألمي تألمي - تسيكوت تسيكوت».

التفت يورينغل إلى يوريندِه بسرعة، فإذا بها قد تحولت إلى عندليب يغني: تسيكوت، تسيكوت». وفي الوقت نفسه طارت بومة ليلية ذات عينين متوهجتين ثلاث مرات فوقهما وحولهما وزعقت: «هو-هو-هو-هو». لم يعد يورينغل قادراً على الحركة، تصلّب كحجر، غير قادر على البكاء أو الكلام، أو على الإتيان برعشة من يده أو قدمه.

غابت الشمس، فحطت البومة على فرع شجرة وتحولت من فورها إلى عجوز شمطاء صفراء، نحيلة بعينين حمراوين كبيرتين وأنف معقوف تُلامس أرنبته أسفل ذقنها المدببة. بربرت ثم قبضت على العندليب بيدها وأخذته بعيداً. لم يستطع يورينغل أن يتلفظ بكلمة ولا أن يحرك ساكناً، والعندليب اختفى. أخيراً عادت العجوز الشمطاء وقالت بصوت عميق: «أحييك يا زاخيل، عندما يضيء القمر القفص فك رصده يا زاخيل، في الوقت المحدد تماماً»، فتحرر يورينغل وخرَّ على ركبتيه أمام المرأة يتوسل إليها أن تعيد إليه يورينغل. إلا أنها أصرت على أنه لن يحصل عليها ثانية أبداً، وغادرت. نادى يورينغل وبكى وناح، ولكن من دون جدوى، ثم قال لنفسه: «آه، ماذا سيجري لي؟» ومشى مغادراً المكان، حتى بلغ أخيراً قرية غريبة، حيث عمل مدة طويلة راعي غنم.

Twitter: @ketab_n

وكان كثيراً ما يتجول حول القصر، من دون أن يقترب منه. وأخيراً في أثناء نومه ليلاً رأى في الحلم أنه قد عثر على وردة حمراء قانية، وفي وسطها لؤلؤة كبيرة جميلة. قطف الوردة وذهب بها إلى القصر، فكان كل ما يجعل الوردةَ تلمسه يُفَكُ رصدُ السحر عنه، ورأى أنه قد استعاد بالوردة حبيبته يوريندِه. وفي صباح ليلة الحلم استيقظ يورينغل وبدأ يبحث في الجبال والوديان، عساه يعثر على مثل تلك الوردة.

استمر في البحث تسعة أيام حتى عثر في الصباح الباكر على الوردة الحمراء القانية، وكان في وسطها قطرة ندى كبيرة كأجمل اللآلئ. حمل هذه الوردة معه ليلاً ونهاراً حتى بلغ قصر الساحرة، وحينما شارف على مسافة مئة خطوة لم يتصلب فيه شيء، فتابع الطريق حتى البوابة، وكان بالغ الفرح. لمس البوابة بالوردة فانفتحت على مصراعيها. دخل وعبر الفناء وهو ينصت، لعله يسمع أصوات الطيور الكثيرة المحتجرة.

وأخيراً التقطت أذناه الأصوات، فتوجه نحوها حتى وصل إلى قاعة واسعة رأى فيها الساحرة وهي تطعم الطيور في السبعة آلاف قفص. وحالما رأت يورينغل تملكها غضب شديد وأخذت تشتم وتلعن وتسب وتقذع في الكلام. لكنها لم تستطع الاقتراب منه، وبقي بينهما خطوتا أمان لها. لم يأبه لها يورينغل بل أخذ يتفحص أقفاص الطيور، فوجد هناك مئات العنادل، وكيف سيميز إذاً يوريندِه بينها كلها؟ وفيما هو مستغرق في معاينة العنادل، لاحظ أن العجوز قد حملت سراً أحد الأقفاص واتجهت نحو الباب. فقفز يورينغل بسرعة إليها ولامس القفص بالوردة، وكذلك أيضاً العجوز التي فقدت بذلك قدراتها السحرية. وفي الوقت نفسه وقفت أمامه يوريندِه وعانقته، وكانت فاتنة الجمال كعهدها. ومن ثم حرر يورينغل بوردته جميع الفتيات من رصد السحر، وتوجه مع حبيبته يوريندِه إلى دارهما حيث عاشا طويلاً في سعادة وهناء.

×××

Twitter: @ketab_n

(٧٠)

أبناء الحظ الثلاثة

استدعـى أبٌ أبناءه الثلاثة إليه وأهدى الأول ديكاً والثاني منجلاً و الثالث هراً، وقـال لهم: «لقد تقدم بي العمر يا أولادي، والموت صار قريباً، ولهذا أردت قبل رحيلـي عنكم أن أطمئن على مستقبلكم. أنا لا أملك مالاً، وما أعطيتكم إياه اليوم يبدو قليل القيمة، لكن الأمـر يتعلق بكيفية استخدامه: ابحثوا لأنفسكم عن أرض ما زالت تجهل هذه الأشياء. عندها سيضرب حظكم ضربته».

بعـد وفـاة الأب خرج أكبر الأبناء مـع ديكه ليجرّب حظّـه، إلا أنه حيثما حلّ كان الديـك معروفاً. ففي المـدن كان يراه من بعد، واقفاً على ذرى الأبراج، يفتل حسـب اتجاه الريح. وفـي القرى كان يسمع أصوات عـدة ديكة، وليس ثمة من يبدي إعجابه بهذا الحيوان، فبدا الأمر وكأن الابن الأكبر لن يجد حظّه بالديك.

بيـد أنه وصل أخيراً إلى جزيرة لا يعرف أهلهـا شيئاً عن الديكة، ولا يعرفون كيف يقسمون وقتهم. صحيح أنهم لم يجهلوا الفارق بين الليل والنهار، لكن إنْ لـم يناموا ليلاً فليس بينهـم من يستطيع تحديد الوقت حتـى انبلاج الفجر. فقال لهم الابن الكبير: «انظـروا أي حيوان فخور جلبت لكم، بعرفه القرمزي كالتاج ومهمازيه كفارس. إنه يصيح ثلاث مرات أثناء الليل في أوقات محددة، وبعد آخر مـرة بقليل تشرق الشمـس. أما إنْ صاح في وضح النهـار، فهيئوا أنفسكم لتغيرٍ مؤكدٍ في حالة الطقس». أُعجب أهل الجزيرة بالديك وبقوا ليلة كاملة مستيقظين وسمعوا بفرح غامر صياح الديك عند الساعة الثانية، والرابعة، والسادسة بوضوح وجـلاء. سألوا الكبير عما إذا كان هذا الحيـوان للبيع، وكم يطلب به، فأجابهم:

Twitter: @ketab_n

«حمولـة حمـار من الذهـب». فهللوا معاً فرحين: «يا لـه من سعر بخس لقاء هذا الحيوان الثمين»، وزودوه بكل سرور بما طلب.

عندمـا عاد إلى الدار مع كل تلك الثروة استغرب أخواه الأمر، وقال الأوسط: «سأخـرج أنـا إذاً لأرى إنْ كان منجلـي سيأتيني بمثل ضربـة الحظ هذه». لكن الأحـوال لم توح بذلك، فحيثما اتجه كان يلتقـي فلاحين يحملون على أكتافهم مثل منجله. لكنه التقى الحظ أخيراً في جزيرة لا يعرف سكانها شيئاً عن المناجل. وعندمـا تنضج الحبـوب عندهم، كانـوا ينصبون مدافع أمـام الحقول ويطلقون القذائـف. كانت هـذه الطريقة غير آمنة طبعاً، فبعضهـم كان يسدد فوق السنابل وبعضهـم كان يصيب السنابل نفسها بدل عيدانها، فيؤذي بدلاً من أن ينفع، هذا إضافـة إلى الضجيـج المزعج. فوقـف الأوسط في أول الحقـل وحصده بهدوء وسرعـة، بحيث فتح السـكان أفواههم وأنوفهـم من الدهشة. كانـوا مستعدين لإعطائـه مـا يطلب لقاء منجله، فحصـل على حمولة حصان مـن الذهب، وعاد بالثروة إلى الدار.

والآن أراد الأخ الثالـث أن يجـد المكان المناسب لهـره. لكن حاله لم يكن أفضـل من حال أخويه في المرحلـة الأولى، فما دام باقياً على البر فلا مجال لهره أن يحقق شيئاً، إذ كانت القطط موجودة في كل مكان، أكثر من الهمّ على القلب، لدرجة أن صغارها كانت تُغرَق في الماء للخلاص منها.

وأخيراً ركب سفينة إلى جزيرة لاقى فيها حظه، لأن سكانها لم يسبق أن رأوا هـراً قَطُّ، ولذلك كانت الفئـران هناك تسرح وتمرح دون خـوف وترقص على الطـاولات والمقاعد، سواء في وجود سكان البيـت أم في غيابهم. وكان سكان الجزيرة يتذمّرون من هذه الجائحة، وحتى الملك في قصره لم ينج من هجومها، فكانـت أصواتها تُسمع من كل الزوايا وهي تقرض كل ما تستطيع أسنانها تفتيته. وهنا بدأ الهر جولة صيـده، وسرعان ما نظّف بعض الحجرات والصالات منها، فتوسـل الناس إلـى الملك لشراء هذا الحيوان العجيب لقـاء المملكة كلها. فقدم

Twitter: @ketab_n

الملك بترحاب ما طلبه الأخ الثالث، وكان حمولة بغل من الذهب، أي أكبر ثروة بين أخوته، عاد بها إلى الدار سعيداً.

حوّل الهر قضيته مع الفئران في القصر الملكي إلى متعة حقيقية، فأخذ يعض منها ويقتل مالا يحصى. ولكن كثرة النشاط أشعرته بالحرارة والعطش، فتوقف، رفع رأسه وصاح: «مياو، مياو». عندما سمع الملك وحاشيته هذه الصيحة الغريبة ارتعبوا وتراكضوا مغادرين القصر. في فناء القصر عقد الملك اجتماعاً استشارياً لاختيار أفضل سبيل للتصرف، فأجمعوا أخيراً على إرسال موفد ملكي إلى الهر يطالبه بمغادرة القصر أو الاستعداد لمواجهة القوة العنيفة ضده. كان رأي المستشارين: «نحن نفضل غزو الفئران، فقد اعتدنا عليه. لكننا غير مستعدين للتفريط بحياتنا تجاه هذا الوحش». فاختاروا فتىً نبيلاً، أوفدوه إلى الهر ليسأله عما إذا كان مستعداً من تلقاء نفسه للجلاء عن القصر. بيد أن الهر الذي ازداد عطشه أكثر فأكثر، أجابه فقط بقوله: «مياو، مياو». أما الفتى ففهمها بمعنى: «أبداً، أبداً»، ونقل جوابه إلى الملك. فقال المستشارون: «إذاً، لا بد من اللجوء إلى العنف». فنصبت المدافع وأطلقت القذائف المشتعلة على القصر. عندما وصلت النار إلى الصالة حيث يجلس الهر، قفز بنجاح عبر النافذة إلى الخارج، في حين أن المحاصِرين لم يتوقفوا عن دك مدافعهم حتى صار القصر حطاماً.

×××

Twitter: @ketab_n

(٧١)

ستة يغزون الدنيا

في قديم الزمان كان هناك رجل مسّبع الكارات، خاض الحرب جندياً شجاعاً مقداماً في كل المواقف، ولكن عندما وضعت الحرب أوزارها، سُرِّح من الخدمة ومُنح ثلاثة دنانيـر تعويض طعام حتى وصوله إلى داره. فقال لنفسه: «ما هذا؟ لن أرضى بهذا. إنْ وجدتُ الرجالَ المناسبين فسأجعلُ الملكَ يدفعُ خزينته كلها».

دخـلَ الغابـة غاضباً حانقاً فـرأى رجلاً واقفاً وقـد اقتلع ستـة أشجار وعرّى جذوعهـا من الأغصـان، وكأنها سنابل، فقـال له: أترغب فـي أن تصبح خادمي وترافقنـي؟» فأجابه الرجل: «نعـم، ولكن عليّ أولاً إيصـال كمشة الحطب هذه لأمي في الدار»، وأمسك بشجرةٍ ولفَّها حول الخمسة الأخرى، رفع الحزمة على كتفـه وذهب. عاد بعد قليل ورافـق سيده الذي قال: «نحن الاثنـان سنغزو الدنيا وننجح».

بعـد فتـرة وجيـزة رأيا صيـاداً راكعاً علـى ركبته وقد رفـع بندقيتـه إلى كتفه وصـوَّب، فقال لـه السيد: «على أي هدف تصوِّب أيهـا الصياد؟» فأجابه: «على مسافـة كيلومترين مـن هنا تقف ذبابة على غصن شجرة سنديـان، أريد أن أصيب عينهـا اليسرى». فقال له السيد: «ليتك ترافقني، فإن اتحدنا نحن الثلاثة فسنغزوا الدنيا وننجح». كان الصياد مستعداً فرافقهما.

مـروا على الطريـق بسبع طواحين هوائية كانت مراوحهـا تدور بسرعة كبيرة علـى الرغم من عدم وجود نسمة هـواء تحرك ورقة شجر. قـال السيد: «لا أرى

Twitter: @ketab_n

سبباً لحركة مراوح الطواحين، من دون وجود ريح»، وتابع طريقه مع خادميه. بعد نحو كيلو مترين رأوا رجلاً جالساً فوق شجرة، يسدُّ أحد منخريه بأصبعه وينفخ من الآخر. سأله السيد: «ما الذي تفعله فوق يا رجل؟» فأجابه: على مسافة كيلومترين من هنا تنتصب سبع طواحين هوائية، وأنا أنفخ كي أُدير مراوحها». فقال السيد: «ليتك ترافقني، فإنْ اتحدنا نحن الأربعة فسنغزوا الدنيا وننجح»، فنزل النفّاخ عن الشجرة ورافقهم.

بعد فترة قصيرة التقوا رجلاً يقف على ساق واحدة، وقد فكَّ الساق الأخرى وسندها إلى الحائط. فقال له السيد: «يا لها من طريقة مريحة للاسترخاء!» فأجابه الرجل: «أنا عدَّاء، وكيلا أُسرع جداً في عدْوي، فككتُ ساقيَ الثانية، لأني إنْ عدوتُ بساقين فإني أسبق الطير»، فقال له السيد: «ليتك ترافقني، فإنْ اتحدنا نحن الخمسة فسنغزوا الدنيا وننجح»، فركّب ساقه ولحق بهم.

وبعد مسافة قصيرة من الطريق التقوا رجلاً يضع على رأسه قبعة مائلة جداً نحو إحدى أذنيه. خاطبه السيد قائلاً: «تأدَّب يا رجل، ما هكذا تلبسُ القبعات، هيا جلِّسها! إنك تبدو هكذا مثل مهرج مجنون»، فأجابه الرجل: «لا يجوزُ لي أن أجلِّسها كما ينبغي، وإلا فسينتشر صقيعٌ مروِّع يتجمدُ بسببه الطير في الجو ويهوي ميتاً»، فقال له السيد: «ليتك ترافقني، فإنْ اتحدنا نحن الستة فسنغزوا الدنيا وننجح».

بعد مدة دخل الستة معاً مدينةً، أعلن الملكُ فيها أنَّ مَن يسابق ابنتَه الأميرة في الجري ويفوزُ في السباق، يصبحُ زوجاً لها، أما مَن يخسر السباق فسيخسر رأسه أيضاً. تقدَّم سيد المجموعة إلى الملك وقال: «أنا مستعد لدخول السباق، لكني أريد أن يعدو خادمي بدلاً مني»، فأجابه الملك: «عليكَ في هذه الحال أن تضيفَ رأسَه إلى رأسك رهناً لنتيجة السباق!» وبعد أن اتفقا وتعاقدا شدَّ السيدُ أربطةَ ساقِ عدَّائه وقال له: «كنْ كالريح الآن وساعدنا في الفوز». كان شرطُ السباق أنَّ مَن يصل إلى النبعِ البعيدِ ويملأُ جرتَه منه ويصل إلى نقطةِ الانطلاق أولاً، يفوزُ في

Twitter: @ketab_n

السبـاق. حصلَ العدّاء على جرة مثل الأميـرة، وانطلقا في الوقت نفسه، ولكنْ ما كادت الأميرةُ تقطع مسافةً قصيرة حتى غابَ العدّاء عن أنظار جمهورِ المتفرجين، ولـكأن ريحاً عاصفـةً قد عبرت المكان. بعد مدة وجيزة وصـل العداء النبع، ملأ جرتـه منـه وانطلق عائداً. لكـن التعب غلبهُ فـي منتصف الطريق، فوضـعَ الجرّةَ جانبـاً واستلقى ونام، وقد توسَّد جمجمةَ حصانٍ وجدها ملقية هناك، وذلك كيلا يستغرق في النوم، وإنمـا ليستيقظَ بعد فترة قصيرة. في ذلك الحين كانت الأميرةُ قـد وصلت إلى النبع، وهي عداءةٌ ممتـازةٌ بمقياس البشرِ العاديين، فملأت جرتها وعـادت، وحينما رأت العدّاء مستلقياً ونائماً، فرحـتْ وقالت لنفسها: «لقد وقع العدو في قبضة يدي»، وأفرغتْ جرّتَه وتابعت ركضها. كان كل شيء سيضيع، لو لم يكن الصيادُ الحادُ النظر، واقفاً على سطح القصر يراقب كل شيء، فقال لنفسه: «لا يجوز للأميرة أن تقف في وجهنا». لقَّم بندقيته وأطلق رصاصة بمنتهى الدقة، طيَّرت جمجمة الحصان من تحت رأس العدّاء، من دون أن تؤلمه. استيقظ العدّاءُ، قفـزَ واقفاً ورأى جرتّه الفارغـة والأميرةَ التي قطعت شوطاً لا بأسَ به نحو النهاية. بيـدَ أنه لـم يفقد شجاعتَه، بل طارَ عائـداً إلى النبع، ملأَ جرته مجـدداً، وبلغَ خط النهايـة قبل الأميرة بعشر دقائق. وحال وصوله صرَّح للمتفرجين: «أترون !، الآن فقط حركتُ ساقيَّ، أما ما قبلَ ذلك فلا يُسمى ركضاً حقيقياً».

استـاءَ الملكُ من النتيجة، وكان انزعاجُ الأميـرة أكبر، لكونِ مَن فاز بها جندياً عاديـاً ومُسرَّحـاً مـن الخدمة. فتشـاوروا مع بعضهمـا حول طريقـةٍ للتخلص منه ومـن جماعتـه كلها، ثم قال لهـا الملك: «لقد وجدتُ الطريقـة، فلا تبتئسي! لن يعـودوا إلى ديارهم». ثم التفت إلى المجموعة وخاطبهـا قائلاً: «يحقُ لكم الآن أن تحتفلـوا مع بعضكم، وأن تأكلـوا وتشربوا»، وقادهم إلـى حجرة أرضها من حديد، وكذلـك أبوابها، كما كانتِ نوافذها مزودة بقضبان حديدية، وقد نُصبت فـي الحجرة مائدةٌ عامرةٌ بأطايب المأكـولات. قال لهم الملك: «تفضلوا، خذوا راحتكـم واهنأوا». وبعـد دخولهم أمر بإغلاق الأبـواب وإقفالها، ثم أمر الطبّاخ بإيقـاد نـار تحت الحجرة حتـى يتوهج الحديد. نفـذ الطباخ الأمر، وبـدأ الستة

Twitter: @ketab_n

حول المائدة في الحجرة يشعرون بالحر، وعزوا ذلك إلى الطعام. ولكن عندما تصاعدت الحرارة، وأرادوا الخروج فوجدوا الأبواب والنوافذ موصدة، أدركوا أن الملك قد نوى الشر وأراد أن يخنقهم. فقال صاحب القبعة المائلة: «لن ينجح في ذلك، سأولِّد صقيعاً ستخجل منه النار وتندحر»، وجلَّس قبعته. فجأة انتشر الزمهرير والصّقيع، واختفت الحرارة، وبدأت المأكولات تتجمد في صِحافها.

وبعد مضي نحو ساعتين، ظنَّ الملك أنهم قد هلكوا من الحرارة، فأمر بفتح الأبواب ليتفقدّ الوضع بنفسه، فإذا بالستة جميعهم واقفين أمامه بكامل صحتهم وحيويتهم، وقالوا له إنهم يرغبون بالخروج ليتدفأوا، فالمأكولات قد جمدت في الحجرة بسبب البرودة الشديدة. فنزل الملك مشحوناً بالغضب إلى الطبّاخ فوبخه وسأله عن سبب عدم تنفيذه ما أُمرَ به. فجاءه جواب الطباخ: «لكن النيران متأججة، انظر بنفسك!» نظر الملك فشاهد ناراً هائلة تحت الحجرة الحديدية، وأدرك أنه بهذه الطريقة لن ينال من الستة.

أعاد الملك التفكير في طريقة تُخلّصه من هؤلاء الضيوف الخبثاء، ثم استدعى رئيسهم وقال له: «إذا كنتَ تقبل بالذهب مقابلَ تنازلك عن حقك في ابنتي، فخذْ ما شئت»، فأجابه الجندي: «أقبل يا صاحبَ الجلالة. أعطني قدْرَ ما يستطيعُ خادمي حمله، وعندها أتنازل عن الأميرة». أراحَ هذا الجوابُ الملكَ، أما الجندي فأردف قائلاً: «سأعود إذاً بعد أسبوعين لآخذ الذهب».

بعد ذلك دعا الجندي جميع خياطي المدينة معاً، وطلب منهم أن يخيطوا له خلال أسبوعين كيساً واسعاً. حينما انتهوا أمرَ خادمه الذي يقتلعُ الأشجار كمن يقتلع السنابل أن يحملَ الكيسَ على كتفِه ويرافقه إلى الملك. ذُهل الملك لمنظر الرجل القوي وقال لنفسه: «أي حزمة قماش هائلة يحملها هذا العملاق على كتفه؟! وكم من الذهب سيحمل يا ترى؟» فأمر بإحضار طن من الذهب، حمله ستة عشر رجلاً من أقوى أقوياء المملكة. لكن مرافق الجندي حملهُ بيدٍ واحدة وأدخله في الكيس قائلاً: «لماذا لا تحضرون المزيد فوراً، فهذا لم يملأ قعر الكيس

بعـدْ». فأمر الملك تدريجياً بإحضار كنزه كله، ومع ذلك فإنه لم يملأ حتى نصف كيسِ القويِّ الذي صـاح: «اجلبوا المزيد، فهذه الفُتات لـن تملأه!» فأُحضِرت مـن جميع أطرافِ المملكـة سبعةُ آلاف عربة مُحمَّلة بالذهـب، دفعها القوي مع ثيـران جرّها داخل كيسه. فقال الجندي: «لن أدقق في ما سيأتي بعدْ، حتى يمتلئ الكيس». وعندما وُضِـع كل شيء في الكيس، بقي فيه فراغ واسع، لكن الجندي قال: «فلنضع حداً للأمر، إذ لا بد من ربط الكيس قبل أن يمتلئ». ثم ربطه القوي وحمله على كتفه وغادر مع الجندي.

عندمـا رأى الملـك أن رجلاً واحـداً قد حمل كل كنـوز المملكة وغادر بها، احتقن غضبـاً وأمر فرسانه بمطاردة مجموعة الستة وباستعادةِ الكيس من القوي. بعد مدة قصيرة لحقت بالستة كتيبتان من الفرسان، وصاح القائد بهم قائلاً: «أنتم معتقلـون، ضعوا الكيس بكل ما فيه على الأرض، وإلا فإننا سنمحوكم»، فسأله النفَّاخ: «ماذا تقول؟ نحن معتقلون؟ سأجعلكم ترقصون في الهواء قبل أن تحرّكوا ساكنـاً»، وأغلق أحد منخريـه ونفخ بالثاني الكتيبتين، فشتـت شملهما في الهواء وعلـى الطرقات وسفوح الجبال وفي جميع الاتجاهات. فطلب فارس منهم برتبة رقيـب الرحمة، فهو مجروح تسـع مرات، ولا يليق هذا العـار بشجاعته. خفف النفّـاخ ريحه عنه حتى وقـف من دون أذى، ثم قال له: «اذهـب الآن إلى ملكك وأخبـره بأن يرسل مزيداً مـن الفرسان لأنفخهم في الهـواء». عندما سمع الملك الرسالـة قال: «دعوهم يذهبون، فهم يستحقون». فحمل الستة الثروة إلى ديارهم وتقاسموها في ما بينهم وعاشوا بسعادة حتى آخر أيامهم.

×××

Twitter: @ketab_n

(٧٢)

الذئب والإنسان

ذات يـوم حكى الثعلب للذئب عن قوة الإنسان، وأنه لا يوجد بين الحيوانات مَـن يستطيع مقاومته، وأن على الحيوانات اللجوء إلى الحيلة لحماية أنفسهم منه. فأجابه الذئب: «ليتني أرى إنساناً، ولو مرة، لأهاجمه». فقال الثعلب: «أنا أستطيع مساعدتك في ذلك. تعالَ إليّ غداً صباحاً، فأريك واحداً».

وصـلَ الذئـب مبكراً، فقاده الثعلب إلـى الدرب الذي يمرُ منـه الصياد يومياً. كان أولُ مَـن مرَّ جندياً متقاعداً عجـوزاً، فسأل الذئبُ الثعلـبَ: «أهذا إنسان؟» فأجابـه: «لا، هذا كان إنساناً». بعد ذلك مرّ صبي صغير في طريقه إلى المدرسة. فسأله ثانيةً: «أهذا إنســان؟» فأجابه: «لا، هذا سيصير إنساناً». وأخيراً مرَّ الصياد ببندقيتـه المزدوجة على ظهره وخنجـرِ الصيد على جنبه، فقـال الثعلبُ للذئب: «أترى هذا القادم، هذا إنسان، وهذا مَن يجب أن تهجم عليه. أما أنا فسأبتعدُ إلى وِجاري». بدأ الذئبُ بالهجوم علـى الصياد الذي قال لنفسه عندما رآه: «البندقية للأسف ملقمة بفشكة وليس برصاصة»، وصوَّب نحو الذئب وأطلق على وجهه. كشر الذئـب وجهه بشدة، لكنه لـم يرتدع، بل تابع هجومـه، فأطلق عليه الصياد الفشكة الثانية. كتم الذئب ألمه وانقض على الصياد، فاستلَّ الصيادُ خنجره وطعنَ الذئبَ عدة طعنات يميناً ويساراً، فارتد هارباً نحو وِجار الثعلب وهو ينزف ويعوي ألماً. فسأله الثعلب: «والآن يا أخي الذئب، كيف انتصرتَ على الإنسان؟» فأجابه الذئـب: «آخ، لم أكن أتصور أن الإنسان على هـذه الدرجة من القوة. تناولَ أولاً قضيبـاً عن كتفه ونفـخ فيه، فطار شيء ما في وجهي سبب لي حكّة مريعة، ثم نفخ

Twitter: @ketab_n

فيــه مرة ثانيــة فرشني حول أنفي بشيء مثل البَرَد، وعندمــا التصقت به انتزع أحد أضلاعه وطعننــي به عدة مرات، فكدتُ أموتُ بين يديــه». فقال الثعلب: «أترى أنك منفاخ مُتبجّح، ترمي بلطتك بعيداً جداً، فتفقدها!»

×××

Twitter: @ketab_n

(٧٣)

الذئب والثعلب

آوى الذئبُ الثعلبَ في وجارِه، فصار الثعلبُ خادمَه، عليه أن ينفذ ما يطلبه منه، لأنه الأضعف. وكانت مُنْية الثعلب الكبرى أن يتخلص من هذا السيد.

كانا ذات مرة، يمشيان في الغابة، فقال الذئب: «يا ثعلب، أحضِر لي ما يؤكل، وإلا سآكلك أنت!» فكر الثعلب وأجاب: «أعرف مزرعة فلاح، يوجد فيها بعض الخرفان الصغيرة. إذا كنتَ راغباً، فلنذهب ونخطف واحداً منها». أعجبت الفكرةُ الذئبَ، فذهبا إلى المزرعة حيث خطف الثعلب حملاً وعاد به. أكل الذئب الحمل كله، ولم يكتفِ، بل أراد حملاً ثانياً، وذهب ليخطفه. ولكن بما أنه أخرق، فقد انتبهت أم الحملان وأخذت تثغو بصوت مريع. تراكض الفلاحون نحوها، ووجدوا الذئبَ، فأوسعوه ضرباً ورفساً إلى حدٍّ أن عاد إلى الثعلب وهو يعرج ويعوي من الألم، ثم قال للثعلب: «لقد مكرتَ بي فأوقعتني. أردتُ الحصول على الثاني فضبطني الفلاحون فضربوني حتى صرت كالخرقة المبلولة»، فأجابه الثعلب: «أضروريٌّ أن تكون شرهاً دائماً!».

وبعد فترة وجيزة كانا يسيران عبر الحقول فكرر الذئب النّهِمُ قوله: «يا ثعلب، أحضِر لي ما يُؤكل، وإلا سآكلك أنت!» فكّر الثعلب ثم أجاب: «أعرف بيت فلاحٍ، خبزت الفلاحةُ فيه اليوم فطائر بالمربى، فلنذهب ونأكل منها». ذهبا إلى بيت الفلاح، حيث تسلل الثعلب حول البيت، فراقب وتشمم طويلاً حتى عرف موقع صينية الفطائر، فسحب منها ست فطائر وأحضرها إلى الذئب قائلاً: «سدَّ جوعك بهذه»، وتابع طريقه. وبطرفة عين كان الذئب قد التهم الفطائر،

Twitter: @ketab_n

وقال لنفسه: «إنها لذيذة، وتغري بالمزيد». ذهب الذئب إلى المطبخ مباشرة وشدّ صينية الفطائر كلها فسقطت على الأرض بصورة مدوية وانكسرت حطاماً، فهرعت الفلاحة لترى ما حدث، فرأت الذئب، وصاحت تنادي الفلاحين، الذين أسرعوا لنجدتها وضربوا الذئب وأشبعوه ركلاً ورفساً، فعاد إلى الثعلب في الغابة بقدمين مشلولتين وصراخٍ يصمُّ الآذان، ثم قال للثعلب: «غوايتك الماكرة أوقعتني! لقد أمسك بي الفلاحون وأوسعوني ضرباً حتى ازرق جلدي!» فقال له الثعلب: «أضروري أن تكون طمّاعاً دائماً!»

وفي مرة ثالثة عندما كانا يسيران معاً في الغابة، والذئب يجرجر رجله العرجاء بجهد جهيد، قال للثعلب مجدداً: «يا ثعلب، أحضِر لي ما يؤكل، وإلا سآكلك أنت!» ومجدداً فكر الثعلب هُنيهةً ثم قال: «أعرف رجلاً ذبح بقرة وخزَّن اللحم المملح في برميلٍ في قبوِ داره، فلنذهب ونأكله». فقال الذئب: «هذه المرة سأدخل معك مباشرة، لكي تساعدني، إنْ لم أستطع الهروب». فقال الثعلب: «فليكن، تفضل!» وأراه الممرات ومناطق التسلل التي أوصلتهما أخيراً إلى القبو. كان اللحم هناك موجوداً بكميات وافرة، فهجم عليه الذئب وبدأ يلتهمه وهو يقول لنفسه: «ثمة ما يكفي من الوقت حتى أشبع». أما الثعلب فأكل ما اشتهت نفسه وهو يراقب كل ما حوله، وأكثرَ من التردد على الثغرة خروجاً ودخولاً ليجرب إذا ما كان جسمه لا يزال قابلاً للولوج من الثغرة. فسأله الذئب: «أخبرني أيها الثعلب العزيز، ما سبب خروجك ودخولك المتكرر؟» فأجابه الثعلب: «عليّ أن أنتبه إلى عدم قدوم أحد، أليس كذلك؟!» وأردف: «لا تكثر من الأكل بهذه الشراهة!» فقال الذئب: «لن أذهبَ من هنا قبل أن أُفرغ البرميل». في أثناء ذلك جاء الفلاح الذي سمع أصوات قفزات الثعلب، ودخل إلى القبو. حينما رآه الثعلب انسل بقفزة واحدة عبر الثغرة وهرب. أراد الذئب أن يلحق به، لكن ما التهمه جعله بديناً، فلم يتمكن من عبور الثغرة، بل علق فيها. أتى الفلاح بهراوة وظل يضربه حتى قتله. أما الثعلب فركض إلى الغابة فرحاً بخلاصة الأبدي من الذئب النّهم.

×××

Twitter: @ketab_n

(٧٤)

الثعلب والذئبة

أنجبت الذئبة جرواً صغيراً، فدعت الثعلب ليكون إشبينه، وقالت لزوجها مبررةً: «هناك صلة قرابة وثيقة بيننا وبينه، ثم إنه كبير العقل وصاحب مهارات. بمقدوره أن يعلّم ابني الصغير ويساعده في مواجهة هذه الدنيا».

جاء الثعلب في موعده بكلّ وِقار، وقال: «سيدتي الذئبة، اشكر لك دعوتك المشرّفة، وبناء عليه فإن سلوكي سيكون مدعاة لسرورك». وفي أثناء الجلوس إلى المأدبة أكل الثعلب وشرب مما لذ وطاب ونشر المرح من حوله بدعاباته، ثم قال: «سيدتي الذئبة العزيزة، من واجبنا رعاية الصغير وتأمين الغذاء الجيد له، كي ينمو قوياً معافى. أعرف زريبة غنم، يمكننا أن نخطف منها رأساً دسماً». أُعجبت الذئبة باقتراح الثعلب فذهبت معه إلى مزرعة الفلاحين. أراها الزريبة من بُعد، وقال لها: «يمكنكِ التسلل إلى الزريبة من هناك، دون أن يراكِ أحد. وفي أثناء ذلك سأقوم أنا بمراقبة الجانب الآخر، لعليّ أحظى بدجاجة». لكنه لم يذهب إلى الجانب الآخر، بل استلقى عند مدخل الغابة، مددٌ قوائمه واسترخى ليستريح. تسللت الذئبة إلى الزريبة، لكنّ كلب الحراسة رآها، فنبح منذراً بالخطر. تراكض الفلاحون وضبطوا الذئبة، فسكبوا على فروتها مادة قلوية حارقة. وأخيراً تخلصت منهم وتمكنت من الزحف إلى خارج الزريبة باتجاه الغابة، حيث وجدت الثعلبَ مستلقياً يشكو بألم قائلاً: «أخ يا عزيزتي الذئبة، لقد هاجمني الفلاحون وضربوني على قوائمي الأربعة. لا أظن قلبك سيطاوعك على تركي لأهلَكَ هنا، لذلك عليكِ أن تحمليني على ظهرك». لم يكنْ بوسع الذئبة أن تمشي إلا ببطء شديد، ومع ذلك انشغل بالها

Twitter: @ketab_n

جـداً على حال الثعلب، فحملت على ظهرها الإشبين المعافى طوال الطريق حتى بـاب وِجارها، وعندها قفز الثعلب عن ظهرهـا وهتف: «وداعاً يا عزيزتي الذئبة، تمتعي باللحم اللذيذ» وضحك ضحكةَ سخريةٍ طويلة وهرب.

×××

Twitter: @ketab_n

(٧٥)

الثعلب والقطة

حدث ذات يوم أن قابلت القطة في الغابة السيد الثعلب، ولأنها كانت تعتقد أنه ذكي ومجرّب وله مكانته في الحياة خاطبته بودٍ قائلة: «نهارك سعيد، أيها السيد الثعلب، كيف صحتك؟ كيف أحوالك؟ كيف تدبر أمورك في زمن الغلاء هذا؟» رازَ الثعلب القطة بكل عجرفةٍ من رأسها إلى قدميها وبقي مدة حائراً، أيجيب أم لا. لكنه أخيراً قال: «أنتِ أيتها المسكينة لحّاسة الشوارب، أيتها المهرّجة الملوّنة، أيتها الجائعة الأبديّة، يا صائدة الفئران! كيف خطر ببالك أن تتجرأي وتسأليني أنا عن أحوالي؟ ماذا تعلمتِ؟ كم فنّاً تتقنين؟» فأجابته القطة بتواضع: «لا أتقن سوى فن واحد»، «وما هو؟» سألها الثعلب. فقالت القطة: «فن الهروب. فعندما تطاردني الكلاب أقفز على شجرة، فأنقذ نفسي». فقال الثعلب باستخفاف: «أهذا كل شيء؟ أنا أتقن مئة فن وعندي فوق ذلك ذخيرة من الحيل والمكائد تملأ كيساً. إنني أرثي لحالِك، تعالي معي، سأعلمك كيف تتجنبين الكلاب». وخلال ذلك اقترب منهما صيّادٌ برفقة أربعةِ كلاب، فقفزت القطة برشاقة على شجرة وتسلقت أغصانها حتى الذروة حيث اختفت بين الأوراق تماماً، وصاحت من مكانها: «افتح كيسك يا سيد ثعلب، افتح كيسك!» بيد أن الكلاب كانت قد أمسكت به وثبتته. فصاحت القطة ثانية: «يا سلام يا سيد ثعلب، هاقد ثبتّوك مع كل فنونك المئة. لو كنتَ تتقن التسلق مثلي، لما فقدتَ حياتك».

×××

Twitter: @ketab_n

(٧٦)

القُرُنْفُلة

كانـت هناك ملكـة، شاء ربّنا ألاّ تنجب أولاداً. صـارت تخرج كل صباح إلى الحديقـة وتبتهل إلى الرب في السماء أن يُكرمها بابن أو ابنة. فنزل إليها ملاك من السماء وقال لها: «كوني راضية، ستنجبين ابناً، تتمتع أفكاره بقابلية التحقق. إذ إن كل ما يتمناه في هذه الدنيا سيحصل عليه». فهرعت إلى الملك وزفّت إليه البشرى السعيدة. وحينما انقضت مدة الحمل ولدت صبياً، فرح به الملك فرحاً كبيراً.

صـارت تخـرج كل صباح مـع الطفل إلى بركـة الحيوانات لتغتسـل عند نبع صـاف. وحـدث ذات يوم، بعدما كبـر الصبي قليلاً أن استلقى فـي حضنها بينما استغرقـت هي فـي نوم عميق. تقدم منهمـا طبّاخ القصر الـذي كان يعرف قابلية أفـكار الطفل للتحقق، فاختطفه وذبح دجاجة، وجعـل دمها ينقط على مئزر الأم وثوبها. ثم ابتعد بالطفل إلى مكان قصيّ ووضعه عند مرضعة لتشبعه، وعاد بأقصى سرعـة إلى الملك شاكياً إليه الملكة التي سمحت للحيوانات البرية بافتراس ابنها. عندما رأى الملك الدم على المئزر والثوب صدّق الطباخ، وتملكه غضب شديد، فأمـر ببنـاء برج عالٍ لا تدخلـه أشعة الشمس ولا القمر، وسجـن زوجته فيه وسدّ بابه، وحكم عليها بالبقاء فيه سبع سنوات من دون طعام أو شراب حتى تهلك. بيد أن الرب أرسل إليها ملاكين من السماء في هيئة حمامتين بيضاوين يزوّدانها مرتين يومياً بالطعام والشراب حتى تنقضي السنوات السبع.

أمـا الطباخ ففكر في نفسه: «إذا كانت أفكار الصبـي قابلةً للتحقق، وأنا هنا، فيمكـن أن يتسبب لي في مصيبة». فتركَ القصر والتحق بمكانِ إقامة الصبي الذي

Twitter: @ketab_n

كان قد كبر وبدأ يتكلّم، فقال له الطباخ: «تمنَّ لنفسك قصراً جميلاً وسط حديقة وملحقاتها». لم يكد الصبي يلفظ الكلمات حتى تحقق أمامه كل ما تمنّاه.

وبعد مدّة من الزمن قال للفتى: «لا يُستحسن بقاؤك وحيداً بهذا الشكل، تمنَّ لنفسك صبية جميلة ترافقك». تمناها الفتى في خياله، فانتصبت ماثلة أمامه بجمال لا مثيل له. فصارا يلعبان مع بعضهما وتعلّقا ببعضهما تعلّقاً شديداً، فيما كان الطباخ العجوز يخرج إلى الصيد كالنبلاء.

وذات مرة خطرت بباله فكرة أن الفتى قد يتمنى الوجود إلى جانب أبيه، فيورطه في مشكلة كبيرة، فخرج من القصر إلى الحديقة، انفرد بالصبيّة وقال لها: «في هذه الليلة، بعد أن ينام الفتى، اذهبي إلى سريره واطعنيه في قلبه بالسكين واحضري لي قلبه ولسانه. وإنْ لم تُنفّذي أمري، ستخسرين حياتك!» وغادر القصر. عندما عاد في اليوم التالي وجد أنها لم تنفذ أمره، بل قالت له: «كيف لي أن أقتل إنساناً بريئاً لم يؤذِ أحداً؟» فكرر الطباخ كلامه: «إنْ لم تنفذي أمري، ستخسرين حياتك». وبعد أن غادر، أمرتِ الخادمَ بإحضار غزالٍ صغير وذبحِه، ثم أخذت منه القلب واللسان ووضعتهما على صحن، وعندما رأت الطباخ العجوز عائداً، قالت للفتى: «استلق في السرير واسحب الغطاء فوقك».

دخل الطباخ الشرير الغرفة وسأل الفتاة مباشرة: «أين قلب الفتى ولسانه؟» فمدت له الفتاة الصحن بيدها، لكن الأمير الفتى رمى عنه غطاء السرير وخاطبه قائلاً: «أيها الكافر العجوز، لماذا أردت قتلي؟ الآن سأنطق بالحكم عليك. ستصبح كلباً صغيراً أسود، مربوطاً بسلسلة ذهبية، وسيكون طعامك جمراً متقداً كي يتصاعد اللهب من حلقك». وحالما نطق الكلمات تحول الطباخ العجوز إلى كلب صغير أسود مربوطٍ من عنقه بسلسلة ذهبية. وكان على الطباخين إحضار جمر متقد، التهمه الكلب فتصاعد اللهب من حلقه.

بقي الأمير الفتى فترة في هذا القصر وهو يفكّر في ما إذا كانت أمه لا تزال على قيد الحياة. وأخيراً قال للفتاة: «أنا أرغب في العودة إلى وطني، أتريدين الذهاب

Twitter: @ketab_n

معـي وبرعايتي؟» فأجابته الفتاة: «الطريق طويل جداً حتى وطنك، وماذا أفعل في بلـد غريب، لا أعرف أحداً فيه؟!» ولأنّ هذه كانت إرادتها الصريحة، ولأنهما لا يرغبـان في الافتراق عن بعضهما، تمنى الأمير أن تصبحَ قرنفلةً جميلة وخبأها في جيبه.

انطلـق الأميـر الفتى فـي رحلة العودة إلـى وطنه، وكان علـى الكلب الأسود أن يعـدو وراءه. وعنـد وصوله توجّه إلـى البرج، حيث توجد أمـه، وبسبب علو ارتفـاع البـرج تمنى وجود سلـم يصل حتـى ذروة البرج. صعد عليـه ونظر إلى الداخـل وهتف: «يا أمي الحبيبة، يا مليكتي، ألا تزالين على قيد الحياة، أم أنك قدْ مت؟» فجاءه الجواب: «لقد أكلتُ للتو، وما زلت شبعانة» وقد ظنّت أن الملاكين يخاطبانهـا. فقال الأمير: «أنا ابنك المحب، الذي يُزْعَـمُ أن الحيوانات البرية قد خطفته من حضنك، لكني ما زلت حياً وأريد أن أنقذكِ في أسرع وقت».

ثـم نزل عـن السلم وتوجه إلى أبيـه الملك في القصر، وطلـب مقابلته بصفتِه صيـاداً غريبـاً، وسأله أن يُدخله في خدمته. وافق الملك بشـرطِ أن يُثبت إمكاناته بـأن يوفِّر له كميةً من الطرائـد البرية، علماً بعدم وجـود حيوانات برية في محيط المملكـة منذ الأزل. فوعدَه الصيادُ بتوفير ما يكفي من الطرائد لإقامة مأدبة ملكية من لحم الطرائـد البرية. ومن ثم استدعى الصيادُ المتنكر صيادي المملكة كلهم، ليخرجـوا معه إلى الغابة، وطلب منهم هناك تشكيل دائرة واسعة مفتوحة من أحد أطرافها. وقف في وسط الدائـرة وبدأ يتمنى، وسرعان ما تدفقت أعداد كثيرة من الحيوانـات البرية إلى داخل الدائرة، فأوعز للصيادين بصيدها. ثم أتوا بستين عربة فلاحيـة، حملوا عليها الطرائـد وعادوا بها إلى الملك، ليتمكن مـن إقامة المأدبة المنشودة بلحوم طرائد برية، بعد سنوات طويلة من الحرمان منها.

سُرَّ الملكُ سروراً بالغاً ودعا حاشية البلاط كلها إلى الطعام على مائدته في اليوم التالـي، وحالما اجتمعوا كلهم خاطب الملك الصيـاد بقوله: «بما أنك على هذه الدرجـة من المهارة، فمكانـك سيكون إلى جانبي». فأجابـه الصياد: «أرجو أن

Twitter: @ketab_n

تعذرني يا جلالة الملك، فأنا فتى صياد بسيط». لكن الملك أصرّ وقال: «مكانك سيكون إلى جانبي». وكرر ذلك، حتى جلس الصياد إلى جانبه، وأخذ يفكر بأمه الحبيبة، وتمنّى أن يقوم أحد رجالات الملك بالسؤال عن وضع جلالة الملكة في البرج، وعما إذا كانت حية أم ميتة. وما كاد ينهي أمنيته حتى تقدم مارشال الملك وقال: «يا صاحب الجلالة، إننا نعيش حالة من الفرح، فكيف حالُ السيدة الملكة في البرج، أما تزال حيّة يا ترى أم أنها قد هلكت؟» لكن الملك أجاب: «لقد كانت السببَ في أن تفترسَ الحيواناتُ البرية ابني الحبيب، لذلك لا أرغب في سماع شيء عن الموضوع». عندها نهضَ الصيادُ واقفاً وقال: «مع فائق الاحترام يا أبي، إنها لا تزال حية، وأنا ابنها. والحيوانات البرية لم تفترسني، بل الطباخُ العجوز الشرير هو الذي خطفني، أخذني من حجرها، بينما هي نائمة، ولطّخ مئزرها ورداءها بدم دجاجة». ثم أمسك بالكلب ذي السلسلة الذهبية وأردف قائلاً: «هذا هو الشرير»، وأوعز بإحضار جمرٍ متقد، كان على الكلب أن يلتهمه، أمام أعين الجميع، حتى اندلع اللهب من حلقه. ثم سأل الأمير الملكَ عمّا إذا كان يرغب برؤية هيئة الكلب الحقيقية، وتمنّاه فوراً كذلك، فانتصب الطباخُ للتو أمامه بمئزره الأبيض وسكينه على جنبه. عندما رآه الملك تملّكه الغضب وأمر برميه في أشدّ الزنازين بُؤساً أسفل القصر. وتابع الصياد كلامه قائلاً: «أترغبُ يا أبي في أن ترى الفتاة التي ربتني بكل نعومة والتي كان عليها أن تقتلني، لكنها لم تفعل، رغم أنها بذلك قد عرضت حياتها للخطر؟» فأجابه الملك: «طبعاً، يسرني ذلك جداً». فقال الأمير: «سأريك إياها يا أبي المحترم في هيئة وردة جميلة»، وأخرجَ القرنفلة من جيبه ووضعها على الطاولة الملكية، وكانت على درجة من الجمال، لم يسبق للملك أن رأى مثلها». ثم تابع الأمير فقال: «والآن سأريك إياها في هيئتها الحقيقية»، وتمناها صبيةً، فمثلت أمامه بكامل بهائها الذي ليس بمقدور رسام أن يبدع أجمل منه.

بعدئذ أرسل الملك وصيفتين وخادمين إلى البرج، ليحضروا السيدة الملكة ويجلسوها إلى المائدة الملكية. لكنها عندما جلست في مكانها لم تأكل أي

Twitter: @ketab_n

شـيء، بـل قالت: «إن الرّب العـادل الرّحيم الذي حافظ علـى حياتي في البرج، سيخلصني قريباً».

لم تعش الملكة بعدها سوى ثلاثة أيام، ثم توفيت بسلام. وعندما دُفنت لحقت بها الحمامتان البيضاوان اللتان كانتا تُحضران لها الطعام إلى البرج. كانتا ملاكان سماويّان حطّا على القبر.

أما الملك فقد أمر بتمزيق الطبّاخ إلى أربع قطع، لكن الحزن أضنى قلبه فتوفي بعـد فترة قصيرة. بعد الحِداد تزوج الأمير الفتاةَ القرنفلة التي حملها في جيبه. أما إذا كانا لا يزالان أحياء حتى اليوم، فعلم ذلك عند الله وحده.

×××

Twitter: @ketab_n

(٧٧)

غريتِل الذكية

كان هناك طبّاخة، اسمها غريتِل، عندها حذاء أحمر الكعبين، وكانت إذا لبسته وخرجت به تدور حول نفسها يميناً ويساراً وهي تقول لنفسها بفرح: «يا لك من فتاة جميلة يا غريتل». وعندما تعود إلى الدار، كانت نتيجةً لفرحها، تشرب جرعة نبيـذ. ولأن النبيذ يفتح شهية الطعـام، كانت تذوق أفضل الأصناف التي تطبخها، وتغيّر طرق الطبخ، وتعاود التذوق، إلى أن تشبع، فتقول من ثم: «على الطباخة أن تعرف طعم ما تطبخ».

ذات يـوم قـال رب البيت لغريتل: «مسـاء اليوم سيأتيني ضيـف، فحضّري لنا وجبتين شهيتيـن!» فأجابته: «حاضر يا سيدي، سأبـذل جهدي». ذبحت غريتل دجاجتيـن، ثـم سلقتهما ونتفتهمـا وغرزت فيهمـا سيخ الشّـواء ورفعتهما قرب المسـاء فوق النار. بدأت الدجاجتان تحمـرّان وتنضجان ببطء، والضيف لم يأت بعـد. فقالت غريتل لسيدها: «إن لـم يأت الضيف، فلا بد من رفع الدجاجتين عن النـار، ولكن يؤسفني أن لا تؤكلا الآن وهما في ذروة نضجهما». فأجابها السيد: «إذاً، سأذهب لأحضر الضّيف بنفسي».

وحالمـا أدار لها ظهره وخرج، رفعت غريتل السيـخ عن النار ووضعته جانباً وفكـرت: «الجلوس طويلاً عند النار يـؤدي إلى التعرق ويسبـب العطش، ومن يـدري متى سيأتيـان! حتى ذلك الحين سأنـزل بسرعة إلى القبـو وأشرب جرعة نبيـذ». ونزلت ووضعـت إبريقها تحت صنبـور البرميل وهي تقـول: «بارك الله فـي شرابك يا غريتل»، وشربت جرعة مُعتبـرة، وأردفت قائلة: «النبيذ يتدفق وراء

Twitter: @ketab_n

بعضـه، ولا يجوز قطع جريانه»، وشربت جرعة معتبرة ثانية. ثم صعدت ورفعت الدجاجتين على النار ودهنتهما بالزبـدة وأخذت تدير السيخ بمرح. ولأن رائحة الشواء كانت طيبة، فكرت غريتل: «يُحتمل أن ينقصه شيء، لذلك لا بد من تذوقه لأعـرف!» لمست الشـواء بأصبعها ولحستهـا، ثم قالت لنفسهـا: «يا سلام، ما أطيب هذا الدجاج! من العار، بل من الكفر أن لا يؤكل فوراً!» وذهبت إلى النافذة لترى ما إذا كان سيدها وضيفه قد جاءا، لكنها لم ترَ أحداً، فعادت للجلوس قرب الدجاجتين وفكرت: «هذا الجناح بدأ يحترق، يُفضل أن آكله»، فقطعته بالسكين وأكلتـه، وحالمـا انتهت منه فكرت مجدداً: «لا بد من قطـع الجناح الثاني، كيلا يلاحـظ السيد النقص». وبعد أن التهمت الجناحين، ذهبت إلى النافذة ثانية باحثة عن سيّدها وضيفه، لكنها لم تَرَ أحداً، فقالت لنفسها: «من يدري، لعلهما لن يأتيا أبداً، ولعلهما ذهبا إلى مكان ما... كوني مسرورة يا غريتل، لقد بدأتِ بالدجاجة الأولى، خذي جرعة نبيذ وأكمليها كلها، وما أن تقضي عليها حتى ترتاحي، فنعمة الرب الشهيّة لا يجوز أن تُهدر!» نزلت إلى القبو ثانية، شربت جرعة معتبرة جداً، ثم صعدت وأكملت الدجاجة بكل انبساط.

وبعدمـا ارتاحت الدجاجة الأولى في بطنها والسيد لم يرجع بعد، نظرت إلى الدجاجة الثانية وقالت لنفسها: «حيثما ذهبت الأولى، يجب أن تلحق بها الثانية، إذ لا يجـوز التفريق بينهما، وما يسري على الأولى يصـح على الثانية، وأعتقد أنه لا بأس أبداً بجرعة أخرى». ونزلت مجدداً، فشربت جرعة كبيرة وانقضّت على الدجاجة الثانية، فألحقتها بالأولى.

مـا كادت غريتل تبلـع اللقمـة الأخيرة من اللحـم الشهيّ حتى دخـل سيدها مستعجـلاً وهتف: «أسرعي يـا غريتل، الضيف قادم ورائـي». فأجابته: «لا بأس يـا سيدي، سأهيئ كل شيء» وفي أثنـاء ذلك دخل السيد إلى غرفة الطعام ليرى ما إذا كانـت المائدة مفروشة، وتناول السكين الكبيـرة المخصصة لتقطيع الدجاج ليشحذها في الدهليز. وخلال ذلك وصل الضيف وقرع الباب بكل أدب، فهرعت غريتـل لترى من بالباب، وعندما رأت الضيف، وضعت اصبعها على فمها وقالت

Twitter: @ketab_n

هامسة: «ولا كلمة! واهرب بسرعة إلى بيتك، فإن أمسك بك سيدي، فقد راحت عليك! صحيح أنه دعاك للعشاء، لكن غرضه الحقيقي هو أن يقطع أذنيك. اسمعه، كيف يشحذ السكين لذلك!» سمع الضيف صوت شحذ السكين فهرول هارباً. أما غريتل فإنها سرعان ما دخلت على سيدها صائحةً: «ما هذا الضيف المحترم الذي دعوته!» فدهش سيدها وقال: «ما هذا الكلام يا غريتل؟! ماذا تقصدين؟» فأجابته: «ما إن دخلتُ حاملة الدجاجتين لأضعهما على الطاولة، حتى خطفهما من الصحن وهرب بهما». فقال السيد: «ما هذا السلوك غير المهذب!» وأبدى أسفه على الدجاجتين الدسمتين قائلاً: «لو أنه ترك لي واحدة على الأقل، لآكلها». وناداه بأعلى صوته داعياً إياه للبقاء، لكن الضيف تظاهر بأنه لم يسمع. فنزل السيد الدرج وركض وراءه، والسكين ما زالت بيده، وهو يصيح: «واحدة فقط، واحدة فقط!» وكان يقصد أن يترك له الضيف دجاجة، لا أن يأخذ الدجاجتين معاً. أما الضيف الهارب فقد ظن أن مضيفه سيكتفي بقطع أذن واحدة، وتابع ركضه وكأن ناراً تلاحقه، ليصل بأذنيه كلتيهما إلى داره بسلام.

Twitter: @ketab_n

(٧٨)

الجد العجوز والحفيد

كان هناك شيخ في أرذل العمر، وقد ضعف منه النظر والسمع وصارت رُكبتاه ترتجفان، فكان عندما يجلس إلى المائدة للطعام، يلوّث المفرش بالحساء، لعدم ثبات الملعقة في يده. كما كان بعض الحساء يسيل أيضاً من فمه، فكان ابنه وزوجته يشعران بالقرف. لذلك كان على الجد العجوز أخيراً الجلوس وراء الموقد، في الزاوية، وكانا يقدمان له طعامه في صحن فخاري، ليس فيه ما يكفي ليُشبِعه. فكان ينظر إلى الطاولة بعينين ملؤهما الحزن والدموع.

وذات مرة لم يتمكن بيديه المرتجفتين من إمساك الصحن الفخاري بثبات، فسقط منه على الأرض وانكسر، فأطلقت زوجة ابنه الشابة بعض الشتائم، لكنه لم يرد عليها بكلمة، بل تنهّد فحسب. اشترت له ببعض الدراهم صحناً خشبياً ليأكل منه. وبينما كانا جالسين إلى الطاولة يتناولان الطعام، كان الحفيد ذو الأربع سنوات على الأرض، يجمع قطع خشب إلى بعضها البعض، فسأله أبوه: «ماذا تفعل هناك؟» فأجاب الطفل: «أصنع مَعْلفاً صغيراً ليأكل منه أبي وأمي عندما أكبر». تبادل الزوجان النظرات برهة من الوقت، ثم أخذا يبكيان، وقاما فوراً بإعادة الجد العجوز إلى الطاولة ليشاركهما الطعام دائماً، من دون أن يعلّقا بأي ملاحظة إذا ما سال الحساء منه قليلاً.

×××

Twitter: @ketab_n

(٧٩)

جنيّة البِرْكة

كان هنـاك أخ وأخت صغيـران يلعبان عند البِركة، فـإذا بهما يسقطان كلاهما في المـاء. وفي قاع البركة كانـت هناك جنية، قالت لهما: «لقـد أمسكت بكما، وعليكمـا منذ الآن أن تشتغلا عندي بنشـاط». وناولت البنتَ كومةَ خيطانٍ كتانية فظيعـة ومتشابكة ببعضها، لكي تغزلها، وكان عليها إضافة إلى ذلك أن تملأ بالماء برميلاً بلا قعر. أما الصبي فكان عليه أن يقطع شجرة بفأس مثلّمة النّصل. ولم تقدم لهما من الطعام سوى زلابية قاسية كالحجر.

بعـد حين ضاق الطفـلان بالوضع، فانتظرا حتى ذهبـت الجنية يوم الأحد إلى الكنيســة فهربا. عندمـا انتهى القداس فـي الكنيسة وعادت الجنيـة، اكتشفت أن عصفوريهـا قـد طـارا، فطاردتهما بقفزات سريعـة. رآها الطفلان مـن بعيد قادمة وراءهمـا، فرمت البنت وراءها فرشـاةً تكاثرت إلى جبل من الفراشي بآلاف آلاف الأشـواك. فـكان على الجنيـة أن تتسلقه بجهد جهيـد إلى أن تمكنـت أخيراً من تجاوزه. عندما رأى الطفلان ذلك، رمى الصبي وراءه مشطاً تكاثر إلى جبل شاهق مـن الأمشاط بـآلاف آلاف الأسنان، لكن الجنية عرفت كيـف تتمسك بالأمشاط وتتسلق حتى اجتازت الجبل أخيراً. عند ذلك رمت البنت وراءها مرآة تكاثرت إلى جبل من المرايا، أملس وشديد الانزلاق بحيث يستحيل تسلقه واجتيازه. ففكرت الجنيـة: «سأعود سريعاً إلى البيت لأحضر بلطتـي لأفلق بها جبل المرايا نصفين». ولكـن إلى أن عادت الجنية، وحطمت زجـاج جبل المرايا، كان الطفلان قد هربا بعيداً جداً، ما اضطر جنية الماء إلى العودة إلى بركتها تجرُّ أذيال الخيبة وراءها.

×××

Twitter: @ketab_n

(٨٠)

عن موت الدجاجة

ذات يـوم ذهبت الدجاجة مـع الديك إلى هضبة البندق، واتّفقا على أنّ مَن يعثر منهما على حبة بندق، سيتقاسمها مع الثاني.

وحدث أن عثرت الدجاجة على حبة بندق كبيرة فحلَة، لكنها لم تأتِ على ذكرهـا، بل أرادت التفرد بأكلها. لكن حبة البندق كانت سمينة جداً، إلى حد أن الدجاجة لم تستطع ابتلاعها، فعلقت في حلقها، فخافت الدجاجة أن تختنق بها، فصاحت: «أيهـا الديك، أسرع أرجوك، بأقصى ما بوسعك، واحضر لي مـاء، وإلا فسأختنق». ركض الديك بـكل طاقته إلى البئر وقال له: «أيها البئر، عليك أن تعطيني ماء، فالدجاجة مطروحة على هضبة البندق، بلعت حبة بندق كبيرة وتكاد تختنق بها». فأجابه البئر: «اركض إلى العروس أولاً، واطلب منها حريراً أحمـر!» ركض الديك إلى العروس وقال لهـا: «اعطيني أيتها العروس حريـراً أحمر، سأعطي الحرير الأحمر للبئر، الذي سيعطيني ماء، الماء سآخذه إلى الدجاجة المطروحة على هضبة البندق، وقد بلعت حبة بندق كبيرة وتكاد تختنـق بها». فأجابته العروس: «اركض أولاً إلـى شجرة الصفصاف واحضر لي تاجي الذي علق على غصنها». ركض الديك إلى الصفصافة وسحب التاج عـن غصنها وأحضره إلى العروس، التي أعطته لقاءه حريراً أحمر. أخذ الديك الحريـر الأحمر للبئـر وحمل منه المـاء للدجاجة، لكنه حينمـا وصل كانت الدجاجـة قد اختنقت وماتـت، فوجدها راقدة لا تتحـرك. حزن الديك على الدجاجـة حزناً شديداً وأخذ يولول، حتـى اجتمعت كل الحيوانات وأخذت

Twitter: @ketab_n

تندب الدجاجة. ثم قام ستة فئران بصنع عربة صغيرة، ليحملوا عليها الدجاجة إلى القبر. عندما انتهت العربة، ربطوا أنفسهم إليها لجرها، وساقها الديك كحوذي.

على الطريق مرت العربة بالثعلب الذي سأل الديك: «إلى أين أيها الديك؟» فأجابه: «إلى حيث سأدفن دجاجتي». فسأله الثعلب: «أتأخذني معك؟» فقال الديك:

«نعم آخذك، اجلس في مؤخرة العربة،

فجيادي لا تحتملك هنا في المقدمة».

جلس الثعلب في مؤخرة العربة، ثم انضم إليه الذئب فالدب فالوعل فالأسد فجميع حيوانات الغابة البرية.

وتابعت العربة طريقها حتى وصلت إلى جدول، فتساءل الديك: «كيف سنعبر إلى الضفة الأخرى؟» وكانت هناك على ضفة الجدول قشة طويلة، قالت: «سأتمدد بالعرض فوق الجدول كجسر لتعبروا من فوقي». ولكن عندما صار الفئران الستة على الجسر، انزلقت القشة جانباً وسقطت في الماء، ما أدى إلى سقوط جميع الفئران في الجدول وغرقهم. عادت المشكلة إلى بدايتها، فتقدمت قطعة فحم وقالت: «أنا طويلة كفاية، سأتمدد فوق الجدول، فاعبروا فوقي». تمددت قطعة الفحم فوق الماء مثل القشة، لكنها لسوء الحظ لامست الماء قليلاً، فطشَّت وانطفأت فماتت. شاهد حجرٌ ما جرى فأشفق عليهم وتقدم لمساعدة الديك، وتمدد فوق الجدول. عند ذلك جرّ الديك العربة بنفسه حتى وصل نصفها الأمامي بالدجاجة إلى بر الأمان، وعندما أراد متابعة الجر لسحب بقية الحيوانات كان ثقلهم كبيراً فانكسرت العربة وسقط جميع من عليها في الماء وغرقوا.

Twitter: @ketab_n

بقـي الديك وحيداً إلى جانب الدجاجة الميتة، فحفر لها قبراً وسجّاها فيه ثـم ردم التـراب فوقها بشكل تلـة وجلس فوقها يندب وينـوح حتى مات هو أيضاً، وهكذا مات الجميع.

×××

Twitter: @ketab_n

(٨١)

الطيّب الماكر

فـي قديم الزمان قامت حرب واسعة، وعندمـا وضعت أوزارها سُرِّح كثير من الجنـود. وكان الطيِّب الماكـر واحداً منهم، وقد تلقى عنـد تسريحه رغيف خبز عسكري وأربعة دراهم لا غير، وانطلق على الدرب.

حينذاك تنكر القديس بطرس في هيئة شحاذ بائس وجلس على حافة الدرب. عندمـا اقتـرب منه الطيِّب الماكر توسـل إليه أن يمنحه شيئـاً، فأجابه: «يا عزيزي الشحـاذ، مـاذا بوسعي أن أعطيـك؟ كنتُ جنديـاً وسُرِّحت، وليسـ معي سوى رغيـف عسكـري وأربعة دراهم، إذا نفـدوا، فلا بد من أن أشحـذ، مثلك تماماً. ومـع ذلك سأعطيك شيئـاً». وأخرج الرغيف وقطعه أربعة أجـزاء، أعطى أحدها للقديسـ، إضافة إلى درهم. شكره القديس بطرس وتابـع طريقه، ليتنكر في هيئة مغايرة ويجلس على حافة الدرب كشحاذ آخر. وحينما اقترب منه الجندي توسّل إليـه كالمرة السابقة. كرر الجندي أمامه ما قاله للشحاذ الأول وأعطاه ربع رغيف ودرهماً. شكره القديس بطرس وتابع طريقه، لكنه تنكر لثالث مرة في هيئة شحاذ آخر وتوسل إلـى الجندي القادم على الدرب. أعطاه الجندي ربع الرغيف الثالث والدرهم الثالث، ولم يتبق معه سوى ربع رغيف ودرهم واحد.

دخل إلى نُزل على الطريق وطلب بالدرهم بيرة شربها مع ربع الرغيف الأخير. عندمـا انتهى تابع طريقه، فصادف القديسـ بطرس متنكراً في هيئة جندي مُسرَّح مثلـه. قال له القديس: «طاب نهارك يا رفيق السلاح، أيمكنك إعطائي قطعة خبز ودرهماً لأشرب به؟» فأجابه الجندي: «ومن أين لي ذلك؟ كان معي بدلُ تسريحي

Twitter: @ketab_n

رغيـفَ خبز عسكري وأربعة دراهم لا غير. صادفت على الدرب ثلاثة شحاذين، أعطيـت كلاً منهم ربع رغيف ودرهماً. والربع الأخير أكلته هنا في النزل وشربت بآخرِ درهم، وها أنا أقف خاوي الوفاض، فإن كنتَ مثلي، فلنذهب لنشحذ معاً!» فأجابـه القديس المتنكر: «لا، هذا غير ضروري. أنا لدي بعض الخبرة في الطبِّ وسأكسـب بذلك ما أحتاجه من الرزق». فقال الجندي: «أما أنا فلا أفهم في هذه الأمور. إذاً سأذهب لأشحذ وحدي». فاعترضه القديس بقوله: «بل رافقني، وإنْ كسبـتُ شيئـاً، فلك نصفه». فقال الجندي: «لا بأس في ذلـك أبداً» وترافقا على الدرب.

وصلا بعـد مدّة إلى بيت فـلاح، وسمعا من الداخل صيحـات ألم وشكوى. دخلا الـدار، فوجدا الفلاح طريـح الفراش على وشك المـوت، وزوجته تولول وتنوح بصـوتٍ عالٍ. فقال القديس بطرس: «كفي عـن الولولة والنواح، سأشفي الرجـل مـن مرضه». أخـرج مرهماً من حقيبة ظهـره وشفى به المريضـ في التوّ واللحظـة، بحيـث تمكـن من الوقوف علـى قدميه وهو فـي تمـام العافية. فقال الفـلاح وزوجته معاً، وبفرح كبير: «كيـف سنجازيك؟ ماذا يمكننا أن نعطيك؟» لكـن القديس بطرس رفض قبول أي شيء، وكلمـا أصر الفلاحان، ازداد القديس بطرس رفضـاً. لكن الطيّب الماكر لكزه في جنبه قائلاً: «خذ شيئاً يا رجل، فنحن محتاجـان». وأخيراً أحضـرت الفلاحة حَملاً، وقالت للقديـس: «خذ هذا على الأقل». لكنـه تأبّى. لكزه الجندي ثانية قائلاً: «خذه يا مغفل، نحن بحاجة إليه». وأخيـراً قال القديس بطرس: «طيب، سآخذ الحَمـل، لكنني لن أحمله. إذا كنتَ تريـده، فعليك أنت أن تحمله»، فأجابه الطيّـب الماكر: «لا مشكلة في الأمر، أنا سأحمله»، وحمله على كتفه.

غادرا بيت الفلاح ووصلا إلى غابة، وكان وزن الحمل قد ثقل على الجندي، إضافـة إلى شعوره بالجـوع، فقال للقديس: «أرى المـكان جميلاً، هنا يمكننا أن نطبـخ الحمل ونأكله». «لا مانع لدي» قـال القديس وتابع: «لكنني لا أجيد الطبـخ. إذا أردتَ القيام بالعمل فإليك هذا القِدر. وحتى ينضج الطعام سأتمشى

Twitter: @ketab_n

قليلاً في الغابة. ولكن لا تبدأ بالأكل قبل أن أعود، وسأكون هنا في الوقت المناسب». فقال الجندي: «إذهب، لا بأس. أنا أفهم في أمور الطبخ، وسأقوم بالمهمة». غادر القديس بطرس المكان، أما الطيب الماكر فذبح الحمل وأوقد ناراً ووضع اللحم في القدر وبدأ الطبخ.

بعد فترة نضج لحم الحمل، والقديس بطرس لم يعدْ بعدْ، فأخرج الجنديُ الحملَ من القِدر وقطّعه حتى وجد القلب، فقال لنفسه: «هذا أفضل ما فيه» وتذوقَ جزءاً منه، ثم أكَله كلَّه. أخيراً عاد القديس بطرس وقال للجندي: «بإمكانك أكل الحمل كله. أنا لا أريد سوى قلبه، فأعطِني إياه». أمسك الطيب الماكر السكين والشوكة وتظاهر بأنه يجتهدُ في التفتيش عن القلب في لحم الحمل، لكنه لم يجده، وأخيراً قال بصورة تبدو عابرة: «لا يوجد قلب هنا». فسأل القديس: «أين ذهب إذاً؟» فأجابه: «لا أدري. ولكن ما أغبانا نحن الاثنين! نفتشُ عن قلبِ الحمل، من دون أن يخطر ببالنا أن الحمل لا قلب له!» فقال القديس: «يا سلام، هذا أمر جديد بالنسبة إلي. كل الحيوانات لها قلوب، فلماذا يكون الحمل استثناءً؟» فأجاب الجندي: «لا يا أخي، مؤكّد أن الحمل لا قلب له. فكر بعمق وستتذكر أنه لا قلب له. أنا لا أمزح». فقال القديس: «طيب، لا بأس. إن لم يكن هناك قلب فلا حاجة لي بشيء من الحمل. كلْه كلَّه وحدك»، فقال الجندي: «ما لا أستطيع أكله سأضعه في حقيبة ظهري»، وأكلَ نصفَ الحمل وخبأ ما زاد في الحقيبة.

في أثناء طريقهما، جعلَ القديسُ بطرس نهراً عريضاً يتدفق معترضاً سبيلهما، وقال للجندي: «اقطعه أنت أولاً». فأجابه: «لا، أنت أولاً، تفضّل!» وقال لنفسه: «إذا كان النهر بالنسبة إليه عميقاً جداً، فلن أعبر». فخاض القديسُ، ووصلَ الماءُ إلى ركبتيه. عندها أراد الجندي اللحاقَ به، وإذا بالماء يرتفعُ ويصلُ حتى رقبته، فصاح: «يا أخي أنجدني!» فقال له القديس: «وهل ستعترف بأنك قد أكلت قلب الحمل؟» فأجاب: «لا، لم آكله». فارتفع الماء حتى فمه، فصاح ثانية: «يا أخي أنجدني!» فكرر القديس: «وهل ستعترف بأنك قد أكلت قلب الحمل؟»

Twitter: @ketab_n

فأجـاب: «لا، لم آكله». لم يُرِد القديس للجندي أن يغرق، فجعل مستوى الماء ينخفض وساعد الجنديَ على العبور إلى الضفة الأخرى.

تابعا طريقهما معاً ودخلا مملكةً، سمعا من الناس أن ابنة ملكها طريحة الفراش، مشرفة على الموت، فقال الجندي للقديس بطرس: «هذا صيد مناسب لنا يا أخي. إذا شفيناهـا فسنعيش فـي رفاهية إلى الأبـد!» وإذا بخطوات القدّيـس تتباطأ في المشـي عن اللحاق بالجندي المسرع الذي قـال له: «يا حبيبي، يا عيوني، عجل قليلاً، كي نصل فـي الوقت المناسب!» لكن خطوات القديس تباطأت أكثر، ولم تسعـف محاولات الجندي لدفعه وجذبه، إلى أن سمعا أخيراً إعلان وفاة الأميرة، فقـال الجندي: «أسمعـت؟ هذا ما أصابنا من مشيتك النائمـة». فأجابه القديس: «اسكت. أنا بمقدوري أكثر من شفاء المرضى. أنا قادر على إحياء الموتى أيضاً». فقال الجندي: «إذا كان الأمر كذلك، سأسكت. ولكن عليك أن تطالـب لنا بنصف المملكـة لقاء عملك». ودخلا القصر الملكي، حيث كان الجميع في حالة حدادٍ وحزنٍ شديد، لكن القديس بطرس قال للملك إنه سيحيي له ابنته، فقاده الملك إلى حجرتهـا، فقال: «أحضروا لي قدراً كبيراً مليئاً بالمـاء!» وحالما أحضروه، أوعز إلى الجميع بمغادرة الحجرة، عدا الجندي الطيب الماكر. قام من ثم بقطع جميع أعضـاء الميتة ورماها في الماء، ثم أوقد نـاراً تحت القدر وانتظر حتى غلى الماء. وبعدمـا تساقط كل اللحم عـن العظام، أخرج الهيكل العظمـي الأبيض الجميل، ورتّـب أجزاءه على الطاولة بالصورة الطبيعية، وعندما تمَّ له ذلك، وقف عند رأس الطاولـة وقال ثلاث مرات: «باسم الثالوث المقدس، انهضي أيتها الميتة!» ومع الجملة الثالثة نهضت الأميـرة حية، معافاة وجميلة. تهلل الملك فرحاً بما حدث وقـال للقديس بطرس: «اطلب أجرك، ولو كان نصفَ مملكتي، سأمنحك إياه!» إلا أن القديـس بطرس أجاب: «لا أريـد شيئاً لقاء عملي». فقال الطيب الماكر في نفسه: «يا مجنون!» ولكز زميله في خاصرته وقال له: «لا تكن غبياً! إنْ كنتَ أنت لا تريـد، فأنا أحتـاج»، بيدَ أن القديس أصر على موقفـه. ولكن بما أن الملك قد أدرك أن الآخر يريد شيئاً، أوعز إلى خازن ماله بأن يملأ له حقيبة ظهره بالذهب.

Twitter: @ketab_n

بعد ذلك غادرا المملكة، وعندما وصلا إلى غابة، قال القديس بطرس للطيب الماكر: «لنقتسم الذهب الآن!» فقال الجندي: «نعم، لنفعل ذلك». فقسم القديس المبلغ ثلاث حصص. فقال الجندي في نفسه: «ماذا جرى لعقله ثانية! يقسّم المبلغ ثلاث حصص، ونحن اثنان فقط!» لكن القديس قال: «لقد حسبتُ القسمةَ بدقة: حصّةٌ لي، وحصّة لك، وحصّة للذي أكل قلبَ الحمل». ومن دون تردّد قال الطيّب الماكر: «أنا أكلتُه»، وسحب الحصةَ الثالثةَ بسرعةٍ نحوه، وتابع: صدِّق ما أقوله لك». فاعترض القديس قائلاً: «كيف تريدني أن أصدق ما دام الحمل لا قلب له؟!» فأجاب الجندي: «هراء، أين شَطَّ ذهنك يا أخي! الحمل له قلب، مثله مثل جميع الحيوانات، فلماذا تريد استثناءه؟» فقال القديس: «طيب، لا بأس. احتفظ بالذهبِ كله لك، لكنني لن أبقى معك، بل سأمشي في سبيلي وحدي». فأجاب الجندي: «كما تشاء يا أخي، وداعاً».

مشى القديس بطرس في اتّجاه آخر، فيما قال الجندي في نفسه: «خيراً فعل بتنازله لي عن حصته، فهو على كل حال قديس عجيب» . صحيح أن الجندي قد حاز كفاية من المال، لكنه لم يُحسن التصرف به، فبَذّر جزءاً وأهدى آخر، وسرعان ما عادَ خاوي الوفاض، كما كان.

وفي تلك الحال دخل إلى بلدٍ، سمع أن أميرته قد توفّيت مؤخراً، فخطرت بباله فكرة، وقال في نفسه: «هذه فرصة مناسبة، سأحيي الأميرة، وأجعلهم يدفعون لي أجري، بما يوازي صنيعي». فذهب إلى الملك وعرض عليه أن يحيي له ابنته الميتة. كان قد وصل إلى سمعِ الملك أن جندياً مُسرَّحاً يتجول في أنحاء البلاد ويحيي الموتى، وأعتقد أن هذا الجندي هو صاحب المعجزات. ولكنْ لأنه لم يشعر بالاطمئنان إليه، راجعَ مجلس مستشاريه في الأمر، فنصحوه بقبول العرض، ما دامت ابنته ميتة حقاً. أوعز الجندي بأن يأتوه بقدر كبير مليء بالماء، ثم بأن يغادر الجميع الحجرة. قطع أوصال الأميرة ورماها في القدر، ثم أوقد النار وترك الماء حتى يغلي، مثلما رأى زميله القديس بطرس يفعل تماماً. وبعد أن انفصل اللحم عن العظم، أخرج الهيكل العظمي ووضعه

Twitter: @ketab_n

على الطاولة، لكنه لم يكن يعرف الترتيب الصحيح للعظام، فخربطها من حيث لا يدري. ثم وقف عند رأس الطاولة وقال ثلاث مرات: «باسم الثالوث المقدس. أيتها الميتة، انهضي!» لكن الهيكل العظمي لم يتحرك، كرر الجملة ثلاث أخرى، ولكن عبثاً، فصاح: «انهضي يا شاطرة، وإلا سيسوء حالك!» عندما نطق بهذه الجملة دخل القديس بطرس من النافذة متنكراً في هيئة جندي مُسرّح كالسابق وقال: «أيها الزنديق الكافر، ماذا تفعل عندك؟! كيف ستنهض الميتة وقد خربطتَ عظامها رأساً على عقب؟» فأجاب الطيب الماكر: «يا عزيزي، لقد فعلتُ أفضلَ ما بوسعي». نظر إليه القديس طويلاً ثم قال: «هذه المرة سأنقذك من ورطتك، لكنني أحذرك، إذا أقدمتَ على مثل هذه الأمور فستكون نهايتك وخيمة. ثم لا يحق لك أن تطالب الملك بشيء أو أن تقبل منه شيئاً». ثم أعاد القديس بطرس ترتيب العظام بصورة صحيحة، وخاطبها قائلاً: «باسم الثالوث المقدس انهضي أيتها الميتة!» فنهضت الأميرة حية وجميلة كالسابق، ثم اختفى القديس ثانية عبر النافذة. كان سرور الجندي بالغاً بما آلت إليه الأمور، بيد أن ما أزعجه هو ألا يقبل شيئاً لقاء ذلك، وقال في نفسه: «بودي أن أعرف فقط ما يدور في رأسه، فما يقدمه بيد، يسترده باليد الأخرى. وهذا لا يقبله عقل».

بعدئذ عرض الملك على الجندي ما يشاء، لكنه أبى تلبيةً لأمر القديس، بيدَ أنه عبْر تنويهات ماكرة تمكن من جعل الملك يملأ له حقيبة ظهره بالذهب، وغادر. وما أن صار خارج بوابة القصر حتى التقى القديس بطرس الذي قال له: «أي نوع من البشر أنت! ألم أمنعك من قبول شيء؟ ها هي حقيبتك مليئة بالذهب». فأجاب الطيب الماكر: «وما ذنبي، إذا كانوا قد دسوا الذهب فيها؟» فقال القديس: «أحذرك للمرة الثانية، أن لا تُقْدِم على أمرٍ كهذا مرة أخرى، وإلا فإن نهايتك ستكون وخيمة». فأجاب الجندي: «لا تشغل بالك يا أخي. بما أن ما معي الآن من الذهب يكفيني، فلا حاجةَ بي للالتفات إلى غسل العظام». فقال القديس: «نعم، الذهب سيكفيك مدة طويلة! ولكن كيلا يخطر

Twitter: @ketab_n

ببالك ضلال السبيل ثانية، سأمنح حقيبتك القدرة على الاحتفاظ بداخلها بكل ما تتمنى أن يوجد فيها. وداعاً، لا لقاءَ بعده». فقال الجندي: «الله معك!» وقال لنفسه: «أنا مرتاح لذهابك أيها الرجل الغريب الأطوار. أنا لن ألحق بك». ولم يفكر بالقدرة العجيبة التي مُنحت لحقيبته.

تجول الجندي في بعض أنحاء البلاد حاملاً ذهبه، فصرفَ منه وبذّر وأعطى، حتى لم يبق معه شيء، كالمرة السابقة. دخل مطعماً وليس في جيبه سوى أربعة قروش، وهو يقول لنفسه: «النقود يجب أن تُصرف»، وطلب نبيذاً بثلاثة قروش وخبزاً بقرش. وفيما هو جالسٌ يأكل ويشرب وصلت إلى أنفه روائح إوز مشوي. تلفت حوله وتشمم، فاكتشف أن صاحب المطعم قد رفع فوق الفرن إوزتين. عندها خطر بباله أن زميله العجيب قال له إن ما يتمنى وجودَه في حقيبة ظهره سيوجد فيها، فقال: «والله فكرة، سأجرب ذلك بالإوزتين»، وخرج من المطعم، وقف وراء بابه وتمنى أن توجد الإوزتان اللتان تُشويان على الفرن، في حقيبته. ثم فكَّ حزام الحقيبة ونظر في داخلها، فرأى الإوزتين المشويتين، فقال: «هكذا تكون الأمور في تمام التمام. الآن بتُّ رجلاً مكتفياً منعّماً، وذهب إلى المرج المجاور، فجلس وأخرج الإوزتين. وبينما هو منهمك في أكل الإوزة الأولى، مرَّ به شابان حِرَفيان ونظرا بعيونٍ جوعى إلى الإوزة الثانية التي لم يمسها بعد. ففكر الجندي: «تكفيكَ إوزة واحدة»، ونادى الشابين وقال لهما: «خذا هذه الإوزة، كُلاها وادعيا لي بالصحة». شكره الشابان وحملا الإوزة معهما إلى المطعم، وطلبا نصف ليتر من النبيذ ورغيف خبز، وفردا الإوزة على الطاولة وبدءا بالأكل والشرب. نظرت زوجة صاحب المطعم إلى الطاولة وقالت لزوجها: «الشابان يأكلان إوزّة. تأكد من أنها ليست واحدة من فرننا». أسرع الرجل إلى فرنه فوجد مكان الإوزتين خاوياً، فقال للشابين: «أيها اللصوص السفلة، أتأكلون الإوز مجاناً! ادفعا فوراً، وإلا فسأسلخ جلدكما». فقال الشابان: «لسنا لصوصاً، هذه الإوزة قدّمها لنا جنديٌّ مسرَّح كان يجلس هناك في المرج». فقال صاحب المطعم:

Twitter: @ketab_n

«لا تتذاكيـا أمامي! الجندي كان هنا، وغـادر المطعم كأي رجل شريف، لقد راقبته. أنتما اللصان وعليكما أن تدفعا!» ولما كانا غير قادرين على الدفع، فقد تناول عصاه وضربهما بها حتى طردهما من مطعمه.

أمـا الطيّـب الماكر فتابع جولته حتـى وصل إلى مكان انتصـب فيه قصر فخم فاخـر، وعلى مسافة قريبـة منه كان هناك نزل متواضع. دخـل النزل وطلب غرفة للمبيت، لكن صاحب النزل اعتذار منه قائلاً: «لم يعد لدي شواغر، النزل مشغول كله بنزلاء من علية القوم»، فأجابه الجندي: «أمر يدعو للاستغراب أن ينزلوا عندك وليـس في القصـر الفخم». فقال صاحب النزل: «معك حـق، لكنَّ مَن حاول أن يُمضـي ليلةً هناك، لم يخرج منه حياً». فقال الجنـدي: «إذا كان هناك من حاولَ قبلـي، فلا بدَّ أن أحاول». فأجابه صاحـب النزل: «دعك من هذا الأمر، ستخسر حياتك هناك!» فقـال: «ليس بهذه السرعة، أعطني المفتاح وما يكفي من الطعام والشراب!» فأعطاه المفتاح وزوده بطعام وشراب.

ذهب الجندي إلى القصر، اختار مكاناً مريحاً تناول فيه الطعام والشراب بمتعة، وعندما غلبه النعاس استلقى على الأرض، لأنه لم يجد سريراً، وسرعان ما غرق في سبـات عميق. وفي الليل أيقظه ضجيجٌ صاخـب، وعندما صحا تماماً، شاهد في الغرفـة تسعة شياطين بشعين، وقد تحلقـوا حوله وهم يرقصون. فخاطبهم الطيب الماكر قائـلاً: «ارقصوا ما طاب لكم، ولكن إياكم أن يقترب أحدكم مني!» لكن الشياطيـن ازدادوا اقتراباً منه شيئاً فشيئاً، حتى كادوا يدوسون على رأسه بأقدامهم القميئة. فقال: «اهـدأوا يا أشباح الأبالسة!» بيد أنهـم ازدادوا إزعاجاً ومضايقة، فغضـب الجندي وصـاح: «سأجعلكم تهـدأون!» أمسك بسـاق كرسي وهوى عليهـم ضرباً. ولكن تسعـة شياطين مقابل جندي واحـد كان أكثر من المعقول، فـإنْ ضرب الذي يواجهه كان الآخرون يشـدون شعره من الخلف ويجرونه على الأرض بقسوة. فصرخ بهم: «يا أيها الأرذال السفلة، هذا ما عاد يُحتَمل! انتظروا! هيا بتسعتكـم إلى داخل حقيبتي!» وبطرفة عين صاروا في الحقيبة، فأغلقها وشد أحزمتهـا، ورماها في زاوية الغرفـة. وفجأة عاد الهـدوء، فاستلقى الطيب الماكر

Twitter: @ketab_n

ثانية على الأرض وتابع نومه حتى الضحى. وعندها جاء صاحب النزل برفقة مالك القصر ليريا ما حلّ به، وعندما شاهداه صحيحاً معافى دُهشا وسألاه: «ألم تؤذِكَ الأشباح؟» فأجابهما: «طبعاً لا، لقد حبستهم تسعتهم في حقيبة ظهري» والتفت إلى مالكِ القصر وأردف: «يمكنك منذ اليوم يا سيدي العودة للسكن في القصر، فلن ترى فيه بعد اليوم أشباحاً تتجول!» شكره السيد النبيل وأكرمه بالهدايا وعرض عليه الدخول في خدمته مع الرعاية الكاملة طوال حياته. فأجابه الجندي: «لا يا سيدي، أنا متعودٌ على التجوال، وأرغب في متابعة طريقي». وفي طريقه دخل إلى محل حِدادة ووضع حقيبة ظهره الملأى بالشياطين على السندان وطلب من الحداد وعماله أن يطرقوها. فنزلوا عليها بمطارقهم الكبيرة بكل قواهم حتى تصاعد زعيق الشياطين. عندما فتح الحقيبة بعد ذلك، وجد ثمانية منهم موتى، أما التاسع الذي اختبأ بإحدى الثنيات فقد بقي حياً وانسل هارباً إلى الجحيم.

بعد تلك الحادثة تابع الطيب الماكر تجواله في أنحاء الدنيا مدة طويلة من الزمن، ومَن اضطلعَ على رحلاته بإمكانه أن يروي عنه الكثير. لكنه أخيراً تقدم في السن وأخذ يفكر في خاتمته، فتوجه إلى ناسك معروف بتقواه وخاطبه قائلاً: «لقد تعبتُ من التجوال وبي لهفةٌ الآن للوصول إلى ملكوت السماء». فقال له الناسك: «هناك طريقان: أولهما عريض ومريح ويؤدي إلى جهنم. أما الثاني فضيق ووعر ويؤدي إلى الجنة». فقال الطيب الماكر في نفسه: «سأكون مجنوناً إنْ مشيت في الطريق الضيق الوعر»، ونهض ومشى على الطريق العريض المريح الذي أوصله أخيراً إلى بوابة كبيرة سوداء، كانت بوابةَ جهنم. طرق الطيب الماكر الباب، فنظر حارس البوابة ليرى مَن القادم، لكنه عندما رأى الطيب الماكر، ارتعب، فقد كان الشيطانَ التاسعَ الذي نجا من حقيبة الظهر بعينٍ مزرقة متورمة. ولهذا أعاد المزلاج ثانية بسرعة، وهرع إلى كبير الشياطين وقال له: «وراء البوابة يقف رجل يحمل حقيبة ظهر ويريد الدخول، فلا تسمح له بأي حال من الأحوال بالدخول، وإلا فإنه سيتمنى وضعَ جهنم كلها في حقيبته. لقد حبسني فيها ذات يوم وضربني بالمطارق بصورة فظيعة». وبناء على ذلك أبلغ الطيب الماكر بضرورة المغادرة،

Twitter: @ketab_n

لأنه لن يُؤذَن له بالدخول. فقال في نفسه: «إذا لم يقبلوا بي هنا، فسأحاول أن أجدَ لي مكاناً في الجنة، إذْ لا بد من أن آوي إلى مكان ما».

عاد على عقبيه وتابع الطريق الآخر إلى أن وصل إلى بوابة الجنة، فقرع الباب. في تلك الآونة كان القديس بطرس هو حارس البوابة، وقد تعرفه الطيب الماكر فوراً وقال لنفسه: «ها أنت تجدُ هنا صديقاً قديماً، فالأحوال ستكون هنا أفضل»، أما القديس بطرس فخاطبه قائلاً: «أظنك تعتقد بأنك ستدخل الجنة، أليس كذلك؟» فأجابه: «دعني أدخل يا أخي، فلا بد أن آوي إلى مكان ما. لو أنهم قبلوا بي في جهنم، لما جئتُ إلى هنا». «لا،» أجاب القديس بطرس «لن تدخل الجنة». فقال الطيب الماكر: «طيب، إنْ كنتَ لن تسمح لي بالدخول، فخذْ عني حقيبتك، فما عدتُ أريد شيئاً منك». فقال القديس بطرس: «هاتها!» ناوله الطيب الماكر إياها عبر القضبان الحديدية، فأخذها القديس بطرس منه وعلَّقها إلى جانب كرسيه، وعندها قال الطيب الماكر: «أتمنى الآن أن أكون داخل حقيبتي»، وبطرفة عين صار داخل حقيبته في الجنة، واضطر القديس بطرس إلى تركه هناك.

×××

Twitter: @ketab_n

(٨٢)

هانسِل المقامر

ذات يوم عاش رجل اسمه هانسل، لم يعرف شيئاً في الحياة سوى لعب القمار، فأطلق عليه الناس لقب هانْسِل المقامر. ولأنه لم يتوقف عن اللعب قَطْ، فقد قامر ببيته وبكل ما يملك وخسر.

وفي اليوم الأخير من مدّة تسلُّم الدائنين البيت وما فيه، نزل الرب القدير بصحبة القديس بطرس من السماء، وأخبراه بأن عليه أن يؤيهما عنده لهذه الليلة. فقال لهما هانسل المقامر: «لا مانع عندي من أن تمضيا الليلة هنا، لكنني لا أستطيع أن أقدم لكما سريراً ولا طعاماً». فقال له الرب القدير بأن المطلوب منه هو إيواؤهما فحسب، أما طعامهما فسيشتريانه. ووجدَ هانسِل المقامر أن الأمر لا بأس به. ناوله القديس بطرس ثلاثة قروش ليذهب إلى الخباز ويشتري بها خبزاً، فذهب المقامر من فوره. لكنه عندما وصل إلى الدار التي يجلس فيها المقامرون الآخرون الأوغاد، الذين خسَّروه كل شيء، أخذوا يصيحون به: «هانسِل، تعال ادخل!» فأجابهم: «أتريدون أن تُخسّروني القروش الثلاثة أيضاً؟» لكنهم لم يكفّوا عنه إلى أن دخل وخسر القروش الثلاثة أيضاً.

أما الرب القدير والقديس بطرس فكانا في انتظاره، ولمّا طال انتظارهما خرجا وراءه. عندما رآهما هانسِل المقامر قادمين، تظاهر بأن النقود قد ضاعت منه في حفرة موحلة وهو ينبش فيها بنشاط هنا وهناك. بيد أن الرب القدير كان عارفاً بخسارته النقودَ في القمار، فأعطاه القديس بطرس ثلاثة قروش أخرى. وفي هذه المرة لم يخضع هانسِل المقامر للغواية، بل أتاهم بالخبز. سأله الرب القدير

Twitter: @ketab_n

عمّـا إذا كان هناك نبيذ في قبـوه، فأجاب: «لا يا سيـدي، البراميل كلها فارغة». فقـال له الرب القديـر، بأن عليه النزول إلى القبو، لأن بعض النبيذ الفاخر ما زال موجـوداً هنـاك. بقي هانسِل المقامـر مدة طويلة غير مصدقٍ مـا سمع، لكنه قال أخيـراً: «حسن، سأنـزل إلى القبو، لكنني متأكد أنه لا يوجـد هناك أي نبيذ». إلا أنـه عندما فتح صنبور البرميل، نزل منه حقاً نبيـذ فاخر. جلب لهما النبيذ، ثم نام الاثنان الليلة عنده.

فـي وقت مبكر من صباح اليـوم التالي، قال الرب القديـر لهانسِل المقامر أن يتمنـى ثلاث نِعَم، وتوقّعه أن يتمنى دخول الجنة. لكـن هانسِل المقامر تمنّى أن يحوز على ورق لُعب يضمن له الربح دائماً، وأحجار نرد بالصفة نفسها، وشجرةً تثمـرُ جميع أنـواع الفواكه، وإنْ تسلقها شخصٌ ما فإنه لـن يتمكن من النزول إلا بأمـرٍ منه. حقـق له الرب القدير هـذه الأمنيات، وغادر المـكان بصحبة القديس بطرس.

ومنذئذ بدأ هانسِل المقامر باللعب حقاً من دون توقف حتى كاد يكسب نصف الدنيـا. عندها قال القديس بطرس للرب القدير: «الأمور تـزداد سوءاً يا سيدي، سينتهـي بـه الأمر إلى ربح الدنيا كلهـا. لا بد من أن نرسل إليـه الموت». وأرسلا إليـه الموت. عندما جـاءه الموت وجده جالسـاً إلى الطاولة، يقامـر طبعاً، فقال لـه: «هانسِل، اتبعني إلـى الخارج قليلاً!» لكن هانسِـل المقامر أجابه: «انتظرني قليـلاً، ريثما تنتهي هذه اللعبة، وحتى ذلك الحين تسلقْ الشجرةَ واقطفْ لنا بعض ثمارها، كـزوادة للطريق». فخرج الموت وتسلق الشجـرة، وعندما أراد النزول ثانيـة، لم يستطع، وتركه هانسِل المقامر طـوال سبع سنوات هناك فوق، لم يمتْ في أثنائها أحد.

وعندها قال القديس بطرس للرب القدير: «الأمور تزداد سوءاً يا سيدي، لا بد مـن أن نذهـب بأنفسنا» ونزلا من السماء إليه، وأمره الرب القدير بأن يدع الموتَ ينزل عن الشجرة. فذهب هانسِل فوراً وقال للموت: «هيا انزلْ» فأمسك به الموت

Twitter: @ketab_n

في التو واللحظة وخنقه، ثم غادروا جميعهم إلى العالم الآخر، حيث توجه هانسِل المقامر إلى بوابة الجنة وقرعها، فجاءه السؤال: «من هناك؟» فأجاب: «هانسِل المقامر!» فسمع الرد: «لسنا بحاجة إليك هنا، ارجع من حيث أتيت!» فذهب إلى بوابة المطهر وقرعها، فجاءه السؤال: «من بالباب؟» فأجاب: «هانسِل المقامر!» فسمع الرد: «لدينا هنا ما يكفي من البؤس والشدائد، ولا رغبة لنا في المقامرة. عد أدراجك!» فذهب إلى بوابة جهنم وقرعها، فسُمح له بالدخول. لكنه لم يجد أحداً هناك سوى إبليس العجوز وبعض الشياطين محدودبي الظهور (وقد عادوا لتوهم من مهمة أرضية). جلس هانسِل وبدأ فوراً باللعب، ولكن لم يكن لدى إبليس ما يقامر به سوى شياطينه المحدودبين، فخسّره هانسِل إياهم، إذ كان لا بدَّ له بأوراق لعبه من أن يربح. ثم ذهب مع شياطينه نحو الهضبة، حيث اقتلعوا دعامات حشيشة الدينار وتمكنوا بذلك من التسلل صعوداً إلى الجنة، وبدأوا يدكون الأرض التي أخذت تطقطق وتتشقق. فقال القديس بطرس ثانية: «الأمور تزداد سوءاً يا سيدي، فلنسمح له بالدخول، قبل أن يُسقِطنا من الجنة»، فأدخلوه. لكن هانسِل المقامر عاود اللعب فوراً، فتسبب ذلك بضجيج وصخب مريع، بحيث لم يعد يفهم المرء حتى كلامه. ومجدداً قال القديس بطرس: «الأمور تزداد سوءاً يا سيدي، لا بد لنا من طرده خارجاً، قبل أن يتمرد علينا نزلاء الجنة كلهم» وهجموا عليه فأمسكوا به ورموه خارج الجنة، ما أدى إلى تناثر روحه أجزاءً، دخلت في أجسام المقامرين السفلة الذين ما زالوا أحياء حتى اليوم.

×××

Twitter: @ketab_n

(٨٣)

هانس المحظوظ

بعـد أن ختم هانس سبع سنوات من الخدمة لدى سيـده، قال له: «لقد انتهت مدة خدمتي يا سيدي، وأرغب الآن في العودة إلى أمي في بيتنا. فهل لك أن تدفع لي أجري!» فأجابه سيده: «لقـد خدمتني بإخلاص وأمانة، وسيكون جزاؤك من نوع عملك». وأعطاه قطعةً كبيرة من الذهب، يعادلُ حجمُها حجمَ رأسِ هانس. أخـرجَ هانس منديله من جيبه ولفَّه حول كتلة الذهـب، ثم وضعها على كتفه وسار على الدرب نحو بيته.

وبينمـا كان يمشي حذراً في نقـل خطواته دائماً، كيلا يتعثر، رأى فارساً قادماً يخبُّ على حصان نشيـط، وكان الفارس يبدو فرحاً ومنتعشاً. قال هانس بصوت مسمـوع: «آهٍ ما أجمل ركـوب الخيل! كمن يجلس على كرسـيٍ، ولا يتعثر ولا يذيب كعبيه من المشي، ويطوي الطريقَ من حيثُ لا يدري». سمعَ الفارسُ كلامه، فتوقـف وناداه: «يا هانس، أنت لماذا تمشي علـى قدميك؟ فأجابه: «أنا مضطر، فعلـيَّ أن أوصل هذه الكتلة إلى البيت. صحيح أنها من الذهب، لكنها تمنعني من أن أُجلِّـس رأسي أثناء حملها، ثم إنها تُثقل على كتفي». فقال له الفارس: «أتعرف ما سنفعل يا هانس؟ سنتبادل: أعطيكَ حصاني، وتعطيني كتلتك». فأجاب هانس: «بكل سرور. ولكن دعني أقول لك إنك ستتعذب بحملها». ترجل الفارس، أخذ كتلة الذهـب، وساعد هانس على ركوب الحصان وناولـه العنان وجعله يُمسكه بقوة، ثم قال له: «إذا أردتَ للحصان أن يُسرع، فعليكَ أن تُطرقع بلسانك وتصيح «يللا»، مرتين.

Twitter: @ketab_n

غمرت السعادة هانس وهو راكب على حصانٍ يسير به بحرية وانطلاق. بعد فترة وجيزة خطر بباله أن يسرع، فطرقع بلسانه وصاح يللا يللا. فهرول الحصان ثم طار بخفة، وقبل أن ينتبه هانس كان قد طار عن ظهر الحصان وسقط في خندق يفصل الطريق الزراعي عن الحقول. وكان الحصانُ سيهربُ منه، لو لم يوقفه فلاحٌ يسوق أمامه بقرة على الطريق. تفحص هانس أعضاءه ثم نهض بصعوبة، وكان حانقاً ساخطاً عندما قال للفلاح: "ليس في ركوب الخيل ما يُمتع، لا سيما إذا ركبتَ مثل هذا الحصان الذي يرمي راكبه عن ظهره فيدقُ عنقه. لن أركبه بعد الآن أبداً. أما بقرتك فإنها مدعاة للإعجاب، يمشي صاحبُها وراءها مرتاحاً هانئاً، وهي فوق ذلك توفر له يومياً الحليب والزبدة والجبن. يا ليتني أملك مثل هذه البقرة!" فقال له الفلاح: "حسناً، إذا كنت راغباً فيها إلى هذا الحد، فسأقبل بمبادلتها معك مقابل حصانك." وافق هانس وهو في منتهى السعادة، وسرعان ما ركب الفلاح الحصان وغاب.

ساق هانس بقرته أمامه بهدوء وهو يفكر بالحظ الذي نابه من هذه الصفقة، وقال لنفسه: "إذا كان معي قطعة خبز، وهذه حتماً لن تنقصني، فسأستطيع كلما رغبت أن آكل معها زبدة وجبناً، وإذا عطشتُ، فسأحلب بقرتي وأشرب حليبها. فماذا تطلبين أكثر من هذا أيتها النفس؟" .

وصل هانس أثناء طريقه إلى نُزُل فدخل المطعم وطلب بآخر ما معه من قروش كأس بيرة، وأكل زوادته كلها دفعة واحدة، لشدة سروره ببقرته. ثم تابع طريقه مع بقرته باتجاه قريته حيث تقيم أمه. وكلما اقترب منتصفُ النهار، ازدادت وطأة حرارة الشمس، وكان هانس قد بلغ مرجاً واسعاً سيحتاجُ إلى ساعتين لاجتيازه. شعر بحرٍ شديد لدرجة أن التصق لسانه بسقف حلقه، فقال في نفسه: "المشكلةُ محلولة، سأحلبُ بقرتي وأنتعش بحليبها" فربطها إلى شجيرة عجفاء. وبما أنه لم يكن يملك دلواً، فقد وضع قبعته الجلدية تحت ضرع البقرة، وبذل أقصى جهده، لكنه لم يحصل على قطرة حليب واحدة. ولأنه كان أخرقَ في عملية الحلب،

Twitter: @ketab_n

فقدت البقـرة صبرها ورفسته بحافـر إحدى قائمتيها الخلفيتيـن رفسةً قوية على رأسه جعلته يترنح ويسقط مغشياً عليه.

لحســن حظه صادف فـي ذلك الوقت أن مـرَّ على الطريق لحـامٌ يدفع أمامه خنزيراً فتياً على عربة ذات دولابين، ورأى هانس الطيب في الخندق، فصاح: "يا لهـا من رفسة!" وساعد هانس على النهوض، فحكـى له ما جرى. قدَّم له اللحام زمزميتـه قائلاً: "هاك، اشـرب واسترح قليلاً. هذه البقرة لـن تعطيك حليباً، فهي عجوز،لـم تعد تصلح سوى للجـر أو للذبح." مسح هانس على شعره بيده وقال: "يا سلام، هذا لم يخطر ببالي. يُستحسن طبعاً أن يمتلك الإنسانُ مثل هذا الحيوان للذبـح في الدار، فلحمه وافر جداً! لكنني شخصيـاً لا أستطيب لحم البقر، أجده قاسياً نوعاً ما. ولكنْ لو كان عند المرء مثل هذا الخنزير الفتي! لتلذذ بلحمه الطري الغض، هـذا إضافة إلى النقانق طبعـاً." فقال اللحام: "اسمع يـا هانس، من أجل خاطرك فقـط، سأقبل بمبادلة بقرتك بخنزيـري." فأجابه هانس: "جزاك الله كل الخير لصداقتك"، وأعطاه البقرة وتركه ليحرّر له الخنزير من العربة ويضع له حبل رباطه في يده.

تابـع هانس طريقه وهو يفكر بأن كل أموره قـد سارت حسبما تمنى، إذْ كلما واجه أمراً منغِّصاً، سرعان ما كان ينقلب إلى أمر سار. بعد حين رافقه على الدرب فتـى، كان يحمل تحت إبطه إوزة بيضاء جميلة، وبعد أن تبادلا التحية، بدأ هانس يحكي له عن حسن حظه وعن أن عمليات التبديل التي أجراها كانت مفيدة دائماً. وحكـى لـه الفتى أنه فـي طريقه لإيصـال الإوزة إلى مأدبةِ عمادِ طفـلٍ، ثم قال له حامـلاً إياها من جناحيهـا: "جرب احملها لترى كم هي ثقيلـة. لقد مضى عليها ثمانيـة أسابيع فـي التزقيم. ومَن سيأكل من لحمها مقليـاً، فعليه الانتباه إلى الدسم الـذي سيُشرشر مـن جانبي فمه." فقال هانـس وهو يزنها بيـده: "صحيح، إنها ثقيلة. لكن خنزيري لم يسمن كفاية بعد." في أثناء ذلك تلفت الفتى حوله بصورة مقلقـة وهـزّ برأسه أيضاً، ثم قـال: "ثمة ما يريب في أمر خنزيـرك. في القرية التي مـررتُ بها، سرق أحدهـم خنزيراً من اصطبل المختـار. وأنا أخشى أن هذا الذي

Twitter: @ketab_n

بيـدك هو المسروق. لقد أرسلوا دورية للبحث، وستكون صفقتك الأخيرة وخيمة، إذا ضبطـوك والخنزيـر بحوزتك. أقلّ ما يمكن أن يحدث هـو أن يرموك في زنزانة معتمـة." شعـر هانس الطيب بالخـوف فقال بقلق: "يا إلهي!" ثـم التفت إلى الفتى وقـال له: "هل يمكنك أن تنقذني من هذا المـأزق؟ أنت تعرف هذه المنطقة أفضل منـي. خذ خنزيري واترك لـي إوزتك." فقال الفتى: "الأمر فيـه خطورة، لكنني لا أريـد أن أسهم في تعاستك"، وأخذ حبل الخنزير من يد هانس وناوله الإوزة وأسرع فـي درب جانبي، بينما تابع هانس الطيب طريقه إلى قريته بهدوء، خالياً من الهموم، وهـو يقول لنفسه: "إذا دققتُ فـي الأمر فقد كسبتُ بهذه المبادلة: أولاً لحمَ الإوزة المقلـي، ثم كميةَ الدهن التي ستبقى والتي يمكن دهنها على الخبز مثل الزبدة طوال ثلاثـة أشهر، وأخيراً الريش الأبيض الجميل الذي سأحشو بـه وسادتي التي سأريح رأسي عليها وأنام بلا هز. لا شك أن أمي ستسر بها جداً!"

عندما عبر هانس القرية الأخيـرة رأى على ناصية الطريق رجلاً يجلخ المقصات والسكاكين وهو يدير عجلته ويغني:

"أجلخُ السكاكين والمقصات وأدير عجلتي بسرعة،

فارداً معطفي للريح لأطير فوق الحقول والترعة."

توقـف هانـس وأخذ يراقب عمله، إلـى أن خاطبه أخيراً قائـلاً: "لا بد أن تكون سعيداً، ما دمت تجلخ وأنت مغتبط." فأجابه الجلاّخ: "صحيح، فهذه المهنة مربحة جيداً. الجلاّخ الجيد هو الإنسان الذي كلما مدّ يده إلى جيبه وجد فيه نقوداً. ولكن قل لي: "أين اشتريت هذه الإوزة؟" فأجابه هانس: "لم أشترها، بل بدّلتها بخنزيري." "والخنزير؟" "بدلته ببقرتي." والبقرة؟" "بدلتها بحصاني." "والحصان؟" "دفعت فيه كتلة ذهب كبيرة بحجم رأسي." "وكتلة الذهب؟" "كانت طبعاً أجري عن سبع سنـوات خدمة." فعلق الجلاّخ: "يبدو أنك قد أحسنـت التدبير في كل مرة. ولكن إذا تمكنـتَ في هذه المرة من سماع رنين النقود في الجيب عندما تنهض، فسيكون حظك قد اكتمل." فسأله هانس: "وكيف سيتم لي ذلك؟" فأجابه: "عليك أن تصبح

Twitter: @ketab_n

جلاّخـاً مثلي. لا يحتاج ذلك في الواقع إلى أكثر من حجر جلخ، أما الأمور الأخرى فتأتي من نفسها. عندي هنا حجر إضافي، صحيح أنه تالف قليلاً، لكني لن آخذ منك مقابلـه سوى إوزتك. أتقبل؟" فأجاب هانس: "وهل يحتاج هذا إلى سؤال! سأكون أسعـد إنسان في الدنيا، كلمـا مددت يدي إلى جيبي وجدت فيـه نقوداً. فما همّني بعـد ذلك؟" وناولـه الإوزة وأخذ منه حجر الجلخ. ثم قـال له الجلاخ وقد رفع من جانبه حجرَ حقلٍ عادياً ثقيلاً: "والآن إليك هذا الحجر المتين، سينفعك في تجليس المسامير القديمة. خذه وحافظ عليه جيداً."

حمـل هانس حجراً على كل كتف وتابع طريقـه خفيف الفؤاد وبعينين مشرقتين فرحـاً، وصـاح بملء فمه: "لا شـك أني قد ولـدتُ مكللاً بالحظ، فـكل ما أتمناه يتحقـق، وكأني مبـروك." كان قد مضى عليه منذ الصباح وهـو يمشي على قدميه، فبدأ يتعب. كما كان يعاني من الجوعَ، لأنه أكل زوادته كلها مرة واحدة نتيجة فرحه بصفقـة البقرة. وأخيراً لم يعد قادراً على التقـدم إلا بجهد جهيد، وكان لا بد من أن يتوقـف، لا سيما أن الحجرين كانا يضغطان على كتفيـه بصورة مؤلمة. ولـم يستطع مقاومة فكرةٍ خطرت بباله للتو: "ليتني أتخلص من حملهما الآن."

وببـطء حلزون وصـل أخيراً إلـى بئر على حافة حقـل، حيـث أراد أن يستريحَ ويشـربَ فينتعش. ولكي لا يؤذي الحجرين أثناء جلوسـه وضعهما بتؤده إلى جانبه علـى طرف البئر، ثـم جلس وانحنى لكي يشـرب، فتمايل واندفع قليـلاً إلى الأمام فتسببَ فـي سقوط الحجرين معاً في البئر. عندما تابـع هانس سقوطهما بعينيه نحو القـاع، قفز فرحاً ثم ركع على ركبتيه وشكر الـربّ وهو يذرف الدموع، لأنه شمله بهـذه المنّة أيضاً وبهذه الطريقـة البارعة، في الخلاص من الحجرين الثقيلين، اللذين كانا يعيقان تقدمه، ومن دون حاجة لأن يلوم نفسه على ذلك. وصاح بأعلى صوته: "لا يوجد إنسان تحت الشمس أكثر سعادة مني." وبقلبٍ خفيفٍ، وحرٌ من أي ثقلٍ أو عبء تابع طريقه الآن حتى وصل إلى بيت أمه.

×××

Twitter: @ketab_n

(٨٤)

هانْس يتزوج

كان هنـاك فـلاح شاب اسمه هانس، رغب ابن عمه فـي أن يخطب له عروساً غنيـة. فأجلسَ هانـس وراء المدفأة التي تنشر دفئاً وفيراً.، ثـم أحضر قدراً مملوءاً بالحليـب وكمية كبيـرة من الخبز الأبيض، وناوله كذلك قرشـاً لماعاً مسكوكاً حديثـاً، وقال له: «يـا هانس، أمسك بهذه القرش جيداً، وفـتَّ الخبز الأبيض في الحليـب، وابق جالساً في مكانـك، لا تتحرك منه حتى أعـود». فقال له هانس: «طيب، سأنفذ كل ما قلت».

لبس الخاطب بنطـالاً مرقّعاً عتيقاً وذهب إلى القرية، إلـى دار ابنة فلاح غني وخاطبهـا قائـلاً: «ألا ترغبين في الزواج من ابن عمـي هانس؟ سيكون لكِ رجلاً صالحـاً عاقلاً وسينال إعجابك». فسأله أبوها البخيل: «هل يملك ثروة؟ هل لديه مـا يفتّه؟» فأجابه الخاطب: «يا صديقي العزيـز، ابن عمي شاب يجلس في دفء عميـم، وفي يده قرش جديد لماع، ومعه الكثير للْفَـتّ. ولا تنقصه الرُقع (هكذا كانـت تسمـى الأراضي آنذاك) أبـداً، مثلي تمامـاً»، وضرب بكفـه على بنطاله المرقـع، وأردف قائلاً: «إذا أردتم أن تتفضّلوا معي إلـى دارنا فسأريكم فوراً، أن كل شيء على الحال التي وصفتها لكم تماماً». وكما هو متوقَّع، لم يرغب الفلاح البخيـل في أن تفلت منه هذه الفرصة الطيبة، فقال: «إذا كانت الأمور كما تقول، فلا اعتراض لدي على الزواج».

تـم الاحتفـال بالزفاف في اليـوم المحدد لـه، وعندمـا أرادت العروس الفتية النـزول إلى الحقل لترى أمـلاك العريس، خلع هانس عنه بدلـة الأحد الاحتفالية

Twitter: @ketab_n

ولبس رداء العمل المرقّع وقال: «كيلا تتسخ البدلة الجديدة». وذهبا سوية إلى الحقل. وعندما ظهرت في أثناء الطريق معالم حدود الكرمة وحقول الخضار والمروج صارهانس يشير نحوها بإصبعه أولاً ثم يضرب بكفه على رقعة كبيرة أو صغيرة في رداء عمله قائلاً: هذه الرقعة لي، وتلك، وتلك أيضاً يا كنزي، انظري إليها»، وكان يقصد بذلك، أن لا تحدق عروسه باتجاه الحقول بل باتجاه رداء عمله، فهذا ملكه. ثم التفت إليها وسألها: «وهل كنتِ أيضاً في حفلة الزفاف؟» فأجابته: «طبعاً كنت هناك، وبكامل زينتي وأبهتي. كان إكليل رأسي من الثلج، وعندما سطعت الشمس ذاب علي، وكان ثوبي من نسيج العنكبوت، وعندما عبرت بين الأشواك مزقته عن جسمي. وكان حذائي من الزجاج، صدمتُه بحجرٍ فانكسر نصفين».

×××

Twitter: @ketab_n

(٨٥)

أبناء الذهب

كان هنـاك زوجان فقيران يسكنان في كوخ صغير ويعيشان من صيد السمك، أي من اليد إلى الفم وحسب.

ولكـن حدث ذات يوم بعد أن رمـى الصياد شبكته في المـاء، ثم سحبها، أن وجـد فيها سمكة ذهبية بكاملها. وبينما كان ينظـر إليها مندهشاً ومتعجباً، بدأت السمكة تتكلم، وقالت له: «اسمع أيها الصياد، إذا أعدتني إلى الماء ثانية فسأجعل مـن كوخك الصغير قصراً فخماً». فأجابها الصياد: «وبماذا يفيدني القصر، إن لم يكـن عندي ما آكله؟» فتابعـت السمكة الذهبية قائلة: «سأهتم بهـذا الأمر أيضاً. سأجعـل في القصـر خزانة، حينما تفتحهـا، ستجد فيها صحافـاً مملوءة بأطايب الطعام، وبالكمية التي تشتهيها». فأجاب الصياد: «إذا كان الأمر كذلك، فيمكنني أن أقـدم لكِ هذه الخدمة»، فقالـت السمكة: «حسناً، ولكـن بشرط أن لا تخبر أحـداً في الدنيـا، أياً يكن، بمصدر سعادتك. وإن نطقـت بكلمة واحدة، سيضيع منك كل شيء».

رمى الصياد السمكة الذهبية في الماء وعاد إلى كوخه. ولكن حيث كان كوخه قائمـاً، انتصب فـي مكانه الآن قصر ضخم. اندهش الرجـل واستغرب، ثم دخل فرأى زوجته في ثياب جميلـة، تجلس في غرفة فخمة. كانت غارقة في السعادة، وقالـت له: «يا رجل، من أين جـاء هذا كله دفعة واحدة؟ أنا مسرورة جداً». فقال الصيـاد: «وأنا أيضاً مسرور به جداً، لكنني أشعـر بجوع قاتل، لذلك ضعي لي ما آكلـه أولاً». فقالـت زوجته: «ليس عندي أي شـيء. ولا أعرف مكان الأشياء في

Twitter: @ketab_n

هـذا البيت الجديد». فأجابها: «هذه محلولة. أرى هناك خزانة كبيرة، افتحيها!» عندمـا فتحتها الزوجـة، وجدت فيها حلويـات وفواكه ولحوماً ونبيـذاً، فأشرق وجههـا بابتسامة رضا، وهتفت فرحة: «ماذا تبغي أكثر من هذا يا قلبي؟» وجلسا فـأكلا وشربا معاً. ولما شبعا سألته زوجتـه: «ولكن يا رجل، من أين هبطت علينا كل هـذه الثروة؟» فأجابها: «أرجوكِ لا تسأليني، إذْ لا يجوز لي أن أخبرك. وإن أخبرتُ أحـداً بالسر، فستضيع سعادتنا». فقالت: «طيب، إذا كان لا يجوز لي أن أعرف، فلا أريد أن أعرف».

لكنهـا لم تكن جـادة في قولها، بل انشغل بالهـا بالموضوع ليلاً ونهاراً حتى أقضّ مضجعهـا ونفد صبرهـا، فبقيت تلح علـى زوجها بالسـؤال وتنغص عليه راحتـه، حتى انفجر وحكى لها كل شيء. وما أن انتهى حتى اختفى القصر الكبير مـع الخزانة، وعادا يجلسان كالسابق فـي كوخهما الصغير. وكان على الرجل أن يبدأ مـن جديد، فعاد إلى مهنته القديمة، صياد سمك. إلا أن الحظ شاء أن يصطاد بشبكتـه السمكة الذهبية ثانية، والتي خاطبته قائلة: «إذا أعدتني إلى الماء مرة ثانية فسأعيـد إليك القصر والخزانة مملوءة بمأكـولات مطبوخة ومقلية، ولكن عليك أن تتمالـك نفسك بعزم، فلا تفشي سر مصـدر ثروتك لأحد، وإلا لضاعت منك مجـدداً». فقال الصياد: «سأحرص على صونه»، ورمـى السمكة في الماء. وفي قصره عاد كل شيء إلى أبهته وفخامته السابقة، وقد غمر الفرح والسعادة زوجته. لكـن الفضول أقض مضجعهـا، فبعد يومين عاودت السـؤال والنق والاستفسار: كيف حدثت القصة وما هي بتفاصيلها.

بقي الرجل صامداً صامتاً مدة من الزمن، إلى أن جعلته ذات يوم يحتقن غضباً، فانفجر ثانية وأفشى السر. وفي التو واللحظة اختفى القصر، وعادا ليجدا نفسيهما في كوخهما القديم. «هذا ما جناه عليكِ فضولك يا امرأة. ها قد أعدتِنا إلى معاناة الجوع!» قال الرجل، فأجابته: «لا أحبذ أن أكون غنية، إنْ لم أعرف مصدر الغنى، وإلاّ لن يهدأ لي بال».

Twitter: @ketab_n

عاد الرجل إلى مهنته، صياد سمك. وبعد مدة من الزمن، تكررت الواقعة من دون تغيير. سحب شبكته فاصطاد السمكة الذهبية لثالث مرة. فقالت له: «اسمع، أرى أن مصيري بين يديك، لذلك خذني معك إلى كوخك وقطّعني ستة أجزاء، أعطِ اثنين لزوجتك لتأكلهما، واثنين لفرسك، وادفن اثنين في التراب، وستحل عليك البركة». أخذ الرجل السمكة الذهبية إلى كوخه ونفّذ ما قالته له. فكان أن أنْتش الجزءان المدفونان وصارا زنبقتين ذهبيتين، وولدت الفرس مهرين ذهبيين، كما أنجبت زوجته صبيين ذهبيين.

كبر الصبيان وصارا شابين قويين وسمينين، وكبر معهما الحصانان والزنبقتان. فقال الشابان لأبيهما: «نريد يا أبي أن نركب حصانينا ونخرج إلى الدنيا الواسعة». فأجابهما بحزن: «كيف لي أن أتحمّل فراقكما، من دون أن أعرف أحوالكما؟» فأجاباه: «الزنبقتان الذهبيتان باقيتان هنا، ومنهما ستعرف أحوالنا: إذا بقيتا نضرتين، فنحن بخير، إذا ذبلتا فسنكون مريضين. أما إذا كبتا على نفسيهما فسنكون ميتين».

وانطلقا على الطريق حتى وصلا إلى نزل كان مطعمه مزدحماً بالزبائن، الذين ما أن رأوا الشابين الذهبيين حتى أخذوا يضحكون ويسخرون منهما. عندما سمع الأول عبارات السخرية أحس بالخجل، وغير رأيه في التعرف على الدنيا، وعاد على عقبيه إلى دار أبيه. أما الثاني فتابع الطريق حتى وصل إلى غابة واسعة، وعندما أراد أن يدخلها، قال له الناس: «لا يجوز أن تعبر هذه الغابة، فهي مليئة بقطّاع طرق، سيسيئون إليك، لا سيما عندما يرون أنك أنت وحصانك أيضاً ذهبيين، فسيقتلونكما حتماً». لكن كلام الناس لم يرعب الشاب ولم يردعه، بل قال لهم: «يجب عليّ ويُفترض بي أن أعبرها»، وجمع جلود دببة، غطى بها نفسه وحصانه بحيث أخفى كل ما هو ذهبي ودخل الغابة مطمئناً. بعد أن قطع بعض الطريق سمع حركة من بين الشجيرات والتقط أصواتاً تتحادث مع بعضها. سمع صوتاً من هذه الجهة يقول: «هناك شخص يعبر»، وسمع من الجهة الثانية صوتاً آخر يقول: «دعه يذهب. إنه من جامعي جلود الدببة، فقير

Twitter: @ketab_n

معدم مثل فئران الكنائس. ماذا سنفعل به!» وهكذا تابع الشاب الذهبي طريقه عبر الغابة مسروراً وبسلام.

وصل ذات يوم إلى قرية، شاهد فيها صبية على درجة من الجمال، لا مثيل له، في رأيه، على وجه البسيطة. ولأنه تولّه بحبها، توجه إليها وخاطبها قائلاً: «إني أحبك من كل قلبي، أترغبين في أن تصبحي زوجتي؟» وكان الشاب قد لاقى إعجاباً كبيراً من جانب الصبية، فأجابته: «نعم، أقبل أن أصبح زوجتك، وسأكون وفية لك طوال حياتي». فاحتفلا معاً بزواجهما، وعندما كانا في ذروة فرحهما وصل والد الفتاة إلى الدار. وحالما رأى أن ابنته تحتفل بزواجها سألها: «أين العريس؟» فأرته الشاب الذهبي الذي كان لا يزال متلفعاً بجلود الدببة، فقال بغضب شديد: «أبداً لن يحصل جامع جلود دببة على ابنتي» وكان على وشك أن يقتل العريس، لولا تدخل العروس التي ناشدته ما بوسعها، وقالت: «لكنه بات الآن زوجي، وأنا أحبه من كل قلبي»، حتى لان أخيراً وهدأ. لكن الأمر بقي يضغط عليه طوال الليل، إلى حد أنه نهض باكراً ليرى ما إذا كان زوج ابنته متسولاً متشرداً قذراً.

بيد أنه عندما نظر إلى السرير شاهد رجلاً ذهبياً رائع التكوين، وجلود الدببة مكومة على الأرض. فعاد إلى غرفته وهو يفكر: «جيدٌ أني قد لجمت غضبي. فقد كنت على وشك ارتكاب خطيئة كبرى».

أما الشاب الذهبي فقد حلم في نومه بأنه قد خرج إلى الصيد ليقنص وعلاً رائعاً، ولما أفاق صباحاً قال لعروسه: «سأخرج إلى الصيد». انقبض قلب العروس وناشدته أن يبقى، قائلة: «قد تتعرض بسهولة إلى مصيبة كبيرة»، فأجاب: «يجب عليّ ويُفترض بي أن أخرج».

نهض العريس وركب حصانه وانطلق إلى الغابة. بعد مدة قصيرة رأى أمامه وعلاً رائعاً معتزاً بنفسه، تماماً كما رأى في الحلم. سدد نحوه وكان على وشك أن يطلق الرصاص عندما ركض الوعل، فطارده فوق حفرٍ وعبر أجماتٍ وأدغال

Twitter: @ketab_n

طوال النهار من دون كلل، ولكن مساءً اختفى الوعل أمام عينيه. وعندما تلفت حوله وجد نفسه أمام بيت صغير تسكن فيه ساحرة. قرع الباب فخرجت جدة عجوز وسألته: «ماذا تريد في هذا الوقت المتأخر في هذه الغابة الواسعة؟» فسألها بدوره: «ألم تري وعلاً؟» فأجابت: «نعم، هذا الوعل أعرفه»، وفي الوقت نفسه أخذ كلب صغير خرج معها ينبح على الشاب بحدة. فقال له الشاب: «أسكت أيها الضفدع الشرير، وإلا أطلقت عليك النار فقتلتك»، فصاحت العجوز بغضب: «ماذا؟ تريد أن تقتل كلبي الصغير؟!» وسحرته من فورها، فجمدَ في مكانه كحجر، فيما كانت عروسه تنتظره سدى، وقالت في نفسها: «مؤكد أن ما انقبض له قلبي وأخافني قد وقع».

كان الأخ الذهبي الثاني واقفاً إلى جانب حوض الزنبق عندما كَبَت إحداهما فجأة، فصاح: «يا إلهي، لقد أصيب أخي بمكروه خطير. لا بد من أن انطلق فوراً، عساني أنقذه». فقال له أبوه: «ابق هنا. فماذا سأفعل إنْ فقدتُك أنت أيضاً؟» لكن الشاب أجابه: «يُفترض بي ويجب عليّ أن أذهب».

ركب حصانه الذهبي وانطلق إلى الغابة الواسعة، حيث كان أخوه متجّمداً كالحجر. خرجت الساحرة العجوز من بيتها ونادته إليها كي تسحره هو أيضاً، لكنه لم يقترب منها، بل قال لها: «سأطلق النار فأقتلك، إنْ لم تعيدي الحياة إلى أخي فوراً»، وعلى الرغم من تأففها الشديد، لمست التمثال بإصبعها فدبت فيه الحياة. فرح الأخوان الذهبيان بلقائهما فتعانقا وتبادلا القبل ثم غادرا الغابة معاً، فاتجه أولهما إلى عروسه والثاني إلى أبيه، الذي قال عندما التقاه: «عرفتُ أنك قد خلصتَ أخاك، فقد اعتدلت ساقُ الزنبقة ثانيةً واستعادت ألقها». وتابع الجميع حياتهم بسعادة حتى آخر أيامهم.

×××

Twitter: @ketab_n

(٨٦)

الثعلب والإوزات

ذات يوم دخل ثعلب إلى مرج كان يجلس فيه قطيع من الإوزات السمينات الجميلات. فضحك الثعلب وقال: «لقد جئتُ في الوقت المناسب تماماً، ها أنتن تجلسن هنا مجتمعات، بحيث أستطيع أن ألتهمكن إوزة بعد أخرى. ارتعدت الإوزات وقوقأت وتقافزت وأخذت تشكين وتندبن، وتناشدنه أن يدعهن تعشْن.

لكن الثعلب صمَّ أذنيه، وقال: «لا رحمة في هذا الأمر، لا بد أن تمتن». وأخيراً تماسكت إحدى الإوزات وقالت: «إذا كان لا بد من أن نفقد حياتنا الفتية النضرة، نحن معشر الإوز، فامنحنا على الأقل فرصة أن نصلّي، كيلا نموت حاملات معنا خطايانا. ومن ثم سنقف رتلاً، كي تتمكن من اختيار أكثرنا سمنة». فأجاب الثعلب: «حسناً، هذا من حقكن، وهو طلبٌ يدل على التقى. هيا، صلين! سأنتظركن». فبدأت الأولى صلاة طويلة وهي تكرر: «غا، غا!» ولأنها لم تختم صلاتها، فإن الثانية لم تنتظر حتى يأتي دورها، بل بدأت أيضاً: «غا، غا!» وهكذا الثالثة والرابعة، وسرعان ما أخذت الإوزات كلهن تقوقئن معاً. (وإذا كانت الإوزات قد ختمن صلواتهن، فيفترض بالحكاية أن تتابع: وما زالت الإوزات تصلين حتى الآن.)

×××

Twitter: @ketab_n

(٨٧)

الفقير والغني

في الأزمان الغابرة، عندما كان الرب العزيز لا يزال يتحرك بين البشر، صادف ذات مساء أن كان الرب متعباً وقد داهمه الظلام قبل أن يصل إلى أحد النزل للمبيت.

وكان هناك أمامه على الطريق بيتان متقابلان، أولهما كبير وجميل، وثانيهما صغير ورثّ المنظر. صاحب أولهما رجل غني، وصاحب الثاني رجل فقير. قال الرب العزيز لنفسه: «لن أشكّل عبئاً على الغني، لهذا سأبيت الليلة عنده». عندما سمع الغني القرع على بابه، فتح النافذة وسأله الغريب عن مبتغاه، فأجاب الرب: «أرجو المبيت عندك». راز الغنيُ الغريب المتجول من رأسه إلى قدميه، فوجده يرتدي ثياباً متواضعة لا توحي بأنه يملك ذهباً وافراً في جيبه، فهز برأسه وقال: «لا استطيع استقبالك، لأن غرف بيتي مملوءة بالأعشاب والبذور. وإذا كنتُ سأستضيف كل مَن يقرع بابي، فسرعان ما سأصبح أنا نفسي شحاذاً. ابحث لنفسك عن مكان آخر للمبيت»، وأغلق نافذته تاركاً الرب العزيز واقفاً ببابه.

أدار الرب العزيز له ظهره. وذهب إلى البيت الصغير، وما أن قرع الباب حتى فتح له الرجل الفقير بابه الصغير ورجا الغريب المتجول أن يتفضل، ثم قال: «ابق الليلة عندي، فقد هبط الظلام ولن تستطيع متابعة الطريق اليوم». استحسن الرب العزيز هذا الكلام فدخل. مدت زوجة الفقير يدها إليه فصافحته مرحبة به ورجته أن يأخذ راحته في حدود ما عندهما، صحيح أنه ليس بالكثير، لكنهما لن يبخلا عليه بشيء. وضعت بطاطا لتغلي على النار، وحلبت في أثناء ذلك العنزة، ليشربوا

Twitter: @ketab_n

بعض حليبها على العشاء. وعندما صارت المائدة جاهزة جلس الرب العزيز وشاركهما الطعام ووجد مذاقه طيباً، ولا سيما أن وجوه الجميع كانت سعيدة. وبعد أن أنهوا الطعام نادت الزوجة رجلها سراً وقالت له: «اسمع يا زوجي العزيز، الليلة سننام نحن على القش، لكي يرتاح الجوّال المسكين في سريرنا، فقد كان يمشي طوال النهار، فهو مرهق لا شك». فأجابها الزوج: «بكل سرور يا عزيزتي، سأعرض عليه الأمر». وتوجه إلى الرب العزيز ورجاه، إن كان الأمر يناسبه، أن يضطجع في سريرهما ليمدد أطرافه بصورة مريحة. لم يرغب الرب العزيز أن يحتل مكانهما، لكنهما أصرا واستمرا في الإلحاح حتى قبل وتمدد في سريرهما. أما هما فنثرا القش على الحصيرة وناما.

نهضا فجراً وجهزا الفطور لضيفهما من أفضل ما لديهما. وعندما دخلت أشعة الشمس عبر النافذة واستيقظ الرب العزيز، شاركهما الطعام ثانية، وأراد من ثم أن يتابع طريقه. حينما وقف عند الباب، التفت إليهما وقال: «لأنكما ورعان ورحيمان، لكما أن تتمنيا ثلاثة أمور، سأحققها لكما». فقال الفقير: «وما عساي أن أتمنى سوى الغبطة الأبدية، وأن نكون طوال حياتنا في صحة جيدة مع كفاف يومنا من الطعام. أما ثالثاً فلا أدري ما يمكن أن نتمنى». فقال الرب العزيز: ألا تتمنى لنفسك بيتاً جديداً بدلاً من القديم؟» فقال الرجل: «طبعاً، إذا كان هذا بالمستطاع، فإني أرغب في ذلك».

حقق الرب العزيز لهما أمنياتهما، فحوَّل بيتهما الرث إلى بيت جديد وباركهما وتابع طريقه. كان النهار قد بلغ الضحى عندما نهض الغني. وقف عند النافذة، فشاهد مقابل بيته بيتاً جديداً أنيقاً بقرميد أحمر، في مكان البيت الرث القديم، فامتلأ دهشة ونادى زوجته إليه وقال لها: «أخبريني ما الذي جرى؟ مساء الأمس كان هناك كوخ رث قديم، واليوم ينتصب أمامي بيت جديد جميل. اذهبي إليهم واستفسري عمّا جرى».

ذهبت زوجة الغني واستجوبت الرجل الفقير، فحكى لها: «مساء الأمس

Twitter: @ketab_n

جاءنا رجل جوّال يبحث عن مكان للمبيت، وصباح اليوم عندما ودّعنا، حقق لنا ثلاث أمنيات: الغبطة الأبدية، الصحة في هذه الحياة الدنيا وما يكفينا من الطعام، وبيتاً جديداً بدلاً من القديم». أسرعت زوجة الغني عائدة وأخبرت زوجها بكل ما جرى، فقال: «كم أستحقُ الضرب والتمزيق إرباً. لو كنتُ أعرف فحسب! هذا الرجل الغريب جاء إلينا أولاً طالباً المبيت، لكنني رددته». فقالت الزوجة: «أسرع، اركب حصانك لتحلق به، واطلب منه أن يحقق لك أيضاً ثلاث أمنيات». عمل الغني بنصيحة زوجته فركب حصانه وأسرع حتى لحق بالرب العزيز، فخاطبه بلسان حلوٍ، ورجاه أن لا يؤاخذه لأنه لم يُدخله فوراً، فقد كان يبحث عن مفتاح الباب، فيما غادر الضيف الغريب، وإذا عاد من الطريق نفسه فعليه أن يزوره، فأجابه الرب العزيز: «إذا عدتُ يوماً ما، فسأفعل». فسأله الغني عما إذا كان يجوز له أن يتمنى ثلاث أمنيات مثل جاره، فأجابه الرب العزيز، نعم يجوز له، لكنها لن تفيده في شيء، ويُفضّل ألا يتمنى شيئاً. فقال الغني إنه سيمعن التفكير في ما سيتمناه وما يؤدي إلى إسعاده، إنْ ضمِن أنه سيتحقق. فقال له الرب العزيز: «اركبْ حصانك إلى دارك، وستتحقق لك ثلاثة أمور تتمناها».

حصل الغني بذلك على ما أراده، فامتطى جواده عائداً إلى بيته وهو يمعن التفكير بما عليه أن يتمنى. خلال استغراقه في التفكير، أفلت زمام الحصان من يديه، فأخذ الحصان يقفز، مما أعاق تدفق أفكار الغني وترابطها، ربّت على رقبة الحصان وقال له: «اهدأ يا عزيزي اهدأ!» بيد أن الحصان عاد لينتصب على قائمتيه الخلفيتين، فغضب الغني وصاح نافد الصبر: «أتمنى أن تسقط وتدق رقبتك!» وما أن خرجت الجملة من بين شفتيه حتى سقط الحصان على الأرض ميتاً لا يبدي حراكاً، وبذلك تحققت الرغبة الأولى. وبما أنه بطبيعته بخيل، فإنه لم يرغب في التخلي عن سرج الحصان، ففكه وحمله على ظهره وتابع طريقه على قدميه.

فكّر أثناء الطريق: «ما زال أمامك أمنيتان» مواسياً نفسه بذلك. وبينما كان يخوض في تراب الطريق ببطء، وقد اشتدت حرارة الشمس عند الظهيرة، أحس بالقيظ والسخط، إضافة إلى ضغط السرج على ظهره، وعدم قدرته على التفكير

Twitter: @ketab_n

بما يُفترض به أن يتمنى. فكلم نفسه قائلاً: «حتى لو تمنيتُ ممالكَ وثرواتِ الدنيا كلهـا، فستخطـر ببالي لاحقاً أشياءٌ كثيرة، هـذا و ذاك، وأنا أعرف هذا منذ الآن. لهـذا يجب أن أرتب فكرة أمنيتي بحيث لا يبقى أمامي لاحقاً ما أتمناه». ثم تنهد طويلاً وقـال: «فلو كنتُ فلاحاً بافارياً أمام ثلاث أمنيـاتٍ متاحة، لعرفتُ فوراً ما أتمناه، كنتُ سأتمنى أولاً: كثيراً من البيرة، وثانياً: مزيداً من البيرة بقدر ما يمكنني أن أشـرب، وثالثـاً: برميلاً إضافياً من البيرة». كان يظن أحيانـاً بأنه قد توصل إلى الفكرة، وبعد حين تتبدى له أقل من القليل. ثم خطر بباله أن زوجته في البيت الآن فـي وضع مريح، تجلس فـي غرفة رطبة منعشة وتأكل من أطايـب الطعام. فانتابه غضـب شديد، ومن حيث لا يدري وجد نفسه يقـول: «أتمنى لو أنها تجلس في البيـت علـى السرج ولا تستطيع الترجـل عنه، بدلاً مـن أن أحمله على ظهري». ومـا أن خرجت الكلمة الأخيـرة من بين شفتيه، حتى اختفـى السرج عن ظهره، فـأدرك أن أمنيته الثانية قد تحققت أيضاً. وعندها تحديداً أحس بوطأة القيظ، فبدأ يركض راغباً في الوصول إلى داره ليجلس وحده في غرفته ليفكر بأمرٍ كبير لأمنيته الأخيرة.

بيـد أنـه عندما وصـل وفتح باب الغرفة وجـد زوجته في وسطهـا راكبة على السـرج، غير قادرة علـى النزول، وهي تصيـح وتشكو. فقال لهـا: «كوني على قناعـة بأني سأتمنى لك كل ثروات الدنيا، ولكن ابقِ حيث أنت»، فعيّرته بأنه غبي كالخروف وصاحت في وجهه: «وماذا سيصيبني من كل ثروات الدنيا، إذا بقيت جالسـة على السرج. أنت مَن تمنى أن أكون هكذا، فعليـك أنت إذاً أن تُنزلني». وشـاء أم أبـى، كان ملزماً بالنطـق بالأمنية الثالثة، كي تتحرر مـن السرج وتترجل عنـه. وقد تحقّقت الأمنية فوراً. وبالتالي لم يحصل الغني من الأمر كله سوى على الانزعاج والجهد المهدور والشتائم وخسارة حصانه، أما الفقيران فعاشا حياتهما سعيدين، بهدوء وتقى حتى آخر أيامهما.

×××

Twitter: @ketab_n

(٨٨)

القُبَّرة النشيطة الغَرِيدة

فـي قديم الزمان عاش رجـل غني، خطط لرحلة عمل طويلـة، وقبل أن ينطلق سـأل بناته الثلاث عمّا يردن مـن هدايا. فطلبت الكبرى لآلـئ والوسطى ألماساً، أمـا الصغرى فقالت: «أتمنى يـا أبي أن يكون عندي قبرة نشيطة غريدة» فأجابها: «سيكـون لك ما تتمنيـن، إنْ استطعتُ الحصول على واحـدة». قبّل بناته الثلاث مودّعـاً وانطلـق مع خادمـه. وبعد أن قضـى أعماله وحان وقـت عودته، كان قد اشتـرى اللآلـئ والألماس لابنتيه الكبـرى والوسطى، أما القبـرة النشيطة الغريدة لابنته الصغرى، فقد بحث عنها في كل مكان، ولكن من دون جدوى، وكان هذا مدعاة لأسفه، فالصغرى كانت ابنته المفضلة الأقرب إلى قلبه.

قاده طريق العودة عبر غابة، وجد في منتصفها قصراً منيفاً فاخراً، وقد انتصبت قربـه شجـرة باسقة، ورأى على غصـن عالٍ في الشجرة قبرة تقفـز وتغرّد، فقال: «يـا سلام، لقد وجدتك في الوقت المناسـب» وكان سعيداً بهذه الصدفة، فنادى خادمـه وأمره بتسلق الشجـرة والإمساك بالقبرة. لكنه مـا أن اقترب من الشجرة حتـى ظهر تحتها أسد، هزّ فروته وزأر زئيراً ارتجفت منه أوراق الشجر، وصاح: «مَن سيسرق مني قبرتي الغريدة سأفترسه». فقال الرجل: «لم أكن أعرف أن القبرة لك. أنـا مستعد لتصحيح خطيئتي، بـأن أفتدي حياتي بالذهـب الثقيل.» فأجابه الأسد: "لا نجاة لك، إلا أن تقطع على نفسك عهداً، بأن تقدم لي أول من يقابلك فـي دارك. إذا فعلـتَ ذلك، فإنـي أُهديك حياتَك، والقبرة فوقهـا لابنتك." لكن الرجـل تأبّـى وقال: "قد يكون أول مـن يلقاني ابنتي الصغـرى، فهي تحبني جداً

Twitter: @ketab_n

وتركض لملاقاتي دائماً عندما أدخل الدار." شعر الخادم بالخوف وقال: "وهل تحتّم أن تكون ابنتُك أول من يلقاك، ألا يحتمل أن تكونَ القطة أو الكلب؟" اقتنع الرجل بكلام خادمه، فأخذ القبرة النشيطة الغريدة ووعد الأسدَ بأن يقدم له أول من يلقاه في الدار.

عندما حطّ به الرحال ودخل داره، لم يكن أول من هبَّ للقياه سوى ابنته الصغرى الحبيبة المفضلة: جاءته راكضة، قبلته وعانقته، وحينما رأت أنه قد جاءها بقبرة نشيطة غريدة، طارت فرحاً. أما أبوها فإنه لم يستطع أن يفرح، بل أخذ يبكي، وقال: "يا ابنتي الحبيبة، كان ثمن هذا الطير الصغير باهظاً جداً. لقد اضطررت إلى أن أعد الأسد المتوحش بكِ مقابل الطير. وإذا حصل الأسد عليكِ فإنه سيمزقك ويفترسك"، وحكى لها كل ما جرى معه، ورجاها ألاّ تذهب مهما حدث. واسته الفتاة وقالت له: "أبي الحبيب، لقد وعدتَ، ولا بد من الوفاء بالوعد. سأذهبُ إلى الأسد، فأطيّب خاطره، وأرجعُ إليكَ سالمة."

وفي صباح اليوم التالي طلبت أن يرشدوها إلى الطريق، ثم ودّعتهم ودخلت الغابة مطمئنة. أما الأسد فكان أميراً مسحوراً، يتبدى نهاراً مع جميع حاشيته كالأسود، ويستعيدون ليلاً هيئاتهم البشرية الطبيعية. عند وصول الفتاة، استُقبلت بودٍ وأُدخلت إلى القصر، وعندما هبط الليل ظهر أمامها رجل وسيم، وأقيم حفل زفافهما بفخامة وأبهة. وعاشا مع بعضهما بسعادة، يستيقظان ليلاً، وينامان نهاراً. لكنه جاءها ذات يوم وقال لها: "غداً سوف يقامُ حفلٌ في دار أبيك بمناسبة زواج أختك الكبرى، فإذا رغبتِ في الذهاب فإن أسودي سترافقك." فأجابته بأنها ترغب جداً في رؤية أبيها، ورحلت ترافقها الأسود. عمّ الفرحُ الدار وسكانها عند وصولها، فقد ظنوا أن الأسدَ قد افترسها منذ ذهابها إليه. فحكت لهم عن زوجها الوسيم وعن سعادتها في حياتها معه، وبقيت عندهم طوال مدة العرس، ثم رحلت عائدة إلى الغابة. وحينما تزوجت أختُها الثانية، دُعيت لحضور الزفاف ثانية، فقالت لزوجها الأسد "لن أذهبَ هذه المرة وحدي، عليك أن ترافقني." فأجابها بأن الأمرَ بالغ الخطورة، فإنْ أصابه هناك شعاعُ ضوءٍ مشتعل، فسيتحول

Twitter: @ketab_n

إلـى حمامة تطير برفقة الحمام طوال سبـع سنين. فقالت: "أنت اذهبْ معي، وأنا سأحميك من أي ضوء مشتعل، مهما كان."

وبناءً على ذلك سافرا سوية وأخذا معهما طفلهما الصغير. فأوعزت هناك بسدِّ جميـع منافذ صالة واسعـة بسماكةٍ شديدة، بحيثُ لا يمكن لأي أشعة أن تنفذ إلى داخلها. وكان عليه أن يجلس فيها، عندما توقدُ أضواء العرس. بيد أن باب الصالة كان قد صُنع من خشب طازج، فطقطق وأصابه شق صغير، لم تلحظه عين إنسان. وتم الإحتفـال بالعروسين بفخامة وأبهة، ولكن حينما عاد الموكب من الكنيسة، ومرّ بمشاعله وشموعه العديدة بباب الصالة المغلق، سقطَ عبرَ الشقِ شعاعٌ بحجم شعـرةٍ فلامسَ الأميرَ، الذي تحول مباشـرة إلى حمامة. وعندمـا دخلت زوجته الصالة، بحثت عنه فلم تجده، لكنها رأت في مكانه حمامة بيضاء، نطقت وقالت لهـا: "عليَّ طوال سبعِ سنوات أن أطيرَ مع الحمام عبر سماء الدنيا الواسعة، لكنني كل سبـع خطوات سأُسْقِط مني قطرة دم حمـراء وريشةً بيضاء للدلالةِ على دربي، فإن تبعتِ هذا الأثر، فستُخلِّصيني من رصد هذا السحر."

طـارت الحمامة خارجة من الباب، فتبعتها الزوجة، وكل سبع خطوات كانت تسقـط قطرة دم أحمر وريشة بيضاء لتدلاها على الدرب. فبقيت تمشي وراء الأثر باستمـرار في أرجـاء الدنيا، من دون أن تلتفت يمنة أو يسرة، ومن دون أن ترتاح، حتى كادت السنوات السبع أن تنقضي. ففرحت وظنت أن خلاصها بات وشيكاً، إلا أنه كان بعيداً.

وذات مـرة أثنـاء سيرها لم تسقـط ريشة بيضاء ولا قطـرة دم حمراء، وعندما رفعـت عينيها إلى السماء، رأت أن الحمامة البيضـاء قد اختفت، ولأنها اعتقدت بأن البشر لا يمكن أن يفيدوها في هذا الأمر، فقد صعدت إلى الشمس وخاطبتها قائلـة: "أنت ترسليـن أشعتك فوق كل الذرى وتضيئيـن كل الشقوق، فهل رأيتِ حمامة بيضـاء طائرة؟" فأجابتها الشمس: "لا ، لـم أرَ، لكنني سأهديك صندوقاً صغيـراً، افتحيه عندما تكونين في شدةٍ بالغـة." شكرت الزوجةُ الشمسَ وتابعت

Twitter: @ketab_n

طريقها حتى حلّ المساءُ وأشرق القمر، فسألته: "أنت تضيئ الدنيا طوال الليل، ويتغلغل نورك في الحقول والغابات، فهل رأيتَ حمامة بيضاء طائرة؟" فأجابها القمر: "لا، لم أرَ، لكنني سأهديكِ بيضة، اكسريها عندما تكونين في شدةٍ بالغة." شكرت الزوجة القمرَ وتابعت طريقها، إلى أن هبّت ريح الليل في وجهها، فخاطبتها قائلة: "أنت تهبّين على كل الأشجار وتحت أوراقها أيضاً، فهل رأيتِ حمامة بيضاء طائرة؟" فأجابتها ريحُ الليل: "لا، لم أرَ، لكنني سأسأل الرياح الثلاث الأخرى، لعلها رأتها." جاءت الريح الشرقية والريح الغربية وقالتا إنهما لم تريا شيئاً، أما الريح الجنوبية فقالت: "لقد رأيتُ الحمامة البيضاء، لقد طارت باتجاه البحر الأحمر، حيث تحولت مجدداً إلى أسد، فقد انقضت السنوات السبع، والأسدُ هناك الآن يصارع تنيناً غير مجنح. لكن هذا التنين ما هو إلا أميرة مسحورة." فقالت ريح الليل للزوجة: "سأقدم لك نصيحة، اذهبي إلى البحر الأحمر، ستجدين على الشاطئ الأيمن منه قضباناً طويلة، عُدّيها واقطعي الحادي عشر منها، واضربي به التنين، فيتغلب الأسد عليه، ثم يستعيد كلاهما هيئتيهما البشرية. ومن ثم تلفتّي حولك، وسترين طائر الرخ وقد حطّ على الشاطئ، فاركبي على ظهره مع حبيبك، وسيطير بكما عبر البحر إلى وطنكما. وإليك مني هذه الجوزة هدية. عندما يصل بكما الطائر إلى منتصف البحر، أسقطي الجوزة، وستنفتح فوراً، وستخرج من الماء شجرة جوز باسقة، سيحط عليها الرخ ليرتاح. فإنْ لم يأخذ قسطه من الراحة، سيفقد طاقته على الطيران لإيصالكما إلى الشاطئ الآخر. وإذا نسيتِ إسقاطَ الجوزة، فسيرميكما طائر الرّخ في البحر."

مشت الزوجة حتى البحر الأحمر، فوجدت كل شيء حسبما وصفته لها ريح الليل. عدَّت القضبان على الشاطئ وقطعت الحادي عشر، وضربت به التنين فتغلب عليه الأسد، وفوراً استعاد كل منهما هيئته البشرية. ولكن ما أن تحررت الأميرة من كونها تنيناً، حتى تأبطت ساعد الأمير وركبت معه على ظهر طائر الرخ وحلقت به بعيداً. فوقفت الزوجة المسكينة، القادمة مشياً من مكان ناءٍ، مخذولةً هناك ووحيدة، فجلست على الأرض باكية تندب مصيرها. لكنها تماسكت

Twitter: @ketab_n

أخيراً وشدت من أزرِ نفسها قائلة: "سأمضي إلى أبعد مكانٍ تصل إليه الريح، مادام الديكُ يصيح، حتى أجد حبيبي." وتابعت طريقها على دروبٍ طويلة ممتدة، إلى أن وصلت أخيراً إلى القصر، حيث يعيش الاثنان معاً، وسمعت أن حفل زفافهما سيقام قريباً. قالت في نفسها: "ربي سيساعدني"، وفتحت الصندوق الصغير الذي أعطته لها الشمس، فوجدت فيه ثوباً متلألئاً كالشمس نفسها. أخرجته وارتدته وصعدت إلى القصر، فنظر إليها جميع الحضور، والعروس نفسها بإعجاب كبير، وقد أُغرمت العروس بالثوب إلى حد أن فكرت في نفسها بأنه يليق بها كثوب زفاف، وسألتها عما إذا كان للبيع. فأجابت الزوجة: "ليس مقابل مالٍ أو أملاك، ولكن مقابل لحم ودم"، فسألتها العروس عما تقصده بذلك، فأجابتها: "دعيني أنام ليلة في الحجرة التي ينام فيها العريس." رفضت العروس ذلك، مع أنها شديدة الرغبة في الحصول على الثوب، ولكنها أخيراً وافقت، ولكنْ كان على خادم الحجرة أن يقدم للأمير شراباً منوّماً.

عندما حلّ الليل ونام الأمير أُدخلت الزوجة إلى الحجرة، فجلست على طرف السرير وقالت: "لقد لحقت بك طوال سبع سنوات، نهاراً وليلاً، ومهما كان اتجاه الريح، وسألتُ عنك، وساعدتُك في صراعك ضد التنين، فهل تريدُ أن تنساني كلياً؟" لكن زوجها الأمير كان في سبات عميق، فجاءته كلماتُها كصوتِ حفيفِ أوراق شجر التنوب في الخارج. عند شروق شمس اليوم التالي اقتيدت الزوجة إلى خارج الحجرة، وكان عليها التخلي عن ثوبها الذهبي. عندما لم يُفِدها هذا شيئاً حزنت الزوجة وخرجت، فجلست على المرج وأخذت تبكي.

وفي أثناء ذلك تذكرت البيضة التي أهداها لها القمر، فكسرتها، فخرجت منها دجاجة حاضنة ومعها إثنا عشر صوصاً ذهبياً يتراكضون حول أمّهم ويندسّون تحت جناحيها، في منظرٍ لا أجمل ولا أروع منه في الدنيا. فنهضت الزوجة وساقت الدجاجة وصيصانها أمامها على المرج، رائحة غادية، إلى أن رأتهم العروس من نافذة القصر، فأعجبوها جداً، إلى درجة أن نزلت من فورها إلى المرج وسألت الزوجة عما إذا كانوا للبيع، فأجابتها: "ليس مقابل مال أو أملاك،

Twitter: @ketab_n

ولكـن مقابـل لحم ودم. دعيني أمضـي ليلة أخرى في حجـرة العريس.” وافقت العروس وهـي تنوي خداعها كالليلة السابقة. ولكن عندمـا أوى الأمير مساءً إلى سريره، سأل خادم حجرته عن الهمهمة والحفيف الذي سمعه بالأمس، فحكى له خادم حجرته كل شيء، وأنه كان مجبراً على إعطائه شراباً منوِّماً، لأن فتاة مسكينة نامـت سراً في هـذه الحجرة، وأنه مكلـف بإعطائه منوماً هذه الليلـة أيضاً. فقال لـه الأمير: “صبَّ الشـرابَ إلى جانب السرير.” وفي الليـل أُدخلت الزوجة ثانية إلى الحجـرة، وعندما أخذت تحكي عن مدى حزنها وما مـرَّ بها، تعرَّفها الأمير فـوراً من صوتها، فقفـز وهو يقول: “الآن فُكَّ عني السحـر. لقد كنتُ كالحالم، فالأميرةُ الغريبة قد سحرتني وجعلتني أنساكِ، لكن الرب شاء أن يُفَكّ عني السحر في الوقت المناسب.”

وفـي ظلام الليل تسلل كلاهما مغادرين القصـر، خوفاً من والد الأميرة الغريبة الـذي كان ساحراً، وركبا طائر الرخ الذي حملهمـا فوق البحر الأحمر، وعندما بلغا منتصفه، أسقطت الزوجة الجوزة، فانبثقت منها شجرة جوز باسقة، حطّ عليها طائـر الرخ واستراح، ثم تابع طيرانه بهما إلى وطنهما، حيث وجدا أن طفلهما قد كبر وأصبح فتى جميلاً، وعاشا حياتهما منئذ بسعادة وهناء حتى وافاهما الأجل.

×××

Twitter: @ketab_n

(٨٩)

راعية الإوز

في قديم الزمان عاشت ملكة عجوز، توفي زوجها منذ سنوات طويلة، وكان عندها ابنة جميلة. حينما صارت الابنة صبية، خطبها أمير من مملكة نائية، من دون أن يعرفها.

وحين اقترب موعد عقد القران، وآن أوان سفر الأميرة إلى المملكة النائية، زوّدتها الملكة العجوز بكثير من الحليّ والزينات الذهبية والفضية والمجوهرات، وباختصار، بكل ما يجب أن يوجد في جهاز عروس ملكية، فقد كانت تحب ابنتها حباً فائقاً. كما زوّدتها بوصيفة صبية لترافقها في رحلتها وتسلّمها لعريسها تسليم اليد. وكان لكل منهما حصان للركوب أثناء الرحلة، لكن حصان الأميرة الملقب (فَلَدا) كان حصاناً ناطقاً.

عندما حلّت ساعة الوداع دخلت الملكة العجوز إلى حجرة نومها وأخرجت سكيناً صغيرة وجرحت بها أصبعها وجعلتها تقطر ثلاث قطرات دمٍ على منديل صغير أبيض، ثم أعطت المنديل لابنتها وقالت لها: «احفظي هذا المنديل جيّداً يا حبيبتي، فستحتاجين إليه أثناء الطريق».

ودَّعا بعضهما بحزن وحسرة، ثم وضعت الأميرة المنديل في صدرها واعتلت حصانها وانطلقت مع وصيفتها إلى مملكة عريسها. بعد مضي ساعة على الطريق أحست الأميرة بالعطش، فقالت لوصيفتها: «ترجّلي واحضري لي ماء من الجدول بكأسي التي تحملينها لي معك». فأجابتها الوصيفة: «إذا كنتِ عطشى فترجلي

Twitter: @ketab_n

بنفسك وانحني على الجدول واشربي، فأنا لا أحب أن أكون خادمتك». كان عطش الأميرة شديداً، لذلك ترجلت وانحنت على الجدول وشربت منه مباشرة، من دون أن تحصل على كأسها الذهبية، ثم قالت: «يا الله!» فأجابتها قطرات الدم الثلاث: «لو تعلم أمك بما جرى، لانفطر قلبها في بدنها».

بيد أن الأميرة كانت متواضعة، فلم تعلّق بكلمة، بل ركبت حصانها ثانية، وتابعا طريقهما مدة طويلة، وكان النهار حاراً والشمس حارقة، وسرعان ما عطشت ثانية. وحين اقتربا من جدول نادت وصيفتها وقالت لها: «ترجلي واحضري لي ماء من الجدول بكأسي الذهبية». فأجابتها وصيفتها بعجرفة أشد: «إذا أردتِ الشرب فاشربي وحدك، فأنا لا أحب أن أكون خادمتك». فترجلت الأميرة بسبب عطشها الشديد وانثنت على الماء الجاري وهي تبكي وقالت: «يا الله!» فأجابتها قطرات الدم الثلاث ثانية: «لو تعلم أمك بما جرى، لانفطر قلبها في بدنها». وفيما هي تشرب وقد انثنت بشدة سقط المنديل ذو القطرات الثلاث من صدرها فسحبه ماء الجدول معه، من دون أن تشعر بذلك نتيجة اضطرابها. أما الوصيفة فقد شهدت ما جرى وسُرت لحدوثه، فبذلك فقدت الأميرة الحماية وباتت ضعيفة، مما يساعد الوصيفة في السيطرة عليها.

وعندما أرادت الأميرة ركوب حصانها فَلَدا ثانية، قالت لها الوصيفة: «أنا سأركب فَلَدا، وأنتِ ستركبين فرسي». واضطرت الأميرة إلى الخضوع، ومن ثم أمرتها الوصيفة بلهجة قاسية بأن تخلع ثيابها الملكية وتلبس ثياب الوصيفة المتواضعة، ثم أجبرتها في وضح النهار على أن تُقسم بأن لا تخبر أحداً في بلاط العريس بما جرى. ولو لمْ تقسم الأميرة هذا القسم لقتلتها الوصيفة في التو واللحظة. لكن فَلَدا شاهد كل شيء فانطبع في ذاكرته.

ركبت الوصيفة الآن فَلَدا، والأميرة الفرس العادي، وتابعا الطريق إلى أن وصلا أخيراً إلى البلاط الملكي، حيث عمّت فرحةٌ كبيرةٌ لنبأ وصولهما، وهرع الأمير لاستقبال عروسه، فساعد الوصيفة في الترجل عن فَلَدا، وفي ظنّه أنها عروسه

Twitter: @ketab_n

ورافقها على الدرج صعوداً إلى القصر. أما الأميرة الحقيقية فبقيت وحدها تحت. في أثناء ذلك كان الملك العجوز ينظر من النافذة، فرآها واقفة في فناء القصر، ولفتت نظره بجمالها وأناقة حركاتها ونعومتها، فتوجه من فوره إلى المخدع الملكي وسأل العروس عن مرافقتِها المنتظِرة في الفناء وعمّن تكون، فقالت: «لقد أخذتها معي على الطريق، كيلا أكون وحيدة، كلِّفوها بأي عملٍ، كيلا تبقى هكذا من دون شغل». إلا أن الملك العجوز لم يكن لديه أي عمل لها، فوجد نفسه يقول: «عندي فتى صغير يرعى الإوز، سأكلفها بمساعدته». كان اسم الفتى كونراد، وكان على العروس الحقيقية أن تساعده في رعي إوزّات القصر.

بعد مدّة قصيرة قالت العروس المزيفة للأمير: «أرجو يا عريسي الحبيب أن تلبّي طلباً»، فقال لها: «أنا مستعدٌّ، بكل سرور»، فقالت: «أوعز إلى جلاد القصر بقطع رأس الحصان الذي ركبتُه قادمةً إليك، فقد أزعجني جداً على الطريق». لكنها في الحقيقة كانت تخشى أن يتكلم الحصان عن كيفية معاملتها للأميرة أثناء الرحلة.

وجرت الأمور بسرعة، ونُفِّذ الإعدام بالحصان الناطق فَلَدا، ووصل الخبر إلى سمع الأميرة الحقيقية، فوعدت الجلاد بمكافأة سراً، إذا لبّى لها طلباً صغيراً. كان للمدينة بوابة كبيرة كئيبة المنظر تعبرها الأميرة صباحاً ومساءً برفقة الإوزات وكونراد، وكان على الجلاد أن يثبِّت رأس فَلَدا تحت هذه البوابة، كي تراه باستمرار. وعدها الجلاد بذلك وثبَّت رأس الحصان على جدار إطار البوابة الكئيبة.

وصارت الأميرة كلما عبرت مع كونراد والإوزات البوابةَ صباحاً، تقول في سيرها:

«آه يا فَلَدا المعلق فوق».

فيجيبها الرأس قائلاً: «آه أيتها الملكة الصبية في الطوق،

Twitter: @ketab_n

لو تعلم أمك بما يجري لكِ

لانفطر قلبها حزناً عليكِ».

وتتابع طريقها مغادرة المدينة إلى المرج وهي تسوق أمامها جميع الإوزات. وعندما يصلون إلى المرج تجلس على صخرة وتفرد شعرها المسكوب من الذهب الخالص. وكان كونراد يفرح بمنظر شعرها المتلألئ ويحاول أن ينتزع منه لنفسه شعرتين، فتقول:

«هبّي، هبّي أيتها الريح،

واجعلي قبعة كونراد تطير،

ليطارد خلفها، فلا يستريح،

حتى أسرِّح شعري وأضفره وأعقصه،

مثل كعكةٍ تنفرج لها الأسارير».

فتهب ريح قوية تأخذ معها قبعة كونراد بعيداً عبر الحقول، فيضطر إلى الركض وراءها. وإلى حين عودتها تكون قد سرحت شعرها وضفرته وعقصته، فلا يتمكن من نتف شعرة منه، فيغضب ويمتنع عن الحديث معها، فيمضيان الوقت صامتين، يرعيان الإوزات حتى المساء، حين يعودان إلى المدينة.

وفي الصباح التالي عندما عبروا البوابة الكئيبة خارجين إلى المرج، قالت الأميرة الحقيقية:

«آه يا فَلَدا المعلق فوق».

فيجيبها الرأس قائلاً: «آه أيتها الملكة الصبية في الطوق،

Twitter: @ketab_n

لو تعلم أمك بما يجري لكِ

لانفطر قلبها حزناً عليكِ».

وحينما وصلوا إلى المرج عاودت الجلوس على الصخرة لتسريح شعرها، وحالما ركض كونراد ليمسك بشعرها، قالت بسرعة:

«هبّي، هبّي أيتها الريح،

واجعلي قبعة كونراد تطير،

ليطارد خلفها، فلا يستريح،

حتى أسرّح شعري وأضفره وأعقصه،

مثل كعكةٍ تنفرج لها الأسارير».

فهبت الريح وطيَّرت قبّعته عن رأسه، مما اضطره إلى الركض وراءها، وبعد أن أمسك بها وعاد، كانت الصبية قد سرحت شعرها وضفرته وعصقته، فلم يتمكن من انتزاع شعرة منه، واستمرا في رعي الإوزات حتى المساء.

بعد أن وصلا إلى المدينة مساء، ذهب كونراد إلى الملك العجوز وقال له: «لا أريد الاستمرار في رعي الإوزات مع هذه الفتاة». فسأله الملك: «وما السبب يا ترى؟» فقال كونراد: «إنها تزعجني طوال النهار». فأمره الملك أن يحكي له عمّا يجري بينهما، فقال كونراد: «في الصباح عندما تعبر مع قطيع الإوز البوابة الكئيبة، حيث عُلّق رأس فرس على الجدار، تخاطبه الفتاة قائلة:

«آه يا فَلَدا المعلق فوق».

فيجيبها الرأس قائلاً: «آه أيتها الملكة الصبية في الطوق،

Twitter: @ketab_n

لو تعلم أمك بما يجري لكِ

لانفطر قلبها حزناً عليكِ».

وتابع كونراد حديثه عما يحدث في المرج وعن اضطراره إلى الجري وراء قبعته كل يوم، فأمره الملك العجوز بأن يخرج معها غداً إلى المرعى. في صباح اليوم التالي اختبأ الملك وراء البوابة الكئيبة وسمع بنفسه حديثها مع رأس فَلَدا، ثم لحق بها واختبأ في أجمة في المرج. فرأى هناك بأم عينيه وصول الراعي والراعية مع قطيع الإوز إلى المرج وكيف جلست على الصخرة وفردت شعرها الذي أخذ يتلألأ في ضوء الشمس، ثم سمعها تقول:

«هبّي، هبّي أيتها الريح،

واجعلي قبعة كونراد تطير،

ليطارد خلفها، فلا يستريح،

حتى أسرّح شعري وأضفره وأعقصه،

مثل كعكةٍ تنفرج لها الأسارير».

فجاءت فعلاً هبة ريح أطارت قبعة كونراد، مما اضطره إلى الركض وراءها بعيداً، فيما سرّحت الفتاة شعرها وضفرته وعقصته، وقد شاهد الملك كل شيء، ثم عاد إلى القصر من دون أن يلاحظه أحد.

ومساءً عندما عادت راعية الإوز إلى المدينة، ناداها الملك ووقف معها جانباً وسألها عن سبب قيامها بكل هذه الأمور أثناء النهار. فأجابته: «لا يجوز لي أن أحدثكم بالأمر، أو أن أشكو ألمي لأي إنسان، لأني أقسمت على ذلك في وضح النهار. ولو لم أفعل ذلك لقُتلت». ألح عليها الملك وأزعجها بأسئلته، لكنها لم تبح له بكلمة. وعند ذلك قال لها: «إذا كنتِ لا تريدين أن تخبريني أنا بشيء، إذاً

Twitter: @ketab_n

اشكـي ألمكِ لهذا الموقد الحديدي!» وذهبْ. فتسللت الصبية إلى داخل الموقد الحديدي وأخذت تشكو وتبكي وتُخرِج كل ما في قلبها، وقالت: «ها أنذا أجلس هنـا، وقد تخلى عني العالـم كله، على الرغم من أنني أميـرة ابنة ملك. والوصيفة الشريرة هـي التي أجبرتني بالقوة على خلع ملابسـي الملكية، فلبسَتْها واستولت علـى عريسي، في حين أُجبـرتُ أنا على رعـي الإوز وأداء خدمات وضيعة. ولو علمتْ أمي بهذا لانفطر قلبها في بدنها».

أمـا الملك العجوز فقد كان واقفاً عنـد أنبوب دخان الموقد، فسمع وفهم كل ما قالت، ثم عاد ثانية وطلب منها الخروج من الموقد ومرافقته إلى حيث أُلبِست ثيابـاً ملكية فتبدى جمالها الباهر. استدعى الملك ابنه وباح له بأن عروسه مزيفة، وأنهـا مجرد وصيفة، في حين أن العروس الحقيقية هـي راعية الإوز السابقة التي تقف أمامه هنا.

امتـلأ قلب الأمير بالفرح والحبـور لرؤيته جمالها وإحساسه بلطفها. فأقيمت في القصر مأدبة كبيرة دُعي إليها جميع الأقارب والأصدقاء المقربين. وعلى رأس الطاولـة جلس الأمير العريس، والأميرة إلى يمينه والوصيفة إلى يساره. ومن شدة بريـق زينة الأميرة وثيابها فـإن الوصيفة لم تعرفها، أو لـكأنّ بصيرتها قد عميت. وبعـد أن أكل الجميع وشربـوا وانبسطوا، طلب الملك العجوز مـن الوصيفة أن تحـل له الأحجية التالية: ماذا تستحق امـرأة خدعت سيدها، وحكى قصة الأميرة بالتفصيـل، ثم سألها: «ما هو الحكم الذي تستحقـه؟» فأجابته العروس المزيفة: «إنّ أفضـل مـا تستحقه هو أن تُعـرّى كما خلقها ربُها وأن تُحشـر في برميلٍ تبرز فـي داخله رؤوس مئات المسامير، ثم يُربـط البرميل إلى حصانين أبيضين ليجروه وراءهمـا إلى الهضبة صعـوداً وهبوطاً». فقال الملك العجـوز: «هذه المرأة هي أنـتِ، وقد نطقتِ بحكـم إدانتك بنفسك، وسيُنفّذ حسبما قلـت». وبعد أن نُفِّذ الحكم، عُقد قران الأمير على عروسه الحقيقية، وحكما مملكتهما بسلام وغبطة.

Twitter: @ketab_n

(٩٠)

العملاق الشاب

كان هنـاك فلاح عنده ابن، لم يكن حجمه أكبر من إبهام اليد، وعلى الرغم من مـرور السنين لم يزدد نموُّه شعرةً واحدة عن ذلك. أراد الفلاح ذات يوم الخروج إلـى الحقل لحراثتـه، فقال له الصغير: «أريد الذهاب معـك يا أبي»، فقال الأب: «أنـت تريد الذهاب معي؟ ابق هنا يا بنـي! هناك في الحقل لا فائدة منك، ثم إنك قـد تضيع مني». أخذ الصغير يبكي، وليخلص الأب من نواحه المزعج وضعه في جيبه وذهب إلى الحقل، حيث أخرجه وأجلسه في أخدود جديد.

وبينمـا هو جالس نزل من الجبل عمـلاق ضخم قادماً باتجاههم، فقال الأب لصغيـره كـي يردعه عـن الشغب: «أتـرى ذلك المـارد، إنه قادم ليأخـذك». أما العمـلاق فكان ببضع خطوات من ساقيـه الطويلتين قد وصل إلى الأخدود، فوقع الصغير بإصبعين بحذر، عاينه وتفحصه، ثم مشى من دون أن يقول كلمة واحدة. والأب الذي شهد كل شيء لم يستطع من الرعب أن يُخرج صوتاً من فمه، واعتبر ابنه في حكم المفقود الذي لن يراه ثانية طوال حياته.

أما العملاق فأخذ الصغيـر إلى داره وجعله يرضع من ثديه، فأخذ الصغير ينمو ويقوى مثل العملاق. بعد مـرور سنتين ذهب الرجل العملاق مع الطفل العملاق إلـى الغابة ليختبره، وقال له: «انتزعْ شجرة صغيرة من الأرض. هيا!» لكنَّ الطفل كان قد صار على درجة من القوة مكّنته من انتزاع شجرة يافعة مع كامل جذورها من التربة. بيد أن الرجل العملاق قال: «يجب أن تصبح أقوى»، فأخذه إلى البيت ثانيـة، وأرضعه سنتين أخريين، وعندما اختبره كانت قوته قد نمت، بحيث تمكن

Twitter: @ketab_n

من اقتلاع شجرة قديمـة. ومع ذلك لم يكن الرجل العملاق راضياً كفاية، فأخذه وأرضعـه سنتين أخريين. وعندمـا أخذه هذه المرة إلى الغابة قـال له: «أرني الآن كيف تقتلع شجرة متينة!» فاقتلع الفتى أثخن شجرة بلوط من الأرض، وكان ذلك بالنسبـة إليـه أمراً بسيطاً جداً. فقـال الرجل العمـلاق: «الآن يكفي، لقد ختمتَ دروسك» وقادَه معه إلى حقل أبيه، حيث وجده وأخذه.

كان أبـوه واقفـاً وراء المحراث، فتوجـه إليه الفتى العملاق وقـال له: «أترى يـا أبي أي رجل صار ابنـك!» ارتعب الفلاح وأجـاب: «لا، أنت لست ابني، لا أريـدك، ابتعد عنـي». فأجاب الفتى العمـلاق: «ولكنني حقاً ابنـك. دع الشغل لـي، فأنا أستطيـع الحراثة مثلك وأحسن» فقـال الأب: «لا، لا، أنت لست ابني، وأنـت لا تستطيع الحراثة، ابتعد عني، ولكنْ لخوفه من ضخامة الفتى، تخلى عن المحراث وتراجـع إلى الوراء ثم جلس على طرف الحقل. أمسك الفتى العملاق المحراث، وضغـط عليه بيد واحدة فقط، بيد أن جـردة الضغط الشديدة، كانت مـن القوة بحيث انغـرزت شفرة المحراث عميقاً في الأرض. لم يحتمل الفلاح مشاهدة ذلك، فصاح به: «إذا أردتَ أن تحصد، فلا يجوز أن تضغط بهذه القوة، لأنّ النتيجـة ستكون سيئة». فما كان من الفتـى إلا أن فكَّ أربطة الحصانين، وجرّ المحـراث بنفسه وهو يقول لأبيه: «لا عليك يـا أبي، أنتَ اذهبْ إلى البيت، وقلْ لأمي أن تطبخ كمية كبيرة من الطعام، وخلال ذلك سأنهي حراثة الحقل».

ذهـب الفلاح إلى بيتـه وطلب من زوجته تحضير الطعـام، أما الفتى العملاق فحـرث الحقل مرتين وحـده، ثم جرّ مشط تسويـة الأرض بنفسـه أيضاً مرتين. وحالمـا انتهى من شغل الحقـل ذهب إلى الغابة واقتلـع شجرتي بلوط وحملهما على كتفيه، ووضع عليهما من الأمام والخلف مشطي التسوية، إضافة إلى حصان مـن الأمام وآخر من الخلف، وحمل كل ذلك إلى بيت والديه، وكأنه يحمل رزمة قش.

عندمـا وصل إلى فناء البيت لم تعرفه أمـه، وسألت زوجها: «من هذا العملاق

Twitter: @ketab_n

المرعب؟» فأجابها: «إنه ابننا». فقالت: «لا، يستحيل أن يكون هذا ابننا، لم يكن لدينا ابن بهذا الحجم الهائل. ابننا كان صغيراً جداً» ثم صاحت في وجه الفتى: «اذهب، نحن لا نريدك». صمت الفتى وساق الحصانين إلى الاصطبل ووضع لهما العلف، كما ينبغي للأمور أن تكون عليه. دخل بعدئذ إلى غرفة المعيشة وجلس على مقعد وقال: «والآن يا أمي أود أن آكل، هل صار الطعام جاهزاً؟» قالت نعم، وأحضرت صحنين من القياس الكبير مليئين بطعام يكفيها وزوجها لثمانية أيام. أفرغهما الفتى وحده، وسألها عما إذا كان عندها المزيد لتقدمه له، فأجابته: «لا، هذا كل ما لدينا»، فقال: «هذه الكمية كانت للتذوق فقط، لا بد لي من المزيد». لم تجرؤ على معارضته، فذهبت إلى الموقد ورفعت فوقه قدراً كبيراً مملوءاً بلحم الخنزير، وحين نضج، وضعته أمامه على الطاولة، فقال: «أخيراً بعض اللقيمات»، والتهم كل شيء، دون أن يكتفي ويشبع، ثم قال: «أرى يا أبي أني لن أشبع عندك. هلا دبّرت لي قضيباً حديدياً متيناً لا استطيع كسره على ركبتي بيدي! ثم سأغادركم إلى الدنيا الواسعة».

فرح الفلاح وشد أربطة حصانين إلى عربته وذهب إلى الحداد فأحضر من عنده قضيباً حديدياً عظيماً وثخيناً، يكاد حصاناه بصعوبة جره على العربة. وضعه الفتى أمام ركبته وضغطه، راتْش، فانكسر بين يديه مثل عود بازلاء، فرماه. شدّ الأرب أربطة أربعة أحصنة إلى العربة وجلب قضيباً كادت جياده الأربعة ألا تستطيع جره، فكسر الفتى العملاق هذا القضيب أيضاً نصفين ورماه جانباً، ثم قال: «مثل هذه القضبان لا تخدمني يا أبي، لا بد من أن تُكثر من عدد الجياد وتجلب قضيباً أمتن». فشدّ الأب ثمانية جياد إلى العربة وأحضر عليها قضيباً هائل الحجم، يستحق وزنه ثمانية جياد لجره. تناوله الابن بيديه وكسر فوراً جزءاً من أعلاه، ثم قال: «يبدو يا أبي أنك لن تستطيع أن تحضر لي القضيب الذي أحتاجه، لذلك لن أبقى عندك».

غادر الفتى العملاق بيت أهله وزعم أنه أجير حداد. وصل إلى قرية يعيش فيها حداد معروف ببخله، لا يقدم لأحد شيئاً ويريد كل شيء لنفسه فقط. دخل الفتى

Twitter: @ketab_n

العمــلاق إلى ورشته وسأله إن كان يحتاج إلى أجير، فأجابه الحداد بنعم وتفحصه وقــال لنفسه: «هذا شاب قوي، سيُحسن طرق الحديــد ويكسب خبزه من عرق جبينــه»، ثم سأله: «كم تريد أجراً؟» فأجابه الفتى العملاق: «لا أريد أجراً إطلاقاً. ولكــن كل أسبوعين عندما تدفع أجــور بقية الأجراء، سأناولك أنا ضربتين، عليك أن تتحملهما». سُرّ البخيل بالغ السرور بذلك وظن أنه سيوفر على نفسه كثيراً من النقــود. في صباح اليوم التالي كان علــى الفتى العملاق أن يكون البادئ بالطرق، ولكن عندما أحضــر المعلم القضيب الحديدي المحمَّــى وضرب الفتى ضربته، تناثــر الحديد، وهوى السنــدان في أرض الورشة إلى عمــق استحال معه إخراجه ثانيــة. غضب البخيل لما حــدث وصاح: «ما هذا! لا أحتــاج لأجير مثلك، أنت تطــرق بعنف شديد. كم تريــد أجر هذه الضربة؟» فقال الفتــى: «سأناولك ضربة خفيفــة واحدة لا أكثــر» ورفع قدمه ورفسه رفسة طيرته فــوق أربع أكوام من رزم القش، ثم بحث في الورشة عن أثخن قضيب حديدي، فحمله كعصا وغادر.

بعــد مدة مــن التجوال، وصــل العملاق الشاب إلــى قرية من أعمــالِ إقطاعية كبيــرة، فسأل المشرف عمّــا إذا كان بحاجة إلى رئيس عمــال زراعيين، فأجابه: «نعم أحتاج، تبدو شاباً نشيطاً وقادراً على الشغل. كم تريد أجراً في السنة؟» فكرر الشــاب جوابه بأنه لا يريد أجراً، لكنه عنــد نهاية كل سنة سيناولُ المشرفَ ثلاث ضربات عليه أن يتحملها. وافق المشرف على ذلك، لأنه كان أيضاً رجلاً بخيلاً.

فــي صباح اليوم التالــي كان على العمــال الذهاب إلى الغابــة لقطع الأشجار والتحطيــب، وكانوا قد استيقظوا، بينما بقي العمــلاق في سريره. فناداه أحدهم: «هيــا، حان وقت الخــروج إلى الغابة. وعليــك أن تأتي معنــا»، فأجابه بخشونة وعنــاد: «اذهبــوا أنتــم، فسأذهب وأعــود قبلكم جميعــاً». فذهب العمــال إلى المشــرف وأخبروه بــأن رئيسهم مازال فــي فراشه ولا يريد الخــروج إلى الغابة. فأمرهــم المشرف بأن يوقظوه مرة ثانية ويأمروه على لسانه بتجهيز خيول عربات الجــر. لكن الشاب العملاق كرر كالسابق: «اذهبوا أنتم، فسأذهب وأعود قبلكم جميعاً».

Twitter: @ketab_n

وبقي في فراشه ساعتين أخريين، ثم نهض أخيراً، وأنزل من العليّة مكيالين من البازلاء، طبخ بهما عصيدة وأكل بهدوء حتى شبع، ثم ذهب فشدّ أربطة الجياد إلى العربة وقادها إلى الغابة. قبل الغابة بقليل كان هناك مضيق لا بد من عبوره، فجعل الجياد تعبره ثم أوقفها وعاد إلى خلف العربة، اقتلع بعض الأشجار وجمع أغصاناً جافة سدَّ بها المضيق وراءه كحاجز، بحيث لن يتمكن أي جواد من العبور. عندما وصل إلى موقع التحطيب وجد الآخرين عائدين بعربتهم المحملة باتجاه القرية، فقال لهم: «هيا تابعوا، سأصل قبلكم إلى القرية». لم يتوغل في الغابة إطلاقاً، بل اقتلع من فوره أكبر شجرتين من الأرض ورماهما على عربته واستدار عائداً. حينما وصل إلى الحاجز وجد الآخرين عاجزين عن العبور، فقال: «أرأيتم، لو بقيتم معي لوصلتم إلى الدار بالسرعة نفسها ولكسبتم ساعة نوم». ولما أراد متابعة الطريق، لم يستطع جياده العبور عبر الحاجز، ففك أربطتها وحمَّلها على العربة مع الشجرتين، ثم أمسك بعريش العربة بيديه وجرَّ العربة بما عليها بكل سهولة، وبعد تجاوزه المضيق التفت إلى الآخرين قائلاً: «أترون أني قد عبرت أسرع منكم!» وتابع طريقه، فيما بقي الآخرون عالقين. عندما وصل إلى الفناء، رفع شجرة من العربة بيده وأراها للمشرف قائلاً: «ألن تصبح هذه كدسةَ حطبٍ معتبرة؟» فقال المشرف لزوجته: «هذا الأجير جيد. صحيح أنه يطيل النوم، لكنه يصل قبل الآخرين كلهم».

بقي الشاب العملاق في خدمة المشرف طوال سنة، وحينما قبض الآخرون أجورهم، قال للمشرف إن أوانه قد آن ليقبض هو أيضاً. خاف المشرف من الضربات التي عليه تلقيها واحتمالها، فرجاه رجاء حاراً أن يعفيه منها، وهو على استعدادٍ تام ليتبادل معه المناصب، فيصبحُ المشرفُ رئيسَ عمال، والعملاقُ مشرفاً على الجميع. فقال الشاب العملاق: «لا، أنا لا أرغب في أن أصبح مشرفاً. أنا رئيس عمال وأريد أن أبقى كذلك، لكنني أريد تنفيذَ ما اتفقنا عليه».

عرض عليه المشرف أن يعطيه كل ما يطلبه، لكن رئيس العمال رفض كل شيء. أحس المشرف بالعجز التام. فرجاه أن يمهله أسبوعين ليفكر بمخرج ما،

Twitter: @ketab_n

فوافق الشاب العملاق على المهلة. استدعى المشرفُ إليه جميع كتَبَتِه، ليفكروا وينصحوه بما عليه عمله. أطال الكتبة بالتفكير، ثم قالوا أن لا ضمان لحياة أحد في مواجهة رئيس العمال، لأنه قد يضرب رجلاً مثلما يفعس بعوضة، لذلك عليه أن يأمره بالنزول إلى قاع البئر لتنظيفه، وبعد أن ينزل سيرمون على رأسه أحد أحجار الرحا الموجودة قريباً من البئر. وعندها لن يرى الشاب العملاق نور النهار ثانية. أعجبت النصيحة المشرف، وأبدى الشابُ استعداده للنزول في البئر. وعندما وصل إلى القاع وحرج الكتبة أضخم حجر رحا وأسقطوه فوقه وفي ظنهم أن رأسه قد تهشم تهشيماً، لكن الشاب صاح من القاع: «اطردوا الدجاج من حول البئر، لأنه ينبش الأرض فتسقط الحبوب على عيني، فلا أستطيع أن أرى ما أفعل». فأصدر المشرف أصواتاً، كمن يُبعد الدجاج عن المكان.

حالما انتهى الشاب من عمله تحت، صعد إلى فوق وقال للمشرف والكتبة: «انظروا ما أجمل هذه القلادة حول رقبتي!» وكان ذلك حجر الرحا الذي حمله حول رقبته، ثم أراد أن يقبض أجره الآن، لكن المشرف رجاه أن يمنحه مهلة تفكير أخرى ولمدة أسبوعين أيضاً. واجتمع الكتبةُ ونصحوا المشرف بإرسال رئيس العمال إلى الطاحون المسكونة بالأرواح الشريرة، ليطحن فيها كمية من الحبوب ليلاً، فحتى الآن لم يخرج منها أحد حياً صباحاً. أعجبت الفكرةُ المشرفَ، وفي مساء اليوم نفسه استدعى رئيسَ العمال وأمره بنقل ثمانية أكياس كبيرة من الحبوب إلى المطحنة، وأن يطحنها ليلاً، فالأمر مستعجل.

صعد رئيسُ العمال إلى العليّة ووضع كيسين في جيبه الأيمن واثنين في جيبه الأيسر، ولف أربعة أكياس في شادرٍ، حمله على ظهره ومشى بهذا الحِمل إلى الطاحون المسكونة. فقال له الطحان إن عملية الطحن ممكنة أثناء النهار فقط، أما ليلاً فلا، لأن الطاحون مسكونة، وأن كل من دخلها ليلاً وجدوه صباح اليوم التالي ميتاً فيها. قال الشاب العملاق: «أنا سأدخلها وسأنجو. اذهب أنت وأَرِحْ رأسك على وسادتك!» ودخل الطاحون وأفرغ فيها أكياس الحبوب. ونحو الساعة الحادية عشرة دخل إلى غرفة الطحان وجلس على المقعد. بعد برهة قصيرة انفتح

Twitter: @ketab_n

البـاب من نفسه ودخلتْ طاولةُ طعام، ثـم وُضِّعـت زجاجاتُ نبيذٍ ولحوم مشوية وكثيـر من أطايب المأكولات عليهـا بسرعة، من دون أن يـرى الشابُ أحداً. ثم اقتربـت الكراسـي من المائـدة، لكنه لم يرَ أحـداً يدخل، إلـى أن انتبه إلى وجود أصابـعَ على المائدة تمسكُ بالسكاكين والشـوّك وتنقل أطعمةً من الصحاف إلى الصحون. وسوى ذلك لم يرَ شيئاً. وبما أنه كان جائعاً ورأى المأكولات فقد جلس إلـى الطاولة وأكل بلذة ونهم. وحينمـا شبع، وكان الآخرون قد أفرغوا صحونهم أيضـاً، انطفأت جميع الأضواء فجـأة، وقد سمع أصوات عملية الإطفاء بوضوح. وفـي حلكة الظلام شعر الشابُ العملاق بما يشبه الصفعة على وجهه، فقال: «إذا حـدثَ هذا ثانية، فسأكيل الصـاع صاعين» وما أن تلقى الصفعـة الثانية حتى ردَّ بمثلهـا. واستمـر الحال على هذا المنـوال طوال الليل، يتلقـى الصفعات ويردّها بكرم وشدة في جميع الاتجاهات، إلى أن توقف كل شيء مع انبلاج الفجر.

عندمـا استيقـظ الطحان خرجَ ليطمئـن على الشاب، لكنـه استغرب وجوده حيـاً، ولما سأله عن حاله، أجاب الشاب العملاق: «أكلتُ حتى شبعت، وتلقيت صفعاتٍ ووزعت صفعات». سُرَّ الطحان بما سمع وقال: «الآن تحررت طاحونتي مـن ساكنيهـا» وأراد أن يكافئه بمبلغ من المال، لكـن الشاب قال: «لا أريد مالاً، لديَّ ما يكفيني». ثم حمل طحينه على ظهره وعاد إلى الدار وأخبر المشرف بأن المهمة قد نُفذت وطالبه بأجره المتفق عليه.

عندما سمع المشرف كلام العملاق، تملكه الخوف تماماً، وخرجَ عن طوره، وصار يذرع الغرفة ذهاباً ومجيئاً والعرق يتصبب من جبهته. فتح النافذة طلباً للهواء النقـي، ولكنه قبـل أن يستدير، كان الشابُ قد رفسه رفسـة طيّرته عبر النافذة إلى أجواز الفضاء، حتى غاب عن الأعين كلياً. وعندها قال الشاب لزوجة المشرف: «إن لـم يعدْ فسيكون عليكِ تلقي الجزء الثاني مـن الأجر وقبوله، فصاحت: «لا، لا، مـا عدت أتحمل» وفتحت النافذة الأخرى، لأنهـا كانت أيضاً تتصبب عرقاً. فناولهـا رفسة طيّرتهـا بدورها عالياً في الهواء، بل أعلـى من زوجها، لأنها كانت أخـف منه وزناً. فناداها زوجهـا: «تعالي إليّ!» فأجابته: «بل تعـال أنت إلي. أنا

Twitter: @ketab_n

لا أستطيــع الهبــوط إليك». وهكذا بقيــا يتأرجحان في الهواء مــن دون أن يقتربا مــن بعضهما. وأنا لا أدري ما إذا كانا لا يــزالان يتأرجحان حتى الآن، أما الشاب العملاق فتناول قضيبه الحديدي وغادر.

Twitter: @ketab_n

(٩١)

عفريت الأرض

فـي قديم الزمان كان هناك ملك لديه ثـلاث بنات يخرجن إلى النزهة يومياً في بستـان القصر. وكان هذا الملك مولعاً بجميع أنواع الأشجار الجميلة، لكنه كان يخصُّ بحبه الفائق شجرة تفاح معينة، لدرجة أنه كان يُسلِّط، على كل من يمد يده إليها، لعنةً تخفسه مئة ذراع تحت الأرض.

عندمـا حلّ الخريف صـارت تفاحات الشجرة داكنة حمـراء كالدم. وكانت البنـات الثـلاث يخرجن كل يوم إلى قـرب الشجرة ويتفقدن مـا إذا كانت الريح قـد أسقطت تفاحة على الأرض، لكنهن لـم يجدن أي تفاحة في أي يوم، رغم أن الشجرة كانت مثقلةً تكادُ أغصانها تنكسر، وقد تدلت حتى لامست الأرض.

وذات يـوم بلغـت شهيّة البنت الصغرى إلى إحـدى التفاحات حداً دفعها إلى أن تقـول لأُختيها: «إن أبانـا يحبّنا جداً، فلا يُعقل أن يلعننا. أعتقد أنه يقصد الناس الغرباء بذلك» وقطفت بسرعة تفاحة سمينة وقفزت إلى أختيها قائلة: «تذوقا الآن يا أختيَّ العزيزتين هذا الطّعمَ الذي لم يسبق لي في حياتي أن ذقت مثله». فقضمت الأختـان أيضاً من التفاحة. وللتو انخسفت الأرض بالأميرات الثلاث إلى عمقٍ ما عدن يسمعن منه صياح أي ديك.

عند الظهر أراد الملك أن يستدعيهن إلى مائدة الطعام، ولكن لم يكن بالإمكان العثـور عليهن في أي مـكان. فتش عنهن في جميع أرجاء القصـر والبساتين، من دون جـدوى، فتكدّر مزاجه جـداً، وأعلن خبر فقدانهن فـي المملكة كلها، وأن

Twitter: @ketab_n

من يعيدهن إليه ستكون مكافأته الزواج بإحداهن. فخرج كثير من الشبان للبحث عنهنّ عبر الحقول، لأن الجميع كانوا يحبون الفتيات، لكونهن ودودات تجاه الجميع، إضافة إلى جمالهن.

وفي الوقت نفسه خرج للبحث عنهنّ ثلاث أخوة من الصيادين، وصلوا بعد اليوم الثامن من جولة تفتيشهم إلى قصرٍ ضخم فيه قاعات وصالات جميلة، ووجدوا في إحدى الغرف مائدة طعام مغطاة بمأكولات متنوعة، ما زال البخار يتصاعد منها، إلا أنهم لم يسمعوا صوت إنسان في القصر كله ولم يروا أحداً. انتظروا عدة ساعات، والمأكولات ما زالت ساخنة والبخار يتصاعد منها، ولكن عندما اشتد جوعهم جلسوا وأكلوا.

اتفقوا لاحقاً على الإقامة في القصر، واللجوء إلى القرعة لتحديد من سيبقى منهم في القصر، بينما يخرج الآخران بحثاً عن الأميرات. نفّذوا ذلك ووقعت القرعة على أكبرهم. وفي اليوم التالي ذهب الآخران للبحث وبقي الأكبر منتظراً في القصر. عند الظهر جاء القصر قزم صغير وتسول قطعة خبز. فأخذ الكبير رغيفاً كبيراً مما وجده على الطاولة واقتطع جزءاً دائرياً منه ليقدمه للقزم. وحين مدَّ يده به، تركه القزم يسقط على الأرض، وقال إنَّ على الصياد، إنْ سمح، أن يرفع قطعة الخبز ويناوله إياها ثانية. لبّى الصياد الرجاء وانحنى، لكن القزم العفريت أمسكه من شعره وأخرج عصا وضربه به بشدة واختفى.

في اليوم الثاني وقعت القرعة على الأخ الأوسط للبقاء في القصر، ولم تجر الأمور معه بأفضل من أخيه. ومساءً عندما عاد الآخران من جولتهما، سأل الكبيرُ الأوسطَ: «كيف سارت أمورك؟» فأجاب: «سارت بشكل سيئ جداً»، وتبادلا الشكوى عمّا جرى لهما مع العفريت، لكنهما لم يخبرا أصغرهم بشيء، إذ لم يكونا يحبانه، وكانا يعتبرانه دائماً غبيّاً لا يُحسن عمل شيء.

في اليوم الثالث بقي أصغرهم في القصر، فجاءه القزم العفريت وتسول منه قطعة خبز. عندما ناوله إياها الصيادُ الأصغر، تركها القزم تسقط مجدداً وقال

Twitter: @ketab_n

إن علـى الصياد، إنْ سمح، أن يرفـع القطعة ويناوله إياها ثانية، فما كان من الصياد (الغبـي) إلا أن أجابـه: «ماذا! ألا تستطيع رفعها بنفســه؟ إن لم تكن مستعداً لبذل بعض الجهد من أجل توفير طعامك، فأنت لا تستحق أن تأكله!» فغضب العفريت وقـال لـه بأن عليـه أن ينفّذ الأمـر، فأمسك به الصيـادُ من دون أي تـردد، وأخذ يضربـه ويعنّفه، فصرخ العفريت بصــوت عالٍ ثم قال له: «توقف، توقف، اتركني وسأخبرك بمكان الأميرات الثلاث».

عندمـا سمع الصياد هذه الكلمات، توقف عن ضربـه، فحكى له القزم أنه من عفاريــت الأرض وأن هناك نحو ألف وأكثر مثله، وما عليه إلا أن يرافقه ليدله على مكان وجود الأميرات الثلاث. أراه بعدئذ بئراً عميقة لا ماء فيها، وقال له إنه على علم بأن أخويه الصيادين لا يتعاملان معه بنزاهة، لذلك إنْ أراد تخليص الأميرات، فعليـه القيام بذلك وحده. صحيح أن أخويه يبغيان أيضاً استرداد الأميرات، ولكن مـن دون بذل جهـدٍ أو تعريض نفسيهما للخطـر. وأن عليه أن يختــار سلة كبيرة ليجلـس فيها ومعه سكين الصيد وجرس، فيدليه أخواه حتى القاع، حيث سيجد ثـلاث غرف، فـي كل واحدة منها تجلـس إحدى الأميرات منهمكــةً بتفْلية تنينٍ متعددِ الرؤوس مـن القمل، وعلى الصياد عندها قطع رؤوس التنّين بسكينه. وبعد أن أخبره العفريت بكل هذا، اختفى.

عندمـا عاد أخــواه مساءً وسألاه عــن أحواله في غيابهما، فقــال لهما: «حتى الآن، كل الأمور على ما يرام»، وأنه لم يرَ أي إنسان، ولكن ظُهراً جاءه قزم صغير ليتســول قطعــة خبز، وحينما ناوله إياهــا، أسقطها القزم وطلب منــه رفعها، لكنه رفض، فهدّده القزم، لكنه لم يأخذ كلامه على محمل الجد وأخذ يضربه، فحكى له القزم عن مكان وجود الأميرات. امتعض الأخوان لهذا النبأ وانخطف لونهما.

وفي صباح اليوم التالي ذهبوا معاً إلى البئر وأجروا القرعة عمّن سينزل في السلة أولاً. وقعــت القرعة على أكبرهــم، فجلس في السلة ومعــه الجرس، وقال لهما: «عندمــا أقرع الجرس اسحباني إلى الأعلى بسرعة». وما أن نزل قليلاً حتى سمعا

Twitter: @ketab_n

الجرس، فسحبه إخوته إلى الأعلى. جلس الأخ الأوسط الآن ونزل، لكنه فعل مثل أخيه، فجاء دور الأصغر الذي جعلهما يدليان السلة حتى القاع، حيث ترجل من السلة واستل سكينة وتوجّه نحو باب الغرفة الأولى وأنصت: فسمع التنين يشخر بصوت عالٍ. فتح الباب بهدوء فرأى إحدى الأميرات وفي حضنها رؤوس التنين الأول التسعة، وهي تفليها من القمل، قطع بسكينه الرؤوس التسعة بسرعة فتساقطت على الأرض. قفزت الأميرة ناهضة وعانقته وضمته وقبلته من كل قلبها، وفكّت القلادة الذهبية التي كانت تطوق عنقها ووضعتها حول عنقه. توجه بعدئذ إلى الأميرة الثانية التي كانت تفلي تنيناً بسبعة رؤوس وخلّصها، وأخيراً خلص الأميرة الصغرى المكرهة على تفلية تنين بأربعة رؤوس. وحينما التقت الأخوات الثلاث كان لديهن كثير من الأسئلة، وخلال ذلك تعانقن وتبادلن القبلات من دون أن يتوقّفن عن الكلام، فرنَّ الصياد جرسه بشدة حتى وصل صوتُه إلى أخويه فوق.

أجلسَ الصيادُ الأميرات في السلة الواحدة بعد الأخرى، وترك أخويه يسحبانها بالحبل إلى الأعلى. وعندما جاء دوره ليركب في السلة خطرت بباله كلمات العفريت القزم، أن أخويه لا يتعاملان معه بنزاهة. حمل الصيادُ حجراً كبيراً وجده هناك على الأرض، ووضعه في السلة. وحين ارتفعت السلة حتى منتصف المسافة قطع الأخوان الشريران الحبل، فهوت السلة بالحجر وخبطت قاع البئر، فاعتقد الأخوان فوق أنه قد مات. ثم انطلقا مع الأميرات الثلاث بعد أن جعلاهن يتعهدن بإخبار أبيهن الملك بأن الأخوين الكبيرين هما اللذان أنقذاهن وخلصاهن.

وفي قصر الملك طالب كل منهما بالزواج من إحدى الأميرات. في أثناء ذلك تجول الصياد الأصغر بين الغرف الثلاث حزيناً مغتماً، وهو يفكر بأن لا مفر الآن من الموت. رأى على الجدار ناياً معلقاً، فقال: «ماسبب وجودك هنا، حيث لا مجال لأي إنسان أن يفرح؟» ثم دقق النظر في رؤوس التناني وقال: «حتى أنتم لا يمكنكم مساعدتي!» واستمر في المشي جيئة وذهاباً حتى ملست الأرض تحت قدميه. وأخيراً تبدل مزاجه، فتناول الناي وعزف عليه مقطوعة قصيرة. وفجأة تجمعت حوله عفاريت الأرض، وتكاثرت أعدادهم مع كل لحنٍ كان يعزفه، إلى

Twitter: @ketab_n

أن ازدحـم المكان بهـم. وحينما توقف، سألوه كلهم معـاً، عما يريده، فقال لهم إنـه يتمنى الصعود إلى سطح الأرض ثانية، فأمسك كلٌّ منهم بشعرةٍ من شعر رأسه وحملـوه وطاروا به إلى سطح الأرض. ومـن فوره توجه الصياد الأصغر إلى قصر الملك، حيث كانوا يحتفلون بعرس واحدة من الأميرات الثلاث، فدخل إلى قاعة العرش، فوجد الملكَ جالساً مـع بناته الثلاث، وما أن رأينـه أمامهن حتى غشي عليهن معاً، فغضب الملكُ وأمر بسجنه فوراً، لظنّه بأنه قد آذى بناته. ولكن عندما استعـادت الأميرات وعيهن، توسلن إليه أن يطلق سراحه فوراً. فسألهن الملك عن السبـب، فأجبن بأنه لا يجوز لهن الإفصاح عن ذلك لأي إنسان، فقال الملك بأن عليهـن إذاً أن يُفصحـن للمدفأة، وخرج ليقف وراء البـاب حيث سمع كل شيء. فأمـر بشنق الأخويـن الخائنين الشريرين، وزفَّ صغرى بناتـه إلى الصياد المنقِذ.

وفـي حفلة العرس كنتُ ألبسُ حـذاءً زجاجياً، فتعثرتُ بحجـرٍ وسمعتُ صوت «طق» وانكسر الحذاء.

Twitter: @ketab_n

(٩٢)

ملك الجبل الذهبي

يُحكى أنه كان لتاجر ولدان، صبي وبنت، مازلا يزحفان. وكان عنده سفينتان تمخران البحر محملينِ بالبضائع التي تشكل ثروته كلها. وفيما كان يظن أنه سيربح من تجارته هذه مالاً كثيراً، وصله خبر غرقهما، فبات رجلاً فقيراً بعد أن كان ثرياً، ولم يتبق لديه سوى حقل خارج المدينة. ولكي يبعد عن نفسه وطأة الكارثة قليلاً خرج إلى الحقل، وبينما كان يتمشى جيئة وذهاباً، وجد إلى جانبه فجأة قزماً أسود صغيراً ينظر إليه ويسأله عن سبب حزنه، وعمّا يثقل قلبه إلى هذه الدرجة. فقال التاجر: «كنتُ سأحكي لك، لو كنت قادراً على مساعدتي»، فأجاب القزم الأسود: «من يدري، قد أكون قادراً على مساعدتك». فحكى له التاجر أن ثروته بكاملها قد غرقت إلى قاع البحر، فلم يعد لديه سوى هذا الحقل». فقال له القزم: «لا تهتم، إذا وعدتني بأن أولّ مَن سيلامس ساقك حالما تدخل دارك، ستُحضره إليَّ هنا بعد اثني عشر عاماً، ستحصل على ما تشاء من المال». فكر التاجر في نفسه قائلاً: «ومَن يمكن أن يكون سوى كلبي؟» ولم يخطر في باله ابنه الصغير، فوافق وأعطى القزم الأسود توقيعه وختم فوقه وذهب إلى داره.

عندما دخل بيته كان فرح ابنه بقدومه شديداً إلى درجة أن تمسك بالمقاعد وهو يمشي متقلقلاً، حتى وصل إليه وتمسك بساقيه. عندها فزع الأب، إذ تذكر وعده للقزم، وأدرك مدى تهوره. ولكن بما أنه لم يجد في صناديقه وعلبه أي نقود، فكر بأن الأمر لم يكن سوى مزحة من طرف القزم.

بعد شهر، صعد إلى عليّة داره ليجمع ما عنده من قصدير قديم ليبيعه، وإذا به

Twitter: @ketab_n

يجـد كومة كبيرة من النقود. فاستعـاد أعماله التجارية بيعاً وشراءً، وصار أكثر ثراءً ممـا كان عليـه سابقاً، وبات ينفق ما في الجيب ليأتيـه ما في الغيب. في أثناء ذلك كبر الصبي وبات ذكيّاً وحاذقـاً، وكلما اقتربت السنة الثانية عشرة، كلما ازدادت هموم التاجر، إلى درجة أن بات الخوف جليّاً على وجهه.

وذات مرة سأله الصبي عمّا يقلقه، فلم يرِد الأب أن يخبره، بيد أن الصبي توسل إليه وألحّ، إلى أن اعترف له الأب أخيراً بأنه من دون أن يدري ما يفعل، قد وعد به قزماً أسود وتلقى لقاء ذلك مالاً كثيراً. وأنه قد أعطى القزم توقيعه وعليه ختمه، ولا بد له الآن من أن ينفذ وعده ويسلّمه. فقال الابن: «لا تخف يا أبي، ستسير الأمور على ما يرام، ولن يكون للقزم الأسود سلطة علي».

طلـب الابن مـن الخوري أن يباركه، وعندما حان الموعـد، خرج مع أبيه إلى الحقـل حيث رسم الابـن دائرة ووقف مع أبيه فـي منتصفها. جـاء القزم الأسود وخاطب الأب قائلاً: «هل أحضرت معك ما وعدتني به؟» بقي الأب صامتاً، فيما سـأل الابن القـزم: «ما الذي تبغيه هنا؟» فأجاب القـزم: «كلامي موجه إلى أبيك وليس إليك». فقال الابن: «لقد خدعت أبـي وأغويتَه. أعطنا العقد!» فقال القزم الأسود: «لا، لن أتخلى عن حقي». واستمروا يتناقشون إلى أن اتفقوا على ما يلي: بما أن الابن لم يعد ملك والده وليس عدوَّ القزم اللدود في الوقت نفسه، فعليه أن يجلس في قارب مياه تجري نحو الجنوب، وعلى الأب أن يدفع القارب إلى الماء بقدمــه، ومن ثمة يتـرك الابن تحت رحمة الماء. ودّع الابن أباه وجلس في قارب صغيـر، وكان علـى الأب أن يدفع القارب في الماء بقدمـه، فانقلب القارب رأساً على عقب، وظن الأب أنه قد فقد ابنه، فعاد إلى داره وأقام عليه الحداد.

لكن القارب الصغير لم يغرق بل انجرف بهدوء إلى مسافة بعيدة، والابن جالس داخلـه في أمان، إلى أن توقف أخيراً عند شاطئ مجهول، فنزل الابن إلى الشاطئ مبلولاً، ورأى أمامه قصراً جميلاً فتوجه نحوه مباشرة. عندما دخله تبين له أنه قصر مسحـور، فقد جال عبر الغرف كلهـا، فوجدها فارغة، إلى أن وصل إلى الحجرة

Twitter: @ketab_n

الأخيـرة، حيث رأى فيها حية متكورة على نفسها. لكنها كانت صبية مسحورة، فرحـت لرؤيته، وخاطبته قائلة: «هل أتيـت يا مخلِّصي؟ لقد انتظرتك طوال اثنتي عشـرة سنة. هذه المملكة مسحورة وأنت من يجب أن يفك رصدها فيخلّصها». فسألها: «وكيف لي أن أفعل ذلك؟» فأجابته: «في هذه الليلة سيأتي اثنا عشر رجلاً أسـود مدججين بالأغلال. سيسألونك عمّا تفعله هنا، فاصمت ولا تجب، دعهم يفعلـون بك ما شـاؤوا: سيعذبونك ويضربونك ويخزونـك. تحمَّل كل هذا ولا تتكلـم أبداً. وعند الساعة الثانية عشـرة سيذهبون. في الليلة الثانية سيأتي آخرون، أما في الليلة الثالثة فسيأتي أربعة وعشرون منهم وسيقطعون رأسك، لكن سطوتهم تنتهـي عنـد الساعة الثانية عشرة، فـإن صمدت حتى ذلك الحيـن ولم تنطق بأي حرف، فستكـون قد أنقذتني. عندها سآتي إليك حاملـة زجاجة فيها ماء الحياة، فأمسحك بـه فتعود حياً معافى كالسابق». فقال الابـن: «سأعمل على تخليصك بكل سرور».

جـرت الأمور من ثمّة مثلما حكت الحيّـة تماماً: لم يتمكن الرجال السود من جعلـه ينطق بحرف، وفي الليلة الثالثـة تحوّلت الحيّة إلى أميرة جميلة، جاءته بماء الحيـاة فأحيتـه به، ثم عانقته وقبّلته، وعمّت الفرحـة والبهجة القصر كله، ثم أقيم حفل عرسهما وصار الابن ملك مملكة الجبل الذهبي.

عاش الزوجان حياة سعيدة، وأنجبت الملكة للملك صبيّاً جميلاً. وبعد انقضاء ثمـان سنوات تذكر الملك والده، فتحركت في قلبـه مشاعر الحنين وتمنى لو أنه يزوره مرة. لم ترغب الملكة في ذهابه وقالت: «أعرف منذ الآن أن ذهابك سيكون وبـالاً عليّ»، غيـر أنه أخذ يلح ويصر بصورة مزعجـة، حتى وافقت. عند الوداع منحتـه خاتَم أُمنيـات وقالت له: «خُذ هـذا الخاتم وضعه فـي اصبعك، وستجد نفسـك فوراً فـي المكان الذي تتمنـاه. ولكن عليك أن تعدني بـأن لا تستخدمه لنقلي من هنا إلى دار أبيك. إياك أن تتمنى ذلك!» وعدها بما طلبت ووضع الخاتم فـي اصبعه وتمنى أن يكون في وطنه، خـارج المدينة التي يعيش فيها والده. ومن فـوره وجد نفسه هناك، وحينما همَّ بدخول المدينة منعه الحراس، بحجة أن ثيابه

Twitter: @ketab_n

غريبة جداً وفي الوقت نفسه فاخرة جداً. فصعد إلى هضبة وجد فيها راعياً، فتبادل معه الثياب ولبس رداء الراعي ودخل المدينة من دون أن يزعجه أحد. وحينما وصل إلى دار أبيه عرفّه على نفسه، لكن أباه لم يصدق أن هذا ابنه، وقال إنه كان له ذات يوم ولد، لكنه مات منذ زمن بعيد. إلّا أنه كان مستعداً لأن يقدم للراعي الفقير صحناً من الطعام. فقال الراعي لوالديه: «أنا حقاً ابنكما، ألا تعرفان وحمةً ما على جسمي، تتعرفان من خلالها عليّ؟» فقالت أمه: «كان لابننا وحمة بشكل حبة توت تحت ذراعه اليمنى». فشمّر الراعي كم ردائه، فرأيا وحمة التوت تحت ذراعه اليمنى، وتوقفا عن الشك في كونه ابنهما. فأخبرهما بأن ملك الجبل الذهبي وأن زوجته ابنة ملك وبأن لهما صبياً في السابعة من عمره. فقال أبوه: «لا يمكن أن يكون ما تقوله حقيقة: فأي ملك هذا الذي يتجول في رداء راع!» فغضب الابن، ومن دون أن يفكر بوعده لزوجته، أدار الخاتم في اصبعه وتمنى مجيء زوجته وابنه إليه. وفي اللحظة نفسها انتصبا أمامه. لكن الملكة اشتكت وبكت وقالت إنه لم يفِ بوعده، مما سبب لها التعاسة، فأجابها: «لقد فعلتها عن سوء انتباه وليس عن سوء نية»، وتابع يهدئها إلى أن سكنت، وكأنها قد قبلت عذره، لكنها كانت تُضمر أمراً آخر.

ثم أخذها إلى حقل أبيه خارج المدينة، وأراها كذلك على الشاطئ المكان الذي دُفع منه قاربه الصغير، ثم قال لها: «أشعر بشيء من التعب، اجلسي هنا، سأضع رأسي في حجرك وأنام قليلاً». ووضع رأسه في حضنها، فأخذت تفلّي شعره من القمل إلى أن غفا ونام. وعندما غرق في نومه، خلعت الخاتم عن اصبعه، ثم سحبت ساقها من تحت رأسه وتركت حذاءها مكانه. ثم أخذت ابنها بين ذراعيها وتمنت أن تكون في مملكتها. عندما استيقظ وجد نفسه وحيداً وقد اختفى كلٌ من زوجته وابنه، وكذلك الخاتم من اصبعه، وليس ثمة دليل على ما كان، سوى حذاء الملكة. ففكر في نفسه: «لا يمكنك العودة إلى والديك لأنهما سيقولان بأنك ساحر، فالأفضل هو أن ترحل إلى أن تصل إلى مملكتك». فغادر موطنه واستمر يمشي إلى أن وصل إلى جبلٍ، رأى عند سفحه ثلاثة عمالقة

Twitter: @ketab_n

يتنازعـون في ما بينهم حول طريقة توزيع إرث أبيهم بينهم، من دون الوصول إلى حل. عندما رأوه عابراً نادوه إليهم وقالوا له بأنهم يعتقدون بأن البشر قصار القامة مثلـه يمتلكون عقولاً ذكيـة، ولذلك عليه أن يَقْسـم الإرث بينهم. وقد تألف هذا الإرث مـن سيـف، إذا حمله إنسان بيده وقال: «اقطـع رؤوس الجميع، سواي!» فستسقـط كل الرؤوس على الأرضـ. وهناك ثانياً معطف، مَـن يلبسه يصبح غير مرئـي. وهناك ثالثاً جزمة، من يلبسها في قدميه ويتمنى الذهاب إلى مكان محدد، يجـد نفسه فيه فـوراً. فقال لهم: «أعطوني هذه الأشيـاء الثلاثة، كي أجرب ما إذا كانـت قدراتها لا تزال صالحـة». فأعطوه المعطف، ومـا أن ارتداه حتى اختفى وتحـول إلى ذبابـة. ثم استعـاد هيئته الطبيعية وقـال: «المعطف جيـد، أعطوني السيـف الآن!» فقالـوا: «لا، لن نعطيك السيف، لأنـك إن أمسكته وقلت (اقطع رؤوس الجميع، سواي!) فستسقط رؤوسنـا ويبقى رأسك فقط». لكنهم أعطوه إيـاه من ثمة بشرط أن يجربـه على شجرة. ففعل ذلـك وإذا بالسيف يقطع جذع الشجـرة وكأنه عود سنبلة. وأخيراً أراد الحصول على الجزمة، لكنهم قالوا: «لا، لن نعطيك الجزمة، لأنـك إن لبستها وتمنيت التواجد أعلى الجبل، فسنبقى نحن عنـد السفح من دون شيء». فقال: «لا، لن أفعل ذلك». فأعطوه الجزمة. وعندما صـارت الأشياء الثلاثة الآن بحوزته، فإنه لم يفكـر سوى بزوجته وابنه، وهمهم: «ليتنـي أكون على الجبل الذهبـي». فاختفى في التو واللحظة عـن أعين العمالقة الثلاثة، وبذلك تم توزيع إرثهم بالعدل.

عندمـا اقترب من القصر تناهـت إلى سمعه صيحات فـرح وسرور وأصوات آلات كمان وناي، وقال له الناس في الطريق إن زوجته تحتفل بزواجها من شخص آخـر. فغضب وقال: «هـذه المخادعة، لقد خانتني وتركتني بينمـا كنتُ نائماً». ثـم ارتدى المعطف ودخل القصـر غير مرئي. عندما ولـج القاعة الكبرى كانت هناك مائدة ضخمة عامرة بأطايب الطعام، والضيوف من حولها يأكلون ويشربون ويضحكون ويتمازحون. أما الملكة فقد جلست في الوسط في ثياب فائقة الأبهة، على كرسـي ملكي والتاج على رأسها. وقف زوجهـا المخدوع وراءها من دون

Twitter: @ketab_n

أن يـراه أحد. وعندما كان الخدم يضعون لها في صحنها قطعة لحم، كان يأخذها ويأكلهـا. وعندما يصبون لها نبيـذاً في كأسها، كان يشربـه. فكانوا يسكبون لها الطعـام ويصبون لها الخمر باستمرار، ومع ذلك لـم يكن أمامها طوال الوقت أي شـيء إطلاقاً، لأنه كان يختفـي فوراً. ذُهلت الملكة وخجلـت في الوقت نفسه، فنهضـت وذهبت إلـى غرفتها وأخذت تبكـي، فلحق بها، وسمعهـا تقول: «أما زال الشيطـان مسيطـراً علي، أم أن مخلّصي لم يأت أبـداً؟» فصفعها على وجهها وقال: «ألـم يأتِ مخلّصك أبداً؟ إنه هنا في وجهك أيتها الخائنة! أهذا ما أستحقه منك؟» وخلع المعطف فصار مرئياً، وتوجه إلى القاعة الكبرى وصاح بالضيوف: «العرس ملغـي، فالملك الحقيقي قد عاد!» فهزّأه الملوك والأمراء والمستشارون المجتمعـون وسخروا منه، لكنه لم يأبـه لهم بل قال باختصار: «هل ستغادرون أم لا؟» فهجمـوا عليه وتدافعوا للإمساك بـه، فما كان منه إلا أن استل السيف وقال: «اقطـع رؤوس الجميع، سـواي!» فتساقطـت الرؤوس على الأرض حتى بقي وحده، وعاد مجدداً ملك الجبل الذهبي.

Twitter: @ketab_n

(٩٣)

الغُرابة

في قديم الزمان عاشت ملكة، كان عندها ابنة صغيرة لم تتعلم المشي بعد. وذات يوم ضجّت الصغيرة جداً، ولم تهدأ بأي حال من الأحوال، مهما فعلت أمها الملكة، التي نفذ صبرها. وكان كثير من الغربان يحلق حول القصر، ففتحت الملكة النافذة وهي تحمل صغيرتها وقالت: «يا ليتكِ كنتِ غُرابة، لطرتِ بعيداً، وعندها سأرتاح». وما أن لفظت الكلمة الأخيرة حتى تحولت ابنتها إلى غُرابةٍ، طارت من بين يديها عبر النافذة وابتعدت. طارت الغرابة إلى غابة كثيفة معتمة، وبقيت فيها مدة طويلة من الزمن، ولم يعد يسمع عنها أهلها أي خبر.

بعد ذلك دخل الغابة ذات يوم رجل، سمع صوت الغرابةِ يناديه فتبعه إلى أن اقترب منها، فقالت له: «أنا أميرة مسحورة، وأنت بإمكانك أن تخلّصني»، فسألها: «وما المطلوب مني فعله؟» فقالت: «توغل في الغابة وستجد بيتاً تجلس فيه امرأة عجوز، ستقدم لك طعاماً وشراباً. ولكن إياك أن تقبل: لأنك إذا أكلت أو شربت منه شيئاً، فستغرق في سبات عميق، فلن تستطيع تخليصي. في حديقة البيت الخلفية توجد كومة حطب كبيرة، قف فوقها وانتظرني هناك، فطوال ثلاثة أيام سآتيك عند الساعة الثانية في عربة تجرها في اليوم الأول أربعة جياد بيضاء، وفي اليوم الثاني بنية، وفي اليوم الثالث سوداء. ولكن إن لم تكن متيقظاً، بل كنتَ نائماً، فلن أخلص من السحر». وعدها الرجل بأن ينفذ كل ما طلبته منه، إلا أن الغُرابة قالت: «لكنني أعرف مسبقاً أنك لن تخلصني، لأنك ستقبل شيئاً من العجوز». فوعدها الرجل مرة ثانية بأنه لن يلمس شيئاً، لا من الطعام ولا من الشراب.

Twitter: @ketab_n

بيد أنه حينما وصل إلى بيت العجوز استقبلته قائلة: «يا مسكين، تبدو مرهقاً، تفضل وخذ راحتك، كُل واشرب». فقال الرجل: «لا، لن آكل أو أشرب». لكنها لم تتوقف عن الإلحاح وهي تقول: «إذا لم تكن راغباً في الطعام، اشرب جرعة واحدة من هذا الشراب، فالمرة الواحدة لا تُحسب!» اقتنع الرجل بكلامها وشرب جرعة. وحينما شارف الوقت على الساعة الثانية خرج الرجل إلى الحديقة واعتلى كومة الحطب لينتظر قدوم الغرابة. وبينما هو واقف هناك غلبه التعب فجأة، ولم يعد يحتمل الوقوف فاستلقى على الحطب على ألاّ ينام. بيد أنه ما أن تمدد حتى انسدل جفناه وغفا، ثم غرق في سبات عميق، بحيث ما كان لشيء في الدنيا أن يوقظه. وعند الساعة الثانية جاءت الغرابة في عربة الجياد البيضاء الأربعة، وكانت بالغة الحزن وقالت: «أعرف أنه نائم». وحينما دخلت حديقة البيت وجدته مستلقياً نائماً على كومة الحطب. ترجّلت من العربة وذهبت إليه وهزّته ونادته، من دون فائدة.

في اليوم الثاني، ظهراً، أحضرت له العجوز ثانية طعاماً وشراباً، لكنه رفض أن يقبل. فأخذت تلح وتقنعه حتى شرب جرعة من الكأس. ونحو الساعة الثانية خرج إلى الحديقة واعتلى كومة الحطب لينتظر قدوم الغرابة، وفجأة غلبه تعب شديد، فلم يقوَ على الاستمرار في الوقوف، وشعر بعجز واضطر للاستلقاء وغرق في النوم. وحينما قدمت الغرابة بعربة الجياد البنية الأربعة، كانت بالغة الحزن وقالت: «أعرف أنه نائم» ومع ذلك ذهبت إليه وحاولت إيقاظه ولكن دون جدوى.

وفي اليوم الثالث قالت له العجوز إنه سيموت، إن بقي من دون أكل وشرب، فأجابها بأنه لا يريد ولا يجوز له أن يأكل أو يشرب. فوضعت العجوز صحون الطعام وكأس النبيذ أمامه، وحينما وصلت الرائحة إلى أنفه، لم يستطع المقاومة فأخذ جرعة نبيذ كبيرة. وحينما آن الأوان خرج إلى الحديقة واعتلى كومة الحطب منتظراً الأميرة. وإذا بتعب أشد من اليومين السابقين يغلبه، فاستلقى ونام بعمق، وكأنه حجر. في الساعة الثانية وصلت الغرابة بعربة الجياد السود، وكانت

Twitter: @ketab_n

كالمرتيـن السابقتين مغمورة بالحزن، وقال: «أعـرف أنه نائم وأنه لن يتمكّن من تخليصـي». وعندما وصلت إليه وجدته في سبات عميق، فهزته ونادته، لكنها لم تستطـع إيقاظه. وعندها وضعت إلى جانبه خبزاً ولحماً وزجاجة نبيذ، ليستهلك منهـا ما شـاء، دون أن تنقص. ثم أخذت خاتماً ذهبياً مـن اصبعها وألبسته إياه في اصبعه، وكان يحمـل اسمها محفوراً في الذهـب. وأخيراً وضعت له رسالة كتبت فيها ما تركته له، وأن الأشياء الثلاثة لا تنضب. كما كتبت له: «إني أرى بجلاء أنك لـن تتمكن من تخليصي من السحر. ولكـن إن كنت لا تزال راغباً في ذلك فتعال إلـي في القصر الذهبي شترومْبِرغ. أنا أعرف أنك قادر على ذلك، بل أنا واثقة من ذلـك». بعد أن تركت كل هذا إلى جانبه ركبـت عربتها وسافرت فيها إلى القصر الذهبي شترومبرغ.

حالمـا استيقظ الرجل وأدرك أنه قد نام غمره حـزن عميق وقال: «لا شك في أنهـا قد مرت من هنـا، مـن دون أن أخلّصها». ثم وقع نظره علـى الأغراض إلى جانبه، فقرأ الرسالة وعرف ما جرى. فنهض وانطلق راغباً في الوصول إلى القصر الذهبي شترومبرغ، لكنه لم يكن يعرف مكانه. فمضى وقت طويل وهو يجول في أنحـاء المعمورة، إلى أن وصل إلى غابة شديدة الكثافة، مشى فيها مدة أربعة عشر يوماً من دون أن يجد مخرجاً منها.

وعندمـا حل المساء وكان الرجـل متعباً جداً استلقى إلـى جانب أجمة ونام. ثـم تابع طريقه فـي اليوم الثاني إلى أن حـل المساء وأراد أن يستلقـي وينام أيضاً، لكنـه سمع عويلاً وصراخاً، فلم يستطـع النوم. وعندما حان وقت إشعالِ الأضواء في البيوت والأكـواخ، رأى بصيص ضوء بعيد فاتجه نحوه، فوصل إلى دار بدت صغيـرة، إذ كان يقف أمامها عملاق ضخم. ففكر الرجل في نفسه: «إذا حاولتَ دخـول الدار ورآك العملاق فقـد ضاعت حياتك سدى». لكنه حـزم أمره أخيراً واقتـرب من الدار، وعندما رآه العملاق قال: «جئتني في الوقت المناسب، إذ أني لـم آكل شيئاً منذ مدة طويلـة: سأبتلعك فوراً كوجبة عشاء». فقال الرجل: «دعك مـن ذلك، لا أرغب فـي أن يبتلعني أحد. إذا كنت تريـد الأكل، فمعي ما يشبعك

Twitter: @ketab_n

وزيادة»، فقال العملاق: «إذا كان كلامك صحيحاً فابقَ. كنت أريد أن آكلك لأنه لا شيء آخر عندي».

ودخلا الدار وجلسا إلى المائدة، وأخرج الرجل الخبز واللحم والنبيذ الذي لا ينضب، فقال العملاق: «يعجبني هذا» وأكل بشهيّة وشرب حتى اكتفى، ومن ثمة سأله الرجل: «هلّا أرشدتني إلى مكان القصر الذهبي شترومبرغ!» فقال العملاق: «سأبحث عنه في خريطتي التي توجد فيها جميع المدن والقرى والمنازل»، وأخرج الخريطة الموجودة في غرفته وفردها وبحث عن القصر، لكنه لم يجده، فقال: «لا تهتم، لدي في خزانة الغرفة العلوية خريطة أكبر، سنبحث فيها»، لكن بحثهما ذهب سدى. أراد الرجل أن يتابع طريقه، لكن العملاق رجاه أن يبقى عنده بضعة أيام أخرى، إلى حين عودة أخيه الذي خرج ليُحضر بعض المأكولات. عندما عاد الأخ سألاه عن موقع القصر فأجاب: «بعد أن آكل واشبع، سأبحث عنه في خريطتي»، ثم صعدوا إلى حجرته وبحثوا في خريطته الكبيرة، لكنهم لم يجدوه. فأخرج خرائط عتيقة واستمروا في البحث حتى عثروا أخيراً على موقع القصر الذهبي شترومبرغ، لكنه كان نائياً على مسافة آلاف الأميال. فسأل الرجل: «ولكن كيف سأصل إلى هناك؟» فقال له العملاق الأول: «عندي ساعتان من الوقت، سأحملك حتى مكان قريب منه، ثم لا بد لي من العودة إلى الدار لإرضاع الطفل الذي عندنا». فحمل العملاق الرجل ومشى به حتى مسافة مئة ساعة عن مكان القصر، وقال: «يمكنك قطع بقية المسافة وحدك»، وعاد أدراجه.

أما الرجل فتابع طريقه ليلاً ونهاراً إلى أن وصل أخيراً إلى القصر الذهبي شترومبرغ. لكن القصر كان فوق جبل زجاجي، وكانت الأميرة المسحورة تدور بعربتها ثم تدخله. فرح الرجل لرؤيتها، وأراد تسلق الجبل إليها، بيد أنه كان، كيفما حاول، ينزلق على الزجاج نحو السفح. وعندما أدرك أنه لن يبلغها، اغتمّ وقال لنفسه: «سأبقى عند السفح فأنتظرها هنا». وبنى لنفسه كوخاً جلس فيه طوال سنة وهو يرى الأميرة المسحورة كل يوم تعبر بعربتها الطريق فوق، من دون أن يتمكن من الصعود إليها.

Twitter: @ketab_n

وذات يـوم رأى من كوخه ثلاثة لصوص يتنازعـون ويتضاربون، فصاح بهم: «كان الله معكـم!» فتوقفـوا قليلاً، لكنهم عندما لـم يروا أحداً عـادوا ليتضاربوا وبصورة خطرة. صاح بهم ثانية: «كان الله معكم!» فتوقفوا ثانية وتلفتوا حولهم، وعندمـا لم يروا أحداً عادوا إلى ما كانوا عليه من تبادل الضرب، فصاح بهم ثالثة: «كان الله معكـم!» وفكر فـي نفسه: «لا بد أن ترى بنفسك، ماذا ينوون»، فتوجه إليهـم وسألهم عن سبـب شجارهم وتضاربهم. قال الأول إنـه قد وجد عصا، إذا ضرب بها أي بابا فسينفتح. وقال الثاني إنه عثر على عباءة، إذا وضعها على كتفيه يصبـح غير مرئي. وقال الثالث إنه اصطاد جواداً، يصل به الإنسان إلى أي مكان، ويمكنـه حتى أن يتسلق الجبل الزجاجي، وهم لا يعرفون الآن ما عليهم فعله: هل يحتفظـون بالأشيـاء الثلاثة سويـة، أم يفترقون، كلٌ بما وجد؟ فقـال لهم الرجل: «سأبادلكم على الأشياء الثلاثة معاً. أنا لا أملك مالاً، لكني أملك أشياء أخرى أثمن من المال! ولكن قبل ذلك لا بد لي من إجراء تجربة لأتأكد من صحة ما تقولون». فتركـوه يركب علـى الجواد وألبسوه العبـاءة وناولوه العصا في يـده، فلم يعودوا قادريـن على رؤيتـه. وعندما ضربهم بشدة وقـال: «أيها اللصوص المحتالون، إليكم ما تستحقون! فهل أنتم راضون؟».

ثم تسلق الجبل الزجاجي، وعندما وصل إلى القصر وجد بابه موصداً، فقرعه بالعصا، فانفتح على مصراعيه. فدخل وصعد الدرج إلى القاعة حيث وجد الأميرة المسحـورة جالسة وأمامها قدح نبيذ لم يكـن بوسعها رؤيته بسبب عباءة الإخفاء التي يلبسهـا. وعندما اقترب منها سحب خاتمها مـن اصبعه وأسقطه في القدح، فأصدر صوتاً مسموعاً. فصاحت: «هذا خاتمي، إذن لا بد أن يكون الرجل الذي سيخلّصنـي أيضـاً هنا». بحثت عنه في جميع أنحاء القصـر ولم تجده، إذ كان قد خرج وركب الجواد وخلع العباءة. وعندما وصلت في بحثها إلى بوابة القصر رأته وصاحـت فرحاً، فترجّل وأخذها بين ذراعيه، فقبلته وقال: «الآن خلّصتني، وغداً سنحتفل بعرسنا».

Twitter: @ketab_n

(٩٤)

ابنة الفلاح الذكية

في قديم الزمان كان هناك فلاح فقير لا يملك أرضاً، وليس له من متاع الدنيا سوى بيت صغير، وابنة وحيدة. وذات يوم قالت له ابنته: «يُفترض بنا أن نرجو الملك أن يمنحنا قطعة أرض لنستصلحها ثم نزرعها».

عندما عرف الملك بدرجة فقرهم أهداهم قطعة مرج صغيرة. فعزقها الفلاح مع ابنته وقلبا تربتها ليزرعاها بالحبوب والخضراوات. كانا على وشك الانتهاء من عملهما عندما عثرا في الأرض على هاون من الذهب الخالص، فقال الفلاح لابنته: «اسمعي، بما أن سيدنا الملك كان كريماً معنا وأهدانا هذه الأرض فعلينا أن نقدم له هذا الهاون لقاءها»، لكن الابنة لم توافق على الأمر وقالت: «اسمع، يا أبي، إذا قدمنا له الهاون من دون المدق الذي لم نعثر عليه، فسيطلب منا أن نأتيه بالمدق أيضاً. لذلك يُفضَّل أن نتكتّم على الموضوع».

لكنه لم يرِد أن يعمل بمشورتها، فأخذ الهاون وحمله إلى الملك وأخبره بأنه قد عثر عليه في المرج، ورجاه أن يتقبله منه هدية. أخذ الملك الهاون وسأله عما إذا كانوا قد وجدوا شيئاً آخر، فأجابه الفلاح: «لا». فأمره الملك بأن يُحضر له المدق أيضاً. فأخبره الفلاح بأنهم لم يعثروا على المدق، لكن كلماته لم تفده شيئاً، بل ذهبت أدراج الرياح. فرمي الفلاح في السجن، على أن يبقى فيه إلى أن يُحضر المدق للملك. كان على الخدم أن يأتوه يومياً بخبز وماء، كما هي العادة في السجون، فسمعوا الفلاح يصيح بحسرة: «يا ليتني سمعت مشورة ابنتي! يا ليتني سمعت مشورة ابنتي!» رافضاً الطعام والماء.

Twitter: @ketab_n

أمــر الملك خدمه بإحضار السجين إليه، وعندمــا مَثَل أمامه سأله الملك: «ما معنـى صياحك: (يا ليتني سمعت مشورة ابنتي!) وبمـاذا أشارت عليك ابنتك؟» فأجـاب الفـلاح: «نصحتني بأن لا أحضـر إليك الهاون، لأنـك ستطلب المدق حتمـاً». فقال الملك: «إذا كانت ابنتك على هذه الدرجـة من الذكاء، فأحضرها إلينا».

فـكان على الابنـة إذن أن تحضر إلى القصر لتقابل الملـك، الذي قال لها بأنه سيطرح عليهـا أُحجية يختبر بها مدى ذكائهـا، وإذا استطاعت أن تحلها فسوف يتزوجهـا. فأجابته من فورها بأنها ستجـد الحل. فقال لها الملك: «تعالي إلي، لا عارية ولا من دون ثياب، لا على دابة ولا في عربة، لا على الطريق ولا خارجة. إذا وجدت الحل فسأجعلك زوجتي». فذهبت إلى أول الطريق وخلعت جميع ثيابها فأصبحـت عارية، ثم أخذت شبكة صيد سمك كبيرة فجلست في وسطها ولفتها حول جسمها كلياً فلم تعد عارية. ثم أحضرت حماراً وربطت شبكة الصيد بذيله ليجرّهـا وهي ملفوفة بها، وبذلـك فإنها لم تركب حصانـاً ولا عربة، وكان على الحمـار أن يجرها على طرف الطريق حيث أثر عجلات العربات واضح المعالم، وبحيث لا تطأ الأرض إلا بإبهامي قدميها على أثر العجلات، وبذلك لم تكن على الطريـق ولا خارجة. وحينما وصلت إلـى القصر بهذه الصورة قال الملك إنها قد وجدت حلاً للأُحجية وطبقّته بدقة. ثم أفرج عن أبيها من السجن، واتخذها زوجة له واعتمد عليها في إدارة الممتلكات الملكية كلها.

بعد سنوات عديدة، حدث ذات يوم في أثناء استعراض الملك لجيشه، أن توقف بعض الفلاحين بعرباتهم أمام القصر ليبيعوا الحطب. بعض العربات كانت تجرها ثيـران وبعضها الآخر أحصنة، وعربـة أحد هؤلاء كانت تجرها ثلاثة أحصنة، ولد أحدهمـا مهراً، مشى المهر مبتعداً وجلس بين ثورين يجران عربة أخرى. وعندما رجع الفلاحون من أشغالهم إلى عرباتهم أخذوا يتشاجرون ويتصايحون ويلكزون بعضهـم بعضاً، وأصر صاحـب الثورين على الاحتفاظ بالمهـر لنفسه، زاعماً أن الثوريـن قـد أنجباه، في حين يصيح الآخر مصراً علـى أنّ أحصنته قد أنجبته، فهو

Twitter: @ketab_n

إذن مُلكه. عرضت قضية النزاع على المهر أمام الملك، فحكم ببقاء المهر حيث جلس. وبذلك حصل عليه فلاح الثورين. غادر الفلاح الثاني القصر حانقاً حزيناً لفقدان مهره.

وبما أنه كان قد سمع بأن الملكة رحيمة جداً، لأنها من أصل فلاحي فقير، فقد ذهب إليها وتوسل إليها مساعدته في استرجاع مهره. فأجابته: «سأساعدك بشرط أن تعدني بألا تذكر اسمي أبداً. غداً صباحاً أثناء استعراض الملك لحرسه، قف أنت في منتصف الطريق الذي سيمر منه. خذ معك شبكة صيد سمك وتظاهر بأنك تصطاد بها، فترميها ثم تسحبها وتفرغها وكأنها مليئة بالسمك». ولقّنته أيضاً بما عليه أن يجيب في حال سأله الملك عمّا يفعل.

وفي اليوم التالي وقف الفلاح هناك ورمى شبكته على الأرض الجافة، وعندما مر به الملك وشاهد ما يفعله، بعث رسوله ليستفسر عما يقصده هذا المجنون بعمله، فأجاب الفلّاح: «أنا أصطاد سمكاً» فسأله الرسول: «كيف يمكنك الصيد ولا ماء هنا؟» فأجاب الفلاح: «تماماً مثلما يمكن لثورين أن ينجبا مهراً، يمكنني أن اصطاد السمك من أرض جافة». عاد الرسول إلى الملك ونقل إليه الجواب، فاستدعى الملك الفلاح وقال له: «إن هذا الجواب ليس منك، فمن علّمك إياه؟ اعترف فوراً!» رفض الفلاح الاعتراف وأخذ يكرر: «أعوذ بالله، الجواب مني أنا». مدده حراس الملك على حزمة قش وأخذوا يضربونه ويعذبونه حتى أقر بأن الملكة قد أملته عليه.

وحالما وصل الملك إلى قصره قال لزوجته: «لماذا تعاندينني بهذا الشكل! ما عدت أريدك زوجة، لقد انتهى وقتك، ارجعي من حيث أتيتِ، إلى بيت الفلاحين الصغير». بيد أنه سمح لها بأمر واحد بمناسبة الوداع، وهو أن تأخذ معها من القصر أحب وأفضل ما يرغب به قلبها. فقالت له: «طيب يا زوجي الحبيب، إذا كان هذا هو ما تأمر به فسأنفذه»، وعانقته وقبلته قائلة بأنها تودعه. طلبت من ثمة شراباً منوماً قوياً سكبت منه في كأس الوداع، فشرب الملك جرعة كبيرة، في

Twitter: @ketab_n

حين لم تشرب هي سوى أقل القليل، وسرعان ما غرق الملك في سبات عميق. عندما تأكدت من ذلك نادت إليها الخدم، وتناولت قطعة قماش قطنية بيضاء فاخرة وكبيرة ولفت الملك بها، ثم أمرت الخدم بحمله إلى عربة منتظرة عند بوابة القصر، وقادت العربة بنفسها إلى بيتها الفلاحي الصغير، حيث وسدته في سريرها الصغير، فنام طوال النهار والليل معاً. عندما استيقظ صباحاً تلفت حوله وتساءل: «يا إلهي، أين أنا يا ترى؟» نادى خدمه، فلم يجبه أحد. وأخيراً تقدمت زوجته من السرير وقالت له: «سيدي الملك العزيز، لقد سمحت لي أن آخذ معي من القصر أحب وأفضل ما يرغب به قلبي. وبما أنه لا أحب عندي ولا أفضل منك فقد أخذتك معي». فتغرغرت عينا الملك بالدمع وقال: «يا امرأتي الحبيبة، ستكونين لي وسأكون لك»، وأخذها إلى القصر الملكي ثانية، حيث عقد قراناً جديداً، وما زالا يعيشان في سعادة حتى يومنا هذا.

Twitter: @ketab_n

(٩٥)

الفلاّح هيلدِبراند

كان هناك فـلاح يعيش مع زوجته الفلاحة في قرية. وقسيس القرية كان مغرماً بهذه الفلاحة، وغالباً ما تمنى لو تسنح له الفرصة مرة واحدة لقضاء يوم كامل معها في بسط وحبور.

وما كانت الفلاحة لتمانع في ذلك أبداً. ولهذا قال لها ذات يوم: «لقد خطرت فـي بالي الآن فكرة، يا فلاحتـي العزيزة، لنُمضي مع بعضنا يومـاً بطوله في بسط وانشـراح. ابقي يـوم الأربعاء في سريرك، وقولي لزوجك إنـك مريضة، وتَشكّي وتأوهـي ألماً ما وسعك ذلك حتى يوم الأحد، حيـن سألقي موعظتي التي سأعظ فيها بأن كل من عنده في الدار طفل مريض أو زوج أو زوجة أو أب أو أم أو أخت أو أخ أو أي كان، عليـه أن يحـج إلى جبل الديكَة في فِليشي، حيث يحصل بقرش على كيلو من أوراق الغار، وبذلك فإن الطفل المريض أو الزوج أو الزوجة أو الأب أو الأم أو الأخـت أو الأخ أو أيّاً كان، سيشفى فوراً». فقالت له الفلاحة: «سأفعل ذلـك، وفي يوم الأربعاء التالي استلقت فـي السرير وأخذت تئن وتشكو، حسبما نصحهـا القسيس. قام زوجها الفلاح على العناية بها ورعايتها قدر استطاعته، بيد أن حالتها لم تتحسن. وفي يوم الأحد قالت الفلاحة لزوجها: «حالتي تعيسة جداً، اشعـر بأنـي سأموت قريباً، ولكن قبـل نهايتي أرغب في سمـاع موعظة القسيس التـي سيلقيها اليوم». فقال لها زوجها: «لا يـا عزيزتي، لا تتحركي، فهذا لا شك سيؤذيـك إن نهضـت الآن. اسمعي، سأذهب أنا بدلاً منـك إلى الموعظة وسأنتبه جيداً، كي أخبرك بعد ئذ بكل ما قاله القسيس». فأجابت الفلاحة: «هذا يرضيني»

Twitter: @ketab_n

وتابعت وهي تتأوه: «اذهب إذن، وانتبه جيداً كي تخبرني بكل ما قاله القسيس».

ذهب الفلاح إلى الكنيسة واستمع إلى الموعظة التي ألقاها القسيس والتي قال فيها بأن على كل من لديه في البيت طفل مريض أو زوج أو زوجة أو أب أو أم أو أخ أو أخت أو أيّاً كان، عليه أن يحج إلى جبل الديكَة في فِليشي، حيث يحصل بقرش على كيلو من أوراق الغار، وبذلك فإن الطفل المريض أو الزوج أو الزوجة أو الأب أو الأم أو الأخت أو الأخ أو أيّاً كان، سيشفى فوراً. ومن يريد القيام برحلة الحج هذه فعليه بعد القداس المجيء إلى القسيس الذي سيزوده بكيس لأوراق الغار وسيعطيه قرشاً. لم يكن بين المستمعين إلى الموعظة من هو أكثر سعادة من الفلاح، وذهب بعد القداس من فوره إلى القسيس الذي أعطاه كيس أوراق الغار وقرشاً.

وعندما وصل الفلاح إلى داره، صاح من الباب: «يا هنانا، يا زوجتي العزيزة، اعتبري نفسك قد شفيتِ! في موعظة اليوم قال القسيس بأن على كل من لديه في البيت طفل مريض أو زوج أو زوجة أو أب أو أم أو أخ أو أخت أو أيّاً كان، عليه أن يحج إلى جبل الديكَة في فِليشي، حيث يحصل بقرش على كيلو من أوراق الغار، بذلك فإن الطفل المريض أو الزوج أو الزوجة أو الأب أو الأم أو الأخت أو الأخ أو أيّاً كان، سيشفى فوراً. وقد حصلت من السيد القسيس على كيسٍ لأوراق الغار وقرش، وسأنطلق برحلة الحج فوراً كي تستعيدي صحتك وعافيتك بسرعة». وغادر الدار. وما أن غاب عن الأنظار حتى نهضت الفلاحة وجاءها السيد القسيس. لكننا سنترك هذين الاثنين معاً إلى حين، ولنرافق الفلاح.

انطلق الفلاح موسع الخطا، كي يصل إلى جبل الديكَة بسرعة، وفي أثناء رحلة الحج التقى في طريقه بابن عمته، تاجر البيض، وهو عائد من السوق بعد أن باع بضاعته. «تمجَّدَ السيد المسيح. إلى أين تسرع هكذا؟» سأل التاجرُ الفلاحَ، الذي أجاب: «تمجَّد إلى الأبد، آمين! زوجتي يا ابن عمتي مريضة، وقد قال القسيس في موعظته اليوم، بأن على كل من لديه في البيت طفل مريض أو زوج أو زوجة أو

Twitter: @ketab_n

أب أو أم أو أخ أو أخت أو أيّاً كان، عليه أن يحج إلى جبل الديكَة في فِليشي، حيث يحصل بقرشٍ على كيلو من أوراق الغار، وبذلك فإن الطفل المريض أو الزوج أو الزوجة أو الأب أو الأم أو الأخ أو الأخت أو أيّاً كان سيشفى فوراً. فأخذت من السيد القسيس قرشاً وكيساً لأوراق الغار وبدأت رحلة الحج». فقال له التاجر: «ما اشد سذاجتك يا ابن عمتي لتصدق مثل هذا الكلام. أقول لك ما الذي يجري الآن؟ مؤكد أن القسيس يريد قضاء يوم كامل مع زوجتك لوحدهما في بسطٍ وانشراح. وهذا هو سبب إبعادك عن الدار برحلة الحج!» وبعد برهة قال الفلاح: «كم بودِّي أن أتأكد من ذلك». فقال التاجر: «أتدري ما سنفعل!؟ اجلس في سلة البيض وسأحملك إلى دارك، حيث سترى بنفسك».

اتفقا ونفذا: أجلس التاجرُ الفلاحَ في سلة البيض الفارغة وحمله إلى داره، حيث كانت الأمور قد بلغت ذروتها حقاً، إذ كانت الفلاحة قد ذبحت ما عندها من دجاج وخبزت فطائر محشية، كما كان القسيس هناك ومعه كمانه.

قرع تاجر البيض الباب، فسألت الفلاحة من بالباب، فأجابها: «أنا يا زوجة ابن عمتي العزيزة. أرغب في المبيت عندكم اليوم. لم أتمكن من بيع بيضي في السوق اليوم، وأنا مضطر إلى حمله إلى الدار، لكنه ثقيل جداً، ولن أحتمل الطريق، وقد اقترب المساء». فأجابته الفلاحة: «لقد جئتني في وقت غير مناسب إطلاقاً، ولكن نظراً لحالك، تفضل واجلس على المقعد إلى جانب الموقد». فدخل التاجر وجلس مع سلته على مقعد الموقد. ومع ذلك لم تخفت بهجة الفلاحة بالقسيس وانشراحهما، إذ قال القسيس: «يا فلاحتي العزيزة، أنت تحسنين الغناء، فغنّي لنا شيئاً!» فأجابته: «ما عدتُ قادرة الآن على الغناء. كنت أجيد ذلك في أيام شبابي، أما الآن فقد فات الأوان». فقال القسيس: «لا تعاندي، يا عزيزتي، غنّي أي شيء!» فبدأت الفلاحة تغني:

«إلى الحج أرسلت زوجي،

إلى جبل الديكَة في فِليشي».

Twitter: @ketab_n

فتابع القسيس: ألا ليتكَ تبقى هناك يا حجّي،

كي يهنأ لي هنا عيشي... هاليلويا!

وهنا دخل تاجر البيض على خط الغناء. (كما لا بد من ذكر الفلاح الساذج كان اسمه هيلدِبراند.):

يا سلامْ يا هيلد براند العزيز،

ما رأيك بكلام هذا الخسيس؟.. هاليلويا!

فأجابه هيلد براند من سلة البيض:

ما عدتُ أحتملُ الغناءَ المغيظ،

ولا رياءَ هذا القسيس».

وقفز من السلة وأخذ يضرب القسيس حتى طرده من الباب.

Twitter: @ketab_n

(٩٦)

العصافير الصغيرة الثلاثة

قبل ألف سنة وأكثر، كان يحكم هذه البلاد عدد كبير من الملوك الصغار. وأحد هؤلاء الملوك كان يقيم في قصر كوتِّرْبِرْغ (جبل الكلاب) وكان مغرماً جداً برحلات الصيد. وذات صباح عندما خرج إلى الصيد ثانية، مغادراً قصره في موكب صياديه، كان عند سفح الجبل ثلاث صبايا يرعين أبقارهن. وعندما رأين الملك مع المجموعة الكبيرة، هتفت أكبرهن لأختيها وهي تُشيرُ نحو الملك: «اسمعا! اسمعا! إنْ لم أحصل على هذا، فلا أريد أحداً»، فأجابت الوسطى من الجانب الآخر من سفح الجبل، وهي تشير للرّاكب إلى يمين الملك: «اسمعا! اسمعا! إنْ لم أحصل على هذا، فلا أريد أحداً»، فأجابت الصغرى وهي تشير للرّاكب إلى يسار الملك: «اسمعا! اسمعا! إنْ لم أحصل على هذا، فلا أريد أحداً». وكان هذا وزيرا الملك. سمع الملك كلام الصبايا كله، وحالما عاد إلى القصر من الصيد، استدعى الصبايا الثلاث وسألهنّ عمّا قلنه بالأمس وهن على سفح الجبل، لكنهن رفضن الإفصاح. فسأل الملك كبراهن، عما إذا كانت ترغب به زوجاً، فأجابته بنعم. ثم سأل الوزيران أختيها السؤال نفسه، فقد كنّ ثلاثتهن على قدر كبير من الجمال، شقراوات ببشرة بيضاء، ولا سيما كبراهن ذات الشعر الذهبي اللمّاع.

لم تحمل الأختان من الوزيرين. وعندما اضطر الملك ذات يوم إلى السفر، استدعى الأختين للإقامة مع زوجته الحامل، والتي أنجبت في غيابه صبياً جميلاً، ظهر معه في السماء نجم شديد الحمرة. فاتفقت الأختان في ما بينهما على رمي

Twitter: @ketab_n

الصبي في النهر (أظن أنه كان نهر الفيزر) وفي لحظة رميه طار عصفور صغير عالياً وغنى بصوت شجي:

موعد لقائك بالموت،

تحدده مشيئة الرب وحده.

فاصمد أيها الصبي الشجاع،

مؤقتاً، كباقة من الزنابق!»

عندما سمعت الزوجتان ذلك داهمها فزع شديد وهربتا من المكان بسرعة. وعندما رجع الملك من رحلته قالتا له إن الملكة قد أنجبت كلباً، فقال الملك: «كل ما يأتي من الرب خير».

بيد أن صياد سمكٍ كان يعيش على شاطئ النهر، اصطاد الصبي وأخرجه من الماء وهو لايزال حياً، فأنقذه. وبما أن زوجته لم تنجب أطفالاً، فقد ربياه عندهما.

بعد نحو سنة سافر الملك مجدداً، وكانت زوجته حامل، فأنجبت صبياً ثانياً، أخذته الأختان الغادرتان ورمتاه أيضاً في النهر. وعندها طار العصفور محلقاً، وغنى بصوته الشجي:

موعد لقائك بالموت،

تحدّده مشيئة الرب وحده.

فاصمد أيها الصبي الشجاع،

مؤقّتاً، كباقة من الزنابق!»

وحينما عاد الملك من سفره أخبرته الأختان أن الملكة قد ولدت كلباً، فقال

Twitter: @ketab_n

ثانيـة: «كل ما يأتي من عند الرب خير». وكان الصيـاد هذه المرة أيضاً قد أخرج الصبي ورباه في داره.

سافر الملك مرة ثالثة، وأنجبـت الملكة فتاة صغيرة، رمتها الأختان الغادرتان أيضاً في النهر، فطار العصفور محلقاً وغنى بصوته الشجي:

موعد لقائك بالموت،

تحدده مشيئة الرب وحده.

فاصمدي أيتها الفتاة الشجاعة،

مؤقّتاً، كباقة من الزنابق!»

وعندما عاد الملك من سفره أخبرته الأختان أن الملكة قد أنجبت قطة، فغضب الملـك وأمـر برمي زوجته في السجن، حيث قضت سنـوات طويلة. خلال ذلك كان الأطفال الثلاثة قد كبروا برعاية الصياد وزوجته.

وذات مـرة ذهــب أكبرهـم مع صبيةٍ آخريـن لاصطياد السمــك، لكن الصبية الآخريـن رفضــوا وجوده معهم وقالــوا له: «دعنــا أيها اللقيـط واذهب في حال سبيلك!» اغتـمّ الصبي وحزن وسأل الصياد العجوز عن حقيقة الأمر، فأخبره بأنه قـد التقطه في شبكته من ماء النهر. فقال الصبـي إنه يريد الذهاب بحثاً عن والده. رجاه الصياد العجوز أن يبقى، ولكن دون جدوى، فاضطر للسماح له بالذهاب.

فانطلق ومشى عدّة أيام متواصلة، إلى أن وصل أخيراً إلى بحيرة ضخمة جداً، ورأى على ضفتها امرأة عجوز تصطاد، فخاطبها الصبي: «نهاركِ سعيد يا جدتي. يبدو أن انتظارك يطول هنا، حتى تصطادين سمكة، أليس كذلك؟» فأجابته المرأة: «شكـراً جزيلاً. ويبدو أن انتظـارك أنت سيطول حتى تجد والـدك! كيف ستعبر البحيرة؟» فقال الصبي: «علم ذلك عند ربي». فحملته المرأة العجوز على ظهرها

Twitter: @ketab_n

وعبرت به البحيرة، فاستمر في البحث عن أبيه طويلاً، ولكن من دون جدوى.

بعد مرور سنة على خروج الكبير، خرج الآن الأخ الثاني بحثاً عن أخيه، ووصل في طريقه إلى البحيرة الواسعة نفسها، وجرى معه مثلما جرى مع أخيه، فلم يبق في دار صياد السمك سوى الفتاة، التي أخذت تشكو مطالبة بأخويها، وطلبت أخيراً من الصياد أن يسمح لها بالبحث عنهما. وعلى طريقها وصلت الفتاة أيضاً إلى البحيرة الواسعة، وقالت للمرأة العجوز: «نهارك سعيد يا جدتي، أعانك الله في صيدك!» عندما سمعت العجوز هذه الكلمات أشرقت وصارت ودودة وقالت للفتاة: «شكراً جزيلاً يا ابنتي». وحملتها على كتفيها عبر البحيرة وأعطتها عصا، ثم قالت لها: «تابعي طريقك يا ابنتي على هذا الدرب مباشرة. وعندما تعبرين بكلب ضخم أسود، ابقي صامتة وجسورة، لا تنظري إليه ولا تضحكي. تجاوزيه وستصلين إلى قصر مفتوح، فأسقطي عصاك على العتبة، واخترقي القصر مباشرة إلى الجانب الآخر، حيث ستجدين بئراً قديمة وقد انبثقت منها شجرة ضخمة باسقة، سترين عليها طائراً في قفص، خذي القفص معك، وخذي معك كأساً مملوءة بماء البئر أيضاً، وارجعي على عقبيك على الدرب نفسه. تناولي عصاك عند عتبة القصر المفتوح، وعندما تصلين ثانية إلى الكلب الضخم الأسود اضربيه بالعصا على وجهه، واحرصي أن تصيبيه، وعودي إلي هنا».

على الطريق وجدت الفتاة كل الأمور مثلما وصفتها المرأة العجوز، وعلى طريق عودتها حاملة القفص والكأس، عثرت على أخويها، الذين جالا نصف الدنيا، بحثاً عن الوالد وعن بعضهما. مشوا معاً حتى التقوا بالكلب الأسود، فضربته الفتاة بالعصا على وجهه، فانفكّ عنه السحر ورجع أميراً وسيماً. رافقهم إلى البحيرة الواسعة، حيث وجدوا المرأة العجوز التي فرحت فرحاً عظيماً برؤيتهم جميعهم معاً. ثم حملتهم بالتتالي عبر البحيرة، وذهبت في طريقها، فقد انفك السحر عنها أيضاً. أما البقية فتابعوا طريقهم إلى دار صياد السمك العجوز، وكان الجميع سعداء مبتهجين بلمّ شملهم مجدداً.

Twitter: @ketab_n

علقت الفتاة قفص الطير على جدار الدار، وخرج الأخ الثاني ليصطاد بالقوس والنبال، وحينما تعب جلس وعزف مقطوعة على الناي، فسمعه الملك الذي كان قد خرج أيضاً إلى الصيد. فاتجه نحو مصدر الصوت، وعندما التقى بالفتى سأله: «من سمح لك بالصيد هنا؟» فأجاب الفتى ببراءة: «لا أحد». فسأله الملك: «ابن من أنت؟» فأجاب الصبي: «أنا ابن صياد السمك»، فاعترض الملك قائلاً: «ولكنه لا أولاد لديه!» فقال الفتى: «إذا كنت لا تصدقني فتعال معي!» فذهب الملك معه وسأل الصياد عن الحقيقة، فأخبره بكل شيء عن الثلاثة، أما الطائر في القفص على الجدار فصدح مغنياً:

أمهم تجلس وحيدة،

في الزنزانة الصغيرة.

أيّها الملك النبيل،

هؤلاء أبناؤك من دمك.

الأختان الفاسدتان كلتاهما

آذتا الأطفال بقسوة،

رمتاهم إلى قعر النهر،

حيث وجدهم الصياد».

ارتعب الجميع مما قاله الجميع، فأخذ الملك القفص والصيّاد والأبناء الثلاثة إلى القصر الملكي، حيث أمر بفتح السجن وإحضار زوجته إليه. كانت الملكة مريضة جداً وفي حالة بائسة، فسقتها ابنتها من ماء البئر، فاستعادت صحتها وعانقتها. أما الأختان الغادرتان فقد أُحرقتا علناً، في حين تزوجت الابنة من الأمير.

Twitter: @ketab_n

(٩٧)

ماء الحياة

في قديم الزمان كان هناك ملك، أصيب بمرض عضال ولم يصدق أحد أنه سينجو بحياته منه. وكان عنده ثلاثة أبناء حزنوا لمرضه ونزلوا إلى حديقة القصر وأخذوا يبكون، فالتقوا هناك برجل سألهم عن مُصابهم، فأخبروه أن أباهم مريض طريح الفراش وعلى شفا الموت، فالأطباء لم يعرفوا دواءً يشفيه، فقال لهم العجوز: «أنا أعرف دواءه، إنه ماء الحياة، إذا شرب منه فسيتعافى. لكن الحصول عليه أمر عسير». قال أكبرهم: «أنا سأحصل عليه»، وتوجه إلى الملك المريض ورجاه السماح له بالذهاب للبحث عن ماء الحياة، فهو الدواء الوحيد لشفائه. فأجابه الملك: «لا، فالخطر في ذاك كبير، وأنا أفضل الموت على أن أعرّضك للخطر». لكن أكبر الأبناء استمر في الإلحاح إلى أن أذن له بالذهاب. كان الأمير، بينه وبين نفسه يقول: «إذا أحضرت الماء فسأصبح الأقرب إلى قلب أبي وسأرث المملكة».

جهز الأمير نفسه وانطلق، وبعد أن قطع مسافة من الطريق، برز له قزم خاطبه قائلاً: «إلى أين بهذه السرعة؟» فأجابه الأمير بعجرفة واضحة: «لا داعي لأن تعرف، أيها القزم الغبي»، وتابع طريقه على جواده. غضب القزم من كلامه وتمنى له أمنية شريرة، دخل الأمير على أثرها في شق جبل، وكلما تقدم فيه كلما ضاق الشق أكثر فأكثر، إلى أن كاد جدار الجبل ينطبقان عليه، بحيث لم يعد قادراً على التقدم خطوة واحدة، ولا على الالتفاف بالجواد، ولا على الترجل عن السرج.

طال انتظار الملك المريض، لكن الأمير لم يعد. وعندها قال الأمير الأوسط:

Twitter: @ketab_n

«اسمح لي يا أبتي بالذهاب للبحث عن ماء الحياة»، وفكر في نفسه: «إذا كان أخي قد مات، فستكون المملكة من نصيبي». لم يشأ الملك بدايةً أن يسمح له، لكنه رضخ أخيراً. انطلق الأمير الأوسط على الطريق نفسه الذي سلكه أخوه، وقابل القزم الذي استوقفه وسأله: «إلى اين بهذه السرعة؟» فأجابه الأمير: «لا داعي لأن تعرف أيها القزم الغبي»، وتابع من دون حتى أن يلتفت. لكن القزم لعنه، فتورط مثل أخيه في الدخول في شق جبل، ولم يعد قادراً على التقدم ولا على الرجوع. فهكذا تكون نهاية المتعجرفين.

عندما لم يعد الأمير الثاني أيضاً، طلب أصغرهم الذهاب لإحضار ماء الحياة، واضطر الأمير أخيراً للسماح له، وحينما قابل الأميرُ القزمَ الذي سأله عن وجهته وسبب سرعته، توقف وأجابه: «إني أبحث عن ماء الحياة، فأبي على شفا الموت:، فسأله القزم: «وهل تعرف مكان وجوده؟» فأجاب: «لا، لا أعرف». فقال له القزم: «بسبب سلوكك اللائق، وعدم التكبر مثل أخويك المنافقين، سأدلك على المكان وسأرشدك إلى كيفية الحصول على ماء الحياة. ينبع ماء الحياة من نافورة في فناء قصر مسحور. لكنك لن تتمكن من دخوله إنْ لم أزودك بعصا حديدية ورغيفي خبز. بالعصا الحديدية تقرع باب القصر الحديدي ثلاث مرات، فينفتح على مصراعية. سترى في الداخل أسدين فاتحين شدقيهما، فإذا رميت رغيفاً في فم كل منهما فسيهدآن، فأسرِعْ عندها واجلبْ ماء الحياة قبل الساعة الثانية عشرة، وإلاّ لانطبق عليك باب القصر وبقيت حبيساً».

شكره الأمير وأخذ منه العصا والخبز، وانطلق على الطريق حتى بلغ القصر، فوجد كل شيء مثلما قال القزم: انفتح الباب بعد الضربة الثالثة بالعصا، ورمى رغيفين للأسدين فسكنا، عندها دخل القصر ووصل إلى قاعة جميلة يجلس فيها أمراء مسحورون، فسحب خواتمهم من أصابعهم، ثم وجد سيفاً ورغيف خبز فأخذهما أيضاً. دخل بعد ئذ إلى غرفةٍ وجد فيها صبيةً جميلة واقفة، ابتهجت لِمرآه فقبلته وقالت إنه قد خلّصها من السحر وسيحصل بذلك على مملكتها كلها، وإذا عاد إليها بعد انقضاء سنة فسيحتفلان بعرسهما. ثم دلّته إلى مكان نبع

Twitter: @ketab_n

مـاء الحياة وقالت إن عليه أن يسرع ويأخذ حاجته منه، قبل أن تدق الساعة الثانية عشرة.

تابع الأمير جولته عبر القصر، ودخل أخيراً إلى غرفة فيها سرير جميل ومفروش ببياضـات نظيفة جديـدة، ولأنه كان متعباً، فقد أراد أن يرتـاح قليلاً، فاستلقى في السريـر وغفا، واستيقظ على صوت الساعة وهـي تدق الثانية عشرة إلا ربعاً. ققفز مـن السرير مرعوباً، وركض إلى النبع حيث ملأ زجاجة وجدها إلى جانبه وأسرع ليغـادر. وما كاد يتجاوز البوابة حتى انصفقت وراءه بقوة مع صوت الساعة وهي تـدق الثانية عشـرة، وبقي جزء من كعب حذائه عالقاً بيـن مصراعي البوابة، لكن الأمير كان سعيداً بحصوله على ماء الحياة.

انطلق على جواده عائداً إلى الوطن، ومرّ في طريقه بالقزم الذي رأى معه السيف ورغيـف الخبز، فقال له: «مكسبك عظيم أيها الأمير، فبهذا السيف يمكنك دحر جيوشـ، وهذا الخبز لا ينضب مهما أكلتَ منـه». لم يرغب الأمير في العودة إلى أبيه من دون أخويه، فقال: «ألا يمكنك يا عزيزي القزم، أن تخبرني بمكان وجود أخـوي؟ لقد خرجـا قبلي بحثاً عن ماء الحياة، ولـم يعـودا». فأجابه القزم: «إنهما عالقان في شق جبلٍ، نتيجة لعنتـي عليهما، لأنهما متعجرفان». فتوسل إليه الأمير طويلاً، حتى حررهما من أسرهما، لكن القزم حذّره منهما قائلاً: «احترس منهما، فقلباهما أسودان».

عندمـا وصـل الأمير إلى أخويه فـرح بسلامتهما، وأخبرهمـا بما جرى معه، بأنـه عثر على ماء الحياة ومـلأ منه كأساً، وأنه حرر أميرةً حسناء من طوق السحر، ولسوف تنتظره عاماً كاملاً ليحتفلا بعرسهما ويحصل على مملكتها الواسعة.

انطلقـوا بعد ذلك على جيادهم، فمـرّوا ببلدٍ تسوده الحـرب والمجاعة، إلى درجة أنْ اعتقد ملكها بأن حكمه سينهار. فدخل عليه الأمير وأعطاه رغيف الخبز الـذي أشبع بـه سكان مملكته وجيشه، ثـم أعطاه السيف الـذي دحرجه جيوش الأعداء واستعاد الاستقرار والسلام. استرد الأمير بعدها خبزه وسيفه وتابع الأخوة

Twitter: @ketab_n

الثلاثة طريقهم، فمروا ببلدين تسود فيهما حروب ومجاعة، وبالتالي قدم الأمير سيفه وخبزه للملكين، فأنقذ بذلك ثلاثة ممالك حتى الآن.

ثم ركب الأخوة سفينه عبرت بهم البحر. وفي أثناء الرحلة قال الأميران الأكبران لبعضهما: «أصغرنا عثر على ماء الحياة، وليس نحن. لذلك سيمنحه والدنا المملكة، وهي من حقنا نحن، فيقضي بذلك على مستقبلنا وسعادتنا». فثارت في نفسيهما مشاعر الانتقام، واتفقا على تدمير أخيهما. انتظرا ذات يوم حتى غرق في سبات عميق، فأخذا ماء الحياة من زجاجته لنفسيهما، وصبّا بدلاً عنه ماء البحر المالح.

عندما وصلا إلى الوطن قدم الصغير كأساً لأبيه ليشرب منه ويشفى، لكنه ما أن شرب قليلاً من ماء البحر المالح حتى ازداد مرضه، فاشتكى متذمراً، فجاء الكبيران ودسّا على الصغير أنه يبغي تسميم أبيه، في حين أنهما قد أحضرا له ماء الحياة الحقيقي، وقدما له كأسهما. ما كاد الملك يشرب منه قليلاً حتى شعر بأن مرضه يزول وجسمه يقوى كما في أيم شبابه. بعد ذلك ذهب الإثنان إلى ثالثهم، فسخروا منه وقالا: «صحيح أنك قد عثرت على ماء الحياة، لكنك حصدت الجهد، وفنا نحن بالأجر. كان يُفترض بك أن تكون فطناً وتفتح عينيك جيداً، فلقد أخذنا منك ماء الحياة أثناء نومك في السفينة. وبعد انقضاء سنة سيذهب أحدنا نحن الاثنين ليفوز بالأميرة الحسناء ومملكتها. أما أنت فإياك أن تلفظ بنتَ شفة وتغدر بنا، فوالدنا على كل حال لن يُصدّقك. وعلى الرغم من ذلك، إنْ وشيت بنا فستدفع حياتك ثمناً لذلك، أما إنْ صمتّ فسنهديك إياها».

غضب الملك على أصغر أبنائه غضباً شديداً، لظنّه أنه كان ينوي قتله. فاستدعى مستشاريه إلى اجتماع نطق فيه بالحكم عليه بأن يُقتل بالرصاص على أن يبدو الأمر خطأ. وعندما خرج الأمير إلى الصيد، خالي الذهن من أي شر، كلّف الملك صياده الخاص بمرافقته وتنفيذ الحكم فيه. وبينما كانا يتوغلان في الغابة، لاحظ الأمير حزناً بادياً على وجه الصياد، فسأله: «ماخطبك يا عزيزي الصياد؟» فأجابه:

Twitter: @ketab_n

«لا يجوز لي أن أُفصح، ولكن يجب عليَّ ذلك». فقال له الأمير: «تحدث بصراحة تامة، وسأعـذرك»، فقال الصياد: «أنا مكلف بقتلك بالرصاص. إنه أمر الملك». فـزع الأمير وقال: «يا عزيزي الصياد، دعني أعيش. ولنتبادل الثياب، خذ بدلتي الملكية وأعطني ثيابك البسيطة». فقال الصياد: «بكل سرور أيها الأمير. ما كان قلبي ليطاوعني على قتلك». تبادلا الثياب وعاد الصياد إلى داره، فيما تابع الأمير توغله في الغابة.

بعد مدة قصيرة وصلت إلى الملك ثلاث عربات محمّلة بالذهب والجواهر، هدية لابنه الأصغر من ملوك البلدان الثلاثة، لمعونته إياهم، بسيفه على دحر جيوش الأعداء، وبخبزه على إطعام شعوبهم، فأراد بهذه الهدايا التعبير عن امتنانهم. ففكر الملك: «أيمكن أن ابني كان بريئاً؟» وقال لأفراد حاشيته: «ليته ما زال حياً. كم أشعر بالأسى لأمري بقتله». فنهض الصياد قائلاً: «إنه لا يزال حياً. لم يطاوعني قلبي على تنفيذ أمركم»، وحكى للملك ما جرى. وعندها سقطت عن قلب الملك صخرة، وأعلن في جميع البلدان العفو عن ابنه والسماح له بالعودة إلى الوطن.

أما أميرة القصر المسحور فقد أمرت ببناء شارع أمام قصرها وفرشته بالذهب اللمّاع، وقالت لحرسها إنّ مَن يأتي إليها عبر الشارع مباشرة فهو من تنتظره حقيقةً، فعليهم السماح له بالدخول. أما مَن يأتيها من جانب الشارع الذهبي، فلن يكون الحقيقي، فعليهم ألا يُدخلوه.

وحينما شارفت السنة على الانتهاء فكر الأمير الأكبر بأن عليه الإسراع إلى الأميرة والزّعم بأنه مخلصها، فيفوز بها زوجة إضافة إلى مملكتها. فانطلق إليها على جواده، وعندما اقترب من القصر وشاهد الشارع الذهبي الجميل، فكّر: «إنه لمن المؤسف أن أدوس الذهب» ووجّه جواده إلى جانب الشارع الأيمن وتقدم. لكنهم أخبروه عندما وصل إلى البوابة إنه ليس الشخص الحقيقي، وأنّ عليه الرجوع من حيث أتى. وسرعان ما جاء الأمير الأوسط، وحينما وصل إلى الشارع الذهبي ووطأت قدم جواده الذهب، فكر: «إنه أمر مؤسف أن يتخلى

Twitter: @ketab_n

المرء عن كل هذا»، ووجه جواده إلى جانب الشارع الأيسر وتقدم. لكنهم أبلغوه عندما وصل إلى البوابة إنه ليس الشخص الحقيقي، وأن عليه الرجوع من حيث أتى.

وحينما انتهت السنة حقاً، انطلق الأمير الأصغر، من الغابة قاصداً حبيبته لينسى أحزانه عندها، وكان ذهنه طوال الطريق مشغولاً بفكرة الوصول إليها، فلم ير الشارع الذهبي إطلاقاً، فعبره من منتصفه فوق الذهب حتى بوابة القصر، التي فُتحت له، واستقبلته الأميرة بفرح وسرور هاتفةً إنه مخلّصها وسيد المملكة، وأقيمت الاحتفالات بعرسهما في سعادة غامرة. وبعد انتهاء الاحتفالات أخبرته بأن أباه قد عفا عنه ورجاه العودة، فعاد مباشرة وأخبر أباه بكل شيء، بغدر أخويه وخيانتها، وبأنه كان مضطراً للصمت. أراد الملك إنزال العقاب بهما، كانا قد هربا في سفينة عبر البحر، ولم يعودا إلى المملكة طوال حياتيهما.

Twitter: @ketab_n

(٩٨)

الدكتور العليم

يحكى أنّه كان هناك فلاح فقير اسمه سرطان، ملأ بالحطب عربته التي يجرها ثوران ونزل بها إلى المدينة، وباع حمل الحطب كله لدكتورٍ بدينارين. عندما دُفع له المال، كان الدكتور لحظتها جالساً إلى المائدة، فراقبه الفلاح وهو يتمتّع بطعامه وشرابه، وتمنى بكل جوارحه، لو أنه كان دكتوراً، وبقي واقفاً في مكانه فترة، إلى أن سأل الدكتور أخيراً ما إذا كان من الممكن أن يصير دكتوراً. فأجابه الدكتور: «طبعاً يمكن، وبسرعة أيضاً». فسأله الفلاح: «وماذا يتوجب علي أن أفعل؟» فأجابه الدكتور: «اشترِ أولاً (كتاب الألف باء) من السلسلة التي شعارها صورة الديك الصيّاح(ح). ثانياً، عليك ببيع عربتك وثيرانك، واشترِ بالمال ثيابَ ولوازم الدكترة. ثالثاً، دع الخطّاط يكتب لك لافتة عليها الكلمات الآتية: (أنا الدّكتور العليم) وثبّتها بالمسامير فوق باب دارك!» نفّذ الفلاح كل ما قيل له. وبعد أن مارس الدكترة نوعاً ما، وليس لفترة طويلة، حدث أن سُرق مبلغ كبير من المال من شخصيّة ثريّة ذات نفوذ، ووصل إلى سمع الرجل اسم الدكتور العليم وعنوانه في القرية كذا وكذا، وأنه قادر على كشف مكان المال المسروق. أمر الرجل الثري بتجهيز عربته وركبها إلى قرية الدكتور العليم وقرع بابه، وسأله ما إذا كان هو نفسه الدكتور العليم، فجاءه الجواب نعم أنا، فقال له الثري أنّ عليه إذن المجيء معه لاستعادة المبلغ المسروق. فأعرب الدكتور العليم عن استعداده، بشرط

ح- سلسلة كتب لتلاميذ المدارس الإبتدائية. وصورة الديك تدل على ضرورة الاستيقاظ باكراً لمراجعة الدروس قبل الذهاب إلى المدرسة.

Twitter: @ketab_n

أن ترافقــه زوجته غريتِه. وافق الثـري وأجلسهما في عربته وانطلقوا إلى قصر الثري.

عندما وصلوا كانت مائدة الطعام ممدودة، فدعاه الثري لمشاركته، فقبل الدكتــور العليم بشــرط أن ترافقه زوجتــه غريته، وجلس معهــا إلى المائدة. وحينمــا دخل الخــادم الأول حاملاً صحفة طعام شهــي، لكز الفلاح زوجته وقال: «غريته، هذا أولهم»، وكان يقصد الطبق الأول من الوجبة. أما ما فهمه الخــادم فكان: «هــذا أول اللصوص»، ولأنه كان حقاً أحــد اللصوص، فقد فزع وانسحب وقال لزملائــه: «الدكتور يعلم كل شيء، سيكشف كل شيء، لقــد قال إنني أولهم». تمنَّع الخادم الثاني عن الدخول إلى غرفة الطعام، لكنه كان مضطــراً. وحالما دخــل حاملاً طبقه بين يديه، لكــز الفلاح زوجته ثانية وقــال: (غريته، هذا هو ثانيهم». ففزع الخادم الثاني أيضاً وأسرع بالخروج. ولم يكن حال الخادم الثالــث أفضل من سابقيه، إذ قال الفلاح: وغريته، هذا ثالثهــم». كان على الخادم الرابع أن يدخل بطبق مغطى، فرجا الثريُ الدكتورَ أن يبــدي فنونه وأن يحزر ما تحــت الغطاء، وكانت سرطانات مطبوخة. نظر الفــلاح إلــى الطبق المغطى من دون أن يجد حلاً يسعفــه، فقال: «مسكين يا سرطان!» عندما سمع الرجل الثري ذلك هتف: «هاها، إنه يعلم، ولا شك في أنه يعرف أيضاً من الذي سرق المال».

أمــا الخادم فقد هلع هلعاً شديداً وغمــز الدكتور بأن يخرج قليلاً، فخرج، وعندهــا اعترف له الخدم الأربعــة بأنهم قد سرقوا المــال، وأنهم مستعدون لتسليمــه إياه إضافة إلى مبلغ كبير، على أن لا يشي بهم، وإلا لَشُنقوا. وقادوه إلى المكان الذي خبؤوا فيــه المال المسروق. أبدى الدكتور رضاه تجاههم وعــاد إلــى غرفة الطعام، فجلس إلــى المائدة وقــال: «الآن سأراجع كتابي يا سيدي، لأعرف مخبأ النقود». في أثناء ذلك تسلل الخادم الخامس إلى داخل الموقــد ليسمع عبر أنبوب المدخنــة ما إذا كان الدكتور يعلــم أموراً أخرى، فيما أخذ الدكتور يقلِّب صفحات «كتاب الألف باء» باحثاً عن صورة الديك

Twitter: @ketab_n

الصيّـاح، ولأنه لم يجدها فوراً، قال: «أنـا أعرف أنك هنا، هيا اظهر!» فظن الخـادم المختبئ أنه مفقود، فقفز خارجاً من الموقـد وهو يصيح: «إنه عليم بكل شيء».

ثـم أرشد الدكتور العليم الرجـلَ الثري إلى مخبأ ماله المسروق، ولكنه لم يشي بأسماء اللصوص، فحصل من كل طرف على مكافأة كبيرة وصار رجلاً شهيراً.

Twitter: @ketab_n

(٩٩)

مارد القمقم

يحكـى أنه كان هناك حطّاب فقيـر يشتغل من الصباح حتـى وقت متأخر من المسـاء. وعندمـا تمكن من توفيـر مبلغ من المـال، قال لابنه الفتـى: «أنت ابني الوحيد. لذلك أريد أن أخصص النقود التي جمعتها بعرق جبيني من أجل تعليمك. فإذا تعلمتَ شيئاً مفيـداً، فستقدر على إعالتي في شيخوختي عندما تتيبّس أطرافي وأصبح قعيد الدار.

فانتسـب الفتى إلـى مدرسة، أبدى فيهـا شطارته فامتدحه معلمـوه، وأمضى مـدة هناك. وبعد أن اجتـاز صفين بنجاح، وقبل تقديم امتحـان الشهادة، نَفَذَت مدخرات أبيه القليلـة، فاضطر الفتى إلى ترك المدرسة والعودة إلى الدار. فقال له والده: «يؤسفني ألا أستطيع أن أقدم لك المزيد. وفي أيام الغلاء هذه ما عدتُ قادراً على كسب أكثر من مصروف يومي». فقال الفتى: «لا تهتم يا والدي الحبيب، إن شاء الله سيكون الخيرُ أمامي، وسأبذل جهدي من أجل ذلك».

عندمـا أراد الوالـد الخروج إلى الغابة للتحطيب ولجمـعِ حملِ حطبٍ لبيعه، قـال له ابنه: «أريد أن أذهـب معـك لأعاونك»، فقال أبوه: «سيصعب عليك ذلك يـا ولدي، فأنت غير معتاد على العمل القاسي، لن تحتمل. ثم لا أملك سوى فأس واحـدة، ولـم يتبق من النقود ما يكفي لشراء فأس جديـدة». فقال الفتى: «اذهب إلى جارنا يا أبي ودعه يعيرُك فأسه إلى أن أوفر ثمن واحدة جديدة». استعاد الأب فأساً من جاره، وعند فجر اليوم التالي خرج الأب وابنه معاً إلى الغابة. عاون الابن أبـاه بنشاط وحيوية. وعندما وصلـت الشمس إلى قبة السماء فوقهما، قال الأب:

Twitter: @ketab_n

«ستستريح الآن ونتناول طعام الغداء، وبعد ذلك سيتضاعف نشاطنا». أخذ الابن قطعة خبزه بيده وقال: «استرخ أنت يا أبي، أنا لست متعباً، سيُتعبك المشي ولن تكون قادراً من بعد على رفع ذراعك». فقال له الأب: «ابقَ هنا واجلس معي». لكن الابن مشى في الغابة، أكل خبزه مبتهجاً، وهو يتفحص الأغصان الخضراء علّهُ يكتشف عشاً مليئاً بالبيض.

استمر يتجول هنا وهناك إلى أن وصل إلى شجرة سنديان هائلة مخيفة، يزيد عمرها عن مئات السنين، ولا يستطيع حتى خمسة رجال على الإحاطة بجذعها. توقف وهو يدقق النظر في أنحائها ويقول لنفسه: «لا بد أن طيوراً كثيرة قد بنت أعشاشها هنا». وفجأة خُيّل إليه أنه يسمع صوتاً. أنصت برهة، فسمع صوتاً عميقاً يقول: «أخرجوني،أخرجوني!» تلفت حوله، فلم يكتشف شيئاً، ولكن تبادر إليه أن الصوت يأتيه من تحت الأرض. فصاح: «أين أنت؟» فأجابه الصوت: «هنا تحت، عند جذور السنديانة. أخرجني،أخرجني!» أخذ الطالب الآن بتنظيف الأرض أسفل الجذع، باحثاً عن الجذور، إلى أن اكتشف أخيراً فجوة بين الجذور، وجد فيها زجاجة كالقمقم. رفعها عالياً ونظر إليها في ضوء الشمس، فرأى فيها شيئاً يشبه ضفدعاً يتقافز ويصيح: «أخرجني،أخرجني!» لم يخطر ببال الطالب أي سوء، فنزع سدّادة القمقم، وللتو تصاعد منها دخان شبحي، أخذ يكبر ويكبر بسرعة، إلى أن تحول في لحظات إلى مارد مرعب بحجم نصف شجرة السنديان، وهتف بالطالب بصوت مخيف: «أتعرف ماهي مكافأتك، لأنك أطلقتني؟» ومن دون خوف أجابه الطالب: «لا، ومن أي لي أن أعرف؟» فقال المارد: سأخبرك إذن، سأخلع رقبتك». فأجابه الطالب: «كان عليك أن تخبرني بهذا منذ البداية، لأبقيك سجيناً، وليبقى رأسك في مكانه، فرأسي يهم أناساً آخرين، لا بد من استشارتهم في الموضوع». فصاح المارد: «وما أهمية أن تزيدوا أو تنقصوا أنتم البشر؟ مكافأتُك المستحقّة لا بد من أن تحصل عليها. أتظنُّ أن مدة سجني الطويلة كانت رحمةً بي؟ بل كانت عقاباً، أنا مركوريوس الجبار، مَن يطلقني من أسري لابد من أخلع رقبته». فقال الطالب: «تمهل قليلاً، فما

Twitter: @ketab_n

الداعـي للعجلة! إذْ عليّ أن أتأكـد أولاً، من أنك أنتَ حقاً من كان في هذا القمقم الصغيـر. إذا استطعـتَ العودة إلـى القمقم حقاً فسأصدقـك، وعندها افعل بي ما شئـت». فقال المارد بكل غطرسة: «هذا أمر تافه»، وأخذ يتقلص ويصغُر وينحُل مثلما كان سابقاً، إلى أن دخل في القمقم عبر عنقه. وما أن صار بداخله حتى كبس الطالـب السدّادة فأغلقها، وأعاد القمقم إلى الفجوة بين جذور السنديانة. وهكذا انطلت الحيلة على المارد.

أراد الطالب الآن العودة إلى أبيه، لكن المارد ناداه من القمقم بتوسل: «أرجوك أطلقنـي، أرجوك أطلقني!» فأجابه الطالب: «لا، ليس ثانية. من أراد أن يقتلني لن أطلـق سراحه بعدَ أن تمكنتُ مـن أسره». فصاح المارد: «إذا حررتني فسأعطيك ما يكفيك طوال حياتك». فقال الطالب: «لا، سوف تخدعني كأول مرة». فقال المـارد: «لا تضيّع حظك من بين يديك! لن أمسك بسوء، بل سأكافئك بسخاء». ففكـر الطالب: «سأجازف، علّه يتمسـك بوعده ولا يؤذيني». فنزع السدادة عن القمقـم وخرج المارد كالمرة السابقة، وتمدد حتـى صار عملاقاً هائلاً، ثم قال: «وإليـك الآن مكافأتك!» وناول الطالبَ خرقةً تشبه الضماد، وأردف قائلاً: «إذا مسحـتَ بطرفها الأول جرحاً فسيشفى فـوراً، وإذا مسحتَ بطرفها الثاني فولاذاً أو حديـداً فإنه يتحول إلـى فضة». فقال الطالب: «سأجـرب ذلك الآن»، واتجه إلـى الشجرة وشق لحاءها بفأسه، ثم مسحَ الشق بطرف الضماد، وسرعان ما التأم الشـق، فقال للمارد: «لقد ثبتتْ صلاحيتُها، ويمكن لـكلٍ منا الآن أن يذهب في طريقـه». شكره المارد لتحريـره إياه، كما شكره الطالب علـى هديته ثم عاد إلى أبيه.

«أين سرحت ونسيت الشغل؟» سأله أبوه، وأردف: «كان رأيي من البداية أنك لـن تنجز شيئاً». فأجابه الطالب: «كن مطمئناً يـا أبي، سأعوّض الوقت الضائع»، فغضبَ الأبُ وقال: «نعم ستعوض. ما هكذا يكون الشغل!» فقال الطالب: «انتبه يا أبي، أترى هذه الشجرة؟ سأضربها الآن ضربةً بالفأس فأجعلها تهوي». وتناول خرقتـه ومسح بها الفأس ثم هـوى بالفأس على الشجرة. ولكن بما أن الحديد قد

Twitter: @ketab_n

تحـول إلـى فضة فقد التوى النصلُ، فقال: «يا سلام يا أبـي، ما هذه الفأس الرديئة التـي أعطيتني إياها، ها قد التوى النصل». ارتعـب الأب وقال: «ماذا فعلت؟! لا بـد من أن أدفع للجار ثمن فأسـه، ولا أدري من أين. هذا ما استفدتُه من شغلك». فأجـاب الابن: «لا تغضب يا أبي. أنا سأدفعُ ثمن الفأس». فصاح به أبوه: «يا لك مـن أحمق! كيف ستدفع ثمنهـا؟ ليس معك سوى ما أعطيك إياه. هذا اسمه هذْل تلاميذ، لكنك لا تعرف شيئاً عن شغل التحطيب».

بعـد مدة قصيرة قال الطالب: «اسمع يا أبي، ما عاد بمقدوري أن أشتغل الآن، فلنتوقـف ونذهب!» فقال الأب: «أتريدني أن أضع يديّ في جيبي مثلك؟ عليَّ أن أكـدح بعدْ. أما أنت فبإمكانـك العودة إلى الدار». فقال الطالـب: «أنا في الغابة لأول مـرة اليوم، ولا أعرف طريق العودة وحدي، هيا اذهب معي». ولأن غضبَ الأبِ قـد هدأ، رضـخَ أخيراً لرجاء ابنه وعـاد إلى الدار. وهناك قـال لابنه: «خذ الفأس وبعْها بسعرٍ مناسب، وعليَّ أن أوفر الباقي لأدفع ثمنها لجارنا».

حمـل الابن الفأسَ إلى المدينة، حيث عرضَهـا على صائغ ذهب. قدَّر الصائغ سعر النّصل الفضي بعدَ أن وزنه بأربعمئة دينار، وقال: «ولكنني لا أملك الآن المبلغ كله». فقال له الطالب: «أعطني ما معك الآن، والباقي يبقى ديناً لي عندك». نقدَه الصائـغ ثلاثمئـة دينار وبقي مديناً له بمئة أخرى. ومن ثمـة عاد الطالب إلى الدار وقال لأبيه: «النقود معي يا أبي، اذهب واسأل الجار عن ثمن فأسه»، فقال الأب: «أعرف ثمنها، دينار وستة قروش». فقال الطالب: «أعطه إذن دينارين واثني عشر قرشاً، أي الضعف، وسيكونُ راضياً. معي ما يكفي من النقود، انظر!» وأعطى أباهُ مئة دينار وأردف قائلاً: «لن ينقصك شيء بعد الآن يا أبي، فعِشْ وتبحبحْ». فصاح الأب الكهل: «يا إلهي من أين لك هذه الثروة؟» فحكى له الابنُ كل ما جرى معه، معتمداً على حظه الذي أوصله إلى هذا الصيد الثمين.

خصص الطالب ما تبقى من النقـود لمتابعة تعليمه في الجامعة، وبما أن خرقة ضماده كانت تشفي كل الجروح، فقد أصبح أشهر جراحٍ في العالم.

Twitter: @ketab_n

(١٠٠)

شقيق الشيطان الصدئ

كان هنـاك ذات يوم جندي مُسرَّح من الجيش، مفلس تماماً ولا يدري كيف سيدبر خبز يومه. خرج إلى الغابـة هائماً على وجهه، وبعد مـدة قصيرة ظهر له قـزم صغير، كان الشيطان بعينه. سأله القزم: «ما بك؟ تبدو مكتئباً حزيناً». فأجابه الجنـدي: «إني جائـع، ولا أملك نقوداً». فقـال الشيطـان: «إذا اشتغلت عندي وصـرت خادمي فسيكـون لديك ما يكفيك طوال حياتـك. ستخدمني مدة سبع سنيـن ثم تعود حراً. ولكن عليك فـي أثناء ذلك، أن لا تغتسل، ولا تسرح شعرك، ولا تنـف أنفـك، ولا تقص أظافـرك ولا شعرك، ولا تمسح دمـع عينيك». فقال الجنـدي: «فلنبدأ فـوراً، إن لم يكن المطلوب أكثر من ذلـك» ورافق القزمَ الذي قـاده مباشرة إلى داخل جهنم، حيث أخبـره بواجباته: أن يوقد النار تحت القدور التي تحتوي على لحوم جهنم، وأن ينظف المكان، وأن يحمل الأوساخ إلى وراء البـاب، وأن يحافـظ على ترتيب كل شـيء. ولكنْ إنْ نظر مرة واحـدة إلى ما في داخـل القدور، فستكون عقوبته وخيمة. فأجاب الجنـدي: «اتفقنا، سأقوم بهذه الأعمال».

خـرج الشيطـان إلى جولاته المعهـودة، بينما بدأ الجندي عملـه، فأجج النار وكنـس الأرض وحمل الأوساخ إلى وراء الباب، فنفَّـذ كل شيء حسب الأوامر. حينما عـاد الشيطان تفقد الأمور ليطمئن إلى سيرها كمـا يجب، وبدا راضياً، ثم غادر ثانيـة. وعندها دقّق الجندي النظر في ما حولـه، فوجد جهنم مليئة بالقدور ونيرانـاً هائلة تتأجج تحتها، وكانـت القدور تغلي وتُطشْطِشُ. كانت لديه رغبة

Twitter: @ketab_n

عارمة في أن يلقي نظرة على ما في داخل القدور- لو لا أن نهاه الشيطان عن ذلك قطعياً.

بيد أن فضوله غلبه أخيراً، فرفع غطاء أحد القدور قليلاً ونظر، فرأى الرقيب المسؤول عنه في الجيش جالساً في القدر، فعلّق قائلاً: «آها، أراك هنا؟ كنتُ في يدك، وها أنتَ في يدي»، وأنزل الغطاء بسرعة، ووضع مزيداً من الحطب تحت القدر. ذهب بعد ئذ إلى قدر آخر ورفع غطاءه قليلاً ونظر، فرأى العريف المسؤول عنه في الجيش جالساً فيه، فعلّق قائلاً: «آهٍ، أراك هنا؟ كنتُ في يدك، وها أنت في يدي» أعاد الغطاء إلى مكانه ووضع كتلة خشب ضخمة تحت القدر كي تزداد درجة الغليان. ازداد فضوله وأراد أن يعرف من الموجود في القدر الثالث، فإذا به الجنرال، فعلق قائلاً: «آها، أراك هنا؟ كنتُ في يدك، وها أنتَ في يدي»، وأحضر منفاخ الهواء وشغّله على النار حتى توهجت تحت القدر.

وعلى هذا النحو أمضى الجندي خدمة سبع سنوات في جهنم، لم يغتسل في أثنائها ولم يسرح شعره، ولم ينف أنفه، ولم يقص أظافره ولا شعره، ولم يمسح دمع عينيه. انقضت السنوات بسرعة كبيرة ولكأنها نصف سنة فحسب. وعندما انتهت المدة بكاملها جاءه الشيطان وقال له: «والآن يا هانس، ماذا عملت؟» فأجابه: «أججت النيران تحت القدور، وكنست الأرض وحملت الأوساخ إلى وراء الباب»، فقال له الشيطان: «لكنك استرقت النظر أيضاً إلى ما في داخل القدور. من حسن حظك أنك أتْبعت ذلك بزيادة الحطب تحت القدور، وإلا لكنتَ فقدت حياتك. لقد انتهت مدة خدمتك الآن، فهل تريد العودة إلى دارك؟» فأجاب الجندي: «نعم، أريد أن أطمئن على أحوال أبي». فقال الشيطان: «لكي تحصل على مكافأتك المستحقة، اذهب واملأ حقيبة ظهرك من أوساخ ما وراء الباب، وخذها معك إلى بيتك. ولكن عليك أن تغادر من دون أن تغتسل أو تسرح شعرك، بل بشعر رأسك ولحيتك الطويلة، ومن دون أن تقص أظافرك، وبعينيك العكرتين. وإذا سُئلتَ: (من أين أنت قادم؟) فعليك أن تجيب: (من جهنم.) وإذا سُئلت: (من تكون؟) فعليك أن تجيب: (شقيق الشيطان الصدِئ، وهو ملكي

Twitter: @ketab_n

أيضـــاً.)) بقي الجندي ساكتـــاً ونفَّذ ما أمره به الشيطان. لكنـــه لم يكن راضياً عن مكافأتــه. وحالما وجد نفســـه في الغابة مجدداً، أنزل الحقيبــة عن ظهره ناوياً أن يرمـــي محتواها، لكنه عندما فتحها وجد أن الأوســـاخ صارت ذهباً خالصاً، فقال لنفسه: ((هذا لم يخطر ببالي))، وفرح جداً، ثم توجه نحو المدينة.

كان صاحـــب النُزل واقفاً ببـــاب نزله، وعندما رآه آتياً نحوه ارتعب من مظهره المخيـــف وكأنه فزاعة طيور مفزعـــة، وسأله: ((من أين أنت قـــادم؟)) فأجابه: ((من جهنم)). فتابع يسأله: ((ومن تكون؟)) فقال: ((شقيق الشيطان الصدِئ، وهو ملكي أيضـــاً)). لم يرغب صاحب النزل بهذا الضيف في نزله، ولكن عندما أراه الجندي الذهـــب، فتح له الباب بنفسه. طلب هانس أفضـــل غرفة وأجودَ ما عنده من طعام وشراب. أكل وشرب حتى الشبع، لكنه لم يغتسل ولم يسرح شعره بناء على أوامر الشيطـــان، بـــل استلقى في السرير ونـــام. أما صاحب النزل فلـــم تعب عن مخيلته حقيبـــة الضيف المليئة بالذهب، فلـــم يهدأ له بال حتى تسلل ليلاً إلى غرفة الضيف وسرقها.

عندمـــا استيقظ هانس في صباح اليوم التالـــي وأراد أن يحاسب صاحب النزل ويتابـــع طريقه، لـــم يجد حقيبته، فاختصر الموقف قائـــلاً لنفسه: ((هذه المصيبة لا ذنب لي فيها)). وعاد من فوره إلى جهنم، حيث شكى مصابه إلى الشيطان ورجاه أن يساعده. قال له الشيطان: ((اجلس، سأحممك وأقص شعرك وأظافرك وأنظف أنفـــك وعينيك)) وحالمـــا انتهى، ملأ له الحقيبة بالأوســـاخ ثانية وقال له: ((اذهب إلـــى النُزل وقل لصاحبه أن يعيد إليك الذهب، وإلا فإني آتٍ لآخذه بنفسي وأُشغِّله وقّاداً بدلاً منك)).

عـــاد هانســـ إلى النزل وقال لصاحبـــه: ((لقد سرقتَ ذهبي مـــن حقيبتي. إذا لم تُرجعـــه إليّ فستدخل جهنم بدلاً مني، وسيصير منظرك مفزعاً مثلما كان منظري)) فأعـــاد إليـــه الرجل ذهبه مع مبلـــغ إضافي، ورجاه ألا يفضحـــه، وبهذا صار هانس رجـــلاً ثرياً، وأراد الذهاب إلى دار والده. بيـــد أنه اشترى لنفسه على الطريق سترة

Twitter: @ketab_n

طويلــة قطنيــة بسيطة، على قياسه تمامــاً، وأخذ يتجول هنا وهنــاك عازفاً موسيقا تعلمهــا في جهنم من الشيطان. سمع ملــك البلاد العجوز بموسيقاه فطلبه ليعزف لــه، وقد سُرّ وانشرح لعزفه أيّما سرور، لدرجــة أن قرر تزويجه بأكبر بناته. لكنها عندما سمعت بأن من سيكون زوجها ليس سوى رجل عادي بسترة بيضاء، قالت: «أفضــل أن أُغرق نفسي إلى قاع البحر، على أن أُقــدم على هذا الزواج». فأعطاهُ الملكُ أصغر بناته، التي وافقتْ حباً بوالدها. وهكذا زُفَّ شقيقُ الشيطانُ الصدئ إلى الأميرة الصغيرة، وبعد أن ماتَ الملكُ العجوز فازَ بالمملكة كلها.

Twitter: @ketab_n

(١٠١)

فروة الدب

يحكـى عن شابٍ أنه تجند في الجيش مرتزقاً، فأبدى شجاعة وأبلى بلاء حسناً في خضـم المعارك. سارت أموره على ما يرام طوال مـدة الحرب، ولكن عندما أُبرمـت معاهدة السـلام، سُرِّح من الجيش، وقال له النقيب إنـه يمكنه الذهاب حيثما يريد.

كان والداه قد توفيا ولم يعد له دار تؤويه، فذهب إلى إخوته ورجاهم أن يعيلوه، ريثمـا تندلع الحرب ثانية. بيد أن إخوته كانـوا قُساة القلوب، فقالوا له: «ما شأننا بك؟ نحن لسنا بحاجة إليك. عليك أن تدبِّر نفسك».

لـم يعد يملـك الجندي من هذه الدنيا سـو بندقيته، فحملها علـى كتفه وقرر الخـروج إلى الدنيا الواسعة. وصل في طريقـه إلى مرج خاوٍ، سوى من مجموعة أشجـار على شكل حلقة. جلس تحت إحداها حزيناً وأخذ يفكر في مآله: «لا مال معي، ولم أتعلم مهنة سوى القتال، والآن عندما عُقِد السلام لم يعد يحتاجني أحد، أرى أنني سأموت جوعاً».

سمـع فجأة صوت هبَّةِ ريح، وحينما تلفت حوله رأى أمامه رجلاً غريباً واقفاً، مرتديـاً سترة خضـراء، يبدو ضخم الهيئـة، لكن إحدى قدميـه كانت ذات حافر حصـان، قبيحـة المنظر. بـادره الرجل الحديث قائـلاً: «أنا أعـرف ما ينقصك. ستكسـب مـن المال والأملاك بقدر مـا تُبدي من صلابة وعنـف. ولكن عليَّ أن أعـرف أولاً إذا مـا كنتَ خوَّافـاً، قبـل أن أستثمر مالي فيك بلا طائـل». فأجابه:

Twitter: @ketab_n

«جنديٌّ وخوافٌ، كيف يجتمعـان؟ ثم يمكنك أن تضعني على محك التجربة». فقال الرجل: «ليكن إذن، التفتْ خلفك!» استدار الجندي فرأى دباً كبيراً هاجماً عليـه وهو يزمجـر، فصاح: «ياه، سأدغـدغُ بوزَكَ للتوقف عـن الزمجرة»، ولقَّم بندقيتـه وأطلق النـار، فأصاب الدب في فمه فخر صريعـاً. فقال له الرجل: «أرى أن الشجاعـة لا تنقصك. ولكن ثمة شرط آخر للاتفاق، لا بد من تنفيذه». فأجابه الجندي وقـد أدرك هوية الرجل الذي يواجهه: «أوافق إنْ لم يتعارض مع إيماني، وإلاّ فـلا». فأجاب ذو السـترة الخضراء: «هذا ما ستحكـم عليه بنفسك. خلال السنـوات السبع القادمة لا يجوز لـك أن تغتسل أو تسرح شعـر رأسك ولحيتك أو أن تقصـ أظافرك أو شعرك، ولا يجوز لـك أن تصلّي. سأعطيك سترة ومعطفاً عليـك لبسهمـا خلال هذه المـدة. إذا متَ خلال هذه السنـوات السبع فروحك لـي، وإذا بقيت حياً، فستكون حراً وغنياً طـوال حياتك». فكر الجندي بضائقته الشديـدة التـي يعانيها، وبما أنه قد واجه الموت مـرات عديدة، قرر أن يجازف، فوافق. خلع الشيطان سترته الخضراء، ناولها للجندي وقال: «عندما تكون مرتدياً هـذه السترة وتمد يدك إلـى جيبها ستجده دائماً مليئاً بالنقود». ثم سلخ عن الدب فروته، ناولها للجندي وقال: «وهذه ستكون معطفك وسريرك الدائم، إذ لا يجوز لـك أن تنام في سرير آخـر. وبسبب هذا اللباس سيصبـح اسمك (فروة الدب)»، واختفى فجأة مثلما ظهر.

لبسـ الجندي السترة الخضراء، ومد يـده فوراً إلى جيبها فتبيَّنت له حقيقةُ الأمر وجدّيته. ثم وضع فروة الدب على كتفيه ودخل الدنيا من بابها الواسع، فجرب كل ما تيسّر، مما يمكن للمال أن يحققه. في السنة الأولى مشت الأمور بشكل معقول، أما في السنة الثانية فقد صار مظهره مثل وحش مخيف، إذ غطى الشعر وجهه كله تقريبـاً، وصارت لحيته أشبه بخرقة لبّاد خشن، كما صار لأصابعه مخالب. وكان وجهـه على درجة من الوساخـة بحيث إذا بذر المر فيه بـذور جرجير لأنتَشت. كان مـن يراه يهرب منه، ولكن بسبب كرمه تجـاه الفقراء، حيثما حل، كي يدعو لـه بالبقـاء خلال هذه السنوات السبـع، ولأنه كان يسـدد حساباته بسخاء رفت،

Twitter: @ketab_n

فقد كان يحصل على مكان للمبيت حيثما ذهب. في السنة الرابعة جاء إلى فندق فرفض صاحب الفندق استقباله، ولا حتى أن يعطيه مكاناً في الاصطبل، خشية أن تجفل الخيول. ولكن بعد أن مدَّ فروةُ الدب يده إلى جبينه وأخرجها مملوءة بالدنانير، لأن صاحب الفندق وأعطاه غرفة في البناء الخلفي، وأخذ منه وعداً بألا يدعَ أحداً في الفندق يراه، حفاظاً على سمعة المحل.

مساءً، عندما جلس في الغرفة وحده، وتمنى من كل قلبه أن تنقضي السنوات المتبقية بأسرع ما يمكن، سمع من إحدى الغرف المجاورة نواحاً عالياً، وبما أنه رقيقُ القلب فقد فتح الباب، ورأى رجلاً عجوزاً يبكي بحرقة وهو يسند رأسه بيديه. اقترب منه فروةُ الدب، فقفز الرجل ناوياً الفرار، لكنه عندما سمع صوتاً بشرياً، تمهل، حتى تمكن فروةُ الدب بكلماته الودودة من إقناعه بأن يبوحَ له بسبب همومه. فأخبره بأن ثروته قد ضاعت تدريجياً فبات معدماً مع بناته، لا يملك حتى أجرة الفندق، وهذا سيؤدي إلى سجنه. فقال له فروة الدب: «إذا كانت هذه هي كل همومك، فأنا معي ما يكفني من المال». واستدعى صاحب الفندق فحاسبه ووضع في جيب العجوز كيساً مملوءاً ذهباً.

عندما أدرك العجوز أنه قد تحرر من مشاكله، لم يدرِ وسيلةً للتعبير عن شكره، فقال له: «تعال معي. بناتي آياتٌ في الجمال، فاختر لك واحدة منهن زوجةً. ولن ترفض عندما تسمع بما قدمته لي. صحيح أن شكلك غريب نوعاً ما، لكنها ستعرف كيف تُصلح أمورك ثانية».

أعجبَ الاقتراحُ فروةَ الدب، فرافقه. عندما شاهدته الابنة الكبرى فزعت من هيئته إلى درجة أن صرخت وهربت. أما الثانية فبقيت واقفة، تفحّصته بعينيها من رأسه إلى قدميه ثم قالت: «كيف سأقبل برجل فقدَ هيئته البشرية؟ أكاد أقول إني أفضل الدبَ الحليق الذي زارنا مرة زاعماً أنه بشر. كان يرتدي على الأقل فراءَ الفرسان وقفازات بيضاء. لو كان قبيحاً فحسب لعوّدت نفسي عليه». أما الصغرى فقالت: «أبي الحبيب، لا بد أن يكون رجلاً طيباً، هذا الذي أنقذك من ضائقتك

Twitter: @ketab_n

الشديـدة. وإذا كنتَ قد وعدتـه بعروس فلا بد من الوفاء بوعـدك». ما يؤسف له هـو أن وجه فروة الدب كان مغطى بالشعـر والأوساخ، وإلا لرأى الإنسان الفرح العميـق الذي تبـدى عليه، حينما سمع هذه الكلمات. سحـب خاتماً من أصبعه، كسـره نصفين، احتفظ لنفسه بنصف، وكتب اسمه علـى النصف الثاني وأعطاها إياه راجياً أن تحتفظ به جيداً، ثم ودعها قائلاً: «أنا مضطر للتجوال ثلاث سنوات أخرى. إن لم أعد إليكِ بعدها فأنتِ حرة، لأني سأكون قد مت. ولكن ابتهلي إلى الرب أن يحفظ لي حياتي».

ارتـدت العروس ثياباً سـوداء، وكانت كلما فكرت بعريسهـا تغرورق عيناها بالدموع. ولـم تلقَ من أخيها سوى الهزء والسخريـة، فكانت كُبراهن تقول لها: «حـاذري عندمـا تمدين يدك إليـه، لئلا يضربـك بمخالبه!» في حيـن تقول لها الوسطى: «حاذري، الدببة تحب الحلو، فإن أعجبْتِه فسيلتهمك»، وتعود الكبرى لتقول: «ستكونين مجبرة دائماً على تنفيذ رغباته، وإلا فإنه سيزمجر في وجهك»، وتلحقهـا الوسطى قائلة: «لكـن العرس سيكون مسلياً جـداً، لأن الدببة يجيدون الرقص». كانت العروس تصمت محاولة ألا تتأثر بكلامهن.

أمـا فروة الدب فقـد تابع تجواله مـن مكان إلـى آخر في هذه الدنيـا، مقدماً مساعدتـه ما أمكنه، ومجزياً العطاء للفقراء كي يدعوا له. وأخيراً عندما انبلج فجر اليـوم الأخير من السنوات السبع، عـاد إلى المرج، حيث تشكل الشجراتُ حلقةً وجلس. لم يطل به الوقت حتى سمع صوت هبَّة ريح وانتصب أمامه الشيطان وهو يرمقـه باستياء، ثم رمـى إليه بدلته القديمة وطالبه بسترتـه الخضراء. فقال له فروة الـدب: «لم نصل إلى هذا بعد، عليـك أولاً أن تنظفني!» ولـم يكن بوسع الشيطان سـوى أن يجلب مـاء، ويحمم فروة الدب، ويقص أظافـره وشعره ويسرحه، فبدا مثل محارب شجاع وأكثر وسامةً من سابق عهده.

وبعد أن انسحب الشيطان أخيـراً مسروراً بخلاصه من تلك المهمة المبلولة، أحسَ فروةُ الدب وكأن صخرةً قد انزاحت عن قلبه. نزل إلى المدينة، اشترى بدلة

Twitter: @ketab_n

مخملية رائعة، ارتداهـا وركب عربة تجرها أربعة خيول وانطلق إلى دار عروسه. لـم يعرفه أحد من أهل الدار، وظنه الوالد ضابطـاً عسكرياً نبيلاً، فقاده إلى الغرفة التي تجلس فيها بناته. وأوحى إليه بالجلوس بين الابنتين الكبيرتين، اللتين صبّتا له النبيـذ وسكبتا في صحنه أطيب المأكـولات، وفي ظنهما أنهما لم يريا بعد أجمل مـن هذا الرجل. أما العروس فقد جلست قبالته في ثوب أسود، لم ترفع إليه عينيها ولـم تنبس ببنت شفة. وأخيراً عندما سأل الضيفُ الأبَ ما إذا كان سيعطيه إحدى بناتـه زوجةً، قفزت الكبيرتان وهرعتا إلى حجرتهن لارتداء أجمل وأفخر ثيابهن، فكل منهن كانت تظن أنها هي من وقع عليها الخيار.

ومـا أن بقي الضيف مع عروسه وحدهما، حتى أخرج من جيبه نصف الخاتم وأسقطه في قدح النبيذ،و دفعه نحوها على الطاولة، فأخذته وشربت منه، وعندما شاهدت نصف الخاتم فـي قعر القدح، أخذ قلبها يخفق بشدة. أخرجت النصف الثاني الذي كانت تربطه بشريط حول عنقها، فتبين أنهما يكملان بعضهما بصورة تامة. فقال لها: «أنا خطيبك الذي رأيته كفروة دب، لكنّ رحمةَ الرب أعادت إلي هيئتي البشرية فرجعتُ نظيفاً». واقترب منها وعانقها وقبّلها.

وفي تلـك اللحظة دخلـت الأختان بكامـل أناقتهما، وعندما رأتـا أن الرجل الوسيـم قد صار من نصيب الصغرى، ثـم سمعتا أنه هو نفسه فروة الدب، خرجتا غاضبتيـن حانقتين قانطتين. فرمت الأُولى نفسها في البئر وغرقت، أما الثانية فقد شنقت نفسها إلى غصن شجرة. مساءً قُرع باب الدار، وحينما فتحه العريس وجد أمامـه الشيطانَ ذا السترة الخضراء والذي قال له: «أترى، لقد قبضتُ الآن روحي بدلاً من روحك».

Twitter: @ketab_n

(١٠٢)

ملك السياج والدب

ذات يوم من أيام الصيف خرج الدب والذئب يتمشيان في الغابة، فسمع الدب تغريداً جميلاً، فقال: «قل لي يا أخي الذئب، أي طائر هذا الذي يغني بهذه الروعة؟» فأجابه الذئب: «إنه ملكٌ وعلينا أن ننحني أمامه». لكنه كان العصفور الملقب بملك السياج. فقال الدب: «إذا كان هذا هو، فإني أتوق إلى رؤية قصره الملكي، تعال ودلني إليه». فأجابه الذئب: «الأمور لا تسير حسب رغبتك، إذ لا بد من انتظار قدوم الملكة».

ولم يطل انتظارهما حتى جاءت السيدة الملكة حاملة طعاماً في منقارها، وكذلك الملك، وأرادا أن يطعما فراخهما. كان بودّ الدب أن يلحق بهما فوراً، بيد أن الذئب أمسكه من ذراعه قائلاً: «لا، عليك الانتظار، حتى يطير الملك والملكة ثانية». وبقيا يراقبان الفجوة، حيث يوجد العش في الشجرة وتراجعا. ولكن سرعان ما نفذ صبر الدب وأراد مشاهدة القصر الملكي، فتقدم نحو الشجرة ووجد أن الملك والملكة قد غادرا العش، فألقى نظرة داخل الفجوة ورأى خمسة فراخ أو ستة، فصاح مستغرباً: «أهذا هو القصر الملكي؟ إنه قصر بائس! وأنتم لستم أمراء بل مخادعين صغار». عندما سمع فراخ ملك السياج هذا الكلام، ثار غضبهم جداً وصاحوا معاً: «لا، لسنا كذلك، آباؤنا شرفاء أيها الدب، ولسوف نريك ذلك!» خاف الدب والذئب وعاد كل منهما إلى وِجاره وجلس متوفزاً.

أما الفراخ الصغار فتابعوا صراخهم وصخبهم، وعند عودة الوالدين حاملين الطعام، قال الصغار: «لن نذوق حتى ساق ذبابة ولو متنا جوعاً حتى تبيّنا بوضوح

Twitter: @ketab_n

مـا إذا كنا شرفـاء أم مخادعين: الدب كان هنا وعيَّرنا». عندهـا قال الملك الملمُّ بأمـور الحياة: «اطمئنـوا، فهذا ما سنحسمه». ثم طار مـع الملكة إلى أمام وجار الـدب وصاح باتجاه الداخل: «أيها الدب العجوز، لماذا عيّرت فراخي؟ ستكون عاقبـة ذلك عليـك وخيمة. سنحسـم الأمر في حـرب دموية». وبذلـك أعلنت الحرب على الدب، فتم استدعاء كل ما يدب على أربع من ثيران، وحمير، وأبقار، ووعـول، وغـزلان، وكل ما يسير على الأرض. أما ملك السيـاج فاستدعى كل مـا يطير في الهواء: من كبـار وصغار الطيور فحسب بل حتـى البعوض والدبابير والنحل والذباب.

عندما حان موعد بدء الحرب أرسل ملك السياج عناصر استطلاعه لمعرفة من هـو القائد العام لجيش العدو. كانت البعوضة أكثر هذه العناصر حيلةً، طارت في الغابة إلى حيث تجمعت قوات العدو، وحطت أخيراً تحت ورقة من الشجرة التي سيتـم تحتها الاتفاق علـى الإشارة السرية. كان الدب واقفـاً هناك، وقد استدعى الثعلـبَ وخاطبه قائلاً: «أنت أيها الثعلب أمكـر الحيوانات قاطبة، لذلك ستكون أنـت القائد العام وستقودنا». فأجابـه الثعلب: «حسن، ولكن ما هي الإشارة التي سنتفـق عليها؟» وعندمـا لم يجبه أحد تابع قائلاً: «أنا أمتلـك ذيلاً جميلاً وطويلاً وكثيفاً، يشبه تقريباً باقةَ ريش أحمر. عندما أرفعه عالياً كالراية، تكون الأمور على ما يـرام، وعليكم أن تهجموا. أما إذا أنزلته فاهربوا مـا استطعتم!» عندما سمعت البعوضة هذا طارت إلى جماعتها وأخبرت ملك السياج بكل شيء وبالتفصيل.

عندمـا بدأ نهار المعركـة، هجمت الدواب بهدير ارتجت لـه الأرض تحتها، وفي الوقت نفسه تقدم جيش ملك السياج جواً، في أزيز وهزيم تقشعِرُّ له الأبدان، والتحـم الجيشـان من كلا الجهتين. فـي الوقت نفسه أرسل ملـك السياج دبوراً ليحـط تحت ذيـل الثعلب ويلدغه ما أمكنـه وبقوة. وعندما تلقـى الثعلب اللدغة الأولى تشنج ورفع ساقه اليسرى، لكنه تحمل الألم وأبقى ذيله منتصباً. مع اللدغة الثانيـة اضطر إلى خفضه للحظة واحدة. أما مع اللدغة الثالثة فلم يعد الثعلب قادراً على الاحتمال، فصرخ وطوى ذيله بين ساقيه. عندما رأت الدواب ذلك اعتقدت

Twitter: @ketab_n

أن جيشها قد هزم وبدأت عملية الفرار، كلٌّ إلى وكره أو وِجاره، فكسبت الطيور المعركة.

طار الملك والملكة إلى فراخهما وصاحا: «ابتهجوا يا صغار، وكلوا واشربوا ما طاب لكم، فلقد كسبنا الحرب»، لكن الفراخ أجابت: «لن نأكل أو نشرب حتى يأتي الدب إلى أمام العش ويعتذر قائلاً إننا شرفاء». فطار ملك السياج إلى وجار الدب وصاح به: «اسمع أيها الدب، عليك أن تأتي إلى أمام عشنا وتعتذر لفراخي بقولك إنهم أبناء شرفاء، وإلا فإن عظامك ستُهرس هرساً». فخرج الدب مرتجفاً من الخوف وقدم اعتذاره. وعندها فقط أبدى فراخ ملك السياج رضاهم، فجلسوا مع أبيهم وأكلوا وشربوا وانبسطوا حتى ساعة متأخرة من الليل.

Twitter: @ketab_n

(١٠٣)

العصيدة الحلوة

كان هناك فتاة فقيرة تقية تسكن مع أمها وحدهما، ولم يكن لديهما ما تأكلانه. فخرجت الصبية إلى الغابة، حيث التقت هناك بإمرأةٍ عجوز كانت تعرف معاناتها مسبقاً، فأهدتها قِدْراً صغيراً، عليها عند استخدامه أن تقول له: «يا قدر اطبخ!» فيطبخ عصيدةَ ذُرة حلوةً وشهية. وعندما تقول له: «يا قدر قف!» فإنه يتوقف عن الطبخ. أحضرت الصبية القدر إلى أمها في البيت، فخلصتا بذلك من مشكلة الجوع والفقر، وصارتا تأكلان عصيدة حلوة متى شاءتا.

ذات مرة كانت الصبية خارج الدار فقالت أمها للقدر: «يا قدر اطبخ!» فبدأ يطبخ، وأكلت الأم حتى شبعت، ثم أرادت من القدر أن يتوقف، لكنها نسيت الكلمة. فتابع القدر الطبخ وطفح عن جوانبه، واستمر يطبخ ويطبخ حتى امتلأ المطبخ، ثم البيت كله، ثم الشارع، وكأنه يريد أن يشبع الدنيا كله. وحلت أزمة لم يعرف لها إنسان من حل. وأخيراً عندما لم يبق في المدينة سوى بيت واحد لم تغرقه العصيدة، عادت الصبية وقالت فقط: «يا قدر قف!» فتوقف عن الطبخ، وكلُ من أراد العودة إلى داره في المدينة كان عليه أن يفتح طريقه أكلاً.

Twitter: @ketab_n

(١٠٤)

الناس الأذكياء

ذات يوم تناول فلاح عصاه، المصنوعة من خشب البلوط، من زاوية داره وقال لزوجته: «اسمعي يا ترينِه، أنا سأسافر الآن، وسأعود بعد ثلاثة أيام. خلال هذا الوقت إذا جاء تاجر المواشي وأراد شراء بقراتنا الثلاث، فيمكنك بيعهن له، ولكن على الأقل بثلاثمئة دينار، لا أقل من ذلك، أسمعتِ؟!» فأجابته زوجته: «اذهب أنت، حماكَ الله. سأعمل حسبما قلت». فقال الفلاح: «طبعاً يا امرأة، فأنت في طفولتك سقطتِ مرةً على راسك، وهذه الخبطة ما زالت مؤثرة عليكِ حتى اليوم. ولذلك أنبهكِ، كي لا تُقدمي على عملٍ غبي، وإلا فإني سأجعل ظهرك أزرقَ من دون ألوان، بعصاي هذه التي أحملها بيدي، وستبقى الآثار على ظهرك طوال سنة، كوني على ثقة من ذلك».

وغادر الرجل الدار لقضاءِ أعماله. في صباح اليوم التالي جاء تاجر المواشي، ولم تحتج المرأة إلى الجدل معه، فما أن شاهد البقرات وسمع السعر حتى قال: «هذا سعر أدفعه بكل سرور، فالبقرات بصراحة تستحقه. سآخذهن معي الآن»، وفك أربطتهن وساقهن أمامه إلى خارج الاصطبل، وعندما صار على وشك مغادرة بوابة الفناء، أمسكت المرأة بكمه وقالت له: «عليك أن تدفع لي الثلاثمئة ديار أولاً، قبل أن أسمح لك بأخذهن». فأجابها: «صحيح تماماً، كل ما هنالك أني نسيت أن أربط محفظة نقودي حول خصري. ولكن لا تهتمي، سأترك عندك ضمانة ريثما أدفع المبلغ. سآخذ بقرتين فقط، وأترك الثالثة عندك كضمان». اتضحت الفكرةُ للمرأة،

Twitter: @ketab_n

فتركتـه يأخذ معه بقرتين، وقالت فـي نفسها: «كم سيفرح هانس عندما يرى تصرُّفي الذكي».

عـاد الفلاح فـي اليوم الثالث، مثلما قـال، وسأل امرأته من فـوره، ما إذا كانـت قد باعت البقرات، فأجابته: «طبعاً يا عزيـزي هانس، وبثلاثمئة دينار مثلمـا قلت. إنهـنّ لا يستحقَّن هـذا السعر، لكـن الرجل أخذهـن من دون جـدل». فسألها: «وأين النقود؟» فقالت: «النقود، ليست معي. نسي الرجل محفظة نقـوده، لكنه سيُحضـر المبلغ في القريب العاجـل، وقد ترك عندي ضمانةً جيدة». فسألها زوجهـا: «وما هي هذه الضمانة؟» فأجابته: «واحدة مـن البقـرات الثلاث. لن يحصـل عليها قبـل أن يدفع المبلغ. لقـد أحسنتُ التصـرف، فاستبقيت أصغرهن عنـدي، لأنها أقلهن استهـلاكاً للعلف». ثار زوجهـا غاضبـاً ورفع عصاه عاليـاً ليضربها بها حسبما هددهـا، لكنه أنزلها فجـأة وقال: «أنـتِ أغبـى إوزّة خلقها ربنا فـي دنياه الواسعـة، لكني أشفق عليـك. سأذهب إلى الطريق العام وأنتظر ثلاثـة أيام، عسى أن يمر بي من هو أغبـى منك. إذا نجحتُ فأنتِ حرة، أما إنْ لم أنجح فستحصلين على جزائك المستحق من دون نقصان».

خرج إلى الطريق العام الواسع، وجلس على حجر، منتظراً ما قد يأتي. رأى عربـة من ذات الجوانب قادمة نحوه، ورأى عليهـا امرأة واقفة في منتصفها، بـدل أن تجلسـ على حزمة القش الموجـودة على العربـة، أو أن تمشي إلى جانب ثوري الجر لتقودهما. قال الرجل لنفسه: «هذه على ما يبدو من النوع الـذي أبحث عنه»، فنهض عن الحجر وأخذ يمشـي أمام العربة جيئة وذهاباً مثل تائهٍ محتار. فسألته المرأة: «ما بك يا رجل؟ أنا لا أعرفك، من أين أنت؟» فأجابهـا: «أنـا سقطت من الجنة، ولا أدري كيف سأعـود. ألا تستطيعين أن تصعـدي بي في عربتك؟» فقالت المـرأة: «لا، فأنا لا أعرف الطريق. ولكن بمـا أنك قادم من الجنـة، فيمكنك أن تخبرني عن أحـوال زوجي، إنه هناك منـذ ثلاث سنوات، لا شك في أنك قد رأيته، أليس كذلك؟» فأجابها: «أظن

Twitter: @ketab_n

أني رأيته. ولكن كل الناس هناك بخير. إنه يرعى الغنم، والأغنام تُشقيه أحياناً بتسلقها الصخور وتوغلها في الغابة، فيضطر إلى الركض وراءها لجمعها. وقد نحل جسمه وصارت ثيابه فضفاضة، تكاد تسقط عن جسمه. وهناك في السماء لا يوجد خياطون، فالقديس بطرس، كما تعرفين من الحكاية، لا يسمح لأي منهم بالدخول». فقالت المرأة: «من كان يظن هذا! اسمع، سأحضر له بدلة يوم الأحد، إنها ما زالت معلقة في الخزانة، يمكنه أن يرتديها هناك بكل فخر. هلا أخذتها له معك رجاءً!؟» فأجابها الرجل: «يصعب هذا، إذ يُمنع إدخال الثياب إلى السماء، إنهم يصادرونها عند البوابة». فقالت المرأة: «اسمع إذن! البارحة بعتُ محصولي من الحبوب وكسبت به مبلغاً محترماً، بودي أن أرسله إليه. إذا وضعتَ كيس النقود في جيبك فلن يلاحظه أحد». فقال لها الرجل: «إذا كنتِ مصرة، فسأخدمك هذه الخدمة». فقالت له: «ابق جالساً هنا، سأرجع إلى الدار وأحضر كيس النقود. لن أتأخر ولن أجلس على حزمة القش، بل سأبقى واقفة على العربة، لأخفف الثقل عن الثورين». وساقت ثوريها إلى دارها، فيما قال الفلاح لنفسه: «لا شك أن فيها مسّاً من الجنون. إذا أحضرت كيس النقود فعلاً، فبإمكان زوجتي أن تفرح لخلاصها من ضربات العصا». لم يطل انتظاره، فبعد فترة قصيرة أتت مهرولة، حاملة كيس النقود، ووضعته في جيبه. وقبل أن تغادره ثانية شكرته ألف مرة للخدمة التي قدمها له.

عندما وصلت المرأة إلى دارها وجدت ابنها وقد عاد من الحقل، فحكت له عن الأمور غير المتوقعة التي مرّت بها، وأضافت قائلة: «أنا سعيدة جداً بهذه الفرصة التي سنحت لي كي أرسل شيئاً إلى زوجي المسكين. من كان يتصور أنه سيعاني من نقصٍ بعض الأمور حتى في الجنة؟!» دُهش ابنها من حديثها إلى حد الذهول، ثم قال: «اسمعي يا أمي، ما كل يوم نصادف شخصاً نازلاً من الجنة، سأذهب وراءه مسرعاً لعلني أجده: أريده أن يحكي لي عن الأوضاع هناك، وعن أمور الشغل». فأسرج جواده وركبه وانطلق

Twitter: @ketab_n

بأقصى سرعة. وجد الفلاح جالساً تحت شجرة حور يعد النقود التي كانت في الكيس، فسأله: «هل رأيت الرجل الذي أتى من الجنة؟» فأجابه الفلاح: «نعم، رأيته، إنه على طريق العودة الآن، وقد صعد ذلك الجبل، ليختصر الطريق. بإمكانك اللحاق به إذا أسرعت وتسلقت وراءه». فقال الفتى: «طوال النهار وأنا أكدح في الحقل، والركوب إلى هنا أرهقني جداً. أنت تعرف الرجل، فإذا أردتَ أن تعمل معي معروفاً، خذ جوادي والحق به واقنعه بأن يعود إلى هنا». فقال الفلاح لنفسه: «أها، يبدو أنه أيضاً من الذين عقولهم تخض»، ثم قال للفتى: «لا مانع عندي إطلاقاً، لماذا لا؟» واعتلى الحصان وانطلق به بسرعة هائلة، فيما بقي الفتى جالساً حتى هبط المساء، لكن الفلاح لم يعد. فقال لنفسه: «لا شك في أن القادم من الجنة كان مستعجلاً للعودة، ولم يرغب في العودة أدراجه إلى هنا، فأعطاه الفلاحُ الجوادَ ليوصله إلى أبي». ثم عاد إلى داره وأخبر والدته بما جرى معه قائلاً: إنه قد أرسل الجواد إلى أبيه ليخفف عنه عناء المشي الكثير، فأجابته: «أحسنتَ صنعاً يا ولدي، فأنت ما زلتَ شاباً وقادراً على المشي».

عندما وصل الفلاح إلى داره، أدخل الجواد إلى الاصطبل وأوقفه إلى جانب بقرة الضمان ثم ذهب إلى زوجته وقال لها: «لحسنِ حظك يا ترينه، التقيتُ باثنين أشد منك غباءً. لقد نجوتِ هذه المرة من دون عقوبة، سأحفظ لك الضربات حتى المرة القادمة». ثم أشعل غليونه وجلس في كرسي جده وقال لها: «كانت صفقةً جيدة: جوادٌ قوي مقابل بقرتين نحيلتين، إضافة إلى كيس مليء بالنقود. ولو كان الغباءُ مربحاً دائماً بهذا الشكل، لرفعتُ له قبعتي احتراماً». هذا كان رأي الفلاح، أما أنت فلا شك أنك تفضّل الأغبياء السُذّج.

Twitter: @ketab_n

(١٠٥)

حكاية الحية

-١-

يحكى أن طفلاً صغيراً، كانت أمه تعطيه يومياً عند العصر وعاءً مملوءة بالحليب وفتات الخبز، فيأخذها الطفل ويخرج ليجلس في فسحة الدار. وعندما يبدأ الأكل كانت حيّةُ الدار تنسل عبر شق الجدار وتغطس رأسها في الطاسة وتشاركه الأكل. وكان الطفل يفرح بذلك. وإذا بدأ بالأكل ولم تخرج الحيّة فوراً، كان يناديها قائلاً:

«حيّة، يا حيّة أسرعي،

تعالي يا صغيرتي إلي،

عليك أن تأكلي خبزك،

وتشربي من حليبك».

فكانت الحية تسرع فعلاً، وتأخذ نصيبها من الطعام. كما كانت تُبدي شكرها للطفل فتُحضر له من كنزها المخبوء أشياء جميلة متنوعة: أحجار براقة ولآلئ وألعاب ذهبية. لكن الحية كانت تكتفي بشرب الحليب وتترك فتات الخبز في الطاسة. وذات مرة رفع الطفل ملعقته الصغيرة وضرب بها رأس الحية بلطف، وقال لها: «عليكِ أن تأكلي خبزاً أيضاً». وأمه واقفة في المطبخ سمعت أن الطفل يخاطب شخصاً ما، فمدت رأسها. وعندما رأته يضرب حية بملعقته الصغيرة، ركضت حاملة قطعة حطب وقتلت الحية الطيبة.

Twitter: @ketab_n

منذ ذلك الوقت تغيّر حال الطفل. فطالما كانت الحية تشاركه الأكل، كان ينمو ببنية قوية، أما الآن فقد ذهبت حمرة خدّيه الجميلة وصار نحيلاً. بعد مدة قصيرة بدأ طائر الشؤم ينعبُ ليلاً حول الدار، وأخذ أبو الحنّاء يجمع الأغصان الصغيرة وأوراق الشجر ليصنع منها إكليلاً، وبعد فترة قصيرة وُضِع الطفل في تابوت.

-٢-

كانت هناك طفلة يتيمة تجلس على سور المدينة وتسرح في خيالها، فرأت ذات مرة حية تخرج من فتحة أسفل السور، ففردت لها وشاحها الحريري الأزرق الذي تحبه الحيات جداً، وتخرج من نفسها لتزحف عليه. عندما شاهدت الحية الوشاح عادت إلى وكرها، ثم خرجت ثانية حاملة تاجاً ذهبياً صغيراً، تركته على الوشاح وذهبت. وضعت الطفلة على رأسها التاج الصغير الذي كان منسوجاً من خيوط ذهبية لمّاعة. وبعد مدة وجيزة عادت الحية مرة ثانية، إلا أنها عندما لم تر التاج الصغير حيث تركته، زحفت على السور وأخذت تضرب رأسها الصغير بالجدار وبكل قوة إلى أن سقطت ميتة. ولو تركت الفتاة التويج في مكانه، لكانت الحية قد أخرجت المزيد من كنوزها من وكرها.

-٣-

أخذت الحية تنادي: «هوهو، هوهو» فقال لها الطفل: «تعالي، اخرجي!» فخرجت الحية من وكرها، وعندها سألها الطفل عن أخته الصغيرة: «هل رأيتِ الجراب الأحمر الصغير؟» فأجابته الحية: «لا، أنا أيضاً لم أرها، مثلك تماماً! هوهو، هوهو».

Twitter: @ketab_n

(١٠٦)

صبي الطحان الفقير والقطة

يحكى أن طحاناً عجوزاً لا زوجة له ولا أولاد، كان يعيش في طاحونة مع ثلاثة شبان يشتغلون عنده. وبعد مضي عدة سنوات على وجودهم عنده، قال لهم ذات يوم: «لقد تقدمت في السن، وأفضل البقاء جالساً إلى جانب المدفأة. اخرجوا وابحثوا، والذي يُحضر لي منكم أفضل جواد، سأعطيه الطاحون، على أن يعتني بي حتى موتي». كان ثالث الشباب أصغرهم سناً، وكان الآخران يعتبرانه ساذجاً ولا يتصوران أن تؤول الطاحون إليه، إضافة إلى أنه لم يكن راغباً في الحصول عليها.

لكنهم خرجوا ثلاثتهم معاً، وعندما بلغوا القرية قال الاثنان لهانس الساذج» «يُفضّل أن تبقى أنت هنا، لأنك طوال حياتك لن تحصل على جواد». إلا أنه أصر على مرافقتهما، وحينما هبط المساء وجدوا مغارة فدخلوهاليناموا. انتظر الكبيران الذكيان حتى غرق هانس في نومه، عندها نهضا وغادرا تاركين هانس وراءهما، ظانين أنهما قد أحسنا التصرف، لكن أمورهما لن تسير على خير ما يرام! عندما أشرقت الشمس واستيقظ هانس، وجد نفسه في عمق مغارة، فتلفت حوله متسائلاً: «يا إلهي، أين أنا يا ترى!؟» فاعتدل وزحف خارجاً من المغارة، ثم دخل الغابة وهو يفكر: «إني هنا وحيد، وقد تخليا عني، فكيف سأحصل على جواد!».

وفيما هو مستغرق في أفكاره مرت به قطة صغيرة ملونة، خاطبته بود قائلة: «هانس، إلى أين تريد الذهاب؟» فأجابها: «أنت لن تستطيعين مساعدتي، وهذا

Twitter: @ketab_n

مؤكد» فقالت له: أنا أعرف مرادك. تريد الحصول على جواد جميل. تعال معي، واخدمني سبع سنوات بإخلاص، وسأعطيك جواداً لم تر أجمل منه في حياتك». فقـال هانس في نفسه: «يا لها من قطّة عجيبة غريبة. لكني أود التأكد من صحة ما تقوله».

فأخذته معها إلـى قصرها الصغير المسحور المملوء بقطط تقوم على خدمتها بـكل رشاقة وخفّة وبمزاج مرح وسرور. ومساء عندمـا جلسا إلى مائدة الطعام، قامت ثلاث قطط بعزف الموسيقا، الأولى على الفيولونسيل والثانية على الكمان والثالثة كانت تبذل جهداً واضحاً وتملأ خديها هواء لتنفخ في الترومبيت.

بعـد الانتهاء من تناول الطعام، رُفعت المائـدة، وقالت القطة الملونة لهانس: «تعال راقصني». فأجابها: «لا، أنا لا أراقص قطة، ولم يسبق لي أن فعلت ذلك». فقالـت: «خذوه إلى سريره إذن!» فأنـارت الأولى الطريق بشمعة إلى غرفة نومه، وخلعت له الثانية حذاءه، والثالثة جواربه، ومن ثمة أطفأت الأولى الشمعة.

عـادت القطـط في صباح اليـوم التالي، فساعـدوه في النهوض مـن السرير، وألبستـه جواربه، وعقدت الثانية أربطة الجـوارب، وأحضرت الثالثة الحذاء، ثم حممتـه الأولى، وجففـت الثانية وجهه بذيلها، فقال هانـس: «ما أنعمه!» ولكن كان عليـه أن يخدم القطة الملونة بالتحطيب يومياً، وقد زودته لعمله بفأس فضية، وكذلك بمنشار وأسافين فضيـة، أما المطرقة فكانت نحاسية. وعلى هذا المنوال استمـر هانس يحطّب نهاراً ويمضي ما تبقى من الوقـت في القصر الصغير حيث يتنـاول طعامـاً وشراباً ممتازاً، ولكن من دون أن يرى أحـداً، سوى القطة الملونة وخدمها.

وذات مـرة قالت له: «اذهب وحُشّ لـي المرج وجفّف الحشائش»، وأعطته منجلاً ذهبياً ومِسنّاً حجرياً، وأمرته بأن يُسلّم الأدوات كلها بعد الانتهاء من العمل. نفذ هانس مـا أمرته بعمله، وبعد أن أنهى العمل، حمـل المنجل والمسن والقش إلـى القصـر وسألها ما إذا كان الموعد قد حان لتدفع له أجره. فأجابته: «لا، هناك

Twitter: @ketab_n

شيء محدد ما زال عليك عمله من أجلي. هاك ألواح بناء وفأس نجار وزاوية وكل لوازم البناء من فضة، فابن لي بيتاً صغيراً». بنى لها هانس البيت الصغير، ثم قال لها إنه قد نفذ لها كل ما طلبته منه وما زال بلا جواد. ومع ذلك مضت السنوات السبع بالنسبة إليه وكأنها نصف سنة فقط. فسألته القطة الملونة ما إذا راغباً في مشاهدة خيولها، فقال هانس: «نعم». ففتحت باب البيت الصغير، فإذا به يرى فيه اثني عشر جواداً بديعي المنظر، كالشهب المضيئة التي تبعث الحبور في القلب. ثم قدمت له طعاماً وشراباً وقالت له: «عد إلى الطاحون. لن أعطيك جوادك الآن، بل سألحق بك بعد ثلاثة أيام وآتيك به».

جهز هانس نفسه وأرشدته إلى طريق الطاحون. لكنها لم تعطه ثياباً جديدة، بل خرج بمئزره العتيق الذي بات صغيراً وزري الهيئة خلال سبع سنوات. عندما وصل إلى الطاحون وجد الشابين أيضاً هناك، وقد أحضر كل منهما جواداً، بيد أن جواد الأول كان أعمى، وجواد الثاني كسيحاً. فسألاه فوراً: «هانس، أين جوادك؟» فأجابهم سيلحق بي بعد ثلاثة أيام». فضحكا منه قائلين: «طبعاً هانس. ومن أين ستأتي بجواد لائق!» فدخل هانس إلى غرفة صاحب الطاحون الذي منعه من الجلوس معهم إلى المائدة بسبب هيئته الزرية التي ستشعرهم بالخجل، في حال دخول شخص غريب عليهم. فأعطوه بعض الطعام ليأكله وحده بعيداً عنهم. وفي موعد النوم مساء رفض الشابان إعطاء هانس مكان للنوم معهما، فاضطر أخيراً أن يزحف إلى داخل زريبة الإوز، حيث استلقى على بعض القش اليابس.

عندما استيقظ صباحاً كانت الأيام الثلاثة قد انقضت، ووقفت أمام الطاحون عربة فاخرة تجرها ستة خيول في غاية الجمال، وخادم إضافي يقود الجواد السابع، لفتى الطاحون المسكين. وترجلت من العربة أميرة ذات جمال وجلال ودخلت إلى الطاحون، ولم تكن هذه الأميرة سوى القطة الملونة التي خدمها هانس المسكين طوال سبع سنوات. سألت الأميرة الطحان العجوز عن أصغر فتيانه، فأجابها الطحان: «لا يمكننا أن نسمح له بدخول الطاحون لأنه بات زري الهيئة، وهو الآن في زريبة الإوز». فأمرته الأميرة بأن يحضره فوراً. فأحضروه لها،

Twitter: @ketab_n

وهو يغطي نفسه بمئزره. وعندها أخرج الخادم ثياباً فاخرة، ثم حمّم هانس وألبسه إياهـا. عندما انتهى الخادم مـن عمله بدا هانس أكثر وسامـة من أي ملك متوج. بعـد ذلك طالبت الأميـرة برؤية الجواديـن اللذين أحضرهما الشابـان الآخران، وكان أحدهمـا أعمى والثاني كسيحـاً، وعندها أمرت خادمهـا بإحضار الجواد السابـع. عندما رآه الطحان قال إنه لم ير مثله في جوار الطاحون، فقالت الأميرة: «وهـو لأصغر فتيان الطاحون». عندها قـال الطحان: «إذن ستكون الطاحون من نصيبـه». بيد أن الأميرة أجابتـه: «احتفظ بالطاحون وبالجـواد، وأنا سآخذ معي هانسـ المخلص». وأخذت معها هانس، فركبا العربـة وغادرا. أوصلتهما العربة إلـى البيت الصغير الذي بناه هانس بأدوات النجارة الفضية، فإذا به قد صار قصراً ضخمـاً، وكل ما فيه من الفضة والذهب. وفي هذا القصر زُفت الأميرة إلى هانس الـذي صار غنياً جداً. ولهذا لا يجوز القول إن الإنسان الساذج لن يحقق شيئاً في حياته.

Twitter: @ketab_n

(١٠٧)

الرحّالان

الجبل والوادي لا يلتقيـان، لكن أبناء آدم يلتقون، ولا سيما الأخيار والأشرار. وهكـذا التقى ذات يوم حذّاء وخيّـاط معاً في أثناء ارتحالهمـا. كان الخياط شاباً قصيـراً ووسيمـاً، دائم المرح، هاشّـاً باشّاً، وقـد رأى الحذّاءَ قادمـاً من الجانب الآخر، وعرفَ مهنته من نوع حقيبة كتفه، فأخذ يغني بصوت عالٍ أغنية ساخرة:

«حِطْ لي جلد الحذاء وادرزْه،

شُدّ لي رباط الحذاء واعقده،

ادهن بالقطرانِ حوّافه والجنبين،

ثبّت النَعل ولا تنسى الكعبين!»

لـم يكن الحذّاء يحتمل المزاح، فكشّـر وجهه كمن شرب خَلاً، وكادَ يمسك بتلابيب الخياط. لكـن الخياط القصير أخذ يضحك، وناول الحذّاء زجاجة نبيذه وهو يقول: «كنت أمزح يا رجل. اشرب عليها تنجلي!» شرب الحذّاء جرعة كبيرة فانجلـى وجهه المكفهرّ، أعـاد الزجاجة للخياط وقال: «أنا مـن أنصار الزجاجة المتحمسّيـن، الناسُ يعزون ذلك إلى كثـرة الشرب، ولا يذكرون شدة الظمأ. هل نُكمل رحلتنا معاً؟» فأجابه الخياط: «لا مانع عندي، إذا كانت وجهتك إلى مدينة كبيـرة تكثر فيها فرص العمـل». فقال الحذاء: «هذه هي وجهتـي، ففي البلدات الصغيرة لا مجال للكسب، وفي الأرياف يفضل الناس المشي حفاة».

Twitter: @ketab_n

فتابعا الطريق مترافقين، وهما يمشيان بحذرٍ وسرعةٍ مثل النمس على الثلج. كان لديهما ما يكفي من الوقت، ولكن قليلاً مما يسدّ الجوع. فإذا ما دخلا مدينةً كانا يجولان على أهل الحرفة فيلقيان التحية، وبما أن الخياط القصير كان دائماً هاشاً باشاً، حلو الطلة بخديه الورديين، فقد كانت المعونات تدفق عليه، وإنْ حالفه الحظ فقد كانت ابنة معلم الحرفة تمنحه قبلةً للطريق عند باب الدار. وحينما يلتقي بالحذّاء مجدداً بعد الجولة تكون صرة زوادته دائماً أسمن. فكان الحذّاء المتجهّم يعبس ويقول: «كلما ازداد الماجن تهريجاً ازدادت حظوظه». بيد أن الخياط كان يجيب على تعليقه بالضحك والغناء ويقاسمه كل ما حصل عليه من جولته. وإن صدر رنينُ بعض القروش في جيبه، كان يدخل الحانة ويطلب النبيذ ويضرب الطاولة بكفه بقوّة وهو يقول: «اصرف ما في الجيب، يأتيك ما في الغيب».

بعد أن جالا مسافة طويلة وصلا إلى غابة شاسعة، يخترقها الدرب الموصل إلى عاصمة الملك. ولكن كان ثمة دربان عبرها، أولهما طويل يحتاج إلى سبعة أيام، وثانيهما إلى يومين فقط، بيد أنهما لم يكونا يعرفان الأقصر. جلسا تحت شجرة بلوط يتشاوران حول التدابير الواجب اتخاذها وكمية الخبز التي لا بد من التزود بها. فقال الحذّاء: «على الإنسان أن يفكر بأبعد مما يمشي. أنا سأتزود بخبز لسبعة أيام». فقال الخياط: «أستحمل على ظهرك خبزاً لسبعة أيام مثل دابة حملٍ لا تلتفت يميناً أو شمالاً؟ أنا سأتكل على الله ولن أبالي بشيء. المال الذي في جيبي يصلح في الصيف والشتاء، أما الخبز في هذا القيظ فإنه سيجف وسيعلوه العفن أيضاً. وسترى لن تطول أبعد من كاحلي. لماذا سنتوه عن الدرب الصحيح؟ سآخذ خبزاً ليومين وكفى». فاشترى كل منهما ما أراد من الخبز، ودخلا الغابة جزافاً.

كانت الغابة هادئة كما في كنيسة، فلا حفيف لأوراق الشجر ولا خرير لمياه جدول. لا عصافير تزقزق ولا شعاع شمس يخترق كثافة أوراق الشجر. لم ينبس الحذّاء بكلمة، فقد كان الخبز الثقيل يضغط على ظهره، وأخذ يتصبب عرقاً من

Twitter: @ketab_n

جبهتـه على وجهه المكفهـر المتجهم. أما الخياط فكان فـي كامل نشاطه، يقفز ويصفر ويغني وهو يقول لنفسه: «الله نفسه سيفرح لفرحي». مضى يومان في الغابة علـى هذه الحال، وحينما جاء اليوم الثالـث والغابة ما زالت ممتدة، وقد استهلك الخياط خبزه كله، هبط قلبه إلى بطنه، لكنه لم يفقد عزيمته، بل بقي متكلاً على الله وعلى حظه. في مساء اليوم الثالث نام تحت شجرة جائعاً واستيقظ في صباح اليوم الرابـع جائعـاً، وهكذا مضى النهار أيضاً، وحينمـا كان الحذاء يجلس على جذع شجرة مقطوعة ليزدود وجبته من الخبز، لم يكن أمام الخياط من حل سوى النظر. وإن رجـاه أن يتنازل له عن قطعـة، كان الحذاء يقول: «كنتَ فرحاً مسروراً طوال الوقت، جرِّب الآن الحال الآخر: الطيور التي تُبكّر في تغريدها، يصطادها الصقر مسـاءً». أي أنه باختصـار، كان بلا رحمة في صباح اليوم الخامس لم يعد الخياط المسكيـن قادراً على الوقـوف ولا حتى على الكلام من شدة الوهن، وقد شحبت وجنتاه واحمرت عيناه. فقال له الحذّاء: «اليوم سأعطيك قطعة خبز، لكنني لقاءها سأفقأ عينك اليمنى». والخياط التعيس الذي كان راغباً في الحفاظ على حياته، لم يجـد مخرجاً آخر. بكى مرة أخيرة بعينيه الإثنين معاً، ثم التفت نحو الحذّاء الذي قُـدّ قلبه من حجر والذي أخرج سكيناً حادة اقتلع بهـا عين الخياط اليمنى. تذكر الخياط بعد ذلك ما كانت أمه تقول له عندما كان يمزمز من خزانة الطعام: «يأكل الإنسان الطعام ما يستطيع، ويتحمل من الألم ما يجب عليه».

وبعـد أن أكل قطعـة الخبز التي دفـع ثمنها غالياً، نهض واقفـاً، تناسى مصابه، وعـزّى نفسـه بأنه ما زال قادراً على الرؤية كفاية، ولـو بعين واحدة. لكن الجوع عـاوده في اليـوم السادس مجدداً وكان يفترس قلبه إلـى أن سقط مساء عند جذع شجـرة ونام. وفـي صباح اليوم السابع لم يتمكن مـن النهوض بسبب الوهن وقد أحسـ بالموت يمسك بخناقه. فقال له الحذّاء: «سأجرب الرحمة وأعطيك قطعة خبـز أخرى، ولكن ليس مجاناً، بل سأقتلع لقاءهـا عينك الأخرى». عندها أدرك الخيـاط مدى استخفافه بالحياة، وطلب العفو من ربه قائلاً للحذاء: «افعل ما تراه لزامـاً عليك، وأنا سأتحمل من الألـم ما يجب علي. ولكن تذكر أن ربنا يمهل ولا

Twitter: @ketab_n

يهمل، وأن ساعة اقتصاصه منك آتية، حين سيعاقبك على ما تفعله بي وما لم أستحقه منك. في أيام السراء قاسمتك كل ما كان معي. إن حرفتي تحتاج إلى دقة عالية في استخدام الإبرة، فإن فقدت عيني ولم أعد قادراً على الخياطة، فلن يكون أمامي سوى التسول. وإن أصبحتُ أعمى، فلا تتركني وراءك هنا، وإلا هلكت». أما الحذّاء الذي أقصى الربَّ بعيداً عن قلبه، فقد تناول السكين وفقأ بها عين الخياط اليسرى، ثم أعطاه قطعة خبز ليأكلها، وجعله يمسك بطرف عصا ليمشي وراءه.

عند غروب الشمس خرجا من الغابة، وفي الحقل أمام الغابة انتصبت مشنقة. قاد الحذّاءُ الخياط الأعمى حتى المشنقة، حيث تركه جالساً وتابع طريقه. وبسبب التعب والألم والجوع نام المنكود طوال الليل، واستيقظ مع مطلع النهار التالي، لكنه لم يعرف أين هو. كان مُذنبان مسكينان يتدليان من المشنقة، وقد وقف غراب على رأس كلٍ منهما. قال الأول للثاني: «أصاحٍ أنت يا أخي؟» فأجابه الثاني: «نعم، أنا صاحٍ». فتابع الأول: «سأخبرك بشيءٍ إذن: قطر الندى الذي تساقط علينا من المشنقة هذه الليلة، يعيد العينين لمن فقدهما، إذا مسح مكانهما به. لو عرف العميان بذلك، كم منهم سيستعيد بصره يا ترى، ممن لا يصدقون أن أمراً كهذا ممكن؟» عندما سمع الخياط ذلك أخرج منديله من جيبه وضغطه على الحشائش حتى امتص قطر الندى، ثم مسح به فجوتي عينيه، فتحقق فوراً ما قاله المشنوق الأول، فقد امتلأت الفجوتان بعينين جديدتين وصحيحتين.

وبعد برهة من الزمن رأى الخياط الشمس تشرق من وراء الجبال، وفي السهل الممتد أمامه انتصبت عاصمة الملك الكبيرة ببواباتها الفخمة وأبراجها المئة وقبابها الذهبية وصلبانها المثبتة على الذرى وقد أخذت تتوهج في أشعة الشمس. تمكن الخياط من تمييز أوراق الشجر ورأى الطيور وهي تعبر السماء فوقه والبعوض الذي يتراقص في الهواء. أخرج من جيبه إبرة خياطة، وعندما تمكن من ضم الخيط في ثقبها كسابق عهده، قفز قلبه من الفرحة. فركع على ركبتيه وشكر ربه على نعمته الجليّة وتلى صلاة الصباح. ولم ينسَ أن يشمل بدعائه المذنبين

Twitter: @ketab_n

المسكينين المعلقين مثل ألسنة النواقيس، وقد أخذت الريح تصدمهما ببعضهما، ثم حمل حقيبته على ظهره، متناسياً ما عاناه من آلام، وتابع طريقه وهو يغني ويصفر.

كان أول ما التقاه الخياط مهراً يقفز في الحقل بكل حرية، فأمسك به من عُرفه ليمتطيه إلى المدينة. لكن المهر رجاه أن يتركه طليقاً وقال: «أنا ما زلت يافعاً جداً، وحتى خيّاطٌ خفيف مثلك سيقصم ظهري، دعني طليقاً حتى أقوى، وقد تأتي لحظة أرد لك فيها هذا الجميل». فقال له الخياط: «هيا اذهب! أرى أن مزاجك يشبه مزاجي». وضربه ضربة خفيفة بالعصا على ظهره جعلته يرفس الهواء بقائمتيه الخلفيتين منطلقاً بفرح عبر الحقل قافزاً فوق أسيجة وخنادق.

لكن الخياط لم يأكل شيئاً منذ الأمس، فقال في نفسه: «صحيح أن الشمس تملأ عيني، ولكن أين الخبز الذي سيملأ بطني؟ أول ما سأمسك به مما يمكن أكله سيفي بالحاجة». وفي أثناء ذلك تبختر أمامه لقلق بكل جلال عبر المرج، فصاح به الخياط: «قف، قف» وامسك به من ساقه وأردف قائلاً: «لا أدري ما إذا كان لحمك لذيذاً، لكن جوعي لا يترك لي خياراً آخر. لا بد لي أن أقطع رقبتك ثم أشويك». فقال له اللقلق: «لا تفعلها إياك! فأنا طائر مقدس لا يؤذيه أحد، لأني مفيد جداً للبشر من أمثالك. احفظ لي حياتي وسأرد لك الجميل في مرة قامة». فقال له الخياط: «طيب، حلّق يا ذا الساقين الطويلتين!» فوقف اللقلق وخفق بجناحيه طائراً بهدوء، تاركاً ساقيه الطويلتين معلقتين في الهواء. ثم قال الخياط لنفسه: «وأنا ماذا استفدت؟ جوعي يكبر ومعدتي تزداد خواء. أول ما سيعترض طريقي الآن، سيفقد حياته». وفي أثناء ذلك رأى في بركة بعض البطات الصغيرات تسبح، فقال: «جئتم في الوقت المناسب»، وأمسك بواحدة منهن وأراد فتل عنقها، فانطلق من بين القصب زعيق بطة كبيرة، وتقدمت منه بمنقار مفتوح وتوسلت إليه أن يرحم صغارها وقالت: «فكر بأمك وكيف ستنوح إذا أخذك أحد منها ليقتلك». فقال لها الخياط الطيب القلب: «اهدأي، واحتفظي بصغارك»، وأفلت الصغيرة من يده لتسبح مجدداً.

Twitter: @ketab_n

عندما استدار الخياط وجد نفسه أمام شجرة هرمة، مجوفة الجذع ورأى نحلاً برياً يطير داخلاً وخارجاً، فقال في نفسه: «ها هو جزاء فعل الخير. العسل سينعشني ويشبعني». بيد أن ملكة النحل خرجت له مهدِّدة له قائلة: «إذا ألحقت الأذى بشعبي وبخليتي فإن جنودي سيغرزون عشرة آلاف إبرة حارقة في جلدك. أما إذا تركتنا بسلام وذهبت في سبيلك فسنرد لك الجميل في الوقت المناسب». رأى الخياط القصير أن لا حيلة له حتى هنا، فقال في نفسه: «ثلاثة صحون فارغة، ولا شيء في الرابع، ما أتعسها من وجبة طعام».

جرجر أذياله بمعدته الخاوية، حتى بلغ المدينة في وقت الغداء، وكانت المطاعم قد جهزت وجباتها، فدخل أحدها وجلس إلى المائدة فوراً وأكل حتى شبع، فقال: «والآن إلى العمل» تجوّل في المدينة بحثاً عن معلم حرفة ووجد، كما وجد أيضاً مكاناً مناسباً للمبيت. وبما أنه قد تعلم حرفة الخياطة منذ صغره، فسرعان ما اشتهر، وصار الجميع يرغبون بتفصيل بدلاتهم عند الخياط القصير. وبمرور الوقت ازدهرت سمعته في المدينة، رغم أنه كان يقول لنفسه: «مع أن مهاراتي لا تتطور، إلا أن أحوالي تتحسن من يوم إلى آخر». وأخيراً عيّنه الملك في منصب خياط البلاط.

ولكن، هكذا الدنيا تسير، ففي اليوم نفسه عيَّن الملك رفيق ترحاله السابق، الحذّاء، في منصب حذّاء البلاط. وما أن وقع نظر الحذّاء على الخياط ورأى عينيه الجديدتين الصحيحتين، حتى عذبه ضميره، فقال في سره: «قبل أن ينتقم مني، لا بد لي من أن أنصب له فخاً». ناسياً أن مَن ينصب فخاً لأخيه، يقع فيه.

مساء، بعد انتهاء الشغل وانتشار العتمة، تسلل الحذّاء إلى الملك وقال له: «يا جلالة الملك، هذا الخياط إنسان مغرور، وقد تجاسر على التصريح بأنه قادر على إيجاد التاج الذهبي الضائع منذ زمن بعيد»، فقال الملك: «سيسرني ذلك».

وفي صباح اليوم التالي استدعى الملك الخياط إليه، وأمره: «إما أن تجد لي التاج الضائع، أو تغادر المدينة إلى الأبد». فقال الخياط في نفسه: «عجبي! ما هذا

Twitter: @ketab_n

الصعلوك الذي يتشدق بأكثر مما لديه! إذا كان هذا الملك المتذمر يطالبني بما لا يستطيع إنسان تحقيقه، فلماذا الانتظار إلى الغد؟ اليوم سأغادر المدينة، وفوراً».

ولملم أغراضه في بقجته ومشى، وما أن صارت بوابة المدينة وراء ظهره حتى غمره الأسف لاضطراره إلى التخلي عن المدينة التي لمع فيها حظه. كان قد وصل إلى البركة، حيث التقى بالبطات في رحلة قدومه، فرأى البطة الكبيرة، التي أطلق صفيرَها، جالسة على الضفة تنظف نفسها بمنقارها. عرفته البطة فوراً وسألته لماذا يمشي برأس مائل كالمخذول، فأجابها: «لن يدهشك سماع ما مرَّ بي» وحكى لها قصته، فقالت له البطة: «إذا كانت هذه هي الحكاية، فبإمكاننا مساعدتك. التاج الضائع موجود هنا في قاع البركة، سنغطس بسرعة ونرفعه لك. وما عليك خلال ذلك سوى أن تفرد منديلك على الضفة». وغطست مع صغارها الاثني عشر إلى القاع. وبعد نحو خمس دقائق طفت على السطح مجدداً والتاج على ظهرها مسنوداً بجناحيها ومناقير صغارها من حولها. سبحوا إلى الضفة ووضعوا التاج فوق المنديل. ولا يمكنك تصور روعة هذا التاج، فعندما سقطت عليه أشعة الشمس تلألأ وكأنه مزدان بمئة ألف حجر ياقوت. ربط الخياط أطراف منديله الأربعة حول التاج وحمله إلى الملك الذي سُرَّ وابتهج وأحاط عنق الخياط بسلسال ذهبي.

حينما رأى الحذّاء أن الفخ الذي نصبه قد فشل، فكر بفخ ثان، وتسلل إلى الملك وقال له: «يا جلالة الملك، لقد عاد الخياط إلى غطرسته وتبجحه، فزعم أنه قادر على صنع نموذج من الشمع لقصركم الملكي كله، بكل ما فيه من الداخل والخارج، سواء كان معلّقاً أم ثابتاً». فاستدعى الملك الخياط وأمره بصنع نموذج للقصر الملكي كله من الشمع، بكل ما فيه من الداخل والخارج، سواء كان معلقاً أو ثابتاً... وإذا أخفق في إنجازه أو نقص حتى مسمار على جدار، فسيقضي ما تبقى من حياته في زنزانة تحت الأرض. فقال الخياط لنفسه: «الأمور تزداد سوءاً، وهذا ما لا يحتمله إنسان»، فرمى بقجته على ظهره ورحل عن المدينة.

Twitter: @ketab_n

عندما وصل إلى الشجرة الهرمة المجوفة جلس تحتها حانياً رأسه نحو الأرض. خرجت أسراب النحل من الخلية وسألته الملكة ما إذا كان مصاباً في رقبته ليحني رأسه بهذا الشكل، فأجابها الخياط: «لا أبداً. ثمة شيء آخر يضغط على رأسي»، وحكى لها ما طلبه منه الملك. أخذ النحل يئز ويطن في ما بينه، ثم نطقت الملكة فقالت: «ارجع إلى بيتك مرتاح البال، وعد غداً في الوقت نفسه واحضر معك قطعة قماش كبيرة، وسيكون كل شيء على خير ما يرام». عاد الخياط إلى بيته في المدينة، أما أسراب النحل فطارت إلى القصر الملكي مباشرة عبر نوافذه المفتوحة ودخلت إلى كل زاوية وهي تتفحص كل شيء بدقة. ثم عادت وبنَت من الشمع نسخةً عن القصر، وبسرعةٍ يتراءى للعين معها أنه ينمو ويتكامل أمامها. ومساءً كان العمل قد أُنجز.

وعندما جاء الخياط في صباح اليوم التالي، كان البناء الفخم منتصباً أمامه، لا ينقصه حتى مسمار على جدار ولا قرميدة من السطح، وكان في الوقت نفسه نضيراً، أبيض كالثلج وذا رائحة حلوة كالعسل. حمله الخياط بحذر شديد في قماشته وأخذه إلى الملك، الذي لم يتمالك نفسه من الدهشة والإعجاب، فوضعه في صالة كبيرة وأنعم على الخياط بدار كبيرة واسعة من الحجر.

لكن الحذّاء لم يتراجع عن عزمه، فذهب إلى الملك لثالث مرة وقال له: «يا جلالة الملك، وصل إلى سمع الخياط أن فناء القصر خالٍ من نافورة ماء، فتبجح قائلاً بأن النافورة يجب أن تنطلق من منتصف الفناء بارتفاع قامة رجل، وأن ماءها سيكون نقياً مثل الكريستال». فاستدعى الملك الخياط وقال: «إن لم ينبع الماء في فناء قصري حسبما وعدتَ، حتى الغد، فسيجعلك الجلاد في المكان نفسه أقصرَ برأسٍ مما أنت عليه» لم يُطل الخياط المسكين التفكير، بل هرع مغادراً عبر بوابة المدينة. وبما أن المسألة هذه المرة تتعلق بحياته، فقد انهمرت دموعه على خديه، وفيما كان يمشي غارقاً في حزنه، مر به المهر الذي سبق أن منحه الحرية، وقد كبر وصار جواداً بنياً جميلاً، وقال له: «الآن حان دوري لأردَّ لك جميلك. أنا أعرف في أي مأزق أنت، لكنني سرعان ما سأُخرجك منه. اركب

Twitter: @ketab_n

علـى ظهري، فهـو يتحمل اثنين مثلـك». أخذ قلب الخياط يخفـق مجدداً وقفز راكباً الجواد الذي جرى نحو المدينة بأقصى سرعة ودخل إلى فناء القصر مباشرة، حيـث دار فيه ثلاث مرات بسرعة البرق وأنهى الثالثة بالسقوط أرضاً. في اللحظة نفسهـا صدر دويٌ هائـل مرعب: إذ انقذفت قطعة أرض مـن منتصف الفناء، في الهـواء كالرصاصة متجاوزة سطح القصر إلى الخـارج، واندفعت وراءها مباشرة نافـورة ماء بارتفاع فارس على فرس، وكان الماء نقيـاً مثل الكريستال، وبدا كأنه يتراقص في أشعة الشمـس. عندما شاهد الملك ما جرى نهض من شدة دهشته وتوجه إلى الخياط وعانقه أمام الناس كلهم.

بيـد أن السعـادة لم تدم طويلاً، إذ كان للملك ما يكفي من البنات وكل واحدة منهـن أجمـل من الأخـرى، لكنه كان بلا ابـن. ولرابع مرة توجه الحـذّاء الشرير إلـى الملك وقـال له: «يا جلالة الملـك، لم يتنازل الخياط عن غـروره بعد، وقد زعم الآن أنـه، إنْ أراد، فبمقدوره أن ينعم عليك بابن، يأتيه محمولاً عبر الهواء». فاستدعـى الملك الخياط إليـه وقال له: «المكافأة لا شك كبيـرة، وعلى الإنسان أن يبـذل جهده من أجلها، لكن حبات الكـرز أعلى مما تطاله يدي، وإذا تسلقتُ الشجرة لأصل إليها، فسينكسـر الغصن تحتي فأسقط». ذهب إلى داره الحجرية وجلـس متربعاً على طاولة عملـه وأخذ يفكر بما عليه أن يفعـل. وبعد مرور مدة على هذه الحال، ومن دون نتيجة، صاح أخيراً: «لن أنجح. سأرحل، فهنا على ما يبـدو لن يهنأ لي عيش»، وعقد بقجته وحملهـا على ظهره وأسرع مغادراً المدينة عبر البوابة.

عندمـا وصل إلى المرج رأى صديقه القديم، اللقلق، الذي كان يخطر بجلال وعظمـة جيئة وذهاباً، وكأنه ملك الدنيا، ويقف أحيانـاً ليراقب ضفدعاً قريباً، ثم يبتلعه بسرعة. اقترب منه اللقلق وحياه، ثم بادره الكلام قائلاً: «أرى بقجتك على ظهـرك. لماذا تريد ترك المدينـة؟» فحكى له الخياط القصير مـا طلبه منه الملك وأنه غير قادر على تلبيته، وندب له حظه التعس. فقال له اللقلق: «لا تمعن التفكير حتـى يشيب شعرك. أنا سأساعدك في هذه الشِـدّة، إذ لن يصعب عليَّ هذه المرة

Twitter: @ketab_n

أن آتـي بأميـر من البئر. اذهب إلى دارك وتصرف بهـدوء. بعد تسعة أيام من اليوم اذهب إلى القصر الملكي، وسآتيك هناك». عاد الخياط القصير إلى داره، ثم دخل القصـر فـي الموعد المحدد. لم يطـل انتظاره حتى جاءه اللقلـق طائراً ونقر على زجـاج النافذة. فتح له الخياط النافذة فدخـل ذو الساقين الطويلتين بحذر ومشى علـى رخام الأرضية الناعم بخطوات وقورة، وكان يحمل في منقاره طفلاً جميلاً كالملاك وقد مد يديه نحـو الملكة. وضع اللقلق الطفل في حضن الملكة فضمته إليهـا وقبلته وكادت تطير فرحاً. وقبل أن يطير اللقلق مغادراً أنزل حقيبة سفره عن كتفـه وناولها للملكـة. كان في الحقيبة أكياس صغيرة مملـوءة بالسكاكر الملونة التي تم توزيعها على الأميرات الصغيرات. أما كبراهن فلم تحصل على شيء منها، لأنهـا حصلـت على الخياط المرح زوجـاً لها. فقال الخيـاط: «أشعر وكأنني قد فزت بجائزة اليانصيب الكبرى. كانت أمي محقة، عندما كانت دائماً تقول: «من اتكل على الله وكان الحظ حليفه، فهو من الفائزين دائماً»».

كان علـى الحذّاء أن يصنع الحـذاءَ الذي سيرقص به الخياط القصير في عرسه، وبعـد أن أنهـاه، أمره الملك بمغـادرة المدينة إلى الأبد. وعلـى طريقه من البوابة إلـى الغابة مر الحـذّاء بالمشنقة، وبما أنه كان مرهقاً مـن الحنق والغضب والقيظ وتعب النهار فقد استلقى تحتها. وعندما أغمض عينيه لينام، هبط الغرابان من على المشنقـة على رأسه، أطلقا صيحة شديدة واقتلعـا عينيه بمنقارهما. ركض الحذّاء كالمجنون إلى الغابة، حيث هلك هناك. إذ لم يره أحد بعدها أو يسمع عنه شيئاً.

(١٠٨)

هانس يا قنفذي

يحكى أن فلاحاً غنياً بالمال والأملاك لم يكن سعيداً، لأنه وزوجته كانا بلا أولاد. وكان ينزل غالباً إلى المدينة برفقة فلاحين آخرين، فيسخرون منه ويسألونه: «لماذا لا أولاد لك؟» وأخيراً طفح به الكيل وغضب غضباً شديداً، وحينما وصل إلى داره قال لزوجته: «أريد طفلاً ولو كان قنفذاً». فحملت زوجته وأنجبت طفلاً، كان قنفذاً من فوق وصبياً من تحت. وعندما رأته اهتزت رعباً وقالت لزوجها: «أرأيتْ، لقد أصبتَه بلعنة سحرية!» فقال الرجل: «بماذا يفيدنا هذا كله الآن؟ لا بد أن نعمِّد الصبي، لكننا لن نجد له إشبيناً». وقالت المرأة: «ولن نجد له اسماً للعماد سوى (هانس يا قنفذي)». وبعد أن تم تعميده قال الخوري: «بسبب أشواكه لن يتمكن المسكين من النوم في سرير عادي». فرتَّب الزوجان بعض القش وراء المدفأة ووضعا (هانس يا قنفذي) عليه. ولم يتمكن الوليد كذلك أن يرضع من أمه بسبب أشواكه التي كانت ستؤذيها. وهكذا بقي الطفل طوال ثمانِ سنوات وراء المدفأة حتى تعب الأب من حاله وتمنى موته، لكنه لم يمت، بل بقي في مكانه.

وحدث ذات يوم أن أقيم في المدينة، سوق كبير، وأراد الفلاح زيارته، فسأل زوجته عما يجب أن يحضر معه، فقالت: «بعض اللحم ورغيفي خبز أبيض لحاجة البيت»، ثم سأل الخادمة فطلبت حذاء منزلياً وزوجاً من جوارب الكعبين، وأخيراً جاء دور (هانس يا قنفذي) فسأله: «وأنت ماذا تريد؟» فأجابه: «احضر لي معك يا أبي مزمار قربة». عندما رجع الفلاح من السوق إلى داره،

Twitter: @ketab_n

أعطى زوجته مــا اشتراه لها، اللحم والخبز الأبيض، ثم أعطى الخادمة الحذاء المنزلي والجوارب، وذهب أخيراً إلى وراء المدفأة وأعطى (هانس يا قنفذي) مزمــار القربة. عندما حصل (هانس يا قنفذي) علــى آلته الموسيقية قال لأبيه: «أرجــو يا أبي أن تذهــب إلى الحداد ليركب حدوتيــن لديكين، لأني سأركبه وأرحل، ولن أعود». فرح الأب بتخلصه منه بهذه الطريقة، وذهب إلى الحداد فعــلاً ليركب حدوتين للديــك. وعندما صار جاهزاً ركبــه (هانس يا قنفذي) وأخذ معه بعض الخنازير والحمير ورحل، وفي نيته أن يرعى قطيعه في الغابة، حيــث كان على الديك أن يطير به إلــى ذروة شجرة عالية. ومن مكان جلوسه الجديــد راقب (هانس يا قنفذي) قطيعه ورعاه طوال سنوات حتى كبر وازداد عدداً، من دون أن يعرف أبواه أي شيء عنه. وطوال فترة جلوسه على الشجرة كان ينفخ في مزمار قربته ألحاناً موسيقية جميلة جداً.

وذات مــرة عبر الغابة ملك تائه عن طريقــه، فسمع الموسيقا وأعجب بها، فأرســل خادمه ليستكشــف مصدرها وقتها. بحث الخادم فــي الجوار فلم يرَ ســوى حيوان صغير جالساً على شجرة، يشبه الديك الصيّاح، وقد ركب عليه قنفــذ يعــزف. فأمره الملك أن يسأله عن سبب جلوســه فوق الشجرة، وما إذا كان يستطيــع إرشــاده إلى طريــق مملكته. عندها نزل (هانســ يا قنفذي) عن الشجــرة وقال للملك، أنّه مستعد لإرشاده إلى الطريق، إذا وعده الملك خطياً بمنحــه أول مَن يلقاه في القصر الملكي حــال وصوله إليه. ففكر الملك: «ما أسهل الأمر، لأن (هانس يا قنفذي) لن يفهم ما أريد كتابته». وتناول الملك من خادمه ورقة وريشة وكتب شيئاً ما. وعندما انتهى أرشده (هانس يا قنفذي) إلى الطريق، فوصل بسلام إلى قصــره. وابنته التي رأته قادماً على الطريق، فرحت بعودتــه وركضــت لاستقباله وقبلته. عندهــا تذكر الملك (هانســ يا قنفذي) وحكــى لابنته ما جرى له وأنه التقى بحيــوان عجيب وعده خطياً بمنحه أول مــن يقابله في القصر، وأن هذا الحيــوان كان يركب ديكاً كمن يركب جواداً. وكان يعــزف موسيقا جميلة. لكن ما كتبه الملك فــي الورقة هو أن (هانس يا

Twitter: @ketab_n

قنفـذي) لن يحصل علـى ابنته، (فهانس يا قنفذي) لا يعـرف القراءة. فرحت الأميرة بذلك وقالت إن ما فعله والدها كان جيداً، لأنها ما كانت لتذهب بأي حال من الأحوال.

أمـا (هانس يا قنفذي) فقد استمر في رعي الحمير والخنازير، وكان طوال الوقت مرحاً طروباً، يجلـس على شجرته ويعزف موسيقاه. وحدث بعد مدة مـن الزمـن أن مر بالمكان ملك تائـه آخر مع خدمه وبعض الأتباع. وبما أن الغابـة شاسعة فقد ضـل الطريق. وكما فـي المرة السابقة، سمـع هذا الملك أيضـاً الموسيقا الجميلة متناهية إليه مـن البعيد، فأرسل أحد أتباعه ليستكشف الأمـر. وصل التابع إلى الشجرة الباسقـة ورأى الديك جالساً عليها، و(هانس يا قنفذي) راكباً عليه. فسأله التابع عما يفعله فوق الشجرة. فأجابه: «أنا أرعى حميـري وخنازيري. وأنت ماذا تريد؟» فأخبره التابع بأنهم تائهون لا يجدون طريـق العودة إلـى المملكة، فهل يمكنه إرشادهم إلـى الطريق يا ترى؟ عندها نـزل (هانس يا قنفـذي) والديك الصيّـاح عن الشجرة، وقـال هانس للملك الكهـل إنه مستعد لإرشاده إلى الطريق، إذا وعده الملك بمنحه أول من يقابله فـي القصر الملكي. وافق الملك ووقـع على ورقة بذلك وأعطاه إياها. عندها ركب (هانس يا قنفذي) ديكه ومشى في مقدمة الموكب حتى وجدوا طريقهم ووصل إلى مملكته بصحة وسلام. وعندما دخل القصر استُقبل بفرحة كبيرة، وكان عنده ابنة وحيدة بالغة الجمال، هرعت للقائه وعانقته وقبلته فرحة بعودة والدها الكهل. سألته عـن الأماكن التي زارها أثناء غيابه الطويل، فأخبرها بأنه قد ضل الطريق وكاد أن يفقد الأمل بالعودة، لكنه عندما عبر غابة شاسعة، قابل كائنـاً نصفه قنفـذ ونصفه بشر، يركب ديكاً ويجلس فـي أعلى شجرة ليعزف موسيقـاه، قد رافقه وأرشده إلـى الطريق، لكنه وعده لقاء ذلك بمنحه أول من يلقاه في القصر. وبناء على لقائنا الآن في القصر تكونين أنتِ المقصود بالوعد، وهذا يؤسفني جداً. لكنها وعدته بسبب مَعزّته عندها أنها مستعدة للذهاب مع صاحب الوعد إذا أتى.

Twitter: @ketab_n

لكـن (هانس يـا قنفذي) استمر فـي العناية بخنازيـره، والخنازير توالدت فتكاثرت حتـى امتلأت الغابة بها، فلم يعد (هانس يا قنفذي) راغباً في العيش بالغابـة، فأرسل إلى والده يقول بأن عليهم في القرية إخلاء جميع الاصطبلات لأنـه آتٍ مع قطيع هائـل من الخنازير، بحيث يستطيـع كل من يريد في القرية أن يذبـح منها ما يشـاء. عندما سمع والده الخبر تكـدرت حياته، فقد ظن أن (هانـس يـا قنفذي) قد مات منـذ زمن بعيد. بيد أن (هانـس يا قنفذي) ركـب ديكـه الصياح وساق القطيع إلى القرية، وسمح للجميع بأن يذبحوا ما شاؤوا، فجَـرَت عملية ذبح وتقطيع لم تشهـد مثلها المنطقة كلهـا سابقاً، حتى سُمع صوت قباع الخنازير من مسافة ساعتين من القرية.

وبعدهـا قـال (هانس يا قنفذي) لأبيه: «ليتك يا أبـي تطلب من الحداد أن يركـب حدوتين جديدتيـن لديكي الصيّاح، لأني سأركبـه وأغادر، ولن أعود إليكم طوال حياتي». نفّـذ الأب طلب ابنه وكان مسروراً بعدم عودته. اعتلى (هانس يا قنفذي) ديكه وتوجه نحو المملكة الأولى التي كان ملكها قد أعطى أوامـره لجنـوده بإطلاق النار علـى كل من يركب ديكاً ويحمـل مزمار قربة، وأن يضربـوه ويطعنوه بالحـراب كيلا يصل إلى القصر. وفعـلاً، عند وصول (هانس يـا قنفذي) على ديكه هجم عليه الجنـود بالحراب، لكنه نكز الديك بمهمازيـه فطار من فوق البوابة وحتى نافـذة قاعة العرش، حيث حط. فصاح (هانـس يا قنفـذي) بالملك بأن عليـه أن يعطيه ما وعده بـه، وإلا فإنه سيقتله ويقتـل ابنته. فوجه الملك إلى ابنته بعض الكلمات اللطيفة، ورجاها أن تلتحق (بهانس يا قنفذي) لتنقذ حياتها وحياته معاً. فارتدت ثوباً أبيض وزودها أبوها بعربـة تجرها ستة جياد مع خدم وحشـم وأموال ومجوهرات. ركبت الأميرة فـي العربة. وجلس (هانس يا قنفـذي) إلى جانبها مع ديكـه الصياح ومزمار القربـة، ثم ودعـوا الملك وغادروا، وفي ظـن الملك أنه لن يـرى ابنته ثانية. بيـد أن الأحداث جرت على عكـس ما فكر به. فبعد أن ابتعدت العربة مسافة عن المدينة، خلـع (هانس يا قنفذي) عن الأميرة ثيابها الجميلة ووخزها بإبرة

Twitter: @ketab_n

حتى سال دمها وقال لها: «هذا جزاء غدركم. ارجعي من حيث أتيت، أنا لا أريدك» وطردها إلى بيتها. أما هو فركب ديكه حاملاً مزماره وتابع طريقه باتجاه المملكة الثانية التي أرشد ملكها أيضاً إلى الطريق الصحيح. وكان هذا الملك قد أعطى تعليماته أنه في حال قدوم من تشبه أوصافه (هانس يا قنفذي) فعلى الجنود أن يقفوا له باستعداد ويقدموا سلاحهم تحيةً، وأن يقودوه إلى القصر الملكي مرافقاً بهتافات «يعيش، يعيش». عندما وقع نظر الأميرة على (هانس يا قنفذي) ارتعبت بسبب منظره الغريب العجيب، لكنها تذكرت وعدها لأبيها، فاستقبلته بترحاب، وعقد قرانه عليها، وجلس إلى جانبها عند تناول الطعام أثناء المأدبة الملكية، فأكلا وشربا معاً. وعندما حل المساء وحان موعد النوم، شعرت الأميرة بخوف كبير من أشواكه، لكنه هدأ من روعها وقال لها إنها لن تصاب بأي أذى، ثم وجه كلامه إلى الملك الكهل وطلب منه أن يأمر أربعة من أشخاص بحراسة باب حجرة النوم وبأن يوقد ناراً متأججة، وعندما يدخل إلى الحجرة، وقبل أن يأوي إلى السرير سيخلع عنه جلد القنفذ بأشواكه ويتركه على الأرض أمام السرير، فعلى الأربعة أن يأخذوه بسرعة ويقذفوه إلى النار، وينتظروا حتى تأكله النار كله.

عندما دقت الساعة الحادية عشرة دخل (هانس يا قنفذي) حجرة النوم وتجرد من جلد القنفذ وتركه على الأرض، فدخل الرجال بسرعة ورفعوه ورموه إلى النار المتأججة. وحالما التهمته النار، زالت عنه لعنة السحر واستعاد هيئته البشرية الطبيعية، لكنه كان أسود كالفحم، وكأنه محروق. استدعى الملك طبيبه الذي غسله ودهنه بمرهم وبلسم فصار أبيض كشاب وسيم، وعندما رأت الأميرة ذلك ملأ الفرح قلبها. وفي صباح اليوم التالي استيقظا سعيدين، فأكلا وشربا، واحتفلا الآن احتفالاً حقيقياً بعرسهما، وتنازل الملك الكهل عن المملكة (لهانس) زوج ابنته.

بعد مضي عدد من السنوات رحل هانس برفقة زوجته إلى والده وأخبره بأنه ابنه. فأتاه جواب الأب بأنه لا ابن له، وبأنه ذات يوم كان عنده ابن يشبه

Twitter: @ketab_n

القنفـذ بأشواكـه منـذ ولادته، لكنه ذهب ولـم يعد. فعرَّفه هانـس على نفسه بالدلائل، ففرح الأب العجوز ورافق ابنه إلى مملكته.

«إلى هنا انتهت حكايتي،

وسأدخل قبل القنفذ إلى بيتي».

Twitter: @ketab_n

(١٠٩)

قميص الموتى

كان لأم صبي صغير في السابعة من عمره، وكان جميل الطلعة، حلو المعشر، لا يـراه أحـد إلا ويحبه، وكانت أمـه تحبه أكثر من أي شيء آخـر في الدنيا كلها. ولكـن حصل أن مرض الصبـي فجأة، واختاره الرب إلى جواره. ولم تجد الأم ما يعزيهـا ويسلوها عن فقدانه، فأخذت تبكي نهاراً وليلاً. ولكن بعد دفنه سرعان ما صار الصبي يظهر ليلاً في الأماكن التي كان يفضل الجلوس أو اللعب فيها، وكلما بكت الأم بكى الصبي، وعندما يأتي الصباح يختفي الصبي.

بيد أن الأم لم تتوقف عن البكاء، ولم ترد ذلك، فجاءها ذات ليلة مرتدياً قميص الموتـى الأبيض الذي دفن فيه والإكليل على رأسه، جلس على السرير عند قدميها وقـال لها: «كفـي عن البكاء يا أمـي، وإلا فإني لن أستطيع النـوم في تابوتي، لأن قميصـي لا يجف من دموعك التي تنزل عليه». ارتعبت الأم عندما سمعت كلامه وكفت عن البكاء.

وفـي الليلـة التالية ظهر الصبي مجـدداً حاملاً بيده شمعة صغيـرة، وقال لها: «أتريـن، قميصي يكاد يجف وسأرتاح في قبري». فأوكلت الأم أمرها إلى خالقها واحتملت ألمها بصبر وهدوء، ولم يعد الصبي إلى الظهور، بل صار ينام في سريره تحت الأرض.

Twitter: @ketab_n

(١١٠)

يهودي بين الأشواك

عاش ذات يوم رجل ثـري، كان عنده خادم نشيط ومخلص، يستيقظ وينهض مـن فراشه قبل الجميع كل صباح، ويكون آخر مـن يدخل فراشه مساء. وإن كان هنـاك عمل شاق لا يوجد من يود المشاركة فيـه كان أول من يمد يديه. ولم يكن يشكو، بل كان قنوعاً راضياً بكل شيء وبشوشاً دائماً.

عندمـا مضى عليه سنة في خدمة الغنـي، لم يعطه سيّده أجرة، بل فكر: «هكذا يكـون الذكاء، إذ أوفر قليلاً واستبقيـه عندي ليستمر في خدمتي». صمت الخادم ولم يحتج، بل تابع الخدمة سنة ثانية بأسلوبه نفسه. وعندما لم يتلق أجراً حتى في نهاية السنـة الثانية، لم ينبس ببنت شفة واستمر في العمل. وعند نهاية السنة الثالثة فكـر السيـد ومد يده إلى جيبه، لـم يُخرج منها شيئاً. وأخيـراً نطق الخادم وقال: «لقـد خدمتك يا سيدي ثلاث سنوات بإخلاص، فهلا تعطفت ودفعت لي حقي، فأنـا أريد الرحيل للتعرف على الدنيـا». فأجابه السيد البخيل: «صحيح يا خادمي الطيب، لقد خدمتني بدون كلل أو ملل، ولذلك فإنك تستحق أجراً مجزياً». ومد يـده إلى جيبه ثانية ودفع للخادم ثلاث قطع نحاسية تعادل كل منها عشرة قروش، وقـال: «إليك قطعة كاملة عـن كل سنة، وهذا أجر سخي مبحبح، لن تحصل على مثلـه إلا عند قلة من السادة». والخادم الطيب القليـل الخبرة بأمور النقود، وضع أجـره فـي جيبه وهو يفكر: «الآن صار في جيبك مـا يكفي، فلماذا تتعب نفسك بالشغل والهموم؟»

رحل الخادم مشياً عبر المروج والحقول والجبال وهو مسرور يملؤه الحبور.

Twitter: @ketab_n

وعنـد مـروره بأجمة صادف أن ظهر لـه قزم صغير وبادره سائـلاً: «إلى أين الطريق يـا أخي البشوش؟ أرى أن حِملك من الهموم قليل». فأجابـه الخادم: «وما الداعي للحـزن، جيبي ملـيء بأجر ثلاث سنـوات، كل قطعة منها تنطح الأخـرى». فسأله القـزم: «وكم تبلغ ثروتـك؟» فقال الخادم: «كم؟ ثلاث قطـع نحاسية عداً ونقداً». فقال القـزم: «اسمع يا أخي، أنا رجل فقير معوز، اهدني قطعك الثلاث، فأنا لم أعدْ قـادراً على الشغل، أما أنت فما زلت شاباً فتياً يمكنك كسب رزقك بسهولة». وبما أن الخـادم كان طيب القلب فقـد أشفق على القزم وأعطاه القطـع النحاسية الثلاث وقال: «خذ، أنا بإذن الله لن يعوزني شيء». وعندها قال له القزم: «بما أني متأكد من طيبـة قلبك، فإني أمنحك فرصة تحقيق ثلاث أمنيات مقابل القطع النقدية الثلاث»، فأجابـه الخادم: «أها، أنت إذن من أولئك القادريـن على السحر. طيب، إذا كان لا بـدْ، فإني أتمنى أولاً بندقية صيد طيور، تصيب كل ما أصوب نحوه، وأتمنى ثانياً آلة كمـان إذا عزفـت عليها يرقص كل من يسمع صوتها، وأتمنـى ثالثاً إذا التمستُ أمراً مـن أحدٍ أن لا يردني خائباً». فقال القزم: «لك كل ما تمنيت»، ومد يده إلى الأجمة وأخرج منها بندقية طيور وكماناً، وكأنهما كانا جاهزين قيد الطلب. ناولهما للخادم وقال: «في كل ما ستلتمسه لن يردك أحدٌ خائباً، كائناً من كان».

«أتشتهـي يـا قلبي أكثر من هـذا؟» قال الخادم فـي سره وتابـع طريقه في حبور وسـرور، وبعـد فترة قصيـرة التقى يهودياً بلحيـة طويلة كالتيـس، كان واقفاً يصغي إلـى تغريـد طائر جالس علـى ذروة شجرة. «إنهـا لمعجزة ربانيـة» هتف اليهودي وأردف: «حيـوان صغير بهذا الحجـم وله هذا الصوت القوي الصـاوي! ليته كان فـي يدي! ليت أحدهم يُخردِقه لي!» فقال له الخادم: «إذا كان هذا كل ما في الأمر، فسرعـان ما سأُنـزل لك هذا الطير»، ولقَّم بندقيته وسـدد فأصاب، وسقط الطير في السياج الشوكـي، فقال لليهودي: «هيا أيها المحتال، التقط طيرك من هناك!» فقال اليهـودي: «حاضر، سألتقط الطير، ولكن فقط لأنك أصبته»، واستلقى على الأرض وبـدأ يزحف متغلغلاً بيـن شجيرات السياج الشوكي، وعندمـا وصل إلى منتصفها، حرقصـت روحُ الشغـب الخادمَ الطيب، فتنـاول كمانه وبدأ يعـزف. وفي اللحظة

Twitter: @ketab_n

نفسهـا أخذ اليهـودي يرفع ساقيه ويقفـز عالياً، وكلما تقدم عـزف الخادم، تحسن رقص اليهـودي. لكن الأشواك مزقـت ثيابه الرثة وسرَّحت لحيتـه الشعثاء ووخزته فـي جميع أنحاء جسمه، فصاح: «أهذا وقت الكمـان! لا أرغب في الرقص الآن». لكـن الخـادم لم يتوقف وقال في سـره: «لقد عذّبتَ أناساً كثيريـن، والآن جاء دور الأشـواك لتعذيبك» وعاود العزف بحيث ازدادت قفزات اليهودي ارتفاعاً وأخذت مِـزقُ ثيابه تعلق بالأشواك هنا وهناك، فصاح ثانيـة: «يا ويلي يا ويلي! سأعطيك كل ما تطلب، إذا توقفت عن هذا العزف، كيساً مملوءاً بالذهب». فقال له الخادم: «إذا كنـت كريماً إلى هذا الحد، فسأتوقف حتماً عـن العزف. ولكن بما أني سأمتدحك لاحقـاً، فلا بد أن تريني أبدع ما عندك في الرقـص، هنا!» ثم أخذ منه كيس الذهب وتابـع طريقه. بقي اليهودي واقفاً يتابعه بنظراته صامتاً حتى غاب الخادم عن ناظريه بعيـداً، وعندها صرخ بمـلء صوته: «أيها المزيكاتي الحقيـر، أيها السكران: انتظر حتى تقع يدي عليك! سأطاردك حتى يهترئ كعبا حذائك، يا حقير، يا مَن لا تسوى قرشاً زمن الغلاء»، واستمر يشتم ويسب مستخدماً كل ما يعرفه من مخزون الشتائم. وعندمـا أحس بأنه قـد فشَّ خلقه ونفَّس عـن كربه ذهب إلى القاضـي في المدينة: «سيـدي القاضي أنجدني! انظر ماذا فعل بـي الكافر على الطريق الزراعي، ثم سرق ما معي! لو كنتُ حجراً مرمياً على قارعة الطريق لاستحقيت الرحمة. قد مزق ثيابي وبهدلنـي! وخزني وخمش جسدي! ونظفني من كل ما أملك، بما في ذلك الكيس الملـيء بالدنانير الذهبية، كل منها أجمل من الآخر! كرمى للرب ارمه في السجن». سألـه القاضي: «هل كان جندياً فعل بك كل هذا بسيفـه؟» فأجابه اليهودي: «أعوذ بـالله! لكنه كان يحمل علـى ظهره بندقية عصافير وكماناً علـى صدره، لا يمكن أن تخطئوا في التعرف على هذا الشرير».

أرسل القاضي رجاله في إثر الخادم الطيب الذي كان يسير متمهلاً، ووجدوا معه كيس الدنانير الذهبية. وعندما مَثَل أمام القاضي في المحكمة قال: «أنا لم ألمس هذا اليهودي ولم آخذ منه ماله، بل هو الذي عرضه علي من تلقاء نفسه، وفقط كي أتوقف عن العزف، لأن موسيقاي لم تعجبه». فصاح اليهودي: «احفظنا يا رب! إنه يكذب

Twitter: @ketab_n

كمـن يصطاد الذباب عـن الجدار». بيد أن القاضي لم يصدق الخادم، إذ قال: «هذا تبريـر لا يصدق، إذ ما من يهودي يفعل هـذا». وحكم عليه بالشنق لارتكابه السرقة علـى الطريق الزراعـي. وعندما اقتادوا الخادم إلى المشنقـة، صاح اليهودي به: «يا أيها الكسول، يا مزيكاتي الكلاب، الآن ستحصل على مكافأتك المستحقة». صعد الخـادم مع الجلاد درج المشنقة بهدوء، لكنه عند الدرجة الأخيرة، التفت وخاطب القاضـي قائلاً: «أتسمح لي برغبة أخيرة قبل أن أمـوت!؟» فأجابه القاضي: «طبعاً، غـلا إذا رغبت بالبقاء حيـاً!» فصاح اليهودي بأقصى طاقتـه: «أعوذ بالله! لا تسمح لـه، لا تسمح لـه!» أما القاضي فقـال: «ولماذا سأحرمه من هـذه الفرحة القصيرة، بـل سأمـن عليه بها وكفى». ولم يكن بوسع القاضي رفض هذا الطلب بسبب أمنية الخـادم الثالثة التـي لباها له القزم. أما اليهودي فصاح: «يـا ويلي يا ويلي! أوثقوني! أوثقونـي بشدة». تناول الخادم الطيب كمانه من على صدره، وثبته بين كتفه وذقنه، ومـا أن سحـب القوسَ على الأوتار أول مرة، حتى أخـذ الجميع يتمايلون ويهزّون: القاضـي والكاتب وخادم المحكمة، وسقط الحبل من يد من كان سيوثِق اليهودي. ومـع السحبة الثانية رفع الجميع سيقانهم وترك الجلاد الخادم واستعد للرقص. ومع السحبـة الثالثة قفز الجميع في الهـواء وأخذوا يرقصـون، وكان القاضي واليهودي فـي المقدمة وكانا يقفزان أعلى من الآخرين. وسرعـان ما شارك في الرقص كل من وُجـد في ساحة السـوق ودفعه الفضول إلى الاقتراب من المشنقـة، كباراً وصغاراً، سمانـاً ونحافاً، بل حتى الكلاب، فقد وقفت على قوائمها الخلفية وأخذت تقفز مع الراقصيـن. وكلما امتد العزف كلما علا القفز، لدرجـة أن أخذت رؤوسهم تتصادم وهـم يطلقـون صرخات مروعـة. وأخيراً وبآخـر نفس، صاح القاضـي: «أمنحك حياتك، ولكن توقف عن العزف». أطاع الخادم الطيب الكلام وتوقف عن العزف، ثـم تقدم من اليهودي الـذي كان مرمياً على الأرض وهو يشهق طلباً للهواء وقال له: «اعتـرف الآن أيهـا المحتال، اعترف، من أيـن لك هذا المـال! وإلا فإني سأتناول كمانـي وأعزف مجدداً». فصـاح اليهودي: «لقد سرقته، لقد سرقتـه، أما أنت فقد حصلت عليه بشرف». وعندها ساق القاضي اليهودي اللص إلى المشنقة».

Twitter: @ketab_n

(١١١)

الصياد المدرَّب

في يوم من الأيام كان هناك فتى تعلم مهنة صناعة الأقفال وتصليحها. وبعد أن أنهى تدريبه قال لوالده إنه سيرحل بحثاً عن عمل، فوافق والده وأعطاه بعض المال للرحلة، جال الفتى في المنطقة باحثاً عن عمل.

وذات يوم وجد نفسه غريباً عن المهنة، وكأنه لا يعرفها، كما أنها لم تعد تعجبه، ورغب في تعلم مهنة الصيد. وفي أثناء تجواله قابل صياداً يرتدي بدلة خضراء، فسأله الصياد عن البلد التي جاء منها وعن وجهته، فأجابه الفتى بأنه قد أنهى تدريبه كصانع أقفال، لكنه لم يعد راضياً بهذه المهنة، بل يرغب في تعلم الصيد، فهل يقبله متدرباً عنده؟ فقال الصياد: «آخذك إذا رافقتني». فرافقه الفتى وخدمه وتدرب على يديه على الصيد طوال سنوات. وأراد بعد ذلك أن يجرب حظه وحده، لكن الصياد لم يدفع له أجر خدماته سوى بندقية هوائية تتصف بأن طلقاتها لا تخيب أبداً وتصيب الهدف بدقّة.

انطلق الشاب حاملاً بندقيته إلى غابة شاسعة، مشى فيها يوماً كاملاً ولم يصل إلى نهايتها. وعندما حل المساء تسلق شجرة عالية وجلس ليحمي نفسه من الحيوانات المفترسة. ونحو منتصف الليل تراءى له أنه يرى بصيص نور بعيد، فدقق النظر عبر الأغصان وحدد الاتجاه بدقة. ومع ذلك فقد نزع قبعته ورماها على الأرض باتجاه النور، كمؤشرٍ يتبعه بعد النزول عن الشجرة. وهذا هو ما فعله، إذ أعادها إلى رأسه ومشى في خط مستقيم. فكان كلما تقدم في الاتجاه كلما كبر حجم النور، وعندما اقترب منه وحده وجده ناراً متأججة، ورأى ثلاثة

Twitter: @ketab_n

عمالقة يجلسون حولها وهم يشوون ثوراً على سيخ ضخم. ثم سمع أحدهم يقول: «لا بد أن أجرب إذا كان اللحم قد نضج وصار جاهزاً للأكل»، وانتزع قطعة ليضعها في فمه، لكن الصياد الشاب طيَّرها من يده ببندقيته الهوائية، فقال العملاق: «الريح طيَّرت القطعة من يدي»، وانتزع قطعة ثانية. كان على وشك أن يقضمها بأسنانه عندما طيَّرها الصياد مجدداً من يده، فصفع العملاق جاره وصاح به: «ما بالك تنتزع القطعة مني؟» فقال جاره: «أنا لم أنتزعها منك، لا بد أن قنَّاصاً قد طيَّرها من يدك». انتزع العملاق قطعة ثالثة من الثور، لكنه لم يستطع إبقاءها في يده، لأن الصياد أصابها فطارت بعيداً. عندها قال العملاق: «لا شك في أنه قنّاص ماهر ليطيِّر اللقمة من فمي. قناص كهذا سيكون مفيداً لنا»، وقال بصوت عالٍ: «اقترب أيها القناص، واجلس معنا حول النار، وكل حتى تشبع. نحن لا ننوي بك سوءاً، إما إنْ لم تظهر، واضطررنا لإحضارك بالقوة، فقد راحتْ عليك». فتقدم الشاب منهم وأخبرهم بأنه صياد مدَّرب وأن بندقيته لا تخيب أبداً. فعرضوا عليه أن يشاركهم في أعمالهم ويكسب معهم جيداً، ثم أخبروه عن بحيرة كبيرة وراء الغابة، وأن وراء البحيرة يوجد قصر توجد فيه أميرة جميلة، يخططون لخطفها. فقال الصياد: «حسن، فلننفذ ذلك بسرعة». فتابعوا قائلين: «ولكن ثمة شيئاً آخر، هناك في القصر يوجد كلب صغير، يأخذ بالنباح حالما يقترب شخص غريب، ونباحه يوقظ جميع سكان القصر. ولهذا السبب لا نستطيع الدخول. هل تظن أنك قادر على قتل الكلب ببندقيتك؟» فأجاب الشاب: «طبعاً، هذا أبسط ما في الأمر».

ثم ركبوا مع الصياد سفينة عبرت بهم البحيرة، وعندما اقتربت من الشاطئ ركض الكلب ينوي النباح، لكن الصياد تناول بندقيته الهوائية وأرداه قتيلاً. عندما رأى العمالقة ذلك فرحوا، وظنوا أن الأميرة قد باتت في أيديهم، لكن الصياد أراد أن يطمئن إلى الأوضاع أولاً، فطلب منهم الانتظار خارج القصر ريثما يناديهم. ودخل القصر فشعر بسكون تام، ووجد الكل نياماً. عندما فتح الغرفة الأولى وجد على الجدار سيفاً فضياً معلقاً وعليه نجمة ذهبية واسمُ الملك محفوراً، ووجد على

Twitter: @ketab_n

طاولة تحته رسالة مختومة بالشمع، نفضها وقرأ فيها أن حامل السيف يستطيع أن يقتل به كل من وما يعترضه. فأخذ السيف عن الجدار وعلقه على حزامِ خصره وتابع حتى دخل الغرفة التي تنام فيها الأميرة، نظر إليها فوجدها بارعة الجمال لدرجة أنه جمد في مكانه وهو يراقبها مقطوع الأنفاس، وقال لنفسه: «كيف لي أن أسلِّم هذه العذراء البريئة إلى أيدي العمالقة المتوحشين الذين ينوون بها شراً؟» تابع تفحصَ ما حوله فوجد تحت السرير خفّ الأميرة المنزلي، وقد كُتب اسم الملك على الفردة اليسرى إضافة إلى نجمة، واسمها على الفردة اليمنى إضافة إلى نجمة أخرى. وكانت الأميرة تلف حول رقبتها وشاحاً حريرياً موشى بالذهب، إضافة إلى اسمها مشغولاً بالذهب على نهايته اليمنى واسم الملك مشغولاً بالذهب على نهايته اليسرى. تناول الصياد مقصاً وقص النهاية اليمنى ووضعها في محفظة كتفه، ثم أخذ فردة الخف اليسرى ووضعها في المحفظة أيضاً. كل ذلك والأميرة غارقة في نومها ملفوفة بقميصها من جميع الجوانب، فقص جزءاً من قميصها ووضعه فوق الأشياء الأخرى في محفظته، من دون أن يلمس الأميرة، وغادر غرفتها وهي مستمرة في سباتها.

وعندما وصل إلى البوابة وجد العمالقة واقفين خارجاً في انتظار أن يحمل إليهم الأميرة. لكنه ناداهم قائلاً بأن الأميرة باتت أسيرته، وعليهم الدخول لمساعدته، لكنه غير قادر على فتح البوابة لهم، ولذلك عليهم الزحف عبر البوابة الصغيرة. اقترب العملاق الأول ودس رأسه في الفتحة، فلف الصياد شعر رأس العملاق على كفه وشد الرأس نحو الداخل وقطعه بالسيف بضربة واحدة ثم جر الجسم كله إلى الداخل. ثم نادى الثاني وقطع رأسه بالطريقة نفسها، وكذلك الثالث أخيراً، وشعر بالفرح لإنقاذه الأميرة الجميلة من أعدائها. ومن ثم قطع الصياد ألسنة العمالقة الثلاث ووضعها في محفظته، وقال لنفسه: «فلأذهب الآن إلى دار أبي لأريه ما حققت، وبعد ذلك سأخرج إلى دنيا الله الواسعة لأجول فيها بحثاً عما كتبه لي الله».

عندما استيقظ الملك في قصره شاهد العمالقة الثلاثة ميتين على الأرض، فذهب

Twitter: @ketab_n

إلـى غرفة ابنته، أيقظها وسألهـا عمن يُحتمل أن يكون قاتل العمالقة. فأجابته: «لا أدري يا أبي الحبيب، فقد كنت نائمة». وعندما نهضت من فراشها لتلبس خفّها لم تجد الفردة اليمنى، وحينما أرادت طيّ وشاحها وجدت طرفه الأيمن مقصوصاً، كما رأت جزءاً من قميص نومها ناقصاً. استدعى الملك جميع سكان القصر إلى اجتمـاع عام، بما في ذلك الجنود، وسألهم عمَّن حرر ابنته وقتل العمالقة الثلاثة. فزعـم أحد ضباطه برتبـة نقيب، وكان بشعاً وبعينٍ واحـدة، أنه هو الفاعل. فقال الملك العجوز، إذا كنتَ أنت من حقق ذلك، فإنكَ تستحق الأميرة زوجة لك. أما الأميـرة الصبية فكان رأيها: «أُفضـل يا أبي الحبيب أن أذهب إلى نهاية العالم على قدمي، على أن أتزوج هذا الرجل». فقال الملك: «إذا كنتِ لا تريدين الزواج بهذا الرجل، فعليك خلـع الملابس الملكية ولبس أخرى فلاحية ومغادرة القصر، وأن تذهبي إلى صانع فخار لتبدئي ببيع الأواني الفخارية للناس».

خلعـت الأميـرة ثيابها الملكية وتوجهت إلى صانـع فخار، واتفقت معه على أن تدفـع لـه ثمن الأوانـي مساءً بعد أن تكـون قد باعتهـا. وكان الملك قد أمرها بـأن تعرض بضاعتها للبيع في الساحة، ثم طلب عـدداً من عربات الفلاحين وأمر سائقيها بـأن يقتحموا الساحة ويدوسـوا البضاعة الفخاريـة فيحطموها إلى ألف شظيـة. وعندما فردت الأميرة بضاعتها على الأرض لعرضها على الزبائن، جاءت عربات الفلاحين فداستها بعجلاتها مخلفةً وراءها مجرد كسور. فأخذت الأميرة تبكي وقالت: «يا إلهي، كيف لي أن أدفع ثمنها لصانع الفخار؟» كان هدف الملك مـن وراء ذلك إجبارها على الزواج بالنقيب. بيـد أنها، بدلاً من ذلك، ذهبت إلى صانـع الفخار ثانية ورجته أن يعطيها دفعة ثانية مـن البضاعة، فأجابها: «ليس قبل أن تدفعي ثمن السابقة». فذهبت إلى والدها وهي تصيح وتشكو، ثم قالت له إنها ستخوضـ الحياة وحدها. فقال لها: «سأبني لك بيتـاً صغيراً في الغابة، ستمضين فيه أيام حياتـك كلها، تطبخين لأي ضيف يزورك ولا تتقاضين منه ثمن الطعام». وعندمـا انتهى بناء البيت، أمر بأن تعلق علـى بابه لافتة كتب عليها: «اليوم مجاناً، وغداً بفلوس».

Twitter: @ketab_n

أمضت الصبية وقتاً طويلاً في هذا المطعم المجاني، وانتشرت أخبارها هنا وهناك، عن أنها تطبخ للزوار مجاناً، وأن هذا معلن على اللافتة التي تعلو بابها. وصلت الأخبار إلى سمع الصياد أيضاً، ففكر في نفسه: «هذا أمر يلائمك، فأنت فقير ولا تملك نقوداً». فحمل بندقيته الهوائية ومحفظة كتفه التي وضع فيها آنذاك ما جمعه من القصر كدليل على ما فعله، ودخل الغابة حتى وصل إلى البيت الصغير الشهير بلافتة «اليوم مجاناً، وغداً بفلوس». وكان في الوقت نفسه يحمل السيف الذي قطع به رؤوس العمالقة الثلاثة. دخل الصياد وطلب بعض الطعام، وأبهجه جمال الفتاة البارع. سألته الفتاة من أين هو قادم وإلى أين ذاهب، فأجابها: «إني أجول في هذه الدنيا». فسألته ثانية عن السيف وكيف حصل عليه، إذ إن اسم أبيها محفور عليه. فأجابها سائلاً عما إذا كانت ابنة الملك. وعندما أجابت: «نعم، أنا ابنته». قال لها: «بهذا السيف قطعتُ رؤوس ثلاثة عمالقة» وكدليل على كلامه، أخرج من محفظته ألسنة العمالقة، ثم أراها فردة خفّها اليمنى ونهاية الوشاح والقطعة التي قصها من قميص نومها. فامتلأت الأميرة فرحاً وقالت: «إن خلاصها قد جاء على يديه.

وذهبا سوية إلى الملك العجوز وأحضراه من قصره إلى البيت الصغير، حيث قادته إلى غرفتها وأخبرته بأن الصياد هو المخلّص الحقيقي، الذي حررها من العمالقة. وعندما رأى الملك الأدلة زالت شكوكه كلها وقال: «يسعدني أن أعرف الآن كيف جرت الأمور آنذاك. وأنتَ تستحقها زوجة لك»، ففرحت الأميرة بقرار أبيها. وبناء على ذلك ألبسا الصيادَ وكأنه سيد غريب قادم كضيف، وأقام الملك مأدبة على شرفه. وعندما توجهوا للجلوس إلى المائدة جلس النقيب إلى يسار الأميرة والصياد إلى يمينها، وفي ظنّ النقيب أن الصياد ضيف غريب في زيارة. وبعد أن أكلوا وشربوا توجّه الملك إلى النقيب بكلامه وطلب منه حل الأحجية التالية: «إذا زعم أحدهم أنه قتل ثلاثة عمالقة، وسُئل عن ألسنتهم، فنظر في أفواههم ولم يجدها، فما هو الحل؟» فأجاب النقيب: «العمالقة لا ألسنة لهم». فقال الملك: «بل لهم، إذ لكل حيوان لسان، حتى أصغرها»، وتابع يسأله: «وماذا

Twitter: @ketab_n

يستحـق برأيك؟» فأجاب النقيب: «يستحـق أن يمزَّق إرباً»، فقال الملك: «أنت من نطق بالحكم علـى نفسه». واقتيد النقيب إلى السجن، ثم نُفِّذ فيه الحكم، أما الأميـرة فتزوجت الصياد. وبعد مدة استدعى الصياد أباه وأمه إليه، فعاشا عنده في سعادة. وبعد وفاة الملك العجوز صار الصياد ملكاً.

Twitter: @ketab_n

(١١٢)

مِدْراس الحنطة السماوي

ذات يوم خرج فلاح يسوق أمامه ثوران ليحرث حقله. عندما وصل إلى الحقل أخذت قرون الثورين تنمو وتكبر باستمرار، وحينما أراد العودة إلى الدار كانت القرون قد كبرت بحيث لم يتمكن الفلاح من إدخالها عبر البوابة. ولحسن حظه مرَّ به لحام، فترك له أمر الثورين، وعقدا صفقة بينهما بأن يُحضر الفلاحُ للحام مكيالاً مملوءاً ببذور اللفت والجزر والشوندر، فيدفع له اللحام لقاء كل بذرة ديناراً فضياً كاملاً. دخل الفلاح إلى داره وحمل مكيالاً مملوءاً بالبذور وعاد، وأثناء الرجوع سقطت منه حبة واحدة على الأرض. وحسب الاتفاق دفع له اللحام المبلغ كاملاً، عداً ونقداً، ولو لم تسقط الحبة منه لحصل على دينار فضي فوق المبلغ.

في أثناء عملية المحاسبة وبينما كان الفلاح عائداً إلى داره كانت الحبة الساقطة قد انبثقت من التربة لتصير شجرة باسقة وصلت إلى السماء. عندها قال الفلاح لنفسه: «بما أن الفرصة سانحة الآن، فاصعد لترى ماذا يفعل الملائكة فوق وماذا يخططون». حزم أمره وتسلق الشجرة حتى وصل إلى السماء، فرأى الملائكة هناك يدرسون الشوفان بهرةُ المنظر فأخذ يراقبهم، وفي أثناء ذلك انتبه إلى أن الشجرة التي يقف عليها قد أخذت تهتز، فنظر نحو الأسفل، فرأى أحدهم يقطع الشجرة بالفأس. فقال لنفسه: «إذا سقطتَ فستكون العاقبة وخيمة»، وفي خضمّ ورطته لم يجد ما ينقذ به نفسه سوى أن جمع هشيم الشوفان من الأكوام المتناثرة هناك، وجدل منه حبلاً، كما أخذ معولاً ومدراساً مما كان مرمياً على أرض السماء

Twitter: @ketab_n

ونــزل على الحبــل. وعندما وصل إلى الأرض وجد نفســه في حفرة عميقة جداً، فكان من حسن حظه أن أخذ معه المعول من السماء، إذ استخدمه الآن لصنع درجٍ صعد عليه إلى سطح الأرض، حاملاً معه المدراس كدليل على صدق حكايته.

Twitter: @ketab_n

(١١٣)

الأمير والأميرة

كان هنـاك ملـك أنجبت له الملكة صبياً صغيراً، ورَدَ فـي برجه أن وعلاً كبيراً سيقتلـه عندما يبلـغ السادسة عشرة من عمـره. وعندما صار فـي السادسة عشرة خـرج الصيادون معـه ذات يوم إلى الصيد، وفي الغابة تـاه الأمير عن المجموعة، ورأى أمامه فجأة وعلاً كبيراً، فأطلق عليه النار لكي يقتله، لكنه لم يصبه. استمرت مطاردتـه الوعـل فترة طويلة، حتى أنه خرج من الغابة، وفجـأة انتصب أمامه بدلاً مـن الوعل رجل طويل وضخم، قال له: «حسنٌ أنـي قد أمسكت بك أخيراً، لقد استهلكـت ستـة أزواج من أحذية الصيد في مطاردتك، ولـم أتمكن من الإمساك بك».

وسحبه وراءه عبر بحيرة واسعة حتى وصلا إلى قصر ملكي هائل الحجم. كان على الفتى هناك أن يجلس إلى المائدة ويأكل مع العائلة، وبعد أن انتهوا من تناول الطعـام، قال له الملـك: «عندي ثلاث بنات، عليك القيـام بحراسة الكبرى هذه الليلـة من التاسعـة مساء حتى السادسة صباحاً، وكلما دقـت الساعة سآتي بنفسي وأناديـك، فـإن لم تجبنـي، فستُعدم صباحاً. أمـا إن أجبتني كل مـرة، فيحقّ لك الزواج بها».

عندمـا دخل الفتى والفتاة إلى حجرة النـوم، كان فيها تمثال حجري، خاطبته الأميـرة قائلة: «عند الساعة التاسعة سيأتـي أبي، ثم كل ساعة حتى الثالثة، وعندما يسـأل أجبه أنت بـدلاً من الأمير». أومأ التمثال الحجـري برأسه بحركة سريعة ثم بحـركات أخذت تتباطأ إلـى أن ثبت. في صباح اليوم التالي قـال الملك للأمير:

Twitter: @ketab_n

«لقد قمتَ بواجبك بصورة جيدة، لكنني ما زلت لا استطيع تزويجك بابنتي. عليك أن تقوم الليلة بحراسة ابنتي الصغرى، وبعدها سأفكر في احتمال تزويجك بابنتي الوسطى. لكنني سآتي بنفسي كل ساعة، فإذا ناديتك أجبني. أما إذا ناديتك ولم تجبني، فسأسفح دمك».

بعد ذلك دخل الفتى والفتاة الصغرى إلى حجرة النوم الثالثة، حيث يوجد تمثال حجري أكبر من السابقين، خاطبته الأميرة الصغرى قائلة: «إذا أبي سأل، فأجبه أنت!» وهذا التمثال الحجري الهائل بقي يومئ برأسه قرابة نصف ساعة إلى أن ثبت وسكن. وفي هذه الليلة أيضاً استلقى الأمير على عتبة الباب ونام. وفي صباح اليوم التالي، قال له الملك: «لقد قمتَ بواجبك بصورة جيدة، لكنني ما زلت لا أستطيع تزويجك بابنتي. عندي غابة كبيرة، إذا حطّبت خشبها كله في الساعة السادسة صباحاً حتى الساعة السادسة مساءً، عندها سأفكر في الموضوع». وأعطى الأمير بلطة من زجاج وإسفيناً من زجاج وفأساً من زجاج.

عندما وصل الأمير إلى الغابة، هوى بالفأس على شجرة، فانفلقت الفأس نصفين. دق الاسفين وطرقه بمؤخرة البلطة، فتحول إلى شظايا ناعمة كالرمل. غمر الكربُ الأميرَ وقد ظن أن سيموت لا محالة، فجلس وأخذ يبكي. وعندما جاء وقت الغداء قال الملك: «يجب على إحداكن أن توصل له بعض الطعام». رفضت الكبيرة والوسطى وقالتا: «لن نوصل له أي شيء، فلتقم بذلك من قام بالحراسة عندها بالأمس». فاضطرت الصغيرة إلى الذهاب لتوصل له بعض الطعام.

وعندما وصلت إل الغابة، سألته عن أحواله، فقال: «أحوالي سيئة جداً». فقالت له: «تعال وكل بعض الطعام»، فأجاب: «لا، لا أستطيع، لأنني سأموت. لا أريد أن آكل». فطيبّت خاطره وهدأته بكثير من الكلام الجميل ورجته أن يحاول. وبعد أن أكل قليلاً قالت له: «سوف أفلّي رأسك من القمل كي تخطر ببالك أفكار نيِّرة» وفي أثناء قيامها بذلك داهمه التعب فنعس ونام. تناولت الأميرة منديلها

Twitter: @ketab_n

وربطت فيه عقدةً وضربت به الأرض ثلاث مرات وهي تقول: «أيها العمال اخرجوا!» وفي التو ظهرت أعداد كبيرة من الأقزام أو عفاريت الأرض وسألوها بماذا تأمرهم، فقالت لهم: «خلال ثلاث ساعات يجب تحطيب هذه الغابة كلها وترتيب الحطب فوق بعضه!» فجمع الأقزام أقاربهم من الجوار لكي يساعدوهم، وبدؤوا بالعمل من فورهم. وما أن مضت الساعات الثلاث حتى انتهوا من عملهم وأخبروا الأميرة بذلك، فتناولت منديلها ثانية وضربت به الأرض ثلاث مرات وهي تقول: «أيها العمال، إلى بيوتكم!» فاختفوا. وعندما استيقظ الأمير غمره منظر الغابة الفارغة بالسرور والبهجة، فقالت له الأميرة: «عندما تدق الساعة السادسة عدْ إلى القصر!» نفَّذ الأمير تعليماتها، فسأله الملك: «هل حطَّبت الغابة؟» فأجابه الأمير: «نعم». وعندما جلسوا إلى المائدة قال له الملك: «لستُ قادراً بعد على تزويجك بابنتي، إذا عليك أن تنفذ مهمة أخرى من أجلها». سأله الأمير عن المهمة الجديدة، فقال الملك: «عندي بركة كبيرة، اذهب إليها غداً صباحاً ونظفها من الوحل والطحالب لتصير صافية كالمرآة، ويجب أن يوجد فيها عدة أنواع من السمك». في صباح اليوم التالي أعطاه الملك جاروفاً زجاجياً وقال: «في السادسة يجب أن تكون البركة جاهزة».

وهكذا خرج الأمير إلى البركة، وحالما غرز الجاروف في الوحل انكسر، فاستخدم الفأس، فانكسرت أيضاً، فأصابه كرب شديد. عند الظهر أحضرت الأميرة الصغيرة طعاماً وسألته عن أحواله، فأجابها الأمير بأن أحواله سيئة جداً وأنه على الأرجح سيفقد رأسه، لأن أدوات العمل كُسرت. فقالت الأميرة: «هكذا إذاً! تعال الآن وكل بعض الطعام، لعل أفكارك تتغير»، فأجابها: «لا، لا أستطيع أن آكل، لأني شديد الحزن». فطيَّبت خاطره وهدأته مجدداً بكثير من الكلام الجميل، إلى أن أقبل وأكل بعض الطعام. ثم فلّته ثانية من القمل فنام بين يديها. تناولت منديلها وربطت فيه عقدة، وضربت به الأرض ثلاث مرات وهي تقول: «أيها العمال، اخرجوا!» وفي التو ظهرت أعداد كبيرة من الأقزام وسألوها بماذا تأمرهم، فقالت لهم بأن عليهم تنظيف البركة من الوحل والطحالب لتصير صافية كالمرآة، ويجب

Twitter: @ketab_n

أن يوجد فيها عدة أنواع من السمك، وذلك خلال ساعات فجمع الأقزام أقاربهم من الجوار لكي يساعدوهم، وبدؤوا بالعمل فوراً. وما أن مضت ساعتان حتى انتهوا، وأخبروا الأميرة بذلك قائلين: «لقد أنجزنا ما أمرتنا به». فتناولت الأميرة منديلها وضربت به الأرض مجدداً ثلاث مرات وهي تقول: «أيها العمال، إلى بيوتكم!» فاختفوا جميعهم. عندما استيقظ الأمير وجد أن البركة جاهزة، وعندها غادرت الأميرة أيضاً وهي تقول: «عندما تدق الساعة السادسة، عد إلى القصر!»

وحالما وصل إلى القصر سأله الملك: «هل صارت البركة جاهزة؟» فقال الأمير: «نعم». وعندما جلسوا إلى المائدة قال له الملك: «لقد أنجزتَ عمل البركة، لكنني لست قادراً بعدْ على تزويجك بابنتي. ما زالت هناك مهمة عليك القيام بها». فسأله الأمير: «وما هي؟» فقال الملك إن لديه جبلاً كبيراً، تملؤه شجيرات شوكية، لا بد من قطعها جميعها، ثم لا بد من بناء قصر منيف على القمة، يكون جميلاً كما في الخيال، ومفروشاً بكل توابعه ولوازمه من أثاث وغيره. عندما نهض الأمير في صباح اليوم التالي أعطاه الملك بلطة زجاجية وحفّارة زجاجية وقال: «عند الساعة السادسة يجب أن يكون كل شيء جاهزاً». عندما هوى الأمير بالبلطة الزجاجية على أول شجيرة شوكية، انكسرت البلطة نصفين وتفتت وانتثرت حوله، كما أنه لم يتمكن من استخدام الحفّارة، فأصيب بكرب شديد، وجلس منتظراً حبيبته، عساها تأتي وتنقذه من المأزق. عندما جاءته ظهراً حاملة معها الطعام، استقبلها وحكى لها كل شيء، وتناول بعض الطعام، ثم تركها تفلّي رأسه من القمل ونام.

تناولت الأميرة ثانية منديلها المعقود وضربت به الأرض قائلة: «أيها العمال، اخرجوا!» فجاءتها فوراً أعداد غفيرة من الأقزام وسألوها عن مرادها، فأجابتهم: «عليكم خلال ثلاث ساعات قطع جميع الشجيرات الشوكية، وبناء قصر في القمة يكون جميلاً كما في الخيال ومزوداً بالأثاث والتوابع واللوازم». فجمع الأقزام أقاربهم من الجوار لكي يساعدوهم، وبدؤوا بالعمل فوراً. وعندما انتهى الوقت كان العمل منجزاً، فعادوا كعادتهم إلى الأميرة وأخبروها، فتناولت المنديل

Twitter: @ketab_n

وضربت به الأرض ثلاث مرات وهي تقول: «أيها العمال، إلى بيوتكم!» فاختفوا جميعهم فوراً. وعندما استيقظ الأمير وشاهد ما أُنجز غمره الفرح كطائر في الهواء.

عندما دقت الساعة السادسة ذهبا إلى القصر معاً. وهناك سأله الأمير: «هل أُنجز القصر؟» فأجاب الأمير: «نعم». وعندما جلسا إلى المائدة معاً، قال الملك: لا يمكنني إعطاءك ابنتي الصغرى، قبل أن تتزوج أختاها الأكبر». فأصيب الأمير والأميرة الصغيرة بالكرب، ولم يدرِ الأمير أي مخرج، ولكن عندما حل الليل هرب مع الأميرة. بعد أن قطعا مسافة من الطريق التفتت الأميرة إلى الوراء فرأت أباها في إثرهما، فصاحت: «ماذا سنفعل الآن؟ أبي يطاردنا ويريد الإمساك بنا. سأحوّلك إلى شجيرة شوكية وأحول نفسي إلى وردة في وسط الشجيرة لأكون في مأمن».

عندما وصل أبوها إلى المكان وجد هناك شجيرة شوكية وفي منتصفها وردة. أراد قطع ساق الوردة لكن الشوكة وخزته في أصبعه، بحيث اضطر إلى العودة إلى قصره. فسألته زوجته عن سبب عودته من دونهما، فحكى لها أنه قد اقترب منهما جداً، لكنهما اختفيا فجأة، ووجد في المكان شجيرة شوكية ووردة. فأجابته الملكة: «لو أنك قطعت الوردة فقط، للحقت بك شجيرة الشوك من نفسها». فانطلق مجدداً في إثرهما ليأتي بالوردة. في أثناء ذلك كان الأمير والأميرة قد تجاوزا حقولاً واسعة، والملك لا يزال يطاردهما. التفتت الأميرة إلى الوراء فرأت أباها قادماً، فصاحت: «ماذا سنفعل الآن؟ سأحوّلك إلى كنيسة وأحول نفسي إلى خوري فيها. سأقف على المنبر وألقي موعظتي».

عندما وصل الملك إلى المكان وجد كنيسة وقد وقف على منبرها خوري يعظ، فاستمع إلى الموعظة وعاد أدراجه إلى القصر. وهناك سألته الملكة عن سبب عودته من دونهما، فأجاب: «طاردتهما مدة طويلة، وحين ظننت أني قد لحقت بهما، إذ بي أجد كنيسة وخورياً على منبرها يلقي موعظة». فقالت له الملكة:

Twitter: @ketab_n

«كان عليك أن تأتي بالخوري، لتلحق بك الكنيسة من نفسها. هذا ما يحدث كلما أرسلتُك في مهمة! لكن هذا الكلام لا يفيدنا الآن، لذا سأطاردهما بنفسي».

بعد أن قطعت مسافة طويلة ورأتهما من بعيد، التفتت الأميرة إلى الوراء فرأت أمها آتية في إثرهما، فصاحت: «يا ويلي، أمي نفسها تطاردنا الآن. سأحولك إلى بركة، وأحول نفسي إلى سمكة». عندما وصلت الأم إلى المكان، وجدت أمامها بركة كبيرة وفي وسطها سمكة صغيرة تسبح في حلقات رافعة رأسها من الماء وهي تنظر حولها بيقظة. أرادت الأم الإمساك بهذه السمكة، لكنها لم تستطع اصطيادها، فانتابها غضب شديد جعلها تشرب البركة كلها، فقط لتحصل على السمكة الصغيرة، لكنها أصيبت بغثيان مقيت فتقيأت ماء البركة كله. وعندما هدأت قالت: «أرى أن لا شيء سيفيدُ هنا»، بيد أن الأمير والأميرة رغبا في العودة معها، فعادوا جميعهم إلى القصر معاً. ومن ثمة منحت الأم ابنتها ثلاث جوزات وقالت لها: «ستجدين فيها ما يساعدك في وقت الشدة»، وغادر الأمير والأميرة القصر ثانية.

وبعد أن مشيا نحو عشر ساعات وصلا إلى القرية المجاورة للقصر الذي ولد فيه الأمير، فقال لها: «ابقي هنا يا حبيبتي، سأهذب أولاً إلى القصر وسآتي لآخذك في عربة مع الخدم». وحينما دخل الأمير قصره ابتهج الجميع بعودته إليهم سالماً، فأخبرهم أن عروسه معه تنتظره في القرية الآن، وأن عليه الذهاب لإحضارها بالعربة. فأُسرجت الخيول فوراً وجُهزت العربة مع عدد من الخدم، ولكن حالما أراد الأمير ركوب العربة قبلته أمه قبلة جعلته ينسى كل شيء، كل ما جرى معه، وما عليه أن يفعل الآن. وعندها أمرت الملكة بإعادة الخيول إلى الاصطبل، ودخل الجميع إلى القصر وكأن شيئاً لم يكن. أما الصبية المسكينة في القرية فقد بقيت تنتظر وتنتظر وهي تقنع نفسها بأنه آت لأخذها، ولكنْ لم يأت أحد، فلم يكن أمامها من حل سوى أن تشتغل في الطاحون التابعة للقصر. وكان عليها يومياً عند العصر أن تجلس على ضفة النهر لتجلي الأواني.

Twitter: @ketab_n

وذات يوم كانت الملكة الأم تتمشى على ضفة النهر قرب الطاحون فشاهدت الفتاة الصالحة جالسة هناك، فقالت: «يا لها من فتاة مهذبة ومؤدبة. لقد أعجبتني جداً!» فنظرت الحاشية إلى الفتاة من دون أن يتعرف أحد منهم عليها.

مضى وقت طويل والصبية تخدم في الطاحون بنشاط وإخلاص، وخلال ذلك كانت الملكة الأم تبحث لابنها عن عروس، حتى وجدتها في قصر بعيد ناءٍ. وقد خططت لإقامة حفلة الزفاف فور وصول العروس إلى القصر. فتراكض الناس من كل حدب وصوب لمتابعة التحضيرات ورؤية العروسين. وعندها طلبت الصبية من الطحان الإذن بالذهاب أيضاً، فسمح لها بكل رضا. لكنها قبل خروجها، فتحت إحدى الجوزات الثلاث، فوجدت فيها فستاناً بديع الجمال لافت الأُبّهة، فارتدته ودخلت به إلى الكنيسة ووقفت قرب المذبح. وما أن أخذت مكانها حتى دخل العروسان وجلسا قبالة المذبح. ولكن حالما أراد الخوري البدءَ بمراسم عقد القران حتى التفتت العروس جانباً ورأت الصبية الواقفة هناك، فنهضت ثانية وقالت إنها ترفض عقد القران قبل أن تحصل على ثوب بهي مثل تلك الصبية. ولهذا عادوا إلى القصر، وأرسلوا من يسأل الصبية عمَّ إذا كانت مستعدةً لبيع ثوبها. فأجابت بأن لا، إنه ليس للبيع للمقايضة. ولمّا سألت العروسُ الصبيةَ عما تعنيه بذلك، أجابتها: «إذا سمحتِ لي بالنوم ليلاً على عتبة غرفة العريس، فيمكنك الحصول على الثوب». فقالت لها العروس: «لا مانع، اذهبي ونامي على العتبة!» وأمرت الخدم بإعطاء الأمير شراباً منوماً. استلقت الصبية عند العتبة وحكت كل شيء وهي تبكي، حكت أنها أمرت بتحطيب الغابة بدلاً منه، وبتنظيف البركة من الوحل بدلاً منه، وبتجريد الجبل من الشوك وبناء القصر عليه بدلاً منه. وحكت أنها قد حوّلته إلى أجمة شوكية ثم إلى كنيسة ثم إلى بركة، ورغم كل هذا سرعان ما نسيها. إلا أن الأمير لم يسمع شيئاً من كل هذا، في حين سمع الخدم المستيقظون كل ما حكته الصبية من دون أن يفهموا المقصود منه.

وفي الصباح لبست العروس ثوب الصبية وتوجهت مع العريس إلى الكنيسة في اثناء ذلك فتحت الصبية الجوزة الثانية، ووجدت فيها ثوباً أشد جمالاً وبهاءً

Twitter: @ketab_n

مـن الأول، فارتدته وذهبت إلى الكنيسة ووقفت قـرب المذبح. فتكرر ما جرى بالأمـس، واستلقت الصبية ثانية على العتبة المؤديـة إلى حجرة نوم الأمير. وكان على الخدم ثانية أن يعطوا الأمير شراباً منوماً، لكنهم أعطوه شراباً منبّهاً يبعد النوم رغـم استلقائه فـي السرير. بكت صبيـة الطحان على العتبـة وحكت مجدداً كل مـا فعلته مـن أجله. سمع الأمير الحديث كله فغمره كـرب شديد وتذكر كل شيء بالتفصيل، فنهض وأراد أن يذهب إليها، لكن أمه كانت قد أقفلت الباب بالمفتاح.

وفـي الصباح ذهب من فوره إلى حبيبتـه وحكى لها كل ما جرى معه، وطلب عفوهـا لنسيانه إياهـا هذه المـدة الطويلة. عندها فتحـت الصبية الجـوزة الثالثة ووجـدت فيها فستاناً يفوق كل ما سبق جمـالاً وبهاءً وفخامةً، فارتدته وتوجهت مـع عريسها إلى الكنيسة. حضر العرس عدد غفير من الأطفال الذين نثروا عليهما الورود والشرائط الملونة، ثـم عُقد القران وتمت المباركة المقدسة وكان العرس حافـلاً بالسرور والحبور. أما الأم المخادعة والعروس المخادعة فقد نفيتا. وآخر من حكى هذه الحكاية ما زال لسانه دافئاً.

Twitter: @ketab_n

(١١٤)

حكاية الخياط الذكي

يُحكى عن أميرة أنها كانت في غاية الغرور، فإن جاءها خطيب يطلب يدها، كانت تطرح عليه أحجية ليحلها، وإذا أخفق كانت تودّعه مصحوباً بسخرية مرة. كما أعلنت على الملأ أن من يحل أحجيتها يصبح زوجها، كائناً من كان.

في نهاية المطاف صادف أنْ التقى ثلاثة خياطين متقدمين لحل أحاجي الأميرة. كان رأي الاثنين الأكبر سناً منهم، أنهما قد سبق وخاضا مغامرات صعبة ونجحا في تجاوزها، فلا شك في أنهما هنا أيضاً لن يخيبا. أما ثالثهم فكان قصيراً، صائعاً ضائعاً، لا يفهم حتى مهنته بصورة متقنة، لكنه يرى أن الحظ هنا سيحالفه، وإلّا فأين؟ فقال له الآخران: «يُفضّل أن تبقى في دارك، فبعقلك الصغير هنا لن تُحرز أي تقدم». بيد أن الخياط القصير أصر على رأيه وقال لهما إنه متمسك بموقفه وسيجد لنفسه مخرجاً، وانطلق واثقاً بنفسه كل الثقة.

تقدم الثلاثة في الوقت نفسه، وطلبوا من الأميرة أن تطرح عليهم أحاجيها، زاعمين إنهم الأشخاص المناسبين للتصدي لهذه المهمة، بما يملكون من عقول ذكية تغيّر حلكة الليل. فقالت الأميرة: «على رأسي نوعان من الشعر فمن أي لون هما؟» فأجاب الأول: «إذا كان هذا كل ما في الأمر فالجواب هو اللونان الأسود والأبيض، كالقماش الذي يسميه الناس كَراويا بملح». فقالت الأميرة: «خطأ. ما جواب الثاني؟» فقال الثاني: «إن لم يكونا الأسود والأبيض، فهما البني والأحمر، مثل سترة والدي». فقالت الأميرة: «خطأ. ما جواب الثالث الذي يبدو لي متأكداً من معرفته؟» فتقدم الخياط القصير الجسور خطوة وقال: «الشعر على

Twitter: @ketab_n

رأس الأميرة نوعان: فضي وذهبي، وهذان هما اللونان». عندما سمعت الأميرة الجواب شحبت وكادت تسقط من الرعب، فقد أصاب الخياط القصير بجوابه، وهي التي كانت تجزم بأن ليس ثمة من سيحرزه.

وعندما استعادت هدوء قلبها قالت للخياط القصير: «إنك لم تفز بي بعد. ثمة مهمة أخرى أمامك. تحت، في الاصطبل يوجد دب، عليك أن تمضي معه ليلة، فإن استيقظتُ صباحاً وأنتَ لا تزال حياً، عندها تصبح زوجي». وقالت في سرّها إنها بهذه الطريقة ستتخلص من الخياط، إذْ لم ينج إنسانٌ بعدْ من مخالب وأنياب هذا الدب. لكن الخياط لم يفزع، بل بقي هادئاً وقال: «المجازفةُ نصف الجائزة».

عند المساء أُنزِل الخياطُ إلى الدب في الإصطبل. وكان الدب جاهزاً بمخالبه فوراً، لاستقبال هذا الرجل القصير على الرحب والسعة. لكن الخياطَ قال له: «على مهلك، على مهلك، ما الداعي للعجلة، بهدوء». ثم وكأنه خالي البال، أخرج من جيبه بكل هدوء جوزاً وأخذ يكسره بأسنانه جوزة تلو أخرى ويأكل اللب، مما استفز شهية الدب لأكل الجوز أيضاً. مدَّ الخياط يده إلى جيبه الآخر، وناول الدب حفنة، ليس من الجوز، بل من الحجارة الكروية الشكل. وضع الدب أحدها في فمه، لكنه لم يستطع كسرها مهما حاول وكيفما جرب، فقال في سره: «ما بالك كالأخرق لا تستطيع فتح جوزة!» وقال للخياط: «هلا كسرت لي الجوزات». فقال له الخياط: «عندك فم كبير كالمغارة، ولا تستطيع كسر جوزة صغيرة!» وأخذ منه الأحجار، وبحركة رشيقة وضع بدلاً منها جوزة في فمه، ضغطها بأسنانه فانغلقت نصفين. فقال الدب: «لا بد أن أجرب ثانية، فعندما أراك تفعلها، أظن بأني سأقدر على ذلك أيضاً». فأعاد الخياط الحجارة الكروية إليه، وحاول الدب كل ما بوسعه وبكل قوته، لكنه أخفق وشعر بالخذلان.

عندها أخرج الخياط من تحت سترته كماناً وعزف عليه مقطوعة قصيرة، فلم يطق الدب صبراً وأخذ يرقص. وبعد فترة قصيرة من الرقص، أعجبه الأمر

Twitter: @ketab_n

أيمـا إعجـاب، فقال للخيـاط: «قل لي، هل العـزف على الكمـان أمر صعب؟» فأجابـه الخيـاط: «بل من أسهل ما يمكـن. انظر: أضعُ أصابـع اليد اليسرى على الأوتار، وأحرك القوسَ عليها باليد اليمنى، فتخرج الأنغام المفرحة، هوب ساسا، فيفالاّليـرا!» فقال الدب: «كم أود أن أعزف بهذا الشكل، كي أتمكن من الرقص كلمـا رغبت فـي ذلك. ما رأيـك أن تعطيني دروساً في العـزف؟» فقال الخياط: «بـكل سرور، إذا كنت موهوباً. ولكن أرني كفيـك أولاً. أظافرك طويلة أكثر من الـلازم. لا بد مـن تقصيرها قليلاً». وطلب إحضار ملزمـةِ تثبيت، فأحضروها له، ووضع الدبُ يديه فيها، فشدها الخياط بقوة وقال: «انتظر الآن قليلاً ريثما أُحضر المقص،» وترك الدب يزمجرُ ما شاء، بينما استلقى في الزاوية على كومة من القش ونام.

عندمـا سمعت الأميرةُ في الليـل زمجرة الدب الصاخبة، ظنتـه يزمجر سروراً بالتهامـه الخيـاط القصير. واستيقظـت صباحاً خالية البال وسعيـدة هانئة، لكنها عندما ألقت نظرة نحو الاصطبل، رأت الخياط واقفاً أمامه بكل حيوية ونشاط مثل سمكـة في الماء. ولم تستطع أن تُبـدي أي احتجاج بسبب إعلانها المعروف من قبل الجميع، فأمر الملك بتجهيز عربة تُقلّها مع الخياط إلى الكنيسة لعقد قرانهما.

حينمـا ركبـا العربة، ذهـب الخياطان الآخـران، صاحبـا القلبيـن الأسودين والغيوريـن، ذهبـا إلى الاصطبل وحررا الـدب الذي انطلـق وراء العربة مشحوناً بالغضب. سمعته الأميرة يزمجر وينفخ من الغيظ فخافت وصاحت: «انظر، الدبُّ في إثرنا، يريد الإمساك بك». كان الخياط مرناً خفيف الحركة، فوقف على رأسه ومـد ساقيه عبر نافذة العربة وصاح بالدب: «أتـرى الملزمةَ يا دب؟ إن لم تذهب فأثبتك فيها ثانية». عندما رأى الدب ذلك استدار وهرب. أما الخياط القصير فتابع الطريـق إلى الكنيسة حيث عقد قرانه على الأميرة، وعاشا من ثمّة في سعادة وهناء مثل قُبّرتين. ومن لا يصدق، عليه أن يدفع ديناراً.

Twitter: @ketab_n

(١١٥)

الشمس الساطعة ستكشف الأمر

يحكى أن خياطاً متدرباً كان يجول في أنحاء الدنيا ليزيد خبرته، لكنه ذات يوم لم يجد عملاً، وبات معوزاً إلى حد أن لم يجد ما يشتري به طعاماً ليأكل.

وفي ذلك الوقت التقى على الطريق بيهودي وظن أنه مليء بالمال، فأبعد الرب من قلبه وهجم على اليهودي قائلاً: «أعطني نقودك وإلا قتلتك». فقال له اليهودي: «امنحني حياتي أرجوك. وليس معي من النقود سوى ثمانية قروش». لكن الخياط أجابه: «بل معك نقود، وعليك أن تخرجها»، ولجأ إلى العنف في تعامله معه، فضربه حتى كاد يموت. وعندما صار اليهودي في النزع الأخير، كانت كلماته الأخيرة: «الشمس الساطعة ستكشف الأمر!» ومات. مد الخياط يده إلى جيب اليهودي بحثاً عن النقود، فلم يجد سوى القروش الثمانية، مثلما قال له اليهودي. فحمله إلى وراء دغل حيث تركه وتابع طريقه بحثاً عن عمل. وبعد أن طال به السفر من مكان إلى آخر وجد في إحدى المدن عملاً عند خياطٍ معلم. وكان لهذا المعلم ابنة جميلة، أحبها المتدرب وتزوجها وعاش حياة زوجية سعيدة.

بعد مدة طويلة من الزمن، بعد أن صار أباً لطفلين توفي والد زوجته، فبقيت الدار والشغل للزوجين الشابين وحدهما. وذات صباح كان الزوج جالساً إلى طاولة عند النافذة فأحضرت له زوجته القهوة، وعندما صب القهوة في الفنجان وكاد يشرب، سطعت الشمس على الفنجان وانعكس الشعاع وميضاً متحركاً على أعلى الجدار بشكل دوائر صغيرة. رفع الخياط نظره نحو أعلى الجدار وقال:

Twitter: @ketab_n

«طبعـاً، إنها تريد أن تكشف الأمر، لكنها لا تستطيع!» فسألته زوجته: «غريب يا زوجي العزيز، ماذا تقصد بهذا الكلام؟» فأجابها: «لا استطيع أن أخبرك». لكنها قالـت له: «إذا كنت حقاً تحبني، فعليك أن تخبرنـي» وأمطرته بمعسول الكلام، واعـدة إياه بألاّ تخبر أحداً آخر بالأمر، وأخـذت تلح وتصر حتى أخبرها، أنه قبل سنوات كثيرة عندما تدهورت أحواله جداً أثناء تجواله بحثاً عن عمل، قتل يهودياً، وفي لحظات مواجهة الموت قال اليهودي: «الشمس الساطعة ستكشف الأمر!» والآن كان بـودّ الشمس أن تكشـف الأمر، فرسمت دوائر صغيـرة على الجدار بوميض انعكاسها، لكنها لم تستطع. بعد هذا الحديث أكد الزوج على زوجته ألاّ تذكر الأمر لأي كان، وإلا لفقد حياته، فوعدته بذلك.

ولكـن عندمـا جلس الخياط إلـى طاولة عملـه، ذهبت زوجته إلـى صديقتها وأسرت لهـا بالقصة وأصرت عليها أن لا تخبر أحداً بالأمر. ولكن قبل أن تمضي ثلاثة أيام كانت المدينة كلها قد صارت على علم بالأمر، وتم استدعاء الخياط إلى المحكمة حيث أدين بالجريمة. وهكذا تكون الشمس الساطعة قد كشفت الأمر فعلاً.

Twitter: @ketab_n

(١١٦)

الشعلة الزرقاء

يحكى أنّ جندياً قد خدم ملكه سنوات طويلة بإخلاص، ولكن عندما انتهت الحرب، وكان الجندي خلالها قد أصيب بجروح كثيرة أعاقته عن الخدمة الميدانية، قال له الملك: «اذهب إلى دارك، فأنا لم أعد بحاجة إليك. لن أدفع لك مزيداً من المال، لأن الأجر يُدفع لقاء خدمات تُقدم لي». فلم يدر الجندي كيف وبمَ سيقوم بأوده، فغادر تُثقله الهموم، ومشى طوال النهار إلى أن وصل مساءً إلى غابة.

عندما هبطت الظلمة رأى بصيص نور، فاقترب منه، ووجد نفسه أمام بيت تسكنه ساحرة، فقال لها: «دعيني أبيت الليلة عندك، وتكرّمي عليّ ببعض الطعام والشراب، وإلا فإني سأهلك». فأجابته الساحرة: «آها، ومن يُقدِّم شيئاً لجندي تائه؟ لكني سأرأف بحالك وأقبلك عندي، إذا نفّذت ما أطلبه منك. فسألها الجندي: «وما هو طلبك؟» فأجابته: «أن تُعزّق لي بستاني غداً».

قبلَ الجندي واشتغل في اليوم التالي بكل همة، لكن المساء حلّ قبل أن ينهي عمله، فقالت الساحرة: «أرى أنك لن تستطيع المتابعة اليوم. سأقبلك عندي ليلة أخرى، لقاء تحطيب حمولة عربة من الأخشاب». استغرق العمل من الجندي النهار الثاني كله، ومساءً اقترحت عليه الساحرة أن يبقى ليلة ثالثة، قائلة: «عليك غداً أن تنفذ لي مهمة سهلة. وراء بيتي توجد بئر قديمة جافة، سقط فيها فانوسي، شعلته زرقاء ولا تنطفئ. كل ما عليك هو أن تحضره لي من تحت». في اليوم التالي قادته الساحرة إلى مكان البئر وأنزلته في سلة بالحبل إلى أسفله. وجد الجندي

Twitter: @ketab_n

الفانوس وأعطى الساحرة إشارة لترفعه. فسحبته نحو الأعلى حتى بلغ الحافة، وعندها مدت يدها إليه لتأخذ منه الفانوس، فقال لها: «لا، ليس قبل أن أضع قدميّ على الأرض» وكان قد خمَّن نيتها الشريرة، فغضبت الساحرة واغتاظت وأفلتت الحبل تاركة السلة تهوي إلى القاع.

سقط المسكين من دون أن يتأذى على أرض البئر الرخوة، وما زال الفانوس مشتعلاً. ولكن بماذا سيفيده الضوء الأزرق الآن. وأدرك أن لا مفر من مواجهة الموت، فجلس حزيناً مدة من الزمن. وبمحض الصدفة مد يده إلى جيبه، فوجد غليونه وكان نصف محشو بالتبغ، فقال في سره: «ستكون هذه آخر متعة لك قبل الموت» وأشعل الغليون من شعلة الفانوس الزرقاء، وبدأ يدخن.

ولما ملأ الدخان جو البئر، انتصب أمامه فجأة قزم أسود اللون وسأله: «بماذا تأمرني يا سيدي؟» فكرر الجندي السؤال مندهشاً متعجباً: «بماذا آمرك؟» فأجاب القزم: «يجب عليّ أن أنفّذ كل ما تطلبه مني». فقال الجندي: «طيب، ساعدني أولاً إذنْ على الخروج من هذه البئر». فأمسك القزم بيده وقاده عبر ممر تحت الأرض وهو يحمل الفانوس معه طبعاً. وفي أثناء الطريق أراه القزم الكنوز التي جمعتها الساحرة وخبأتها هناك، فأخذ معه الجندي من الذهب قدر ما يستطيع حمله في جيوبه. ولما صار على سطح الأرض قال للقزم: «اذهب الآن وأوثق الساحرة وقدها إلى المحكمة». لم يمض وقت طويل حتى مرت الساحرة أمامه بسرعة الريح راكبةً على قطٍ بري مرعب. وبعد فترة وجيزة مماثلة ظهر القزم أمامه مجدداً وقال له: «لقد نُفِّذ كل شيء والساحرة معلقة الآن من المشنقة. أتأمرني بشيء آخر يا سيدي؟» فأجابه الجندي: «حالياً لا، يمكنك الذهاب إلى بيتك. وكن جاهزاً دائماً عندما أناديك». فأجابه القزم: «كل ما تحتاجه يا سيدي هو أن تشعل غليونك بالشعلة الزرقاء، فأكون عندك في التو واللحظة». ثم اختفى أمام عينيه.

عاد الجندي إلى المدينة التي انطلق منها قبل أيام ودخل إلى أفخم فندق،

Twitter: @ketab_n

حيث طلب تفصيل ثياب جميلة له، ثم طلب من صاحب الفندق أن يجهز له غرفة بأفخم أثاث. ولما صارت جاهزة، دخلها الجندي وطلب القزم الأسود وقال له: «لقد خدمتُ الملك بإخلاص، لكنه سرحني وتركني للجوع والفاقة، لذلك أودّ أن أنتقم منه الآن». فسأله القزم: «وماذا علي أن أفعل؟» فقال الجندي: «مساء، حينما تنام الأميرة في سريرها، أحضرها إليّ نائمة لتخدمني هنا». فقال له القزم: «لا أسهل من ذلك بالنسبة إلي، لكن الأمر يشكل خطراً عليك، فإذا كُشف الأمر ستكون عاقبتك وخيمة». وعندما دقت الساعة الثانية عشر ليلاً، انفتح الباب على مصراعيه ودخل القزم حاملاً الأميرة، فصاح الجندي: «أها، أنتِ هنا؟ هيا إلى الشغل! هاتي المكنسة ونظفي الغرفة!» وعندما انتهت ناداها إلى كرسيه الفخم ومد قدميه إليها قائلاً: «اخلعي عني جزمتي!» ثم رماها في وجهها وأمرها بأن تنظفها وتلمعها. نفذت الأميرة كل ما أمرها به من دون تذمر، صامتة وبعينين نصف مغمضتين. ومع صيحة الديك الأولى فجراً حملها القزم إلى القصر الملكي وأعادها إلى فراشها.

في الصباح عندما استيقظت الأميرة من نومها، ذهبت إلى أبيها الملك وحكت له أنها قد رأت حلماً عجيباً: «شاهدت نفسي فيه محمولة عبر الطرقات بسرعة البرق، ثم أُدخلت إلى غرفة جندي، فرض عليّ أن أخدمه وأنظف له وأقوم بجميع الأعمال الحقيرة، مثل تكنيس الغرفة وتنظيف جزمته. كان مجرد حلم، ومع ذلك أجد نفسي مرهقة وكأني قد أديت هذه الأعمال فعلاً». فقال الملك: «يُحتمل أن الحلم كان حقيقة، لذلك سأنصحك بالتالي: املأي جيبك بحبوب البازلاء وافتحي ثقباً في الجيب. فإذا نُقلت من سريرك مرة أخرى، ستتساقط الحبوب عبر الثقب وتترك أثرها على الطريق». عندما قال الملك هذا الكلام للأميرة كان القزم غير المرئي واقفاً هناك وسمع كل شيء. وليلاً عندما حمل الأميرة مجدداً عبر الطرقات تساقطت فعلاً بعض الحبوب من الجيب، وكان يمكن أن تشكل أثراً يُقتفى، لكن القزم الماكر نثر حبوب بازلاء في جميع الطرقات. وكان على الأميرة أن تشتغل خادمة عند الجندي حتى صياح الديك.

Twitter: @ketab_n

في صباح اليوم التالي أرسل الملك خدمه لتتبع الأثر، ولكن عبثاً. ففي جميع الحواري والطرقات جلس الأطفال الفقراء وهم يجمعون حبوب البزلاء ويقولون: «لقد أمطرت السماء بازلاء في الليل». فقال الملك لابنته: «علينا التفكير بطريقة أخرى. عندما تدخلين سريرك مساء لا تخلعي الخف. وقبل أن ترجعي من هناك، خبئي فردة منه. وأنا سأبحث عنه حتى أجده». سمع القزم حيث المؤامرة، وحينما أمره الجندي مساء بإحضار الأميرة، نصحه بالعدول عن ذلك وأخبره أن لا حل لديه ضد هذه الطريقة. وإن عثروا على الخف لديه فستكون عاقبته وخيمة. فقال له الجندي: «نفذ ما أقوله لك!» وكان على الأميرة في الليلة الثالثة أيضاً أداء دور الخادمة، لكنها قبيل إعادتها إلى القصر خبأت فردة الخف تحت سرير الجندي.

في صباح اليوم التالي أمر الملك بالبحث عن خف ابنته في جميع أنحاء المدينة، وعُثر عليه في غرفة الجندي، الذي كان بناء على نصيحة القزم قد هرب عبر بوابة المدينة. بيد أن جنود الملك لحقوا به ورموه في السجن.

وفي أثناء الهروب نسي الجندي في غرفته ذهبه وفانوس الشعلة الزرقاء، ولم يكن في جيبه سوى دينار واحد. وعندما وقف الآن عند نافذة سجنه مثقلاً بالأغلال رأى أحد زملائه الجنود عابراً، فنقر على زجاج النافذة، وحالما اقترب زميله قال له: «اعمل معروفاً أرجوك، واحضر لي صرتي التي تركتها في الفندق، وسأعطيك ديناراً لقاء ذلك». ركض الجندي إلى الفندق وأحضر إليه ما طلبه. وما أن بقي الجندي وحده مجدداً حتى أشعل غليونه واستدعى القزم الأسود الذي بادر سيده قائلاً: «لا تخش شيئاً، اذهب معهم حيثما اقتادوك ومهما فعلوا بك، ولكن لا تنسى أن تأخذ الفانوس معك». عُقدت المحكمة في صباح اليوم التالي وحُكم على الجندي بالموت رغم أنه لم يقترف إثماً.

وعندما ساقوه لتنفيذ الحكم فيه، التمس من الملك طلباً أخيراً. «وما هو؟» سأله الملك، فقال: «أن أدخن غليوني مرة على الطريق»، فأجابه الملك: «يمكنك أن تدخن ثلاث مرات. ولكن لا تظنّن أني سأعفو عنك». فأخرج الجندي غليونه

Twitter: @ketab_n

وأشعلـه مـن الشعلة الزرقـاء، ولما تصاعـدت بعض حلقات الدخـان ظهر القزم حاملاً هراوة بيده وقال: «بماذا يأمرني سيدي؟» فأجابه الجندي: «امسح الأرضَ بالقضاة الفاسدين وأعوانهم ولا تنسى الملك أيضاً، الذي أساء إليّ جداً». فانطلق المـارد كالبرق موزعاً ضربات هرواته هنا وهنـاك. وكل من لمسته الهراوة سقط أرضـاً ولم يعد يجرؤ على الحركـة. أما الملك فأخذ يتوسـل راجياً الحفاظ على حياته، ولضمان ذلك تنازل للجندي عن مملكته ومنحه ابنته زوجة.

Twitter: @ketab_n

(١١٧)

الولد العنيد

كان هنـاك ولـد عنيد لا يطيع أمه في أي أمر. لذلك لـم يكن الرب راضياً عنه، وتركـه يمرض، فلم يعرف طبيـبٌ دواءً له. وبد مدة قصيرة مـات، فوسّدوه على سريـر الموتى، ولما أُنزل إلى القبر وُردم عليه التراب، امتد ساعده فجأة من تحت التراب منتصباً نحو الأعلى، فثنوه وردموا عليه التراب مجدداً، لكنهم لم يستفيدوا شيئاً، لأن ساعده كان ينتصب من جديد عالياً خارج القبر. فكان لا بد من استدعاء أمـه ثانية إلى جانـب القبر، فأخذت تضرب على ساعده برفق بعصا صغيرة إلى أن سحب الولد ساعده إلى داخل االقبر وسكن تحت التراب فاستراح.

Twitter: @ketab_n

(١١٨)

الجراحون الثلاثة

يحكـى أن ثلاثة جراحين كانوا يجوبون أنحاء العالم، وفي ظنّهم أنهم قد أتموا علمهـم وأتقنـوا ممارسته. وصلوا في أثنـاء جولتهم إلى فندق ليباتـوا فيه ليلتهم، فسألهـم صاحبه من أين هم آتون وإلـى أين متوجهون، فأجابوه: «إننا نقوم بجولة في هـذا العالم ونمارس خلالها فن الطب الجراحي». فقال لهم: «أروني إذاً شيئاً من مهاراتكم!» قـال الأول إنه سيقطع يده اليوم ويعيدها غداً سليمة معافاة، وقال الثاني إنه سينتزع قلبه اليوم ويعيده غداً سليماً معافى، وقال الثالث إنه سيقتلع عينيه اليوم ويعيدهما غداً سليمتين معافاتين. فقال صاحب الفندق: «إذا كان بمقدوركم ذلك فقد أتممتم علمكم حقاً».

ولكن كان بحوزتهم بلسم إذا دهنوا به أي جرح، يشفى فوراً. وكانوا يحملون زجاجـة هذا البلسم معهم دائماً. فقطع الأول يده وانتزع الثاني قلبه واقتلع الثالث عينيه، مثلما قالوا، ووضعوا الكل في صحن أعطوه لصاحب المطعم الذي أعطاه لخادمة كي تحفظه جيداً في الخزانة.

ولكـن الخادمة كانت على علاقة سراً مع جندي. وبعد أن نام صاحب الفندق والجراحـون الثلاثة وبقية النزلاء، جاء الجندي لعند حبيبته ليأكل. فتحت الخادمة الخزانـة وأخرجت منها بعض الطعام، وبسبـب استغراقها في الحب نسيت باب الخزانـة مفتوحـاً، وجلست مـع حبيبها إلـى الطاولة وأخذ يثرثـران. وبينما هما منهمكين في الطعام والكلام بعيداً عن الهموم، تسللت القطة إلى المطبخ ووجدت باب الخزانـة مفتوحاً، فأخذت اليد والقلب والعينيـن وخرجت بهم. بعدما شبع

Twitter: @ketab_n

الحبيبان وأرادت الخادمة إعادة ما زاد إلى الخزانة وقفل بابها، رأت الصحن الذي ناولهـا إياه صاحب الفندق فارغاً. فقالت لحبيبهـا برعب: «يا ويلي، ماذا سأفعل الآن أنـا المسكينة البائسة!؟ لقد اختفت اليد، وكذلـك القلب، وكذلك العينان. كيـف سيكون حالي غداً صباحاً!» فقال لها الجندي: «اهدأي، أنا سأخرجك من هـذه الورطة: هناك لص معلق على المشنقة في الخارج، سأذهب وأقطع يده. أي يـدٍ كانت؟» فأجابته الخادمة: «اليمنـى» وهي تناوله سكيناً حادة. ذهب الجندي وقطـع يد المذنب المسكيـن وجاء بها. ثم أمسك بالقطة واقتلـع عينيها، فلم يبق الآن سوى القلب، فسألها: «ألـم تذبحوا مؤخراً، أليس لحم الخنزير معلقاً تحت فـي القبـو؟» فأجابته: «نعم ما زال هناك». فقال: «كل شـيء تمام إذن» ونزل إلى القبـو وأحضر قلب الخنزير. وضعت الخادمة كل ما أحضره الجندي في الصحن وأقفلت عليه باب الخزانة، وبعد أن ودّعها حبيبها أوت إلى فراشها مطمئنة.

فـي صباح اليوم التالي عندما نهض الجراحون مـن أسرتهم أمروا الخادمة بأن تحضـر لهم الصحن الـذي يضم اليد والقلـب والعينين. جلبته لهـم من الخزانة، فوضـع الأول يد اللص مكان يده ودهنها بالبلسم فتحركت فوراً وكأنها جزء منه. تناول الثاني عيني القطة ووضعهما في محجريه، وثبت الثالث قلب الخنزير مكان قلبه. كان صاحب الفندق حاضراً يراقب ما قاموا به بمنتهى الإعجاب، وكان رأيه أنه لم ير مثل هذا سابقاً ولذلك فإنه سيمتدحهم أمام الجميع وينصح بهم. بعد ذلك دفع الجراحون حسابهم وتابعوا طريقهم.

وفـي أثناء مشيهم كان الـذي ركّب قلب الخنزير يتأخر عنهم ليندس في الزوايا ويشمشـم مثلما تفعل الخنازير تماماً. حاول الآخران أن يشداه من أطراف سترته ليبعـداه عن القمامة، ولكن عبثاً، فقـد كان يتخلص منهما ويركض إلى أكبر كومة زبالـة. أما الثاني فقـد أخذ يتصرف بصورة عجيبة، إذ يفـرك عينيه ويقول لزميله: «مـا هـذا يا زميل؟ هاتان ليستا عينـي، فأنا لا أرى شيئـاً. فليقدني أحدكما كي لا أتعثـر فأقع». تابع الجراحون طريقهم بجهـد جهيد حتى المساء، حين وصلا إلى فندق آخر، ودخلوا معاً إلى غرفة المدير حيث جلس أحدهم إلى طاولة في الزاوية

Twitter: @ketab_n

منهمكاً في عد نقود. فحام حوله صاحب يد اللص وقد رفع ساعده مرتين. وأخيراً عندما التفت الرجل، انقضت يد اللص بسرعة ورفعت حفنة من النقود. ولما رآه زميله يفعلها قال له: «ماذا تفعل يا زميل؟ لا يجوز أن تسرق! ألا تخجل!؟» فأجابه صاحب يد اللص: «غريب، وماذا بوسعي أن أفعل! يدي تدفعني إلى ذلك، فأجد نفسي مضطراً للانقضاض بها، شئت أم أبيت». استلقوا بعد ذلك وناموا، وكانت العتمة في الغرفة حالكة بحيث لا يرى المرء أصبعه أمام عينيه. فجأة استيقظ صاحب عيني القطة وأيقظ الآخرين وقال: «انظرا يا صاحبي! أتريان الفئران البيضاء التي تتجول في الغرفة؟» فاعتدل زميلاه في سريرهما، لكنهما لم يستطيعا رؤية أي شيء. فقال لهما: «إنّ وضعنا غير طبيعي، فنحن لم نحصل على أعضائنا الخاصة بنا. لا بد أن نعود إلى صاحب ذلك الفندق، فقد خدعنا».

ومن صباح اليوم التالي عادوا على أعقابهم إلى الفندق الأول وقالوا لصاحبه إنهم لم يستعيدوا أعضاءهم الأصلية، بل حصل الأول على يد لص والثاني على عيني قط والثالث على قلب خنزير. فقال صاحب الفندق إن مسؤولية ذلك تقع على عاتق الخادمة، ولا بد من استدعائها. لكن الخادمة التي رأتهم قادمين، هربت من باب الفندق الخلفي ولم تعد. فقال له الجراحون الثلاثة إنه مجبر على تعويضهم بمبلغ كبير، وإلا فإنهم سيحرقون له فندقه. فأعطاهم ما كان معه وما استطاع تدبيره، فأخذ الثلاثة المبلغ وغادروا، وقد كفاهم لما تبقى من أيام حياتهم، ومع ذلك كانوا يفضلون استعادة أعضائهم الأصلية.

(١١٩)

سَبعة من شْفابن

ذات يـوم اجتمع سبعة رجال من منطقـة شفابن معاً. كان أولهم يدعى شولتس والثاني ياكلـي والثالث مارلي والرابع يرغلي والخامس ميـكال والسادس هانس والسابـع فايتلـي. وقد قرروا جميعهـم القيام برحلة عبر الدنيـا الواسعة، بحثاً عن مغامرات وبطولات. ولكي يبدؤوا رحلتهم مسلحين وآمنين، فقد ارتأوا أن يكون لهـم جميعاً سلاحاً واحداً ولكن قوياً، فصنعوا رمحاً بالغ الطول. كانوا يمسكون بهـذا الرمح، سبعتهم معاً، في مقدمتهم أشجعهم وأكثرهم رجولة، السيد شولتس طبعاً، ومن ثم بالتتالي حتى نحصل إلى السيد فايتلي في المؤخرة.

وذات يـوم من أيام تموز، شهـر الحصاد، وكانوا قد مشـوا طويلاً، وما زالت أمامهم مسافة طويلة حتى القرية التي سيبيتون فيها، وكان الوقت عند الغسق، وفي مـرج واسع طار أمامهم دبّـور كبير أو جُعَل روثٍ كبير وهو يئـز بعدائية واختفى وراء شجيـرة. ارتعـب السيـد شولتس حتـى كاد الرمح يسقط مـن يديه وتصبّب جسمه عرقـاً. فصاح بزملائه: «اسمعوا، اسمعوا! يـا إلهي، اسمعُ صوت طبل!» فقـال السيد ياكلي المتمسك بالرمـح وراءه وقد التقط أنفُه رائحةً ما: «هناك شيء لا جدال في الأمر، فأنا أشم رائحة بارودٍ وفتيلٍ مشتعل». ما أن سمع شولتس هذا الـكلام حتى ولّى الأدبار، ومـن حلاوة الروح قفز من فوق سـور، فجاءت قدمه علـى أسنان مشط حشيش متـروك هناك، فارتدت عصا المشـط على وجهه مثل لكمـة قاضية، فصرخ: «آخ يا ويلي، خذوني أسيـراً، إني أستسلم، إني أستسلم!» وتبعه الستة الآخرون قافزين من فوق السور الواحد تلو الآخر وهم يصيحون: «إذا

Twitter: @ketab_n

استسلمتَ، فسأستسلم أنا أيضاً». وأخيراً عندما لم يجدوا عدواً يقيّدهم ويسوقهم إلـى الأسـر، لاحظوا أنهم قد خُدعوا. وكي لا تنتشـر القصة بين الناس فيصبحون موضع هـزء وسخرية، أقسموا لبعضهم بعضاً أن يتكتمـوا على الأمر، إلى أن يزل لسان أحدهم. وتابعوا طريقهم.

أما المغامرة الثانية التي خاضوها، فلا يمكن مقارنتها بالأولى. بعد أيام عديدة، مرّ طريقهم عبر أرض بور، حيث جلس في الشمس أرنبٌ، ناصباً أذنيه الطويلتين، وفاتحـاً عينيه الزجاجيتين الجامدتين في غفـوة قيظ. أرعبهم منظر الحيوان البري المتوحش جميعهم، فتبادلوا المشورة حول أسلم سبل المواجهة، لأنهم إنْ هربوا فهناك احتمال أن يطاردهم الوحش ويلتهمهم جميعهم بجلدهم وعظمهم. فأقنعوا بعضهم بضـرورة خوض معركة خطيـرة والانتصار فيها، ولا سيمـا أن المفاجأة تشـكل نصف الربح. أمسك سبعتهم بالرمح معاً، شولتس في المقدمة وفاتيلي في المؤخرة. أراد شولتس أن يتمهل في توجيه الطعنة، لكن فايتلي تشجع فجأة ودفع الرمح هاتفاً:

«اطعنوا باسم أهل شفابن، ولا تتراجعوا

اهجموا لئلا يشلكم الخطر، ولا تتخاذلوا!»

فأجابه هانس: «ما أشطرك في الكلام يا فايتلي

وعند المواجهة ما أبعدك عن الفعل».

فهتف ميكال: «لن تخيبَ الطعنةُ ولو قيد شعرة،

سنواجهُ الشيطانَ ونصيبُ نَحره».

وعندما جاء دور برغلي صاح قائلاً:

«وإن لم يكن الشيطان عينه،

Twitter: @ketab_n

فهذا لا شك أخوه أو أمه».

ولمعت في ذهن مارلي فكرة جيدة فصاح:

«تقدم يا فايتلي، هيا إلى المام،

سأكون وراءك بطلاً همام».

لكن فايتلي لم يتزحزح من مكانه، فهتف ياكلي:

«شولتس يبقى في مكان القيادة،

فله وحده شرف الرّيادة».

عندها تماسك شولتس وتحمس وقال بمهابة:

«فإلى المعركة إذن، إلى الطِعان،

فهذا محك الأبطال الشجعان».

وهجموا جميعهم على التنين. طلب شولتس من ربه بركاته ودعمه، وعندما لم يجب ربه نداءه، وهو يزداد اقتراباً من العدو، صاح بفزع شديد: «اضرب واهرب! اضرب واهرب!» فاستفاق الأرنب من غفوته مرعوباً وقفز هارباً. ولما رأى شولتس حركة هروبه هتف بفرح واطمئنان:

«ظنناه يا فايتلي وحشاً مرعبا،

فإذا بالوحش يطلعُ أرنبا!»

على الرغم من ذلك تابعت مجموعة شفابن البحث عن المغامرات وجلائل الأعمال، وقد بلغت ضفة نهر الموزِل، وهو نهر هادئ عميق وكثيف الطحالب، الجسور عليه قليلة، ولذلك لا بد من استخدام العبّارات للانتقال من ضفة إلى

Twitter: @ketab_n

أخرى في معظم مناطقه المأهولة. ولأن مجموعة شفابن كانت تجهل ذلك، صاحوا الرجلٍ كان ينجز عملاً على الضفة الأخرى، وسألوه عن إمكانيات العبور بين الضفتين. وبسبب بعد المسافة ولهجة شفابن الخاصة، لم يفهم الرجل ما يريدون، فصاح بدوره متسائلاً: شو؟ شو؟» فظن السيد شولتس أنه يقول لهم: «خوضوا، خوضوا»، ولأنه كان أقرب السبعة إلى الماء فقد شق طريقه ونزل في الماء.

بعد مدة قصيرة غرق شولتس في الطحالب وفي التيار التحتي المتدفق، في حين دفعت الريح قبعته باتجاه الضفة الأخرى، حيث جلس إلى جانب القبعة ضفدع كبير وهو ينق بصوت له وقع: «خوضوا، خوضوا». سمع الستة الباقون صوت الضفدع على الضفة الأولى، فهتفوا: «صاحبنا السيد شولتس ينادينا. فإنْ استطاع هو الوصول إلى الضفة الأخرى، فلماذا لا يكون بمقدورنا نحن ذلك أيضاً؟» فقفزوا بسرعة مع بعضهم في الماء وغرقوا، أي أن ضفدعاً واحداً تمكن من جرِّ ستةٍ إلى الموت. وهكذا لم يعد أحدٌ من مجموعة شفابن إلى داره.

Twitter: @ketab_n

(١٢٠)

الحرفيون الثلاثة

يحكـى أن ثلاثـة حرفيين شباب أنهم تعاهـدوا على البقاء معـاً أثناء تجوالهـم، وعلـى العمل في المدينة نفسها دائماً. ولكن صـادف ذات يوم أن أحوالهم لدى معلميهم قد تدهورت جداً، فلم يعودوا يكسبون ما يقوم بأودهم.

قـال أولهم: «ماذا يتوجـب علينا أن نفعل؟ لم يعد بإمكاننـا البقاء هنا، ولا بد أن نعـود إلـى التجوال. وفي المدينة التي سنصل إليهـا، إنْ لم نجد عملاً، فسنتّفق مـع مدير النُزُل على أن يكاتبه كل منا ويخبره عن مكان تواجده، عند افتراقنا بحثاً عـن عمل، فنبقى علـى تواصل دائم». بدا هذا للآخرين الحـل الأفضل، وغادروا المدينة.

وفـي أثناء الطريق قابلوا رجلاً يلبس ثياباً فاخرة، سألهم: «من أنتم؟» فأجابوه: «نحن حرفيّون نبحث عن عمل. وقد تمكنا حتى الآن من العمل معاً، ولكن إن لم نجـد العمل الذي يلبي رغبتنا، فسنضطر إلى الافتراق». فقال الرجل: «لا ضرورة لذلك. إذا نفذتم ما أقوله لكم، فلن ينقصكم ما ولا عمل، بل ستصيرون من السادة الذيـن يركبون العربـات». فقال له أولهم: «إنْ لم يكن في هـذا ما يؤذي أرواحنا وإيماننا، فنحن مستعدون». فأجاب الرجل: «لا، أنتم لستم هدفي». وكان الثاني قد نظر إلى قدمي الرجل ورأى أن له قدم إنسان وحافر حصان، فلم يرِد أن يتورط معـه. لكن الشيطان تابع كلامه قائلاً: «اطمئنوا، فأنتم لستم غايتي، بل روح رجل آخـر، باتت نصفهـا ملكي، وأنا بانتظـار نصفها الثانـي». ولأن الشباب اطمأنوا لكلامـه، وافقوا. فأخبرهـم الشيطان بما يريده منهم: علـى أولهم أن يجيب على

Twitter: @ketab_n

أي سـؤال بقولـه: «ثلاثتنا معاً»، والثانـي بـ «لقاء نقود»، والثالـث بـ «وهذا عين الصـواب». وعليهـم تكرار ذلك دائماً بالتتالـي، وأن لا ينطقوا بكلمة أخرى غير تلـك. إذا تجاوزا هذا الشرط فسيضيع منهم كل ما معهـم من مال، أما إنْ التزموا به فستكون جيوبهم ملأى دائمـاً. وكبداية أعطاهم من النقود بقدر ما يستطيعون حمله، وأمرهم بالتوجه إلى مدينة معينة والنزول في فندق معين.

وصلـوا المدينـة ودخلوا الفندق، فتقدم منهم صاحبـه وسألهم: «أتريدون أن تأكلـوا؟» فأجابـه أولهـم: «ثلاثتنا معاً»، فقـال صاحب الفنـدق: «طبعاً، هذا ما قصدته». فأجاب الثاني: «لقاء نقود». فقال صاحب المطعم: «طبعاً، طبعاً»، فقال الثالـث: «وهذا عين الصـواب». فقال صاحب الفندق: «نعـم، عين الصواب». فقـال صاحب الفندق: «نعـم، عين الصواب». ومن ثمة قُـدِّم لهم طعام وشراب جيـد، كمـا كانت الخدمة جيدة. ثم جـاء دور الحساب، فقـدم صاحب الفندق ورقة الحساب إلـى الأول، فقال: «ثلاثتنا معاً»، وتبعه الثاني: «لقاء نقود»، وتبعه الثالث: »وهذا عين الصـواب» فأجاب صاحب الفندق: «هذا فعلاً عين الصواب فعلـى الثلاثة أن يدفعـوا، إذ لا يسعني أن أقدم شيئاً مـن دون نقود». لكنهم دفعوا أكثـر ممـا طلب، ولاحظ بقية الزبائن ذلك وقالوا في مـا بينهم: «لا شك في أنهم مجانيـن». فعلَّق صاحب الفندق قائـلاً: «نعم، إنهم فعلاً مجانيـن، أو لنقل إنهم أغبياء نوعاً ما».

وهكـذا أمضى الثلاثة مدة في الفندق مـن دون أن ينطقوا بكلمة أخرى سوى «ثلاثتنا معاً»، و «لقاء نقود». لكنهم رأوا وسمعوا كل ما يجري في الفندق. وحدث ذات يـوم أن نزل فـي الفندق تاجر كبيـر يحمل كثيراً من المـال، وقال لصاحب الفنـدق: «احفظ لي مالي عنـدك، كيلا يسرقه مني هـؤلاء الحرفيون المجانين». فقبـل صاحب الفندق وحمل حقيبـة التاجر إلى غرفة سكنـه مع زوجته، وعرف مـن وزنها أنها مملوءة بالذهب. وبناء على ذلك نقـل الحرفيين الثلاثة إلى الطابق الأول، وأعطى التاجر غرفةً خاصةً في الطابق العلوي. وعند منتصف الليل، حينما ظـن صاحب الفنـدق أن الجميع نيام، دخل مـع زوجته إلى غرفـة التاجر، وكانا

Twitter: @ketab_n

يحمـلان فأسين، وقتلا التاجـر الغني، وعادا بعد الجريمة إلـى غرفتهما وأويا إلى فراشهما.

فـي صباح اليوم التالي حدثت ضجة في الفنـدق وهرج ومرج وتدافع النزلاء ليـروا التاجـر القتيل يسبح في بركـة من الدماء. قال صاحـب الفندق: «هذه فعلة الحرفييـن الثلاثة المجانين». وافقه النزلاء على قولـه وقالوا: «لا يمكن أن يكون المجرم أحداً سواهم». فاستدعاهم صاحب الفندق وسألهم: «هل قتلتم التاجر؟» فأجابـه الأول: «ثلاثتنا معاً»، وتبعـه الثاني: «لقاء النقود»، وختـم الثالث بقوله: «وهـذا هو عين الصواب». فصاح صاحب الفندق أمـام النزلاء: «ها قد سمعتم، لقـد اعترفوا بأنفسهم». فاقتيـد الثلاثة إلى السجن ليمثلوا من ثمة أمام القاضي في المحكمـة. عندما رأى الثلاثة أن القضية بدأت تلامس رقابهم، ودب الخوف في قلوبهـم، لكن الشيطان ظهر لهم ليلاً وقال لهم: «اصمـدوا يوماً واحداً بعدْ، ولا تضيّعـوا حُسنَ حظكم فلـن يمس أحدٌ شعرة من رؤوسكم، فـلا تخافوا!» سيقوا إلـى المحكمة في صباح اليوم التالـي، فبادرهم القاضي سائلاً: «هل أنتم القتلة؟» فجـاءه جواب الأول: «ثلاثتنـا معاً»، فتابع يسأل: «ولـمـاذا قتلتم التاجر الثري؟» فأجابـه الثاني: «لقاء نقود»، فقال القاضي: «أيهـا الأشرار، ألم تهابوا الوقوع في الخطيئـة؟» فأجابـه الثالـث: «وهذا هو عيـن الصواب». فصـاح القاضي: «لقد اعترفـوا بجريمتهم، وهـم مصرون علـى اعترافهم. خذوهم إلـى السيّاف لقطع رقابهم».

فاقتيـدوا من المحكمة إلـى منصة الإعدام، حيث وقـف صاحب الفندق في الصف الأول بين الناس. وحينما أمسك بهم رجال السيّاف وصعدوا بهم درجات المنصة، حيث وقف السيّاف بسيفه العاري، دخلت الساحةَ فجأة عربةٌ يجرها أربعة ثعالـب لونهم كحمرة الدم وأخذت العجـلات تقدح شرراً على حجارة الساحة. ومـن نافذة العربة كانت هناك يدٌ تلوّح بمنديل أبيض. صاح الجلاد: «جاء العفو» كما سُمعت من العربة صيحة: «عفو، عفو!» ترجل الشيطان من العربة كسيد نبيل فـي ثياب أنيقة فاخرة وخاطب الثلاثة قائلاً: «أنتم أبرياء. يجوز لكم الآن الكلام،

Twitter: @ketab_n

فقولـوا بكل صراحة: ماذا رأيتم وماذا سمعتـم؟» فأجاب أكبرهم: «نحن لم نقتل التاجر. القاتل يقف هنـا في الصف الأول»، وأشار إلى صاحب الفندق، ثم تابع: «والدليـل على ذلك، انزلوا إلى قبو الفندق، وستجدون جثث رجال آخرين قتلهم بنفســه». فأرسل القاضـي رجال السياف إلى الفندق فتأكـدوا من أقواله وأخبروا القاضـي بذلك. فأمر القاضـي باقتياد صاحب الفندق إلـى المنصة وبقطع رأسه. وعندهـا قال الشيطان للثلاثـة: «الآن أمسكتُ بالروح التي أردتهـا، أما أنتم فقد صرتم أحراراً، ومعكم من المال ما يكفيكم حتى الممات».

Twitter: @ketab_n

(١٢١)

الأمير الذي لا يخاف شيئاً

في قديم الزمان كان هناك أمير أحس بالملل من حياة القصر، ولأنه لم يكن يشعر بالخوف من أي شيء، قال لنفسه: «سأخرج إلى الدنيا الواسعة. هناك لن أشعر بالملل. وسأرى ما يكفي من الأشياء المدهشة». فودع والديه، الملك والملكة، وغادر القصر مشياً.

كان يستمر في المشي من الصباح حتى المساء، من دون أن يبالي إلى أين يقوده الطريق. وصادف ذات يوم أن وصل إلى بيتِ عملاق، ولأنه كان متعباً جلس على عتبة الباب ليرتاح. مسح المنطقة من حوله بعينيه، فرأى في فناء البيت ألعاب العملاق، وهي بعض الكرات العملاقة الثقيلة ومجموعة من تماثيل البولينغ، كل منها بحجم الأمير نفسه. وبعد برهة أحب أن يلعب، فصفَّ التماثيل بشكل مثلث وأخذ يقذفها بالكرات، ويصيح فرحاً عندما تُسقِط الكرةُ التماثيلَ، وشعر بسرور كبير. سمع العملاق الصياح، فمد رأسه من النافذة، فرأى إنساناً عادياً، ليس أكبر من سائر البشر، لكنه مع ذلك يلعب بكراته وتماثيله، فصاح به: «أنت أيها الدودة الصغيرة! كيف تلعب بكراتي؟ ومن أين لك القوة على ذلك؟»

رفع الأمير نظره نحو الأعلى ورأى رأس العملاق، فقال له: «يا لك من قرمة غليظة! أتظن أنك وحدك من تملك ذراعين قويتين؟ أنا قادر على كل ما أرغب فيه». خرج العملاق من البيت ونظر إلى الكرات والتماثيل مدهوشاً ثم قال: «عجبي! إذا كنتَ كما تقول، فاذهب إذن واحضر لي تفاحة من شجرة الحياة». فسأله الأمير: «وماذا ستفعل بها؟» فأجابه العملاق: «لا أريد التفاحة لنفسي،

Twitter: @ketab_n

ولكـن لخطيبتي. هي تريدها. لقد جلتُ في أماكن بعيدة من هذه الدنيا، لكنني لم أعثـر على الشجرة ». فقال الأمير: «أنا سأجدها، ولا أدري ما الذي سيمنعني من قطـف التفاحة منها». فأجابه العملاق: «أتعتقـد أن الأمر بهذه السهولة؟ الحديقة التي توجد الشجرة فيها، محاطـة بسور حديدي، وأمام السور تستلقي حيوانات مفترسـة جنباً إلى جنـب، لتحرس الحديقة وتمنع أي إنســان من دخولها». فقال الأميـر: «أنا سيسمحون لي بالدخول». فتابع العمـلاق قائلاً: «حسن، حتى ولو صرتَ داخل الحديقة ورأيتَ التفاحة معلقة من أحد أغصان الشجرة، فإنها ليست لــك بعدْ. قبل التفاحــة هناك حلقة، لا بد من مد اليد عبرهــا للوصول إلى التفاحة وقطفها. وحتى الآن لم ينجح أحد في ذلك». فأجابه الأمير: «أنا سأنجح».

ودّع الأميرُ العمـلاقَ ومشى عابراً جبالاً ووديانًا وحقولاً وغابات حتى وصل فــي نهاية المطاف إلى الحديقة العجيبة. كانت الحيوانات المفترسة تحيط بها من جميع الأطـراف، لكنها كانت نائمة برؤوس منكسة، ولم تستيقظ عندما اقترب، بل تركته يتخطاها. ثم تسلق السور وهبط في الحديقة بسلام. وجد شجرة الحياة فــي منتصفها تماماً والتفاحــات مشتعلة على الأغصان مثــل أضواء حمراء. تسلق جذع الشجرة نحو الأعلى، وعندما مدَّ يده نحو تفاحة رأى الحلقة المعلقة قبلَها، فمــد يده من دون صعوبة من خــلال الحلقة وقطف التفاحة، فضاقت الحلقة على ساعــده بشدة، وشعر فجأة بقوة هائلة تتغلغل عبر شرايينه. عندما نزل عن الشجرة والتفاحة في يده والحلقة حول ساعده، لم يرغب في تسلق السور الحديدية ثانية، بــل أمســك البوابة الكبيــرة وهزها مرة واحــدة لا أكثر، فسقطــت بصوت مدوٍ. غــادر الأمير الحديقة، واستيقظ الأسد النائم أمامها وقفــز وراء الأمير، لا بشراسة وغضب، بل بخضوع كما يتبع الحيوان سيده.

أوصل الأميرُ للعملاق التفاحةَ الموعودة وقال له: «تفضل، لقد حصلتُ عليها بــدون مشقة». فرح بها العملاق وبتحقق رغبته بهذه السرعة، وهرع إلى خطيبته وأعطاهــا التفاحة التــي طلبتها. كانت خطيبته صبية جميلــة وذكية، وعندما لم تر الحلقــة على ساعده، قالت لــه: «لا اصدق أنك أنت من أحضر التفاحة حتى أرى

Twitter: @ketab_n

الحلقة حول ساعدك». فأجابها العملاق: «لا أحتاج إلا إلى العودة إلى البيت لإحضارها». وهو يظن أن من السهولة بمكان استخدام القوة لأخذ شيء من إنسان لا يريد التخلي عنه بإرادته. فطلب من الأمير أن يعطيه الحلقة، لكن الأمير رفض. فقال له العملاق: «الحلقة تتبع التفاحة ويجب أن تكون معها. فإنْ لم تتنازل لي عنها، ستضطر إلى منازلتي من أجلها».

تصارعا طويلاً، ولم يستطع العملاق التغلب على الأمير، الذي منحته الحلقة طاقة سحرية. عندها فكر العملاق باللجوء إلى الحيلة، فقال: «جعلني الصراع أشعر بالحر، وأنت كذلك. فلنسبح في النهر ونتبرد قبل أن نعاود الصراع». لم يكن الأمير يعرف شيئاً عن أساليب الخداع، فذهب مع العملاق إلى النهر، نضَّ عنه ثيابه والحلقة عن ساعده كذلك، وقفز إلى النهر. وفي اللحظة نفسها التقط العملاق الحلقة وأراد الهروب، لكن الأسد الذي انتبه إلى السرقة انتزع الحلقة من يده وأعادها إلى سيده. عند ذلك اختبأ العملاق وراء شجرة بلوط، وبينما كان الأمير منهمكاً في ارتداء ثيابه، هاجمه وفقأ عينيه الاثنتين.

وهكذا بات الأمير المسكين أعمى وعاجزاً عن فعل أي شيء. فعاد العملاق وأمسك بيده كمن يريد أن يقوده لمساعدته، وسار به إلى قمة صخرة عالية، وتركه هناك واقفاً وهو يقول في سره: «إذا مشى خطوتين فسيسقط إلى الهاوية ويموت، وعندها سأنتزع عنه الحلقة». لكن الأسد المخلص لم يتخل عن سيده، بل أمسك سترته بأسنانه وأخذ يجره إلى الوراء بهدوء. وعندما عاد العملاق ليسرق الحلقة من الميت، وجد أن مكيدته قد فشلت، فقال لنفسه بغضب: «ما الذي يجعل إنساناً ضعيفاً كهذا غير قابل للقتل!» وأمسك بيد الأمير وقاده على درب آخر إلى الذروة نفسها ثانية، لكن الأسد الذي أدرك نواياه الشريرة أنقذ سيده مرة ثانية من الخطر، إذ عندما اقترب العملاق والأمير من حافة الهاوية ترك العملاقُ يدَ الأمير الأعمى، بنيةِ تركه وحده هناك، بيد أن الأسد دفع العملاق باتجاه الهاوية فسقط على الأرض أشلاء.

Twitter: @ketab_n

سحـب الحيوان المخلص سيده بعيداً عن الهاوية وقاده إلى شجرة بجانب نبع صـاف. جلس الأمير على الأرض. أما الأسـد فأقعى وأخذ يرش بيده من ماء النبع على وجه الأمير. وما أن بللت بعض القطرات محجري العينين حتى صار بإمكانه أن يـرى قليلاً، ولاحظ طائراً صغيراً يطيـر قريباً منه ويصطدم بجذع شجرة، فنزل فـي ماء النبع واغتسل فيـه، ثم طار وحلق بين الأغصان مـن دون أن يصطدم بها، وكأنـه صار يرى ثانية. عندها أدرك الأميـر الإشارة الربانية، فانحنى على ماء النبع وغسـل وجهه فيه، وعندما اعتدل ثانية وجد أنه قد استعاد بصره بوضوح وصفاء، مثلما كان.

شكـر الأمير ربـه على نعمته العظيمة، وتابع طريقه يجـوب الدنيا برفقة أسده. وصـادف ذات يوم أن مر بقصـر ترزح عليه لعنة سحرية، فـرأى عند الباب صبية رشيقـة القوام وذات وجه فاتن، لكنها كانـت سوداء تماماً. بادرته الحديث قائلة: «ألا يمكنـك تخليصي من اللعنة السحرية التي أُنزلـت بي!» فقال لها الأمير: «ما الـذي يتوجب عليّ عملـه؟» فأجابته الصبية: «عليك قضاء ثـلاث ليالٍ في القاعة الكبـرى من القصر المسحـور، وإياك أن يدخل الخوف إلـى قلبك. فإذا عذبوك بطرقهـم العجيبـة الغريبة وصمدتَ مـن دون أن يندَّ عنك صـوتُ تألّم، تكون قد خلصتنـي، وهم لا يجوز أن يأخـذوا منك حياتك». فقال لهـا الأمير: «أنا لست خائفاً، سأحاول بعون الله».

وهكـذا دخل إلى القصر منشرح الصدر. وعندما حل الظلام جلس في القاعة الكبـرى منتظـراً. ساد السكون حتى منتصف الليل، وفجـأة بدأ صخب هائل من جميـع الزوايا وظهرت عفاريت صغيرة، أخذت تتصرف وكأنها لا تراه. جلست العفاريـت في وسـط القاعة وأوقدت ناراً وبدأت تلعـب. وإذا خسر أحدها، كان يقـول: «ثمـة خطأ ما، هناك غريب فـي المكان لا ينتمي إلينا. إنـه المسؤول عن خسارتي»، ويقول آخر: «انتظر، سآتيك أيها المختبئ وراء المدفأة». تعالت درجة الضجيـج والصخب بحيث ما كان لإنسان أن يسمعهـا دون أن يدب الرعب في قلبـه، لكن الأمير حافظ على هدوئه التام جالساً من دون خوف. بيد أن العفاريت

Twitter: @ketab_n

قفـزت فجأة من الأرض وانقضت عليـه، وكان عددها كبيراً لدرجة أنه لم يستطع الدفاع عن نفسه في مواجهتها. أخذوا يجرونه على الأرض ويقرصونه وينخزونه ويضربونـه ويعذبونـه، لكنه لم يصـدر أي صوت ألم. مع اقتـراب الفجر اختفوا جميعهـم، وكان علـى درجة من الإنهـاك والوهن بحيث لـم يتمكن من تحريك أعضائه.

وعندمـا انبلـج النهار جاءتـه الصبية السـوداء، حاملة بيدهـا زجاجة صغيرة، فيهـا مـاء الحياة، وأخـذت تمسح به جسمــه، فشعر فوراً بتلاشـي الآلام وبطاقة جديـدة تتغلغل في عروقـه. قالت له: «لقد صمـدتَ ليلةً بنجـاح، ولكن ما زال أمامـك ليلتان»، وغادرت القاعة. وفي أثنـاء خروجها لاحظ أن قدميها قد صارتا بيضاوين. فـي الليلة الثانية جاءت العفاريت وجـددت لعبتها، ثم هاجمت الأمير وضربته بصورة أقسى من السابق فامتلأ جسمه بالجروح. ولكن نتيجة تحمله كل هذا بصمت وهدوء اضطرت العفاريت إلى تركه. ومع حمرة الفجر جاءته الصبية وشفت جراحه بماء الحياة.

وفـي أثناء خروجها رأى بفرح أنها قد باتت بيضاء، عدا رؤوس أصابعها. كان عليـه الآن الصمود ليلة ثالثة، كانت الأسوأ والأقسـى. دخلت العفاريت الشبحية لثالث مرة قائلة: «أما زلت هنا؟ سنعذبك ونؤلمك حتى يتوقف تنفسك». فوخزته وضربته ورمته من جهة إلى أخرى وشدته من يديه وقدميه وكأنها تريد تمزيقه. بيد أنه تحمل كل ذلك ولم يُصدر أيّ صوت ألم.

وأخيـراً اختفــت العفاريت تاركة إياه غائباً عن الوعـي ومن دون حراك، ومن دون قدرة على فتـح عينيه ليرى الصبية التي دخلت مع الفجر لتمسحه وتبلله بماء الحيـاة، بحيث تحرّر فوراً من جميع الآلام والأوجاع وشعر بنضارة وصحة كمن يستيقـظ من نوم مريح. وعندما فتـح عينيه رأى الصبية واقفـة إلى جانبه، وكانت كبياضـ الثلج وجميلـة كنهار مشرق. فقالـت له: «انهض ولـوّح بسيفك ثلاث مرات علـى درج القصر، وعندها سيُرفع السحر ويتحرر القصر من اللعنة». وبعد

Twitter: @ketab_n

أن نفـذ طلبها استعاد القصر حياته الطبيعيـة، وإذا بالصبية أميرة ثرية، وجاء الخدم وأبلغوهمـا بأن المأدبة جاهزة في القاعة الكبرى. فجلس الجميع وأكلوا وشربوا، ومساءً أقيم عرس الأمير والأميرة في فرح غامر.

Twitter: @ketab_n

(١٢٢)

حمير الملفوف

في قديم الزمان كان هناك صياد شاب اعتاد على الصيد في المكان الذي ترتاده وحوش الغابة. كان شاباً جريئاً منشرح الصدر دائماً، وذات يوم بينما كان يمشي وهو يصفر مسروراً في الغابة، ظهرت له فجأة امرأة عجوز قبيحة الشكل، بادرته الكلام قائلة: «نهارك سعيد أيها الصياد العزيز، تبدو مسروراً منشرحاً فيما أعاني أنا الجوع والعطش، امنحني أرجوك ولو قرشاً». أشفق الصياد على الجدة الفقيرة، فمد يده إلى جيبه وأعطاها ما جادت به نفسه، وأراد متابعة طريقه، لكن العجوز استوقفته وقالت له: «اسمع يا عزيزي الصياد ما سأقوله لك: لأنك طيب القلب سأهديك هدية. تابع دربك المعتاد، وبعد برهة ستصل إلى شجرة عليها تسعة طيور تتنازع في ما بينها بمخالبها ومناقيرها على عباءة. صوب بندقيتك نحو الطيور وأطلق، فتتخلى الطيور عن العباءة فتسقط إليك، وسيسقط أيضاً أحد الطيور ميتاً. خذ العباءة لك فهي «عباءة الأماني». إذا ارتديتها على كتفيك وتمنيتَ أن تكون في مكان محدد، فستجد نفسك هناك فوراً. ثم أخرج قلب الطائر من صدره وابتلعه بكامله، ومن بعدها ستجد تحت وسادتك كل صباح ديناراً ذهبياً».

شكر الصياد العجوز الحكيمة وهو يقول لنفسه: «إنْ جرت الأمور حسبما تقول، فسأحصل على أشياء جميلة». وما أن مشى نحو مئة خطوة حتى سمع من الأغصان فوقه سقسقةَ وزعيقَ حفنة من الطيور وكل منها يشد بمخالبه أو منقاره طرفاً من قطعة القماش نحوه، وكأن كلاً منهم يريدها لنفسه فقط. «يبدو الأمر عجيباً» قال الصياد لنفسه وتابع: «أرى ما يحدثُ مثلما وصفته العجوز تماماً»،

Twitter: @ketab_n

فلقّم بندقيته وسدد في الوسط بين الطيور وأطلق، فتطاير الريش هنا وهناك وهربت الطيور زاعقة، لكن أحدها سقط ميتاً ومن ورائه العباءة. فنفّذ الصياد ما قالته له العجوز، شق صدر الطير وبحث عن القلب ثم ابتلعه وأخذ العباءة معه إلى الدار.

حينما استيقظ في صباح اليوم التالي خطرت بباله بشارة العجوز، وأراد أن يتحقق من صدقها، وعندما رفع الوسادة لمع أمام عينيه دينار ذهبي، وكذلك في اليوم الثاني والثالث، كلما نهض صباحاً، حتى صار عنده كومة من الذهب. وأخيراً قال لنفسه: «بماذا يفيدني هذا الذهب إذا بقيت أسير البيت؟ سأرحل لأتفرج على الدنيا».

ودّع والديه وعلّق المحفظة والبندقية على كتفه ورحل في أرجاء الدنيا، وصادف ذات يوم أن عبر غابة كثيفة إلى نهايتها، ليجد نفسه أمام بناء يلفت النظر كالقصر. ومن إحدى نوافذه أطلت امرأة كهلة وصبية بارعة الجمال. كانت الكهلة ساحرة تقول لابنتها: «هناك رجل آت من الغابة، يحمل في جسمه كنزاً عجيباً، وعلينا يا مهجة قلبي أن نفتِنه لنسبيه إياها، لأنه يليق بنا أكثر مما يليق به. إن في جسمه قلب طير يجعله يجد ديناراً ذهبياً تحت وسادته كلما استيقظ صباحاً». وحكت لها عن الأسلوب الذي عليها اتباعه لخداع الصياد، وأنهت حديثها مهددة إياها بعينيها وكلماتها قائلة: «وإن لم تطيعيني فستكون حياتك بائسة تعسة». عندما اقترب الصياد رأى الصبية وقال في نفسه: «لقد تجولت ما يكفي ويحق لي أن أستريح في هذا النزل الجميل كالقصر ومعي ما يكفي من المال». أما السبب الحقيقي فكان تعلقه بجمال الصبية.

دخل البناء فاستُقبل بودٍ وقُدمت له خدمة جيدة. ولم يمض وقت طويل حتى وقع في غرام ابنة الساحرة، فلم يعد يفكر إلا بها، ولم يعد يرى إلا عينيها، وبات يلبي طلباتها مهما كانت بكل سرور. وعندها قالت الساحرة: «آن أوان استحواذنا على قلب الطير، ولن يحس بفقدانه».

حضّرت الأم وابنتها شراباً مغلياً، صبّته الأم في قدح وناولته لابنتها لتقدمه

Twitter: @ketab_n

للصياد ليشربه. فخاطبته الفتاة قائلة: «والآن يا حبيبي، اشرب في صحتي»، فأخذ منها القدح وشرب جرعة منه، فتقيأ قلب الطائر. وكان على الصبية أن تُبعد القلب سراً وتبتلعه بنفسهـا، كيلا تأخذه أمها. ومنذ ئذ لم يعد الدينار الذهبي يظهر تحت وسادتـه كالعادة، وإنمـا تحت وسادة الصبية، فتأخـذه الساحرة كل صباح. لكن حـب الصيّاد للصبية كان شديد الوطأة بحيث أنه لم يفكر بشيء آخر سوى تمضية الوقت في صحبتها.

قالـت الساحرة: «صحيح أننا قد سلبناه قلـب الطير، ولكن لا بد من أن نسلبه عبـاءة الأمانـي أيضاً». فأجابتها الفتـاة: «دعيها له، ألا يكفي أنـه قد فقد ثروته». فغضبـت الساحرة وقالت: «هذه عبـاءة عجيبة، يندر وجودها فـي الدنيا، ولهذا لا بـد لي من الحصول عليها». وجهت إلـى ابنتها بعض النصائح الطالحة وأنهت كلامهـا بتهديدها بحيـاة الشقاء والتعاسة إن لم تطعهـا. فأذعنت الابنة لرغبة أمها العجـوز، فوقفـت في النافذة وهـي شاردة في الأفـق البعيد وكأنهـا حزينة جداً. فسألهـا الصياد: «ما سبب حزنك؟» فأجابته: «آه يا حبيبي، هناك مقابلنا يقع جبل الجواهـر حيث توجد أغلى الأحجار الكريمة. وأنا لـدي رغبة كبيرة بها، وكلما فكـرت فيها يزداد حزني، إذ مـن الذي يستطيع الحصول عليهـا! الطيور فقط لا شـك، أما الإنسان، فهذا مستحيل». فقال لهـا الصياد: «لا حاجة بك للاستغراق فـي هذا الهم يـا عزيزتي، لأني سرعان ما سأبعده عن قلبـك»، وضمها إليه تحت عباءتـه وتمنـى أن يكون على جبل الجواهـر، فإذا بهما يجـدان نفسيهما واقفين فوقـه، ومن كافـة الجهات حولهما كانـت الجواهر والأحجـار الكريمة النفيسة تتلألأ. وقد تمكنت العجوز بفنونها السحرية، وعن بعد، أن تجعل جفنيه يثقلان، فقـال للصبية: «سنبقى جالسين هنا برهة من الزمن لنرتاح، فأنا أشعر بتعب شديد، بحيـث أن قدمـيّ لا تحملاني». فجلسا، ووضع رأسه فـي حضنها ونام. وحالما استغـرق في نومه فكـت الصبية العباءة عن كتفيه وعقدتهـا على كتفيها، اختارت مجموعة من الجواهر والأحجار الكريمة وتمنت أن تكون في بيتها.

حينمـا شبع الصياد نوماً واستيقظ، أدرك أن حبيبته قد خانته وتركته وحده على

Twitter: @ketab_n

الجبـل الوعـر، فقال في نفسه: «يـا إلهي ما أفظع الغدر في هـذه الدنيا!» وجلس هنـاك مهموماً محزوناً لا يدري ما عليه أن يفعل. بيد أن الجبل كان ملكاً لجماعة من العمالقة المردة المتوحشين الذين يسكنونه ويعيثون فيه فساداً. بعد مدة قصيرة رأى الصيـاد ثلاثة منهم يقتربون باتجاهه، فاستلقـى على الأرض وكأنه غارق في نومه. وصل العمالقة إليه، فدفعه أحدهم بقدمه قائلاً: «ما هذه الدودة المنطوية على ذاتها؟» فقال لـه الثاني: «افْعسها!» لكن الثالث قال باحتقار: «إنها تستحق جهد فعْسِهـا، دعك منها. إنها لا تستطيع البقاء هنا، وإذا تسلقت إلى القمة، فستمسك بها السحب وتحملها بعيداً». تابع العمالقة طريقهم بعد أن سمع الصياد حديثهم. وما أن غابوا عن ناظريه حتى نهض وتسلق الجبل حتى القمة، وبعد أن جلس برهة هنـاك اقتربت منه سحابة، حملتـه معها عبر الجو بعيداً، ثم أخذت تهبط منخفضة باتجاه حقلِ ملفوفِ محاط بالأسوار، فسقط الصياد بلين بين الخضار والملفوف.

تلفـت الصيـاد حوله وقال في نفسـه: «لو أني أجد ما يـؤكل، فأنا جائع جداً، بحيـث لـن أتمكن من متابعة الطريق، وهنا لا أرى تفاحاً أو إجاصاً أو أي نوع من الفاكهة. لا أرى حولـي سوى الملفوف والكرنب». وبعد برهة فكر: «للضرورة أحكام، سآكل شيئاً من هـذا الملفوف، رغم أن طعمه ليس مستساغاً تماماً، لكنه سينعشني قليلاً». ففتش عن رأس ملفوف معتبر وأكل بعض أوراقه، لكنه ما أن ابتلع لقمة حتى انتابه شعور غريب وأحس أنه يتغير: صارت له أربع قوائم ورأساً سميكاً بأذنيـن طويلتيـن، وارتعب عندمـا أدرك أنه قد تحول إلى حمـار. وبما أن الحال الجديد قد زاد من شعوره بالجوع وبات يستسيغ الآن طعم الملفوف الريان، فإنه تابـع الأكل بنهـم، إلى أن وصل إلى نوع مختلف مـن الملفوف، وما أن ابتلع منه بعض الوريقات حتى شعر بتحول جديد يطرأ عليه، واستعاد هيئته البشرية.

استلقـى الصياد بيـن الخضراوات ونام من التعب، وعندمـا استيقظ في صباح اليـوم التالـي قطع رأساً من الملفـوف الخبيث ورأساً من الملفـوف الحميد وهو يقـول في سـره: «سيساعدني هـذا الملفوف فـي استعادة ما هو ملكـي ومعاقبة الغادريـن». خبأ الملفـوف في محفظته وتسلق سور الحقـل إلى الجانب الآخر،

Twitter: @ketab_n

وانطلق باحثاً عن قصر حبيبته. وبعد مضي بضعة أيام في التجوال، ولحسن حظه وجده، فأسرع في تلطيخ وجهه بتراب بني بحيث ما كانت حتى أمه لتتعرف عليه ودخل إلى النـزل وطلب غرفة قائلاً: «إني مرهق من الطريق وما عدت قادراً على المتابعة». فسألته الساحرة: «من أنت أيها الرجل وما طبيعة عملك؟ فأجابها: «أنا مرسال الملك، وقد بعثني بحثاً عن ألذ ملفوف ينبت تحت الشمس. وقد كنت محظوظاً ووجدته، وهو معي الآن. لكن الشمس حارقة جداً، وأنا أخشى أن يذبل الملفوف، قبل أن أتمكن من إيصاله إلى الملك».

حينما سمعت العجوز خبر الملفوف اللذيذ الطازج، ثار نهمها فقالت: «أيها الرجل الطيب دعني أذوق هذا الملفوف الرائع». فأجابها: «ولماذا لا، لقد أحضرت معي رأسين، وسأتنازل لك عن أحدهما»، وفتح محفظة كتفه وأعطاها الرأس الخبيث. لم تشك العجوز في الأمر، وسال لعابها لهفة لتذوق الطعام اللذيذ الجديد، فذهبت بنفسها إلى المطبخ وحضّرته، ولمّا صار جاهزاً، لم تستطع الانتظار ريثما يوضع على المائدة، بل تناولت فوراً أوراق الملفوف ووضعتها في فمها. وحالما بلعتها فقدت شكلها البشري ونزلت إلى الفناء في شكل حمارة. خلال ذلك دخلت الخادمة إلى المطبخ ورأت صحن السلطة الجاهز، فحملته لتوصله إلى غرفة الطعام، وفي أثناء الطريق غلبتها العادة القديمة، أن تتذوق ما تُقدم، فأكلت بعض الوريقات، فتجلت فوراً قدرة الملفوف العجيبة، إذ تحولت إلى حمارة وخرجت إلى الفناء وراء العجوز، فسقط صحن السلطة من يدها على الأرض. خلال ذلك كان مرسال الملك جالساً مع الصبية الجميلة التي طال انتظارها فتساءلت: «أين صار صحن السلطة يا ترى؟» فقال الصياد في سره: «يبدو أن مفعول الملفوف قد بدأ». ثم قال للصبية: «سأذهب إلى المطبخ لأرى ما الأمر». عندما نزل من غرفة الطعام شاهد الحمارتين تدوران في الفناء، ورأى صحن السلطة مرمياً على الأرض، فقال: «هذا عدل، لقد أكلت الاثنتان نصيبهما من السلطة»، وجمع بقية السلطة في الصحن وأخذه إلى الصبية وقال لها: «لقد أحضرتُ لك بنفسي الطعام الشهي، كيلا يطول انتظارك». أكلت الصبية من صحن

Twitter: @ketab_n

الملفوف وفقدت فوراً شكلها البشري وخرجت إلى الفناء في شكل حمارة.

وبعـد أن غسل الصياد وجهه كـي تتعرف عليه النسـاء المتحولات، نزل إلى الفناء وقال لهـن: «الآن ستحصلن على جزاء غدركن»، وربط الثلاثة برسن واحد وقادهن إلى طاحون مجاورة. نقر على زجاج النافذة، ففتحها الطحان وسأله عمّا يريد، فأجابه الصياد: «عندي ثلاثة حيوانات مزعجة، ما عدت راغباً في الاحتفاظ بها. فهل تأخذهـا وتشغلها عندك، وأنا أتكفل بثمن علفها حسبما تطلب؟» فقال الطحان: «ولماذا لا؟ ولكن كيف تريدني أن أعاملها؟» فأجاب الصياد بأن عليه أن يضرب الحمارة الكبيرة (الساحرة) ثـلاث مرات يومياً ويطعمها مرة واحدة، أما الثانية (الخادمة) فعليه أن يضربها مرة واحدة ويطعمها ثلاث مرات يومياً. وعندما جـاء دور الثالثـة (الصبية) طلب منه الصيـاد أن يطعمها ثلاث مـرات يومياً، وألاّ يضربها، فقلبه لم يطاوعه. ومن ثمة عاد الصياد إلى النزل، حيث وجد ما افتقده.

بعـد بضعة أيام جاءه الطحان وأخبره بأن الحمـارة العجوز التي ضُربت ثلاث مـرات وأُطعمت مرة واحدة يومياً حسـب التعليمات، قد ماتت، ثم أردف قائلاً: «الحمارتـان الأخريان اللتان تُعلفان ثلاث مرات يومياً، تبدوان حزينتين جداً، ولا أظـن أن بقاءهما سيطول». عندها شعر الصياد بالشفقة عليهما، فأبعد الغضب عن قلبه وقال للطحان أن يعيدهما إلى النزل.

وعندمـا وصلتـا أطعمهما الصياد مـن الملفوف الحميـد، فاستعادتا هيئتيهما البشريـة، وعندهـا ركعت الصبية على ركبتيها أمامه وقالـت: «آه يا حبيبي، أرجو أن تسامحني عمّا ألحقته بك من أذى. لقد أجبرتني أمي على ذلك، ولم تكن تلك رغبتـي، فأنا أحبك من كل قلبـي. عباءتك العجيبة معلقة فـي الخزانة، وسأتناول شـراب القيء كي أعيد لك قلب الطيـر». فشعر الصياد بـأن إحساسه تجاهها قد تغيـر، فقال لها: «احتفظي به لك، فالأمر سيان، لأني أرغب في أن أتخذك زوجة مخلصـة لي». وأقيمت حفلة العرس، وعاشا سعيدين مع بعضهما إلى أن وافاهما الموت.

Twitter: @ketab_n

(١٢٣)

المرأة العجوز في الغابة

فـي قديـم الزمان سافرت خادمة صبيــة مع سادتها في عربة عبـر غابة شاسعة، وعندمـا وصلوا إلى نصفها هاجمهم قطاع الطرق، مـن الأدغال المحيطة وقتلوا كل من وجدوه. قُتل الجميع عدا الخادمة، التي قفزت من العربة خوفاً، واختبأت خلـف شجرة. وبعـد أن اختفى قطاع الطـرق مع غنائمهم، خرجـت الصبية من مخبأهـا ورأت هول المصيبة. فأخذت تنتحـب بمرارة وهي تقول لنفسها: «وأنا المسكينـة مـاذا سأفعل الآن؟ لا أعـرف طريقي إلى خارج الغابـة، وهي خالية لا يسكنهـا إنسان. لا شك في أني سأموت جوعاً». تجولت حولها في المكان بحثاً عن طريق، لكنها لم تعثر على شيء.

عندما اقترب المساء جلست تحت شجرة وقد أسلمت أمرها إلى ربها، عازمة على أن تبقى في مكانها ولا تتحرك منه، مهما حصل. ولكن بعد فترة قصيرة جاءتها حمامة بيضاء طائرة إليهـا، وهي تحمل في منقارها مفتاحاً ذهبياً صغيراً. وضعت الحمامـة المفتاح فـي يد الصبية وقال لها: «أترين تلـك الشجرة الضخمة، يوجد علـى جذعها قفل، افتحيه بهـذا المفتاح، وستجدين وراءه مـا يكفي من الطعام، فلـن تعاني الجوع». ذهبي الصبية إلـى الشجرة وفتحت القفل، وجدت حليباً في وعـاءٍ وخبزاً أبيض للفت في الحليب، مـا يكفي ليشبعها. وبعد أن أكلت وشبعت قالت: «حان وقت إدخـال الدجاجات إلى القن هناك في المزرعة. أنا أيضاً أشعر بالتعـب وأتمنى أن أستلقي في سريري». فجاءتها الحمامة ثانية ووضعت في يدها مفتاحـاً ذهبياً ثانيـاً، ثم قالت لها: «افتحي قفل تلك الشجـرة العريضة وستجدين

Twitter: @ketab_n

فيها سريـراً». ففتحت الشجرة ووجدت سريراً طرياً جميلاً. فصلّت لربها شاكرةً ورجته أن يحميها في أثناء الليل، واضطجعت ونامت.

فـي الصبـاح جاءتها الحمامة ثالث مـرة، أعطتها مفتاحاً ذهبيـاً ثالثاً ثم قالت لهـا: «افتحي تلك الشجرة هناك وستجديـن ألبسة لك». وعندما فتحتها وجدت ثياباً مزينة بالأحجار الكريمة ومشغولة بخيوط الذهب، رائعة تليق بأميرة. عاشت الفتاة في هذه الحال مدة من الزمن والحمامة تأتيها يومياً وتزودها بكل ما تحتاجه، وكانت أياماً طيبة وجميلة.

وذات يوم جاءت الحمامـة طائرة إلى الصبية وقالت لها: «هل تفعلين شيئاً من أجلي؟» فأجابت الصبيـة: «طبعاً، وبكل سرور». فقالت الحمامة: «سأقودك إلى بيت صغيـر، فادخليه، وستجدين فـي منتصفه عند الموقد امـرأة عجوز جالسة، ستقـول لك نهارك سعيد. ولكن إياك أن تجيبيها، مهما قالت أو سألت، بل تابعي طريقـك عن يمينها، حيث ستجدين باباً، افتحيـه وادخلي الحجرة، حيث سترين خواتم من جميع الأشكال والأنواع ملقية على طاولة، بعضها مزود بأحجار كريمة متلألئة، دعيها مكانها وفتشي عن خاتم بسيط، لا بد أن يكون بينها، واحضريه إليّ هنا بأسرع ما يمكنك».

ذهبـت الصبية إلـى البيت الصغيـر ودخلته، فوجـدت المرأة العجـوز، التي اندهشـت لمرآها وقالت لها: «نهارك سعيد يـا ابنتي». لكن الصبية لم تجبها، بل توجهـت نحو الباب على يمينها. فصاحت العجوز: «إلى أين» وأمسكت بطرف ردائها كي توقفها وقالت: «هذا بيتي. لا يحق لأحد أن يدخله من دون إذني». لكن الفتاة بقيت صامتة، وحررت رداءها من يد العجوز ودخلت مباشرة إلى الحجرة. وجدت علـى المنضدة كمية كبيرة جداً من الخواتم اللماعـة والمتلألئة والبراقة، فأخذت تبعدها جانباً باحثة عن خاتم بسيط، لم تجده بينها، وفيما هي منهمكة في البحـث رأت العجوزَ وهي تتسلل حاملة قفص عصافير، تريد الهروب. فأسرعت الصبيـة إليها وانتزعت القفص من يدها، وعندما رفعتـه ونظرت إلى داخله، رأت

Twitter: @ketab_n

عصفوراً يحمل الخاتم البسيط في منقاره. أخذت منه الخاتم وخرجت به مسرعة من بيت العجوز، عائدة إلى مكانها في الغابة، وهي تفكر بأن الحمامة البيضاء ستأتي الآن لتأخذه. لكن الحمامة لم تأت.

استندت الصبية إلى شجرة وهي تنتظرها، وفيما هي واقفة، أحست وكأن الشجرة قد باتت طرية رخوة وحنَت أغصانها نحو الأسفل. وفجأة أحاطت الأغصان بالصبية مثل ذراعين تحضنانها. وعندما التفتت كانت الشجرة قد تحولت إلى شاب وسيم، حضنها وقبلها بحب وهو يقول: «لقد فككت عني السحر وحررتني من سلطة العجوز، إنها ساحرة شريرة حولتني إلى شجرة، وكنتُ كل يوم ولبضع ساعات أتحول إلى حمامة بيضاء. ومادام الخاتم في حوزتها لم أكن قادراً على استعادة هيئتي البشرية». ثم ظهر خدمه وخيوله بعد أن انفك عنهم السحر، الذي كان قد حولهم إلى شجر أيضاً. وها هم الآن يقفون حوله ويحملون الصبية معه إلى مملكته، فقد كان الشاب الوسيم أميراً، عقد قرانه في قصره على الصبية وعاشا معاً في سعادة وهناء.

Twitter: @ketab_n

(١٢٤)

الأشقاء الثلاثة

كان هنـاك رجل عنده ثلاثة أبناء، ولا يملك من ثروة سوى الدار التي يسكنها. وكان كلٌ مـن الأبنـاء يرغب فـي الحصول على الـدار، بعد وفـاة والدهم، لكن والدهـم كان يحبهـم ثلاثتهم بالدرجة نفسها، فاحتار في أمـره، كيلا يميز بينهم. ولم يكن راغباً في بيع الدار لأنه ورثها بدوره عن أسلافه، وإلا لقبض ثمنها ووزعه عليهم بالتساوي. وأخيراً خطرت في باله فكرة، فقال لأبنائه: «اخرجوا إلى الدنيا وجربوا حظوظكم، وليتعلم كل منكم مهنة، ومن يحقق منكم العمل الأفضل عند عودتكـم، تكون الـدار من نصيبه». وافـق الأبناء على الفكـرة، وأراد أكبرهم أن يصير حداد حدوات خيل، وأوسطهم حلاقاً، وأصغرهم بطل مبارزة.

اتفقـوا من ثمة على موعدِ عودتهم إلى الدار معاً، وانطلقوا كلٌ في طريق. ومن حسن الحظ أن وجد كل منهم معلمَ مهنةٍ شاطر. تدرب على يديه على خير وجه. وقد كُلِّف الحداد منهم بتركيب حدواتٍ لجواد الملك، وقال لنفسه: «بهذا العمل سأضمـن فوزي. أنا من سيحصل على الدار». أمـا زبائن الحلاق فكانوا من علية القـوم ووجهائهم، فخطـرت بباله فكرة أخيه نفسها. وعندمـا كان بطل المبارزة يتلقـى أحياناً ضربـات سيوف موجعة، كان يكزّ على أسنانـه ويكظم غيظه، قائلاً لنفسـه: «إذا كنتُ سأخاف من مواجهة ضربات السيوف، فلن أحصل على الدار أبداً».

وعندمـا حان الموعد المتفق عليه عـادوا والتقوا ثلاثتهم عند والدهم، لكنهم لـم يعرفوا كيف سيجـد كل منهم الفرصـة المناسبة لإبداء مهارتـه، فجلسوا معاً

Twitter: @ketab_n

يفكـرون. وبينما كانـوا جالسين في فناء الدار ظهر أرنب فجـأة في الحقل، فقال الحـلاق: «يا سلام، جـاء في وقته». تناول طاسة الصابـون والفرشاة وأخذ يرغي الصابـون إلى أن اقترب الأرنب منهم، فغطاه الحلاق كله برغوة الصابون ثم حلق لـه فروته كلها عدا لحيتـه المدببة القصيرة، وذلك مـن دون أن يجرحه أو يؤلمه. فقال الأب: «يعجبني شغلك. إن لم يبذل أخواك جهداً عظيماً فالدار لك».

بعد مدة قصيرة مرَّ بهم سيدٌ يقود عربته بسرعة كبيرة، فقال الحداد لأبيه: «الآن سترى ما باستطاعتي أن أفعل»، وقفز وراء العربة، وانتزع حدوات حوافر الجواد الأربـع وهو يعـدو، وركَّب له حدواتٍ جديدة وهو مـا زال يعدو. فقال له الأب: «أنت شاب حقيقي، تتقن عملك كأخيك. ما زلت لا أدري لمن سأعطي الدار»، فقال أصغرهـم: «أعطني فرصة لأثبت مقدرتي».

ولأن السمـاء بـدأت تمطـر، استل أصغرهـم سيفه وأخذ يلوّح بـه فوق رأسه بحـركات متصالبـة، بحيث لم تسقط قطرة ماء على جسمـه. وعندما ازداد هطل المطر، وكأن السماء تسكـب دلاءً، تسارعت حركة التلويح بالسيف فوق رأسه، فبقـي قميصه جافاً، وكأنه تحـت سطح يحميه من البلل. عندمـا رأى والده ذلك اندهش وقال: «لقد قدّمت ما هو أكثر براعة من أخويك. الدار لك».

وافـق الأخوان على قـرار أبيهمـا. ولأن الأشقاء الثلاثة كانـوا يحبون بعضهم جـداً، فقد بقوا ثلاثتهم في الدار، وكل منهم يمارس مهنته حسب الطلب. وبما أنهم كانوا بارعين في عملهم فقد كانوا يكسبون جيداً، فعاشوا بسعادة حتى تقدم بهـم العمر، ومرض أحدهـم ومات، فحزن الآخران عليه حزنـاً شديداً، فلم يطل بهمـا البقاء من بعده، وسرعان ماماتا أيضـاً. وبسبب صفاتهم الحميدة المشتركة ولحبهم لبعضهم بعضاً فقد دفنوا في قبر واحد.

Twitter: @ketab_n

(١٢٥)

الشيطان وجدّته

فـي قديم الزمـان وقعت حرب كبيرة، وجيشـ الملك كان كبيـراً أيضاً، لكن الرواتـب التي كان يدفعهـا الملك لجنوده لم تكن تقوم بأودهم، فاتفق ثلاثة منهم علـى الهروب معاً. قال أولهم للثاني: «إذا ضبطونا هاربين فسيعلقوننا على شجرة المشانق، فما هي خطة الهـروب؟» فأجاب الثاني: «أترِيان حقل الحبوب الكبير هنـاك؟ إذا اختبأنـا فيه فلن يجدنـا أحد، إذ يُمنـع على الجيش دخـول الحقول، ويجب عليه متابعة المسير غـداً». زحف الثلاثة إلى حقل الحبوب، لكن الجيش لم يتحرك، بل بقي مقيماً حول الحقل.

جلس الثلاثة يومين وليلتين في الحقل وكاد الجوع يقتلهم، لكنهم إنْ خرجوا فقد كانوا سيواجهون الموت حتماً. فقالوا في ما بينهم: «ما نفع هروبنا، سنموت هنـا ميتة مزريـة». وفي أثناء ذلـك رأوا تنيناً نارياً يطير فوقهـم، ثم انخفض وحط عندهم وسألهم عن سبـب اختبائهم في الحقل. أجابوه قائلين: «نحن ثلاثة جنودٍ هاربيـن مـن الخدمة لأن رواتبنا قليلة جـداً، وإذا بقينا هنا فسنمـوت جوعاً، وإذا خرجنـا فستعلَّق مشانقنـا». فقال لهم التنين الذي لم يكن سـوى الشيطان نفسه: «أتوافقـون على العمل فـي خدمتي مدة سبع سنين، فأطير بكـم عبر الجيش كله، فـلا يصيبكم أحد بسوء؟» فأجابوه: «ليس هناك خيـار آخر». فأمسك بهم التنين بمخالبـه وطار في الهواء فـوق الجيش إلى أن أنزلهم بعيـداً عنه. أعطى كلاً منهم سوطـاً صغيراً وقـال: «إذا فرقعتم بسياطكـم فستنبع النقود مـن حولكم بقدر ما تحتاجون، فتعيشون حياة السادة وتقتنون الخيول وتركبون العربات الفاخرة.

Twitter: @ketab_n

وبعد انقضاء السنوات السبع تصبح أرواحكم ملكي». ثم أخرج سجلاً، كان على كل منهم أن يوقع اسمه فيه، ثم أردف قائلاً: «بيد أني عندها سأطرح عليكم أحجية، إذا وجدتم حلها فأنتم أحرار من سلطتي». ثم طار التنين وغاب عن أنظارهم، فتابعوا طريقهم بصحبة سياطهم التي وفّرت لهم المال. ففصّلوا لأنفسهم ثياباً جديدة وجالوا في أنحاء الدنيا. وحيثما حلوا كانوا يعيشون برفاهية وسخاء، يركبون عربات تجرها الخيول، ويتلذذون بأطايب الطعام والشراب، لكنهم لم يرتكبوا أي عمل مؤذٍ.

وأحسوا بأن الزمن يمضي بالنسبة إليهم سريعاً، وعندما شارفت السنة السابعة على نهايتها أصيب اثنان منهم بهلع كبير وخوف عظيم، في حين أخذ الثالث الأمور بخفة وقال: «لا تخافوا يا إخوتي، دماغي شغّال وسأجد حل الأحجية». وخرجوا ليتنزهوا في الحقول، ومع ذلك كان وجها الاثنين مكفهرّين، فمرت بهم امرأة عجوز وسألتهم عن سبب حزنهم، فقالوا: «وما همّك من الأمر يا جدّة، فأنتِ لن تتمكني من مساعدتنا»، فأجابتهم: «من يدري؟ بوحوا لي بهمومكم». فحكوا لها أنهم كانوا في خدمة الشيطان نحو سبع سنوات، وقد غمرهم بالمال، لكنهم لقاء ذلك كتبوا له فباتوا في براثنه، هذا إنْ لم يستطيعوا حل الأحجية عند انقضاء السنة السابعة. فقالت العجوز: «إذا كنتم تبغون المساعدة، فعلى واحدٍ منكم أن يذهب إلى الغابة، حتى يصل إلى جرف صخري منهار ويبدو مثل بيت صغير، عليه أن يدخله، وهناك سيجد المساعدة».

فكّر الاثنان الحزينان المكفهران: «لن يكون في هذا انقاذنا»، وبقيا جالسين، أما الثالث المرح فنهض وذهب إلى الغابة، وبقي يمشي فيها حتى وصل إلى البيت الصخري، حيث وجد امرأة طاعنة في السن، هي جدة الشيطان، فسألته عن نفسه وعمّا يبغيه عندها. حكى لها الجندي كل شيء، حسبما جرى معهم. أُعجبت الجدة بشخصية الشاب وأشفقت عليه وقالت له إنها ستساعده. رفعت حجراً كبيراً يغطي مدخلاً إلى القبو وقالت له: «انزل واختبئ هنا. سيمكنك أن تسمع كل ما نقوله فوق. اجلس بهدوء ولا تتحرك. عندما يعود التنين، سأسأله عن

Twitter: @ketab_n

موضـوع الأحجية. إنه يخبرني بكل شـيء، وعليك أنت الانتباه إلى أجوبته». في الساعـة الثانية عشرة ليلاً وصل التنين طائـراً وطلب طعامه. أعدت الجدة المائدة وجلبت الطعام والشراب فانشرح صدره، وأكلا وشربا معاً. في أثناء ذلك وخلال الحديـث حـول مجريات نهاره وعـدد النفوس التي وقعت فـي قبضته، قال لها: «اليـوم لم يحالفنـي الحظ بصورة جيدة، لكنني أمسكـت بثلاثة جنود، لن يفلتوا منـي»، فعلقـت بقولها: ثلاثة جنودٍ أمر لا يستهان بـه، ويحتمل لن يفلتوا منك». فأجابهـا الشيطان ساخـراً: «إنهم في قبضتي، وسأطـرح عليهم أحجية لن يجدوا حلها أبداً». فسألته: «ما نو هذه الأحجية؟» فقال: «سأقولها لك: في بحر الشمال الكبير يوجد سعدان طويل الذيل ميت، سيكون طعامهم. وعظمةٌ من قفص صدر حـوت ستكون ملعقتهـم الفضية، وحافر حصـان عجوز أجـوف سيكون كأس نبيذهـم». بعد أن دخـل الشيطان سريره ونام، رفعت الجـدة العجوز حجر القبو وتركـت الجندي يصعـد، ثم سألته: «هـل حفظت كل شـيء؟» فأجابها: «نعم، عرفت اللازم، وسأدبِّر أمري».

وعنـد الخـروج كان عليه أن يغادر عبـر النافذة ويسرع ما أمكنـه إلى رفيقيه. وحكى لهما كيـف خدعت الجدةُ العجوز الشيطـانَ فأخبرها بالأحجية وحلها. ففرحـوا جميعهم وانشرحت صدورهم، ثم تناولـوا سياطهم واستمروا يفرقعون بهـا حتى جمعوا من النقود أكوامـاً. وفي الوقت المحدد لنهايـة السنوات السبع جاءهـم الشيطان حاملاً سجلـه، أراهم تواقيعهم وقال لهـم: «سآخذكم معي إلى جهنـم، حيـث ستتناولـون وجبة طعـام، إذا عرفتم نـوع اللحم الـذي ستأكلونه فسـوف تتحررون من قبضتي وتُبقون السيـاط معكم». فقال الجندي الأول «في بحـر الشمال الكبير يوجد سعدان طويـل الذنب ميت. هذا سيكون لحم الوجبة، أليـس كذلك؟» غضب الشيطان وهمهم ثلاث مرات متتالية وسأل الثاني: «وماذا ستكـون ملعقتكـم؟» فأجابه: «عظمـة من قفصِ صـدرِ حوت ستكـون ملعقتنا الفضيّة». كشَّر الشيطـان وجهه وهمهم ثلاث مرات أخرى وسأل ثالثهم: «وهل تعرفـون أيضاً بأي كأسٍ ستشربون النبيذ؟» فأجابه: «حافر حصان عجوز مجوف

Twitter: @ketab_n

سيكون كأس نبيذنا». فطار الشيطان مطلقاً صرخة مدويّة وقد فقد السيطرة عليهم نهائياً. أما الجنود الثلاثة فاحتفظوا بسياطهم ليفرقعوا بها ويحصلوا على مزيد من المال، بقدر ما يشاؤون، وعاشوا بسعادة حتى خاتمة أيامهم.

Twitter: @ketab_n

(١٢٦)

فرديناند المخلص وفرديناند المشعوذ

يحكــي عن رجل وزوجته أنهما لم يُرزقـا بولد عندما كانا أغنياء، ولكن عندما مـال بهما الحـال وباتا فقيرين، رزقا بابن، لكنهما لم يتمكنـا من إيجاد إشْبين له. فقال الزوج إنه سيذهب إلى منطقة مجاورة ويحاول، فلعله يجد إشبيناً هناك.

قابل في الطريق رجلاً فقيراً سأله عن وجهته ومراده، فأخبره بأنه في طريقه بحثاً عــن إشبين لابنــه، ولأنه فقير جداً فليس من المحتمل أن يجد أحداً راغباً في القيام بهــذه المهمة. فقال الرجل الفقيــر: «أنت فقير وأنا فقير. أنـا أرغب في أن أكون إشبيــنَ ابنك، لكنني فقير جداً ولا أستطيع أن أقــدم شيئاً هديةً لابنك. اذهب وقل للقابلة أن تُحضر الصبي إلى الكنيسة».

عندما وصل الزوج والقابلة والطفل إلى الكنيسة وجدا الرجل الفقير بانتظارهم. منــح الإشبين الصبي اســمَ فرديناند المخلص، وحينما خرجوا مــن الكنيسة، قال الإشبيــن: «اذهبوا الآن إلى بيتكــم، إذ لا يمكنني أن أقدم لكم شيئاً، وليس عليكم أن تقدمــوا لي شيئاً». لكنه أعطــى القابلة مفتاحاً كبيراً وطلب منها أن تقدمه لوالد الطفــل في البيت، ليحفظه جيداً حتى يبلغ الصبي الرابعة عشرة من عمره. وعندها على الصبي أن يذهب إلى المرج حيث سيجد قصراً، يُفتح بابُه بهذا المفتاح، وما يجده داخل القصر فهو له.

عندمــا صار الصبــي في السابعة من عمره وقد نما ببنيــة قوية، خرج ذات يوم ليلعــب مع فتيان آخرين. فأخذ كلٌ من الفتيان يتباهــى أمام الآخرين بهدية إشبينه،

Twitter: @ketab_n

أما صبي السابعة فلم يكن لديه ما يُبرزه أمامهم، فبكى وعاد إلى البيت وسأل أباه: «ألـم أحصل على شيء قط من إشبيني؟» فأجابه أبوه: «بل حصلت. حصلت على مفتاح: وعندما ينتصب قصرٌ في المرج، اذهب إليه وافتح بابه». ذهب الصبي إلى المكان، لكنه لم يرَ قصراً ولم يسمعْ بخبرِ قصرٍ هناك.

بعد سبع سنوات أخرى، عندما بلغ الرابعة عشر من عمره، ذهب إلى المرج ثانية فوجد القصر منتصباً في المكان، وعندما فتحه لم يجد في داخله شيئاً سوى جواد أبيض، ففرح به الفتى أيّما فرح، وركبه مسرعاً إلى أبيه وقال له: «لقد صار عندي حصان وسأرحل عليه»، ورحل فعلاً.

وفي أثناء الطريق رأى على الأرض ريشة كتابة مرمية. كان على وشك أن يتوقف ليلتقطها، لكنه قال لنفسه: «دعها مرمية في مكانها، فحيث ستكون ستجدُ لا شك ريشةَ كتابة، إذا احتجت لواحدة». لكنه سمع صوتاً من ورائه يهتف به: «يا فرديناند المخلص، خذها معك!» تلفت حوله فلم يجد أحداً، ومع ذلك عاد وأخذ الريشة.

وبعد أن قطع به الجواد شوطاً من الطريق وصل إلى بحيرة، وجد على ضفتها سمكة تلهث لالتقاط أنفاسها، فقال: «انتظري أيتها السمكة العزيزة، سأساعدك في العودة إلى الماء»، ورفعها من ذيلها ورماها في الماء. رفعت السمكة رأسها من الماء وقالت له: «لأنك أنقذتني من الوحل، سأهديك ناياً، اعزف عليه عندما تواجه شِدّة فسأساعدك. وإذا سقط منك شيء في الماء فاعزف أيضاً، وسأخرجه لك».

تابع الفتى طريقه والتقى شاباً سأله عن وجهته، فأجابه فرديناند: «إلى المدينة القادمة»، ولما سأله عن اسمه وأجابه الفتى: «اسمي فرديناند المخلص»، قال الشاب: «ما هذه الصدفة، نحمل نفس الاسم تقريباً. أنا اسمي فرديناند المشعوذ». وتابعا الطريق معاً إلى المدينة حيث دخلا إلى مطعم نُزُل.

Twitter: @ketab_n

بيد أن الجانب المزعج من هذه الرفقة، هو أن فرديناند المشعوذ كان قادراً على معرفة أفكار الآخرين ونواياهم مسبقاً، باللجوء إلى وسائل خبيثة متنوعة. ولكن كانت هناك في النُزُل صبية صالحةً ذات وجه جميل وسلوك لطيف، أحبت الفتى فرديناند المخلص. وعندما سألته عن وجهته وأجابها بأنه يريد الترحال ليرى الدنيا، نصحته بالبقاء في هذه المدينة، فملكُها راغبٌ في تعيين خدم أو فرسانِ استطلاع واستعراضٍ جيدين، وما عليه سوى الدخول في خدمته. فأجابها بأنه لا يحسنُ عرضَ نفسه على أحد، فقالت له: «لا عليك، أنا سأقوم عنك بهذه المهمة».

وهكذا ذهبت الفتاة من فورها إلى الملك وأخبرته بأنها قد وجدت له خادماً وسيماً. وافق الملك واستدعاه إليه ليعينه خادماً، لكن الفتى فضَّل أن يكون فارس استطلاع واستعراض للبقاء دائماً مع جواده، فعينه الملك فارساً. عندما علم فرديناند المشعوذ بالأمر قال للصبية: «سأريكِ، أتساعدينه ولا تساعديني؟» فأجابته الفتاة: «وسأساعدك أنت أيضاً»، فيما كانت تفكر بضرورة الاحتفاظ به صديقاً وليس عدواً، إذ أن جانبه لا يؤمن. ذهبت الصبية إلى الملك ثانية وعرضت عليه فرديناند المشعوذ كخادم، فوافق.

وكل صباح كان فرديناند المشعوذ يقوم على إلباس الملك ثيابه، كان الملك يشكو متذمراً ويقول: «آه لو كانت حبيبتي عندي!» وكان فرديناند المشعوذ يُضمرُ العداء دوماً لفرديناند المخلص. وفي المرة التالية عندما كرر الملك شكواه أثناء لبس ثيابه قال له فرديناند المشعوذ: «أليس عندكم فارس استطلاع يا جلالة الملك، أرسلوه ليُحضر لكم حبيبتكم، وإنْ لم ينجح في ذلك فاقطعوا رأسه». فاستدعى الملك فرديناند المخلص إليه وأطلعه على مكان وجود حبيبته وأمره بأن يحضرها إليه، وإن لم ينجح فسيواجه الموت.

دخل فرديناند المخلص إلى جواده في الاصطبل وأخذ يشكو ويبكي قائلاً: «يا لي من إنسان سيء الحظ!» وفجأة أتاه صوت من خلفه يسأله: «ما بك يا

Twitter: @ketab_n

فردينانـد المخلص، لماذا تبكي؟» تلفت حوله فلم يجد أحـداً، فتابع شاكياً: «أنا الآن مضطـر إلى تـركك يا جوادي العزيز، سأذهب لأواجـه موتي». فجاءه النداء مـرة ثانية: «ما بك يا فرديناند المخلص، لماذا تبكي؟» وعندها فقط لاحظ أن مَن يسأله هو الجواد، فقال له: «أهذا أنت يا جوادي، أتستطيع الكلام؟ يجب عليَّ أن أذهـب إلى هذا وذاك المكان لأحضر عروس الملـك. أتعرف كيف عليَّ أن أقوم بهـذا العمل؟» فأجابه الجواد: «اذهب إلـى الملك وأخبره أنه إذا أعطاك ما يجب عليـك أن تأخـذ، فستحضر له العروس. عليه أن يعطيك سفينـة محملة باللحوم وسفينة محملة بالخبز. في رحلتك البحرية ستواجه العمالقة، فإن لم تحضر لحماً فلسـوف يمزقونك، وهناك أيضاً الطيـور العملاقة التي ستفقأ عينيك إنْ لم تحضر لها خبزاً».

فأمر الملك اللحامين في مملكتـه بتحضير اللحوم، والخبازين بتحضير الخبز لملء السفينتين. ولمّـا تم ذلك قال الجواد لفرديناند المخلص: «اركبني الآن إلى السفينة وابحر، وعندما يأتيك العمالقة قل لهم:

«مهلكم، مهلكم يا عمالقتي الأحبّة،

لقد فكرت بكم برويّة،

وجلبت لكم من اللحم هدية».

وعندما تأتيك الطيور العمالقة قل لها:

«مهلكِ، مهلكِ يا طيوري الحبيبة،

لقد فكرت بكِ بروية،

وجلبت لكِ من الخبز هدية».

وعندهـا فإنها لـن تُلحق بـك أي أذى، وعندما تصـل إلى القصـر، فالعمالقة

Twitter: @ketab_n

سيساعدونـك. اصعد إلى القصر وخذ معـك بعض العمالقة. ستجد الأميرة نائمة في سريرها، وإيـاك أن توقظها، بل دع العمالقة يحملونها بسريرها إلى السفينة». وقد جرت الأمور خلال الرحلة مثلما قال له الجواد تماماً، فقدم فرديناند المخلص للعمالقـة وللطيور ما أحضره لهـم، فأطاعه العمالقة وحملوا له الأميرة في سريرها إلى السفينة.

وعندمـا وصلت الأميرة إلـى الملك قالت له إنها لا تستطيـع العيش من دون كتاباتهـا التي بقيت في القصر. فاستدعـي فرديناند المخلص إلى الملك ثانية، بناء علـى رأي فرديناند المشعوذ. أمـر الملك فرديناند المخلـص بإحضار الكتابات من القصـر، وإلا فسيواجه الموت. فدخل إلى الاصطبل وشكا لجواده سوء حظه قائـلاً: «آه يا جوادي العزيـز، يجب أن أقوم برحلة ثانية، كيف عليَّ أن أتصرف؟» فأخبـره جواده بضرورة مـلء السفينتين ثانية، وستمضي الأمـور كالمرة السابقة، والعمالقـة والطيور سيشبعها اللحم والخبـز ويجعلها طيّعة. عندما وصل فرديناند المخلـص إلى القصر قـال له جواده بأن عليه الدخول إلى غرفة نوم الأميرة، حيث توجد كتاباتها على الطاولة، فدخل وأخذها. وفي أثناء العودة في السفينة سقطت ريشـة الكتابة مـن فرديناند المخلص في المـاء، فقال له الجـواد: «في هذا الأمر لا أستطيـع مساعدتك». فخطر بباله الناي. أخرجـه وعزف عليه فجاءته السمكة حاملـة الريشة في فمهـا وناولته إياها. وعندمـا وصلت السفينـة أوصل فرديناند المخلص الكتابات إلى الملك الذي احتفل بعرسه مع الأميرة.

بيد أن الأميرة التي باتت ملكةً، لم تكن تحب الملك، إذ تنقصه سرعة البديهة، فـي حين أنها كانت تـود فرديناند المخلص من كل قلبهـا. وذات يوم، بينما كان رجال البلاط مجتمعين كلهـم، قالت الملكة إنها قادرة على اجتراح المعجزات: كأن تقطـع رأس أحدهم ثم تعيد تركيبه، وأن علـى أحدهم أن يتقدم للتجربة. فلم يجـرؤ أحد أن يكون أول المجازفين. وأخيـراً اضطر فرديناند المخلص أن يتقدم بعـد أن ورطـه فرديناند الغادر فـي الأمر. فقطعت الملكة رأسه ثـم ركّبته، فشفي فـوراً، ولـم يتبق من العمليـة سوى أثر خطٍ أحمـر حول الرقبـة. وعندها قال لها

Twitter: @ketab_n

الملـك: «أين تعلمت هذا يا ابنتي؟» فأجابته «إني أتقن هذا الفن، أتريد أن أجرب بـك؟» فقال: «طبعاً». فقطعـت الملكة رأسه، لكنها لم تُعِـد تركيبه بل تظاهرت بأنهـا لا تتمكن من ذلك، لأنه لا يثبَت فـي مكانه. فدُفن الملك وتزوجت الملكة فرديناند المخلص.

وباستمـرار بقي فرديناند المخلص يركب جواده الأبيض. وذات يوم قال له جـواده إن عليـه الذهاب به إلى مرجٍ آخـر، سيرشده إليـه، وأن يدور هناك ثلاث مرات حول المرج. وبعدما نفّذ فرديناند المخلص ذلك شبّ الجواد على قائمتيه الخلفيتين وتحول إلى أمير شاب.

Twitter: @ketab_n

(١٢٧)

المدفأة الحديدية

في قديم الزمـــان، عندما كان للسحر مفعوله المؤثر، سلّطت ساحرة عجوز لعنــة سحرية علــى أمير، بأن يبقى أسيــر مدفأة حديدية كبيرة فــي غابة. أمضى الأمير سنوات طويلة في أسره السحري ولم يستطع أحد تخليصه.

وذات يوم وصلت إلى الغابة أميرة تائهة، ضلت الطريق إلى مملكة أبيها ولم تعد تجده، ومضى عليها تسعة أيام وهي تجول هنا وهناك، إلى أن وقفت أخيراً أمــام الصندوق الحديدي الذي له شكل مدفأة. جاءها منه صوت يسألها: «من أين أنتِ؟ وإلى أين أنت ذاهبة؟» فأجابت: «لقد أضعت الطريق إلى مملكة أبي ولم أعــد قادرة على العودة إلى دياري». فقال لهــا الصوت: «سوف أساعدك في العودة إلى ديارك، وفي وقت قصير، إذا وقَّعتِ على الالتزام بالقيام بما أطلبه منــك. أنا أمير أكبر منك أيتهــا الأميرة، وأريد أن أتزوجــك». ارتعبت الأميرة وفكرت: «يا إلهي، ماذا سأفعل بمدفأة حديدية؟!» ولكن لأنها كانت تتوق إلى العــودة إلى أهلها، وقّعت على تنفيذ ما يطلبه منها. بيد أن الصوت تابع كلامه: «عليــك أن تعودي وتحضــري معك سكيناً تنقبين بها فتحــة في الحديد». ثم زوّدهــا الصوت بمرافقٍ لا يتكلــم، مشى إلى جانبهــا وأوصلها خلال ساعتين إلــى مملكة أبيها. عمّــت الأفراح القصر بعودة الأميــرة وعانق الملك العجوز ابنتــه وقبّلها. لكنها كانت محزونة جداً، وقالت: «مرَّت بي أمور عجيبة يا أبي الحبيــب. وما كنت لأخرج من الغابة الكثيفة الخطرة، لولا وصولي صدفة إلى مدفــأة حديديــة كلمني منها صوت، واضطــررت أن أوقع له علــى العودة إليه

Twitter: @ketab_n

وتحريره والزواج به». عندها ارتعب الملك وكاد يسقط مغشياً عليه، فالأميرة هي وحيدته الغالية.

فأخذوا في القصر يفكرون بحلٍّ ينقذ الأميرة. خطر ببالهم ابنة الطحان الجميلة، فقادوها إلى المكان وزودوها بسكين وقالوا لها أن تنقب بها المدفأة الحديدية. نقبت الفتاة طوال أربع وعشرين ساعة، لكنها لم تستطع حتى أن تخدش حديد المدفأة. وعندما انبلج النهار جاء صوت المدفأة يقول: «أعتقد أن النهار قد بدأ في الخارج». فأجابت الفتاة: «أعتقد ذلك أيضاً، وأظن أني أسمع صوت طاحون أبي». فقال الصوت: «أنتِ ابنةُ طحانٍ إذن! اخرجي فوراً ودعي الأمير تأتي إلي».

ذهبت الفتاة وقالت للملك العجوز إن صاحب الصوت لا يريدها بل يريد ابنة الملك. فارتعب الملك العجوز وانتحبت الأميرة. فخطرت ببالهم ابنة راعي الخنازير التي كانت أجمل من ابنة الطحان، ودفعوا لها بعض المال لتذهب إلى المدفأة الحديدية بدلاً من الأميرة. أوصلوها إلى المكان ونقبت في الحديد طوال أربع وعشرين ساعة، ولكن عبثاً. وعندما انبلج النهار جاء الصوت من المدفأة يقول: «يخيل إلي أن النهار قد بدأ في الخارج»، فأجابته الفتاة: «هذا ما يخيل إلي أيضاً، فأنا أسمع بوق أبي الراعي». فقال لها الصوت: «أنت ابنة راعي الخنازير إذن! اخرجي فوراً ودعي الأميرة تأتي إلي. وأخبريها بأني سأنفذ وعدي لها، أما إنْ لم تأتِ فسيهدم كل ما في مملكة أبيها، ولن يبقى حجر على حجر». عندما سمعت كلام الفتاة أخذت تبكي، ولم يعد هناك من حلٍ سوى أن تنفّذ وعدها.

فودعت والدها وتزودت بسكين، وبعد ساعتين تمكنت من فتح ثقب صغير، نظرت من خلاله إلى داخل المدفأة فرأت شاباً جميلاً يتلألأ بالذهب والأحجار الكريمة، فأعجبت به أيما إعجاب. فأخذت تنقب الحديد بهمة عالية حتى فتحت ثغرة كافية لخروج الشاب منها. وعندما وقف أمامها قال لها: «أنت لي وأنا لك. أنت عروسي التي خلصتني من لعنة السحر». وأراد أن يأخذها معه إلى مملكته

Twitter: @ketab_n

فوراً، لكنها رجته أن تزور أباها قبل ذلك، فوافق الأمير، بشرط ألاّ تتحدث مع أبيها أكثر من ثلاث كلمات وتعود إليه. فذهبت إلى قصر أبيها، لكنها تحدثت مع أبيها أكثر من ثلاث كلمات، وفجأة اختفت المدفأة الحديدية ونأت إلى ما وراء جبال الزجاج والجروف القاطعة، بيد أن الأمير المحرر من اللعنة لم يعد أسير المدفأة وحبيسها.

بعد ذلك ودعت الأميرة أباها، وأخذت بعض النقود، وعادت إلى الغابة الكبيرة وأخذت تبحث عن المدفأة الحديدية، ولكن من دون جدوى. بقيت تسع نهارات تبحث في الغابة، وبلغت درجة من الجوع لم تعد تعرف معها كيف تتصرف. ومع حلول مساء النهار التاسع تسلقت شجرة صغيرة لتمضي عليها الليل خوفاً من الحيوانات البرية. نحو منتصف الليل رأت بصيص نور بعيد، ففكرت «قد أجد هناك مخرجاً». ونزلت من الشجرة ومشت باتجاه النور وهي تصلي على الطريق.

وصلت إلى بيت صغير قديم، نبت حوله كثير من الحشائش الطويلة، وأمامه كومة من الحطب، فقال لنفسها: «ما لكِ ولهذا المكان الغريب!» نظرت إلى الداخل عبر النافذة، فلم تر سوى ضفادع صغيرة وسمينة. لكنها رأت أيضاً مائدة مرتبة وعليها كؤوس نبيذ وصحاف لحم مشوي وصحون وأقداح فضية. فجمعت شجاعتها وقرعت الباب، فسمعت فوراً صوت الضفدع الكبيرة السمينة تقول:

«يا صبية يا خضراء يا فتية،

يا ذات الأرجل الطرية،

اقفزي بسرعة للباب،

وأدخلي إلينا الأحباب».

فأسرعت ضفدع صغيرة وفتحت لها الباب. عندما دخلت رحّب بها جميع

Twitter: @ketab_n

الموجودين، وطلبوا منها التفضل بالجلوس. سألوها: «من أين أنت قادمة؟ وإلى أين أنت ذاهبة؟» فحكت لهم كل ما جرى معها، وأنها لتجاوزها شرط الكلمات الثلاث لم تعد تجد المدفأة الحديدية ولا الأمير، وأنها تنوي البحث عنه عبر الجبال والوديان مهما طال بها الوقت حتى تجده. فقالت الضفدع الكبيرة السمينة:

«يا صبية يا خضراء يا فتية،

يا ذات الأرجل الطرية،

اقفزي وهاتي الصندوق الكبير،

لنساعد الملهوفة على الأمير.

ذهبت الضفدع الصغيرة وأحضرت الصندوق، ومن ثمة قدموا للأميرة طعاماً وشراباً وسريراً جميلاً ومرتباً، من الحرير والمخمل، فاستلقت فيه مسلمة أمرها إلى ربها. وعندما نهضت صباحاً أعطتها الضفدع الكبيرة من الصندوق الكبير، ثلاث إبر، ستحتاجُها في رحلتها، إذ عليها أن تتسلق جبلاً زجاجياً عالياً، وتتجاوز ثلاثة جروف قاطعة كحد السيف، وتعبر بحيرة كبيرة. إذا نجحت في ذلك فإنها ستسعيد حبيبها. وإضافة إلى الإبر الثلاث زوّدتها الضفدع من الصندوق بدولابِ حرثٍ وثلاثِ جوزات.

أخذت الأميرة هذه الأشياء شاكرة وبدأت رحلتها. وعندما وصلت إلى الجبل الزجاجي الشديد الانزلاق صارت تغرز الإبر وراء أقدامها وتتقدم خطوة خطوة حتى تجاوزته، وعندها غرزت الإبر في موضع حفظته في ذاكرتها جيداً. وصلت بعد ذلك إلى الجروف القاطعة الثلاثة فركبت على دولابِ الحرثِ وعبرتها الواحد تلو الآخر. وأخيراً وصلت إلى بحيرة كبيرة، خاضتها في قارب أوصلها إلى الضفة الأخرى، حيث وجدت قصراً منيفاً جميلاً، دخلته وطلبت شغلاً، زاعمة أنها خادمة مسكينة بحاجة إلى عمل. لكنها كانت تعرف أن أميرها، الذي أنقذته من سحر المدفأة الحديدية في الغابة الكثيفة يعيش في هذا القصر.

Twitter: @ketab_n

استلمت عملها كخادمةٍ في المطبخ لقاء أجر قليل. وخلال هذه المدة كان الأمير قد ارتبط بفتاة أخرى وعزم على الزواج بها، إذ اعتقد أن منقذته قد ماتت. ومساء عندما وقفت الأميرة في المطبخ لتجلي الصحون وأدوات المطبخ، مدت يدها إلى جيب مئزرها، فوجدت الجوزات الثلاث التي أعطتها إياها الضفدع الكبيرة. كسرت واحدة بأسنانها راغبة في أكل لُبّها، وإذا بها تجد داخلها ثوباً ملكياً مهيباً. عندما سمعت عروس الأمير بذلك، جاءت إليها وطلبت منها أن تبيعها الثوب، قائلة إنه غير مناسب لخادمة مطبخ. فقالت لها الخادمة المتنكرة، إنها لا تريد بيعه، ولكن العروس قد تحصل عليه إذا سمحت لها بأمر، وهو أن تنام ليلة واحدة في حجرة العريس. سمحت لها العروس بذلك تحت إغراء جمال الثوب الذي لم تلبس مثله قط.

وعندما حل المساء قالت لعريسها: «تلك الخادمة المجنونة تريد أن تنام في حجرتك». فأجابها: «إذا كنتِ موافِقة فأنا أيضاً موافق». لكنها أعطته كأس نبيذ وضعت فيه قطراتٍ منوّمة. ودخل العريس والخادمة من ثمة إلى الحجرة حيث نام هو بعمق ولم تستطع إيقاظه، فبقيت تبكي طوال الليل وهي تنوح قائلة: «أنا التي أنقذتك من الغابة البرية ومن المدفأة الحديدية. أنا التي بحثت عنك في كل مكان فتسلقت الجبل الزجاجي وتجاوزت الجروف القاطعة والبحيرة الكبيرة من أجلك، ولا تريد أن تستمع إلي؟!» كان خدم الأمير يجلسون وراء باب الحجرة، وقد سمعوها تنوح طوال الليل، فأخبروا سيدهم صباحاً.

وفي مساء اليوم التالي بعد أن انتهت الخادمة من الجلي كسرت بأسنانها جوزة ثانية، فوجدت فيها ثوباً ملكياً أجمل من سابقه. وعندما رأته العروس أرادت شراءه أيضاً. لكن الخادمة لم ترغب الحصول على مال، بل طلبت مقابله أن تنام ليلة أخرى في حجرة الأمير، الذي أعطته عروسه منوّماً مرة ثانية، فغرق في سبات عميق، فلم يسمع شيئاً من كلام الأميرة التي كانت تبكي وتكرر ما قالته في الليلة السابقة عن إنقاذه والبحث عنه وتخطي المصاعب من أجل الوصول إليه. وفي هذه الليلة أيضاً سمع الخدم من وراء باب الحجرة نواحها وكلامها، فأخبروا سيّدهم صباحاً.

Twitter: @ketab_n

وفـي مساء اليوم الثالث، وبعد أن انتهـت الخادمة من الجلي كسرت بأسنانها الجـوزة الثالثة، فوجـدت فيه ثوباً بهيـاً مشغولاً بالذهب الخالص. وحالما رأته العروس أرادت الحصـول عليـه، وللمرة الثالثة طلبـت الخادمة النـوم في غرفة العريس لقاء الثوب. وفي هذه المـرة كان الأمير حذراً فتظاهر بشرب كأس النبيذ المنـوم، لكنـه سفحه جانباً، ثـم تظاهر بالنوم أيضـاً. وعندما بـدأت الفتاة تبكي وتقـول: «يا كنزي الحبيـب، أنا التي خلصتـك من الغابـة المتوحشة ومن سحر المدفأة الحديدية..». فقفـز الأمير من السرير قائلاً: «أنتِ عروسي الحقيقية، أنتِ لي وأنا لك».

وفـي الليلة نفسها ركب معها عربة، وأخذا جميـع ثياب العروس المزيفة كيلا تستطيـع النهوض من سريرها. وعندما وصـلا إلى البحيرة الكبيرة ركبا زورقاً إلى الضفـة الأخرى، ثم ركبا معـاً دولابَ الحرثِ الذي اجتاز بهما الجروف القاطعة حتـى الجبـل الزجاجي حيـث استخدما الإبر الثـلاث المخبأة جيـداً لتسلقه إلى الجانـب الآخـر، ووصلا أخيـراً إلى البيت الصغيـر القديم المحـاط بالحشائش الطويلـة، وحالما دخلاه تحول إلى قصر رائع على أثر زوال السحر عنه، ووجدوا فيه أميرات وأمراء وقد غمرتهم الفرحة، فعقدا قرانهما وبقيا في هذا القصر الضخم المنيـف والأكبر من قصر أبيها الملك. لكن الملك العجوز الذي بقي وحيداً أخذ يشكـو ويتذمر من وحدته، فأحضراه إلـى قصرهما، فاتحدت المملكتان وعاشوا في سعادة وهناء.

«وعندما جاءت الفأرة الصغيرة،

انتهت حكايتنا القصيرة».

Twitter: @ketab_n

(١٢٨)

الغزّالة الكسلانة

عاشـ في إحدى القرى رجل وزوجته. وكانت هـذه الزوجة كسلانة جداً، لا تحب أن تشتغل أبـداً. وعندما كان زوجها يقدم لها الغزل لتغزله خيوطاً، لم تكن تنهيـه وما كانت تغزله، لم تكن تلفـه على بكرة بل تترك كل شيء مكانه في شكل كبكوبـة. وإذا عنّفها زوجها على كسلها هذا، كان كلامها جاهزاً دائماً على رأس لسانهـا، فتقول له: «يا سلام، وكيـف سألفُّ الخيوط، إذا لم يكن عندي بكرات. اذهـب إلى الغابـة أولاً واصنع لي بكرة». وذات مرة أجابهـا الرجل: «طيب، إذا كان هـذا هو العائق، فسأذهب إلى الغابة لأحضر خشباً لصنع بكرات». فخشيت الزوجـة من أنه إذا أحضر الخشب وصنع لها البكرات، فستكون مضطرة إلى لف الخيطـان عليها، وإلى غزل خيطان جديدة. ففكـرت قليلاً حتى لمعت في ذهنها فكـرة جيدة، فلحقت بزوجها سـراً إلى الغابة. وعندما تسلـق شجرة للبحث عن الغصن المناسب كي يقطعه بفأسه، تسللت الزوجة إلى الدغل وراء الشجرة، حيث لا يستطيع أن يراها، وهتفت باتجاهه قائلة:

«من يقطع خشب بكراتٍ سيموت،

من يصنع بكراتٍ أجلُه سيفوت».

أنصـت الزوج لبرهة، وأرخى يده بالفأس، وهو يتسـاءل عما وصل إلى أذنيه. وأخيراً قال لنفسه: «هراء، خيّل إليك أنك سمعت شيئاً. لا تشغل ذهنك بمخاوف فـي غير محلها». فرفع الفأس مجدداً، وكان على وشك أن يهوي بها على غصن، عندما سمع صوتاً مجدداً:

Twitter: @ketab_n

«من يقطع خشب بكراتٍ سيموت،

من يصنع بكراتٍ أجلُه سيفوت».

فتوقـف وشعر بخـوف وذعر، وأخذ يفكـر بالأمر. وبعد مـرور برهة استعاد تماسكـه ورفع يـده بالفأس لثالث مرة ليهـوي على الغصن، لكـن الصوت جاءه لثالث مرة وبقوة أشد:

«من يقطع خشب بكراتٍ سيموت،

من يصنع بكراتٍ أجلُه سيفوت».

عندها طفح به الكيل، وفسد مزاجه، فأسرع بالنزول عن الشجرة وغادر الغابة عائـداً إلـى بيته. ركضت المرأة بقدر مـا تستطيع عبر طرق جانبيـة كي تصل إلى البيت قبله. ولمّا دخل الغرفة تظاهرت بالبراءة وكأن شيئاً لم يحدث، وسألته: «هل أحضرت خشباً جيداً لصنع بكرات؟» فأجابها: «لا، وأرى أني لم أفلح في ذلك»، وحكى لها ما جرى معه في الغابة، ولم يعد يزعجها في هذا الأمر.

بعـد مدة قصيرة عاود الرجل تذمره مـن الفوضى التي تسود البيت، وقال لها: «اسمعي يا امرأة! من المعيـب أن تبقى الخيوط المغزولة بشكل كبكوبة متداخلة فـي بعضها»، فقالت: «أتـدري، بما أننا لـن نحصل على بكـرات، فاصعد أنت وقـف فـي العليّة، بينما أبقى أنا تحـت، فأرمي لك الكبكوبة وتعـود أنت لترميها لي، وهكذا نحصل علـى شلة غزل»، فأجابها الرجل: «معكِ حق يا امرأة». فنفذ الفكـرة، وعندمـا انتهيا قـال الرجل: «الآن صـار الغزل شلة. بقـي أن يُغلى على النـار». فخافت المـرأة ثانية مما سيأتي بعد ذلك، لكنهـا قالت: «حسن، سأغليه غداً صباحاً،» وهي تفكر بتدبير مقلب جديد.

فـي الصباح الباكـر نهضت الزوجة من سريرها وأوقـدت النار ورفعت القدر فوقها، لكنها بدلاً من أن تضع شلة الغزل في الماء، وضعت كتلة من زبالة الخيوط،

Twitter: @ketab_n

وتركتهـا لتغلـي. ومن ثمة ذهبت إلـى زوجها في فراشه وقالت لـه: «أنا مضطرة للخـروج الآن. انهض وانتبه إلى شلة الغزل التي تغلـي في القدر على النار. ولكن عليـك أن تسرع، وانتبه جيداً، فإن صاحَ الديكُ وأنت لـم تشرف على الغزل بعد، فسيتحـول إلى كتلـة زبالة». كان الرجل مطيعاً، وراغباً فـي المشاركة في العمل، فنهض من السريـر بقدر ما يمكنه مـن السرعة وذهب إلى المطبـخ. لكنه عندما وصل إلى القِدر وألقى نظرة، لاحظ برعب أن ما يغلي هو كتلة زبالة من الخيطان. فأغلـق الرجـل المسكين فمه وهـو يفكر بأنه المذنـب في إفسـاد طبخة الغزل. ومنذئـذ لم يعد يأت على سيرة الغزل وخيطانه. ومع ذلك لا بد لكَ من الاعتراف بأنها امرأة شنيعة.

Twitter: @ketab_n

(١٢٩)

الأشقاء الأربعة الموهوبون

فـي قديم الزمان عاش رجل فقيـر، كان عنده أربعة أبنـاء، وعندما شبوا ونموا قـال لهم: «يا أبنائي الأحباء، صار من واجبكـم الآن أن تخرجوا إلى الدنيا. أنا لا أملـك ما يمكن أن أقدمه لكم. جهزوا أنفسكـم للغربة، تعلموا مهناً تكسبوا منها عيشكـم، وتدبروا أموركـم». فأمسك كل منهم بعصا الترحـال، وودعوا أباهم، وغـادروا الدار. بعد أن قطعـوا مسافة من الطريق وصلوا إلى مفترق طرق رباعي، كل منها يؤدي إلى منطقة مختلفة. فقال أكبرهم: «لا بد هنا من أن نفترق، على أن نلتقـي بعد أربع سنوات هنا في الوقت نفسه. وخلال هذا الوقت فليجرب كل منا حظّه». وذهب كل منهم في اتجاه.

علـى الطريق التقى أكبرهم برجل سأله عن وجهته وهدفه، فأجابه: «أرغب في تعلم مهنة»، فقال لـه الرجل: «تعال معي لتصبح لصاً». فأجابه الشاب: «لا، هذه ليســت مهنة شريفة، ونهايتها التأرجح من المشنقة». فقال الرجل: «لا حاجة إلى الخـوف من المشنقة. أنا سأعلمك فقط كيف تسحب مالا يستطيع إنسان سحبه، ومن دون أن يتمكن أحد من اقتفاء أثرك». وتمكن الرجل بأسلوبه من إقناع الشاب الذي صار لصاً مدرَّباً حاذقاً ماهراً، ما عاد يؤمَن جانبه على شيء يُرغب فيه.

والتقـى الأخ الثاني رجلاً طرح عليه السؤال نفسه، فأجاب: «لا أدري بعد»، فقـال له الرجل: «تعـال معي إذن، لتصير فلكيـاً، فلا أفضل من هـذه المهنة التي تجعلك مطلعاً على كل شيء». أُعجب الشاب بالفكرة وصار فلكياً حاذقاً، بحيث أن معلمه عند نهاية تدريبه ورغبته في السفر، أهداه منظاراً وقال له: «بهذا المنظار

Twitter: @ketab_n

تستطيع أن تراقب ما يجري على الأرض وما يجري في السماء، فلا يخفاك شيء».

أما الأخ الثالث فصادف على طريقه صياداً درّبه على يديه وعلمه كل أسرار المهنة حتى بات صياداً مدرباً، وعند التخرج أهداه معلمه بندقية وقال له: «هذه البندقية لا تخيب، إنها تصيب كل ما تسدد عليه وتطلق».

والتقى أصغر الأشقاء رجلاً بادره بالتحية والسؤال عن وجهته وهدفه، وقبل أن يجيبه الشاب، سأله الرجل: «ألا ترغب في أن تصبح خيّاطاً؟» فأجابه الشاب: «لم يخطر هذا في بالي قط الجلوسُ محنيَ الظهر من الصباح حتى المساء، وخياطة القماش بالإبرة ذهاباً وإياباً، ثم الكوي وتكنيس الخيطان وقصاقيص القماش، لا أظن الأمر يناسبني». فقال الرجل: «هذا هراء. أنت تتكلم من وجهة نظرك فقط، أما عندي فستتعلم شيئاً مختلفاً تماماً من فنون الخياطة، وهي مهنة مشرّفة ولائقة وذات كسب مضمون إلى حد ما». اقتنع الشاب وتعلم فن الخياطة الرجالية بكل تفاصيلها. وعند التخرج والوداع أهداه معلمه إبرة وقال ل: «بهذه الإبرة تستطيع أن تخيط كل ما يقع تحت يدك، سواء كان طرياً كالبيضة أم قاسياً كالفولاذ. والأجزاء التي تخيطها تصبح قطعة واحدة ولا يبقى أثر للدرزة».

انقضت السنوات الأربع والتقى الأشقاء الأربعة عند مفترق الطرق في الموعد المحدد، فتعانقوا وقبّلوا بعضهم فرحين وتوجهوا إلى دار أبيهم، الذي استقبلهم بفرحة غامرة قائلاً: «هل أعادتكم الرياح إليّ ثانية؟» فحكوا له عن مجريات أمورهم وعن المهن التي تعلموها. وكانوا جالسين عند باب الدار تحت شجرة كبيرة، فقال والدهم: «الآن سأختبركم وأضع معارفكم على المحك لأرى ما تقدرون عليه». ثم رفع نظره نحو الأعلى وقال لابنه الثاني: «في ذروة هذه الشجرة وعند تفرع غصنين هناك عش طائر غرّيد. قل لي، كم بيضة يوجد في العش؟» تناول مراقب النجوم منظاره ونظر نحو العش، ثم قال: «هناك خمس بيضات». فقال الوالد لِبكره: «أنزل البيضات من دون أن تزعج الطائر الراقد فوقها». تسلق اللص الماهر الشجرة وسحب البيضات الخمس من تحت الطائر من دون أن يشعر به إطلاقاً، ونزل بها إلى أبيه.

وضع الأب البيضات على الطاولة، واحدة عند كل زاوية والخامسة في المنتصف، وقال لابنه الصياد: «عليك بطلقة واحدة أن تفلق البيضات الخمس». لقَّم الصياد بندقيته وأطلق على البيضات الخمس حسبما طلب والده، وطلقة واحدة فقط. (لا شك في أنه كان يستخدم بارودًا من النوع الذي يصيب الهدف وراء المنعطف.) فقال الأب لابنه الخياط: «والآن جاء دورك، لتخيط البيضات وتعيدها سليمة كما كانت، بحيث لا يتأذى الصيصان داخلها». أخرج الخياط إبرته وخاط البيضات حسبما طلب والده. وعندما انتهى، كان اللص أن يتسلق الشجرة ثانية ويعيد البيضات إلى تحت الطائر من دون أن يلاحظ ذلك. بقي الطائر راقداً فوق البيض بضعة أيام أخرى حتى فقست وخرجت الصيصان وحول رقابها خطوط حمراء من أثر إبرة الخياط.

وعندما هتف الأب قائلاً: «حسن يا أبنائي، أنتم تستحقون كل المديح والإطراء، فقد أتقنتم ما تعلمتم واستفدتم من وقتكم جيداً، لكنني لست قادراً على تفضيل أحدكم عن الآخرين. وهذا سيظهر جلياً في أقرب فرصة تسنح لكم لتُبدوا مهاراتكم».

لم يطل بهم الانتظار، فبعد بضعة أيام وصلهم نداء الاستغاثة: لقد اختطف التنين ابنة الملك، الذي أقضّ الأمرُ مضجعه ليلاً ونهاراً، فأعلن أن من يعيدها إليه يحق له الزواج بها. فتشاور الأشقاء الأربعة في ما بينهم ورأوا أنها الفرصة المناسبة لإظهار إمكاناتهم، وقرروا الخروج معاً لإنقاذ ابنة الملك. قال مراقب النجوم: «أنا سأخبركم سريعاً بمكان وجودها، ونظر عبر منظاره هنا وهناك ثم قال: «إني أراها، إنا تجلس على صخرة في البحر والتنين يجلس إلى جانبها ويحرسها». ثم ذهب إلى الملك وطلب سفينة له ولأشقائه، وأبحر معهم عبر البحر حتى وصلوا إلى الصخرة. كانت الأميرة جالسة هناك، لكن رأس التنين النائم كان في حضنها. قال الصياد: «لا أستطيع أن أطلق عليه النار، لأني بهذا سأقتل الصبية الجميلة معه». فقال اللص: «إذاً سأجرب حظي»، وتسلل مقترباً، ثم سحبها بكل هدوء ورشاقة من تحت رأس التنين الذي لم يشعر بشيء، بل تابع شخيره هرعوا مع الأميرة فرحين إلى السفينة وانطلقت بهم نحو أعالي البحر.

Twitter: @ketab_n

أما التنين الذي افتقد الأميرة عند استيقاظه، فقد طار وراءهم غاضباً. وعندما صار فوق السفينة تماماً وجاهزاً للانقضاض عليهم، صوب الصياد بندقيته نحو قلبه فأصاب منه مقتلاً. سقط التنين ميتاً، لكن ضخامته وشدة سقوطه حطمت السفينة تحته. ولحسن حظهم وجد كل منهم أحد ألواح السفينة فتمسك به ليطوف على سطح الماء، وفي خضم هذه الشدة استل الخياط إبرته العجيبة وأخذ يخيط ألواح الخشب إلى بعضها بعضاً، وجلس عليها وأخذ يجمع بقية القطع ويخيطها بمهارة ورشاقة حتى عادت السفينة إلى ما كانت عليه بشراعها الذي تدفعه الريح باتجاه الوطن.

عندما رأى الملك ابنته ثانية امتلأ فرحاً وسروراً، وقال للأشقاء الأربعة: «أحدكم يصبح زوجاً لها، فاتفقوا في ما بينكم على تحديده». فنشب بين الأشقاء نزاع شديد، إذ إن كلاً منهم كان يطالب بأحقيته. قال مراقب النجوم مثلاً: «لو لم أشاهد الأميرة بمنظاري لكانت كل جهودكم عبثاً: ولهذا فالأميرة من حقي أنا». وقال اللص: «وبماذا ستفيدنا مشاهدتها لو لم أسحبها أنا من تحت التنين: ولهذا فالأميرة من حقي أنا». وقال الصياد: «كان التنين سيفترسكم جميعكم مع الأميرة، لو لم تقتله رصاصتي: ولهذا فالأميرة من حقي أنا». وقال الخياط: «ولو لم أرتق أنا السفينة بفني العجيب لغرقتم كلكم: ولهذا فالأميرة من حقي أنا». عند ذلك أعلن الملك قائلاً: «لكل منكم الحق نفسه، ولكن بما أن الأميرة لا يمكن أن تكون لكل منكم، فلا أحد منكم سيحصل عليها. بيد أني كمكافأة لكم سأمنح كلاً منكم نصف مملكة». لاقى هذا القرار استحسان الأشقاء الأربعة، فقالوا: «هذا أفضل من التنازع في ما بيننا». وحصل كل منهم على نصف مملكة، فعاشوا مع أبيهم في سعادة وهناء إلى ما شاء الله.

Twitter: @ketab_n

(١٣٠)

ذات العين وذات العينين وذات الثلاث

كان هناك أم عندها ثلاث بنات، اسم كبراهن (ذات العين)، لأن لها عيناً واحدة في منتصف جبينها. وكان اسم الوسطى (ذات العينين) لأنها بعينين مثل سائر البشر. وسميت الصغرى (ذات الثلاث) لأنها كانت بثلاث عيون، الثالثة منهن في منتصف جبينها كالكبرى. ولكن لأن ذات العينين لم تكن مثل أختيها، مختلفة عن البشر الآخرين، لم يكن أختاها تحبانها ولا أمها، وكن يقلن لها: «أنت بعينيك الاثنتين لست أفضل من البشر العاديين، ولهذا أنت لستِ منا». فكنَّ يلكزنها ويدفعنها هنا وهناك، ويرمين لها الثياب الرديئة، ولا يقدمن لها من الطعام سوى ما يزيد عنهن، ويؤلمْنها ما أمكنهنّ ذلك.

وذات يوم خرت ذات العينين لترعى العنزة الوحيدة، وكانت جائعة جداً لأن أختيها لم تتركا لها ما يسد جوعها. فجلست على حافة حقل وأخذت تبكي وتبكي حتى سارت دموعها جداول. وفي لحظة من لحظات بكائها رفعت عينيها فرأت أمامها امرأة سألتها: «لماذا تبكين يا ذات العينين؟» فأجابتها: «وكيف لا أبكي؟ لأن لي عينين مثل كل البشر، فإن أختيَّ وأمي لا يحبونني ويؤذونني ويرمون لي الثياب الرديئة ولا يتركون لي من الطعام إلا الفتات. وما تركنه لي اليوم كان قليلاً جداً، وأنا ما زلت جائعة». فقالت لها المرأة: «جففي دموعك يا ذات العينين، سأخبرك بشيء يمنع عنك الجوع دائماً. وما عليك سوى أن تقولي لعنزتك:

«يا عنزتي الحبيبة،

Twitter: @ketab_n

مدي المائدة!»

وستجدين أمامك طاولة صغيرة مرتبة، عليها مختلف المأكولات، فتأكلين ما طاب لك حتى تشبعين. وعندما تكتفين قولي لعنزتك:

يا عنزتي الحبيبة،

ارفعي المائدة!

فتختفي من أمام عينيك فوراً». وذهبت المرأة الحكيمة في طريقها، ففكرت ذات العينين: «لا بد أجرب فوراً ما إذا كان كلام المرأة صحيحاً، فأنا أشعر بجوع هائل»، وقالت:

«يا عنزتي الحبيبة،

مدي المائدة!»

وما أن نطقت الكلمات حتى انتصبت أمامها طاولة صغيرة مغطاة بمفرش أبيض وعليه صحن وسكين وشوكة وملعقة من الفضة، كما توزعت على الطاولة أجمل المأكولات التي يتصاعد منها البخار، وكأنها خارجة من المطبخ مباشرة. فهمهمت ذات العينين أقصر دعاءٍ تعرفه: «يا إلهي كن ضيفنا في كل الأوقات، آمين». وبدأت تأكل. ولمّا شبعت، نطقت بما علّمته إياها المرأة الحكيمة:

«يا عنزتي الحبيبة،

ارفعي المائدة!»

وفوراً اختفت المائدة بما عليها. فقالت ذات العينين في سرها: «يا لها من خدمة جميلة». وكانت مبتهجة مسرورة. ومساءً عندما عادت مع العنزة إلى البيت وجدت صحناً فخارياً صغيراً فيه بعض الطعام تركته لها أختاها، لكنها لم تمسه.

Twitter: @ketab_n

خرجت في الصباح التالي مع العنزة ثانية إلى المرعى من دون أن تأكل لها ما تركته لها أختاها من فتات أكلها. في المرة الأولى ثم الثانية لم تلاحظ الأختان الأمر، لكن عندما تكرر ذلك عدة مرات انتبهتا إليه وقالتا: «ثمة سرٌ وراء سلوك ذات العينين، إنها لا تمس الطعام الذي نتركه لها، وهي التي كانت تأكل كل شيء. لا شك في أنها قد وجدت طريقاً آخر للحصول على الطعام». ولكي تتوصلا إلى الحقيقة، قررتا أن ترافق ذات العين أختها عندما تخرج مع العنزة إلى المرعى وأن تنتبه إلى ما يحصل هناك، وما إذا كان أحدهم يجلب لها الطعام والشراب».

عندما شرعت ذات العينين بالخروج مع العنزة، تقدمت ذات العين وقالت لها: «أريد أن اخرج معك إلى المرعى لأرى ما إذا كانت العنزة تحصل على ما يكفي من الطعام». بيد أن ذات العينين تكهنت بالمقصد الحقيقي لذات العين، فساقت العنزة أمامها إلى الحشائش العالية، وقال: «تعالي يا ذات العين سنجلس هنا، وسأغني لك شيئاً». جلست ذات العين وهي متعبة من طول الطريق وتأثير أشعة الشمس غير المعتادة عليها. وأخذت ذات العينين تردد باستمرار:

«يا ذات العين، أما زلت صاحية؟

يا ذات العين، هل نمتِ؟»

فأغمضت ذات العين عينها ونامت. وعندما تأكدت ذات العينين من عمق نوم أختها بحيث أنها لن تكتشف شيئاً، قالت:

«يا عنزتي الحبيبة،

مدي المائدة!»

وجلست إلى طاولتها وأكلت وشربت حتى شبعت، ثم قالت:

«يا عنزتي الحبيبة،

Twitter: @ketab_n

ارفعي المائدة!»

فاختفى كل شيء فوراً. أيقظت ذات العينين أختها ذات العين وقالت لها: «يا ذات العين، كيف سترعين العنزة وأنت نائمة. أثناء نومك كان يمكن للعنزة أن تضيع في كل الاتجاهات، هيا بنا إلى البيت». وعادتا إلى البيت، حيث تركت ذات العينين كعادتها مؤخراً صحن الطعام كما هو عليه. ولم تستطع ذات العين أن تكشف لأمها سبب عدم أكل ذات العينين، واعتذرت عن ذلك بقولها: «لقد غلبني النعاس في المرعى فنمت».

في اليوم التالي قالت الأم لذات الثلاث: «هذه المرة اخرجي أنت معها وانتبهي ما إذا كانت ذات العينين تحصل من أحد هناك على طعام وشراب. فهي تأكل وتشرب، ولكن سراً». فقالت ذات الثلاث لذات العينين: «أريد أن أرافقك إلى المرعى لأرى ما إذا كانت العنزة تحصل على ما يكفي من الطعام». بيد أن ذات العينين تكهنت بالمقصد الحقيقي لذات الثلاث، فساقت العنزة أمامها إلى الحشائش العالية، وقالت: «تعالي يا ذات الثلاث، سنجلس هنا، وسأغني لك شيئاً». جلست ذات الثلاث وهي متعبة من طول الطريق وتأثير أشعة الشمس غير المعتادة عليها. وأخذت ذات العينين تردد باستمرار:

«يا ذات الثلاث، أما زلت صاحية؟

ولكن بدلاً من أن تتابع: «يا ذات الثلاث، هل نمت؟»

سهت فغنت: «يا ذات العينين، هل نمت؟»

وتابعت على هذا المنوال: يا ذات الثلاث، أما زلت صاحية؟

«يا ذات العينين، هل نمت؟»

فأغمضت ذات الثلاث عينين فقط فنامتا، أما العين الثالثة التي لم تتأثر بالغناء

Twitter: @ketab_n

فإنهـا لـم تنـم. صحيح أن ذات الثلاث قـد أغمضت الجفن وكأنهـا نائمة تماماً، لكـن الأمر كان حيلـة فحسب، فقد كانت ترمش بالجفـن الثالث فترى كل شيء بوضـوح. وعندما ظنت ذات العينيـن أن ذات الثلاث قد غرقت في نومها، قالت لعنزتها:

«يا عنزتي الحبيبة،

مدي المائدة!»

فأكلت وشربت ما طاب لنفسها، ثم قالت لعنزتها ثانية:

«يا عنزتي الحبيبة،

ارفعي المائدة!»

وقد رأت ذات الثـلاث كل شيء. ثم اقتربت ذات العينين منها وأيقظتها قائلة: «يـا سلام يا ذات الثلاث، هل نمت؟ لا شك أنك تجيدين الرعي! هيا، سنعود إلى البيت». وعندما وصلتا لم تأكل ذات العينين ما في صحنها الفخاري، وقالت ذات الثـلاث لأمها: «بـتُّ أعرف الآن لماذا لا تأكل تلـك المتكبرة، فهي عندما تقول للعنزة في المرعى:

«يا عنزتي الحبيبة،

مدي المائدة!»

تنتصـب طاولة أمامها مغطاة بأطيب المأكـولات، أفضل من كل ما نأكله هنا، وعندما تشبع تقول للعنزة:

«يا عنزتي الحبيبة،

ارفعي المائدة!»

Twitter: @ketab_n

فيختفي كل شيء، ولقد رأيت كل ما جرى بدقة. ذات العينين صارت تغني فنامت مني عينان، أما عيني الثالثة، في جبيني فقد بقيت لحسن الحظ صاحية». فصرخت الأم الحسودة: «أتريدين أن تأكلي أفضل منا؟ سأجعلك تعدمين هذه المتعة!» وتناولت سكين ذبحٍ بقرت بها بطن العنزة فقتلتها.

عندما رأت ذات العينين ما جرى هرعت إلى المرعى وجلست على حافة الحقل وأخذت تبكي بحرقة. وفجأة ظهرت لها المرأة الحكيمة وسألتها: «يا ذات العينين، لماذا تبكين؟» فأجابتها: «وكيف لا أبكي؟ العنزة التي كانت كل يوم تمد لي المائدة عندما آمرها بكلماتك، طعنتها أمي فقتلتها، والآن سأعود إلى الجوع والهموم». فقال لها المرأة الحكيمة: «يا ذات العينين، اسمعي هذه النصيحة: اطلبي من أختيك أن تعطياكِ قلب العنزة بعد ذبحها، ثم ادفنيه في التربة عند باب الدار، ومنه سيأتي حظك». واختفت المرأة الحكيمة.

عادت ذات العينين إلى البيت وقالت لأختيها: «يا أختاي العزيزتان، أعطياني شيئاً من عنزتي. لا اطلب قطعة من اللحم الجيد، أعطياني القلب فقط!» فضحكت الأختان وقالتا: «بإمكانك أخذ القلب، إذا كان هذا مطلبك». فأخذت ذات العينين القلب ودفنته بكل هدوء وراء باب الدار حسب نصيحة المرأة الحكيمة.

في صباح اليوم التالي عندما استيقظوا جميعهم وفتحوا باب الدار وجدوا وراء في الفناء شجرة رائعة وعجيبة، أوراقها فضية وفاكهتها المتدلّية من أغصانها ذهبية، لا أبدع ولا أثمن منها في الدنيا كلها. لكنهم لم يعرفوا كيف نبتت هذه الشجرة أثناء الليل. بيد أن ذات العينين لاحظت أنها قد انبثقت من المكان نفسه الذي دفنت فيه قلب العنزة. قالت الأم لذات العين: «تسلقي الشجرة يا ابنتي واقطفي لنا ثمارها». تسلقت ذات العين الشجرة، لكنها كلما أرادت الإمساك بإحدى التفاحات الذهبية، كان الغصن يبتعد عن مطال يدها، وتكرر الأمر مع كل محاولة، فلم تستطع قطف أي تفاحة مهما حاولت. فقال الأم: «يا ذات الثلاث، تسلقي أنت الشجرة، بعيونك الثلاث ستري حولك أفضل من ذات العين الواحدة».

Twitter: @ketab_n

فنزلت ذات العين عن الشجرة وتسلقت ذات الثلاث بدلاً منها، لكنها لم تكن أرشق وأخف من أختها، على الرغم من تلفتّها في كل الاتجاهات، فالتفاحات الذهبية كانت تبتعد دائماً عن مطال يدها. وأخيراً نفذ صبر الأم، فتسلقت الشجرة بنفسها، لكن حالها لم يكن أفضل من حال ذات العين وذات الثلاث، فكلما مدت يدها كانت تقطف الهواء. عندها قالت ذات العينين: «سأجرب أنا وأتسلق الشجرة، فقد أنجح في قطف الثمار». فصاحت الأختان: «أنت بعينيك الاثنتين، ماذا ستحققين!» ورغم ذلك تسلقت ذات العينين الشجرة العجيبة، فإذا بالتفاحات لا تتراجع أمام يدها، بل ترتمي من نفسها في راحة يدها، بحيث قطفت منها ملء مئزرها ونزلت. أخذتها الأم منها كلها، أما أختاها اللتان كان يفترض بهما أن تلطفا سلوكهما تجاه ذات العينين المسكينة، فإنهما ازدادتا حسداً وسوء معاملة.

وحدث ذات يوم، بينما كانوا جميعهم واقفين عند الشجرة، أن اقترب منهم فارس شاب، فصاحت الأختان: «اختبئي يا ذات العينين بسرعة، كي لا نخجل بك!» وغطّتاها بأقصى سرعة ببرميل فارغ كان إلى جانب الشجرة، ودفعتا تحته أيضاً التفاحات الذهبية التي كانت تقطفها ذات العينين من الشجرة. عندما وصل إليهم الفارس، بدا شاباً وسيماً. توقّف بجواده وتملّى الشجرة البديعة بإعجاب كبير، ثم خاطب الأختين قائلاً: «لمن هذه الشجرة؟ من يعطيني منها غصناً، يحق له أن يطلب مني ما يشاء»، فأجابت ذات العين وذات الثلاث بأن الشجرة لهما وستقدمان له غصناً منها. وبذلت كل منهما جهداً كبيراً، لكنهما لم تكونا قادرتين على تحقيق ذلك، لأن الأغصان والفاكهة كانت تبتعد عن مطال يديهما. فقال الفارس: «غريب هذا الأمر. تزعمان أن الشجرة لكما، ولا تتمكنان من قطف شيء منها».

بقيت الأختان مصرّتين على أن الشجرة لهما، وفيما كانتا ترددان ذلك دحرجت ذات العينين بعض التفاحات الذهبية باتجاه قدمي الفارس، فقد كانت غاضبةً بسبب كذب أختيها. عندما رأى الفارس التفاحات، استغرب ذلك وسأل عن مصدرها، فأجابت الأختان بأن لهما أختاً ثالثة، لكنهما لم تسمحا له بالظهور

Twitter: @ketab_n

أمامـه لأن لهـا عينين اثنتيـن فقط مثل الناس العاديين. فطالب الفارس بأن يراها وهتـف: «يـا ذات العينيـن، اخرجي!» فخرجـت ذات العينين بـلا أي حرج من تحت البرميل، فأدهش جمالها الفارس الذي قال: «لا شك في أنك قادرة يا ذات العينيـن على أن تقدمي لـي غصناً من الشجرة». فأجابتـه: «طبعاً، وسأفعل ذلك، لأن الشجـرة لي أنا»، وتسلقت الشجرة وكسرت غصنـاً بسهولة بأوراقه الفضية وتفاحاتـه الذهبية وناولته للفارس. عندها خاطبها الفارس قائلاً: «يا ذات العينين، ماذا تطلبين مني لقاءه؟» فأجابته: «إني هنا أعاني الجوع والعطش والهموم والآلام من الصباح حتى المساء، فإذا رغبت في أخذي معك وإنقاذي مما أنا فيه، سأكون سعيـدة». فأركبها الفارس على جواده وأخذها معه إلـى قصر أبيه. وهناك منحها الفارس ملابس جميلة وطعاماً وشراباً مما لذ وطاب. ولأنه أحبها حباً شديداً عقد قرانه عليها واحتفلا بعرسهما بسعادة غامرة.

عندمـا أخذ الفارسـ الوسيم ذات العينين معه حسدتهـا أختاها حسداً شديداً، لكنهمـا قالتا: «أمـا الشجرة العجيبـة فستبقى لنا حتى وإن لـم نستطع أن نقطف منهـا الثمار، فالجميـع سيقف أمامها معجباً، ويمجد جمالهـا أمامنا، ومن يدري كيـف سيكون حظنا!» ولكن في صباح اليوم التالي، اختفت الشجرة العجيبة من فنـاء البيت، فذهب أملهمـا أدراج الرياح. وعندما نظـرت ذات العينين من نافذة حجرتها في القصر إلى الخارج، شاهدت لفرحتها الشجرة منتصبة في الباحة بكل بهائها، فقد لحقت بها.

عاشـت ذات العينين أيامـاً سعيدة في حياتها الجديـدة. وذات يوم جاءت إلى القصـر امرأتان فقيرتان لتتسولا بعض القروش. فنظرت ذات العينين في وجهيهما وعرفت فيهما أختيها: ذات العين وذات الثلاث، اللتين حط بهما الفقر إلى درجة التسـول من باب إلى باب. لكـن ذات العينين رحبت بهمـا وعاملتهما بالحسنى واعتنت بهما إلى درجة أن ندمت الأختان ندماً شديداً على ما ألحقتاه في شبابهما من أذى بأختهما.

Twitter: @ketab_n

(١٣١)

كاترينِه الجميلة والخاطب بولتري

نهارك سعيد يا خالي هولّنْتِه.

شكراً جزيلاً يا بولتري.

أريد أن أطلب يد ابنتكَ كاترينه، هل يمكن؟

طبعاً، إذا وافقت أمها مالكو وأخوها هوٌنْشتولْتس وأختها كيزيتراوت وكاترينه الجميلة نفسها، عندها يمكن.

وأين أجد أمها مالكو؟

في الاصطبل تحلب البقرة.

نهارك سعيد يا خالتي مالكو.

شكراً جزيلاً يا بولتري.

أريد أن أطلب يد ابنتكِ كاترينه، هل يمكن؟

طبعاً، إذا وافق أبوها هولنته، وأخوها هونْشتولتس وأختها كيزيتراوت وكاترينه الجميلة نفسها أيضاً، عندها يمكن.

وأين أجد أخاها هونشتولتس؟

Twitter: @ketab_n

في المستودع يفلق الحطب.

نهارك سعيد يا أخي هونشتولتس.

شكراً جزيلاً يا بولتري.

أريد أن أطلب يد أختكَ كاترينه، هل يمكن؟

طبعاً، إذا وافق أبوها هولنته، وأمها مالكو وأختها كيزيتراوت وكاترينه الجميلة نفسها، أيضاً، عندها يمكن.

وأين أجد أختها كيزيتراوت؟

في الحديقة تقص الأعشاب.

نهارك سعيد يا أختي كيزيتراوت.

شكراً جزيلاً يا بولتري.

أريد أن أطلب يد أختكِ كاترينه، هل يمكن؟

طبعاً، إذا وافق أبوها هولنته، وأمها مالكو وأخوها هونشتولتس وكاترينه الجميلة نفسها، أيضاً، عندها يمكن.

وأين أجد كاترينه الجميلة؟

في الحجرة تعد مدخراتها.

نهارك سعيد يا كاترينه الجميلة.

شكراً جزيلاً يا بولتري.

أترغبين في أن تكوني كنزي؟

Twitter: @ketab_n

طبعاً، إذا وافق أبي هولنته وأمي مالكو وأخي هونشتولتس وأختي كيزيتراوت، عندها يمكن.

كم معكِ لدوطة العرس، يا كاترينه الجميلة؟

أربــع عشرة ليرة عداً ونقداً، وقرشان ونصــف دينار، وربع كيلو فاكهة مجففة وحفنــة مكسرات مقلية وحفنة بهارات، وأشيــاء من هذا القبيل. ألا تجدها دوطة عرس مناسبة؟ ولكن قل لي يا بولتري، ما هي مهنتك؟ هل أنت خياط؟

أفضل بكثير.

حَذّاء؟

أفضل بكثير.

نجار؟

أفضل بكثير.

حداد؟

أفضل بكثير.

طحان؟

أفضل بكثير.

مكانسي إذن؟

صح، هذا أنا، أليست مهنة جميلة؟

Twitter: @ketab_n

(١٣٢)

الثعلب والحصان

كان عنـد فلاح حصان مخلص، لكنه تقدم في السـن، ولم يعد قادراً على أداء واجباتـه، فامتنع صاحبه عـن تقديم العلف له، وقال له: «أنـا طبعاً لم أعد بحاجة إليك، لكن نيّتي تجاهك حسنة، لذلك إذا أبديت قوّتك وجلبت لي أسداً إلى هنا، فسأحتفظ بك. أما الآن فهيّا غادر اصطبلي» وطرده إلى خارج الاصطبل.

حـزن الحصان وتوجه إلى الغابـة باحثاً عن حماية من عوامـل الطقس. التقى هناك بالثعلب الذي بادره سائلاً: «ما بالك محني الرأس وتمشي كالتائه وحيداً؟» فأجابه الحصان: «آه، يبدو أن الإخلاص والبخل لا يتعايشان تحت سقف واحد. نسي سيدي ما قدمته له من خدمات طوال سنوات، ولأني لم أعد قادراً على حرث الأرض كما ينبغي، امتنع عن إطعامي وطردني». فسأله الثعلب: «هكذا، من دون أي مواساة؟» فأجابه: «مواساته كانت خبيثة، فقد قال، إذا ما كنتُ قوياً كفايةً لأن أجلـب له أسـداً، فسيحتفظ بي. لكنه يعرف تماماً، أنـي لست قادراً على ذلك». فقال الثعلب: «أنا سأساعدك في هذا الأمر. ما عليك سوى أن تستلقي وتتمدد ولا تتحرك أبداً، كأنك ميت».

نفَّـذ الحصان ما طلب منه الثعلب. أما الثعلب فذهب إلى عرين الأسد القريب مـن وِجاره وقال له: «هناك حصان ميّت فـي الخارج، تعال معي وستحصل على وجبة دسمة». رافقـه الأسد، وعندما وصلا إلى جانب الحصان قال الثعلب: «ها هو، ولكن ليس بالشـكل الذي يريحك. أتدري ما سأفعل؟ سأربطه بك من ذيله، عندها تستطيع أن تجره إلى عرينك وتأكله بكل هدوء». لاقت النصيحة هذه قبولاً

Twitter: @ketab_n

لـدى الأسد، فتمدد من دون حراك، كي يتمكـن الثعلب من ربط الحصان به. أما الثعلب فقد أوثق قدمي الأسد بذيل الحصان الطويل ولف الشعر حولهما وثبتهما بقـوة، بحيـث لا يمكن تمزيق الوثاق أبـداً. وعندما أنهى عملـه ربَّت على كتف الحصان وقال له: «جرَّ يا حصان، جرْ.

فقفـز الحصَان بهمةٍ واقفـاً، وجر وراءه الأسد الذي بـدأ يزأر، بحيث طارت جميـع طيـور الغابة رعباً. تركه الحصـان يزأر وهو يجـره وراءه عبر الحقل حتى وصل إلى باب دار سيده. عندما رأى الفلاح هذا المنظر غيَّر رأيه وقال للحصان: «ستبقى عندي وسوف أعتني بك» واستمر يقدم له العلف حتى مات.

Twitter: @ketab_n

(١٣٣)

أحذية الرقص المهترئة

في يوم من الأيام عاش ملك كان عنده اثنتا عشرة ابنة، كل واحدة منهن أجمل من الأخرى. كانت الفتيات تنمن معاً في صالة، حيث صُفّت أسرتهن إلى جانب بعضها بعضاً. ومساء عند النوم كان الملك يقفل الباب ويوصده بنفسه. لكنه عندما يفتح الباب صباحاً، كان يرى أحذيتهن مهترئة من الرقص. ولم يتمكن أحد من كشف كيفية حدوث ذلك، فأرسل الملك المنادي ليعلن على الناس أن من يكشف، أين ترقصن ليلاً، يحق له اختيار إحداهن زوجة، ويصير ملكاً بعد وفاة الملك. أما من يتقدم لحل اللغز ولا يحله خلال ثلاث ليالٍ، فإنه يجازف بحياته.

بعد فترة قصيرة جاء أمير وأبدى استعداده للمجازفة بحياته. استُقبل بترحاب وأُخذ مساء إلى الغرفة الملاصقة لصالة البنات، حيث وُضع سريره، وطلب منه أن ينتبه إلى أين تذهب البنات وترقص. وكي لا تقمن بشيء سراً ولا تخرجن إلى مكان آخر، تُرك باب الصالة مفتوحاً. لكن الأمير أحسّ وكأن الرصاص يثقل جفنيه فنام، وعندما استيقظ صباحاً أدرك أن البنات الاثنتا عشرة قد كنّ يرقصن، إذ كانت أحذيتهن مملوءة بالثقوب. لم يختلف المساء الثاني والثالث عن الأول، وعندها قُطع رأسه من دون شفقة. جاء بعده كثيرون لخوض هذه المخاطرة، لكنهم جميعهم اضطروا للتخلي عن رقابهم.

وحدث ذات يوم أن جندياً قد سُرّح من الخدمة نتيجة إصابته بجرح جعله غير صالح لخوض المعارك، وكان على الطريق إلى مدينة الملك أبي البنات. الْتقى بامرأة سألته عن وجهته، فأجابها: «في الحقيقة، لست أدري»، وأضاف مازحاً: «لكنني

Twitter: @ketab_n

أتمنى أن أكشف أين تهترء أحذية الأميرات من الرقص، فأصير بعدها ملكاً». فقالت له العجوز: «ليس الأمر بهذه الصعوبة، كل ما عليك أن تفعله هو ألاّ تشرب النبيذ الذي يُقدم إليك وأن تتظاهر بأنك غارق في النوم». ثم أعطته عباءة وأضافت: «عندما تلبسها تصبح غير مرئي، فتستطيع التسلل وراء البنات».

بعد هذه النصيحة المفيدة من العجوز صار الأمر جدّياً عند الجندي، فحزم أمره وتقدم إلى الملك بصفته خاطباً. استقبل الجندي مثل الآخرين بصورة جيدة، وأُنعِم عليه بثياب ملكية، وأُخذ مساءً إلى الحجرة الملاصقة لصالة البنات، وفي وقت الخلود إلى النوم جاءته كبراهن وقدمت له قدح نبيذ، لكنه كان قد ربط قطعة اسفنج تحت ذقنه لتمص النبيذ، من دون أن يشرب منه قطرة واحدة، ثم استلقى في السرير، وبعد برهة أخذ يشخر وكأنه في سبات عميق.

سمعت الأميرات الاثنتا عشرة شخيره فضحكن، وقالت كبراهن: «كان بإمكانه أن ينجو بحياته»، ثم نهضن وفتحن خزائنهن وصناديقهن وعلبهن وأخرجن ثياباً فاخرة وتجملن أمام المرايا، وتقافزن بحبور فرحاً بحفلة الرقص، سوى صغراهن التي قالت: «لست أدري ما بي، أنتن فرحات، أما أنا فينتابني شعورٌ بأن مصيبة مؤكدة ستنزل بنا». فأجابتها كبراهن: «أنت خوّافة مثل إوزّة الثلج. هل نسيت عدد الأمراء الذين هُدرت حياتهم سدى؟ هذا الجندي لم يكن بحاجة حتى إلى المنوِّم، لأن هذا الفظّ ما كان ليستيقظ من نفسه بسبب حركتنا».

عندما بتن جميعهن جاهزات، ألقين أولاً نظرة على الجندي الذي أغمض عينيه وسكن بصورة تامة، فظنت البنات أنهن صرن في مأمن منه. ذهبت كبراهن إلى سريرها ونقرت عليه عدة مرات، فنزل للتو في الأرض، فنزلت الأميرات على درج عبر الفتحة، الواحدة بعد الأخرى، تتقدمهن كبراهن. أما الجندي الذي رأى كل شيء، فإنه لم يتردد لحظة، بل ارتدى العباءة ونزل وراء صغراهن. في منتصف الدرج داس الجندي على طرف ثوب الصغرى، فارتعبت وصاحت: «ما هذا؟ من الذي يمسك بثوبي؟» فأجابتها الكبرى: «لا تكوني ساذجة، لقد علق بكلاّب ما».

Twitter: @ketab_n

وتابعـن النزول حتى صرن كلهن تحت، أمامَ ممرٍّ عجيب بالغ الفخامة محاط من جانبيه بأشجـار جميع أوراقها من فضة لماعة براقة. فكّر الجندي: «عليك أن تأخذ معك دليلاً»، وكسر غصناً، مما ولَّد صوتاً مدوياً، فصاحت صغراهن ثانية: «ثمة ما ليس على ما يرام، هل سمعتن الصوت المدوي؟» فأجابتها الكبرى: «إنها طلقات احتفالية بقرب تخليصنا أمرائنا من الرصد».

وصلـن بعد ذلـك إلى ممر جديـد، جميـع أوراق أشجاره من ذهـب. عبرنه ووصلن أخيـراً إلى ممر ثالث كانت أوراق أشجار من ألماس نقي. كسر الجندي غصنيـن مـن الممرين الثانـي والثالث فدوى صـوت الكسر متتابعـاً، مما أرعب الصغـرى وجعلها ترتعد، لكـن الكبرى بقيت مصرة على أنهـا طلقات احتفالية. تابعت الأميرات طريقهن والجندي وراءهن حتى وصلن إلى بحيرة عظيمة، حيث كان بانتظارهـن اثنـا عشر قارباً، فـي كل واحد منها أمير جميـل استقبل إحداهن إلـى قاربه، تبع الجندي خطـوات الصغرى وجلس في قاربهـا، فقال الأمير: «لا أدري، يبدو لي القارب اليوم أثقل بكثير، وعلي أن أُجذّف بقوة وجهد أكبر بكثير لأحركـه» سألته الصغرى: «ما السبب، إن لم يكن هذا الحـر الذي أشعر أنا أيضاً بثقله!».

علـى ضفة البحيرة الأخرى نهض قصـر جميل تشع منه الأضواء، وتصدر منه موسيقا مرحة على إيقاع الطبول والأبواق. توجّهت القوارب نحو القصر، ودخل الأمراء والأميرات وبدأوا يرقصون كل أمير مع حبيبته، وشارك الجندي غير المرئي في الرقصـ معهم. وعندما كانت تمسك إحداهن بكأس نبيذ كان الجندي يفرغه فـي جوفه وهي تقربه مـن فمها، فانتاب الصغرى الخوف مجـدداً، لكن الكبرى كانت تُسكتها في كل مرة. استمرت المجموعة في الرقص حتى الثالثة من صباح اليوم التالي، وحتى تهرأت جميع الأحذية، فكان لا بد من التوقف عن الرقص.

نقل الأمـراء والأميرات بالقوارب إلى الضفة الأخـرى، وفي هذه المرة ركب الجنـدي مع الكبرى في المقدمة. ودَّعـت الأميرات الأمراء على الشاطئ على أن

Twitter: @ketab_n

يعدن في الليلة القادمة. عندما وصلن إلى الدرج سبقهن الجندي صعوداً واستلقى في سريره. وعندما وصلت الأميرات لاهثات وبهدوء وجدنه يشخر بصوت عالٍ أسمعَ الجميع، فقلن: «لا خطر علينا من هذا الجندي»، وخلعن ثيابهن الفاخرة، ووضعن أحذيتهن المهترئة تحت الأسِّرة ونمن.

في صباح اليوم التالي لم يرغب الجندي أن يكشف أي شيء، بل فضَّل أن يشاهد الظاهرة مرة أخرى، فرافق الأميرات في الليلة الثانية والثالثة أيضاً، حيث جرت الأمور كما في الليلة الأولى، حتى تهرّأت الأحذية بصورة تامة. لكنه أخذ معه في الليلة الثالثة قدح نبيذٍ كدليل إضافي.

وعندما أزفت ساعة تقديمه الجواب، خبأ معه الأغصان الثلاثة والقدح ومثَل أمام الملك، في حين وقفت الأميرات الاثنتا عشرة وراء الباب تصغين لما سيقوله. سأله الملك: «أين هرأت بناتي الاثنتا عشرة أحذيتهن ليلاً من الرقص؟» فأجاب الجندي: «بصحبة اثني عشر أميرٍ في قصر تحت الأرض» وروى مجريات الليالي وأخرج له الأدلة. عندها استدعى الملك بناته وسألهن إذا ما كان الجندي قد قال الحقيقة. وحينما رأين أن سرهن قد كُشف ولا يمكن إنكاره، اعترفن بكل شيء بناء على ذلك سأل الملك الجندي، أيهنّ يرغب فيها زوجة، فأجاب: «أنا لم أعد شاباً، فاعطني الكبرى». فأقيم احتفال الزواج في اليوم نفسه، مع وعدٍ بوراثة العرش بعد وفاة الملك. أما الأمراء فقد استمر رصد السحر فوقهم بعددِ الليالي التي رقصوا فيها مع الأميرات.

Twitter: @ketab_n

(١٣٤)

الخدم الستة

في الزمن الغابر عاشت ملكة عجوز تمارس السحر، وكانت ابنتها أجمل صبية تحت الشمس. ولكن لم يشغل بال الساحرة العجوز سوى إلحاق الأذى بالناس، وعندمـا كان يأتيها خاطب لابنتها، كانـت تقول إن من يريد ابنتها زوجةً، عليه أن ينفذ مهمة أو يموت.

كان كثيـر من الأمراء مأخوذيـن بجمال الصبية، وجازفوا بـأن تقدموا لطلب يدها، لكنهم عجـزوا عن تحقيق ما طلبته الملكة الساحرة منهم. وبما أن الرحمة كانت معدومة عند الملكة، كان لا بد من أن يركعوا لتقطع رؤوسهم.

ثمـة أمير سمع بجمـال الأميرة الفتان فقـال لوالده: «اسمح لـي بالسفر إليها لأتقدم لطلبها زوجة». فأجابه الملك: «يستحيل. لأنك إن ذهبت فستلاقي موتك حتماً». فسقط الأمير في فراشه مريضاً مشارفاً على الموت، وبقي على هذه الحال طـوال سبع سنوات، لم يعـرف طبيب خلالها له دواء. وحينمـا أدرك الأب أن لا أمل هنـاك، قال والحزن يملأ قلبه: «سافر إليها وجرب حظك. لم يعد أمامي حل آخـر». عندما سمع الأميـر ذلك نهض من فراش المرضـ وتعافى، ثم جهز نفسه وانطلق مسافراً.

أثنـاء عبوره مرجاً على حصانه صادف أن رأى من بعيد شيئاً على الأرض يشبه كومة كبيرة مـن الدريس. وحين اقترب تبيّن له أن كرش رجل مستلق على ظهره، لكـن الكرش تراءى مثل جبل صغير. عندمـا رأى السمينُ الفارسَ اعتدل وخاطبه

Twitter: @ketab_n

قائـلاً: «إذا كنت بحاجة إلى من يخدمك فخذني»، فأجابه الأمير: «وماذا سأفعل بكتلتـك هذه؟» فقال السميـن: «آه، هذا لا شيء. إذا تمددت فعـلاً فسأصل إلى ثلاثـة آلاف ضعـفٍ من سُمنتي هـذه». فأجابه الأميـر: «إذا كان الأمر كما تقول فسأحتاج إليك. تعال معي». فتبع السمينُ حصانَ الأمير.

وبعـد فترة وجدا رجلاً راكعاً وقـد ألصق أذنه بالأرضـ، فسأله الأمير: «ماذا تفعـل عنـدك؟» فأجابه: «إني أتنصـت». فسأله الأمير: «عـلامَ تتنصت بكل هذا الإنتبـاه؟» فأجابه: «على ما يحدث في الدنيـا الآن، فأذُنيَّ لا يفوتهما شيء، حتى العشـب أسمعه وهو ينمو». فسأله الأمير: «أخبرني إذن، بما يجري الآن في قصر الملكة العجوز التي عندها ابنة جميلة»، فقال الرجل: «أسمع السيف يهوي قاطعاً رقبة أحـد خطاب الأميرة». فقـال الأمير: «سأحتاج إليك. تعـال معي». فتابعوا طريقهـم حتى رأوا على الأرضـ قدحين وجزءاً من الساقين، أمـا النهاية فإنهم لم يستطيعوا رؤيتها.

وبعـد أن مشوا فترة أخرى وصلوا أخيراً إلـى البدن، فقال الأمير: «عجبي، يا لك من خيط طويل!» فأجاب الطويل: «آه، هذا لا شيء. إذا مددّتُ أعضائي فعلاً فسأبلـغ ثلاثة آلاف ضعفٍ من طولي هـذا، وأصبح أطول من أي جبل في العالم. سأكون مسروراً للعمل في خدمتك، إذا وجدتَ لي عملاً». فأجابه الأمير: «تعال معنا. سأحتاج إليك».

وبعـد مـدة على الـدرب وجدوا رجلاً جالسـاً على حجر وقـد عصب عينيه بمنديـل، فسأله الأميـر: «هل عيناك ضعيفتـان لا تتحملان نور النهـار؟» فأجابه الرجـل: «لا، ولكـن لا يجوز لـي أن أرفـع العصابة، لأن كل ما يقـع عليه نظري يتفتـت أو ينفلق، فنظرتـي تشكل خطراً مدمراً. ولكـن إنْ كان فيها ما يفيدك فأنا مستعد لخدمتك بسرور». فقال له الأمير: «تعال معنا، سوف أحتاج إليك».

بعـد مرحلـة أخرى من الطريـق عثروا على رجـل واقف تحت حـر الشمس القائظـة وجسمـه كله يرتجف بـرداً، فلا تسكن أعضـاؤه لحظـة، فسأله الأمير:

Twitter: @ketab_n

«كيـف ترتجف من البـرد تحت أشعة الشمس الملتهبـة؟» فأجاب الرجل: «أخ، أنا ذو طبيعة مختلفة، كلما اشتدت الحرارة ازدادت برداً وتسلل الصعيق حتى إلى عظامـي. وكلما اشتدت برودة الطقس ازددتُ تعرقاً من السخونة: إني أتوهج من الحـرارة في وسط الجليد، وأتجمد برداً فـي وسط النار». فقال له الأمير: «يا لك من شخص عجيب، ولكن إذا رغبتَ في العمل عندي فاتبعنا».

وبعـد أن قطعوا شوطـاً آخر على الدرب رأوا رجلاً واقفـاً، ماداً رقبته الطويلة وهـو يدقق النظر في جميع الاتجاهات وإلى ما وراء الجبـال، فسأله الأمير: «فيمَ تدقـق النظر بهذا الشكل؟» فأجابه الرجل: «عينـاي حادتا النظر، أستطيع أن أرى بهما عبـر الحقول والغابات ومـا وراء الجبال والوديان بـكل وضوح»، فقال له الأمير: «ينقصني رجل مثلك. فإذا رغبتَ تعال معنا».

فـي نهاية المطاف دخـل الأمير مع خدمه الستة المدينـة التي تحكمها الملكة الساحرة العجوز. وعندما قابلها في قصرها لم يعرّف بنفسه بصفته أميراً، بل قال: «إذا كنـتِ مستعدةً لتزويجي بابنتك الجميلـة، فسأنفذ المهمات التي ستكلفينني بهـا». فرحت الملكة بوقوع رجل وسيم آخـر في شبكتها، وقالت له: «سأكلفك بمهمـة مـن ثلاثة أجـزاء، إذا حققتهـا الواحد تلو الآخـر، فستكـون زوج ابنتي وسيدَهـا». فسألها الأمير: «ما هو الجـزء الأول؟» فأجابته: «أن تُحضر لي خاتماً سقط مني في البحر الأحمر».

عاد الأمير إلى خدمه الستة في الفندق وقال لهم: «الجزء الأول ليس سهلاً: أن نحضر لها خاتماً من البحر الأحمر. ما هي نصائحكم؟» فقال ذو العينين الحادتي النظر: «سأبحث بعيني عن مكان وجوده»، ونظر إلى عمق البحر الأحمر ثم قال: «إنه هناك عالق على حجـر مدبب». فحملهم الطويل إلى هناك وقال: «بودي أن أُخرجـه من القـاع، لو أنني أراه فقط». فصـاح السمين: «إذا كان هذا هو العائق» واستلقى على بطنه ووضع فمه في الماء وشفط البحر كله حتى جفّ وظهرت قاعه مثـل مرج. فانحنى الطويل قليـلاً ورفع الخاتم عن الحجـر المدبب. فرح الأمير

Twitter: @ketab_n

عندمـا رأى الخاتـم في كفه، وقدّمـه إلى الملكة العجوز التـي اندهشت وقالت: «صح، إنـه الخاتم عينه لقد نجحت في تحقيق الجزء الأول، فإليك الجزء الثاني: أترى هذا المـرج الممتد أمام قصري، هناك ترعى ثلاثمئـة من العجول السمينة، عليـك أن تلتهمهـا بجلدها وشعرهـا وعظامها وقرونها. وفي قبـو قصري يوجد ثلاثمئـة برميـل مليئة بالنبيذ، عليـك أن تشربها كلها. وإذا بقيـت شعرةٌ من عجلٍ أو قطـرةٌ من برميلٍ فرقبتك لي». فسألها الأمير: «أيحق لي دعوة بعض الضيوف؟ فالضيـوف يفتحـون الشهية على المائـدة». ضحكت العجوز بخبـث وأجابته: «يجوز لك أن تستضيف شخصاً واحداً لا غير، لمشاركتك في المأدبة».

عاد الأمير إلى خدمه الستة وقال للسمين: «ستكون اليوم ضيفي، وستأكل حقاً حتى تشبع». مـدّد السمين جسمه ووسَّعه وأكل ثلاثمئة عجلاً، لم يُبق منها شعرة واحدة، وسأل: «هل من مزيد؟» وشرب النبيذ من البراميل مباشرة من دون كأس، وكذلـك لم يُبق منها قطرة واحدة. عندما انتهـت المأدبة ذهب الأمير إلى الملكة العجـوز وأخبرها بـأن الجزء الثاني قد تحقق. استغربـت ذلك وقالت: «لم يسبق لأحـد بعدْ أن بلغ هذه المرحلة، ولكن ما زال هناك جزء باق» وكانت تفكر سراً: «يجـب ألاّ تفلتَ مني، ولن تحتفـظ برأسك مرفوعاً»، ثم أضافـت قائلة: «مساءَ اليـوم سأُحضرُ ابنتـي إلى غرفتك، وعليك أن تحيطهـا بذراعك، واحرصْ خلال جلوسكمـا معاً ألاّ تغفو: فأنا سآتي عندما تـدق الساعة الثانية عشرة، وإن لم تكن ابنتي عندها بين ذراعيك، فقد خَسِرتْ».

قـال الأمير في سره: «مهمةٌ سهلة، مـا عليّ سوى إبقاء عينيَّ مفتوحتين»، ومع ذلـك نادى خدمه وحكى لهم ما قالته العجوز، ثم قـال سائلاً: «من يعرف منكم الحيلـة الكامنة وراء ذلـك؟ الحذرُ واجب، لذلـك كونوا يقظيـن واحتاطوا لئلا تخـرجَ الصبيـةُ من غرفتي». عندمـا أرخى الليل سدوله جـاءت العجوز مع ابنتها ووضعتهـا بيـن ذراعي الأمير وذهبـت. وبعد ذلك جعلَ الطويلُ مـن نفسه حلقةً محيطـة بالاثنيـن، في حين جلس السمين وراء الباب بحيـث لا تستطيع أيُ نفسٍ العبـورَ خلاله. جلس الأميـر والأميرة مع بعضهما على هـذه الصورة من دون أن

Twitter: @ketab_n

تنبس الأميرة بكلمة، لكن ضوء القمر النازل عبر النافذة أنار وجهها فتبدى جمالُها الفاتن. لـم يفعل الأمير أي شيء سوى تملّي جمالَها والامتلاء فرحاً بها وحباً لها، فلـم يتسلل النعاس إلى جفنيه. استمر الحـال كذلك حتى الحادية عشرة، وعندها رمت العجوز سحرَها علـى الجميع، فناموا. وفي اللحظة نُقِلت الصبيةُ إلى مكان آخر.

غـرق الجميـع في النـوم حتى الثانيـة عشرة غلا ربعـاً، حين زال أثـرُ السحر واستيقظـوا جميعهم، فصاح الأميـر: «يا لشقائي ومصيبتي، لقـد ضعت!» وبدأ الخـدم المخلصون يشكـون، لكن المتنصت قـال: «اسكتوا! أريـد أن اسمع». أنصتَ لبرهـة، ثم قال: «الأميرةُ تجلس على صخرة على مسافة ثلاثمئة ساعة من هنا وتندبُ حظَها ومصيرها. أنتَ الطويل، أنتَ الوحيد القادر على المساعدة الآن، فإذا تمددت بالطول ستكـون هناك ببضع خطوات». فأجاب الطويل: «صحيح، ولكـن على صاحب النظـرات المدمرة أن يرافقني كي يزيـل الصخرة». وأركبَ الطويـلُ صاحبَ النظرات المدمـرة على كتفيه، وبطرفةِ عينٍ صـار أمام الصخرة المسحورة. وفوراً نزع الطويل العصابة عن عيني رفيقه الذي التفت التفاتةً واحدة نحو الصخرة لا أكثر، فإذا بها تتناثر ألف قطعة. وعندها حمل الطويلُ الصبيةَ على ذراعه، ثم رفيقَه أيضاً، وعادوا بالسرعة نفسها. وقبل أن تدقَ الساعةُ الثانيةَ عشرة جلس الجميع ثانيةً كما كانوا سابقاً يقظين مرحين.

وحالما دقت الساعة ظهرت الساحرة العجوز فجأة وعلى وجهها تعبيرٌ ساخر، كمـن يقول: «هـا أنت الآن في قبضتي» ظانةً أن ابنتهـا تجلسُ على الصخرةِ على مسافـةِ ثلاثمئة ساعة. بيـد أنها عندما شاهدتها بين ذراعـي الأمير أصيبت برعب ملـيء وقالت: «ثمة من هو أقدر مني». لكنها لم تجرؤ على الاعتراض بأي شيء، بـل اعترفت بحقه بالصبية. ومع ذلك لم تستطع إلا أن تهمس في أذن ابنتها قائلة: «عـار عليـكِ أن تطيعي رجلاً من عامة الناس، بـدل أنْ يكونَ زوجُك من مقامك وحسبَ ذوقك». وعندها امتلأ قلـب الصبية المغرورة بالسخط والحنق وقررت الانتقام.

Twitter: @ketab_n

في صباح اليوم التالي أمرت الأميرة بإحضار ثلاثمئة حملِ حطبٍ وأشعلتْ فيها النار، وقالت للأمير: «صحيح أن المهمة قد نُفذت بأجزائها الثلاثة، لكنني لن أكون زوجتك قبل أن يُبدي أحدهم استعداده من أجلكَ للوقوف في وسط هذه النار. وما كانت تفكر فيه هو أنه لن يوجد بين خدمه من سيحرق نفسه من أجله، أما هو فإنه سيفعلها نتيجة افتتانه بها، وعندها ستعود حرة. أما الخدم فقالوا: «كل واحد منا قام بأمر ما، سوى المرتجف تحت الشمس، وها قد جاء دورُه». وأجلسوه في وسط النار المتأججة التي زيدت حطباً على حطبٍ طوال ثلاثة أيام حتى انتهى الحطب كله. وعندما خمد اللهب كان المرتجف واقفاً وسط أكوام الرماد وهو يرتجف ويرتعش من البرد، وقال لهم: «لم يسبق لي أن تحملتُ مثل هذا البرد طوال حياتي، ولو طال أكثر لتجمدت».

وبذلك لم يعد هناك من مهرب أمام الصبية الجميلة سوى القبول بهذا النكرة زوجاً. ولكن عندما ركبوا العربات إلى الكنيسة لعقد القران، قالت العجوز: «لا أستطيع تحمل هذا العار» وأرسلت جنودها وراء الموكب ليقتل الجميع ويعيد إليها ابنتها. لكن المتنصت التقط أوامرها السرية فالتفت إلى السمين وسأله: «ماذا سنفعل الآن؟» فما كان من السمين إلاّ أن استدار واستفرغ على الدرب نصف الماء الذي شفطه من البحر الأحمر، فتشكلت بحيرة كبيرة أغرقت جنود الملكة وابتلعتهم. عندما عرفت الملكة بذلك أرسلت فرسانها المدرعين وراء الموكب. لكن المتنصت التقط صليل أسلحتهم ودروعهم فرفع العصابة عن عيني رفيقه ذي النظرات المدمرة، فتبدد جيش الفرسان كشظايا زجاج مكسر. ومن ثمة تابعوا طريقهم إلى الكنيسة من دون إزعاج آخر، وحالما تمت مباركةُ العروسين من قبل القسيس وإعلانهما زوجين، ودّع الخدم الستة سيدهم وقالوا له: «لقد تحققت أمانيك، ولم تعد بحاجة إلينا. سنتابع دروبنا بحثاً عن حظوظنا».

قبل قصر الملك بنصف ساعة كانت هناك قرية، وخارج هذه القرية كان راعي الخنازير يرعى قطيعه. وعندما وصلت عربة الأمير والأميرة إلى هذا المكان، قال الأمير لزوجته: «أتعرفين حقاً من أكون؟ أنا لست أميراً، بل راعي خنازير، وذاك

Twitter: @ketab_n

الـذي ترينـه هناك هو أبي، ويجب علينا كلينا أن نساعـده في الرعي». ثم نزلا في فنـدق القرية، وقال لأصحاب الفندق أن عليهم ليلاً أن يخفوا ثيابها الملكية بعيداً عنهـا. وحينمـا استيقظت صباحاً لم تجد ما تلبسه، فأعطتهـا صاحبة الفندق ثوباً عتيقـاً وجوربين صوفيين عتيقين، متظاهرةً بأنها تقدم لها هدية كبيرة، وقالت لها: «لـولا زوجك لمـا قدمت هذا لك». عند ذلك صدقت الأميـرة أن زوجها راعي خنازير، وأخذت تساعده في رعـي الخنازير، وهي تفكر في سرها: «ما أوصلني إلى ما أنا فيه سوى غروري وكبريائي».

استمـر الوضع ثمانية أيام علـى هذا الحال إلى أن لم تعـد الأميرة تحتمل،فقد تجرحـت قدماهـا. وعندها جاءها بعض القرويين وسألوهـا إنْ كانت تعرف ماذا يعمـل زوجها، فأجابتهم: «نعم، إنه راعي خنازير، وقد خرج قبل قليل ليبيع بعض الشرائـط والخيوط الملونة». فقالوا لها: «تعالي معنـا. سنأخذك إليه». وأخذوها إلى قصر الملك ودخلوه، وعندما وصلت إلى القاعة رأت زوجها أمامها في ثياب ملكيـة، لكنها لم تتعرفه، إلى أن عانقها وقبّلها، ثم قال لها: «لقد تعذبتُ كثيراً في سبيلك، وكان عليك أن تتعذبي قليلاً في سبيلي».

وعندها أقيمت حفلة عرس كبيرة لهما، والذي حكى هذه الحكاية كان يتمنى لو كان مع المحتفلين.

Twitter: @ketab_n

(١٣٥)

العروس البيضاء والعروس السوداء

في قديم الزمان خرجت امرأة وابنتها وابنة زوجها إلى الحقل لجمع علف للبهائم، فظهر لهن الرب العزيز في هيئة رجلٍ فقير، تقدّم إليهن وسألهن: «من أين الطريق إلى القرية؟» فأجابته المرأة: «إذا كنتَ تريد أن تعرفه فابحث عنه بنفسك»، وأردفت ابنتها قائلة: «وإذا كنت تخشى ألاّ تجده، فاحمل معك شاخصة طريق». أما ابنة الزوج فقالت له: «تعال أيها الفقير، أنا سأرشدك».

غضب الرب من المرأة وابنتها، وأدار لهما ظهره، وأنزل بهما لعنته بأن تصبحا سوداوين كالليل وقبيحتين كالخطيئة. لكنه كان رحيماً كريماً تجاه ابنة الزوج التي رافقها حتى اقتربا من القرية، وعندها أسبغ عليها بركته وقال لها: «اختاري ثلاثة أشياء، سأحققها لك»، فقالت الصبية: « أودُّ من كل قلبي أن أكون جميلة ونقية كالشمس»، فأصبحت للتو ناصعة البياض جميلة كالنهار، ثم أضافت: «وأرغب في كيس نقود لا يفرغ أبداً» فمنحها الرب إياه وهو يقول لها: «لا تنسي الأمر الأهم!» فقالت: «وأتمنى بعد موتي دخول الجنة إلى الأبد». فوعدها الرب بذلك وودّعها مغادراً.

عندما عادت زوجة الأب وابنتها إلى الدار ورأت في المرآة أنها وابنتها قد صارتا سوداوين كالفحم وقبيحتين أيضاً، في حين ازداد بياض ابنة الزوج وصارت أجمل، طار صوابهما وامتلأتا حقداً، ولم تعودا تفكران إلا بإيذاء ابنة الزوج ما وسعهن ذلك.

Twitter: @ketab_n

أما ابنة الزوج فقد كان لها أخ يدعى رغينر، تحبه وتحكي له كل ما يجري لها. وذات يوم قال لها أخوها رغينر: «يا أختي الحبيبة، سأرسمك في لوحةٍ أحتفظ بها في بيتي، كي أراك أمامي دائماً». فقالت له: «لكنني أرجوك ألا يرى أحد الصورة». رسم رغينر لأخته لوحة بالألوان وعلقها في غرفته في قصر الملك، حيث يعمل حوذياً للعربة الملكية، وكان يقف أمامها كل صباح شاكراً الرب لما أنعمه على أخته من خير وسعادة.

في ذلك الوقت توفيت زوجة الملك التي كانت على درجة لا مثيل لها من الجمال، مما أحزن الملك حزناً عميقاً. ولاحظ خدم القصر وقوف الحوذي كل صباح أمام لوحته الجميلة، فحسدوه وابلغوا الملك بشأن اللوحة، فطلب إحضارها إليه. وعندما رأى أنها تشبه زوجته المتوفاة في كل شيء، وبدرجة أعلى من الجمال، وقع في حبها. فاستدعى الحوذي إليه وسأله عمّن تمثل اللوحة، فأجابه بأنها أخته، فقرر الملك ألاّ يتزوج سواها. فأعطاه العربة وجيادها وزوده بثياب فاخرة موشاة بالذهب وأرسله ليحضر العروس المختارة.

عندما وصل رغينر بالبشارة فرحت أخته، أما السوداء فقد غارت من أختها وحسدتها واحتقنت غضباً وقالت لأمها: «ما الفائدة الآن من كل فنونك السحرية، ما دمتِ حتى الآن غير قادرة على أن تحققي لي مثل حظها؟» فقال لها أمها: «اهدأي، سأعمل على تحويل هذا الحظ إليك». وتمكنت بفنونها السحرية من تعكير عيني رغينر الحوذي ومن جعل العروس البيضاء نصف طرشاء. ومن ثم ركبوا العربة: العروس أولاً بثيابها الملكية الرائعة، ثم زوجة أبيها وأختها، في حين اتخذ رغينر مكان الحوذي ليقود العربة. بعد فترة على الطريق هتف رغينر:

«غطّي نفسك يا أختي،

كيلا يُبللك المطر،

ولئلا تُغبّرك الريح،

Twitter: @ketab_n

لتصلي إلى الملك

في أبهى حلة».

فسألت العروس: «ماذا يقول أخي العزيز؟» فأجابتها العجوز: يقول إن عليكِ خلع ثوبك الذهبي وإعطاءه لأختك». فخلعته العروس ولبسته السوداء وأعطتها بدلاً عنه ثوباً رمادياً بسيطاً. تابعت العربة طريقها، وبعد فترة أخرى كرر رغينر نداءه:

«غطّي نفسك يا أختي،

كيلا يُبللك المطر،

ولئلا تُغبّرك الريح،

لتصلي إلى الملك

في أبهى حلة».

فسألت العروس: «ماذا يقول أخي العزيز؟» فأجابتها العجوز: «يقول إن عليكِ خلع غطاء رأسك الذهبي وإعطاءه لأختك». فخلعته العروس وجلست بشعرها السافر، في حين لبست السوداء غطاء الرأس الذهبي. وتابعت العربة طريقها، وبعد فترة أخرى كرر رغينر نداءه:

«غطّي نفسك يا أختي،

كيلا يُبللك المطر،

ولئلا تُغبّرك الريح،

لتصلي إلى الملك

Twitter: @ketab_n

في أبهى حلة».

فسألت العروس: «ماذا يقول أخي العزيز؟» فأجابتها العجوز: «يقول إن عليكِ أن تمدي راسك من شباك العربة». وكانت العربة حينذاك تعبر جسراً فوق نهر في وادٍ سحيق. عندما نهضت العروس ومدت جذعها من شباك العربة، دفعتها زوجة الأب وابنتها معاً فسقطت في وسط النهر مباشرة.

ولمّا غرقت صعدت إلى سطح الماء إوزة ناصعة البياض وسحبت مع تيار النهر. لم يلاحظ الأخ شيئاً من كل ما جرى، وتابع قيادة العربة حتى وصلوا إلى القصر، حيث قدّم السوداء إلى الملك على أنها أخته وهو يعتقد حقيقةً أنها كذلك، بسبب غباشة عينيه وثيابها الذهبية المتلألئة. عندما رأى الملك قبح عروسه المزعومة الذي لا يوصف انتابه غضب شديد وأمر برمي الحوذي في حفرة مملوءة بالثعابين والأفاعي. أما الساحرة العجوز فقد عرفت بسرعة كيف توقع الملك في حبائلها، فضربت غشاوة على عينيه، بحيث احتفظ بها وبابنتها التي تبدّت له مقبولة فتزوجها حقاً.

ذات مساء، بينما كانت العروس السوداء جالسة في حضن الملك، دخلت عبر مجرى المياه إلى مطبخ القصر إوزة بيضاء وخاطبت الخادم الفتى قائلة:

«أوقد ناراً أيها الفتى

كي أدفئ ريشي».

نفَّذ الفتى طلبها وأشعل ناراً على سطح الموقد، فاقتربت الإوزة وجلست إلى جانبها، نفضت عنها الماء وأخذت تسوي ريشها بمنقارها. وبينما هي جالسة مرتاحة إلى الدفء سألت الفتى:

«ما أخبار أخي رغينر؟»

Twitter: @ketab_n

فأجابها الفتى:

«إنه أسير الحفرة،

عند الثعابين والأفاعي».

فتابعت تسأل:

«وماذا تفعل الساحرة السوداء في الدار؟»

فأجابها الفتى:

«تجلس هانئة بين ذراعي الملك».

فقالت الإوزة:

«حفظنا الرب!»

وعادت فخرجت عبر مجرى المياه. في مساء اليوم التالي جاءت الإوزة ثانية وطرحت الأسئلة نفسها، وكذلك في اليوم الثالث، فلم يعد قلب الفتى يطاوعه على الصمت، فذهب إلى الملك وحكى له كل شيء. لكن الملك أراد أن يتأكد بنفسه ويرى بعينيه، وفي مساء اليوم التالي ذهب إلى المطبخ وانتظر، وعندما مدت الإوزة رأسها عبر مجرى المياه، استل سيفه وقطع رقبتها، فإذا بها تتجسد أمامه صبية جميلة تشبه تماماً صورتها في اللوحة التي رسمها الحوذي رغينر. غمرت الفرحة الملك، ولأن الفتاة كانت واقفة أمامه والماء يقطر منها، أمر بإحضار ثياب فاخرة لتلبسها.

بعد ذلك حكت له الصبية كيف خدعتها زوجة أبيها وابنتها حتى إسقاطها من العربة في النهر. وكان أول رجاء لها، إخراج أخيها رغينر من حفرة الأفاعي. وبعد أن حقق لها الملك هذا الرجاء، توجه إلى الغرفة التي تجلس فيها الساحرة العجوز

Twitter: @ketab_n

وسألها: «ماذا تستحق التي تفعل كذا وكذا؟» وروى أمامها حكاية الإوزة، فبدت وكأنها قد عميت بصيرتُها فلم تدرك ما وراء القصة، لذلك قالت: «إنها تستحق أن تُحشر عارية في برميل جدرانه الداخلية مليئة بالمسامير، وأن يجر البرميل حصانٌ عبر الدنيا كلها». فتم تنفيذ ما قالته بها وبابنتها السوداء. أما الملك فقد تزوج العروس البيضاء الجميلة، وأنعم على الأخ المخلص بمكافأة جعلته رجلاً ثرياً.

(١٣٦)

هانس الحديدي

في قديم الزمان كان هناك ملك، تتبع لمملكته غابة كبيرة مليئة بالحيوانات البرية من جميع الأنواع. وذات يوم أرسل الملك صياداً إلى الغابة ليصطاد له غزالاً، لكنه لم يعد، فقال الملك: «يُحتمل أن يكون قد تعرض إلى حادث ما»، وأرسل في اليوم التالي صيادَين للبحث عنه لكنهما لم يعودا أيضاً. في اليوم الثالث استدعى الملك جميع صياديه وأمرهم قائلاً: «مشطوا الغابة كلها، ولا تتوقفوا قبل أن تجدوا الثلاثة جميعهم». وفي هذه المرة أيضاً لم يعد أحد من مجموعة الصيادين ولا من كلاب الصيد التي رافقتهم.

ومنذ ذلك اليوم لم يجرؤ أحد على دخول الغابة التي بقيت هناك غارقة في عزلتها وهدوئها، وبين الحين والآخر كان الناس يرون نسراً أو عقاباً محلقاً فوقها. استمر هذا الحال عدة سنوات، إلى أن دخل على الملك صيادٌ غريب يطلب مؤونة وطلب الإذن لدخول الغابة الخطرة، لكن الملك لم يرغب في السماح له بذلك، قائلاً: «ثمة ما هو مريب هناك، وأخشى أن يصيبك ما أصاب الآخرين، فلا تعود منها. فأجابه الصياد: «سأجازف على مسؤوليتي يا صاحب الجلالة: وأنا رجل لا يعرف الخوف».

دخل الصياد إذن مع كلبه إلى الغابة. وبعد فترة قصيرة التقط الكلب رائحة طريدة وأراد اللحاق بها، لكنه ما إن ركض بضع خطوات حتى وجد نفسه أمام مستنقع صغير وعميق، فلم يستطع التقدم أي خطوة، وامتدت من الماء ذراع عارية أمسكت بالكلب وجذبته نحو الأسفل. عندما رأى الصياد ذلك، عاد إلى

Twitter: @ketab_n

القصـر وأحضر معه ثلاثة رجال مـع وعاءٍ لتفريغ ماء المستنقع. وعندما توصلوا إلى رؤيـة القصر شاهدوا رجلاً متوحشاً بني البشـرة بلون صدأ الحديد، وقد طال شعر رأسه حتى ركبتيه، وأوثقوه بالحبال واقتادوه إلى القصر.

استغـرب الناس حالـة الإنسان المتوحـش وامتلأوا دهشة، أمـا الملك فقد أمر بوضعـه في قفص حديـدي في فناء القصر، ومنـع أياً كان من فتـح القفص، مهدِّداً بعقوبـة الموت. وأمر الملكـةَ نفسها بالاحتفاظ بالمفتـاح. ومنذ ذلك الحين بات بوسع أي إنسان دخول الغابة آمناً.

كان للملـك ابـن فـي الثامنة من عمـره، وكان ذات يـوم يلعب في فنـاء القصر فتدحرجـت كرته الذهبيـة اللون إلى داخـل القفص الحديدي، فركض الفتى إلى القفص وخاطـب الرجل المتوحش قائلاً: «أعطني كرتـي!» فأجابه الرجل: «ليس قبل أن تفتح لي الباب». فقال الفتى: «لا، لقد منع الملك ذلك»، وغادر الفناء. لكنه عاد في اليوم التالي وطالب الرجل بكرته الذهبية، فقال له الرجل المتوحش: «افتح لي الباب!» لكن الفتى رفض.

فـي اليـوم الثالـث خرج الملـك إلى الصيـد، وجاء الفتـى مجدداً إلـى الرجل المتوحش وقال له: «حتى لو أردتُ، فإني لا أستطيع، لأن المفتاح ليس معي». فقال الرجل المتوحش: «المفتاح موجود تحت وسادةِ رأسِ أمك. يمكنك إحضاره من هناك». والفتى الذي كان راغباً في استعادة كرته، تناسى المحاذير والأوامر وأحضر المفتـاح. كان فتحُ بـاب القفص عسيراً، وقد انحشرت إصبـع الفتى أثناء ذلك بين قضبـان القفص. عندما انفتح البـاب خرج الرجـل المتوحش، نـاول الفتى كرته الذهبيـة وأسرع مغادراً. وفجـأة شعر الفتى بالخوف من جـراء فعلته فصاح: «أيها الرجـل المتوحش، أرجوك لا تهرب، وإلا فستكون عقوبتي الضرب». عاد الرجل المتوحش ورفع الفتى وأجلسه على كتفيه وغادر بخطوات سريعة إلى الغابة.

عندما عـاد الملك من الصيد لاحـظ القفص الفارغ، وسـأل الملكة عن تفسيرٍ لذلـك، لكنها لم تدرِ جوابـاً، وبحثت عن المفتاح فلم تجده فـي مكانه المعهود.

Twitter: @ketab_n

نـادت الفتى، فلم يجبها أحد، فأرسل الملك رجاله للبحث عنه في الحقول، لكنهم لـم يعثروا عليه، وعندها خمَّن الملك بسهولة كيف جرى الأمر، فساد البلاطَ حزنٌ كبير.

حينمـا وصل الرجل المتوحش إلى عمق الغابة المعتمة، أنـزل الفتى عن كتفيه وقـال له: «لـن ترى أباك وأمـك بعد الآن، لكننـي سأبقيك عنـدي لأنك حررتني ولأنـي أشفق عليك. إذا أطعتني في كل ما آمرك به، فستكون أحوالك على ما يرام. عنـدي من الكنوز والذهب أكثر مـن أي إنسان في الدنيا». رتّب للفتى مضجعاً من الأعشـاب لينام، وقاده في صباح اليوم التالي إلى نبـع ماء، وقال له: «أنت ترى نبع الذهب هذا صاف ونقي مثـل البلّور. عليك أن تجلس بجانبه وتحرسه كيلا يسقط فيه ما يعكره ويدنسه. سآتيك كل مساء لأرى إنْ نفذت أمري».

فجلـس الفتى على حافة النبع، وصار يرى فيـه أحياناً سمكة ذهبية أو ثعباناً مائياً ذهبيـاً، وكان متيقظاً لئلا يسقط فيه أي شيء. وبينما كان جالساً آلمته أصبعه بشدة، ومـن حيث لا يدري غطسها في مـاء النبع. سحبها من ثمة بسرعة، لكنه لاحظ أنها قـد صارت ذهبية تمامـاً. وبذل جهداً فائقـاً لإزالة الذهب عـن أصبعه، ولكن من دون جـدوى. مساء جاءه الرجل المتوحش أو هانس الحديدي وسأله: «ماذا جرى للنبع؟» فأجاب الفتى: «لا شيء، لا شيء»، وخبأ أصبعه وراء ظهره، كيلا يراه هانس الحديدي. لكن الرجل قال له: «لقد غطست أصبعك في ماء النبع: سأسامحك هذه المرة، ولكن إياك أن تكررها أو أن تدع شيئاً يسقط فيه».

جلـس الفتى منذ الصبـاح الباكر لحراسة النبـع، ولما آلمته أصبعـه ثانية أدخل أصابعـه كالمشط في شعـر رأسه، ولسوء حظـه سقطت شعرة في المـاء. أخرجها بسرعة، لكنها كانت قد صارت ذهبية. جاء هانس الحديدي مساء وعرف ما جرى فـوراً، وقال: «لقـد أسقطت شعرة في النبـع. سأسامحك هذه المرة أيضـاً. أما إذا حـدث شيء في المرة الثالثة، فمعنى ذلك أن النبع قد تدنس إلى الأبد، ولن تستطيع البقاء عندي بعد».

Twitter: @ketab_n

جلس الفتى في اليوم الثالث عند النبع دون أن يحرك أصبعه أبداً، على الرغم من أنها قد آلمته جداً، بيد أنه أحس بملل، فأخذ يتملى وجهه المنعكس على صفحة الماء. وصار يزداد انحناء، ليرى نفسه بوضوح أكبر، فسقط شعره الطويل عن كتفيه في الماء. اعتدل ونهض بسرعة كبيرة، لكن شعره كله كان قد صار ذهبياً، وأخذ يلمع تحت أشعة الشمس. لكن رعب الفتى كان هائلاً مما جرى، فتناول منديله من جيبه وغطى به شعر رأسه كيلا يراه هانس الحديدي، الذي كان عارفاً بما حدث عند وصوله، وقال له: «حلَّ غطاء رأسك!» فتدفق شعره الذهبي كالشلال، وحاول الفتى بكل الوسائل أن يعتذر، ولكن من دون جدوى. وأردف هانس قائلاً: «لقد أخفقت في الاختبار، ولا يمكنك البقاء هنا بعد. غادرْ الغابةَ إلى دنيا البشر، حيث ستختبر معنى الفقر وما يفعله بالناس. ولكن لأن قلبك نظيف، ولأني أريد لك الخير، سأسمح لك بأمر واحد: عندما تكون في أزمة، تعال إلى الغابة واهتف (يا هانس الحديدي)، فسآتي لنجدتك. سلطتي واسعة، أكثر مما تتصور، وعندي كميات كبيرة من الذهب والفضة».

غادر الأمير الغابة ماشياً على دروب ممهدة وأخرى غير ممهدة، حتى وصل إلى مدينة كبيرة. بحث فيها عن عمل فلم يجد، لأنه لم يكن قد تعلم شيئاً يساعده في تدبير أموره. وأخيراً دخل إلى قصر الملك وسأل إذا ما كانوا يرغبون فيه عندهم. لم تعرف حاشية القصر فيما يحتاجون إليه، لكن الفتى أعجبهم فاحتفظوا به. وأخيراً قبله طباخ القصر مساعداً لحمل الحطب والماء وكنس رماد الموقد.

وذات مرة لم يكن بين يدي الطباخ من مساعدين سواه، فكلفه بحمل المأكولات إلى المائدة الملكية، ولكن بما أن الفتى لم يكن يريد كشف شعره الذهبي أمام أحد، فقد أبقى قبعته على رأسه أمام الملك في سابقةٍ تحدثُ لأول مرة، فقال له الملك: «عندما تحضر إلى المائدة الملكية، يتوجب عليك خلع قبعتك». فأجاب الفتى: «لا أستطيع يا صاحب الجلالة، فهناك ندبة جرح بشعة على رأسي». فاستدعى الملك الطباخ وعنّفه مستغرباً كيف يقبل في خدمته مثل هذا الفتى، وأمره بطرده فوراً. لكن الطباخ أشفق على الفتى فاستبدله بابن البستاني.

Twitter: @ketab_n

صار عمل الفتى الآن في البستان الملكي، أن يزرع ويسقي ويغرق ويحفر وأن يحتمل عوامل الطقس السيئ. وفي أحد أيام الصيف القائظة، وكان يعمل وحده في البستان خلع قبعته ليُهوّي رأسه ويترد. عندما سقطت أشعة الشمس على شعره أخذ يتلألأ ويلمع، بحيث انعكست الأشعة على غرفة نوم الأميرة، فقفزت لترى ما الأمر. شاهدت الأميرة الفتى في البستان ونادته إليها قائلة: «يا فتى، احضر لي باقة زهور». فأسرع بلبس قبعته وقطف مجموعة من أزهار الحقل البرية وربطها في شكل باقة. وعندما صعد بها درج القصر صادف البستاني الذي أنبّه قائلاً: «كيف تأخذ للأميرة باقة من الزهور العادية؟ أسرع واستبدلها بأجمل الورود وأندرها». فأجاب الفتى: «لا، فالزهور البرية أشد عبقاً وستعجبها أكثر».

عندما دخل غرفتها قالت له الأميرة: «اخلع قبعتك، فلا يليق أن تبقيها على راسك في حضرتي». فكرر جوابه: «لا يجوز لي، لأن راسي مليء بقشور الجروح». لكنها مدت يدها وخلعت القبعة فانهمر شعره الذهبي على كتفيه في مشهد جميل مدهش. أراد الفتى الهروب، لكنها أمسكت بذراعه وأعطته حفنة من الدنانير الذهبية، فأخذها وغادر. لكنه لم يُبدِ اهتماماً بالذهب، بل أعطاه للبستاني قائلاً: «إني أهدي هذه الدنانير لأولادك ليلعبوا بها». في اليوم الثاني نادته الأميرة ثانية ليحضر لها باقة من الزهور البرية. عندما دخل حاملاً الباقة، مدت يدها إلى قبعته بسرعة لتخلعا، لكنه تمسك بها بكلتا يديه. منحته حفنة أخرى من الدنانير الذهبية، إلا أنه لم يرغب الاحتفاظ بها، فأعطاها للبستاني ليلعب أولاده بها. وفي اليوم الثالث أيضاً تكرر الأمر، فهي لم تستطع خلع قبعته عن رأسه، وهو لم يرغب الاحتفاظَ بذهبها.

بعد مدة من الزمن اجتاحت الحرب المملكة. جمع الملك جيشه وحشده في وجه العدد المتفوق عدةً وعتاداً، ولم يعرف إنْ كان سيصمد أمامه. وعندها قال فتى البستاني: «لقد كبرتُ ونموتُ وأريد أن أشارك في الحرب، أعطوني حصاناً». فضحك الآخرون وأجابوه: «بعد أن نغادر إلى المعركة، فتش لنفسك عن حصانٍ سنتركه لك في الاصطبل». دخل بعد مغادرتهم إلى الاصطبل وأخرج

Twitter: @ketab_n

الحصـان فوجده يعرج بإحدى قائمتيه الخلفيتين عرجـاً شديداً. وعلى الرغم من ذلك ركبه الفتـى اليافع واتجه نحو الغابة الكثيفة، وعندما بلغ حافتها هتف ثلاث مـرات: «يا هانس الحديدي!» وبصوت عالٍ رددت صداه الأشجار. وفوراً ظهر الرجل المتوحش وسأله: «ماذا تطلب؟» «أطلب فرساً قوياً لأني أريد أن أشارك في الحـرب». فأجابه هانس الحديدي: «لك هـذا وأكثر مما طلبت». ودخل الغابة مجـدداً. بعد قليل خرج من الغابة خـادم اصطبل ممسكاً بعنان فرس يضج نشاطاً وحيويـة، وخرج من ورائه حشـد من الفرسان المدرعيـن بالحديد والذين تلتمع سيوفهم في الشمس.

سلَّـم الفتى حصانه الأعـرج إلى خارج الاصطبل وركـب الفرس الآخر وقاد حشـد الفرسان. عندما اقترب من ساعة القتـال كان قسم كبير من رجال ملكه قد سقـط، ولم يبق إلا القليل ليتراجـع الباقون منهزمين. عندها هجـم الفتى بفرسانه المدرعيـن مثل عاصفة ماحقة علـى الأعداء فسحق كل من قاومـه، وهمَّ الباقون بالانسحاب، لكن الفتى لاحقهم ولم يُبقِ منهم أحداً. ولكن بدلاً من أن يتوجه إلى ملكـه عند نهاية المعركة، قاد حشده المدرع عبر دروب جانبية إلى الغابة الكثيفة ونادى هانس الحديدي، فخـرج إليه سائلاً: «ماذا تطلب؟» فقال له الفتى: «هاكَ فرسـك وفرسانَك مع الشكر. أعد إلي حصاني الأعرج». تم الأمر حسب رغبته، وعاد إلى القصر على حصانه الأعرج.

عندمـا وصل الملك إلى قصره استقبلته ابنتـه وهنأته بنصره، فقال لها: «لست أنـا مَـن حصـد النصر، بل فارسٌ غريب دخـل المعركة مع حشده مـن الفرسان المدرعيـن». أرادت الأميـرة أن تعرف من يكـون هذا الفارس، لكـن الملك لم يعـرف أيضـاً، وأردف قائلاً: «لقد لاحـق الأعداء، ولم أره بعدهـا ثانية». ذهبت الأميـرة إلـى البستاني وسألته عن الفتـى، فضحك وقال لها: «لقـد عاد للتو على الحصـان الأعرج، وقد سخر منه بقية الجنود قائلين (هاقد جاء أعرجنا إلى الديار) وسألـوه: (تحت أي سياج كنت نائماً أثنـاء المعركة؟» لكنه أجابهم: (لقد قدمتُ أفضل ما عندي، ولولاي لساءت أموركم). فسخروا منه مجدداً وأكثر مما سبق».

Twitter: @ketab_n

قال الملكُ لابنته: «أنوي أن أقيم مباراة فروسية كبيرة تدوم ثلاثة أيام، وعليك كل يوم أثناءها أن ترمي تفاحة ذهبية، فلعل الفارس الغريب يأتي ويشارك». عندما أُعلـن عن المباراة، خـرج الفتى إلى الغابة الكثيفة ونـادى هانس الحديدي الذي خـرج له سائلاً: «ماذا تطلب؟» فأجابه: «أن أُمسك تفاحةَ الأميرة الذهبية». فقال هانسـ: «اعتبر الأمر مقضياً، وسأزودك بثياب فارس حمراء وستركب فرساً أحمرَ كثعلـب». وفي الموعد المحدد تقدم الفتى إلـى المباراة مختلطاً بسائر الفرسان، فلم يعرفه أحد. تقدمت الأميـرة ورمت تفاحة ذهبية باتجاه الفرسان، فلم يمسك بها سواه، وانسحب بأقصى سرعة.

في يوم المباراة الثاني ألبسه هانس الحديدي زي فارس أبيض على فرس أبيض. ولثانـي مرة هو من أمسـك بتفاحة الأميرة، وللمرة الثانية يغـادر الحلبة بأسرع ما أمكنـه. غضب الملـك من سلوكه وقال: «هـذا لا يجوز. يجـب أن يمثُل أمامي ويذكـر اسمه». وأعطى أمره بملاحقة هذا الفارسـ إذا أمسك التفاحة وغادر من فوره، وإذا لم يعدْ من نفسه فليهاجموه ويطعنوه.

وفـي اليوم الثالـث حصل الفتى من هانس الحديدي علـى ثياب فارس سوداء وعلى فرس أدهم، وأمسك بالتفاحة من دون الآخرين، لكنه عندما انطلق مغادراً، لحـق بـه فرسان الملك، واقتـرب أحدهم منه جداً وتمكن من جـرح ساقه برأس سيفـه، بيد أنه نجا منهم. ولكن شدة ركض فرسه أسقطت خوذته عن رأسه، فرأوا أن له شعراً ذهبياً غير عادي، فعادوا إلى الملك وأخبروه بما جرى.

في اليوم التالي نزلت الأميرة إلى البستان وسألت البستاني عن الفتى، فقال لها: «إنه يعمل هناك، وهذا الشاب الغريب الأطوار حضر المباريات كلها ولم يعد إلي إلا مسـاء الأمس، وقـد أرى أولادي ثلاث تفاحات ذهبية فاز بها هناك». أخبرت الأميـرة أباها، فاستدعاه إليـه. مثَل الفتى أمامه وقبعته على رأسه ثانية، لكن الأميرة اتجهـت إليه ونزعتها عن رأسه فانهمر شعره الذهبي على كتفيه، وكان وسيماً إلى درجةِ إثارةِ الدهشة. سألـه الملك: «أنت الفارس الذي شاركَ في المباريات، كل

Twitter: @ketab_n

يــوم بثياب مختلفة، وأمسك بالتفاحات الذهبية الثلاث؟» فأجابه الفتى: «نعم أنا، وهــا هي التفاحات»، وأخرجها من جيبه وناولهــا للملك، وأردف: «وإذا أردتَ برهاناً آخر، فيمكنك رؤية الجرح الذي ألحقه أحد رجالك بساقي أثناء مطاردتهم لي. وفي الوقت نفسه أنا الفارس الذي ساعدك في الانتصار على أعدائك». فقال لــه الملك: «إذا كنتَ صاحب هذه الأعمال، فأنتَ لستَ صبي بستاني. أخبرني، مــن هو أبوك؟» فقال الفتى: «أبــي ملكٌ واسع السلطان، وعندي من الذهب وفرةٌ كبيرة، كل ما أطلبه أحصل عليه». فقال الملك: «إذن أنا مدين لك بالشكر، فماذا بوسعــي أن أقدم لك؟» فأجاب الفتــى: «أعطني ابنتَك زوجةً». فضحكت الأميرة وقالت: «لقد رفع الكلفــة مباشرةً، لكنني عرفت مسبقاً من شعره الذهبي أنه ليس بستانيــاً». وذهبت إليه وقبّلته. وعندما أقيمت حفلــة العرس جاء كل من أبيه وأمه مفعمين بالفرح والسعادة لرؤية ابنهما ثانية بعد أن فقدا الأمل من ذلك.

وبينمــا كان الجميــع جالســين إلى مأدبــة العرس، صمتت الموسيقــا فجأة، وفُتحت الأبواب ودخل القاعة ملكٌ وقور بصحبة حاشية واسعة، توجه إلى الفتى العريس فعانقه وقال له: «أنا هانس الحديدي الذي حوّلني السحر اللعين إلى رجل متوحش، لكنك بأفعالك خلصتني من السحر. إني أهبك كل ما أملك من كنوز».

Twitter: @ketab_n

(١٣٧)

ثلاث أميرات سوداوات

حاصـر الأعداء شرقي الهند ولم يريدوا فك الحصار عنها، إلا إذا حصلوا على ستمئة دينار ذهبي. فأعلـن المنادي في أنحاء المدينة على إيقاع الطبول المرافقة، أن مَـن يقدِّم المبلـغ يصبح حاكماً للمدينة. وكان هناك صيـاد سمك فقير يصطاد مـع ابنه في البحيرة، فجاء الأعـداءُ وأخذوا ابن الصياد أسيراً، وأعطوا الأبَ مقابلهُ ستمئـة دينـاراً. فذهب الأب إلى المدينـة وقدم المبلغ إلى سادتهـا، ففك الأعداءُ الحصـارَ وانسحبوا، وصار صيادُ السمك حاكماً، وأُعلن في المدينة أنَّ كلَّ من لا يخاطبه بلقب «أيها الحاكم» فسيشنق.

أمـا ابن صياد السمك فقد تمكن من النجاة مـن الأسر، ودخل إلى غابة كبيرة علـى جبل عالٍ. انشق الجبل ودخل ابن الصياد إلى قصر مسحور كل شيء فيه من كراسٍ ومناضـد ومقاعد مغطى بقماش أسود. ثم ظهرت له ثلاث أميرات ترتدين ثياباً سـوداء، وليس فيهن من بياض سوى صفحات الوجـوه. خاطبنه قائلات ألاّ يفـزع منهن لأنهن لن يلحقن به أي أذى، ولكن بمقـدوره أن يخلصهن من اللعنة السحريـة. فأجـاب الصياد: «بكل سرور، لـو أعرفُ فقط كيـف سأفعل ذلك». فأجبنه أن عليه طوال سنة أن لا يكلمهن وأن لا ينظر في وجوههن. وإذا كان راغباً فـي أمر ما، فعليه أن يصرّح بذلك، فإن كان لديهن جواب فلن يتوانين عن تقديمه لـه. وبعـد أن قضى مدة من الزمن في القصر صرَّح بأنـه راغب جداً بزيارة والده. فقالـت لـه الأميرات بأن هذا جائز جـداً، وليأخذ معه كيس النقـود هذا، وليلبس الثياب هذه، وعليه العودة إليهن بعد ثمانية أيام تماماً.

Twitter: @ketab_n

وفجـأة وجد نفسه يرتفع في الهـواء مسافراً إلى شرقي الهند. وعندما وصل لم يعثر على والده في كوخ الصيد، فسأل الناس عمّا جرى للصياد المسكين. فأجابه الناس بأنه لا يجوز له استخدام هذا اللقب وإلا فإنه سيُشنق. لكنه وصل أخيراً إلى أبيـه وسأله: «أيها الصياد، كيف توصلت إلى ما أنت فيه؟» فأجابه أبوه: «لا يجوز لك استخدام هذا اللقـب. إذا لاحظ سادة المدينة ذلك، فنهايتك على المشنقة». لكن الابن لم يرغب التخلي عن استخدام هذا اللقب لأبيه، فاقتيد إلى المشنقة.

وهنـاك خاطب سادة المدينة قائلاً: «اسمحوا لي أيها السادة بزيارة أخيرة إلى كـوخ الصيد القديم». وهناك لبـس رداءه القديم وخرج إلى السادة قائلاً: «أترون الآن أيها السـادة؟ ألستُ ابن الصياد الفقير؟ بهذا الرداء كنتُ أكسب القوت لأبي وأمـي». وعندها تعرفـوا عليه وطلبـوا منه المعـذرة وأخذوه معهم إلـى دار أبيه الجديـدة، حيث حكى للجميع مـا جرى معه: دخوله الغابة علـى الجبل العالي، انفتـاح الجبل ودخوله القصر المسحور، حيث كل شيء مغطى بالأسود، وحيث توجد الأميـرات الثلاث اللواتي كل شيء وفيهن أسـود سوى صفحات الوجوه، واللواتـي رجونه ألا يفزع منهـن، بل أن يخلصهن. وعندها قالت له أمه أنْ لا خير في هذا الأمر، وأن عليه أن يأخذ معه شمعة مقدسة ويقطر منها قطرات ساخنة على وجوههن.

عاد ابن الصياد إلى القصر المسحور وشعر بخوف شديد. لكنه قطر من الشمعة علـى وجوههن أثناء نومهـن، فصرن ثلاثتهن نصف بيضـاوات. لكنهن قفزن معاً وصحـن في وجهه: «أيها الكلب اللعين، دماؤنـا ستطالب بالانتقام منك! لم يعد فـي الدنيا الآن ولن يوجد مَن بوسعه أن يخلصنا! عندنـا ثلاثة أخوة أيضاً مغلولين بالأصفاد، سيمزقونك إرباً!» ثم تصاعدت صرخة من القصر كله، فقفز ابن الصياد مـن النافـذة وكسر ساقه. أما القصـر فقد انخفس في الأرض وانغلق الجبل على نفسه، ولم يعد يعرف أحد أين كان.

Twitter: @ketab_n

(١٣٨)

كنوشت وأبناؤه الثلاثة

بين بلدتي فيرل وزوشت سكن رجل اسمه كنوشت. كان عنده ثلاثة أبناء: أولهما أعمى، وثانيهما مشلول، وثالثهما عاري. كانوا يمشون مرةً عبر الحقول فرأوا أرنباً. الأعمى أطلق عليه النار والمشلول أمسكه والعاري وضعه في جيبه. ثم وصلوا إلى بحيرة شاسعة واسعة، فيها ثلاث سفن: أولهما تخر وتشر، وثانيتهما تغرق، وثالثتهما بلا سفل. وفي هذه الأخيرة التي بلا سفل ركب الثلاثة معاً، فأوصلتهم إلى غابة ضخمة هائلة، فيها شجرة ضخمة هائلة. في الشجرة هناك كنيسة ضخمة هائلة، وفي الكنيسة وقف شماس متشدد وقس متعصب يوزعان الماء المقدس على المصلين بالهراوات.

«رحم الله من نفدَ بجلده،

من ضربة الماء المقدس».

Twitter: @ketab_n

(١٣٩)

فتاة براكل

ذات يـوم ذهبت صبية من بلدة براكل إلى كنيســة القديسة آنّا، القرية من بلدة هينِنبــورغ. كانــت راغبة جداً في الـزواج من رجل بعينه، ولأنهـا كانت تظن أن الكنيسة فارغة، إلا منها، فقد رفعت عقيرتها بالدعاء:

«آه أيتها القديسة آنّا الطاهرة،

ساعديني في الحصول على الرجل سريعاً.

أنت تعرفينه جيداً:

الذي يسكن عند بوابة سوثمر،

ذو الشعر الأشقر،

لا شك أنك تعرفينه جيداً!»

بيــد أن شماس الكنيســة كان واقفاً وراء المذبح وسمــع دعاءها، فقال بصوت كالنعيــق: «لن تحصلي عليه! لن تحصلي عليه!» فظنــت الصبية أن ما سمعته كان صــوت طفل مريم الـذي تحمله بين ذراعيها، فانزعجــت وصاحت به: «اسكت أيها الصغير الغبي، ودع أمّك تتكلم!».

Twitter: @ketab_n

(١٤٠)

الخادمة

إلى أين أنتِ ذاهبة؟

إلى فالية.

أنا إلى فالية، أنت إلى فالية، إذن سنذهب سوية معاً. هل أنت متزوجة؟

ما اسم زوجك؟

اسمه تشام.

زوجي تشـــام، زوجك تشام، أنا إلى فالية، أنتِ إلـــى فالية، إذن سنذهب سوية معاً. هل عندك ولد؟ ما اسمه؟

ولدي اسمه غريند.

ولدي غرنيد، ولدك غريند، زوجي تشام، زوجك تشام، أنا إلى فالية، أنت إلى فالية، إذن سنذهب سوية معاً. هل عندك مهد هزار؟ ما اسمه؟

مهدي اسمه أرجوحة.

مهدي أرجوحة، مهدك أرجوحـــة، ولدي غريند، ولدك غريند، زوجي تشام، زوجـــك تشام، أنـــا إلى فالية، أنتِ إلـــى فالية، إذن سنذهب سويـــة معاً. هل عندك خادم؟ ما اسمه؟

Twitter: @ketab_n

خادمي اسمه مساعد؟

خادمــي مساعد، خادمك مساعــد، مهدك أرجوحة، مهــدي أرجوحة، ابني غريند، ابنك غريند، زوجي تشام، زوجكِ تشام، أنا إلى فالية، أنتِ إلى فالية، إذن سنذهب سوية معاً.

Twitter: @ketab_n

(١٤١)

الحمل والسمكة

كان هناك أخ وأخت صغيران يحبان بعضهما من كل قلبيهما. كانت أمهما قد توفيت، وباتا يعيشـان برعاية زوجة أبيهما، التي لم تكن طيبة تجاههما، وتحاول خفية إيذاءهما ما أمكنها ذلك.

وذات يـوم كان الطفـلان يلعبان مـع أطفـال آخرين في المرج قـرب البيت، وبجانـب المرج كانت هنـاك بركة تمتد حتى بيتهما. فـكان الأطفال يتراكضون هناك ويلعبون لعبة التعداد:

"ملاكي، يا ملاكي دعْني أعيش،

وسأعطيك طيري حلوَ الريش،

طيري الذي يجمع لي العشب.

للبقرة سأقدم العشب،

والبقرة ستعطيني الحليب،

للخباز سآخذ الحليب،

والخباز سيصنع لي الفطائر،

لقطتي سأطعم الفطائر،

Twitter: @ketab_n

وقطتي ستصطاد لي الفئران،

وفي الدخان سأعلق الفئران،

كلما أمسكت بواحدة."

كانوا يقفون في شكل حلقة وهم يعددون، ومَن تقع عليه عبارة "أمسكت بواحدة" كان عليه أن يركض، فيلاحقونه حتى يُمسكوا به.

وفيما هما يلعبان بحبور وسعادة، رأتهما زوجة أبيهما من نافذة البيت فانزعجت. وبما أنها تتقن ألاعيب السحر فقد سحرتهما، فتحول الأخ إلى حمل والأخت إلى سمكة. أخذت السمكة تسبح في البركة جيئة وذهاباً وهي حزينة، بينما أخذ الحمل يجول في المرج على ضفة البركة حائراً وحزيناً من دون أن يأكل عشبة واحدة.

وبعد مرور مدة من الوقت جاء إلى زوجة الأب ضيوف قادمين من سفر، فقالت الشريرة في نفسها: «ها هي الفرصة قادمة على قدميها»، ونادت الطبّاخ وأمرته: «أحضر الحمل من المرج واذبحه، إذ ليس لدينا سواه لنقدمه لضيوفنا». ذهب الطباخ إلى المرج وساق الحمل أمامه إلى المطبخ، حيث ربط قوائمه إلى بعضهما، والحمل صابر على كل شيء. وعندما أخرج الطباخ سكينه وشحذها على حجر العتبة، ليذبح بها الحمل، رأى الحملُ سمكةً تسبح في مجرى مياه المطبخ وهي ترفع رأسها وتنظر إليه. كانت السمكةُ أختَه وقد رأت الطباخ يسوقه من المرج فتبعته سابحةً إلى مجرى مياه البيت. فخاطبها الحمل من على طاولة الذبح قائلاً:

«آه يا أختي في عمق المياه،

كم يؤلمني قلبي، يا ويلاه!

Twitter: @ketab_n

الطباخ يشحذ السكين،

ودمي سيسيل على الطين».

فأجابته السمكة من تحت:

«آه يا أخي الغالي في غلاك،

قلبي تحت، ينفطر ألماً لمرآك!»

عندما سمع الطباخ كلمات الحمل التي تقطر ألماً ارتعب وأدرك أنه لا يمكن أن يكون حملاً طبيعياً، بل مسحوراً من قبل تلك المرأة الشريرة في البيت، فقال له: «اطمئن، أنا لن أذبحك»، وأخذ حيواناً آخر وجهزه لطعام الضيوف، وأخذ الحملَ إلى فلاحة طيبة في الجوار، وحكى لها كل ما رآه وسمعه.

كانت هذه الفلاحة لحسن الحظ إشبينة الأخ الصغير، وخمنّت بسرعة حقيقة الحمل، فأخذته معها إلى امرأة حكيمة ألقت بركاتها على الحمل والسمكة فاستعادا هيئتهما البشرية، ومن ثمة أخذتهما الفلاحة الطيبة إلى كوخ صغير في الغابة الكبيرة، حيث عاش الأخوان وحدهما في سلام وسعادة.

Twitter: @ketab_n

(١٤٢)

جبل سيمِلي

في قديم الزمان عاش أخوان، أحدهما فقير والثاني ملآن. لكن الغني لم يساعد الفقير أبداً. وكان ربح الفقير من بيع الطحين شحيحاً غالباً، لا يسد رمق زوجته وأولاده، وذات مرة كان يعبر الغابة على عربته، فشاهد على جانب الدرب جبلاً كبيراً أقرع. ولأنه لم يره هناك سابقاً توقف وأخذ يتفحصه مستغرباً.

وفي أثناء وقوفه رأى اثني عشر رجلاً ضخماً قادمين، ولأن منظرهم أوحى له بأنهم قطاع طرق، فقد دفع عربته إلى داخل الدغل وتسلق شجرة منتظراً ما سيحدث. توجه الرجال الإثنا عشر نحو الجبل مباشرة، توقفوا وهتف أحدهم: «افتح يا جبل سِمْسي، افتح يا جبل سِمْسي!» وللتو انفتح الجبل الأقرع من منتصفه. دخله الرجال، ولمّا غابوا فيه انغلق وراءهم بعد فترة قصيرة انفتح الجبل ثانية وخرج منه الرجال حاملين على ظهورهم وأكتافهم أكياساً ثقيلة. ولما صاروا كلهم في وضح النهار ثانية هتف أحدهم: «سكّر يا جبل سمسي، سكّر يا جبل سمسي!» فانغلق الجبل على نفسه ولم يعد هناك أي أثر للفتحة، وغادر الرجال الإثنا عشر المكان، ولما غابوا عن نظره كلياً، نزل الفقير عن الشجرة وقد ملأه الفضول ليعرف أي سكر يكمن داخل الجبل.

فتوجه نحوه وردد: «افتح يا جبل سمسي، افتح يا جبل سمسي!» فانفتح له الجبل. دخل الفقير ليجد أن الجبلَ من الداخل مغارةٌ واسعة مملوءة بالفضة والذهب وبأكوام كبيرة من اللآلئ والأحجار الكريمة اللّماعة المتراكمة فوق بعضها كالحبوب. احتار الفقير في أمره ولم يدر إنْ كان يجوز له أن يأخذ شيئاً من

Twitter: @ketab_n

هذه الكنوز، لكنه حزم أمره أخيراً وملأ جيوبه من الذهب. أما اللآلئ والأحجار الكريمة فلم يقربها. عندما خرج ثانية كرر: «سكّر يا جبل سمسي، سكّر يا جبل سمسي!» وبعد أن انغلق الجبل، ركب الرجل عربته وعاد إلى داره. ومنذ تلك الحين زالت همومه وصار بإمكانه أن يوفّر بالذهب لعائلته الخبز والنبيذ أيضاً، وعاش مسروراً، صادقاً في تعامله مع الناس، متصدقاً على المحتاجين.

ولكن عندما انتهى الذهب زار أخاه واستعار منه مكيال الحبوب، ثم ذهب إلى المغارة وملأه ذهباً ثانية، ولكن أيضاً من دون أن يقرب الكنوز الكبيرة. وفي المرة الثالثة عاود استعارة المكيال من أخيه الغني، الذي بات يحسده منذ مدة على تحسن أحواله والثراء الذي حققه، لكنه لم يفهم من أين جاءت الثروة وماذا يفعل بالمكيال. ففكر بحيلةٍ تكشف له الأمر، فدهن قعر المكيال بالقطران وأعاره له. وعندما أعاده الأخُ الفقير وجد الغني قطعةَ ذهبٍ ملتصقة بقعر المكيال، فذهب من فوره إلى أخيه وسأله: «ماذا كنت تقيس بالمكيال؟» فأجابه: «قمحاً وشعيراً». فأراه الغني قطعة الذهب وهدَّده، إنْ لم يقل الحقيقة، بأن يبلغ القاضي عنه.

فأخبره الفقير الطيب بكل شيء مثلما جرى. ومن فوره أمر الأخ الغني بتجهيز عربة ركبها إلى الجبل عازماً على استغلال الفرصة أفضل من أخيه، بأن يأخذ من لنفسه من الكنوز الأخرى. حينما وصل إلى الجبل الأقرع، هتف: «افتح يا جبل سمسي! افتح يا جبل سمسي!» فانفتح الجبل ودخل الرجل ليرى أمامه أكوام الكنوز الهائلة، فاحتار طويلاً بأي كومة يبدأ. لكنه أخيراً ملأ من الجواهر ما يستطيع حمله وأراد الخروج، ولكن لانشغال عقله وقلبه بالكنوز انشغالاً تاماً، نسي اسم الجبل، فهتف: «افتح يا جبل سيملي! افتح يا جبل سيملي!» وبما أنه ليس الاسم الصحيح، لم يستجب له الجبل ولم يفتح، فخاف وأحس بالذعر، وكلما أطال التفكير بالأمر، ازدادت أفكاره اضطراباً، ولم تسعفه كل الكنوز من حوله بأي حل.

عند المساء انفتح الجبل ودخل اللصوص الإثنا عشر، وعندما رأوه ضحكوا

Twitter: @ketab_n

وصاحـوا به: «أخيراً وقعت فـي أيدينا أيها الطائر. أتظنُ أننـا لم نعرف بدخولك مرتيـن سابقـاً؟ لكننا لم نستطـع الإمساك بك، أما الثالثة فهـي الثابتة، ولن تخرج بعدها من هنـا». فصاح الغني: «لست أنا، إنه أخي» وأخذ يرجو ويطلب الرحمة والمغفرة، ولكن من دون جدوى، فقد قطعوا رأسه(ط).

ط – يلاحظ القارئ في هذه الحكاية تأثير حكاية "علي بابا والأربعون حرامي" من "ألف ليلة وليلة" التي يعود تداولها في أوروبا شفهياً إلى مطلع القرن الخامس عشر.

Twitter: @ketab_n

(١٤٣)

حُب السفر

كان هناك في قديم الزمان امرأة فقيرة، عندها ابن لديه رغبة شديدة بالسفر، فقالت له أمه: «كيف تسافر وليس معنا نقود لتأخذها معك؟» فأجابها: «سأدبر أمري. سأقول دائماً: لا تُكثِّر، لا تُكثِّر، لا تُكثِّر».

مشى الفتى مسافة طويلة وهو يردد: «لا تُكثِّر، لا تُكثِّر، لا تُكثِّر». وفي طريقه صادف صيادَي سمك، فقال لهما: «كان الله في عونكما! لا تُكثِّر، لا تُكثِّر، لا تُكثِّر». فقال الصيادان باستغراب: «ما بالك يا فتى تقول لا تُكثِّر؟» وسحبا الشبكة فإذا بها خالية تقريباً. عندها هجم عليه أحدهما بعصاه وهو يقول: «الآن ستحصل على الكثير». فسأل الفتى متألماً: «وماذا يجب أن أقول إذن؟» فأجابه الصياد: «قل: كثِّر، كثِّر،»

تابع الفتى طريقه وهو يردد: «كثِّر، كثِّر»، إلى أن وصل إلى مشنقة، كان رجال القاضي سيعلقون منها رجلاً شريراً. فقال الفتى: «نهاركم سعيد. كثِّر، كثِّر». فأجابه الجلاد: «ما بالك يا فتى تقول كثِّر، كثِّر؟ أتتمنّى وجود مزيد من الأشرار في عالمنا؟ ألا يكفيك ما نحن فيه؟» وضربه عدة ضربات على ظهره. فسأل الفتى: «وماذا يجب أن أقول إذن؟» فأجابه: «قل: رحمه الله».

وفي طريقه مر برجل يسلخ جلد حصان إلى جانب خندق، فقال له الفتى: «نهارك سعيد، رحمه الله!» فأجابه السَلاّخ: «وماذا تقول يا غبي؟» وضربه

Twitter: @ketab_n

بمؤخرة الخطاف على نقرته ضربة دوَّخته، فسأل السلاخَ: «وماذا يجب أن أقول إذن؟» فأجابه: «قل: إلى الجورة يا جحش».

وعلى الطريق أخذ الفتى يردد: «إلى الجورة يا جحش، إلى الجورة يا جحش!» فمرت به عربة محملة بالركاب، فقال للحوذي: «نهارك سعيد، إلى الجورة يا جحش!» فانحرفت العربة وانقلبت في خندق بجانب الطريق، فتناول الحوذي السوط وساط به الفتى بشدة اضطرته إلى العودة إلى دار أمه. ومنذ ذلك الحين لم يعد يفكر بالسفر أبداً.

Twitter: @ketab_n

(١٤٤)

الحمار الصغير

عاش في قديم الزمان ملك وملكة في ثراء وبحبوحة، لا ينقصهما شيء سوى الأولاد. وكانت الملكة تتذمر من ذلك وتشكو نهاراً وليلاً قائلة: «أنا مثل حقل لا ينبت فيه شيء». ولكن أخيراً حقق الله رغبتها فحملت. وعندما نزل الجنين من رحمها، لم يكن يشبه البشر، بل كان حماراً صغيراً. وعندما وقع عليه نظر أمه أخذت تولول وتبكي وتقول: «ليتني بقيت عاقر بدلَ أن أنجب حماراً، وتقول: «لا بد من رميه في البحر لتفترسه الأسماك». لكن الملك قال: «لا، بما أنه هبة الله فسيبقى ابني ووريثي، وسيجلس على العرش بعد موتي ويلبس تاج المُلك».

وهكذا بقي الحمار الصغير موضع رعاية، فنما وكبر وطالت أذناه وبقيتا دوماً منتصبتين. وكان الحمار الصغير مرحاً فرحاً يحب اللعب، وأبدى شغفاً بالاستماع إلى الموسيقا، إلى حد أن ذهب إلى عازفٍ شهيرٍ وقال له: «علمني فنَّك كي أتقن العزف على العود مثلك». فأجابه العازف: «آه يا سيدي الصغير، سيكون الأمر عسيراً جداً، فأصابعك لم تُخلق للعزف، ثم إنها كبيرة جداً. أخشى أن الأوتار لن تحتملها». لم يقبل الحمار الصغير أي عذر، وكان لا بد من أن يتعلم العزف. وبما أنه كان مصراً ومثابراً توصل أخيراً إلى اتقان العزف مثل معلمه.

وذات يوم خرج السيد الصغير يتمشى وهو يفكر، فمر ببئر مليء، فألقى نظرة على صفحة الماء ورأى هيئته الحمارية. اغتم السيد الصغير وأصابه الكرب وغادر القصر إلى دنيا الله الواسعة ولم يأخذ معه سوى مرافق مخلص. فجالا

Twitter: @ketab_n

هنا وهناك إلى أن وصلا إلى مملكة عجوز، عنده ابنة وحيدة فائقة الجمال. قال الحمار الصغير: «سنبقى هنا»، وقرع بوابة القصر وهو يقول: «هناك ضيف على بابكـم، افتحوا له ليدخل». وعندما لم يُفتح لـه الباب، جلس وأخذ يعزف على عوده بقائمتيه الأماميتين ألحاناً لطيفة جميلة. امتلأ حارس البوابة دهشة وركض إلـى الملك وقال لـه: «على عتبة البوابة يجلس حمار شـاب ويعزف على العود كأي عازف بارع». فقال له الملك: «هكذا، دعْ الموسيقيّ يدخل إذن». ولكن عندمـا دخل القاعـةَ الملكية حمارٌ فتـي أخذ جميع أفـراد الحاشية يضحكون. أوعـز الملك بأخذ الحمار ليأكل مع خدم القصـر، لكن الحمار امتعضَ واحتج قائـلاً: «أنا لست حمارَ اصطبل عادي، بـل مِن عليّةِ القوم». فقالوا له: «إذا كان الأمـر كذلك فاجلس مع المقاتلين إذن!» فقال الحمـار: «لا، بل أريد الجلوس مـع الملك». ضحك الملك وقال بودٍ ولطـف: «طيب، كما تشاء، أيها الحمار الفتي، تعال إلى جانبي». ثم سأله: «ما رأيك بابنتي أيها الحمار؟» التفت الحمار إلى الأميرة، وتملّى وجهها، وهز رأسه قائلاً: «إنها خارقة، لم يسبق لي أن رأيت مثـل جمالها». فقال الملك: «إذن، اجلس إلى جانبهـا!» فقال الحمار: «ونِعم المـكان» وجلس إلى جانـب الأميرة، فأكل وشرب وتصـرف بتهذيب وأناقة. وبعـد أن أمضى الحمار الأكابر مدةً مـن الوقت في بلاط الملك، قال في نفسه: «ما فائدة هذا كله، لا بد أخيراً من أن تعود إلى ديارك».

وتقدم من الملك منكّـس الرأسِ حزيناً وطلب إذنه بالانصراف. لكن الملك كان قـد تولَّع به، فقال لـه: «ما بكَ أيها الحمار الفتي؟ تبـدو كمن أصابه مغصٌ شديد. ابقَ عنـدي، سأعطيك كل ما تشاء. أتريد ذهبـاً؟» فأجابه الحمار الفتي: «لا» وهز رأسه نفياً. فتابع الملك: «أتريد درراً ومجوهرات؟» فأجاب الحمار: «لا، لا»، فسألـه الملـك: «أترغـب بنصف مملكتـي؟» «لا يـا سيدي»، فقال الملـك: «أتريد ابنتي؟» فأجاب الحمار: «يا ليتْ، كم أرغب في ذلك»، وفجأة تبدى على وجهه الفرح والسرور، فقد كان هذا هو ما يرغب فيه تماماً، فأقيمت في القصر حفلة عرس ضخمة وفخمة.

Twitter: @ketab_n

ومساءً عندما توجه العريس والعروس إلى غرفة النوم، أراد الملك أن يطمئن إلى أن سلوك الحمار سيكون مهذباً ولائقاً، فطلب من أحد خدمه أن يختبئ هناك. وحالما صار كلاهما داخل الغرفة، أوصد العريس الباب وتلفت يميناً وشمالاً، وعندما اقتنع أنهما وحدهما تماماً، خلع عن نفسه دفعةً واحدة جلد الحمار ووقف هناك كأمير جميل، وقال للأميرة: «ها أنتِ ترين من أكون، وأني أليق بك زوجاً». ففرحت العروس وقبّلته وأحبته. عندما انبلج النهار الجديد قفز من السرير ولبس جلد الحمار بحيث ما كان لمخلوق أن يكتشف ماذا يخفي تحته. وسرعان ما جاء الملك وهو يقول: «يا سلام، هل استيقظ الحمار الصغير؟» والتفت إلى ابنته قائلاً: «هل أنت حزينة، لأنك لم تتزوجي إنساناً طبيعياً؟» فأجابته الأميرة: «لا، بتاتاً، يا أبي الحبيب. إني أحبه وكأنه أجمل المخلوقات، وسأبقى متعلقة به طوال حياتي». اندهش الملك واستغرب كلامها، لكن خادمه الذي كان مختبئاً في الغرفة جاءه وأخبره بكل ما رآه، فقال الملك: «يستحيل أن يكون هذا حقيقة» فأجابه الخادم: «اصحَ إذن بنفسك الليلة القادمة، لترى بأم عينيك. ولديّ اقتراح يا جلالة الملك: خذ معك جلد الحمار وارمه في النار. عندها سيكون مضطراً إلى الظهور في هيئته الحقيقية». فأجاب الملك: «فكرتك جيدة يا رجل».

ومساءً بعدما ناما في غرفتهما، تسلل الملك إلى الداخل، وعندما اقترب من السرير رأى في ضوء القمر شاباً أميراً غافياً في سلام، وجلد الحمار مكوماً على الأرض. حمل الملك الجلد وخرج، وأمر بإيقاد نارٍ هائلة ورماه فيها، وبقي واقفاً هناك إلى أن أكلته النار وصار رماداً. ولأنه أراد أن يعرف سلوك العريس حال اكتشافه الأمر، بقي ساهراً وأذناه مُنصِتتين.

عندما استيقظ الشابُ مع أولى أشعة الصباح، نهض ليرتدي جلد الحمار، لكنه لم يجده في أي مكان في الغرفة، ففزع وقال حزيناً خائفاً: «لا بد لي الآن من أن أهرب». وعندما غادر الغرفة وجد أمامه الملك الذي خاطبه قائلاً: «يا بني، إلى أين بهذه السرعة؟ ماذا تنوي أن تفعل؟ ابق هنا. إنك شاب وسيم،

Twitter: @ketab_n

ولا يجـوز أن تتركنـا. سأمنحـك الآن نصف مملكتي، وبعد موتـي تصير كلها لك». فقال الشاب: «أتمنى إذاً خاتمـةً سعيدةً للبداية السعيدة. سأبقى معكم». منحـه الملك العجوز نصف مملكته، وبعد سنة توفي الملك فحصل الأمير على النصف الثاني. وبعد وفاة والديه ورث مملكة أخرى وعاش في عظمة وبهاء.

Twitter: @ketab_n

(١٤٥)

الابن العاق

ذات يـوم جلس رجل وامرأته أمام باب الـدار ليتناولا دجاجة مشوية وضعاها أمامهمـا. وإذا بالرجل يـرى أباه قادماً من بعد، فرفع الدجاجـة وأخفاها بسرعة، لأنه لم يسْخَ بشيء منها لوالده. وصل العجوز، شرب جرعةً وتابع طريقه. وعندها أراد الابـن أن يعيد الدجاجة المشوية إلـى الطاولة، لكنه عندما مدَّ يده إليها كانت قد تحولت إلى ضفدع كبيرة، قفزت عالياً وجلست في منتصف وجهه وثبتتْ في مكانهـا لا تغادرُ مهما حاول. وإذا حاولَ أحدٌ مساعدته في نزعها، كانت تحدِّق فيـه بنظرات تنفث سمـاً وكأنها ستقفز على وجهه، فلم يجـرؤ أحد على لمسها. فـكان على الابن العاق أن يُطعـم الضفدع يومياً، وإنْ قصَّر في ذلك كانت تفترس وجهه، فقد الرجل راحته حتى نهاية أيامه.

Twitter: @ketab_n

(١٤٦)

حبة اللفت

فــي قديم الزمان عاش أخوان كانا متطوعين في الجيش الملكي. أحدهما كان ميســوراً، والثاني معدماً. ولذلــك أراد المعدم أن يحسّن مــن وضعه، فتخلى عن البــذة العسكرية وتحول إلى فلاح، فعمل في أرضــه الصغيرة حرثاً وعزقاً، وزرعَ بذور اللفت. أنتشت البذور، ونمت عنده حبةُ لفتٍ أخذت تكبر وتقوى وتسمن بصــورة لافتة، ولم تتوقف عــن النمو حتى باتت تستحق لقــبَ ملكةِ اللفت، فلم يسبــق لأحــد أن رأى حبة لفت بهذا الحجم، ولن يرى أحــد في المستقبل مثلها. وفــي نهاية المطــاف بلغتْ حجماً ملأتْ معــه وحدَها عربةً بكاملهــا تحتاجُ إلى ثورين قويين لجرها.

احتار الفلاح في أمرها ولم يدر كيف يتصرف، ولم يدر ما إذا كانت ستجلبُ له الحظَ أم النحس. وأخيراً قال في نفسه: «إذا بعتُها في السوق، فلن أحصل على ما يوازي حجمها. وإذا أردتُ أكلها، فالحباتُ الصغيرة تفي بالغرض وهي بالطعم نفسه. أفضلُ حلٍ هو أنْ أقدمها هديةً إلى الملك».

فحملها على العربة التي شد إليها أربطة ثورين وأخذها إلى القصر وأهداها إلى الملك. تساءل الملك: «ما هذا الشيء الغريب العجيب. لقد رأتْ عيناي كثيراً من الأشيــاء العجيبة، ولكن ليسَ مثل هــذا الحجم الهائل. من أي بذورٍ نمت يا ترى؟ أم أنَّ الأمــرَ لا يحــدثُ إلا معــك لأنك ابن حظ!» فأجابه الفــلاح: «لا يا سيدي، لســت محظوظاً ولا مبروكاً. أنا جندي فقير خلع بذتــه لأن الراتب لا يطعمُ خبزاً واتجــه إلى الزراعة. عندي أخ غني، تعرفونه يا صاحب الجلالة، أما أنا الفقير فقد

Twitter: @ketab_n

تناسته الدنيا كلها». فأشفق عليه الملك وقال: «ستخلع عنك رداء الفقر أيضاً، فسأمنحك ما يجعلك تساوي أخاكَ ثراءً». وأهداه كمية من الذهب والحقول والمروج والقطعان وجعلته من كبار الأثرياء، ففاقَ ثروة أخيه بما لا يقارَن.

عندما وصل إلى سمع الأخ الغني ما جرى مع أخيه الفقير نتيجة حبة لفت واحدة، حسده وفكر بطريقة توصله إلى مثل حظ أخيه. لكنه أراد أن يسلك طريقاً أكثر ذكاء من أخيه، فأخذ ذهباً وخيولاً وأهداها إلى الملك، وفي ظنّه أن الملك سيكافئه بهدية أكبر بكثير. فإذا كان قد أهدى أخاه كل ذلك مقابل حبة لفت واحدة، فماذا ستكون مكافأته له مقابل هذه الأشياء الفاخرة! قبِلَ الملك الهدية قائلاً إنه كمقابل لها، لا يعرف ما هو أندر وأفضل من حبة اللفت الهائلة.

وهكذا اضطر الأخُ الغني إلى تحميل حبةِ لفتِ أخيه على عربةٍ وأخذَها إلى داره، حيث لم يجد أمامه مَن يفشّ فيه خلقَه ويفجر غضبه، إلى أن راودته أفكار خبيثة، فقرر أن يقتل أخاه، واستخدم مجموعة من المجرمين لينصبوا له كميناً. وبناء على ذلك ذهب إلى أخيه وقال له: «أعرفُ يا أخي العزيز مكانَ كنزٍ خفي، فلنستخرجه ونتقاسمه معاً».

راقت الفكرة للأخ الثاني فرافقه من دون أية شكوك. ولكن ما أن خرجا إلى الطريق حتى هجم القتلةُ عليه واوثقوه عازمين على شنقه إلى شجرة. وفيما هم منهمكين، وصل إلى سمعهم صوت غناءٍ عالٍ يقتربُ ممزوجاً بوقع حوافر خيل، فارتعبوا وفزعوا وأسرعوا في وضع أسيرهم في كيس، علقوه على غصن وولوا الأدبار. جاهدَ الأسيرُ في الكيس حتى تمكن من مد رأسه من ثقب فيه، ولم يكن القادم على الطريق سوى طالبٍ فتيّ يغني فرحاً على جواده عبر الغابة نحو الطريق. عندما لاحظ المعلّق فوق، أنّ هناك من يعبر تحته قال: «أهلاً بك في وقتك». تلفت الطالب حوله، لكنه لم يتعرف على مصدر الصوت، فقال أخيراً: «من يناديني؟» فجاءه الجواب من فوقه: «ارفع عينيك، إني أرقدُ هنا في كيس الحكمة: خلال فترة قصيرة تعلمتُ أشياء كثيرة لا تزوّدك بها أي مدرسة. بقي

Twitter: @ketab_n

عليّ القليل لأختم العلم وأتخرج، فأكونُ أكثر حكمةً من الناس أجمعين. لقد بتُّ أفهم النجـوم والأبراج وحركات الرياح ورمال البحار وشفاء الأمراض وقد رأت الأعشاب والطيور والحجارة. لو أنك تدخل كيس الحكمة مرةً، لشعرتُ بالروعة التـي تتدفق منه». اندهش الطالب مما سمعه، وقال: «بوركتْ الساعةُ التي عثرتُ فيهـا عليك. ألا يمكنني أن أدخـل في الكيس قليلاً؟» فأجابه من الأعلى، وكأنه لا رغبـة حقيقة لديه في ذلـك: «سأسمح لك لبرهة فقط، لقاء أجـرٍ وتقريظ. ولكن عليك الانتظار ساعةً بعدْ، فما زال أمامي فصلٌ لا بد لي من دراسته». بعد أن انتظر التلميـذ فترة قصيرة شعر بالملل، فكرر رجاءه بالسمـاح له بالدخول في الكيس، لأن عطشـه إلى الحكمة لا حدود له. عندها تظاهـر المعلّق في الأعلى بالرضوخ وقال: «لكي أتمكن من الخروج من بيت الحكمة، عليك أن تُدلي الكيسَ بالحبل نحو الأرض، ومن ثمة تستطيع أنت الدخول».

فأنزل الطالب الكيس وفكّ فتحته وحلّ وثاقه ثم صاح: «والآن ارفعني بسرعة إلـى الأعلـى». عازماً على دخـول الكيس واقفـاً. فقال له الرجـل: «ما هكذا!» وأمسكَ به من رقبته ودكّه في الكيس بالمقلوب، ثم ربطَ فتحته وشدّ الحبلَ رافعاً طالـبَ الحكمة نحو غصن الشجـرة. أرجحه في الهواء قليلاً ثـم قال له: «كيف حالـك يا صديقي العزيز؟ قريبـاً جداً ستشعر بتسربِ الحكمـةِ إليك، فاستفِدْ من التجربـة وابق هادئـاً في مكانك حتى تصبـح أكثر ذكاء». ومـن ثمة ركب جواد الطالب وغادر. لكنه بعد نحو ساعة أرسل أحدهم ليُنزله ويحرره.

Twitter: @ketab_n

(١٤٧)

عن النار التي جعلت الشيخ شاباً

في الأيام الغابرة، عندما كان الرب يتجول بين الناس على وجه البسيطة، دخل ذات مساء مع القديس بطرس دار حداد، فرحب بهما الحداد بحرارة للمبيت عنده. وصادف أن متسولاً معدماً في أرذل العمر قد دخل على الحداد ورجاه بضعة قروش. أشفق بطرس على الشيخ وقال: «سيدي ومولاي، إنْ كنتَ راغباً، اشفه من عجزه ليتمكن من كسب قوته بنفسه»، فقال الرب للحداد بصوت حليم: «أعرني كورك أيها الحداد وضع لي بعض الفحم، لأعيد هذا الشيخ العليل شاباً سليماً». أبدى الحداد استعداده الكامل، وأمسك القديس بطرس بمنفاخي الكور. وعندما توهجت نار الفحم وتأججت، أمسك الرب بالشيخ المحني الظهر ودفعه في الكور إلى وسط النار الحمراء المتقدة حتى توهج مثل غصن الورد والربُ يباركه بصوت مسموع. ثم تقدم الرب من حوض الإطفاء وسحب الشيخ المتوهج إليه وغطسه فيه، فتلاطم الماء فوقه كالموج المتصادم، وبعد أن ابترد بلطف وأناة، منحه بركته: فقفز من فوره إلى الأرض ليناً مستقيم الظهر معافى وكأنه ابن عشرين. أما الحداد الذي كان يتابع بدقة كل ما جرى أمامه، فقد دعاهم جميعهم إلى طعام العشاء. وكان للحداد حماة عجوز، كليلة البصر، ذات حدبة، اقتربت من الشاب الطازج وأخذت تدقق وتتفحص لترى ما إذا كانت النار قد حرقته بشدة. فقال لها الشاب الطازج إن النار بالنسبة إليه كانت برداً وسلاماً.

ما قاله الشاب الطازج لم يفارق أذني العجوز الشمطاء، وفي الصباح الباكر عندما غادر الرب والقديس بطرس دار الحداد شاكرين كرمه، رأى الحداد أنه

Twitter: @ketab_n

قــادر على جعل حماته أيضاً صبية، طالما أنه قد تابع مجريات العملية بدقة، ثم إن العملية جزء من مهنته. فناداها وسألها إذا ما كانت راغبة بأن تعود صبية في الثامنة عشرة تمــلأ الدنيا بحيويتها، فأجابته: «من كل قلبــي»، ذلك لأن الشاب الطازج قــد مر بالعمليــة بسلام. وبناء على ذلك أوقد الحداد نــاراً متأججة ودفع بالعجوز فــي وسطها، فأخذت تتثنى يميناً ويساراً بعنف وهي تطلق صرخات عذابٍ قاتل. فقال لها الحداد: «اجلسي بهدوء! ما بالك تقفزين وتولوين، فأنا لم أشغّل المنفاخ بعــدُ»، وحرّك ذراع المنفاخ مجــدداً حتى كل ما عليها من ثيــاب رثة. استمرت العجــوز في الصراخ مــن دون توقف، فقال الحــداد في نفسه: «يبــدو أن فني لا يتجلــى بصورة صحيحة»، وسحب العجوز مــن النار ورماها في حوض الإطفاء. ازداد صــراخ العجوز وعــلا زعيقها حتى وصل إلى سمع زوجــة الحداد وزوجة ابنه داخل الــدار، فنزلتا الدرج بسرعة ورأتا العجوز وهي تولول في الحوض وقد انكمشت وتكرمشت، وتغضن وجهها وامتلأ بالأخاديد وتشوه.

كانــت كلا المرأتيــن في ذروة حملهمــا، ونتيجة رعبهما مــن منظر العجوز، ولدتــا في الليلة نفسها صبيين، لم يكن لهما هيئة بشرية، بل كانا قردين ركضا إلى الغابة، ومنهما جاء جنس القرود.

Twitter: @ketab_n

(١٤٨)

حيوانات الرب وحيوانات الشيطان

الرب إلهنا خلق الحيوانات كافة، واختار الذئابَ بمنزلة كلابٍ له، لكنه نسي المعز فحسب. فأبدى الشيطانُ استعدادَه، إذ أراد هو أيضاً أن يمارس عملية الخلق، فخلق المعز بأذناب طويلة ناعمة. وعندما صار المعز يخرج إلى المرعى أخذت الأذناب الطويلة تعلق في النباتات الشوكية. فكان الشيطان مضطراً لمتابعة القطعان رأساً رأساً وتخليص الأذناب بجهد جهيد من النباتات الشوكية، لكنه استاء أخيراً من تكرار الأمر واحتقن غضباً، فعض أذناب المعز فأزالها، ولم يتبق منها سوى ما نراه اليوم من جُذْمات على مؤخرات المعز.

صحيح أن الشيطان بات يتركها الآن ترعى وحدها، ولكن سرعان ما شاهدها تقضم بأسنانها أشجار مثمرة وتفسد الكروم والنباتات الغضة، فتألم لذلك، إلى حد أنه، انطلاقاً من رِفقه ورحمته، أطلق ذئابه على المعز العابث هناك فمزقته وافترسته. عندما علم الشيطان بالأمر، تقدم من الرب وقال له: «مخلوقاتك مزقت مخلوقاتي». فأجاب الرب: «وهل خلقتَها لتؤذي!» فقال الشيطان: «كنتُ مضطراً. بما أني ذو طبيعة شريرة، فلا يمكن لمخلوقاتي أن تكون ذات طبيعة أخرى، وعليك أن تعوضني غالياً عن خسارتي». فقال له الرب: «سأعوضك. تعال إليّ عندما يسقط ورق السنديان، فستكون نقودك جاهزة».

عندما تساقطت أوراق شجر السنديان جاء الشيطان مطالباً بدَينه. لكن الرب قال له: «على أرض كنيسة القسطنطينية هناك شجرة سنديان سامقة، ما زال ورقها كاملاً عليها». غادر الشيطان ساخطاً لاعناً ليبحث عن تلك الشجرة، فتاه ستة

Twitter: @ketab_n

شهـور فـي الصحراء إلـى أن وجدها. وعندما عـاد إلى الرب ثانيـة كانت جميع أشجـار السنديان قد اكتست مجدداً بحلة خضـراء، فاضطر إلى التخلي عن دينه. وفـي ثورة غضبه فقـأ عين ما تبقى من المعـز ووضع بدلاً منهـا عيونه. وهذا هو السبب فـي أن للمعز عيوناً شيطانيـة وأناباً معضوضة، ولهـذا يفضّل الشيطان أن يتجلى في هيئة تيس.

Twitter: @ketab_n

(١٤٩)

خشبة الديكة

ذات يوم وقف ساحر في ساحة وقد تجمهر حوله عدد كبير من الناس، يشاهدون ألعابه العجيبة. وكان من ألعابه أن جعل ديكاً يخطرُ أمامه وقد حمل بمنقاره دعامة خشبية ثقيلة وكأنها بخفةِ ريشة. وكانت هناك بين الجمهور فتاة، عثرت قبل قدومها، على ورقة برسيم رباعية، أكسبتها حدة الذكاء، فلم تعد تخدعها ألعاب الوهم، فرأت أن الدعامة الخشبية ليست سوى قشة، فصاحت: «يا ناس، ألا ترون أن ما يحمله الديك ليس إلا قشة وليس دعامة». وفوراً زال سحر الإيهام ورأى الناس الأمر على حقيقته فطردوا الساحر ولاحقوه بالشتائم. كظم الساحر غيظه، لكنه قال للفتاة: «سأنتقم منك».

بعد مدة من الزمن حان موعد عرس الفتاة. فتزيّنت وارتدت ثوب العروس وخرجت في موكب كبير عبر الحقل إلى الكنيسة، وفجأة وجدوا أنفسهم أمام جدول فاضت مياهه على الضفتين، ولم يكن هناك أي جسر أو معبر خشبي للمرور فوق الجدول. ولما كانت العروس خفيفة الحركة فقد رفعت ثوبها لتخوض في الماء. وعندما صارت في منتصف الجدول، سمعوا صوت الساحر الذي كان يمشي إلى جانبها، يهتف بصوت عالٍ وساخر: «يا سلام، أين عيناك؟ أتظنين أنك تخوضين في ماء!؟» فزالت الغشاوة من عينيها ورأت نفسها وسط حقل من زهور زرقاء متفتحة. وفي اللحظة نفسها رأى أفراد الموكب ما رأت، فلاحقوها بالشتائم والضحكات الساخرة.

Twitter: @ketab_n

(١٥٠)

المتسولة العجوز

كان هناك امرأة عجوز... لا شك في أنك قد رأيت عجوزاً تتسول، أليس كذلك؟ وهذه المرأة العجوز كانت أيضاً تتسول. وكانت عندما تحصل على صدقةٍ ما، تقول: «عوّض الله عليكم».

وصلت العجوز المتسولة إلى فتحةِ بابٍ، فرأت صبياً لطيفاً واقفاً يتدفأ قرب الموقد. شاهد الصبي العجوز الفقيرة واقفة بالباب ترتجف من البرد، فقال لها بود: «ادخلي يا جدتي وتدفأي». فدخلت إلى جانبه، لكنها اقتربت من الموقد كثيراً، فالتقطت أثمالُها النارَ من دون أن تشعر بذلك. وقف الصبي ينظر فحسب... ألم يكن من واجبه أن يطفئ أثمالها المثقلة؟ أليس كذلك؟ كان عليه أن يفعل ذلك! وإنْ لم يكن عنده ماء، لكان عليه أن يجمع ماء جسمه كله في عينيه ويبكي، فتسيل دموعه جدولين صغيرين، يطفئ بهما النار.

Twitter: @ketab_n

(١٥١)

الكسالى الثلاثة

كان لملـك ثلاثة أبناء يحبهم بالقدر نفسه، لدرجة أنه احتار، أيهم يُسمّي وريثاً للعرش من بعده. وعندما شعر بـأن أجله قد اقترب استدعاهـم إلى سريره، وقال لهم: «يـا أبنائي الأحبة، لقد فكرت بأمرٍ سأعرضـه عليكم: أكسلكم سيصبح من بعـدي ملكاً». فقال أكبرهـم: «العرش إذن لي أنا يا أبي، لأنـي إذا استلقيتُ لأنام وسقطت قطرة ماء في عينيَّ، أجد نفسي أكسل من أن أغمض جفنيَّ لأنام».

وقال الأوسط: «بل العرش لي أنا يا أبي، لأني إذا كنت جالساً قرب النار لأتدفأ، يصل بي الكسل إلى حد أن أترك كعبيَّ يحترقان، على أن أسحبهما بعيداً».

فقـال أصغرهـم: «المملكة لي أنا يا أبي، فأنا علـى درجة من الكسل، بحيث لو حُكـم عليَّ بالشنق والتفَ الحبل حول رقبتـي، ووضع أحدهم سكيناً حادة في يـدي لأقطع الحبل وأنجو، لتركتهم يشنقوني علـى أن أحرك يدي». عندما سمع الملك ذلك قال: «لقد بلغتَ أقصى درجات الكسل، فالمملكة لك.

Twitter: @ketab_n

(١٥٢)

اثنا عشر خادماً كسولاً

اجتمع اثنا عشر خادماً لم يشتغلوا شيئاً طوال النهار، ولم يكن في نيتهم أن يجهدوا أنفسهم مساءً أيضاً، فتمددوا على العشب يتباهون بكسلهم. قال الأول: «ما شأني بكسلكم، يكفيني كسلي. شغلي الرئيسي هو الاهتمام بجسدي: أنا لا أبخل على نفسي بالأكل ولا بالشرب. إذا أكلتُ أربع وجبات في اليوم، أصوم بعدها فترة قصيرة حتى يعاودني الشعور بالجوع، وهذا يناسبني تماماً. لست أبداً من أنصار الاستيقاظ باكراً، وعندما يقترب وقت الظهر أبحث لنفسي عن مرقد لأرتاح. إذا ناداني سيدي أتظاهر بأني لم اسمع، وإنْ كرر النداء أنتظر قليلاً قبل أن أنهض، ومن ثمة أذهب إليه بكل البطء الممكن. فهكذا يمكن للإنسان أن يحتمل الحياة».

وقال الثاني: «أنا مسؤول عن العناية بحصان، لكنني أترك اللجام في فمه، وإن لم أكن راغباً فإني لا أعلفه، وأزعم أنه قد أكل وانتهى. خلال ذلك أستلقي في صندوق الشوفان وأنام أربع ساعات، وبعد ذلك أمدُّ قدمي وأمسّد بها الحصان بضع مرات فأكون قد انتهيت من تنظيفه وتمشيطه، ما الداعي لبذل الجهد؟ ومع ذلك ما زالت الخدمة ترهقني». وقال الثالث: «ما الداعي للانهماك في الشغل ما دمت لن تستفيد منه شيئاً؟ أنا استلقيت تحت الشمس ونمت، بعد حين بدأت تُمطر، ولكن ما الداعي للنهوض؟ تركت السماء تتابع شغلها، وفي نهاية المطاف جاءت عاصفة مطرية شديدة، إلى درجة أنها اقتلعت باروكة شعري عن رأسي وطرحت بها بعيداً، وفتحت ثغرة في جمجمتي. وضعت ضماداً على الجرح فوقف النزف. كثيراً ما أصاب بمثل هذه الجروح».

Twitter: @ketab_n

وقـال الرابـع: «إذا كنتُ ملزماً بالقيام بعمل ما، فإني أغفـو أولاً، ساعة تقريباً، ريثما استجمع قواي، ثم أبدأ بكل روية وأنا اسأل طوال الوقت عمن يساعدني من الموجوديـن، فأترك لهم الجزء الرئيسي وأكتفـي بمراقبتهم. ومع ذلك أجد الأمر ثقيلاً».

وقـال الخامسـ: «ما هذا الأمر الجليـل! تصوروا أن عليَّ إخـراج الروث من اصطبل الخيول وتحميله علـى عربة. فأبدأ الشغل متمهلاً ما أمكن، وبعد أن أملأ جاروفـي، أرفعه إلى نصـف المسافة فقط، وارتاح ربع ساعـة حتى أكمل حمولة الجـاروف إلى العربة. إذا أخرجت اليوم حمولـة عربة واحدة، فهذا يكفي، إذ لا رغبة لي في أن أقتل نفسي من الشغل».

وقـال السادسـ: «عليكم أن تخجلـوا من أنفسكم، أنـا لا أهاب أي نوع من العمـل، لكني أبقى مستلقياً طـوال ثلاثة أسابيع من دون حتـى أن أخلع ثيابي. ما جـدوى شـد أربطة الحـذاء؟ إذا عاد الأمر لـي، فليسقط عن قدميَّ مـن نفسه. ما الضـرر من ذلك؟ وإذا أردتُ صعود الدرج فإني أجر قدماً بعد الأخرى ببطء حتى الدرجة الأولى، ثم أعد بقية الدرجات، لأعرف أين سأستريح».

وقال السابع: «أنا لا أستطيع ذلك، لأن سيدي يراقب عملي، لكنه طوال النهار ليس في الدار. ومع ذلك لا يفوتني شيء، فأنا أُسرع ما أمكن في حدود البطء. وإذا كان لابـد من أن أتقـدم، فيجب على أربعة رجال أقويـاء أن يبذلوا كل طاقتهم في دفعـي إلى الأمام. دخلتُ مرةً ذاك المـكان، حيث ينام على مضجع خشبي واحد ستة أشخاص معاً إلى جانب بعضهم بعضاً، فاستلقيتُ بينهم أيضاً ونمت. وما كان لشـيء أياً كان أن يوقظني ثانيـة. وعندما طالب بي أهلي، كان عليهم أن يحملوني حملاً إلى البيت».

وقـال الثامـن: «أرى أني النشيط الوحيد هنا. إذا كان هنـاك حجرٌ أمامي فإني لأبـذل الجهد لرفع ساقيَّ وتخطيه، بل أبقى على الأرض مبللاً في الوحل والطين إلى أن تجففني الشمس، كل ما قد أفعله هو أن أستدير قليلاً لتسطع أشعتها علي».

Twitter: @ketab_n

وقـال التاسع: «هذا أسميه نشاطاً! اليـوم كان الخبزُ أمامي على الطاولة، لكني كنـت أكسل من أن أمد يدي إليه، وكدت أموت جوعـاً. وكان هناك إبريق أيضاً، لكنه كان كبيراً وثقيلاً لأرفعه واشرب، ففضلت أن أموت عطشاً. مجرد أن أستدير كان جهداً لا طاقة لي به، فبقيتُ طوال النهار في مكاني مثل عكاز».

وقال العاشـر: «بالنسبة إلي الكسل آذاني ساقي مكسورة وبطنُها متورمة، كنا ثلاثةً مستلقين على درب عربـات، وكنت ممدداً ساقي. مر أحدهم بعربة فدهس الدولاب ساقي. كان بإمكاني طبعاً سحب ساقي إلى الوراء لكنني لم أسمع صوت العربـة. فالبعوض كان يئز حول أذنـي، يدخل في منخري ويخرج من فمي، ومن ذا الذي يأبه بكشِّه بعيداً».

وقال الحادي عشـر: «أمس تركتُ الخدمة عند سيدي، فقد سئمتُ من حمل الكتب الثقيلة إليه ثم إعادتها إلى الرفوف، طوال النهار بلا توقف. ولكن بصراحة هـو الذي فصلني ولم يعد يريـد الاحتفاظ بي، لأن ثيابه التي تركتُها عرضةً للغبار، أكلها العث فثقبّها، وقد كان محقاً».

وقال الثاني عشر: «اليوم كنت مضطراً إلى عبور البريّة بالعربة، فرتبتُ لنفسي مضجعـاً من القش في العربة ونمت نوماً عميقـاً، فانزلق العنان من يدي. وعندما استيقظـت كان الجواد على وشك أن يفلت، فقد اختفـت عدته: اللجام والزِناق والزمام والحبال، إذ مـرَّ عابر سبيل ففكها كلها وأخذها. وإضافة إلى ذلك كانت دواليب العربة قد نزلت في مخاضة وعلقت. تركتها واقفة مكانها وعدت للاستلقاء علـى القش، إلى أن جاء سيدي بنفسه أخيـراً ودفع العربة خارج المخاضة. ولولا مجيئه لما كنت بينكم هنا، بل لكنت ما أزال نائماً هناك بكل هدوء».

Twitter: @ketab_n

(١٥٣)

صبي الراعي

في قديم الزمان اشتهر صبيٌّ راعٍ في طول البلاد وعرضها، نتيجة الأجوبة الذكية التي كان يقدمها على جميع أنواع الأسئلة. وصلت شهرته إلى أسماع الملك، فلم يصدق، بل استدعاه إليه.

وعندما مثل بين يديه قال له: «إذا استطعت أن تجيبني على ثلاثة أسئلة سأطرحها عليك، سأعتبرك بمنزلة ابني وستعيش في قصري الملكي. فسأله صبي الراعي: «وما هي الأسئلة الثلاثة؟» فقال الملك: «السؤال الأول هو: كم قطرة ما يوجد في البحر الكبير؟» فأجاب صبي الراعي: «أوعزْ يا صاحب الجلالة بسد جميع أنهار الأرض، بحيث لا يصل منها بعدْ أي قطرة إلى البحر، وعندها سأتمكن من البدء في العدّ، لأخبرك من ثمة بعددها».

قال الملك: «السؤال الثاني هو: «كم عدد النجوم في السماء؟» فأجاب صبي الراعي: «أعطني أيها الملك طبق ورقٍ أبيض كبير» ثم وضع عليه الفتى بالريشة عدداً كبيراً من النقاط الدقيقة، تكاد لا تُرى ولا تُحصى، وبحيث تَنْحَوِلُ عينا من يدقق فيها النظر. ومن ثمة قال: «عدد النجوم في السماء كعددها على هذه الورقة، عُدَّها يا صاحب الجلالة!» ولم يستطع أحد أن يقوم بذلك.

فقال الملك: «السؤال الثالث هو: ما عدد الثواني في الأبد؟» فأجاب صبي الراعي: «شمالي إمارة يومّرن يقع جبل الماس. يبلغ ارتفاعه ساعة، وعرضه ساعة، وعمقه ساع. كل مئة عام يأتي إلى هذا الجبل طائر صغير وينقر فيه

Twitter: @ketab_n

بمنقـــاره، وعندما يتلاشـــى الجبل من النقر، تكـــون الثانية الأولـــى من الأبد قد انقضت».

عندهـــا ســـأل الملك: «لقد أجبت علـــى الأسئلة الثلاثـــة إجابة رجل حكيم، ومنذ الآن ستعيش معي هنا في القصر الملكي، وسأعتبرك بمنزلة ابني».

Twitter: @ketab_n

(١٥٤)

دنانير النجوم

في قديم الزمان كانت هناك فتاة صغيرة، مات والدها وتركاها فقيرة جداً، بلا بيت تسكنه ولا سرير تنام فيه، ولا أي شيء آخر سوى ما عليها من ثياب وقطعة خبز في يدها، منحها إياها قلب شفوق. لكن الفتاة كان صحيحة البنية.

ولأنها بقيت وحيدة في الدنيا بلا قريب أو صديق، فقد توكلت على الله وخرجت باتجاه الحقول. التقت هناك رجلاً فقيراً قال لها: «أعطني شيئاً آكله، إني جائع جداً». فأعطته قطعة الخبز كلها وقالت له: «بارك الله لك فيها»، وتابعت طريقها. فرأت طفلاً صغيراً يبكي ويقول: «رأسي يوجعني من البرد. أعطني شيئاً أغطيه به». فخلعت الفتاة قبعتها القماشية وأعطتها له. بعد أن مشت فترة أخرى صادفت طفلاً آخر بلا سترة وكان يرتجف برداً، فأعطته سترتها، وبعد مسافة أخرى صادفت طفلة بلا ثوب فتنازلت لها عن ثوبها.

وأخيراً وصلت الفتاة الصغيرة إلى غابة وكان المساء قد حل، فالتقت هناك طفلة ثالثة بلا قميص ورجتها أن تعطيها قميصها. قالت الفتاة التقية في نفسها: «الدنيا هنا عتمة ولن يراكِ أحد، إذن يمكنكِ التخلي لها عن قميصك»، وخلعت القميص.وأعطته للطفلة، وبقيت عارية بلا شيء عليها. وبينما هي واقفة هكذا أخذت نجوم السماء تتساقط فوقها، فإذا بها دنانير فضية قاسية. ورغم تخليها عن قميصها لطفلة غريبة، وجدت نفسها في قميص جديد من أفخر أنواع الكتان. جمعت الفتاة الدنانير في قميصها وصارت غنية لبقية حياتها.

Twitter: @ketab_n

(١٥٥)

القرش المسروق

ذات يـوم جلس إلى المائـدة لتناول طعام الغـداء الأب والأم والأولاد، إضافة إلـى صديق زائر في ضيافتهم. وبينما هم يأكلون دقت الساعة الثانية عشرة، فرأى الضيـف بابَ الدار يُفتـح، وطفلاً صغيـراً بالغ الشحوب يدخل فـي ثوب ناصع البياضـ. لم يلتفت الطفل من حوله ولم ينطق بكلمـة، بل اتجه مباشرة إلى الغرفة المجاورة. وبعد فترة قصيرة عاد الطفل من الغرفة وغادر الدار مثلما دخلها بدون صوت.

في اليوم الثاني والثالث ظهر الطفل بالطريقة نفسها تماماً. وأخيراً سأل الضيفُ الأبَ: «مـن يكـون هذا الطفل الجميـل الذي يدخل إلى الغرفـة كل يوم ظهراً؟» فأجابه الأب: «أنا لم أره، ولا أعرف من يكون».

في اليـوم الرابع، عندما جاء الطفل، أشار الضيفُ لـلأب نحوه، لكن الأب لم يـره، ولا الأم ولا الأولاد جميعهـم. عنـد ذلك نهض الضيـف وتوجه نحو باب الغرفـة وفتحه قليلاً وألقـى نظرة إلى الداخـل، فرأى الطفلَ جالسـاً على الأرض ينكشـ بأصابعـه بنشاط في شقوق ألـواح الأرضية الخشبيـة، لكنه عندما لاحظ الغريبَ، اختفـى. حكى الضيف للعائلة ما رأى ووصف الطفلَ بدقة، فتعرّفته الأم وقالت: «إنه طفلي الحبيب الذي مات قبل أربعة أسابيع».

انتزعت العائلة ألواح الأرضية فعثرت تحتها على قرشين كان الطفل قد أخذهما مرةً من أمه ليعطيهما للمتسول، لكن الطفل قال لنفسه: «يمكنك بهما أن تشتري كعكة»، واحتفظ بالقرشين لنفســه وخبأهما بين شقوق ألواح الأرضية. لكنه بعد موتـه لم يجد الراحة في قبره، فصـار يأتي يومياً ظهراً للبحث عن القرشين. أعطى الوالدان القرشين لرجل فقير، وبعدها لم يعد يظهر الطفل في البيت.

Twitter: @ketab_n

(١٥٦)

امتحان العروس

أراد راعـي غنم شاب أن يتزوج، وكان يعرف ثلاث أخوات، كل واحدة منهن أجمـل من الأخـرى، بحيث صعب عليه الاختيار بينهن، ولـم يستطع حسم أمره لتفضيـل واحدة منهـن زوجة. طلب الراعـي النصيحة من أمـه، فقالت له: «ادع ثلاثتهـن إلـى الطعام وضع أمامهن لـوح جبن وانتبه إليهن، كيـف يقطعنه ويأكلن منه».

نفّذ الراعي الشاب وصية أمه، ورأى أن الأولى قد قطعت لنفسها قطعة وأكلتها مـع قشرتها، في حين قشرت الثانية قطعتهـا، ونتيجةَ تسرعها بقي كثير من الجبن الجيـد في القشرة التي رمتها. أما الثالثة فقد قشـرت قطعتها بصورة صحيحة من دون زيـادة أو نقصـان. حكى الراعي هذا كله لأمه فقالت لـه: «خذ الثالثة زوجة لك»، وهذا ما فعله الراعي الشاب ،وعاش معها بسعادة ورضا.

Twitter: @ketab_n

(١٥٧)

زبالة الكتان

كان هناك صبية جميلة، لكنها كسولة ومهملة. فإذا كان عليها أن تغزل الكتان، فسرعـان ما يسوء مزاجها إذا مرَّت علـى أصبعها عقدةٌ صغيرة، فترمي الكبّة كلها علـى الأرض وبكل استخفـاف. كان عند هذه الصبية خادمـةٌ فتية تحب الشغل، فكانـت تجمعُ ما رمته الكسولة على الأرض، فتنظفـه وترتبه وتغزله، ثم نسجت لنفسها ثوباً جميلاً.

ذات يـوم جاء الصبيةَ الجميلةَ الكسولة عريسٌ شاب واتفقا على موعد العرس. وفي حفلة التسريرة قبل ليلة العرس رقصت الخادمة النشيطة بثوبها الجديد الجميل بكل حيوية وحبور إلى درجة أن علّقت العروس قائلة:

«ما أنشط هذه الفتاة

مرتديةً زبالةَ كتاني!»

سمـع العريس ذلك، فسـأل العروس عمّا عنته بذلك، فحكـت له أن الفتاة قد نسجت لنفسها ثوباً من الغزل الذي كانت ترميه على الأرض. عندما سمع العريس كلامهـا، وكان قد لاحظ كسلها وإهمالها، مثلما لاحـظ نشاط وكفاءة الخادمة، تخلى عن العروس واختار الخادمة زوجة.

Twitter: @ketab_n

(١٥٨)

العصفور وأطفاله الأربعة

كان لعصفور أربعة أطفال في عش سنونو مهجور، وعندما صاروا قادرين على مغادرة العش، جاء صبيان أشرار وأسقطوا العش. بيد أن العصافير نجوا بفضل ريح حملتهم بعيداً. وبما أنهم قد اضطروا الآن للانخراط في الحياة وحدهم، فقد أحس أبوهم بالندم، ولأنه لم يُحذّرهم مسبقاً من مختلف أنواع الأخطار، ولم يزوّدهم بنصائح مفيدة.

في الخريف عادةً يجتمع كثير من العصافير في حقل الحنطة، وإذا بالعصفور الهرم يلتقي هناك بأبنائه الأربعة، فأخذهم معه مسروراً إلى عشه وقال لهم: «آه يا أبنائي الأعزاء، كم قلقت عليكم طوال الصيف، عندما حملتكم الريح بعيداً عني، دون أن أزودكم بإرشاداتي. استمعوا إلى كلماتي وتعلموا من أبيكم واحترسوا جيداً: على صغار الطيور أن تتخطى أخطارٌ جساماً!»

والتفت إلى أكبرهم وسأله أين أمضى الصيف وكيف وفّر غذاءه، فأجاب: «أمضيتُ الصيفَ في البساتين بحثاً عن الديدان واليساريع، حتى نضج الكرز». فقال الأب: «آه يا بني، المكان الوفير الغذاء جيد، لكن المخاطر فيه كثيرة. لذلك عليك أن تأخذ حذرك دائماً، ولا سيما عندما تدخلُ البساتينَ أناسٌ يتجولون في أنحائها وهم يحملون بأيديهم عصياً خضراء طويلة ومفرغة من الداخل وفي رأسها فتحة». فقال الابن الكبير: «صحيح يا أبي، ولكن عندما يلصقون على الفتحة وريقة خضراء، سيصعب علينا تمييزها. ومع ذلك فإنها تصيب هدفها». فسأله الأب: «أين رأيت ذلك؟» فأجاب: «في بستان تاجر». فقال الأب: «التجار يا بني

Twitter: @ketab_n

أناس حاذقون! إذا عاشرت هؤلاء المحنكين فستعرف الكثير المفيد لحياتك، فأحسن استخدامه باستقامة من دون تهور.

توجه الأب إلى ابنه الثاني وسأله: «وأين كنت أنت؟» فأجابه: «في القصر». فقال الأب: «العصافير وصغار الطيور لا تخدم في القصور، حيث يوجد كثير من الذهب والمخمل والحرير والسلاح والدروع، لكن قليلٌ من الغذاء، وكثير من البواشق والبوم والشناقِب التي تفترس صغار الطيور. لذلك ابقَ في حدود اصطبلات الخيل وحيث يدرسون الشوفان لتحصل على غذاء يومك بسلام». فقال العصفور: «حسنٌ يا أبي، ولكن إذا كان فتيان الاصطبلات ينصبون الفخاخ ويضعون المصائد بين القش، فإن كثيراً من العصافير سيقع». فسأله الأب: «أين رأيت ذلك؟» فأجاب: «في اصطبلات القصر». فقال الأب: «آخ يا بني، فتيان القصر هم خدم أشرار. بما أنك كنت في القصر، واستطعت النجاة من هؤلاء الرجال دون أن تفقد شيئاً من ريشك، فهذا يعني أنك قد تعلمت الكثير، مما يؤهلك لتوفير غذائك في هذه الدنيا، ولكن احترس وكن يقظاً، فغالباً ما تفترس الذئابُ الكلابَ الذكية أيضاً».

توجه الأب من ثمة إلى ابنه الثالث وسأله: «أين جربت حظك أنت؟» فأجابه: «على دروب العربات والطرق الزراعية. كنت أحفر بمنقاري عميقاً لأحصل أحياناً على حبة شعير أو حنطة». فقال الأب: «هذا غذاء جيد، ولكن عليك أن تكون دائماً على حذر لكل ما يحيط بك، لا سيما عندما ينحني أحدهم ويلتقط حجراً. عندها لا بد من أن تسرع في مغادرة المكان». فأجاب الابن: «هذا صحيح، ولكن كيف سأتصرف حيال أولئك الذين يحملون الحجارة في جيوبهم مسبقاً؟» فسأله أبوه: «أين رأيت ذلك؟» فأجاب: «عند عمال المناجم يا أبي. فهم عندما يغادرون المناجم يكون في جيوبهم عادة حجارة صغيرة». فقال الأب: «عمال المناجم وعمال المصانع هم أناس بارعون، تخطر ببالهم أفكار غريبة! إذا كنتَ قد نجوت من حجارة عمال المناجم فقد ازدادت تجاربك خبرةً.

Twitter: @ketab_n

«اذهب إلى هناك، ولكن احترس جيداً،

فكثيراً ما قتل عمال المناجم العصافير بحصى الكوبالت».

أخيراً وصل الأب إلى آخر العنقود وقال له: «وأنت يا صغيري الحبيب الذي كنتَ دائماً الأكثر التصاقاً بالعش، وأبسط إخوتك وأضعفهم في الوقت نفسه، ابق إلى جانبي، فالعالم مليء بطيور فظةٍ وشريرة، مناقيرها معقوفة ومخالبها طويلة، وشغلها الشاغل هو التربص بصغار الطيور والانقضاض عليها وافتراسها. قف إلى صف أبناء جنسك والتقط حبوبك الصغيرة وحشراتك الصغيرة من البيوت أو الأشجار، فتعمِّر طويلاً بأمان». فقال العصفور الصغير: «اسمع يا أبي الحبيب، إنّ مَن يلتقط رزقه من دون أن يؤذي الآخرين، فسيعيش طويلاً، ولن يناله باشق أو صقر أو نسر أو عقاب، ولا سيما إذا توكل، صبحاً ومساء على ربه القدير خالقِ وحامي جميع طيور الغابة والقرية، والذي يسمع حتى صرخات الصغار الغربان. فمن دون مشيئته لا يسقط عن السطح عصفور ولا عن السياج دُوريّ». فسأله أبوه: «أين تعلمت هذا يا بني؟» فأجاب الصغير: «عندما حملتني هبَّة الريح معها أوصلتني إلى كنيسة، حيث التقطت في الصيف العناكب والذباب عن النوافذ وأنا أستمع إلى المواعظ. هناك زوّدني بالغذاءِ ربُّ جميع العصافير وحماني من الأخطار والطيور الشرسة». فقال له الأب: «ضع ثقتك بالرب يا بني، وطِرْ في رحاب كنيسته، فنظفها من العناكب والذباب الطنان، وزَقزق حمداً لله مثل صغار الغربان، واتكل على خالق الأزل والأبد، فتبقى في حمايته ولو امتلأت الدنيا بالطيور الجارحة.

«فمن يتكل على الله في أموره،

صامتاً، صابراً، مصلياً، لين الجانب، متروياً،

محافظاً على إيمانه طاهراً، وعلى ضميره نقياً،

سيكون لهُ الله مساعداً ونصيرا».

Twitter: @ketab_n

(١٥٩)

حكاية أرض الأحلام الماكرة

كنتُ ماشياً في أرض الأحلام الماكرة، فشاهدتُ روما وقصر البابا معلقين من خيطٍ حريري قصير، ورجلاً بلا قدمين يتجاوز جواداً مسرعاً، وسيفاً ماضياً يفلق جسراً. رأيت حماراً فتياً بخطمٍ فضي يطارد أرنبين سريعين، وشجرة زيزفون ثخينة تحمل أرغفة ساخنة. ورأيت عَنزة عجوز عجفاء تحمل طناً من الدهن ونصف طن مـن الملح على بدنها. أليس فـي هذا ما يكفي من الكذب؟ ورأيتُ شفرة محراثٍ مـن دون جياد أو ثيران، وطفلاً ابن سنة يقذفُ حجري رحا من مدينة ريغنزبورغ حتـى مدينة ترير ومن تريـر حتى شتراسبورغ، وباشقاً يسبـح عبر نهر الراين بكل روّية. وسمعـتُ عدة سمكات تتشاجرن حتى وصل زعيقهن إلى السماء، ورأيت عسـلاً حلواً يسيل مـن وادٍ عميق إلى جبل شاهق. يا لها مـن قصص غريبة، أليس كذلك؟ ورأيت غرابين يحشّان مرجاً، وبعوضتين تبنيان جسراً، وحمامتين تنتفان ذئباً، وطفلتين تلدان عنزتين، وضفدعين تدرسان معاً حقل حبوب. ورأيت فأرين يرسمـان مطراناً، وقطتيـن تخمشان لسـان دب. ورأيت حلزونـاً راكضاً يصرع أسديـن متوحشيـن. ورأيت حلاق ذقـون يحلق لحية امـرأة، ورضيعيـن يأمران أمهمـا بالسكوت. ورأيت كلبيـن سلوقيين ينتشلان طاحوناً مـن النهور وحصاناً هزيـلاً هرماً واقفاً إلى جانبهما وهو يقول: «هكذا يكون الشغل». وفي الفناء كان هنـاك أربعة جيـاد تدرس الحبوب بكل طاقتها، وعنزتين توقـدان النار في الفرن، وبقرة حمراء تدفع العجين إلى داخل الفرن. وعندها صاح الديك: كوكو، كوكو، خلصت الحكاية».

Twitter: @ketab_n

(١٦٠)

حكاية أكاذيب ديتمارْش

أريـد أن أحكي لكم حكايـة: رأيت دجاجتين مشويتين تطيـران بسرعة، كان بطناهمـا نحو الجنة في الأعلى، وظهرهما نحو جهنم في الأسفل، ورأيت سنداناً وحجر رحـا يسبحان عبر نهر الرايـن ببطء وهدوء، ورأيت ضفدعـاً جالساً على الجليد في عيد العنصرة وهو يقضم شفرة محراث. كان هناك ثلاثة رجال يريدون اصطياد أرنب، كانوا يمشون على عكاكيز وطوّالات، أولهم أطرش وثانيهم أعمى وثالثهم أبكم، ولم يكن رابعهم قادراً على تحريك قدم من موضعه. أتريدون معرفة كيف جـرى الأمر؟ الأعمـى كان أول من رأى الأرنب يقفز عبـر الحقل، فصاح الأبكم بالأطرش، والمشلول أمسكه من قبة قميصه.

أراد كثيرون أن يُبحـروا عبر البر، ففردوا الأشرعة للريح فاندفعت بهم السفينة عبر أراض واسعة، ثم فوق جبل عالٍ فغرقوا جميعهم بصورة شنيعة. لاحقَ سرطانٌ أرنباً فولـى الأدبار، وعلى السطح الجملوني اضطجعـت بقرةٌ كانت قد تسلقته. والذبـاب في ديتمارش كبير بحجم المعـز هنا. إذن، افتح النافذة لتطير الأكاذيب عبرها.

Twitter: @ketab_n

(١٦١)

حزورة

تحولت ثلاث نساء إلى ثلاث وردات في حقل، وفي كل ليلة كان يجوز لواحدة منهن أن تكون في بيتها. وذات مرة قالت إحداهن لزوجها عندما اقترب الصباح وحان وقت عودتها إلى رفيقتها في الحقل كوردة: «إذا جئتَ اليوم قبل الظهر وقطفتني، فستحررني من السحر لأبقى معك دائماً»، وهذا هو ما جرى. السؤال الآن: كيف تعرّفها زوجُها، ما دامت الوردات متشابهات تماماً من دون فوارق؟

الجواب: «بما أنها قد أمضت الليل في بيتها، وليس في الحقل، فإن الندى لم يسقط عليها كما سقط على رفيقتيها، هكذا تعرفها زوجها».

Twitter: @ketab_n

(١٦٢)

بيضاء الثلج وحمرة الورد

في قديم الزمان عاشت أرملة في كوخ منعزل، وفي حديقة الكوخ كان هناك شجيرتا ورد، أولاهما ذات ورد بيضاء والثانية ذات ورود حمراء. وكان للأرملة ابنتان صغيرتان تشبهان شجيرتي الورد، فسميت الأولى بياض الثلج، وسميت الثانية حمرة الورد. وكانتا طيبتين وتقيتين، مجتهدتين في شغل البيت، لا تكلان ولا تملان، كما يُفترض بأي طفلتين نجيبتين في هذه الدنيا أن تكونا. بيد أن بياض الثلج كانت أكثر هدوءاً ونعومةً من حمرة الورد، التي كانت تفضل الخروج للبحث عن الزهور واصطياد عصافير الصيف، في حين كانت بياض الثلج تجِّد البقاء في البيت مع أمها لتساعدها في الشغل أو لتقرأ لها إنْ لم يكن هناك ما يجب فعله.

كانت البنتان تحبان بعضهما بعضاً وتُمسكان بيدي بعضهما كلما خرجتا من الكوخ سوية. وعندما تقول بياض الثلج: «لن نفارق واحدتنا الأخرى»، تجيبها حمرة الورد: «ما دمنا حيتين». وكانت الأم تضيف إلى ذلك: «وما عند إحداكما ستتقاسمه مع الأخرى». كثيراً ما كانت البنتان تتجولان في الغابة وحدهما، تجمعان توتاً برياً، من دون أن يؤذيهما أي حيوان، بل كانت الحيوانات تقترب منهن بثقة، فالأرنب يأكل ورق الملفوف من أيديهما والغزال يأكل العشب إلى جانبهما والوعل يتقافز بمرح حولهما والعصافير تغرد على الأغصان فوقهما كل ما تعرفه من ألحان. ولم تتعرضا إلى أي حادث، فعندما تتأخران في الغابة ويفاجئهما الليل، كانتا تستلقيان إلى جانب بعضهما على

Twitter: @ketab_n

الحشائش وتنامان حتى انبلاج الصباح. وكانت أمهما تعرف ذلك، فلا ينشغل بالها عليهما.

وذات مرة، عندما نامتا في الغابة وأيقظهما نور الصباح، شاهدتا طفلاً جميلاً يجلس إلى جانب مضجعهما في ثياب بيضاء لماعة. ثم نهض ونظر إليهما بكل ود، من دون أن ينبس بكلمة وغاب داخل الغابة. وعندما بحثتا حولهما اكتشفتا أن مكان نومهما كان قريباً جداً من هاوية بالغة الانحدار، ولو أنهما مشيتا في العتمة بضع خطوات أخرى لسقطتا فيها. أما أمهما فقالت لهما إن الطفل كان الملاك الذي يحرس الأطفال.

حافظت البنتان على نظافة كوخ أمهما بصورة تُفرح عين الناظر. وفي الصيف كانت حمرة الورد تنجز شغل البيت، وتضع لأمها كل صباح قبل أن تستيقظ باقة ورد بجانب السرير، وكانت الباقة تضم وردة من كل شجيرة. وفي الشتاء تقوم بياض الثلج بإشعال النار في الموقد، وتعليق القِدر على الكلاّبة فوقه. كان القِدر من النحاس الأصفر، بيد أنه كان يلمع كالذهب من شدة تنظيفه. ومساءً عندما تساقط نُدف الثلج، كانت الأم تقول: «اذهبي يا بياض الثلج وأغلقي مزلاج الباب»، ثم تجلس قرب الموقد، وتضع الأم نظارتيها وتقرأ لهما من كتاب كبير، والبنتان تنصتان وهما جالستان تغزلان الكتان، وإلى جانبهما حملٌ صغير على الأرض، ووراءهما على قضيب خشبي حمامة بيضاء وقد خبأت رأسها تحت جناحها.

ذات مساء، وبينما هم جالسون في طمأنينة، سمعوا طرقاً على الباب، وكأن شخصاً يريد السماح له بالدخول، فقال الأم: «بسرعة يا حمرة الورد، افتحي، قد يكون جوّالاً يبحث عن ملجأ». ذهبت حمرة الورد ورفعت المزلاج وفتحت الباب، متوقعةً رجلاً فقيراً، لكنه كان دباً، مدَّ رأسه الأسود الضخم نحو الداخل. صرخت حمرة الورد بصوت عالٍ وقفزت إلى الوراء، وثغا الحمل وخفقت الحمامة البيضاء بجناحيها واختبأت بياض الثلج وراء سرير

Twitter: @ketab_n

أمهـا. إلا أن الدب نطـق وقال: «لا تخافوا، لن أؤذيكـم. إني متجمد من البرد وأريد أن أتدفأ عندكم قليلاً». فقالت الأم: «يا لك من دب مسكين، استلقِ قرب النار، ولكن انتبه جيداً كي لا تلتقط فروتك النار، ثم نادت: «بياض الثلج، حمرة الـورد، اخرجا هيا، الدب لن يؤذيكما، يبدو صادقاً في كلامه». خرجتا كلتاهما، وشيئاً فشيئاً اقتربتا من الدب، وكذلك فعل الحمل والحمامة، وزال الخوف. قال الـدب: «يا بنـات كنّسا الثلج عن فروتي قليلاً». فأحضرتـا المكنسة ونظفتا فروة الدب من الثلج، فتمدد إلى جانب النار مصدراً أصوات ارتياح ورضا.

وبعد فتـرة قصيرة تآلفتا معه، بل أخذتا تعابثـان الضيف الحيران، فتلفّان شعر فروتـه بأصابعهمـا، أو تضعان أرجلهما علـى ظهره وتقلبانـه ذات اليمين وذات الشمـال، أو تضربانـه برفق بعصا مـن شجرة بندق، فإذا زمجـر كانتا تضحكان. وكان الـدب مسروراً بهذا اللعـب العابث، ولكن عندما كانتـا تثقلان عليه، كان يقول فحسب:

«دعاني أعيش يا بنات

«بياض الثلج وحمرة الورد،

تضربان الخطيب حتى الموت».

وعندمـا حان موعد النـوم ودخلت البنتـان إلى سريرهما، قالـت الأم للدب: «تستطيـع باسـم الرب أن تبقـى مستلقياً عنـد الموقد محمياً من البـرد والطقس السـيء». وعندما انبلج النهـار تركته البنتان يخرج، فخاض طريقـه في الثلج إلى داخـل الغابـة. ومنـذ ذاك المساء صار الدب يأتـي كل يوم في وقتـه المحدد إلى الكـوخ، فيستلقي عنـد الموقد ويسمح للبنتين باللعب معـه كيفما شاءتا، وتعودتا على وجوده إلى حد أن المزلاج ما عاد يقفل قبل مجيء الصديق الأسود.

بحلـول الربيع، عندما اكتست الطبيعة كلها باللـون الأخضر، قال الدب ذات

Twitter: @ketab_n

صباح لبياض الثلج: «لا بد لي الآن أن أغادركم، وطوال الصيف لا يجوز لي أن أعود». فسألته بياض الثلج: «إلى أين ستذهب أيها الدب العزيز؟» فأجابها: «يجب أن أذهب إلى الغابة لأحمي كنوزي من الأقزام الأشرار. في الشتاء حينما تتجمد الأرض وتقسو، يضطرون إلى البقاء تحت، لأنهم لا يتمكنون من فتح طريق إلى سطح الأرض. أما الآن وقد أذابت حرارة الشمس الأرض فإنهم سيشقون طريقهم ويصعدون، يبحثون وينهبون، وكل ما يقع بين أيديهم يدخل مغاورهم، يصعب استرداده ثانية». حزنت بياض الثلج جداً لذهاب الدب، وعندما رفعت المزلاج وفتحت الباب واندفع إلى الخارج، علق جانبه بقبضة الباب وتمزق جزء من فروته، فتراءى لبياض الثلج وكأنها قد رأت ذهباً يلمع من خلال شعر الفروة، لكنها لم تكن متأكدة. غادر الدب مسرعاً واختفى وراء الأشجار.

بعد مدة قصيرة أرسلت الأم ابنتيها إلى الغابة لجمع أغصان جافة، فشاهدتا هناك شجرة كبيرة ساقطة على الأرض، وعند الجذع لاحظتا شيئاً يتقافز صعوداً وهبوطاً بين الحشائش، لكنهما لم تعرفا ما هو. عندما اقتربتا رأتا قزماً بوجه شيخ ذابل ولحية بيضاء بطول ذراع، كانت نهايتها عالقة في شق في الشجرة، والقزم يثب هنا وهناك مثل كلب مربوط بحبل، لا يعرف كيف يخلص نفسه. حملق في البنتين بعينيه الحمراوين الناريتين وصاح: «لماذا تقفان هناك! ألا تقتربان وتساعداني؟» فسألته حمرة الورد: «وماذا فعلت بنفسك أيها القزم؟» فأجابها: «يا لكِ من إوزة غبية! أردتُ أن أفلق الشجرة لأقطع حطباً صغير الحجم للمطبخ. فقطعُ الحطبِ الكبيرة تُحرق الطعامَ القليلَ الذي يحتاجه واحدنا للعيش، وليس مثل جنسكم الفظ الذي يلتهم الكثير بجشع. نجحتُ في إدخال الإسفين، وكان كل شيء سيسير على ما يرام، لكن خشب الإسفين اللعين كان ناعماً أكثر مما يجب، وارتد فجأة من مكانه، وسرعان ما انغلق الجذع ثانية على نفسه، ممسكاً بلحيتي الجميلة البيضاء بحيث لم أعد قادراً على سحبها. هي عالقة وأنا مسمر في مكاني... أراكما تضحكان بوجهيكما

Twitter: @ketab_n

الحليبيين الغبيين! تفو، يا لشناعتكما!» بذلت البنتان كل طاقتهما، لكنهما لم تستطيعا تحرير اللحية الثابتة بشدة في مكانها، فقالت حمرة الورد: «سأركض لأجلب أناساً ليساعدونا». فقال القزم: «أيتها النعجة المجنونة! هل ستجمعان عليّ الناس؟ أنتما الاثنتان أجدكما أكثر من اللازم، ألا يخطر ببالكما حل أفضل؟» فقالت له بياض الثلج: «لا تكن هكذا نافد الصبر، أنا سأجد لك حلاً»، وأخرجت من جيبها مقصها الصغير وقصت به أسفل اللحية. حالما أحس القزم بأنه قد تحرر حتى انقض على كيسه المخبأ بين جذور الشجرة والمملوء بالذهب، رفعه بسرعة ودمدم لنفسه قائلاً: «بشر أجلاف، يقصون لي قطعة من لحيتي الوقورة! جزاؤكما عند الشيطان!» حمل الكيس على ظهره وذهب من دون حتى أن ينظر إلى البنتين.

بعد فترة من الزمن أرادت بياض الثلج وحمرة الورد اصطياد بعض السمك لوجبة الغداء. عندما اقتربتا من النهر رأتا شيئاً يشبه جرادة كبيرة ينطّ باتجاه الماء، كمن يريد أن يغطس فيه. أسرعتا إلى الضفة فتعرفتا القزم نفسه، فسألته حمرة الورد: «إلى أين؟ أتريد أن تغطس في النهر؟» فصاح القزم: «لست مجنوناً لأفعلها. ألا تريان أن السمكة اللعينة تجرني إلى الماء؟» كان القزم جالساً على الضفة يصطاد بالصنارة، ولسوء حظه ضفرت الريح شعر لحيته مع خيط الصنارة، وعندما عضت الطعمَ سمكةٌ كبيرة، لم تساعده قوته المتواضعة على سحب السمكة، بل أخذت السمكة تجر القزم إلى الماء. فتمسّك بنباتات الضفة من حلفاءَ وقصب، ولكن من دون جدوى. كان مضطراً للخضوع لحركات السمكة، تحت خطر انجراره إلى الماء.

وقد وصلت البنتان في اللحظة المناسبة، فأمسكتا بالقزم وحاولتا تحرير لحيته من خيط الصنارة، ولكن عبثاً، فقد تداخل شعر اللحية مع الخيط وتعقد. لم يبق هناك من حل سوى إخراج المقص الصغير وقص اللحية، ما أدى إلى فقدان جزء منها. عندما رأى القزم ذلك، صاح بهما: «أهذه أخلاق أيتها البرمائيتان! أهكذا تشوهان وجهي؟ لم يكفيكما قص نهايتها سابقاً، ها أنتما

Twitter: @ketab_n

الآن تقصان أفضل جزء منها: ما عدتُ أجرؤ على مواجهة أبناء جنسي، بينما تتسكعان وتهرّئان كعوب نعليكما!» ثم حمل كيساً مليئاً باللآلئ كان مخبأ بين القصب وجره وراءه وغاب وراء صخرة من دون أن يضيف كلمة أخرى.

صادف بعد مدة أن أرسلت الأم البنتين معاً إلى المدينة لشراء خيطان وإبر وخيوطِ ربطٍ وشرائط. عبرتا على الطريق مرجاً فيه هنا وهناك بعض الصخور الكبيرة. وشاهدتا طائراً ضخماً يحوّم في الهواء ببطء فوقهما، وهو ينخفض في طيرانه شيئاً فشيئاً، إلى أن انقض أخيراً على الأرض وراء صخرة كبيرة، وسمعتا للتو من هناك صرخة حادة محزنة، فهرعتا إلى المكان لتريا برعبٍ أن النسر قد أمسك بمخالبه صديقهما القزم العتيق عازماً على الطيران به. أشفقت البنتان على القزم فتمسكتا به وعملتا طويلاً على تحريره من مخالب النسر الذي تخلى أخيراً عن طريدته وطار. بعد أن التقط القزم أنفاسه من صدمة الرعب، صاح بالفتاتين بصوته الزاعق: «ألا تُحسنا التصرف معي بصورة أفضل؟ ها قد مزقتما سترتي الرقيقة فتشققت وامتلأت بالثقوب. يا لكما من حثالةٍ فظةٍ قليلةِ الحيلة!» ثم تناول كيسه المملوء بالحجارة الكريمة وانسل عائداً إلى مغارته تحت الصخرة. كانت البنتان قد تعودتا على نكرانه الجميل، فتابعتا طريقهما وأنهيتا مشترياتهما من المدينة. وفي طريق العودة مرتا بالمرج نفسه وفاجأتا القزم وهو جالس إلى جانب صخرته أمام بقعة نظيفة من الأرض، وقد فرد عليها أحجاره الكريمة، غير متوقع مرورَ أحدٍ في هذا الوقت المتأخر. ألقت شمس الغروب أشعتها على الأحجار الكريمة فأخذت تلمع وتتلألأ بكل الألوان في صورة بهية جذابّة، بحيث توقفت البنتان وهما تحدقان. فصاح بهما القزم: «ما بالكما تبحلقان بأفواه مرخية كالقرود!» ومن شدة غضبه تحول وجهه الرمادي إلى احمرارٍ متقد.

كان عازماً على متابعة سبابه وشتائمه عندما سُمع صوتُ زمجرةٍ عالٍ، تبعه ظهور دب أسود من الغابة يتقدم نحوهم مسرعاً. قفز القزم مرعوباً، لكنه لم يلحق أن ينسل إلى مخبئه تحت الصخرة، إذ كان الدب قد صار بجانبه، فصاح من أعماق خوفه: «أيها الدب العزيز لا تقتلني، سأعطيك كل كنوزي، انظر إلى هذه

Twitter: @ketab_n

الجواهـر الجميلة الملقاة هنـا. احفظ عليّ حياتي، هل سيشبعـك شخصٌ ضئيل نحيـف مثلي؟ حتى أنك لن تشعر بي بيـن أسنانك. خذْ هاتين الكافرتين، سيكون لحمهمـا يانعاً وطرياً، التهمهما بالله عليك، ودعني». لـم يأبه الدب لكلماته، بل صفع الشريرَ صفعةً وحيدة كانت القاضية.

كانـت البنتـان قد أخذتـا تركضان هرباً، لكـن الدب لحق بهمـا وهو يصيح: «يـا بياض الثلج، يا حمرة الـورد لا تخافا مني، انتظرا، أنـا آت معكما»، فعرفتاه مـن صوته وتوقفتـا، وعندما وصل الـدب إليهما، سقطت عنه فجـأة فروة الدب لتكشـف عن شاب جميل المحيّا في ثيابٍ موشاة بالذهب، وقال لهما: «أنا أمير، وقد سحرني ذاك القزم الكافر وسرق كنوزي. حوَّلني إلى دب بري أسكن الغابة، إلى أن تحررت بموته. وقد حصل الآن على العقوبة التي استحقها».

عقـد الأمير قرانه على بياضـ الثلج، وأخوه على حمرة الـورد، وتقاسموا في مـا بينهم الكنوز التي خبأها القزم فـي مغارته تحت الصخرة. عاشت الأم سنوات طويلة بعد ذلك عند ابنتيها في سعادة وهناء، وكانت قد نقلت معها شجيرتي الورد وزرعتهما تحت نافذة غرفتهـا، واستمرتا تحملان كل سنة أجمل الورود البيضاء والحمراء.

Twitter: @ketab_n

(١٦٣)

الخادم الذكي

كم سيكون سيد البيت سعيداً، وكم سيكون البيت مرتاحاً عندما يكون عنده خادم ذكي، يستمع إلى أوامره، لكنه لا ينفذها، بل يُفضّل اتباع حكمته الخاصة. كان هانس خادماً ذكياً من هذا النوع، أرسله سيده ذات يوم للبحث عن بقرة ضالة. غاب هانس طويلاً، ففكر سيده: «لا شك في أن هانس المخلص لن يقصّر في أداء واجبه». ولكن عندما لم يعد هانس أبداً، خشي سيده أن يكون قد أصيب بمكروه، فخرج بنفسه للبحث عنه. أخيراً وقع نظره عليه وهو يمشي في حقل واسع جيئة وذهاباً، ولمّا وصل إليه السيد قال له: «هل وجدتَ البقرة التي أرسلتك لتبحث عنها يا عزيزي هانس؟» فأجاب: «لا، لم أجد البقرة، ولم أبحث عنها أصلاً». فسأله السيد: «عمّا كنت تبحث إذن يا هانس؟» فأجاب الخادم: «عن شيء أفضل، وقد وجدتُه لحس الحظ». فعاود السيد السؤال: «وما هو يا هانس؟» فأجاب: «ثلاثة شحارير». فسأله السيد: «وأين هي الشحارير يا هانس؟» فأجاب: «الأول أراه والثاني أسمعه والثالث ألاحقه». هكذا جاء جواب هانس الذكي.

خذوا هذا كمثلٍ يقتدى، ولا تأبهوا لسادتكم وأوامرهم، بل يُفضَّل أن تعملوا ما يخطر في بالكم وما ترغبون فيه. عندها ستتصرفون بحكمة وذكاء مثل هانس.

Twitter: @ketab_n

(١٦٤)

التابوت الزجاجي

لا تقـل لأحدٍ إن خياطاً فقيراً لن يتقدم في حياته ولن يبلغ مكانة رفيعة أبداً. فكل ما هـو ضروري لذلك هـو أن يكونَ في الوقـت المناسب في المـكان المناسب، والأمر الأساسي هو أن يحالفه الحظ.

أحـد هؤلاء الخياطين الفتيان المهذبين الماهريـن النشيطين خرج ذات يوم في جولـة بحثاً عن عمل، فمرَّ من غابة واسعة، ولأنـه لم يكن يعرف الطريق فقد ضلّ. داهمتـه عتمـة المساء، ولم يكن أمامه من حلٍ سوى البحـث عن زاوية ينام فيها في هـذا المكان المنعـزل المرعب. كان بوسعه طبعاً الاستلقاء علـى الحشائش الطرية المريحـة، لكن ما أقلقه هو الخـوف من الحيوانات المفترسـة، وأخيراً حسم أمره وعزم على قضاء الليـل على شجرة. بحث عن سنديانة عالية وتسلقها حتى الذروة، وشكر ربه لوجود مكواتـه الحديدية معه، وإلا لطيّرته الريح التي تهب على أغصان الـذروة وحملته بعيداً. وبعد أن قضى بضع ساعات هناك بين الارتجاف والارتعاد، رأى علـى مسافـة غير بعيـدة بصيص نور. ولأنـه اعتقد أن مصدر النـور قد يكون مسكنـاً بشرياً، يُفضِّل أن يمضي فيه الليل، على البقاء بين أغصان الشجرة، فقد نزل عـن الشجرة بحذر واتجـه نحو مصدر النور الـذي تبيَّن أنه كـوخ صغير مبني من القصب المضفور بأوراق الحلفاء.

قـرع الباب بجرأة، فانفتح، ورأى في أشعة النور الساقطة نحو الخارج قزماً في أرذل العمر، رمادي الوجه يلبس ثوباً من خرق ملونة. سأله الشيخ: «من أنت وماذا تريد؟» فأجابه: «أنا خياط فقير، دهمني الليل في الغابة الموحشة، وأرجوك بحرارة

Twitter: @ketab_n

أن تسمـح لي بالمبيت في كوخك حتى الصبـاح». فأجاب الشيخ متبرّماً: «اذهب فـي سبيلك، لا أريد عنـدي أي متشردين. ابحث لنفسك عن مـأوى آخر». وأراد بعـد هذه الكلمات أن يغلق الباب، لكن الخياط أمسك بطرف ثوبه ورجاه بإلحاحٍ شديد، جعـل جانبَ الشيخ يلين، فهو على أية حال لم يكن جلفاً تماماً، كما حاولَ أن يبدو، فسمح له بالدخول وقدم له طعاماً وأشار إلى زاوية تصلح لنوم مريح.

لـم يحتَج الخياطُ المتعب إلى هزٍ كي ينام، بل غـرق فوراً في سبات عميق حتى الصباح، ولـم يكن يفكر بالنهوض بعدْ، لولا أنْ أرعبته ضجة صاخبة، فقد اخترقت جدران الكـوخ الرقيقة أصوات صراخ حاد وخوارٍ شديـد. والخياط الذي تلبسته فجـأة شجاعة غير متوقعة، قفز من مكانه وارتـدى ثيابه بسرعة وخرج من الكوخ، ليشاهـد علـى مقربة منه معركـة ضارية بين ثـورٍ أسود ضخم ووعـلٍ جميل. كانا يهاجمـان بعضهما بغضـب شديد، بحيث تهتـز الأرض لوقـع حوافرهما ويتخلل الهـواء من هزيـم صوتيهما. مرت فتـرة دون أن يتوضح من الغالـب منهما، ولكن أخيـراً طعن الوعلُ الثورَ بقرونه في بطنه، فهـوى الثور أرضاً مع خوارٍ مفزع. فتابع الوعل ضربات قرونه حتى قضى عليه نهائياً.

والخيـاطُ الذي تابع المعركة جامـداً في مكانه دون حـراك، رأى الوعل يندفع نحـوه، وقبل أن ينتبه إلى ما جرى كان الوعـل قد حمله على شعاب قرونه وانطلق. لـم يـدرك الخياط ما يحدثُ بسبـب سرعةِ الوعل في القفزِ عبـر المروج والغابات وفـوق الصخور، كان متمسـكاً بشدة بقرون الوعل بكلتي يديـه مستسلماً لقدره، وبـدا له وكأن الوعـلَ يطير. أخيراً توقف الوعلُ أمام جـدارٍ صخري وأنزلَ الخياطَ عـن قرونه بنعومة. والخيـاطُ الأقربُ إلى الموتِ منهِ إلى الحيـاة، احتاجَ إلى بعض الوقـت ليستعيد وعيه. وعندما التقـط أنفاسه، قامَ الوعل الواقـف إلى جانبه، بدفع بابٍ في الجدار الصخري، مستخدماً قرونه بكل قوة، إلى أن انفتح الباب واندفعت نحو الخارج ألسنة نيران تبعها بخار كثيف غشَّ على عيني الوعل. ولـم يدر الخياطُ مـاذا عليه أن يفعل أو إلى أين يتجه للخروج من هذا المكان القفر إلى مكان مأهول بالبشر.

Twitter: @ketab_n

وفـي لحظاتِ حيرته تناهى إليـه من الجدار الصخري صـوتٌ يخاطبه قائلاً: «ادخـل ولا تخشى شيئاً، لن يصيبك مكـروه». تردد قليلاً، لكن قوةً خفية دفعته، فانصاع للصوت وعبرَ الباب الحديدي إلى قاعةٍ ضخمة واسعة، سقفُها وجدرانها وأرضهـا مشكلة من بلاطـات حجرية مجلوخة حتى اللمعان مـن شدة نعومتها، وعلى كلٍ منها حُفـرت رموزٌ يجهلُ معناها. تملّى كل ما رآه بإعجاب وكان على وشك الخروج ثانية عندمـا تناهى إليه الصوت ثانية قائلاً: «قف على البلاطة التي تتوسـط القاعة، وسيكون بانتظارك حظٌّ عظيم». كانت شجاعته قد نمت إلى حد أن أطاع الصوت فوراً. أخذت البلاطة تتحرك تحت قدميه وهبطت نحو الأسفل، وعندمـا توقفت تلفت الخياط حوله، فوجد نفسه في قاعة تُماثل سابقتَها حجماً. لكـن مـا يشدُّ العينين كان هنا أكثـر. كان في الجدران كثيرٌ مـن التجويفات تشبه نوافذَ عميـاء مختلفة الحجوم، وُضِعت فيها زجاجـاتٌ مختلفة الشكل والحجم أيضـاً، مملـوءة إما بكحول ملـون أو بدخان أزرق. على أرضـ القاعة كان هناك صندوقـان كبيـران زجاجيان أثارا فضولـه. عندما اقترب مـن الأول رأى فيه بناءً جميـلاً يشبه قصـراً، محاطاً باصطبل وشونة ومستودع ومـا شابه ذلك. كان كل شيء صغيراً لكنه مشغول بعناية ودقة، فبدا وكأنه منحوت بيد نحات فنان.

مـا كان ليرفع ناظريه عن هذا الجمال النـادر، لو لم يسمع الصوت مرة أخرى يطالبـه بأن يستدير وينظر إلى الصندوق الزجاجي المقابل. وكم تصاعدت دهشته عندما رأى فيه فتاةً ذات جمال بارع، مستلقية كما في حالة نوم عميق وقد غطاها شعرهـا الأشقر الطويل مثل رداءٍ فاخر. كانت عيناها مغمضتين، لكن لون بشرتها الحيـوي وطرف شريط الشعر الذي كانـت أنفاسُها تحركه بانتظام، دلّلا بلا شك على أنهـا حيّة. أخذ قلب الخياط يخفق وهو يتملّى جمـال الفتاة، وفجأة فتحت عينيهـا، وعندما وقع نظرُها عليه ارتعشت بفـرح وهتفت: «يا لعدالة السماء! لقد دنَـت حريتي! بسرعـة، بسرعة، ساعدني علـى الخروج من سجنـي. إذا رفعتَ مـزلاجَ هذا التابوت الزجاجـي فسيتحقق خلاصي». أطـاع الخياط كلماتها بلا تـردد، فرفعت هي الغطـاء الزجاجي وخرجـت من التابوت وهرعـت إلى زاوية

Twitter: @ketab_n

القاعـة وتدثـرت بعباءة واسعة. جلسـت من ثمة على مقعد حجـري وطلبت من الخيـاط الجلوس إلى جانبها. وبعد أن طبعت على فمـه قبلة ودّية قالت له: «أنت مخلّصي المنتظر منذ وقت طويل. لقد قادتك السماء الرحيمة إلي، لتنهي عذابي. وفي يوم نهاية عذابي تبدأ سعادتك. أنت الزوجُ الذي أرسلته السماء لي، ولسوفَ أحبـك وأُغْنيك بثرواتٍ لا حدود لها، لتمضي حياتك بفرح دائم دون منغصات. اجلس واستمع إلى قصة قدري.

أنـا ابنة مسؤول كبير وثري في البلاط الملكـي. توفي والدي وأنا صبية يافعة، وكانـا في وصيتهما الأخيرة قد عهدوا بي إلى أخـي الكبير الذي أنشأني ورباني. كنـا نحب بعضنا بـكل رقة وكنا متطابقين فـي أسلوب تفكيرنا وفـي ميولنا، إلى درجة أن اتخذنا كلانا قراراً بأن لا نتزوج أبداً، بل أن نبقى سوية حتى خاتمة أيامنا. كان قصرنـا لا يخلو من الزوار: الجيران والأصدقـاء لا ينفكون عن زيارتنا، وكنا نَعمَ المضيفين بكرم.

وذات مسـاء طـرق باب قصرنا رجل غريـب بحجةِ أنّ المسـاء قد دهمه ولن يتمكـن من الوصول إلى البلـدة التالية، وطلب المبيت عندنا فأجبنا طلبه بأريحية. خـلال طعام العشـاء سامَرنا بأحاديثه بكل ظـرف. لاقى الرجـل استحساناً لدى أخـي فعرض عليه البقاءَ في ضيافتنا بضعـة أيام، فوافق بعد شيء من التمنع، وأطَلنا السهرَ ليلتها. خصصنـا غرفةً للضيف وأويتُ أنا إلى سريري متعبةً، لأريح أطرافي فـي نعيم فراشي. ما كدتُ أغفو قليلاً حتى أيقظتنـي أصداءُ ألحان موسيقة ناعمة. وبمـا أني لم أستطع تحديد مصدرهـا، أردتُ أن أنادي وصيفتي النائمة في الغرفة المجـاورة، ولكن لدهشتي واستغرابي أحسست وكأن عفريتاً يجثم على صدري وقـوةً خفيةً سلبتني صوتي، فلـم أعد قادرة على إصدار حتـى كلمة، وفي الوقت نفسـه رأيت في ضوء سراج الليـل الضيفَ الغريب يدخل إلـى غرفتي على الرغم مـن البابين الموصدين. اقترب مني وقال إنـه يمتلك قوى سحرية مكنته من توليد الموسيقا الحانية لإيقاظي، وها هو رغم الأقفال يدخل إليّ ليعرضَ عليَّ قلبَه ويدَه. لكـن اشمئزازي من قواه السحريـة كان من الشدة إلى حد أني لـم أجدُ عليه بأي

Twitter: @ketab_n

جواب. بقي مدة واقفاً بلا حراك، لربما بانتظار قرار إيجابي، ولكن عندما استمر صمتـي، أعلـن أنه سينتقم وسيجـد الوسيلة لمعاقبة تكبري عليه، ثـم غادر الغرفة مثلمـا دخلها. أمضيـت الليل في حالة مـن القلق البالغ، ولم أغـفُ إلا مع انبلاج الصبـاح. عندما استيقظت، أسرعت إلـى أخي لأخبره بما جرى، إلا أني لم أجده فـي غرفته، وأخبرني الخادم أنـه قد ركب جواده وانطلق إلـى الصيد منذ الفجر، بصحبة الضيف الغريب.

توقعـت السوء مباشـرة، فارتديت ثيابي بسرعـة وأمرت بـأن يُسرَح جوادي الخاصـ ثم انطلقت برفقة خـادم واحد إلى الغابة، وبأقصـى سرعة. تعثر حصان الخـادم وسقط على الطريق، فلـم يتمكن الخادم من اللحاق بـي. تابعت طريقي دون توقـف، وخلال دقائق معـدودة رأيت الغريب يقترب منـي وهو يسوق إلى جانبـه وعـلاً جميلاً. سألتـه أين ترك أخي وكيـف حصل على هـذا الوعل الذي كانـت الدموع تسيل مـن عينيه. وبدلاً مـن أن يجيبني، أخذ يقهقـه، ما أغضبني أشـد الغضب، فسحبت مسدساً من السرج وأطلقت النار على الرجل المتوحش، لكـن الرصاصة اصطدمت بصدره وارتدت مخترقة جبهة جوادي، فسقطت معه أرضاً، وغمغم الغريب بضع كلمات فقدت على أثرها الوعي.

عندمـا استعدت وعيي وجدت نفسـي في هذا التابوت الزجاجي في هذا القبر تحت الأرض. ظهر فنان السحر الأسود ثانية وأخبرني بأنه قد حوَّل أخي إلى وعل وقزَّم قصرنا مع كل ملحقاته وأقفل عليه الصندوق الزجاجي الثاني. وحوَّل جميع سـكان القصر والعاملين فيه إلى دخان حفظه فـي هذه الزجاجات. وإنْ رضختُ لرغبتـه فـلا أسهل عليه مـن أن يعيد كل شـيء إلى سابق عهـده بالحجم الطبيعي، بـأن يرفـع الأغطية فحسب. كان جوابي لـه مثل المرة الأولـى، فاختفى وتركني مرميـة في سجني وقـد غلبني نوم عميق. من بين الصـورة التي تراءت لروحي في المنام، صورة شـاب يأتي ليخلصني. واليوم عندما فتحت عينيّ ورأيتك، أدركت أن حلمـي قـد تحقق. ساعدْنـي على اتمام ما جـرى في منامي: «أولهـا أن نرفع الصندوق الزجاجي، الذي يوجد فيه قصري، على تلك البلاطة.

Twitter: @ketab_n

ومـا إن أُثقِلت البلاطة بالصندوق حتى ارتفعت مـع الفتاة والخياط إلى القاعة العليا عبر فتحة السقف، ومن هناك خرجا بسهولة إلى الهواء الطلق، حيث رفعت الفتـاة غطاء الصندوق الزجاجي. وكان رائعاً مشاهـدة القصر وتوابعه وهي تكبر وتتمـدد بأقصـى سرعة إلـى حجومها الطبيعية. عـادا من ثمة إلـى القاعة التحتية ونقـلا زجاجات الدخان والكحول على البلاطة إلى الأعلى. وحالما رفعت الفتاة الأغطيـة انطلق منها الدخان والكحول وتحوَّلا إلى بشر أحياء، عرفتْ فيهم الفتاةُ سكانَ قصرها وخدَمه. وقد تضاعفت فرحتُها حينما ظهرا أخوها قادماً من الغابة، فهو الوعل الذي قتلَ الساحرَ المتمثِّل ثوراً. وفي اليوم نفسه، وفاءً بوعدها، قدّمت الفتاة يدَها إلى الخياط السعيد أمام مذبح الكنيسة.

Twitter: @ketab_n

(١٦٥)

هاينْتس الكسلان

كان هاينْتس كسولاً. ورغم أنه لم يكن يشتغل شيئاً سوى إخراج عنزته الوحيدة إلـى المرعى يومياً، فقـد كان مساءً، بعد إنجاز عمله اليومي، يزفر عند وصوله إلى البيـت قائلاً: «إنه حقاً لعبء ثقيـل أن تسوقَ هذه العنزة سنةً وراء سنة إلى المرعى حتى أواخر الخريف. ويا ليتَ واحدُنا يستطيعُ أن يستلقي ويغفو أثناء ذلك! ولكن لا، علـى المـرء أن يفتح عينيه كي لا تـؤذي العنزة الشجيـرات الصغيرة، وكي لا تختـرق السياج إلى أحـد البساتين، أو كي لا تهرب: «فكيـف لواحدِنا أن يرتاحَ ويهنأ بحياته!»».

جلسَ هاينْتس وجمعَ أفكاره وأعمَل عقلَه في كيفية رفعِ هذا العبء عن كاهله. فكـر طويلاً بلا جدوى، ولكنْ فجأة لمعت الفكرةُ في رأسه فصاح: «الآن عرفتُ ما سأفعل. سأتزوجُ ترينِه السمينة، فهي أيضاً عندها عنزة، ستسوقُ عنزتي معها إلى المرعى، فأخلصُ من هذا العذاب». نهض هاينْتس إذنْ وحرّك أطرافَه المكدودة وعبَر الشـارعَ لا أكثرْ، إلى بيت والديّ ترينِه السمينـة، وطلبَ يد ابنتهما الشغيّلة الخلوقـة. ولم يُطِل الوالدان التفكير: «فالطيـور على أشكالها تقع»، كان رأيهما، ووافقا. أصبحـت ترينه السمينة الآن زوجةَ هاينْتس وباتـتْ تسوق العنزتين معاً. وامتلأت أيامُ هاينْتس سعادةً ولم يعد بحاجة لأن يرتاح، إلا من كسله الدائم. لكنه بيـن الحين والآخر كان يرافقُ ترينِه قائلاً: «لا أفعـلُ هذا إلا لألتذَ بهدوئي من بعد أكثر، فالاعتيادُ على الشيء يقتلُ الشعور به»».

لـم تكن ترينه السمينة أقلَّ منـه كسلاً، وذات يوم قالتْ لـه: «حبيبي هاينْتس،

Twitter: @ketab_n

مــا الحاجةُ إلــى أن نضيّع أحلى سنوات شبابنــا ونُمضي أيامَنا بمــرارة؟ أليس من الأفضــل أن نبدّل العنزتين بخليّة نحلٍ مــن عند جارنا؟ ثُغاءُ العنزتين صباحاً يُفسدا أجمــلَ ساعاتِ نومنا، أمــا خليةُ النحــلِ فسنضعها في مكانٍ مشمِــس وراءَ الدار ونتركهــا لوحدها، فالنحلُ لا يحتاجُ إلــى رعايةٍ وحماية ولا إلى أن نسوقَه بأنفسنا إلى المرعى. النحل يطيرُ إلى الزهور ويعرفُ طريقَ الرجوع بنفسه، ويضع العسل من دون أي جهدٍ من طرفنا». فأجاب هاينْتس: «كلامك كلامُ امرأةٍ فهيمة. سننفذُ اقتراحك بلا تردد، إضافة إلى أن العسلَ أطيب وأدسم من حليب المعز، وهو قابلٌ للحفظِ مدةً أطول».

كان جارهمــا بالــغ السرور بعملية التبديل. وكان نحــل الخلية يطير بلا توقف ذهابــاً وإياباً من الصباح حتى المساء ويملأ الخليــة بأفضل العسل. وفي الخريف استخــرجَ هاينْتس من الخلية مِــلءَ إبريقٍ كبير عسلاً صافيــاً، ووضعا الإبريق على رفٍ خشبــيٍّ ثبّتــاه على جدارِ غرفة النــوم. ولخوفِهما من أنْ يُســرق منهما أو أن تهاجمه الفئران، جهّزت ترينه نفسَها بقضيبٍ فتي من خشب البندق، وضعته إلى جانبِ السرير، كي تطالَه بيدِها من دون أن تُضطر إلى النهوض، وتتمكن من طرد الدخلاء غير المرغوب فيهم، من دون أن تغادر السرير. لم يكن هاينْتس الكسلان يفــارقُ السرير قبل وقت الظُهــر، مكرراً حكمته: «من ينهضُ باكــراً، يلتهم رزْقه عبثاً».

وذاتَ نهــار، بينمــا كان لا يزال مستلقيــاً ليرتاح من نومه الطويــل، قال لترينه السمينــة: «النساءُ تحب الحلويات، وأنتِ تُكثرين من لحــس العسل. يُفضَّل قبلَ أن تقضــي عليه وحــدَك أن نستبدِله بــإوزةٍ وفرخها». فأجابتــه: «ولكن ليسَ قبلَ أن يصبــحَ عندنا ولدٌ يرعاهما. لن أضيّــع أيامي في رعاية الإوزة، ولنْ أهدر طاقتي بــلا طائل في ذلك!» فتســاءل هاينْتس: «أتعتقدين أن ابننــا سيرعى الإوز؟ فالأبناءُ فــي هذه الأيام لا يطيعــون آباءهم، ولا يعملون إلا ما فــي رؤوسهم، لأنهم يظنون أنفسهــم أذكــى مــن آبائهم، مثــلَ ذلك الخادم الــذي كان عليه البحــث عن بقرةٍ ضالــة، فلاحقَ ثلاثةَ شحايــر». فعلّقت ترينه: «يا إلهي، كم سينالُ مني، إنْ لم يطع

Twitter: @ketab_n

كلمتـي. سأمسِك بالعصا وأضربه بها واستمرُ فـي ضربه حتى يتلوّن جلده، أترى يـا هاينْتس» وأمسكت فـي حماستها بعصا البندق التـي أرادت بها طرد الفئران، وتابعـت: «أترى، هكذا سأضربه»، ولوّحت بها عالياً، لكنها لسوء الحظ أصابت إبريق العسل على الرف فوق السرير. اصطدم الإبريق بالجدار وانكسر وتساقطت قطعه، وسال العسلُ اللذيذ على الأرض.

فقـال هاينْتس: «ها هي الإوزة وفرخها الآن على الأرض، دون حاجةٍ إلى مَن يرعاهمـا. ومـن حُسن حظنا أن الإبريـق لم يسقط على رأسِ أحدنا. لذلك لدينا كل أسبـاب الرضا عن قدرنا». ولمّا لاحظ وجـودَ بقايا عسلٍ على كسرةِ زجاج، فقد مـدّ إليها يده وهو يقول: «سنتلذذُ يا زوجتي العزيـزة ببقايا العسل ونسترخي قليـلاً بعدمـا أصابنا من رعب، فمـاذا سيحدثُ إذا تأخرنا فـي النهوض قليلاً بعد المعتاد؟ فالنهار طويل». فأجابته ترينه السمينة: «صحيح، والإنسان غالباً ما يصل فـي الوقت المناسب. أتعرف قصة الحلزون الـذي خرج ذات يوم لحضور حفلة عرس، لكنه وصل في حفلـة المباركة بطفل الزوجين؟ وعندما وصل إلى المكان قفز من فوق السور وهو يقول: «في العجلة الندامة.؟»

Twitter: @ketab_n

(١٦٦)

طائر الرخ

في يوم من الأيام كان هناك ملكٌ -نسيتُ اسم مملكته واسمه- لم يكن عنده ابن، بل ابنة وحيدة، دائمة المرض، لم يعرف لها طبيب دواء. وقال له أحد الحكماء إنها ستشفى إنْ أكلت تفاحاً، فأعلن الملك في جميع أنحاء مملكته، أن من يجلب إلى ابنته تفاحاً يؤدي إلى شفائها، سيحصل عليها زوجةً ويصير ملكاً.

سمع بذلك فلاح عنده ثلاثة أبناء، فقال لبكره: «اذهب يا أُلريش إلى المستودع واملأ سلةً بأجمل التفاح ذي الخد الأحمر، وخذ السلة إلى القصر، فلربما تشفى الأميرة إذا أكلت منها، فتتزوجها وتصير ملكاً». نفّذ الفتى الأمر مثلما أمره أبوه، وانطلق على الطريق، وبعد أن قطع مسافة طويلة التقى بقزم في أرذل العمر، سأل عمّا يحمل في سلته، فأجاب أُلريش: «أفخاذ ضفادع». فقال له القزم: «فلتكن إذن كما قلتَ، ولتبق كذلك!» ومشى. وصل أُلريش أخيراً إلى القصر، وطلب المثولَ بين يدي الملك، لأنه يحمل تفاحاً سيشفي الأميرة إذا أكلت منه فرح الملك بالنبأ فرحاً عظيماً وسمح له بالدخول. ولكن يا للهول! فما أن رفع غطاء السلة حتى وجدها مملوءة بأفخاذ الضفادع التي ما زالت تلعبط. غضب الملك وأمر بطرده خارج القصر.

عندما وصل أُلريش إلى الدار أخبر أباه بما جرى له، فكلف الأب ابنه الأوسط صموئيل، الذي جرى له مثلما جرى لأخيه. التقى على الطريق بقزم في أرذل العمر أيضاً وسأله عما في سلته، فأجابه صموئيل: «شعرَ خنزير خشناً». فقال له القزم: «فليكن إذن كما قلتَ، وليبقَ كذلك!» وعندما وصل إلى القصر وأخبرهم

Twitter: @ketab_n

أنح يحمل تفاحاً سيشفي الأميرة، رفضوا السماح له بالدخول وقالوا له إن أحدهم قـد لعب عليهم بالحجة نفسها. لكن صوئيل أصر على أنه يحمل تفاحاً حقاً، وما عليهـم إلا أن يدخلوه. صدقـوه أخيراً وقادوه إلى الملك، لكنـه عندما رفع غطاء سلتـه، كان ما فيها حقاً شعر خنزير خشن، ما أدى إلى انفجارِ الملك غضباً وأمرِه بجلد صموئيل حتى مغادرته القصر.

عندمـا وصـل صموئيل إلى الدار أخبر أباه بما جر له، فجـاء أصغر أبنائه الذي كانـوا يلقبونه هانْس الغبي وسأل أباه عمـا إذا كان سيسمح له بأخـذ التفاح إلى القصـر أيضاً. فأجابه أبوه: «طبعاً، فأنت الشخص المناسب لهذه المهمة! إذا كان أخـواك الذكيان قد أخفقا، فما الـذي ستقدمه أنت!» لكن الفتى لم يتراجع وقال: «اسمـح لي أنا أيضاً بالذهاب يا أبـي». فأجابه أبوه: «ابتعد عن طريقي أيها الغبي، عليـك الانتظار حتى تكبر وتنضج». وأدار له ظهره. لكن هانس شدَّ سترة أبيه من الخلـف وهو يقول: «ومع ذلك أريد أن أذهب يـا أبي»، فجاءه جواب أبيه الفظ: «ليكـن إذن، اذهـب إذا أردت، لكنـك ستعود على عقبيك». لكـن الفتى أفرحه الجـواب جداً، لدرجة أنـه قفز في الهواء مـن شدة سعادته، فقال لـه أبوه: «هيا، تصـرف كالمعتـوه، فأنت من يوم إلى آخر تزداد غبـاء». لم ينزعج هانس من قول أبيـه ولم يتأثر به. ولكن بسبب اقتراب الليل، فكـر بتأجيل ذهابه إلى القصر حتى الغد، لأن الوقت الآن لم يعد كافياً.

وفي سريره ليلاً لم يستطع النوم، وإذا غفا قليلاً كان يحلم بعذراوات جميلات وقصـور وذهـب وفضة وبكل ما هـو جميل. انطلق من الدار فـي وقت مبكر من الصبـاح، وبعد مدة غير طويلة التقى القزمَ العابسَ في ردائه الرمادي العتيق والذي سأله عما يحملِ في سلته. فأجابه هانس بأنه يحمل تفاحاً قد يؤدي إلى شفاء الأميرة إذا أكلت منه. فقال له القزم: «فليكن إذن كما قلتَ، وليبقَ كذلك!»

أمـا في القصر فقد رفضوا السماح لهانـس بالدخول بأي شكل من الأشكال، فقـد جاءهم اثنان، زعمـا أنهما يحملان تفاحاً، فإذا بـالأول يحمل أفخاذ ضفادع

Twitter: @ketab_n

والثانـي شعر خنازير خشناً. لم يتراجع هانس، بل ألـح على أنه يحمل حقاً تفاحاً وليـس شعـر خنازير، بل أجملِ أنواع التفاحِ الذي ينمو فـي المملكة كلها. ولأنه كان يتكلم من قلبه بإخلاص، فكّر حارس البِوابة بأن هذا الفتى لا يكذب. سمحوا لـه إذن بالدخول، وكانوا محقين في ذلك، إذ عندمـا رفع غطاء السلة أمام الملك كانـت مملوءة بتفاح ذهبي أصفر. فرح الملك وأرسل بعضها فوراً إلى ابنته وأخذ ينتظـر بتوقعٍ وجلٍ نبـأ تأثير التفاح علـى ابنته. ولكن لم يمضِ طويلُ وقتٍ حتى جـاءه النبأ. ومَن كان حامـل النبأ برأيكم؟ ابنته الأميرة بنفسهـا! فما أن أكلت من التفـاح حتى تعافت وقفزت من سريرها. أمّا فرحُ وسعادة الملك بذلك فلا يمكن وصفهما. وعلى الرغم من ذلك لم يشأ أن يعطي ابنته زوجةً للفتى هانس، بل قال إن عليه قبل ذلك أن يصنع له زورقاً يمشي على البر أفضل منه على الماء.

قبل هانس الشرطَ وعادا إلى داره وحكى لهم ما جرى له، فأرسل الأب أُلريش إلـى الغابة ليصنـع زورقاً من هذا القبيـل. عمل أُلريش بهمةٍ ونشـاط وهو يصفر. وظهـراً عندما صـارت الشمس في كبد السمـاء جاءه قزمٌ مسن فـي رداء رمادي عتيـق وسأله عمّا يصنـع، فأجابه أُلريش: «مغارف». فقال لـه القزم: «فلتكن إذن كمـا قلتَ، ولتبقَ كذلك!» ومساءً تصـوَّر أُلريش أنه قد انتهى من صناعة الزورق، لكنـه عندما أراد الجلوس فيه لم يجد أمامه سوى مغـارف. في اليوم التالي ذهب صموئيل إلى الغابة، بيدَ أنَّ حاله لم تكن بأفضل من حال أُلريش. وفي اليوم الثالث ذهب هانس الغبي إلى الغابة واشتغل بجدٍ ومثابرة، بحيث ترددت أصداء ضربات فأسـه القوية فـي أنحاء الغابة، وهو يغنـي ويصفر بمرح، فجاءه القـزم عند الظهر وسألـه عما يصنع، فأجابه: «أصنـع زورقاً يمشي على البر أفضـل منه على الماء، وعندما سأنتهي منه سأحصل على الأميرة زوجة». فقال له القزم: «فليكن إذن كما قلتَ، وليبقَ كذلك!»

نحـو المساء عندما بـدأت الشمس بالغروب بلمعانها الذهبـي كان هانس قد انتهـى مـن صنع زورقـه وتوابعه كلها. فجلسـ فيه وجذَّف باتجـاه القصر، لكن الزورق مشى أسرع من الريح.

Twitter: @ketab_n

رآه الملك قادماً من بُعد، لكنه بقي مصراً على عدم إعطائه ابنته واشترط عليه أن يرعى مئةً من الأرانب من الصباح حتى المساء، من دون أن يضيع منه واحد منها. قبِل هانس الشرطَ وخرج في صباح اليوم التالي مباشرة بالقطيع إلى المرعى، وتيقّظ جيداً لئلا يضيع منه أحدها. بعد فترة قصيرة جاءته خادمة من القصر وقالت له إن عليه بسرعة أن يعطيها أرنباً لتحضيره لضيف قادم. بيد أن هانس انتبه إلى مقصدها وقال لها إنه لن يعطيها أي أرنب، ولينتظر الملك حتى الغد لتكريم ضيفه بأرنب مفلفل. لكن الخادمة لم تتراجع ثم بدأت تشتم وترفع صوتها. عندها أخبرها هانس بأنه لن يقدم الأرنب إلا للأميرة نفسها.

خلال ذلك جاء القزم المسن إلى هانس مجدداً وسأله عما يفعله، فأجابه بأن عليه أن يحرس الأرانب المئة لئلا يفقد أحدها، وبعدها سيتمكن من الزواج بالأميرة ومن ثمة سيصير ملكاً. فقال له القزم: «جيد، إليك هذه الصافرة الصغيرة، فإذا نقص أحد الأرانب، انفخ في الصافرة، فيعود إليك». وعندما أتت الأميرة إليه أعطاها هانس أرنباً حملته في مئزرها، وما أن ابتعدت عنه نحو مئة خطوة حتى صفر هانس، فقفز الأرنب من المئزر وجرى عائداً إلى القطيع. وعندما هبط المساء صفر راعي الأرانب وتأكد من وجودها كلها ثم ساقها إلى القصر.

استغرب الملك أن يتمكن هانس من رعاية مئة أرنب دون أن يضيع منه أي منها. وعلى الرغم من كل ذلك تمسك بموقفه السابق، وقال إن على هانس أن يأتيه أولاً بريشة من ذيل طائر الرخ. ومن فوره انطلق هانس على الطريق بكل حيوية، ووصل مساءً إلى قصرٍ فطلب الإذن للمبيت – ففي ذلك الزمن لم يكن هناك فنادق – فرحب به سيد القصر وسأله عن وجهته، فأجابه هانس: «إلى طائر الرخ». فقال سيد القص: «هكذا إذن، إلى طائر الرخ؟ يقول الناس دائماً إنه يعرف كل شيء، وأنا أضعت مفتاح خزينتي الحديدية، فهلا سألته عن مكانه!» فأجابه هانس: «طبعاً سأسأله».

في الصباح الباكر تابع هانس طريقه ووصل بعد حين إلى قصرٍ ثانٍ وطلب

Twitter: @ketab_n

الإذن للمبيت. عندما عرف أهل القصر أنه على الطريق إلى طائر الرخ، أخبروه أن في القصر فتاةً مريضة جربت جميع الوسائل من دون جدوى، فهلا تلطف هانس وسأل طائر الرخ عن الدواء الذي يشفيها. فأجاب هانس بأنه سيفعل ذلك بسرور، وتابع طريقه حتى وصل إلى مجرى نهر، ولكن بدلاً من وجود عبّارة كان هناك رجل ضخم جداً ملزمٌ بنقل الجميع إلى الضفة الأخرى وبالعكس. سأل العملاقُ هانس عن وجهة رحلته، فأجابه: «إلى طائر الرخ». فقال له العملاق: «عندما تصل إليه، أرجوك أن تسأله، لماذا أنا ملزمٌ بنقل الجميع بين الضفتين؟» فقال هانس: «بالله سأسأله». فحمله الرجل على كتفه وعبر به النهر.

وفي نهاية المطاف وصل هانس إلى منزل طائر الرخ، لكنه لم يجد في المنزل سوى زوجته، أما الرخ نفسه فكان غائباً. سألته زوجة الرخ عن مبتغاه، فحكى لها هانس كل شيء: أن عليه إحضار ريشة من ذيل طائر الرخ، وأن عليه سؤاله عن مكان مفتاح الخزنة الحديدية الضائع من صاحب القصر الفلاحي، وعن دواء الفتاة المريضة في القصر الفلاني، وعن سبب التزام العملاق بنقل الجميع بين ضفتي النهر غير البعيد من هنا. فقالت له زوجة الرخ: «انظر يا صديقي الطيب، لا يستطيع أي مسيحي أن يخاطب الرخ مباشرة، لأنه يفترسهم جميعهم. ولكن إذا أردتَ، يمكنكَ الاختباء تحت السرير، وليلاً عندما يستغرق في نومه يمكنك شد ريشة من ذيله، أما الأسئلة التي تريد معرفة أجوبة لها، فسأسأله إياها بنفسي». قبِل هانس اقتراحها واستلقى تحت السرير، ومساءً عندما عاد طائر الرخ ودخل الحجرة قال لزوجته: «يا زوجتي، أشم رائحة مسيحي». فأجابته: «صحيح، اليوم جاء مسيحي إلى هنا، لكنه رحل مجدداً». فصمتَ طائر الرخ ولم يعلّق بشيء. عند منتصف الليل أثناء شخير طائر الرخ مدَّ هانس يده ونتف ريشة من ذيله. فارتعد الرخ فجأة وقال: «يا زوجتي، أشم رائحة مسيحي هنا، وأحسستُ أن أحدهم شدَّني من ذيلي». فأجابته زوجته: «كنتَ تحلم بالتأكيد، وقد أخبرتك اليوم أن مسيحياً كان هنا ثم رحل، وقد حدثني عن أمور كثيرة: في أحد القصور مثلاً أضاعوا مفتاح الخزنة الحديدية ولم يعثروا عليه». فأجابها الرخ: «يا لهم

Twitter: @ketab_n

من مجانيــن، المفتاح موجود فـي مستودع الخشب، وراء البــاب، تحت كومة الحطب». فتابعت الزوجة: «ثم حدثني عن فتاة مريضة في قصرٍ ثانٍ، لم يعرفوا لها دواء يشفيها». فأجابها الرخ: «يا لهم من مجانين، تحت درج القبو بنت سلحفاةٌ عشاً من شعر الفتاة، إذا استعادت الفتاة شعرها فستشفى». فتابعت الزوجة قولها: «وحدثني كذلك عــن نهر قريب يقف فيه رجل ضخم، وهو ملزم بنقل الناس بين الضفتيــن». فأجابها الرخ: «يا له من مجنــون، ليقم مرةً بتركِ أحدهم في منتصف المسافة، عندها لن يحتاج لنقل أحدٍ بعدْ».

فـي الصباح الباكر نهض طائــر الرخ وغادر المنزل، فخــرج هانس من تحت السريــر وبيــده ريشة جميلة، كما كان قد سمع ما قاله لــه طائر الرخ بصدد مفتاح الخزنــة والفتاة المريضة وعملاق النهر. لكن زوجة الــرخ كررت أمامه كل شيء ثانيــة كيلا ينسى شيئاً، ومن ثمة انطلق على الــدرب نحو دياره. ومرَّ أولاً بعملاق النهــر الذي سأله من فوره عن جواب الرخ، فأجابــه هانس: «أوصلني إلى الضفة الأخــرى أولاً، وهنــاك سأخبرك»، فحملــه الرجل ونقله، وعلــى الضفة الأخرى أخبــره هانس بــأن عليه ذات مرة أن يتــرك أحدهم في منتصــف المسافة ويغادر. فرح الرجل بهذا الحل فرحاً هائلاً، وتعبيراً عن شكره اقترح على هانس أن يحمله مــرة أخرى جيئــة وذهاباً عبر النهر، فقــالَ له هانس: «لا يا عزيــزي، وفر جهدك لغيــري، أنــا راض عن خدماتك حتــى الآن كل الرضا»، وتابــع طريقه حتى قصر الفتــاة المريضة، فحملها على كتفــه، لأنها غير قادرة على المشي، ونزل بها درج القبــو وأمسك بعش السلحفــاة الموجود تحت الدرجة السفليــة ورفعه بين يدي الفتــاة، فقفزت الفتاة عن كتفه وارتقت الدرجاتِ قبْله وقد شفيت تماماً، ما أفرح والديها وأسعدهمــا، فقدّما لهانس هدايا من الذهب والفضة وكل ما اشتهته نفسه مــن القصر. وعندمــا وصل هانس إلى القصــر الأول توجه مباشــرة إلى مستودع الأخشــاب ووجد المفتاح حقاً تحت كومــة الحطب وراء الباب، فقدّمه إلى سيد القصر. سُرّ سيد القصر بذلك وكافأ هانس بكثير من الذهب الذي كان في الخزنة، إضافة إلى هدايا كثيرة أخرى من بقر وغنم ومعز.

Twitter: @ketab_n

عندما بلغ هانس قصر الملك ومعه الأموال والذهب والفضة والهدايا والأبقار والخـراف والعنـزات، سألـه الملك: «من أيـن حصلتَ على كل هـذا؟» فأجابه هانسـس: «طائر الرخ يعطي كل إنسانٍ ما يبغيه». ففكر الملك بأنه هو أيضاً بحاجة إلـى مثل هذا، وخرج ذاهباً إلى طائر الرخ، بيد أنه عندما وصل إلى النهر كان أولَ مـن قابله العملاقُ بعـدَ هانس، فتركه العملاقُ في منتصـف مجرى النهر وغادر، فغرق الملك. أما هانس فتزوج الأميرة وصار ملكاً.

(١٦٧)

هانس القوي

كان هنـاك في قديم الزمان رجـل وامرأته وعندهما صبي صغير وحيد، وكانوا يعيشـون وحدهـم فـي وادٍ منعزل. وذات يـوم ذهبت المـرأة إلـى الغابة لتجمع أغصـان التنوب الجافة، وأخذت معها ابنها هانس الذي كان في الثانية من عمره. وبمـا أن الوقت كان ربيعـاً والصغير يبدي فرحه بالزهـور الملونة، فقد توغلا في الغابـة، وفجـأة قفز من وراء الأدغال لصان أمسكا بالمـرأة وطفلها وقادوهما إلى عمـق الغابـة السوداء، حيث لا يقتـرب الناس مطلقاً. توسلت المـرأة إلى اللصين واستعطفتهما ليطلقا سراحا مع طفلها، لكن قلبيهما كانا من حجر: لم يستمعا إلى رجائها وتوسلاتها، بل ساقاها أمامهما بعنف.

وبعـد أن مشوا نحو ساعتين عبر شجيرات وأشواك، وصلوا أخيراً إلى صخرة هائلـة فيها باب، قرعه اللصـان فانفتح فوراً، فعبروا نفقاً طويـلاً معتماً وصلوا في نهايتـه إلى مغـارة كبيرة تضيؤها نار مشتعلة في مدفـأة مكشوفة. وقد علّقت على الجـدار سيـوف متنوعة وأسلحة قتلٍ مختلفـة تلتمع نصالها في ضـوء النار. وفي الوسط كانت هناك طاولة سوداء اللون يجلس حولها أربعة لصوص آخرون يلعبون بالنرد، وجلس زعيمهم على رأس الطاولة. عندما رأى زعيمهم المرأة اقترب منها وخاطبهـا قائـلاً بأن عليها أن تهـدأ وألاّ تخاف، فهم لن يؤذوهـا، لكنها ستكون مسؤولـة عـن شؤون بيتهـم من حيث الترتيـب والتنظيف والطبـخ، فإن نجحت ستكـون أمورها على ما يرام. ثم قدموا لها طعاماً وأرشدوها إلى سرير لتنام فيه مع طفلها.

Twitter: @ketab_n

قضت المـرأة عدة سنوات عنـد عصابة اللصوص، نما خلالهـا الطفل هانس وصـار طويل القامة قوي البنية. وكانت أمه تحكي له حكايات وعلمته القراءة من كتـاب فروسية قديم وجدته في المغارة. وعندما صـار في التاسعة من عمره صنع لنفسه من غصن تنوب هراوة متينة وخبأها وراء السرير، ثم توجه إلى أمه وسألها: «هل لك يا أمي الحبيبة أن تخبريني، مَن هو أبي. يجب أن أعرف ذلك». صمتت المـرأة ولم تبغ إخباره كـي لا يتولد لديه حنين إليه، وكانـت تعرف أن اللصوص الكفـرة لن يتركوا هانس يذهب، بيد أن قلبهـا كان يتقطر لعدم التقاء هانس بأبيه. وليـلاً عندما عاد اللصوص من غزوتهم إلى المغارة أخرج هانس هراوته وانتصب أمـام زعيمهـم وقال له: «أريـد الآن أن أعرف من هـو أبي، وإذا لـم تجبني فوراً سأحطمـك». عندها ضحك الزعيم وصفع هانس صفعـة كوَّرته تحت الطاولة. نهض هانس صامتاً وفكر: «سأنتظر سنة أخرى، ثم سأحاول مجدداً، فقد أنجح».

وبعـد انقضاء السنة، أخرج هراوتـه ثانية ونظفها من الغبار، ثم تمعن فيها وهو يقول: «إنها هراوة قوية وستقوم بواجبها». عاد اللصوص ليلاً وشربوا نبيذاً، زجاجة وراء أخـرى وأخذت رؤوسهم تتمايل. عندها أحضر هانس هراوته وانتصب أمام الزعيـم ثانية وسأله عن أبيـه، فصفعه الزعيم مجدداً صفعة كانت من الشدة بحيث تدحـرج هانس تحت الطاولة. ولكن لم تمض لحظات حتى انتفض واقفاً وهوى بهراوتـه على الزعيـم واللصوص حتى لم يعودوا قادريـن على تحريك سواعدهم وسيقانهم. كانت الأم واقفة في زاوية تراقب مندهشةً شجاعة ابنها وقوته.

وعندمـا خلَّص هانـس عليهم اتجه إلى أمه وقال لهـا: «كنتُ جاداً في قصدي هـذه المـرة، ولكن لا بد من أن أعـرف الآن من هو أبي». فأجابتـه أمه: «تعال يا حبيبـي، لنذهـب ونبحث عنه إلـى أن نجده». أخذت مفاتيح البـاب من الزعيم، بينمـا أحضر هانس كيس طحين كبيراً فارغاً، وملأه من الذهـب والفضة والنفائس التـي وجدهـا وحمله على ظهره. غـادر هانس المغارة مع أمـه، وكم كان ذهوله كبيراً عندما خرج إلى ضوء النهار، ورأى الغابة الخضراء والزهور الملونة والطيور وشمـس الصباح، فوقف جامداً ينظر إلـى كل شيء كالمجذوب. فتشت الأم عن

Twitter: @ketab_n

الطريق المؤدية إلى ديارها، وبعد عدة ساعات من المشي وصلا بسلام إلى الوادي المنعـزل وإلى الدار الصغيـرة. كان زوجها جالساً عند البـاب، وبكى من الفرح عندمـا تعـرف زوجته وسمع منهـا أن هانس ابنه، فقد اعتقد أنهمـا ميتان. ورغم أن هانـس لـم يتجاوز الثانية عشرة مـن عمره بعد، فقد كان أطول مـن أبيه برأسه كلـه. دخلوا إلى الغرفة معاً، ولكن ما أن أنزل هانس الكيس على المقعد المجاور للموقد حتـى أخذت الدار كلها تطقطق، وانكسر المقعـد ثم انخسفت الأرضية وسقط كيس الطحين إلى القبو، فصاح الأب: «حمانا الله، ما هذا؟ ها قد حطّمت دارنـا الصغيرة». فقال له هانس: «لا تدع شعـرك يشيب لهذا الأمر يا أبي العزيز، ففي الكيس ما يكفي لبناء دار جديدة وزيادة».

وبدأ هانس وأبوه فوراً ببناء دار جديدة، واشتريا الأرض المحيطة بها، وبعض الـدواب من بقر وماعـز وخنازير. فلحَ هانـس الأرض، وعندمـا كان يقف وراء المحراث ويولجُ الشفرة في التربة، لم يكن على الثورين بذلَ جهدٍ لجر المحراث. فـي الربيع التالي قـال هانس لأبيه: «احتفظ بالمال كله يـا أبي، ولكن دع الحداد يصنـع لي عصا تجوال حديدية ثقيلـة، وليكن وزنها قنطاراً، لأتمكن من الخروج إلى الغربة والتجوال بأمان».

عندمـا جهزت العصا، غادر هانـس دار أهله ودخل غابة كثيفـة معتمة. سمع أصوات حفيـف وطقطقة، فتلفت حوله فرأى شجرة تنوب مبرومة كالضفيرة من أسفلهـا إلى أعلاها، وعندما رفع نظره نحو ذروتها رأى رجلاً ضخماً وقد أمسك بالشجـرة وأخذ يبرمها وكأنها عـود في مرعى. فناداه هانـس: «أنت، ماذا تفعل فـوق؟» فأجابه الرجـل: «جمعتُ أمس كومة أغصانٍ يابسـة، وأنا أفتل الآن حبلاً أربطهـا وأحملهـا». ففكر هانس: «يعجبنـي هذا الكلام. لا شك فـي أن الرجل قـوي». فنـاداه ثانية: «دع ما بيـدك الآن وتعال معي». هبـط الرجل عن الشجرة فتبيـن أنه أطول حتى من هانس برأس، علماً بأن هانس كان طويلاً. قال له هانس: «اسمك منذ اليوم فتّال التنوب»، ومشيا معاً فترة، سمعا بعدها أصوات دقٍ وطرقٍ قوية جداً، بحيث كانت الأرض تهتز مع كل طرقة.

Twitter: @ketab_n

وصلا بعد قليل إلى صخرة جبارة كالجبل، وقف أمامها عملاق يكسر منها بقبضته قطعاً كبيرة. عندما سأله هانس عن غرضه من تكسير الصخرة، أجاب: «عندما أريد أن أنام ليلاً تأتي دببة وذئاب وغيرها من هذا النوع من الحشرات وتتشممني وتزعجني ولا تدعني أنام. لذلك سأبني لنفسي بيتاً كي أستلقي فيه وأنام بهدوء». ففكر هانس: «يا سلام، هذا سأحتاج إليه أيضاً»، وقال له: «دعك من بناء البيت وتعال معي. سيكون اسمك منذ اليوم مفتت الصخر». وافق العملاق، فمشى الثلاثة عبر الغابة، وحيثما حلوا كانت الحيوانات البرية تنفر بعيداً مرعوبة. وصلوا مساءً إلى قصر قديم مهجور على تلة، فصعدوا إليه واستلقوا للنوم في القاعة.

في صباح اليوم التالي نزل هانس إلى حديقة القصر فوجدها مهملة تماماً ومملوءة بشجيرات الشوك والنباتات البرية، وفيما كان يتحرك في أطرافها هاجمه خنزير بري ضخم، فضربه بعصاه المعدنية فخر صريعاً من فوره. حمله هانس على كتفه وصعد به إلى القصر، حيث شكّوا فيه سيخاً كبيراً ورفعوه على النار حتى نضج شيّاً فأكلوه مسرورين.

اتفقوا من ثمة على أن يخرج اثنان منهم إلى الصيد يومياً، فيما يبقى الثالث لتحضير الطعام، وبالتناوب. وحصة كلٍ منهم رطلاً من اللحم يومياً. في اليوم الأول بقي فتّال التنوب في القصر للطبخ، وخرج هانس ومفتت الصخر للصيد. وبينما كان فتال التنوب مشغولاً بالطبخ دخل عليه قزم مسن أعجف وطلب منه لحماً، فأجابه الفتال: «انقلع أيها الذليل، أنت لا تحتاج إلى لحم». وكم كانت دهشة الفتال كبيرة عندما قفز عليه هذا القزم الضئيل الحقير وهاجمه بقبضتيه وقدميه لكماً ورفساً، بحيث لم يستطع الدفاع عن نفسه وسقط أرضاً مقطوع الأنفاس، ولم يحلَّ القزم عنه حتى أفرغ كلَّ غضبه فيه.

عندما رجع الآخران من الصيد، لم يذكر الفتال أمامهما شيئاً عن القزم وضرباته التي تلقاها منه وفكر في نفسه: «عندما يبقيان في البيت، يمكن لكل منهما أن

Twitter: @ketab_n

يخوض تجربته مع القزم وخراميشه» وسرّته الفكرة فابتسم بينه وبين نفسه. في اليوم الثاني بقي مفتت الصخر للطبخ، وجرى معه مثلما جرى مع الفتال، فقد هاجمه القزم وأوسعه ضرباً لأنه رفض أن يعطيه لحماً. ولمّا عاد الآخران مساءً، لاحظ الفتال آثار الحفلة على مفتت الصخر، بيد أنهما صمتا كلاهما وفكرا: «يجب على هانس أيضاً أن يجرب الحساء الساخن نفسه».

بقي هانس في القصر في اليوم الثالث وعمل على إنجاز عمله في المطبخ كما يجب. وعندما ارتفعت زفرة اللحم في القدر جاء القزم وطالبه دون مقدمات بقطعة لحم. ففكر هانس: «إنه فقير مسكين، سأعطيه قطعة من حصتي، كيلا تنقص حصتا الآخرين»، وناوله قطعة لحم. وبعد أن التهمها القزم طالبَ هانس بقطعة أخرى، فأعطاه هانس الطيب قطعة ثانية قائلاً: «إليك هذه القطعة الجميلة لترضى وتكتفي!» لكن القزم طالب بقطعة ثالثة، فقال له هانس: «أنت قليل الأدب» ولم يعطه المزيد. عندها أراد القزم الشرير أن يقفز عليه ويهاجمه مثلما فعل مع الفتال والمفتت، لكنه أخطأ الهدف. فقد ضربه هانس بضع ضربات من دون أن يبذل جهداً، دحرجه بها على درج القصر إلى الحديقة، وأراد أن يلحق به، إلا أنه تعثر به وسقط فوقه. وعندما نهض ثانية كان القزم قد سبقه. أسرع هانس في أثره إلى الغابة ورآه ينزلق في فتحة في الصخر. انتبه هانس إلى مكان الفتحة ثم عاد إلى القصر.

عندما عاد الآخران من الصيد استغربا طيب مزاج هانس، فحكى لهما ما جرى، فاعترفا عندها بما جرى لهما، فضحك هانس وقال: «تستحقان العقوبة لبخلكما باللحم، ولكنْ عارٌ عليكما بقامتيكما وقوتكما أن تسمحا لقزم بضربكما». بعد ذلك أخذوا معهم سلة كبيرة وحبالاً وذهبوا إلى الفتحة الصخرية التي انزلق إليها القزم، وهناك أنزل الاثنان هانس مع عصاه بالسلة عبر الفتحة. عندما وصل هانس إلى القعر وجد أمامه باباً، ولمّا فتحه رأى صبية رائعة الجمال بصورة لا توصف جالسة هناك، وإلى جانبها القزم الذي كشّر في وجه هانس مثل القرود طويلة الذيل. كانت الفتاة مقيدة بسلاسل معدنية، ووجهها يعلوه حزن عميق، جعل

Twitter: @ketab_n

هانس يتعاطف معها بقوة. قال هانس في نفسه: «عليك أن تحررها من قبضة هذا القزم الشريـر»، ووجه إليه ضربة بعصاه المعدنية فسقـط ميتاً، وفي التو واللحظة تساقطت السلاسل والقيود عن الصبية التي أُخِذَ هانس بسحر جمالها. أخبرته أنها أميـرة اختطفهـا مسؤول متنفذٌ في بلاط أبيها وسجنها فـي هذه المغارة الصخرية لأنهـا رفضت أي صلةٍ به على الإطـلاق. وقد جعل خاطفُها من هذا القزم حارساً عليهـا، فأزعجها وآلمها. بعد ذلك أركبهـا هانس في السلة التي رفعها زميلاه إلى سطـح الأرض. هبطت السلة إلى القعر ثانية، لكـن هانس شعر فجأة بعدم ثقة في زميله، وقال في نفسه: «لقد أخطأا إذْ أخفيا عنك موضوع القزم، ومن يدري ماذا يدبـران لك الآن»، فوضع عصاه الحديديـة في السلة، وكان هذا لحسن حظه، إذ عندمـا وصلت السلة إلى منتصف المسافة حتى السطح تركها زميلاه تسقط. ولو أنـه كان فيها لتحطـم ومات. لكنه لم يدر الآن كيف سيصعـد إلى سطح الأرض، فكـر وفكر، لكنه لم يجـد حلاً، فقال في نفسه: «لمن المحـزن حقاً يا هانس أن تهلـك في هـذا الجحر تحت الأرض». وفيمـا هو يمشي جيئة وذهابـاً، مر ثانية ببـاب الحجـرة، حيث كانت الصبيـة جالسة، ورأى في أصبع القـزم خاتماً يلمع ويبرق. سحبه هانس مـن أصبع القزم ولبسه في أصبعه وحركه حول أصبعه، وإذا بـه يسمع فجأة صوت رفيفِ أجنحـةٍ صغيرةٍ فوق رأسه. رفـع نظره نحو الأعلى فـرأى أرواحاً تتحرك في الهواء وتقول له إنه سيدها فما هي أوامره. للوهلة الأولى نزلـت السكتـةُ على هانس ولم يدرِ ماذا يقول. ثم حـزم أمره وقال لهم أن يرفعوه إلـى سطح الأرض. أطاعوه مـن فورهم، وبدا الأمر وكأنه يطير نحو الأعلى، لكنه عندمـا صـار فعلاً في الأعلى لم يجـد أحداً هناك، ولا في القصـر المهجور، فقد هرب فتال التنوب ومفتت الصخر بأقصـى سرعة وبحوزتهم الصبية الفاتنة. لكن هانـس أدار الخاتم في أصبعه، فجاءتـه الأرواح الطائرة وأخبرته بأن الاثنين صارا في البحر. فأسرع هانس بأقصى طاقته حتى وصل إلى الشاطئ، حيث رأى من بعد قاربـاً يمخر في البحر، يجلس فيه زميلاه. وفـي ثورة غضبه، من دون تفكير، قفز في الماء مع عصاه الحديدية وأخذ يسبح، لكن عصاه التي تزن قنطاراً جذبته نحو الأسفل، فكاد يغرق. فأدار الخاتم فـي اللحظة المناسبة فظهرت الأرواح الطائرة

Twitter: @ketab_n

وحملتـه بسرعة البرق إلى القارب، فلـوَّح بعصاه وضرب بها الزميلين الشريرين، مكافـأةً مستحقةً على ما اقترفاه، فغرقا. ومن ثمـة جذَّف هانس مع الصبية الفاتنة التـي كانت في حالة هلع، والتي حررها لثاني مـرة، وأخذها إلى قصر أبيها وأمها حيث تزوجا في فرحة هائلة عمَّت الجميع.

Twitter: @ketab_n

(١٦٨)

فلاح في الجنة

ذات يـوم توفّي فلاح فقير مسكين، ووصل إلـى بوابة الجنة. في الوقت نفسه كان هنـاك سيـد بالغ الثراء يريد أيضـاً الدخول إلى الجنة. وصـل القديس بطرس حامـلاً المفتاح وفتح البوابة وأدخل السيد الثـري، ويبدو أنه لم ير الفلاح، فأغلق البوابة وراءه. من الخارج سمع الفلاح كيف استُقبل السيد الثري بكل ترحاب في الجنة وسمع الموسيقا والغناء اللذين رافقا الترحيب.

أخيـراً عاد السكون ليسود في داخل الجنة، وجـاء القديس بطرس وفتح بوابة الجنـة وأدخل الفلاح الفقير الـذي ظن أنه سيسمع الآن أيضاً موسيقا وغناءً احتفاءً بوصوله، لكن الهدوء بقي مهيمناً. صحيح أنه قد استُقبل بكل محبة وقد حفَت به الملائكـة، ولكنْ لم يُغنّ أحد. عندها سأل الفلاحُ القديسَ بطرس: «لماذا لم يُغنِّ أحـدٌ لي، مثل السيد الثـري، يبدو أن التمييز يسود في الجنـة كما على الأرض؟» فأجابـه القديـس بطرس: «حتماً لا، فأنت هنـا على الرحب والسعـة كالآخرين جميعهـم، ويحق لـك التمتع بمباهج الجنة كلها مثل السيـد الثري، ولكن لاحظْ أن الفلاحيـن الفقراء مثلك يدخلون الجنة كل يـوم، أما مِن بين السادة الأغنياء فلا يدخلها إلا واحدٌ كل مئة سنة».

Twitter: @ketab_n

(١٦٩)

ليزة النحيلة

كانت طريقة تفكير ليزة النحيلة، على عكس هاينْتس الكسلان وترينِه السمينة، اللذين لم يسمحا لشيء مهما كان أن يقلق راحتهما، فقد كانت تكدح من الصباح حتى المساء، وتحمِّل زوجها، لِنْتس الطويل، من الشغل مالا يحتمله حمارٌ مثقَّلٌ بثلاثةِ أكياس. ومع ذلك كان كل هذا الجهد المبذول بلا جدوى، إذْ أنهما لم يملكا شيئاً ولم يتوصلا إلى شيء.

ذات مساء، عندما كانت ليزة مستلقية في فراشها، غير قادرة على تحريك عضو من أعضائها بسبب التعب، بقيت أفكارُها متيقظةً تأبى النوم.

نكزت زوجها بكوعها في جنبه، وقالت: «لنتس، هل سمعت ما فكرتُ فيه؟ لو عثرتُ على دينار وأهداني أحدهم ديناراً فسأقترض ديناراً وتعطيني أنت أيضاً ديناراً، وحالما أجمع الدنانير الأربعة مع بعضها سأشتري بقرة فتية». لاقت الفكرة استحسان الزوج، لكنه قال: «في الواقع لا أعرف من أين سآتيكِ بالدينار الذي تريدين أن أمنحك إياه. ومع ذلك، إذا جمعتِ المبلغ واستطعتِ أن تشتري به بقرة، فخيراً تفعلين بتنفيذ خطتك» ثم أضاف: سيفرحني أن تلد البقرة عجلاً، فعندها سأحقق أحياناً متعتي بالحصول على جرعة حليب». فأجابته ليزة: «الحليب لن يكون لك، بل سنترك العجلَ يرضعُ حتى يكبر ويسمن فنبيعه بسعر جيد». «طبعاً»، أجاب لنتس الطويل وأردف: «ولكننا سنأخذُ لأنفسنا بعضَ الحليب، فهذا لن يسبب أي ضرر». فسألته ليزة: «ومن علَّمك التعامل مع البقر» سواء أكان فيه ضرر أم لا، أنا لا أريد، ولو وقفتَ على رأسك، لن تحصل على قطرة حليب،

Twitter: @ketab_n

يـا طَوَلان الذي لا يشبع. ما أظنك ستلتهم مـا أجنيه بكدي وعرق جبيني!» فقال الـزوج: «اسكتي يا امـرأة، وإلا لسددتُ فمك بكمامـة». فصاحت ليزة: «ماذا؟ أتهددنـي يا فجعان، يا حبلْ، يا هانيتسـس الكسلان!» وكانت على وشك أن تشده من شعره، لكن لنتس الطويل اعتدل في الفراش وأمسكَ بإحدى يديه ساعدي ليزا العجفاوين مع بعضهما، وضغط باليد الأخرى رأسها على الوسادة وتركها تسب، وبقـي ممسكاً بهـا حتى نامت مهدودة من التعب. أمـا إذا ما تابعت الشجار عند الاستيقـاظ في صباح اليوم التالـي، أو إذا ما خرجت بحثاً عن الدنانير التي أرادت العثور عليها، فلست أدري.

Twitter: @ketab_n

(١٧٠)

بيت الغابة

كان حطّاب فقير يعيش مع زوجته وبناته الثلاث في كوخ صغير على طرف غابة منعزلة، وذات صباح عندما أراد الخروج إلى عمله كعادته، قال لزوجته: «أرسلي إليّ طعام الغداء مع ابنتي الكبرى إلى الغابة، كي أتمكن من إنهاء شغلي هناك»، وأضاف قائلاً: «سآخذ معي كيساً فيه ذرة بيضاء سأنثرها على الطريق».

عندما صارت الشمس في كبد السماء فوق الغابة انطلقت الابنة الكبرى حاملة وعاءً مليئاً بالحساء، لكن طيور الغابةِ والحقول والقبرات والشحارير والحساسين كانت قد التقطت حبوب الذرة من أول النهار، فلم تستطع الفتاة العثور على أثرِ تتبعه، فمشت اعتباطاً إلى أن غابت الشمس وهبطت الظلمة، فانتبهت لحفيف الشجر ونعيق البوم وبدأت تشعر بالخوف.

رأت من بعدٍ بصيص نورٍ يُومض بين جذوع الأشجار، ففكرت: «لا شك في وجود ناسٍ هناك، سيسمحون لي بالمبيت عندهم الليلة». ومشت باتجاه النور. بعد مدة قصيرة وصلت إلى بيت نوافذه مضاءة. قرعت الباب، فسمعت صوتاً خشناً من الداخل يقول: «ادخل». دخلت الفتاة إلى الدهليز المعتم وقرعت باب الغرفة الرئيسية، فجاءها الصوت ثانية: «تفضل ادخل». عندما فتحت الفتاة الباب رأت شيخاً مسناً جالساً إلى طاولة وقد سند وجهه بيديه، ولحيته البيضاء منسابة فوق الطاولة ومتدلية من الطرف الثاني حتى الأرض. وقرب المدفأة كان هناك ثلاثة حيوانات: دجاجة وديك وبقرة مبرقعة. حكت الفتاة للشيخ ما جرى لها ورجته المبيت، فقال الشيخ:

Twitter: @ketab_n

«يا دجاجتي الحلوة، يا ديكي الجميل،

وأنت يا بقرتي الملونة الجميلة،

ما رأيكم بما قالت؟»

فأجاب الحيوانات معاً: «دوكْس!» ويُفترض أن معناها «نحن موافقون»، لأن الشيخ تابع قائلاً: «هنا كل شيء موجود بوفرة، ادخلي إلى المطبخ وحضّري لنا طعام العشاء». وجدت الفتاة في المطبخ فائضاً من المواد، فجهزت وجبة عشاء جيدة، لكنها لم تفكر بالحيوانات. حملت الوعاء المليء بالطعام إلى الطاولة وجلست مع الشيخ المسن، فأكلتْ وأسكتَ جوعه. ولمَا شبعتْ قالت: «أنا متعبة الآن، أين أجد سريراً لأستلقي فيه وأنام؟» فأجابتها الحيوانات معاً:

«لقد أكلتِ معهُ، وشربتِ معه،

ولم تفكري بنا إطلاقاً،

فانظري بنفسك، أين ستقضين ليلك».

فقال لها الشيخ المسن: «اصعدي الدرج وستجدين حجرة، فيها سريران، انفضيهما وافرشيهما بملاءات بيضاء، ثم سآتي أنا أيضاً لأنام». صعدت الفتاة الدرج ونفضت الفراشين وفردتْ عليهما ملاءات نظيفة واستلقت في السرير الأول دون أن تنتظر الشيخ. بعد فترة قصيرة جاء الشيخ المسن وأضاء الفتاة بالشمعة وهز رأسه. رآها غارقة في نومها، ففتح باباً أرضياً وتركها تسقط إلى القبو.

وصل الحطاب إلى كوخه في وقت متأخر من المساء واتّهم زوجته بأنها تركته يجوع طوال النهار. فأجابت: «هذا ليس ذنبي، فالفتاة قد ذهبت إليك حاملة وجبة الغداء. لا شك في أنها ضلّت طريقها. ستعود غداً». مع الفجر استيقظ الحطاب

Twitter: @ketab_n

ليخرج إلى الغابة وطلب هذه المرة أن تحمل إليه الطعام ابنته الوسطى وقال: «سآخذ معي كيس عدس. فحب العدس أكبر من الذرة البيضاء وستراها الفتاة بصورة أفضل ولن تضل الطريق». عند الظهر حملت الفتاة الطعام وخرجت، لكن حبوب العدس كانت قد اختفت، فالطيور التقطتها كالأمس ولم تترك شيئاً منها. تاهت الفتاة في الغابة حتى هبط الليل ورأت نور بيت الشيخ المسن فذهبت إليه ورجته أن يقدم لها طعاماً ومكاناً للمبيت ليلاً. فتوجه ذو اللحية البيضاء إلى الحيوانات وسأل:

«يا دجاجتي الحلوة، يا ديكي الجميل،

وأنت يا بقرتي المبرقعة الجميلة،

ما رأيكم بما قالت؟»

كررت الحيوانات جوابها: «دوكْس!» فجرت الأمور كلها كالأمس تماماً. طبخت الفتاة وجبة جيدة وأكلت وشربت مع الشيخ ولم تُبدِ أي اهتمامٍ بالحيوانات، وعندما سألت عن مكان مبيتها، أجابتها الحيوانات معا:

«لقد أكلتِ معهُ، وشربتِ معه،

ولم تفكري بنا إطلاقاً،

فانظري بنفسك، أين ستقضين ليلك».

وبعد أن استغرقت في نومها، جاء الشيخ ونظر إليها وهو يهز برأسه، ثم أسقطها إلى القبو.

في اليوم الثالث قال الحطاب لزوجته: «أرسلي أصغر بناتي اليوم إليّ مع الطعام، فهي طيبة دائماً ومطيعة، وستبقى على الطريق الصحيح إلي، وليس مثل أختيها، العفريتتين البريتين». رفضت الأم قائلة: «أتريدني أن أفقد أفضل أطفالي

Twitter: @ketab_n

أيضاً؟» فأجابها: «لا تقلقي، لن تضلّ الفتاة طريقها، لأنها ذكية وفهيمة، ولضمان وصولهـا إليّ سآخذ معي حبوب بازلاء وأنثرها علـى الطريق، فهي أكبر من حب العدس وسترشدهـا إلى الطريق». ولكن عندما خرجت الفتـاة حاملة سلّة الطعام بذراعهـا كان حمام الغابة قد خـزّن الحبوب في حوصلاته، فلم تدرِ في أي اتجاه تسير، قلقت الفتاة وأخذت تفكر بأبيها الجائع الآن وبقلق أمها عليها إنْ لم تعد.

وأخيـراً عندمـا حل الليل، شاهـدت النور وتوجهت إلى بيـت الغابة ورجت الشيخ المسن بكل لطف أن يسمح لها بقضاء الليل عنده، فسأل ذو اللحية البيضاء حيواناته مجدداً»

«يا دجاجتي الحلوة، يا ديكي الجميل،

وأنت يا بقرتي المبرقعة الجميلة،

ما رأيكم بما قلت؟»

فأجابـت الحيوانات: «دوكْـس» فاقترب الفتاة من المدفـأة المكشوفة، التي تجلس الحيوانات بجانبها، وداعبـت الدجاجة والديك، بأن مسّدت بكفِ يدها ريشهمـا الأملس، وحكّـت ما بين قرني البقرة. ومن ثمة بعـد أن حضّرت حساءً جيـداً بناء على طلب الشيخ ووضعته على المائدة، قالـت: «هل سآكلُ وأشبعُ في حين لا تحصل الحيوانات الطيبة على أي شيء؟ كلُ شيءٍ وافر في الخارج. سأهتم بهم أولاً».

وخرجـت فجلبـت شعيراً ونثرتـه للدجاجة والديك، وأحضـرت للبقرة ملء ذراعهـا عشباً طازجاً وقالـت: «كلي وتمتعي أيتها الحيوانـات الطيبة. وسأجلب لـك ماء طازجـاً للشرب». وحملت دلـواً ملأته بالماء إلى الداخـل، فقفز الديك والدجاجـة إلـى حافته وغطّسـا منقاريهما ثم رفعاهمـا إلى الأعلـى كما تشرب الطيـور. ثم شربت البقرة الملونة جرعـة كبيرة. وبعد أن اطمأنت الفتاة على حال

Twitter: @ketab_n

الحيوانات، جلست مع الشيخ المسن إلى الطاولة وأكلت ما أبقاه لها. وبعد فترة قصيرة بدأ الديك والدجاجة يُدخلان رأسيهما تحت أجنحتهما وأخذت البقرة ترمش بعينيها، فقالت الفتاة: «هل حان وقت النوم الآن؟

أيتها الدجاجة الحلوة، أيها الديك الجميل،

وأنت أيتها البقرة المبرقعة الجميلة،

ما رأيكم بما قلت؟»

فأجابتها الحيوانات معاً: «دوكْس،

لقد أكلتِ معنا وشربت معنا،

وفكرت بنا كلنا قبل نفسك،

لذلك نتمنى لك ليلة طيبة».

صعدت الفتاة الدرج ونفضت الفراشين والوسادتين وفردت ملاءات كتانية نظيفة، وعندما انتهت جاء الشيخ واضطجع في أحد السريرين فوصلت لحيته حتى قدميه. استلقت الفتاة في السرير الآخر، وتلت صلاتها همساً ونامت.

نامت الفتاة بهدوء حتى منتصف الليل، حين حدثت ضجة في البيت كله، أيقظت الفتاة من نومها. أخذت زوايا البناء تطقطق وتخشخش والأبواب تنفتح وتنخبط بالجدران، ودعامات البناء تقصفُ وكأنها ستنخلع، وبدا كأن الدرج سينهار، وفي الأخير صدر صوت قرقعة وكأن السقف كله قد انهار. ولكن عندما عاد السكون فهيمن، والفتاة لم تُصب بأي أذى، بقيتْ في السرير ونامتْ ثانية.

وفي الصباح عندما أيقظتها أشعة الشمس، ماذا رأت عيناها؟ وجدتْ نفسها في صالةٍ واسعة، وكل شيء من حولها يتلألأ ببهاء ملكي: الجدران مزدانة بورود

Twitter: @ketab_n

ذهبية متسلقة على خلفية حريرية خضراء، والسرير كان من العاج، وسقف السرير مـن مخمل أحمر، وعلـى كرسي إلى جانب السرير رأت الفتـاة حذاءً منزلياً مزيناً باللؤلـؤ. ظنـت الفتاة أنها في حلـم، لكن ثلاثةَ خدم في زيٍ بالـغ الفخامة دخلوا الصالـة وسألوها عن أوامرها، فأجابتهم: «اذهبوا أنتم. سأنهض فوراً وأهيئ حساءً للشيخ، ثـم سأطعم الدجاجة الحلوة والديك الجميـل والبقرة الملونة الجميلة». وظنـت أن الشيـخ قد استيقـظ ونهض، فالتفتـت نحـو سريره ولم تجـده فيه، بل وجـدت فـي مكانه رجـلاً غريباً. وعندمـا دققت النظر فـي الغريب تبيّـن لها أنه شـاب جميل، وخلال ذلك فتح عينيه واعتدل في سريره وقال لها: «أنا أمير، وقد سحرتنـي ساحرة شريرة فحولتني إلى شيخ مسن يعيش في بيت الغابة، وليس معي سـوى خدمي الثلاثة في هيئة ديك ودجاجة وبقرة ملونة مبرقعة. وما كان سحرها ليزول إلا بقدوم فتاة إلينا، تكونُ طيبةَ القلب، جيدةَ التعامل مع البشر والحيوانات أيضاً، وكنتِ أنتِ هذه الفتاة.

وعند منتصف الليل زال عنا السحر بتأثيرك، فعاد بيتُ الغابة إلى قصري الملكي الـذي كان». وعندما نهضا من سريريهمـا أمرَ الأمير الخدم الثلاثة بالسفر وإبلاغ والدي الفتاة بالحضور إلى عرس ابنتهما. فسألته الفتاة: «وأين أختاي؟» فأجاب: «لقـد حجزتهما في القبو، وغداً ستساقـان إلى عائلةِ فحّامٍ في الغابة لتشتغلا عنده إلى أن يتحس سلوكهما، فلا تتركان الحيوانات تجوع».

Twitter: @ketab_n

(١٧١)

في السراء والضراء

في يوم من الأيام عاش خياط كان نكِداً بطبعه، وزوجته الطيبة التقية النشيطة لم تكن ترضيه، مهما عملت، إذْ كان دوماً متذمّراً متبرّماً، يشتُمها ويتشاجر معها ويضربها. وأخيراً عندما وصلت أخباره إلى السلطات، تم استدعاؤه وأودِع السجن كي يحسِّن سلوكه. بقي مدة في السجن، على الخبز والماء، ثم أُفرِج عنه بعد أن أُخِذ منه تعهدٌ بأن لا يضرب زوجته ثانية، بل أن يعيش معها في سلام ويتقاسما السّراء والضراء، مثلما يُفترضُ بالمتزوجين.

سارت الأمور على ما يرام مدّة من الزمن، ثم عاد إلى سابق عهده، فالطبع غلاّب، وعاود تذمرَه وتنكيدَه. وبما أنه كان ممنوعاً من ضربها، فقد أراد أن يشد شعرها. هربت زوجته منه وقفزت إلى الفناء الخارجي، لكنه لحق بها حاملاً المتر والمقص وأخذ يطاردها ويرميها، تارة بالمتر وتارة بالمقص، وبأي شيء يصل إلى يديه. فإنْ أصابها ضحك وإن أخفق زمجر. استمر مدة على هذا المنوال إلى أن تدخل الجيران لمساعدة زوجته.

استدعت السلطات الخياط ثانية وذكّرته بالتعهد الذي وقّع عليه، فقال: «أيها السادة، لقد تمسكتُ بما تعهدتُ به، فلم أضربها، بل تقاسمتُ معها السراء والضراء». فسأله القاضي: «وكيف هذا، ما دامت شكواها ضدك مليئة بالتهم؟» فأجاب الخياط: «أنا لم اضربها، ولكن لأن مظهرها كان شعثاً فد أردتُ أن أُسرِّح شعرها بيدي، لكنها نفرت مني غاضبة. أسرعتُ وراءها لأذكرها بواجبها

Twitter: @ketab_n

كزوجـة، وللتأكيد على ذلك رميتُها بما وصلت إليـه يداي. وقد تقاسمتُ معها السـراء والضراء، فكلما أصبتُها كنتُ أُسَر وهي تُضَر، وكلما أخفقتُ كنتُ أُضرُ فيما هي تُسَر». لم يقنع جوابُه القضاةَ، فحكموا عليه بالعقوبة التي يستحقها.

Twitter: @ketab_n

(١٧٢)

ملك السياج

فــي الأزمــان الغابرة كان لكل صــوتٍ مغزى ومعنــى. فعندما تــدوّي مطرقة الحداد، كانت تصرخ: «شميــت في تو! شميت في تو!» وعندما يتحرك مسحجُ النّجــار، يقــول: «دورْ هِشت، دورْ هِشــت!» وعندما يصــدرُ دولابُ الطاحون صريفاً، فإنه يقول: «ساعدني يا رب! ساعدني يا رب!» وإذا كان الطّحان غشاشاً وشغّــل الطاحون، كانت تســألُ بنبرةٍ واضحة: «مَن هنــاك؟ مَن هناك؟» وتجيب بسرعة: «إنــه الطحان، إنه الطحان!» وأخيراً وبأقصــى سرعة: «اسرق لا تخف! اسرق لا تخف! من كل عشرٍ ثلثاً».

وفي تلك الأزمان كان للطيور أيضاً لغتهم الخاصة التي يفهمها الجميع، والتي باتــت الآن كالزقزقــة أو الزعيــق أو الصفيــر، أو كموسيقا بلا كلمــات عند بعض الطيــور. ولكن خطر ببال الطيور آنذاك أن لا تبقــى من دون حاكم يدير شؤونها، وأن تختــار من بينها ملكاً. وافق الجميع عدا طير واحــد هو الزقزاق، وحجتُه أنه قــد عاش حــراً ويريد أن يموت حراً، وأخذ يطير هنــا وهناك مذعوراً وهو يصيح: «أيــن سأبقى أنــا؟ أين سأبقى أنــا؟» وانسحب نحو مستنقعــاتٍ منعزلة لا يزورها أحد وانقطع عن الظهور بين الطيور الآخرين. ومن ثمة أراد الطيور التشاور حول موضوعهــم، وفي أحد صباحات أيار، مايو الجميلة جاء جميع لطيور من الغابات والحقول: النسر والصَعْنَج المغرّد، والبوم والغراب، القبّرة والدوري، وهلمجرا. حتــى الوقــوق والهدهد؛ شمّاسُ الوقــوق، والذي حمل هذا اللقــب لأنه يُسمعنا صوتَه عادة قبل الوقوق ببضعة أيام.

Twitter: @ketab_n

إضافـة إلى هؤلاء جاء طير صغير الحجم، لا اسم لـه بعد، وانخرط بين الجمع. والدجاجـة التي بمحض الصدفة لم تسمع شيئاً عـن الموضوع، استغربت اجتماع هـذا الحشد، وأخـذت تردد: «ما، ما، مـا الذي جمعكم؟» لكن الديـك هدّأ بال الدجاجـة العزيـزة وأخبرها بغرضـ الاجتماع. وتم الاتفاق علـى أن من يحلّق إلى المستـوى الأعلـى يصير ملـكاً. أما ضفـدع الشجر الذي كان جالسـاً على غصن شجيـرة، فقد رأى أن هذا سيتسبب فـي ذرفِ كثيرٍ من الدموع، فأجابه الغرابُ بأنّ كل الأمور ستنتهي على خير. اتُّخذ القرارُ إذنْ وأرادوا استغلال هذا الصياح الجميل كي لا يقولَ أحدٌ لاحقاً: «كان بإمكاني الطيران أعلى، لكن المساء داهمني».

وبنـاء علـى إشارة محـددةٍ انطلق الحشد كله فـي الجو، فعَّج غبـارُ الحقل في عاصفـة هائلة سببَّها صفق الأجنحة وخفقها، وبـدا الأمرُ كأنّ غيمة سوداء تتحرك. وسرعـان ما انسحبت الطيـور الصغيرة التي لم تقدر علـى المتابعة، وسقطت على الأرضـ. والطيور الأكبر حجماً كانـت أكثر احتمالاً، لكن أيـاً منهم لم يستطع أن يجـاري النسر، الذي ارتفع إلى علوٍ شاهق، كاد معه أن يفقأ عيني الشمس. وعندما رأى النسـرُ أن الآخريـن لن يستطيعوا الارتفاع إلى علوه، قـال لنفسه: «ما ضرورة الارتفاع أكثر من هذا، واضحٌ أني أنا الملك». وبدأ يهبط. هتفت الطيور التي تحته معـاً: «لا بـد أن تصير ملكنا، فلم يبلغ علـوك أحد». «إلا أنا» صـاح الطير الصغير الـذي لا اسم لـه بعد، والذي كان مختبئاً فـي ريش صدر النسر. وبمـا أنه لم يكن متعبـاً، فقد انطلق مرتفعاً إلـى مستوى رأى منه الربَ جالساً علـى عرشه. وبعد أن بلـغ ذلك العلو، ضـمّ جناحيه وهوى نازلاً وهو يهتف بصوتـه الرفيع: «أنا الملك! أنـا الملك؟» فصرخت فيه الطيـور بغضب: «أنت ملكنا؟ لم تصل إلى ذاك العلو إلا بالخداع والحيلة».

واجتمعوا ثانية ووضعوا شرطاً جديداً: مَن يصلُ منا إلى أعمق نقطة في الأرض، يصيـر ملكنا. وكم حاولـت الإوزة ذات الصـدر العريض أن تحفـر الأرض! وكم حـاول الديك أن يحفر ثقباً بمنقاره! لكن أكثر من حاول وأخفق كانت البطة، التي قفـزت في حفرة فالتـوت قدماها، فجرجرت نفسها إلى أقـرب بركة وهي تصيح:

Twitter: @ketab_n

«أدعيـاء! أدعيـاء!» أما الطير الصغير الذي لا اسم له فقـد بحث عن جحر فأرِ حقلٍ ونـزل فيه وأخذ يهتف بصوته الرفيع: «أنا الملك! أنا الملك!» فصرخت فيه الطيور بغضب أشد هذه المرة: «أنت ملكنا يا محتال؟ سنريك!» وقرروا سجنه في الجحر نفسه حتى يموت جوعاً، وعيّنوا البومة حارسة على سجنه لئلا تسمح له بالخروج، إذا كانت حياتُها عزيزة عليها.

ولكن عندما جاء المساء وأحست الطيور بالتعب الشديد من الطيران، فقد توجه كل طائـر مع زوجتـه وأولاده إلى عشه. بقيت البومة وحيـدة عند جحر الفأر وهي تحـدق بعينيها الكبيرتين طـوال الوقت إلى داخل الحجر، بيد أنها شعرت هي أيضاً بالتعـب وقالت لنفسها: «يمكنكِ إغماض عيـن واحدة، فتبقين يقظة بالعين الثانية، فـلا تسمحين لهذا الشرير الصغيـر بالإفلات من جحـره». فأغمضت عيناً وبقيت محدقـة بالثانيـة في الحجر. مدّ الطيـر الصغير رأسه قليلاً عازمـاً على الهرب، لكن البومة سـدت الحجر بجسمها فوراً، فسحب رأسه. عـادت البومة فأغمضت عيناً وأبقـت الثانية مفتوحة، علـى أن تبدل بين العينين أثناء الليـل بالتناوب لكنها عندما أغمضـت العين، نسيـت أن تفتح الأخرى، ومـا أن بقيت العينـان مغمضتين حتى نامت. لاحظ الطائر الصغير ذلك بسرعة فانسل هارباً.

منـذ ذلك اليوم مُنِعت البومة من الظهور أثناء النهـار، وإلا لطاردتها بقية الطيور ونتفـت ريشها. لذلك فإنهـا لا تطير إلا ليلاً، وصارت تكـره الفئران وتصطادها، لأنهـا تحفر مثل هذه الجحور في الأرض. أما الطائر الصغير فقد ابتعد عن الأنظار لخشيتـه من العقوبة إذا قبضوا عليه. فصار يأوى إلى شجيرات السياج طلباً للأمان، وإنْ أحس بالأمان بين الحين والآخر نسمعه يزعق: «أنا الملك». ومن باب السخرية لقبه الآخرون ملكَ السياج.

ومـن بيـن سائر الطيور كانـت القبّرةُ الأكثـرَ سروراً لخروجها عـن طاعة ملك السياج فمـا أن تشرق الشمس حتى تطير عالياً في الهواء وهي تغني: «آه، ما أجمل هذا! آه ما أجمل هذا!»

Twitter: @ketab_n

(١٧٣)

سمكة البْلايس

منذ مدة طويلة والسمك غير راضٍ عن الفوضى التي تسود في مملكته، فلا أحد يهتم بالآخر عندما يسبح، يتجه يميناً أو يساراً حسب مزاجه، يعبر بين الواقفين في مجموعة، أو يسد الطريق في وجههم. القوي يلطم الأضعف بذيله لطمة تودي به بعيداً، أو يبتلعه هكذا من دون مقدمات. فكانوا يرددون في ما بينهم: «آه، لو كان لنا ملك يحكّم القانون وينشر العدل بيننا». واتفقوا من ثمة على أن ينتخبوا ملكاً يكون الأسرع في تجاوز الفيضانات والتيارات لتقديم العون للضعفاء. فوقفوا صفاً على الشاطئ، وأعطت سمكة الكركي إشارة بذيلها، انطلقوا على أثرها معاً. اندفعت سمكة الكركي كالسهم ومعها سمكة الرنجة وسمكة العمق الصغيرة وسمكة ذئب البحر والشبوط وغيرها من الأسماك الكثيرة. وكذلك انطلقت معهم سمكة البْلايس آملة ببلوغ الهدف.

وفجأة سمعوا نداءً يقول: «الرنجة في المقدمة! الرنجة في المقدمة». فصاحت سمكة البْلايس المفلطحة الحسودة مستاءةً: «من في المقدمة؟ من في المقدمة؟» فجاءها الجواب: «سمكة الرنجة. سمكة الرنجة». فصاحت سمكة البْلايس بغيرة شديدة: «الرنجة العارية؟ الرنجة العارية؟» ومنذ ئذ أصيبت سمكة البْلايس باللقْوَة عقوبةً على حسدها.

Twitter: @ketab_n

(١٧٤)

مالك الحزين والهدهد

«أيـن تفضّل رعي قطيعك؟» سأل أحدهم راعـي البقر العجوز، فأجابه: «هنا، حيث العشـب متوسطَ الدسم، لا شديداً ولا خفيفـاً، وإلا ستكون النتيجة سيئة». فتابع الرجل يسـأل: «ما السبب؟» فأجاب الراعي العجوز: «أتسمعُ النداءَ العميقَ الآتي من ذلك المرج؟ إنه نداء مالك الحزين الذي كان راعياً. والهدهد كان أيضاً راعياً. سأحكي لك الحكاية.

كان مالك الحزين يرعى قطيعه في مرج دسم العشبِ ومليءٍ بالزهور، فصارت أبقاره جريئـة متنمرة. أما الهدهد فساق قطيعه إلى المرتفعات حيث العشب قليل الدسم والرياح تثير الرمل، فهزلت أبقاره وفقدت قوتها. وعندما حل المساء وأراد الراعيان سوقَ قطيعيهما نحو الديار، لم يتمكن مالك الحزين من جمع أبقاره لأنها غـدت مغترة بقوتها فلا تطيعه. صار يناديها: «يا مبرقعة، دوري!» ولكن من دون جـدوى فالبقرات لم تطعه. أمـا الهدهد فلم يستطع أن يجعـل بقراته تنهض على قوائمها، بسبب هزالها وضعفها، فأخذ يصيح بها: «قف، قف، قف!» ولكن عبثاً أيضـاً، إذ بقيت مستلقية على الرمل. هـذا ما يحدث عندما يفقد الإنسان المعيار. وحتـى اليوم، وبـدون قطعان، مازال مالك الحزين يصيـح: «يا مبرقعة، دوري!» والهدهد: «قف، قف، قف!»

Twitter: @ketab_n

(١٧٥)

البومة

قبل بضع مئات من السنين، حينما كان البشر أقل ذكاء مما هم عليه اليوم، وأقل مكـراً أيضاً، وقعت في بلدة صغيرة حادثة نـادرة. في الغابة المجاورة كان يوجد نـوع من البوم الكبير الحجم الذي يسمى البوم العُقابي، وذات ليلة ضلت إحداها الطريـق ودخلت سهـواً إلى شونة مواطن من البلدة. فـي الصباح بقيت البومة في الزاوية التي اختبأت فيها، خشية أن تزعق بقية الطيور، إذا رأتها نهاراً، زعيقاً يصم الآذان.

جـاء خادم الدار إلـى الشونة كعادته صباحاً، لجلب بعضـ القش، لكن منظر البومـة الجاثمة في الزاوية أرعبه بشدة لدرجة أنه ركضـ إلى سيده وأخبره أن في الشونـة وحشاً، لم ير مثله سابقاً، جالساً هناك، يديـر عينيه في رأسه، وقادراً على ابتلاع شخص كامل بكل بساطة. فقال له السيد: «أنا أعرفك حق المعرفة، لديك الشجاعة لتطارد شحروراً في الحقل، لكنك إنْ رأيت دجاجة ميتة فإنك لا تقترب منهـا قبل أن تحمـل العصا. لا بد لي من أن أرى بنفسي أي نوع من الوحوش هذا الذي تتحدث عنه». وذهب بكل جرأة إلى الشونة وتلفت حوله، لكنه عندما رأى بعينيـه الحيـوان الرمادي الغريب، لـم يكن خوفه أقل من خـوف خادمه. وببضع قفزات صار خـارج الشونة، وركض إلى جاره متوسلاً إليه الوقوف إلى جانبه في مواجهة الحيوان المجهول الخطير، فقد تتعرض البلدة كلها إلى الخطر، إذا خرج الحيوان من الشونة، حيث يجثم حتى الآن.

انتشـر الخبـر وعم الصراخ شـوارع البلدة، وتقاطر النـاس مسلحين بالرماح

Twitter: @ketab_n

والمذاري والمناجل والفؤوس وكأنهم سيخرجون لمواجهة جيش معا. وفي نهاية المطاف وصل أعضاء مجلس البلدية مع رئيس البلدية في مقدمتهم. وبعدما نظموا أنفسهم في ساحة البلدة انطلقوا نحو الشونة وحاصروها من جميع الجهات، ثم تقدم أحد أشجعهم ودخل الشونة ورمحه في يده، لكنه سرعان ما خرج صارخاً وبوجه شاحب كالأموات، وغير قادر على النطق بكلمة. بعد ذلك تشجع اثنان على الدخول معاً، لكنهما خرجا مثل سابقهما.

وأخيراً تقدم أحدهم، وكان طويلاً وقوياً ومشهوراً بمآثره القتالية، وقال: «بالنظر وحده لن نتمكن من طرد هذا الوحش، هنا لا بد من أفعال مؤثرة. لكني لم أرى أنكم جميعكم قد صرتم نساء، ولا أحد منكم يريد الإمساك بالثعلب». أمر خادمه بإحضار دروعه ورمحه وسيفه، فجهز نفسه. امتدح الجميع إقدامه وبسالته، رغم خوف كثير منهم على حياته. فُتح مصراعا بوابة الشونة فشوهدت البومة العُقابية الضخمة واقفة على دعامة عرضانية وسط أعلى الشونة. طلب الفارس سلماً، وبعد أن سنده إلى الدعامة واستعد للصعود، هتف به الجميع: «كن رجلاً»، واسلموا أمره إلى القديس جورج الذي صرع التنين. عندما اقترب من العارضة وانتبهت البومة إلى أنه يريدها، ولا سيما أن صيحات الحشد قد أقلقتها فلم تدر كيف تتصرف، عندها زاغت عيناها ونفشت ريشها وفتحت جناحيها وطقطقت بمنقارها الكبير ونعبت نعيباً خشناً. صاح الحشد بالبطل: «اطعن! اطعن!» فأجاب: «مَن يقف هنا حيث أقف، ما كان ليهتف (اطعن!)،» صحيح أنه قد صعد السلم درجة أخرى، لكنه بدأ يرتجف وأخذ ينزل شبه مغمي عليه.

لم يعد هناك الآن من هو مستعد لمواجهة الخطر من بين المحاصرين، وقالوا: «إذا كان الوحش بطقطقة منقاره ونفخِه قد سمّم أشجع رجالنا وجرحه جرحاً مميتاً، فهل علينا أن نجازف نحن بحياتنا؟» تشاوروا في ما يمكن عمله، كيلا تتعرض البلدة كلها إلى الخطر. طالت مشاوراتهم، ولكن من دون جدوى، إلى أن وجد رئيس البلدية مخرجاً، إذ قال: «أرى أن نعوّض صاحب الشونة من صندوق البلدية المشترك عن شونته بكل ما فيها، بحيث لا يصيبه أي ضرر، ثم نحرق البناء

Twitter: @ketab_n

كلـه مع الحيوان المخيف داخله. وهكـذا لن يجازف أحد منكم بحياته، والتردد هنا لا يجوز، وكذلك البخل لأنه مُؤذٍ».

وافقـه الجميع على اقتراحه. وهكذا أُشعلـت النار بالشونة من زواياها الأربع، واحترقت معها البومة على نحو بائس. ومن لا يصدق، فليذهب إلى البلدة ويسأل بنفسه.

Twitter: @ketab_n

(١٧٦)

القمر

في غابر الزمان كان هناك بلد، ليله أسود دائماً، وسماءه تشبه قماشة سوداء مفرودة فوقه، فهناك لم يسبق للقمر أن أشرق بضوئه ولا للنجوم أن أرسلت وميضها. إذ يبدو أن ضوء الليل لم يكن كافياً عند خلقِ العالم.

ذات يوم غادر هذا البلد أربعة شبان في رحلة تجوال ووصلوا إلى مملكة أخرى، حيث بعدَ أن تختفي الشمس وراء الجبال مساءً، تقوم كرةٌ مضيئة معلقة على ذروة شجرة سنديان ضخمة ساكبة ضوئها الناعم في جميع الأنحاء، فيستطيع الناس تمييز كل شيء بوضوح، ولكن ليس كما في ضوء الشمس طبعاً.

توقف الجوالون الأربعة وسألوا فلاحاً عابراً على عربته عما يكون هذا الضوء، فأجابهم الفلاح: «إنه القمر. اشتراه عُمدتنا بثلاثة دنانير وثبّته على رأس السنديانة. وهو يعيد ملأه يومياً بالنفط وينظفه كي يشع ضووه صافياً دائماً. ومقابل ذلك يتقاضى منا ديناراً واحداً في الأسبوع».

بعد أن غادر الفلاح بعربته قال أحد الجوالين: «هذا المصباح يلزمنا. نحن عندنا شجرة سنديان كبيرة مثل هذه، يمكننا أن نثبته عليها. ويا لفرحتنا عندما نرى موطئ أقدامنا بوضوح في الليل!» فعقّب الثاني: «أتعرفون؟ سنحضرُ عربة وخيولاً ونسرق القمر. يمكن للناس هنا أن يشتروا قمراً آخر». فأضاف الثالث: «أنا أجيد تسلق الشجر، سأصعد وأُنزله». أما رابعهم فأحضر عربة وخيولاً. تسلق الثالث شجرة السنديان وحفر ثقباً في القمر ثم مرّر في الثقب حبلاً وربطه ودلّاه نحو

Twitter: @ketab_n

الأسفل. عندما نزلت الكرة المضيئة واستقرت على العربة غطّاها الجوالون بقطعة قماش، كيلا يكتشف أحد طبيعة حمولة العربة، وانطلقوا إلى وطنهم ووصلوا بسلام، فعلقوه على سنديانة كبيرة.

فرح السكان كباراً وصغاراً عندما بات المصباح الجديد يرسل ضوءه ليلاً فوق كل الحقول وإلى داخل الغرف والحجرات. خرج الأقزام من مغاورهم الصخرية يحتفلون ورقصوا مع زوجاتهم بتنانيرهن الحمراء ورقصة الحلقة في المرعى.

واظب الأربعة على توفير النفط للمصباح وتنظيف الفتيل، وكانوا يحصلون على دينارهم أسبوعياً باستمرار. لكنهم صاروا بمرور الزمن شيوخاً مسنين، ولمّا مرض أحدهم وتوقع موته، أوصى بأن يُدفن معه مُلكه وهو ربع القمر. وعندما مات تسلق العمدة الشجرة واقتطع بمقص السياج ربع القمر ليوضع مع الميت في تابوته. تراجع ضياء القمر، ولكن ليس بصورة ملحوظة بعد. ولما مات الثاني دُفن معه الربع الثاني فانخفضت درجة الإضاءة. وانخفضت بصورة أشد بعد موت الثالث الذي أخذ معه ربعه أيضاً. وأخيراً عند موت الرابع عادت الظلمة القديمة لتهيمن على ليالي المملكة. فعندما صار الناس يخرجون من دورهم من دون فوانيس أخذت رؤوسهم تتصادم.

ولكن عندما عادت فاتحدت أجزاء القمر في العالم السفلي، انتشر هناك الضياء، حيث لم تَسُد سوى الظلمة عادة، فأصاب الموتى قلقٌ وأفاقوا من نومهم. اندهشوا عندما وجدوا أنفسهم يرون ثانية: فضوءُ القمر كان كافياً بالنسبة إليهم، لأن عيونهم كانت قد ضعفت إلى درجة عدم احتمال لمعان الشمس. فنهضوا وتنشطوا واستعادوا ما كانوا عليه في حياتهم. بعضهم ذهب إلى المقامرة والرقص، وبعضهم إلى الحانات حيث طلبوا نبيذاً فسكروا وعربدوا وتشاجروا ثم رفعوا هراواتهم وتضاربوا. ازداد صخبهم إزعاجاً إلى أن وصلوا أخيراً إلى السماء.

والقديس بطرس المسؤول عن حراسة بوابة الجنة ظن أن هناك تمرداً في

Twitter: @ketab_n

العالم السفلي، فاستدعى جيوش السماء لدحر العدو الشرير في حال هجومه على الصالحين المقيمين في الجنة. ولكن بما أن العدو لم يأت، اعتلى القديس بطرس جواده وعبر بوابة السماء نزولاً إلى العالم السفلي. فأرقدَ الموتى في قبورهم ثانية، وأخذَ القمرَ وعلقه في أعالي السماء.

Twitter: @ketab_n

(١٧٧)

سنوات العمر

بعد أن خلق الله العالم وأراد تحديد أعمار مخلوقاته كلها، تقدم الحمار وسأل: «كـم سأعيش يا الله؟» فأجاب الرب: «ثلاثين سنـة. أراضٍ أنت؟» فقال الحمار: «آه يا ربي، إنه وقت طويل. فكِّر بحياتي المرهِقة: أحمل الأثقال من الصباح حتى المسـاء، أنقل أكياس الحبوب إلى الطاحون، كي يأكل الآخرون خبزاً. ولتنشيطي وتجديـد قوتي لا أحصل إلا علـى الضرب والرفس! اعفني من جزء من هذا العمر الطويل». فرحمه الله وحدَّد له ثمانية عشر سنة، فغادر مرتاحاً.

ودخل الكلب، فسأله الله: «كم تريد أن تعيش؟ الحمار وجد الثلاثين سنة أكثر من اللازم، أما أنت فسترضى بها». فقال الكلب: «أهذا مشيئتك يا الله؟ فكِّر، كم عليّ أن أركض. لن تتحمل قوائمي هذه المدة الطويلة. وعندما يفقد صوتي القدرة علـى النبـاح، وأسناني القدرة على العض، ما الـذي سيتبقى لي سوى الانتقال من زاوية إلى أخرى والهرير؟» رأى الرب أن الكلب محقّ وحدد له اثنتي عشرة سنة.

بعـد ذلك جاء القرد، فقـال له الرب: «أنت ترغب فـي أن تعيش ثلاثين سنة، أليس كذلك؟ فأنت لا تحتاج إلى أن تعمل مثل الحمار والكلب، ومزاجك صافٍ دائماً». فأجاب القرد: «أخ يا ربي! الأمر يبدو كذلك، لكنه في الحقيقة مختلف. فعندمـا أرى حسـاء الشعير، لا أجد ملعقـة لآكل بها. وأنا مضطـر دائماً لابتكار مقالـب مسليـة، وللتلاعب بملامـح وجهي كـي أُضحك الآخريـن، وفي حال أعطوني تفاحة وقضمتها، تكون حامضة. فكم من الحزن يكمن وراء المزاج! لن أحتمل الوضع ثلاثين سنة». وكان الرب رحيماً فمنحه عشر سنوات.

Twitter: @ketab_n

وفـي نهايـة المطاف جاء الإنســان، وكان فرحاً معافى ونشيطـاً، والتمس من الـرب أن يحدد له عمـره، فقال له الـرب: «ستعيش ثلاثين سنـة، هل تكفيك؟» فأجـاب الإنسان: «يا له من وقت قصيـر! لا أكاد أن أكونُ قد بنيتُ بيتي وأشعلتُ النـار في موقدي، وزرعتُ أشجاري فبدأتْ تزهر وتثمر، وبدأتُ أستمتع بحياتي، فأشـارفُ على الموت! أرجوك يا إلهي، أطِل بعمري». فقال له الرب: «سأضيفُ إلـى عمرِك عمرَ الحمار وهو ثمانية عشـر سنة». فقال الإنسان: «إنها لا تكفي». فقال الرب: «أضفْ إليه عمرَ الكلب إذن وهو اثنتا عشر سنة». فقال الإنسان: «ما زال قصيراً جداً». فقال الرب: «حسنٌ سأعطيكَ سنواتِ القردِ أيضاً، ولن تحصلَ على أكثر من ذلك». فغادر الإنسان، ولكن من دون أن يكون مكتفياً.

وبناء على ذلك يعيشـ الإنسان سبعين سنة. الثلاثون الأولى هي سنوات البشر التي سرعـان ما تمضي، يكون خلالها صحيح البنية، رائق المزاج، يشتغل برغبة، وفرحٍ بوجـوده. تتلوها سنوات الحمير الثمانية عشـر، وخلالها يحمل عبئاً فوق عـبءٍ: فعليـه أن يحمل الحبوب التي تغـذّي الآخرين، وجـزاء خدماته الثمينة لا يتلقـى سوى الضرب والرفس. ثم تتبعها سنـوات الكلاب الاثنتا عشرة، وخلالها يقبـع في الزوايـا مهرهراً، من دون أسنانٍ ليعض بها طعامـه. وبعد أن تنقضي هذه المدة، تكون الخاتمة مع سنوات القرد العشر، إذ يُخرّف الإنسان ويصبحُ مخبولاً وتصير تصرفاته غبيّة، ويغدو موضعَ سخرية الأطفال.

Twitter: @ketab_n

(١٧٨)

رُسُل الموت

قبل زمن بعيد خرج عملاق ليتمشى على الطريق الزراعية، وفجأة قفز أمامه رجل مجهول وصاح به: «قف عندك! لا تمشِ خطوة أخرى!» فقال له العملاق: «ماذا أيها الشقي الذي يمكن أن أهرسه بين أصابعي؟ أتريد أنت أن تسد الطريق في وجهي؟ ثم من تكون لتتكلم بمثل هذه الوقاحة؟» فأجابه الآخر: «أنا الموت، لا أحد يقاومني أبداً، وأنت أيضاً يجب أن تطيع أوامري». لكن العملاق رفض وبدأ بمصارعة الموت، وكان صراعاً طويلاً وحامياً، إلى أن بقيت الغلبةُ إلى جانب العملاق، الذي لكمَ الموتَ بقبضته لكمات جعلته يخرّ أرضاً إلى جانب صخرة. تابع العملاق طريقه، وبقي الموت مهزوماً بلا حول ولا قوة، إلى حد عدم القدرة على القيام، فقال في نفسه: «ماذا ستكون نتيجةَ بقائي هنا عاجزاً عن النهوض والعمل؟ لن يموتَ أحدٌ في الدنيا، وسيزدحم فيها البشر، بحيث لن يبقى مكان لوقوف أحدهم بجانب الآخر».

في أثناء ذلك مرَّ على الطريق الزراعية شاب يافع نشيط معافى، وهو يغني وينظر حوله. عندما رأى الشابُ الرجل مرمياً شبه مغمى عليه، واتجه إليه وساعده على النهوض وأسعفه بأن سقاه جرعةً من شراب مقرٍ يحمله معه، وانتظره حتى يستعيد قواه. في أثناء ذلك سأله الرجل: «أتعرف من يكون هذا الذي ساعدته وأسعفه؟» فأجابه الشاب: «لا، أنا لا أعرفك». فقال الرجل: «أنا الموت، لا أرحمُ أحداً، ولا يمكنني أن أستثنيك. ولكن لكي ترى أني لستُ ناكراً للجميل، أعدكَ بأني لن أهاجمك على حين غرة، بل سأبعث إليك رسلي أولاً، قبل أن آتي بنفسي

Twitter: @ketab_n

لآخذك». فردَّ الشاب: «ليكن، إنه المكسب لي أن أعرف مسبقاً بمجيئك، وأني في أمانٍ منك حتى ذلك الحين». وتابع طريقه مرحاً، هاشاً باشاً، وعاش حياته بصورة طبيعية. بيد أن الشباب والصحة لا يدومان طويلاً، وسرعان ما داهمته الأمراض والآلام لتعذبه نهاراً وتقض مضجعه ليلاً، فقال لنفسه: «لن أموت بعدْ، فالموتُ سيبعث برسله أولاً. كل ما أريده الآن هو أن تنقضي أيام المرض الرديئة». وما أنْ شعر باستعادةِ عافيته حتى انخرط مجدداً في مناهج الحياة.

وذات يوم ربَّت أحدهم على كتفه، فالتفتَ مستديراً ليرى الموت واقفاً وراءه، وسمعه يقول له: «اتبعني، أتتْ ساعة وداعك للدنيا». فأجابه الإنسان: «كيف ذلك؟ أوتنكثُ بوعدك؟ ألم تعدني بأنك ستبعث رسُلك قبل أن تأتي بنفسك؟ أنا لم أرَ أحداً منهم». فأجابه الموت: «اسكتْ. ألم أبعثْ إليك رسولاً بعد آخر؟ ألم تأتك الحمى فهزّتك ونفضتك وأقعدتك؟ ألم تخدر الدوخة رأسك؟ ألم يصبك داء النقرس في جميع مفاصلك؟ ألم تئز أذناك؟ ألم يحفر ألم الأسنان حنكيك؟ ألم يغشَ السوادُ نور عينيك؟ وفوق كل هذا وذاك ألم يذكرك بي كل مساءٍ شقيقي النوم؟ أما كنتَ تستلقي كل ليلةٍ وكأنك ميت؟» لم يدرِ الإنسان بماذا يجيب، فاستسلم لمصيره وذهب مع الموت.

(١٨٩)

المعلم مِخْرَز

كان المعلـم مِخْرَز رجلاً قصيراً ونحيلاً، لكنه بالغ الحيوية لا يفتر عن الحركة لحظة واحدة. في وجهه المليء بنـدوبِ بثورِ الجدري والشاحبِ شحوبَ جثة، كانـت تشمـخُ أرنبة أنفه عالياً. شعـره رمادي منفوش، عينـاه صغيرتان تتحركان باستمرار يميناً ويساراً. كان يلاحظ كل شيء وينتقد كل شيء، يفهم في كل الأمور أفضـل من الآخرين، ويصر على أنه محق فـي كل شيء. إذا مشى في الشارع تراه يحرك ذراعيه بقوة وكأنهما مجذامين. وذات مرة صدم بيده بقوة سطلَ ماءٍ تحمله فتاة، بحيث طار السطـل عالياً وانسكب بعض مائه على المعلم نفسه، فصاح بها وهو يهزها بشدة: «ألم تري أني كنت ماشياً خلفك، يا غبية؟».

كان الرجل حذّاءً، وعندما يجلس ليخيط الحذاء، كان يسحبُ الخيط المشمَّع راسمـاً قوساً واسعاً بيده، وبشدةٍ تـكاد تقضي على بطن من يقف على مقربة منه. لـم يصبر أجيرٌ متدربٌ على البقاء عنده أطول من شهر، لأنه كان ينتقد حتى أفضل نتائج الشغل: فإما أن يجد ثقوب المخرز غير متماثلة، وإما أن تكون فردة الحذاء أطـول من الأخرى، أو أن كعبها أقصر مـن الثانية، وإما أن يجد الجلد غير مُطرّى كفايـة، فيقول للأجيـر: «انتظرْ، سأريكَ كيـف يُطرّى الجلـد»، ويتناول الحزام ويجلده به على ظهره عدة مرات.

كان يلقبُ جميع الأجراء عنده «كسالى» مع أنه هو نفسه لم يكن يُنهِ أي شغلٍ بـدأه، لأنه لم يكن قـادراً على البقاء في مكانه أطول من ربـع ساعة. وإذا نهضت زوجتـه باكراً وأشعلت النار فـي الموقد، كان يقفز من فراشه ويهـرول حافياً إلى

Twitter: @ketab_n

المطبخ ليصيح بها: «أتريدين أن تحرقي بيتي؟ هذه نار تكفي لشيّ ثور! أم أنكِ تظنين أني آتي بالحطب مجاناً؟» وإذا رأى الخادمات واقفات حول برميل غسلِ الثياب يضحكن ويتحادثن بما يعرفن من أخبار، كان يشتمهن قائلاً: «يا لكن من إوزات نقّاقة، تثرثرن وتهذرن وتنسين الشغل. فما فائدة الصابون الجديد؟ يا للهدر والإسراف ويا للكسل المشين فوق ذلك! إنهن حتى لا يفركن القماش كما يجب، حفاظاً على نعومة أيديهن». ثم يقفز ليخرج، فيصدم دلواً مليئاً بقلويات الغسيل فينسفح السائل على أرض المطبخ كلها.

وإذا بُدئ في الجوار ببناء منزل جديد، كان يركض إلى النافذة ليراقب ما يفعلون، ثم يقول: «ها هم يبنون مجدداً بحجر الرمل الأحمر الذي لا يجف أبداً. لن يبقى في المنزل واحد من سكانه معافى. ثم انظر إلى سوءِ شغلِ العمال وهم يرصفون الحجارة فوق بعضها. الملاط مغشوش لا يصلح: «يجب أن يُخلط بالبحص وليس بالرمل. لا شك في أني سأرى بعيني هذا المنزل وهو ينهار على رؤوس ساكنيه»).

ها هو يجلس أخيراً ويخرز بعض الثقوب، ولكن ها هو يقفز ثانية، يرمي مئزر الشغل جانباً، وهو يصيح: «سأذهب لأوقظ ضمائر هؤلاء الناس». لكنه لا يجد أمامه سوى عمال النجارة، فيصيح: «ما هذا؟ أراكم لا تثبتون المسامير حسب الخيط! وتظنون أن العوارض ستبقى مستقيمة؟ سيأتي يوم تتخلع فيه كلها». وانتزع مطرقة من أحد النجارين ليريه كيف يجب أن يكون الطرق، ولكن عندما وصلت عربة محملة بالغراء رمى المطرقة من يده وقفز نحو الفلاح السائر إلى جانبها وصاح: «هل جننتَ يا رجل؟ كيف تربط خيولاً يافعة إلى عربة محمّلة بهذا الوزن الثقيل؟ الخيول المسكينة ستسقط أمام عينيك». لم يأبه له الفلاح ولم يجبه، فعاد المعلم مِخْرَز إلى شغله غاضباً.

وعندما جلس إلى عمله ثانية ناوله أجيره فردة حذاء، فصرخ في وجهه: «ما هذا ثانية؟ كم مرة نبهتُك لئلا تُسَمّك الحذاء كثيراً؟ من سيشتري الآن حذاءً

Twitter: @ketab_n

كهـذا، لا يوجد فيـه تقريباً سوى كعب؟ أنـا أصر على أن تنفَّـذ أوامري حرفياً».
فقـال الأجير: «يا معلم، قد تكـون محقاً في أن الحذاء لا يصلح أبداً، لكنه الحذاء نفسه الذي قصصتَه وفصلتَه وعالجتَه بنفسك. عندما قفزتَ من مكانك قبل حين، أسقطتَـه عن الطاولة. كل ما فعلتُـه أنا، هو أني رفعته عن الأرض. أنت لن يرضيك أي شيء، حتى ولو كان من صنع ملائكة الجنة».

ذات ليلة رأى المعلم مِخْرَز في المنام أنه قد مات، وأنه على الطريق إلى الجنة، وعندمـا وصلَ قـرعَ الباب بقوة وقـال: «لا استغرب أن لا يكـون لديهم جرس! أضروري أن يؤذي المرء عظامه من شدة القرع؟» فتح القديسُ بطرس البوابة ليرى مـن هذا الطارق الجامح الذي يطلب الدخـول، ولمّا شاهده قال: «آخ، هذا أنت يا معلم مِخْرَز، سأدخلك، لكنني أحذرك، عليك التخلي عن عادتك وعدم توجيه انتقاداتـك إلى أي أمرٍ تراه هنا في الجنـة، وإلا فإن عاقبتك ستكون وخيمة». فردَّ مِخْـرَز: «كان بوسعك توفير هـذا التحذير، فأنا أعرف ما يليـق وما لا يليق، هنا، الشكرُ لله، كل شيء كاملٌ لا يحتاجُ إلى نقدٍ، كما على الأرض!».

دخـل المعلم مِخْرَز إلى الجنة إذن، وأخذ يتجـول في أرجائها الفسيحة جيئة وذهابـاً. يتلفت حوله يمنة ويسرة، يهز برأسه بيـن الحين والآخر أو يهمهم كلاماً غيـر مفهوم. في أثناء ذلك شاهد ملاكين ينقلان عمـوداً خشبياً، هو نفس العمود الـذي كان في عينِ أحدهـم أثناء بحثهِ عن الشظايا في عيـون الآخرين. لم يحمل الملاكان العمود بالطول، بل بالعرض، فقال المعلم مِخْرَز لنفسه: «هل سبق لأحد أن رأى مثل هذا الخَبَل؟» لكنه صمت وهدّأ نفسه بقوله: «في الواقع الأمرُ سيّان، أحمـلاه بالطول أم بالعرض ما دام المـكان متسِعاً فلا يصطدمان بشيء على طول الطريق».

بعـد حيـن رأى ملاكين آخريـن يرفعان ماءً من بئـر ويصبانه فـي برميل. لكنه سرعان مـا لاحظ أن البرميل مليء بالثقوب، وأن المـاء يخرج من جميع جوانبه، وكأنهمـا يسقيان الأرض بالمطر. انفجـر مِخْرَز صائحاً: «ما هذا الجنون!» لكنه

Twitter: @ketab_n

تذكر، لحسن الحظ، وقال في نفسه: «لربما كان الأمر لتمضية الوقت؛ للتسلية قد يسمـحُ المرء لنفسـه بأفعال لا مغزى لها، ولا سيما هنا في الجنة، فقد لفتَ نظري انتشارُ الكسل».

تابـع طريقه فشاهد عربةً قد غرزت في حفرةٍ عميقة، فقال للرجل الواقف إلى جانبهـا: «لا عجب إطلاقاً، هل يُعقل أن يحمّـل المرءُ عربة بهذه الصورة؟ ما هي حمولتك؟» فأجابه الرجل: «أماني بعيدة المنال، لم أستطع المجيء بها على طريق الصـواب، بيدَ أنني نجحـتُ في رفعها ودفعها من فوقه، وهـم لن يتركوني غارزاً هنـا»، ومـا أن أنهى كلامه حتى حضر ملاكٌ وشدّ أربطـة جوادين إلى العربة. قال مِخْرَز في نفسه: «جيد جداً. لكن جوادين لن يُخرِجا العربة. لا بد من أربعة كحدٍ أدنـى». حضر ملاك آخر ومعه جوادان آخران، لكنه لم يشدهما إلى مقدمة العربة بـل إلى مؤخرتهـا. وكان هذا فوق طاقةِ احتمال المعلم مِخْـرَز، فانفجر صائحاً: «يـا غبي يا أحمق، ماذا تفعل؟ هل سبق لأحدٍ منذ بداية الدنيا أن أخرجَ عربةً بهذه الطريقـة؟ لكن غرورك وخيـلاءك يجعلانك تظن أنك الأذكى فـي كل الأمور»، وأراد أن يتابـع كلامه، لكن أحد نزلاء الجنة أمسكه من ياقته بشدة لا تُقاوم وجره إلـى الخارج. عند بوابة الجنة التفـت المعلم مِخْرَز نحو العربة فشاهد أربعة جياد مجنّحةٍ تحملُ العربة عالياً.

فـي تلك اللحظة أفاق المعلم مِخْرَز من نومه، وقال لنفسه: «لا شك أن الأمور فـي السماء تجري بشكل مختلف عن الأرض، لذلك لا بد من تبرير وتمرير أمور كثيـرة، ولكن مَن الذي سيصبـر على مشاهدة عربة تُشد الخيـول إليها من الأمام والخلف معاً؟ صحيح أنها كانت مجنّحة كالبراق، ولكن كيف لي أن أعرف ذلك؟ فـي كل الأحوال، إنـه لمنتهى الغباء أن تُلصَق أجنحةٌ علـى جياد لها قوائم لتمشي عليهـا. ولكن لا بدّ أن أنهض الآن، قبـل أن يشتغلوا كل شيء في بيتي بالمقلوب. ولحسن الحظ أني لم أمت بعد».

(١٨٠)

راعية الإوز عند النبع

في قديم الزمان عاشت امرأة طاعنة في السن مع قطيع من الإوز في بيت صغير منعزل، تحيط به غابة كبيرة بين الجبال. وكانت العجوز كل صباح تخرج عارجة علـى عكازها إلى الغابـة، حيث تنهمك رغـم سنوات عمرها فـي جمع العشب لإوزاتها، كما تقطف الفواكه البرية التي تصل إليها يداها، وتعود إلى دارها حاملة كل هـذا على ظهرها. قد يخطر فـي بال المرء أن مثل هذا الحمل الثقيل سيجبرها علـى الركوع، بيد أنها كانت تنجـح يومياً في إيصاله إلى الدار بسلام. وإذا التقت فـي طريقهـا بأحد، كانت تحييه بـودٍ واضح وتقول: «نهارك سعيـد يا ابن البلد، الطقس جميل اليوم. يبدو أنك تستغرب حملي الحشائش، ولكن على كل إنسان أن يأخـذ حمله على ظهـره». بيد أن النـاس كانوا يفضلون تحاشـي الالتقاء بها، فيأخـذون دروبـاً جانبية. وإن حدثَ والتقى بها أبٌ مـع ابنه كان يهمس في أذنه: «خذْ حذرك من هذه العجوز، فقرون الشيطان خافية وراء أذنيها. إنها ساحرة».

ذات صبـاح كان شاب وسيم يعبر الغابة، وكانت الشمـس مشرقة والعصافير تغـرد، وثمة نسمة لطيفة تحرك أوراق الشجر والأعشاب، وكان الشاب مسروراً مبتهجاً. لم يكن قد مرَّ بإنسان في الغابة بعد عندما وقع نظره على الساحرة العجوز فجأة، وهـي راكعة على ركبتيها تقطـع الحشائش بالمنجـل. وكانت حتى ذلك الحيـن قد جمعت كمية كبيـرة على بقجتها، إضافة إلى سلتيـن مليئتين بالإجاص والتفاح البري. فخاطبها الشاب قائلاً: «ولكن يا جدتي هل أنت قادرة على حمل كل هـذا؟» فأجابتـه: «يجب أن أحمله أيها السيد العزيز، أمـا أبناء الأغنياء فليسوا

Twitter: @ketab_n

مضطرين إلى ذلك. نحن الفلاحين عندنا مثل يقول:

«لا تلتفت إلى الآخرين،

فحدبتُك مرئية بالعينين».

وأردفت بتساؤل عندما بقي واقفاً: «أتريد أن تساعدني؟ ظهرك ما زال مستقيماً وكذلك ساقاك، سيكون الأمر سهلاً عليك. وبيتي ليس بعيداً من هنا، إنه وراء ذلك الجبل على برج. ستصل إليه قفزاً». أشفق الشاب على المرأة العجوز، فأجابها: «صحيح أن أبي ليس فلاحاً، بل مسؤولٌ غني في القصر الملكي، لكني سأحمل عنك بقجة الحشائش كي تري أن أبناء الآخرين قادرين على الحمل أيضاً». فقالت له: «إذا أردتَ أن تحاول، فيا حبّذا. سيكون عليك طبعاً أن تمشي مسافة ساعة، لكن هذا لا شيء بالنسبة إليك! خذ أيضاً التفاح والإجاص».

عندما سمع الكونت الشاب أن الطريق سيستغرق ساعة، كاد أن يتراجع، لكن العجوز كانت قد تمسكت به، فحمَّلته البقجة على ظهره. وعلّقت السلتين على ساعديه، قائلة: «أترى، لا أسهل من ذلك»، فأجابها: «لا، الأمر ليس بهذه السهولة» وارتسم على وجهه تعبير معاناة، وأردف: «البقجة تضغط على ظهري وكأنها مملوءة بالحجارة. والتفاح والإجاص ثقيل كالرصاص، تكاد أنفاسي تنقطع». كان راغباً في إنزال كل شيء أرضاً، لكن العجوز لم تفسح له مجالاً لذلك، وقالت سخرة: «عجيب، السيد الشاب لا يريد أن يحمل ما حملتُه أنا العجوز كذا مرة. تريد أن تساعدني بمعسول الكلام، ولكن عند الاختبار تفضل أن تولي الأدبار. ما بالك تقف متردداً، حرك ساقيك، هيا!» بقي الحال محتملاً ما دام يسير على أرض منبسطة، ولكنه عندما وصل إلى الجبل وبدأ الصعود وأخذت الأحجار تتدحرج وراء قدميه نحو الأسفل، وكأنها كائنات حية، عندها تجاوز الأمر حدود طاقته. امتلأ رأسه بقطرات العرق التي أخذت تسيل ساخنة على وجهه تارة، وباردة على ظهره تارة أخرى، فصاح: «لم أعد قادراً يا جدتي، لا بد أن أستريح قليلاً». فأجابته: «ليس هنا. عندما نصل يمكنك أن تستريح، أما الآن

Twitter: @ketab_n

فعليك أن تتابع. من يدري كم سيعود عليك الأمر بالفائدة». فقال الشاب وهو على وشك أن يرمي البقجة عن ظهره: «بدأتْ تظهرُ وقاحتك يا عجوز!» وحاول جهده للتخلص منها، ولكن عبثاً، ولكأنها جزء لا يتجزأ من ظهره. فتل ظهره وانحنى بشدة، لكنه لم يستطع التخلص من البقجة. ضحكت العجوز وأخذت تقفز فرحة حول عكازها، ثم قالت: «لا تغضب هكذا، أيها السيد. وجهك يحتقن احمراراً مثل عرف الديك. احمل بقجتك بصبر؛ عندما نصل سأمنحك بقشيشاً كريماً». ماذا كان بمقدوره أن يفعل؟ كان لا بد له أن يرضى بقدره وأن يمشي بصبر وراء العجوز، التي بدت وكأنها تزداد حيوية ونشاطاً، فيما يزداد حمله ثقلاً.

وفجأة قفزت العجوز قفزة واحدة وجلست على البقجة. ورغم كونها بالغة النحول إلا أنها كانت أثقل من فلاحة صبية بدينة. أخذت ركبتا الشاب ترتجفان، لكنه إنْ توقف عن المشي كانت العجوز تضربه بقضيبِ قرّاصٍ على ساقيه، فصعد الجبل وهو يلهث ويئن باستمرار، إلى أن وصل أخيراً إلى بيت العجوز، وهو على وشك الانهيار.

عندما رأت الإوزات العجوز رفعت أجنحتها عالياً ومدت رقابها إل الأمام وتراكضت لاستقبالها وهي تطلق صيحات فرح. وراء قطيع الإوز كانت تمشي امرأة قميئة الهيئة، قوية البنية وطويلة القامة، لكنها بشعة كالليل، خاطبت العجوزَ قائلة: «يا أمي هل أصابك مكروه؟ لقد أطلتِ الغياب». فأجابتها العجوز: «لاقدَّر الله يا ابنتي، لم يصبني أي مكروه، بل بالعكس، فهذا السيد الشاب قد حمل عني كل شيء. وتصوري، عندما تعبتُ حملني أنا أيضاً على ظهره. ولم نشعر بطول الطريق، فقد كنا مسرورين طوال الوقت، إضافة إلى أننا كنا نتبادل المزاح».

أخيراً انزلقت العجوز عن ظهر الشاب، وأنزلت البقجة عن ظهره والسلتين عن ساعديه. نظرت إليه بودٍ ولطف وقالت: «اجلس الآن على المقعد عند الباب وخذ راحتك. أنت تستحق أجرك بحق، ولن أبخسك حقك». ثم التفتت إلى راعية الإوز قائلة: «أما أنت يا ابنتي فادخلي إلى البيت، فلا يليق أن تبقي واقفة وحدك

Twitter: @ketab_n

مع سيد شاب، إذْ لا يجوز أن نصب على النار زيتاً، فقد يقع الشاب في حبك». لم يدر الكونت الشاب أيبكي الآن أم يضحك، وفكر في نفسه: هذا الكنز، ولو كان أصغر بثلاثين سنة، ما كان ليمس قلبي». خلال ذلك ربّتت العجوز على إوزاتها ولاعبتهن كالأطفال، ثم دخلت مع ابنتها إلى البيت.

تمدد الشاب على المقعد تحت شجرة تفاح برية، كان الهواء فاتراً وناعماً، ومن حول البيت امتد مرج أخضر واسع، غني بآلاف الزهور البرية الملونة، وفي منتصفه يجري جدول صافٍ تتلألأ أشعة الشمس في مائه، والإوزات البيضاوات يخضن فيه دخولاً وخروجاً ويتجولن حول المقعد. قال الشاب لنفسه: «ما أجمل المكان هنا، لكنني مُنهك، أكاد لا أستطيع إبقاء عيني مفتوحتين. سأنام قليلاً. كل ما أرجوه هو ألا تهب ريحٌ تفصل ساقيَّ عن جسدي إذْ إني أشعر بهما هشّتين كالصوفان».

بعد أن نام فترة قصيرة، جاءت إليه العجوز وهزته قائلة: «استيقظ هيا، لا يمكنك أن تبقى هنا. لا شك في أني قد أذقتك المرَّ كفايةً، لكنك لم تفقد حياتك بعد. سأعطيك الآن أجرَك. أنت لستَ بحاجة إلى ذهبٍ وأملاك، لذلك سأعطيك شيئاً آخر». ووضعت في يده علبةً صغيرة منحوتة من حجر واحد من الزمرد، وأردفت قائلة: «احفظْها جيداً، إنها ستجلب لك الحظ».

نهض الكونت الشاب واقفاً وشعر بنفسه مرتاحاً تماماً وقد استعاد قواه، فشكر العجوز لهديّتها وغادر دون أن يلتفت ولو مرة إلى الابنة الجميلة. ورغم ابتعاده عن بيت العجوز بقيت صيحات الإوز المرحة تتناهى إلى أذنيه. تاه الكونت طوال ثلاثة أيام في الغابة الموحشة حتى وجد طريقه إلى خارجها، وإلى مدينة كبيرة لا يعرف فيها أحداً ولا يعرفه أحد، فاقتيد إلى القصر الملكي حيث كان الملك والملكة جالسين على العرش. نزل الكونت أمامهما على ركبته تحيةً، وأخرج علبة الزمرد من جيبه ووضعها عند قدمي الملكة التي أمرته بأن ينهض ويناولها العلبة. لكنها ما أن فتحتها ونظرت فيها حتى سقطت أرضاً كالميتة. أمسك خدمُ

Twitter: @ketab_n

الملـكِ بالكونت ليقتادوه إلى السجن، ففتحت الملكـة عينيها وصاحت بهم أن يطلقوه وأن يخرجَ الجميعُ لتتحدث مع الكونت على انفراد.

عندما خلت القاعة أخذت الملكـة تبكي بمرارة وقالت: «بماذا يفيدني البهاء والجـاه وكل ما يحيط بـي إذا كنتُ أستيقظ كل صباحٍ حزينـة وقلقة. كان عندي ثـلاث بنات، اعتبرَ العالمُ كله صغراهنَ آيةً نادرةً في الجمال، كانت بيضاء كالثلج وحمـراء الخدين كزهر التفاح وشقراء الشعـر كأشعة الشمس. إذا بكتْ لم تنهمر من عينيها دموعٌ بل لآلئ وجواهر. عندما صارت في الخامسة عشرة طلب الملك البنـات الثلاث ليمثلوا أمامه في قاعة العرش. ليتك رأيت كيف كانت عيون الناس عندمـا دخلـت الصغرى، كانتْ لحظـةً تماثلُ شروق الشمـس. خاطبهن الملك فقال: «يا بناتي، أنا لا أعرف متى يأتي يومي الأخير، لهذا أريد أن أحدد منذ اليوم حصـة كل منكن بعد موتـي. أنتن تحببنني، ولكن الأشد حبـاً لي منكن ستحصل على الحصة الأفضل. كل واحدة منهن قالت إنها تحب أباها أكثر من أختيها، فقال الملك: «عليكن التعبير عن حبكن بالكلمات، لأُقدّر مدى هذا الحب».

فقالت الكبـرى: «أنا أحب أبي كما أحب أكثر أنواع السكر حلاوة»، وقالت الوسطـى: «أنا أحب أبي مثل أجمل ثوب عندي»، أما الصغرى فصمتت، فسألها الملـك: «وأنت يا أحبَّ بناتي، كيف تحبيننـي؟» فأجابته: «لا أعرف، لا استطيع تشبيـه حبـي بشيء آخر». لكن الملـك أصر على أن تسمي شيئـاً. وأخيراً قالت: «أطيـب المأكـولات لا أحبها من دون ملـح، لذلك أحب أبـي كالملح». عندما سمـع الملك ذلك، غضب غضباً شديداً وقال: «إذا كنت تحبينني كالملح، فلتكن مكافأتـك لحبك ملحاً أيضـاً». وقسم المملكة بين الأختيـن، أما الصغرى فربط كيسَ ملحٍ على ظهرها وجعل خادمين يقودانها إلى الغابة الموحشة. صلّينا جميعنا من أجلهاَ وابتهلنا، وتوسلنا، لكننا لم نتوصل إلى التخفيف من غضب الملك. كم بكتْ عندما غادرتنا، لقد امتلأ الطريق كله بالآلئ والجواهر من عينيها.

بعد مدة من الزمن ندم الملك على قسوته الشديدة وأرسل من يبحثُ عن ابنته

Twitter: @ketab_n

المسكينة في الدنيا كلها، ولكنها اختفت فلم يجدها أحد. وعندما يخطرُ ببالي أن الضواري قد افترستها، يتملكني الحزن. ويعصرني، وأحياناً أواسي نفسي بأملِ أنها لا تزال حيةً مختبئةً في كهف ما، أو عند أناسٍ أخيارٍ يحمونها. ولكن تصور أيها الكونت أني عندما فتحتُ علبتك، ووجدتُ فيها لؤلؤة مثل اللآلئ التي كانت تنهمر من عيني ابنتي، ماذا جرى لقلبي. عليك أن تخبرني، كيف حصلت على هذه اللؤلؤة».

حكى لها الكونت أنه حصل عليها من المرأة العجوز في الغابة والتي بدت له مريبةً، ويشك في أنها ساحرة، لكنه لم يسمع شيئاً أو يرى شيئاً يتعلق بابنتها. قرر الملك والملكة معاً البحثَ عن العجوز بنفسيهما، فقد اعتقدا بأنهما لا بد سيحصلان على خبرٍ عن ابنتهما من المكان الذي كانت فيه اللؤلؤة.

جلست العجوز في بيتها في تلك البقعة المنعزلة وهي تغزل على عجلة المغزل. كان المساء قد هبط، وثمة بقايا نار في أسفل الموقد ترسل نوراً شحيحاً. وفجأة سادت ضوضاء خارج البيت مع عودة الإوزات من المرعى وصياحهن الزاعق، وسرعان ما دخلت الابنة البيت، لكن العجوز لم تشكرها على عملها بل بقيت صامتة وهزت رأسها قليلاً. جلست الابنة إلى جانبها وأخذت منها عجلة المغزل وأخذت تفتل الخيط برشاقةِ صبيةٍ يافعة. جلسا على هذه الحال نحو ساعتين، لم يتبادلا خلالهما أية كلمة.

وأخيراً سُمع حفيفٌ من ناحية النافذة ورأت العجوز وابنتها عينين ناريتين تحملقان بهما، عينا بومة عجوز نعقت ثلاث مرات: «أهو». رفعت العجوز رأسها قليلاً ثم قال: «حان وقت خروجك يا ابنتي، قومي بعملك».فنهضت الابنة وخرجت. «إلى أين ذهبت؟» ذهبت عبر المرج ونزلت إلى الوادي حتى وصلت أخيراً إلى نبعٍ قربَ ثلاثِ شجراتِ بلوطٍ هرمة. خلال ذلك كان القمر قد أشرق بدراً كبيراً من وراء الجبل وانتشر نوره الساطع في كل مكان، بحيث يمكن للإنسان العثور حتى على إبرة. خلعت الابنة الجلد الذي كان يغطي رأسها، ثم

Twitter: @ketab_n

انحنت فوق النبع وبدأت تغتسل. عندما انتهت غطّست الجلد أيضاً في ماء النبع ثم نشرته على المرج كي يبيَضّ في ضوء القمر ويجف. ولكن كيف تحولت الفتاة بهذه الصورة التي لم ترَ أعينكم مثلها! عندما سقطت الضفيرة الرمادية عن رأسها انهمر شعرها الذهبي كشلال من أشعة الشمس ودثرها كمعطف، فيما كانت عيناها تبرقان وتومضان كنجمتين في السماء، وأزهرت وجنتاها بحمرةٍ ناعمةٍ كخدي تفاحة.

بيد أن الفتاة كانت حزينة، فجلست وبكت بحرقة. كانت دموعها تندفع من عينيها، وتسيل على شعرها الطويل وبينه منهمرة على الأرض. هكذا جلست هناك، ويحتملُ أنها كانت ستطيلُ الجلوسَ لو لم تسمع طقطقة أغصانٍ صغيرة وحفيفَ أوراقٍ من الشجرة القريبة منها، فنفرت كغزالٍ التقطَ صوت بندقية. في تلك اللحظات حجبت القمرَ سحابةٌ سوداء، وفي أثناء ذلك ارتدت الصبية بسرعة جلدها الآخر واختفت كلهب شمعة أطفأته الريح. ركضت عائدة إلى الدار وهي ترتعش.

كانت العجوز واقفة عند الباب، وأرادت الصبية أن تحكي لها ما جرى عند النبع، إلا أن العجوز ضحكت بودٍ وقالت لها: «أعرف كل ما جرى»، وقادتها إلى الغرفة وأشعلت كسرةَ حطبٍ جديدة. لكنها لم تجلس على كرسي الغزل، بل تناولت مكنسةً وبدأت تكنس وتنظف، وأردفت قائلة: «يجب أن يكون كل شيء نظيفاً ومرتّباً»، فسألتها الفتاة: «ولكن يا أمي، لماذا تبدأين العمل في هذه الساعة المتأخرة؟ ماذا تنوين؟» فأجابتها الأم: «أتعرفين ما الساعة الآن؟» فقالت الفتاة: «لم يحن منتصف الليل بعد، لكننا تجاوزنا الحادية عشرة»، فتابعت العجوز كلامها: «ألا تفكرين بأنك في مثل هذا الوقت قبل ثلاث سنوات قد جئتِ إلي؟ لقد انتهى وقتك، لم يعد من الممكن لنا البقاء معاً». ارتعبت الفتاة وقالت: «هل تنوين طردي يا أمي الحبيبة؟ إلى أين سأذهب؟ لا أصدقاءَ لي ولا داراً أتجه إليها. لقد فعلتُ كل ما طلبتِه مني وكنتِ دائماً راضية عني. لا تبعديني عنك، أرجوكِ».

Twitter: @ketab_n

لـم ترغب العجوز في أن تخبرَ الفتاة بما ينتظرها، فقالت لها: «أنا لن أقيمَ هنا بعـد الآن، وعندما أرحل يجـب أن أتركَ البيتَ ورائي نظيفاً، لذلك لا تعيقيني عن عملي. ولا تقلقي في ما يتعلقُ بك، سيكونُ هناك سقفٌ فوق رأسك تقيمين تحته، وبالمكافـأة التي سأزودك بها ستكونين راضية مطمئنـة». فسألتها الفتاة بإلحاح: «ولكـن هـلا أخبرتني ما الأمر؟» فـردت العجوز: «سأكرر ثانيـة، لا تعيقيني عن عملـي، لا أريد سماع كلمة أخرى. ادخلـي إلى غرفتك، اخلعي عنك هذا التنكر وارتـدي ثوبك الحريـري الذي كنت تلبسينـه عندما جئت إلي، ثـم انتظري في غرفتك، حتى أناديك».

ولكـن لا بـد أن أعود هنـا لأحكي عن الملـك والملكة اللذيـن خرجا برفقة الكونـت بحثـاً عن المـرأة العجوز في بيتها المنعـزل. مساءً في الغابـة تاه عنهما الكونـت واضطر لمتابعة الطريق وحـده. وفي اليوم التالي انتابَـه شعورٌ بأنه على الـدرب الصحيح، فمشى قُدمـاً إلى أن هبط المساء، فتسلـق شجرةً ليمضي الليل بيـن أغصانهـا، إذ خشي أن يضل الطريـقَ في العتمة. وعندما أنـار القمر المكان رأى هيئـةَ شخصٍ تنحدر نحو الوادي، لم يكن في يدها عصا، لكن الكونت تبيّن أنهـا راعية الإوز التي رآها فـي بيت العجوز قبل أيام، فقـال لنفسه: «آها، ها هي قادمة، فإن أمسكتُ بالأولى، لن تفلتَ الثانية من يدي». ولكن يا لدهشته، عندما اقتربت مـن النبع وخلعت جلد التنكر واغتسلت، وعندما تساقط شعرها فغطاها، وعندمـا تبدى جمالها الفاتن الـذي لم يرَ مثيلاً في هذه الدنيا. حبس أنفاسه، لكنه مـدَّ رقبته كثيـراً بين أوراق الشجـرة وأخذ يتملاها بنظرات لا تحيـد أبداً. ولكن إمـا أن يكونَ قد تمادى فـي الانحناء إلى الأمام، وإما لسببٍ آخر مجهول، طقطق الغصـن. وفي اللحظـة نفسها ارتدت الصبية الجلد ثانيةً وقفـزت هاربةً كالغزال، وبسبب احتجاب القمر لحظتها وراء الغيمة، ضاعت عن عينيه.

مـا إن اختفـت راعيـة الإوز حتى نـزل الكونت عـن الشجرة وهـرع وراءها برشاقة. بعد فترة قصيرة رأى في دَغْشةِ المساءِ هيئة شخصين يعبران المرج، وكانا الملك والملكة اللذين رأيـا على بُعدِ نورَ بيتِ العجوز فتوجها نحوه. حكى لهما

Twitter: @ketab_n

الكونت عن الأمر العجيب الذي رآه عند النبع، فلم يشكّا أن الراعية هي ابنتهما. وتابعا السير ممتلئين بالفرح حتى وصلوا إلى بيت العجوز، حيث كانت الإوزات منتشرة حوله ورؤوسها مختفية تحت أجنحتها، غارقة في نومها بلا حركة. نظروا إلى داخل البيت عبر النافذة، فرأوا العجوز جالسة تغزل بصمت، تهز رأسها بين الحين والآخر من دون أن تلتفت. بدت الغرفة نظيفة ومرتبة وكأنها مسكونة بأقزامِ الضبابِ الذين لا تنقلُ أقدامهم أي غبار. لكنهم لم يروا ابنتهما. تأملوا المنظر برهة ثم حسموا أمرهم وقرعوا زجاج النافذة يبدو أن العجوز كانت تتوقع قدومهم، إذْ نهضت وقالت بودٍ كبير: «تفضلوا ادخلوا، أنا أعرفكم». وعندما دخلوا الغرفة تابعت العجوز قائلة للملك والملكة: «كان بوسعكما تجنُّب عناءَ هذا الدرب الطويل، لو أنكما قبل ثلاث سنوات لم تطردا ظلماً ابنتكما الوديعة الطيبة والمحبّة. لم يلحق بها هنا أي أذى، فقد رعت الإوز طوال ثلاث سنوات، لم تتعلم خلالها أية أمورٍ سيئة، بل بقي قلبها طاهراً. أما أنتما فقد كان عقابكما الخوفُ الذي عشتم فيه طوال هذه المدة». ثم اقتربت من باب الحجرة ونادت: «تعالي يا ابنتي». فانفتح الباب وخرجت منه الأميرة في ثوبها الحريري وشعرها الذهبي وعينيها المضيئتين، وكأن ملاكاً قد هبط من السماء.

اندفعت نحو أبيها وأمها وعانقتهما وقبلتهما، وانهمرت دموع الجميع فرحاً، وقد وقف الكونت الشاب إلى جانبهم. عندما وقع نظرها عليه احمر وجهها كشقائق النعمان، دون أن تدري سبباً لذلك. قال الملك: «يا ابنتي الحبيبة، لقد قسمتُ مملكتي وأهديتُها وانتهى الأمر، فماذا أقدمُ لك؟» فأجابت العجوز: «إنها ليست بحاجة إلى شيء. سأهديها الدموع التي ذرفتها حزناً عليكما، وهي لآلئ البحار وأثمن من مملكتك كلها أيها الملك. ومكافأةً لها على خدماتها سأهديها بيتي. حالما قالت العجوز ذلك اختفت من أمامهم. ثم سمعوا طقطقة صادرةً من جدران البيت، فتلفتوا حولهم، وإذا بالبيت قد تحول إلى قصر فخم منيف وقد مُدت فيه مائدة ملكية والخدم يتحركون جيئة وذهاباً حاملين صحاف الطعام. للحكاية تتمة، لكن جدتي التي حكتها لي، أصاب ذاكرتها الوهن، فنسيت البقية.

Twitter: @ketab_n

ما زلتُ أعتقدُ أن الأميرة الجميلة قد تزوجت الكونت الوسيم وأنهما عاشا معاً في القصر سعيدين هانئين إلى ما شاء الله. أما إذا كانت الإوزات البيضاوات كالثلج، اللواتي كانت ترعاهن الأميرة، فتياتٍ في واقع الأمر، وقد سحرتن العجوز وجمعتهن حولها، وما إذا كنّ الآن قد استعدن هيآتهن البشرية كخادمات في قصرِ الأميرة الشابة، فلستُ أدري، لكنني أرجح. بيد أن الأمرَ المؤكدْ، هو أنّ العجوز لم تكن ساحرة شريرة حسبما اعتقد الناس، بل امرأة حكيمة ومحسنة، ومن المحتمل أن تكون هي التي منحت الأميرة عند ولادتها هبةَ أن تبكي بدلَ الدموع لآلئ. مثل هذه الأمور لم تعد تحدث في أيامنا هذه، وإلا لكان الفقراء قد صاروا أغنياء.

Twitter: @ketab_n

(١٨١)

أولاد حواء المختلفون

عندما طُرد آدم وحواء من الجنة، اضطرا إلى بناء بيت لهما على أرض بور، وإلى كسب قوتهما من عرق جبينهما. اشتغل آدم في الأرض وحواء بغزل الصوف، وفي كل سنة كانت تنجب طفلاً جديداً. لكن أولادها كانوا مختلفين، بعضهم جميل وبعضهم قبيح. وبعد مرور وقت طويل أرسل الرب إليهما ملاكاً، ليخبرهما بأنه آتٍ ليلقي نظرة على حياتهما المنزلية. فرحت حواء برحمة الرب، فقامت بكل نشاط بتنظيف البيت وزينته بالزهور، ونثرت بعض الأعشاب الخضراء على أرضيته. ثم جمعت من أولادها الجميلتين فقط، فغسلتهم ونظفتهم ومشطتهم وألبستهم قمصاناً نظيفة غسلتها مؤخراً، ونبهتهم إلى ضرورة أن يكونوا مهذبين بسلوكٍ جيدٍ في حضور الرب. وعلّمتهم أن ينحنوا باحترام أمامه وأن يصافحوه ويجيبوا عن أسئلته بتواضع ووضوح. أما الأولاد القبيحون فيجب عليهم ألا يُظهروا أنفسهم أثناء حضوره، فخبأت الأول تحت القش والثاني تحت السقف والثالث بين البرسيم والرابع في الفرن والخامس في القبو والسادس تحت دلو والسابع تحت برميل النبيذ والثامن تحت فرائها القديم والتاسع والعاشر تحت القماش الذي كانت تخيط منه الثياب لهم والحادي عشر والثاني عشر تحت الجلد الذي كانت تقص لهم منه أحذيتهم. ما كادت تنتهي من كل ذلك حتى قُرع الباب. نظر آدم عبر شق في الباب وعرف أنه الرب، ففتح له بكل إجلال ودخل الرب العليُّ البيت.

كان الأولاد الجميلون يقفون في صف، فانحنوا له احتراماً وصافحوه ثم

Twitter: @ketab_n

ركعـوا. بدأ الرب يباركهم واحداً تلو الآخر، فوضع يديه على الأول وقال: «أنت ستصبـح ملكاً جبـاراً»، والثانـي: «أميراً» والثالـث: «مسؤولاً كبيـراً» وللرابع: «فارساً» وللخامس: «نبيلاً» وللسادس: «مواطناً محترماً»، وللسابع: «تاجراً»، وللثامن: «عالماً»، أي أنه قد منحهم جميعاً بركاته الكريمة.

عندمـا لاحظت حواء حلـم ورحمة الـرب فكّـرت: «إذن سأحضر أولادي القبيحين، فلعلـه يباركهم أيضاً». فذهبت وأحضرتهم مـن تحت القش والبرسيم والدلـو والبرميل والقماش والجلد والسقف ومن القبو والفرن والأماكن الأخرى التـي خبأتهم فيها. فاحتشد الجمع الخشن والوسخ والقذر المسخّم والبادية عليه آثار الجروح والندوب. ابتسم الرب واستعرضهم جميعهم بعينيه وقال: «وسأبارك هـؤلاء أيضاً»، ووضع يديه على الأول وقال لـه: «ستصبح أنت فلاحاً»، وللثاني: «صياد سمـك»، وللثالث: «حداداً»، وللرابع: «دباغـاً»، وللخامس: «نساجاً»، وللسادس: «حـذّاءً»، وللسابـع: «خياطـاً»، وللثامـن: «فواخيريـاً»، وللتاسع: «حوذيـاً»، وللعاشر: «بحاراً»، وللحادي عشر: «ساعيـاً»، وللثاني عشر: «أنت ستكون خادماً طوال حياتك».

بعـد أن سمعت حواء هذا كله، قالت: «بركاتك يا ربي غير متساوية! فهؤلاهم كلهـم أولادي الذين أنجبتُهـم: فلماذا لا تكون بركاتـك متساوية لهم جميعاً؟!» فأجابهـا الـرب: «يا حواء، أنت لم تفهمي المغزى من ذلـك. يملي عليّ واجبي، حسب الضرورة، أن أنشر أولادَك في الدنيا كلها. فإذا كانوا كلهم أمراء وأسياد، من الذي سيزرع الحبوب ويدرسهـا ويطحنها ويخبرها؟ من سيقوم بأعمال الحدادة والنسـج والنجارة والبناء والحفر والخياطة؟ على كلٍ أن يُمثِّل مهنته، بحيث يدعم واحدهم الآخر بعمله، ويحصلُ الجميع على قوْتهم، مثل أعضاء الجسم». عندها أجابت حـواء: «سامحني يا رب، لقد تعجلت في كلامـي لإقناعك. إن مشيئتك الإلهية تشمل أولادي أيضاً».

Twitter: @ketab_n

(١٨٢)

حورية البركة

في قديم الزمان كان هناك طحّان يعيش مع زوجته حياة سعيدة، يملكان الأموال والأملاك، وثراؤهما ينمو سنة فسنة. لكن المصائب تنزل فجأة، إذْ أخذت ثروتهما تتقلص بسرعة إلى حد أن الطحان لم يعد قادراً على اعتبار الطاحون التي يقيم فيها، ملكاً فعلياً له. فتراكمت عليه الهموم بصورة لا تطاق، وعندما كان يلجأ إلى فراشه ليلاً ليجد بعض الراحة، كانت الهموم والأحزان تقضّ مضجعه.

وذات يوم نهض من سريره قبل انبلاج ضوء الصباح وخرج إلى الخلاء لعله يُخفّف قليلاً من كرب قلبه. عندما مشى فوق سد الطاحون كانت الشمس قد أرسلت بوادر أشعتها، وسمع صوت حفيف قاماً من البركة، فالتفت ورأى امرأة جميلة تنهض من الماء ببطء. وشعرها الطويل الذي كانت تمسكه بيديها الناعمتين على كتفها، كان ينسدل من الجانبين ليغطي جسمها الأبيض كله. أدرك الطحان أنها حورية البركة، ومن شدة خوفه لم يدر، أيهرب أم يبقى واقفاً. فأسمعته الحورية صوتها الناعم ونادته باسمه وسألته عن سبب حزنه الشديد. كان الطحان في دهشة كما أصيب بالخرس، لكنه عندما سمع صوتها الودود، تماسك وحكى لها أنه كان يعيش في سعادة ورفاه، لكنه بات فقيراً سُدّت في وجهه كافة السبل. فأجابته الحورية: «اطمئن، سأجعلكَ أغنى وأسعد مما كنتَ عليه، ولكن عليكَ أن تعدَني بإعطائي ما ولد وكبر في دارك». ففكر الطحان: «وماذا يمكن أن يكون هذا سوى كل صغير أو قط صغير؟» ووعدها بما طلبت.

عادت الحورية فغاصت في البركة، فيما هرع هو إلى الدار مطمئن البال،

Twitter: @ketab_n

حسن المزاج. وقبل أن يدخل الدار خرجت الخادمة من الباب وبشرته فرحة بولادة زوجته صبياً صغيراً. وقف الطحان في مكانه كمن ضربته صاعقة وأدرك من فوره أن الحورية الماكرة كانت على علم بالأمر وخدعته. اقترب من سرير زوجته برأس منكّس، فنظرت إليه وسألته: «لماذا لا تبدو فرحاً بقدوم الصبي الجميل؟» فحكى لها ما جرى معه، وذكر الوعدَ الذي قطعه على نفسه للحورية، واردف قائلاً: «بماذا يفيدني الرفاه والثروة إذا كنتُ سأخسر ابني؟ ماذا بوسعي أن أفعل؟» حتى الأقارب الذين جاؤوا ليباركوا له بالوليد، لم يعرفوا مخرجاً. لكن التوفيق عاد إلى الدار، فكل ما كان الطحانُ يقدم عليه من أعمال بات ينجح حتى امتلأت الصناديق والعلب وحتى الخزانة بالمال وفاضت، بل كان يشوبها قلق دائم: فموافقته على طلب الحورية كانت تهصر قلبه. وكلما مر بالبركة، كان يخشى أن تظهر له الحورية وتذكره بدَينه. وكان طوال الوقت ينهى ابنه عن الاقتراب من البركة، مكرراً دائماً قوله له: «إياك أن تلمس ماء البركة، وإلا فستمتد منه إليك يدٌ وتسحبك إلى القاع». ولكن مع مرور السنوات وعدم ظهور الحورية ثانية، أخذت نفس الطحان تهدأ.

كبر الصبي وصار فتى يافعاً وتتلمذ على يدي صياد. وبعد أن أنهى مدة تمرينه وصار صياداً ماهراً ضمه سيد القرية إلى مجموعة العاملين معه. وكان هناك في القرية فتاة جميلة وقويمة الخلق، أُعجب بها الصياد الشاب، ولما لاحظ سيده الأمر، أهداه بيتاً صغيراً، وأقيمت حفلة العرس وعاش الإثنان في سعادة وحب عميقين.

ذات مرة كان الصياد يطارد غزالاً، ولما غادر الغزال الغابة إلى حقل مكشوف، لحق به الصياد وأطلق عليه النار فأرداه قتيلاً. لم ينتبه الصياد إلى قربه من البركة الخطرة، وبعد أن أخرج أحشاء الغزال وانتهى، ذهب إلى الماء ليغسل يديه من الدماء. ولكنه ما أن غطسهما في الماء حتى خرجت له الحورية ضاحكة وعانقته بذراعيها المبلولتين وجذبته بكل سرعة نحو القعر، بحيث تصادمت الأمواج وراءه.

Twitter: @ketab_n

حين حل المساء ولم يعد الصياد إلى داره شعرت زوجته بالخوف، وخرجت لتبحث عنه. وبما أنه قد حذرها مراراً، أن عليه الإحتراس رصد الحورية لحركاته، وعن ضرورة ألا يقترب من البركة، فقد خمّنت ما وقع. أسرعت إلى البركة، وعندما اقتربت منها ووجدت حقيبة صيده ملقية على الضفة لم تعد تشك بالمصيبة. أخذت تشكو وتصيح وهي تفرك يديها. وتعصرهما يأساً، وتنادي حبيبها باسمه، ولكن عبثاً. أسرعت إلى طرف البركة الآخر ونادته مجدداً، وشتمت الحورية بكلمات قاسية، ولم يحدث شيء. بقي سطح البركة هادئاً يعكس صورة الهلال الثابت في السماء. لم تترك المرأة المسكينة البركة، بل ركضت حولها مجدداً بسرعة دون أن ترتاح، صامتة تارة، وصارخة تارة أو مهمهمة بصوت خافت تارة أخرى، إلى أن خارت قواها نهائياً، فسقطت على الأرض وغرقت في نوم عميق، وفي نومها رأت في الحلم أنها تتسلق جبلاً مليئاً بصخور كبيرة، وهي خائفة، وكانت الأشواك والأغصان المتسلقة تعلق بقدميها والمطر يصفعها على وجهها والريح تعصف بشعرها. وعندما وصلت إلى القمة المنبسطة تغير المشهد كلياً، إذ كانت السماء زرقاء والهواء ناعماً، وعلى مرج أخضر ملون بزهور متنوعة رأت كوخاً نظيفاً وضيئاً. توجهت نحوه وفتحت بابه فرأت امرأة عجوز بشعر أبيض تلوّح لها بيدها بود. وفي تلك اللحظة أفاقت من الحلم.

كان النهار الجديد قد بدأ، فقررت من فورها أن تنفّذ ما رأته في المنام. تسلقت الجبل بمشقة وجهد، وجرى كل شيء مثلما رأت في الليل. استقبلتها العجوز بود وأشارت لها إلى كرسي لتجلس عليه، ثم قالت لها: «لا شك في أنك قد تعرضتِ لمصيبة، كي تقصدي كوخي المنعزل». حكت لها الزوجة ما جرى وهي تذرف الدموع، فقالت لها العجوز: «اطمئني، سوف أساعدك. خذي هذا المشط الذهبي، وانتظري حتى يصبح القمر بدراً. عندها اذهبي إلى البركة، اجلسي على الضفة وسرحي شعرك الأسود الطويل بهذا المشط الذهبي. عندما تنتهين اتركي المشط على الضفة وسوف تري ما سيحدث». عادت الزوجة أدراجها إلى دارها، لكنها أحسّت بالوقت يمر بطيئاً حتى اكتمال القمر. وأخيراً أضاءت صفحة القمر في

Twitter: @ketab_n

كبد السمـاء، فخرجت الزوجة إلـى البركة وجلست على الضفـة وسرّحت شعرها ببـطء بالمشط الذهبي، وعندمـا انتهت تركت المشط على حافـة الضفة. بعد برهة تصاعـدت فقاعـات من القـاع وارتفعت موجـة تدحرجت نحو الضفـة وسحبت معها المشط في حركـة رجوعها. لم يطل الوقت حتى بلوغ المشط القاع، وعندها انشقت صفحة الماء وارتفع رأس الصياد نحو الأعلى. لم يقل شيئاً، لكن نظراته إلى زوجته كانـت مفعمة بالحزن. وفـي اللحظة نفسها اندفعت موجـة أخرى وغطت رأسـ الزوج. اختفى كل شيء، وعادت صفحـة البركة إلى هدوئها السابق، ولم تبق سوى صورة البدر منعكسة على ضفة الماء.

عـادت الزوجـة إلى دارهـا كسيرة، لكنها فـي الحلم الذي عاودهـا رأت كوخ العجوز ثانيـة. وفي الصباح التالي تسلقت الجبل مجـدداً وشكت للعجوز عذابها. أعطتهـا العجوز ناياً ذهبيـاً وقالت لها: «انتظـري إلى عودة البدر، ثـم خذي الناي واجلسـي على ضفة البركة، اعزفـي لحناً جميلاً، وعندما تنتهيـن اتركي الناي على الرمل، وسوف ترين ما سيحدث».

نفذت المرأة ما قالته لها العجوز، وما أن وضعت الناي على الرمل حتى تصاعدت الفقاقيـع من القاع وارتفعت موجة متقدمة نحو الضفـة وسحبت معها الناي. وبعد قليـل انشق سطح البركـة وظهر رأس زوجها ونصف جذعه أيضـاً، مد ذراعيه شوقاً إليها، لكن موجة ثانية هدرت متقدمة وغطت الزوج وسحبته نحو القاع.

«آخ، مـا الفائدة مـن أن أرى حبيبي، لأفقده ثانية!» قالـت المسكينة وقد أغرق الحـزن قلبها، بيد أن الحلـم الجديد الذي رأته قادها لثالث مـرة إلى كوخ العجوز، فذهبـت إليه. واستها العجوز وأعطتهـا مغزلاً ذهبياً وقالت لها: «لم يتحقق كل شيء بعد، انتظـري البدر الجديد، ثم خذي المغزل واغزلي بكـرةً كاملة، وعندما تنتهين ضعـي المغزل بجـوار الماء ولسوف تريـن ما سيحدث». نفّـذت الزوجة كل شيء بدقـة، فحالما اكتمـل البدر أخذت المغـزل الذهبي إلى ضفة البركـة وغزلت بهمة حتـى امتلأت البكرة بخيطان الكتـان المغزولة. ثم ما أن تركت المغزل بجوار الماء

Twitter: @ketab_n

حتى تصاعدت الفقاقيع وفار الماء بصورة شديدة وهجمت موجة عاتية خطفت المغزل وتراجعت، ثم اندفعت نافورة ماء إلى الأعلى ومعها رأس الصياد وجسمه كله، وبأقصى سرعة قفز إلى الشاطئ وأمسك بيد زوجته وركض هارباً. ولكن ما أن ابتعد قليلاً حتى فار ماء البركة كله، وتشكلت موجة هائجة اندفعت وراءهما بكل قوة عبر الحقل الواسع. رأى الهاربان الموت ماثلاً أمامهما، ومن قلب الخوف صاحت الزوجة طالبة النجدة من العجوز. وفي التو واللحظة تحولت المرأة إلى سلحفاة وتحول الصياد إلى ضفدع، وبذلك لم يقتلهما مدُّ الموجةِ التي طالتهما، لكن قذفتهما بعيداً وفي اتجاهين مختلفين.

وبعد أن حطت الموجة وتبدد ماؤها، فلامس الصياد وزوجته الأرض ثانية عادا إلى هيئتهما البشرية، ولكن لم يعرف أحدهما أين صار الثاني، ووجدا نفسيهما بين أناس غرباء لا يعرفون قريتهم. جبال شامخة ووديان عميقة باعدت بينهما. ولكي يكسبا قوتهما اضطر كل منهما إلى رعي الغنم. ولسنوات متعددة كان كل منهما يخرج بقطيعه إلى الحقول والغابات حزيناً يكاد الحنين يقتله. وذات يوم في أوائل الربيع خرج كل منهما بقطيعه، وشاءت الصدفة أن يلتقيا. رأى الصياد على منحدر جبل بعيد قطيع غنم فساق قطيعه في ذاك الاتجاه، والتقى القطيعان في وادٍ، لكن الراعيين لم يتعرفا بعضهما، لكنهما شعرا بالسرور لكسر الإحساس بالوحدة. وصارا منذ ذلك اليوم يسوقان قطيعهما بصورة متجاورة، لم يتبادلا كثيراً من الكلام، لكن وجودهما معاً كان يواسي قلبيهما. وذات مساء كان القمر بدراً ساطعاً، والغنم قد خلد إلى الراحة، أخرج الراعي ناياً من جيبه وعزف لحناً جميلاً وحزيناً. وعندما انتهى لاحظ أن الراعية تبكي بحرقة، فسألها: «ما بالك تبكين؟» فأجابت: «أخ، هكذا كان البدر ساطعاً في المرة الأخيرة عندما عزفت أنا هذا اللحن، فخرج رأس حبيبي من ماء البركة»، فدقق النظرَ في وجهها وشعر كأن ستارة قد ارتفعت عن عينيه، فتعرف زوجته الحبيبة، وعندما دققت النظر في وجهه تحت ضوء القمر تعرفته بدورها أيضاً، فتعانقا وقبّلا بعضهما، ولا حاجة للمرء أن يسأل عن مدى سعادتهما.

Twitter: @ketab_n

(١٨٣)

هدايا الأقزام

كان خياط وصائغ مسافرين معاً مشياً. وذات مساء بعد أن غابت الشمس وراء الجبال تناهى إلى سمعهما إيقاعُ موسيقي يزداد وضوحاً كلما تقدّما. كانت الموسيقا غير مألوفة بالنسبة إليهما، لكن وقْعها كان جميلاً، فنسيا تعب الطريق وأسرعا الخطا. كان القمر قد سطع عندما وصلا إلى هضبة شاهدا عليها عدداً كبيراً من الأقزام، ذكوراً وإناثاً، كانوا يمسكون بأيدي بعضهم بعضاً ويرقصون على شكل حلقة في فرح وبهجة غامرين، وكانوا يغنون بأصوات جميلة، هي الموسيقا التي سمعها المسافران على بُعد.

وفي وسط الدائرة جلس عجوز أطول من الآخرين قليلاً، يرتدي معطفاً ملوناً وله لحية رمادية تتدلى حتى أسفل صدره. أذهلت الرقصة المسافرين، فتوقفا ليتابعاها من كثب. أشار لهما العجوز ليقتربا، وفتح لهما الأقزام الحلقة ليدخلا، فتقدم الصائغ الأحدب الذي كان جسوراً مع شيء من الوقاحة كسائر الحُدْب، أما الخياط فخجل بادئ الأمر وبقي مكانه. لكنه عندما لاحظ المرح السائد تشجع ولحق بالصائغ، فأغلق الأقزام الحلقة وتابعوا غناءهم وهم يقفزون راقصين بحيوية عنيفة. أما العجوز فتناول سكيناً عريضة معلقة بحزامه وشحذها، وعندما صارت ماضيةً كفاية، نظر إلى الغريبين. دب فيهما خوف شديد، لكن الوقت لم يكن كافياً ليفكرا، إذ سرعان ما أطبق العجوز على الصائغ، وبلمح البصر حلق له بالسكين شعره ولحيته، وأتبعه بالخياط. وسرعان ما زال خوفهما عندما ابتسم لهما العجوز بودٍ بعد أن أتم عمله، ثم ربّت على كتفيهما كمن يود أن يقول بأنهما أحسنا عملاً

Twitter: @ketab_n

بعدم التمنع والمقاومة. أشار لهما العجوز بإصبعه إلى كومة فحم موجودة جانباً، وعبَّر بحركاته لهما أن يعبئا جيوبهما منها. فأطاعا، رغم أنهما لم يفهما المغزى من ذلك، وتابعا طريقهما بحثاً عن مأوى لقضاء الليل.

عندما وصلا إلى الوادي أعلنت أجراس الدير المجاور الساعة الثانية عشرة، وفي اللحظة نفسها سكتَ الغناء واختفى الجميع، وباتت الهضبة خاوية تحت ضوء القمر. وجد المسافران مكاناً للمبيت في مستودع للتبن، وتدثرا بمعطفيهما، وقد نسيا بسبب التعب أن يفرغا جيوبهما من الفحم. استيقظا قبل الوقت المعتاد، بسبب شعورهما بضغط ثقيل على أعضائهما. ومدا أيديهما إلى جيوبهما ولم يصدقا عيونهما عندما رأيا أنها لم تكن مملوءة بالفحم وإنما بذهبٍ صاف، إضافة إلى أنَّ شعرَ رأسيهما ولحيتهما قد عاد كما كان. لقد صارا الآن رجلين ثريّين، لكن الصائغ، الجشع بطبعه، كان قد ملأ جيوبه، حتى من الفحم، بضعف ما فعل الخياط. والجشِعُ الذي يملك الكثير، يبغي أكثر: فاقترح الصائغ على الخياط البقاء يوماً آخر، للصعود مساءَ اليوم التالي إلى العجوز على هضبة الأقزام، للحصول على كمية أكبر من الكنوز. رفض الخياط قائلاً: «ما معي يكفيني، وأنا قانعٌ به. الآن يمكنني أن أصير معلمَ خياطة وأتزوج خطيبتي الوقورة اللطيفة وأصبح رجلاً سعيداً». بيد أنه إرضاءً للصائغ قبِل أن يبقى يوماً آخر.

مساءً حمل الصائغ على كتفيه مزيداً من الجيوب كي يملأها بما شاء من الفحم، ومشى على الطريق إلى الهضبة، وكالأمس وجد هناك الأقزام. ذكوراً وإناثاً، يغنّون ويرقصون. وكالأمس حلق له العجوز شعر رأسه ولحيته وأشار له كي يملأ جيوبه من كومة الفحم. لم يتردد الصائغ أبداً في حشو كل الجيوب التي معه بكل ما يمكنه من الفحم، ونزل إلى مكان المبيت في منتهى السعادة، ودثر نفسه بالمعطف ونام وهو يقول: «حتى وإنْ ثَقُل الذهبُ فوقي فسأحتمل». وغرق في سبات عميق يخامره شعور مسبق بأنه عندما سيستيقظ سيكون من كبار الأثرياء.

عندما فتح عينيه نهض واقفاً بسرعة ليفحص الجيوب، وكم فوجئ واستغرب

Twitter: @ketab_n

عندمـا لـم يخرج في يديه سوى فحم أسود، مهما غـرفَ ونبش. ففكر في نفسه: «بقـي معي الذهب الـذي كسبتُه ليلةَ الأمسـ» وسحبه إليه. وكـم ارتعب وذُهل عندمـا رأى أنـه قد تحول مجدداً إلـى فحم. ضرب جبينَه بكفيـه المعفّرين بغبار الفحـم الأسود وشعرَ برأسِه الحليق وبذقنِه كذلـك. إلا أنّ سوءَ حظه لم يقف عند هـذا الحد، إذْ لاحظ الآن أنّ حدبةً ثانيـة، أكبر من تلك التي على ظهره، قد نمت خـلال الليل على صدره أيضاً. وعندها أدرك الصائـغ عاقبة الجشع. وأخذ يندب وينوح.

استيقـظ الخيـاطُ الطيّب على صوت نواحه، فواساه وعـزّاه ما وسعه، ثم قال: «بمـا أنك كنتَ رفيق دربي في السفر، يمكنك أن تقيم عندي وتأكلَ من كنزي». ولـم يحنث بوعده، لكنّ الصائـغَ المسكين اضطر لما تبقى مـن حياته أن يحملَ الحدبتين وأنْ يغطي رأسه الأصلع بقبعة.

(١٨٤)

العملاق والخياط

كان هنـاك خياط فشّـار يحب التباهي بـكل شيء، لكنه في مـا يتعلق بتسديد حساباتـه فقـد كان سيئاً. خطر بباله ذات يوم فجأة، أن يخـرج إلى الغابة ليتعرف على ما فيهـا. وحالما سنحت له الفرصة غادر مشغلـه وأخذ يتجول على الطريق مروراً بالجسر وبلسانِ القـوارب على الشاطئ، يميناً ويساراً، هنا وهناك، إلى أن وصل إلى الغابة، فرأى في الأفق الأزرق البعيد جبلاً شديد الانحدار، ووراءه برجاً سامقـاً إلى السماء منبثقاً من غابة موحشة داكنة اللون، فقال في نفسه: «عجباً! ما يكـون هذا؟» ولما غلبه الفضول الشديد انطلق باتجاهه بخطاً واسعة. وكم كانت دهشته فظيعة، عندمـا اقترب واكتشف أن للبرج ساقين، قفز بهما من فوق الجبل قفـزة واحدة. ووقف أمـام الخياط كعملاق هائل وصاح به: «مـاذا تبغي هنا أيها الذبابـة الضئيلـة؟» وكان لصوته وقـعٌ مثل هدير الرعد الذي يـدوّي من الجهات كافة. همس الخياط: «إني أبحث عن عمل، ولعلني أجـد رزقي هنا في الغابة». فقـال العملاق: «إذا كان الأمر كذلك فاشتغل عندي». فأجاب الخياط: «إذا كان لا بـد، فلماذا لا؟ ولكن كم ستدفع لي أجراً؟» فقال العملاق: «كم ستحصل على أجـر؟ اسمع إذن! سأدفع لك سنويـاً ثلاثمئة وخمسة وستين يوماً، ويوماً زيادة في السنـة الكبيسة. أيناسبك هذا؟» فأجاب الخيـاط: «ليكن» وفكر في نفسه «على المرء أن يمدَّ بساطه على قدّ رجليه. سأحاول التخلص منه سريعاً».

ثـم قال لـه العملاق: «اذهب أيهـا القزم الوغد واجلب لـي إبريق ماء». فقال لـه الخياط الفشّار: «ولماذا لا آتيك بالنبع كلـه بما فيه؟» ومشى نحو النبع حاملاً

Twitter: @ketab_n

الإبريـق. والعمـلاق الذي كان غبيـاً وساذجاً إلى حد ما، همهم فـي نفسه قائلاً: «مـاذا؟ النبع كله بما فيه! هذا القزم يخفي أكثـر مما يظهر. لا شك في أنه ساحر. خذْ حذرك منه يا هانس، هذا الخادم لا يناسبك».

عندمـا عاد الخيـاط حاملاً الإبريق، أمره العمـلاق أن يحتطب قليلاً في الغابة ويحضـر الخشب إلـى الدار، فقال الخياط الفشّار: «ولمـاذا لا آتيك بالغابة كلها بضربـة واحدة؟ الغابة كلهـا بكل مَن وما فيهـا؟» وذهب حامـلاً الفأس.فهمهم العملاق في نفسه قائلاً: «ماذا؟ الغابة كلها بكل مَن وما فيها، والنبع كله بما فيه!» وانتـاب العملاقَ السريعَ التصديـق بنوعٌ من الخوف وأردف قائـلاً: «هذا القزم يخفي أكثر مما يظهر. لا شك في أنه ساحر. خذ حذرك منه يا هانس. هذا الخادم لا يناسبك». بعـد أن أحضر الخياط الحطب، أمره العمـلاق أن يصطاد خنزيرين بريين أو ثلاثـة، لطعامِ العشاء، فقال الخياط الفشار: «ولماذا لا آتيك بألف خنزير بطلقة واحـدة، وأحضرهم إلى هنـا كلهم؟» ارتعدت فرائصـ العملاق الخوّاف وصاح: «ماذا؟ دعْ عنكَ الأمرَ اليوم واذهب إلى النوم».

بلـغ العملاق درجة من الخوف لم يستطع معهـا أن يغمض عينيه طوال الليل، وهـو يتقلّب في فراشـه مفكراً بأسرعِ طريقـة للتخلص من هـذا الساحر المتنكر كخادم. وفي الوقت المناسب تحضرُ الفكرةُ المناسبة.

في صباح اليـوم التالي خرج العملاقُ والخياط نحـو مستنقعٍ محاط بأشجار صفصافٍ من جميع الجهات. فقال له العملاق: «اسمع أيها الخيّاط، اجلس على غصن مـن أغصان الصفصـاف لأرى إن كنتَ قادراً على جعلـه ينحني!» وبلمح البصر قفز الخياط الضئيل وجلس على غصن عالٍ. كتم أنفاسه ليجعل نفسه ثقيلاً، ثقيـلاً لدرجـة أن ينحنـي الغصن نحو الأسفـل. ولسوء حظه لم يكـن يحمل معه مكواتـه الحديدية، إذْ أنه عندمـا أراد التنفس ثانية، ارتدّ الغصـن وقذفه في الهواء إلى ارتفاعٍ غاب فيه عن النظر. وإنْ لم يكن قد سقط ثانية، فلا شك في أنه ما زال يسبح في الأعلى.

Twitter: @ketab_n

(١٨٥)

المسمار

فـي أثناء انعقاد السوق تمكـن تاجر من بيع بضاعته كلهـا بأرباح جيدة، فملأ كيـس نقوده وزينه بذهب وفضة. أراد من ثـم أن يعود إلى داره ليصلها قبل هبوط الليل، فحزم كيس النقود على جواده وانطلق.

استراح لتناول طعام الغداء في بلدة، ولما أراد متابعة سفره جلب له خادمُ النزل جـوادَه وقال له: «انتبه يـا سيد، حدوةُ قائمتِه الخلفية اليسـرى ينقصها مسمار». فأجـاب التاجر: «لينقصْ، فالحدوةُ ستبقى للساعـات الست التي ما زال عليَّ أن أقطعهـا. فأنا مُستعجـل». توقف في استراحة ثانية على الطريـق، وأمر الخادمَ أن يطعم جواده ويسقيه. جاءه الخادم بعد فترةٍ وقال له: «انتبه يا سيد، جوادك تنقصه حدوةُ القائمة الخلفية اليسرى. هل آخذه إلى الحداد؟» فأجاب التاجر: «لتنقصْ، فالساعاتُ القليلةُ المتبقية سيتحملُها الجواد. فأنا مستعجل». وتابع طريقه. ولكنْ بعـد مدة قصيرة بدأ الجـوادُ يعرج، ولم يُطل عرجهُ حتى بدأ يتعثر. ولم يُطل تعثُره حتى سقطَ وكسرَ قائمته الخلفية اليسرى.

اضطـر التاجر إلى ترك الجوادِ مرمياً أرضاً، وإلى فك كيسِ النقود عن سرجه، وحملـه على كتفه ومتابعة الطريق، مشيـاً على قدميه حتى داره، التي لم يصلها إلا فـي وقت متأخر من الليل. وعندمـا وصل قال لنفسه: «كل الحـق على المسمار اللعين». والحقيقة هي أن العجلة من الشيطان.

Twitter: @ketab_n

(١٨٦)

الصبي المسكين في القبر

في قديم الزمان عاش ابن راعٍ فقير. توفي والداه فبات يتيماً بلا معيل، فوضعته إدارة البلـدة في رعاية رجل ثري ليطعمه ويربّيه. لكن الرجل وزوجته كانا عديمي الرحمة، وعلى الرغم من ثرائهما كانا بخيلين وحسودَين ويغضبان إذا أكل أحدهم لقمـةً من طعامهما. ومهما فعل الصبي المسكيـن، لم يكن يحصل منهما إلا على قليلٍ من الطعام وكثير من الضربات.

كلفـه السيد ذات يـوم برعاية دجاجةٍ وصيصانها، لكنهـا تسللت مع صغارها عبر نباتات السور، وسرعان ما انقض عليها صقر فقنصها وطار بها. صرخ الصبي بأعلى صوته: «لص، لص، حرامي». ولكن ما الفائدة من ذلك؟ فالصقر قد ذهب بطريدته ولن يعيدها. سمـع السيد الضجة فخرج مسرعاً، ولما عرف أن دجاجته قد ضاعت منه، احتقن غضباً وعاقب الصبي بشدةٍ أبقته طريح الفراش مدة يومين.

ثـم كان عليـه أن يرعى الصيصـان وحدهم دون أمهم، وهنـا كان الحذر بالغ الضـرورة، لئـلا يهرب أحدهم من هنا وآخر من هناك. فظـن نفسه يُحسِن عملاً، بربطه جميـع الصيصان بخيط واحد، كيلا يتمكن الصقـر من سرقة أحدها. لكن الخيبة كانت كبيرة، فبعد عدة أيام من التعب ركضاً وراءها ومن الجوع غفا الصبي ونام، فجاء الصقر واختطف صوصاً واحداً. ولكن بما أن الآخرين مربوطون معه، فقد حملهم معه جمعيهم وطار، فحطَّ على شجرة والتهمهم. كان السيد قد وصل لتـوه إلى الدار، فعـرف بالمصيبة وغضـب غضباً شديداً وضـرب الصبي بقسوة أقعدته عدة أيام في الفراش.

Twitter: @ketab_n

عندما تمكن من الوقوف على قدميه ثانية قال لـه السيد: «أنت شديد الغباء لتعمل عنـدي راعياً. سأجعلك ساعياً». وأرسله إلى القاضي حاملاً له سلة مليئة بالعنـب، وحمَّله كذلك رسالـة له. على الطريق شعر الصبـي المسكين بعذاب الجـوع والعطش بشـدة دفعته إلـى أكل حبتين مـن العنب. أوصـل السلة إلى القاضـي، وعندمـا قرأ هـذه الرسالة وعدَّ حبـات العنب، قـال: «العنب ينقص حبتين»، فاعترف الصبي بكل صراحة أن الجوع قد دفعه إلى أكلهما.

كتـب القاضـي رسالة طلـب فيها من السيـد مزيداً من العنـب. وكان على الصبـي هذه المـرة أيضاً أن يوصلها إلى القاضي مع رسالـة. وللمرة الثانية دفعه الجـوع والعطـش الشديدين إلى التجاسـر على أكل حبتين. بيد أنـه قام مسبقاً برفـع الرسالة من السلـة ووضعها تحت حجر وجلس فوقه، كيـلا تراه الرسالة وهو يـأكل الحبتين وتشي به. ومع ذلك فقد استجوبـه القاضي بسبب الحبتين الناقصتين، فقال الصبي: «ولكن كيف عرفت؟ ما كان بوسع الرسالة أن تعرف، لأنـي وضعتها تحـت الحجر قبل ذلـك!» ضحك القاضي من هـذه السذاجة وكتب إلـى السيد رسالة نبهه فيها إلى ضرورة تحسين معاملته للصبي بحيث لا ينقصـه طعام أو شراب، وحضَّه فيها على تعليمه ما هو الصواب وما هو الخطأ. فقـال السيد القاسي للصبي: «أنا سأعلمك الفارق بين الصواب والخطأ. أما إذا أردتَ أن تأكل فعليك أن تشتغل لقاء ذلك، وإذا أخطأتَ فسأجعل العصا تعلمك تعليماً وافياً».

فـي اليـوم التالي كلفه السيد بعمـل شاق، إذ كان عليه فـرمُ حزمتين كبيرتين مـن القش لعلف الخيول. وهـدّده السيد قائلاً: «خـلال خمس ساعات يجب أن تكـون الحزمتان قد فرمتا إلى تبن. إذا عـدتُ وأنت لم تنتهِ بعدْ، فسأضربك واستمـر في ضربك حتى لا يتحرك فيك طرف مـن أطرافك». غادر السيد مع زوجتـه والخادم والخادمة إلى السوق الأسبوعي، ولم يترك للصبي وراءه سوى كسـرة خبز. وقف الصبي إلى طاولة فـرم التبن وبدأ بأقصى طاقته. وعندما شعر بالحرارة وتعرق خلع سترته ورماها على القش. وخوفاً من ألاّ يكفيه الوقت أخذ

Twitter: @ketab_n

يسرع في العمل، ونتيجة انهماكه الشديد فرم سهواً سترته مع القش. ومتأخراً أدرك ما لا يمكن إصلاحه، فصاح: «أخ، لقد انتهى أمري الآن، لم يكن تهديد السيد الشرير عبثاً. إذ عاد الآن ورأى ما فعلت، فسيقتلني ضرباً. الأرحم هو أن أنهي حياتي بنفسي».

كان الصبي قد سمع السيدة مرةً تقول: «عندي تحت السرير وعاء مليء بالسم». لكنها لم تقل ذلك إلا لتبعد الغرماء، فقد كان الوعاء مملوءاً بالعسل. زحف الصبي تحت السرير وأخرج الوعاء وأكل كل ما فيه، ثم قال: «لست أدري، أسمع الناس يقولون إن الموت مرّ، لكني أجده حلواً. لا غرابة إذن في كون السيدة تتمنى الموت دائماً».

وجلس على كرسي واطئ مستعداً للموت. ولكن بدلاً من أن يشعر بالوهن ملأته وجبة العسل المغذي بقوة ونشاط، فقال: «لا يمكن أن يكون هذا سماً. لكني سمعت السيّد مرّةً يقول إن في صندوق ثيابه زجاجة سم للذباب. أظنها ستكون سماً حقيقياً يجلب لي الموت». لكن ما في الزجاجة لم يكن سم ذباب بل نبيذ هنغاري ثقيل أخرج الصبي الزجاجة وشرب ما فيها، ثم قال: «وهذا الموت طعمه حلو أيضاً»، ولكن عندما وصل مفعول النبيذ إلى رأسه وبدأ يدوخ، ظن أن الموت قد اقترب، فقال: «أشعر أني ميت لا محالة، سأخرج إلى فناء الكنيسة لأبحث عن قبر». خرج مترنحاً حتى وصل إلى فناء الكنيسة واستلقى في قبر مفتوح، وأخذت حواسه تتلاشى.

قرب الكنيسة كان هناك نزل ومطعم، أقيمت فيه حفلة عرس، وعندما سمع الصبي الموسيقا اعتقد أنه قد بلغ الجنة، ثم غاب عن الوعي كلياً. لم يستيقظ الصبي المسكين ثانية، إذ إن الحرارة التي نشرها النبيذ في جسمه وندى الليل البارد أخذا منه الحياة، فبقي في القبر الذي استلقى فيه بنفسه.

عندما سمع السيد بموت الصبي ارتعب وخشي أن تطلبه السلطات لمحاكمته، وقد تملكه الخوف بشدة إلى درجة أن سقط مغشياً عليه. كانت

Twitter: @ketab_n

زوجته في المطبخ واقفة عند الموقد وفي يدها مقلاة مملوءة بالسمن، فركضت لتساعـده، ونتيجة تسرعها التقط السمـنُ النارَ وانتشرت النـارُ في البيت كله، وخـلال ساعات قليلة صار كله رماداً، فأمضيا مـا تبقى لهما من سنوات الحياة في بؤس وضنَك وعذابِ ضميرٍ مقيم.

Twitter: @ketab_n

(١٨٧)

العروس الحقيقية

في قديم الزمان عاشت فتاة صبية وجميلة، توفيت أمها وهي صغيرة. وقد سببت لها زوجة أبيها كثيراً من العذاب المؤلم، رغم أن الفتاة كانت تنفذ من دون تذمر كل الأعمـال التي كانت تكلّفها بها مهما صعبت، وتبذل كل طاقتها من أجل إنجازها. لكـن قلب المـرأة الشريرة، رغم كل ذلك لم يكن ليلين ولـو قليلاً. وكلما اشتغلت الفتـاة بنشـاط أكبر، كلما زادَت عليها الأعباء. ولم يشغُـل بال المرأة سوى التفكير بكيفية زيادة الهموم على الفتاة وجعل أيامها مُرة كالحنظل.

ذات يـوم قالـت لها زوجة أبيها: «هـاكِ ستة كيلو غرامات مـن الريش للوسائد واللُحف، عليك نفضها وترتيبها. وإذا لم تنهِ العمل حتى المساء، فالعصا بانتظارك. أم أنـك تظنّين أننـي سأدعك تتكاسلين طـوال النهار؟»، جلست الفتـاة المسكينة لتشتغـل، لكن دموعهـا انهمرت على خديهـا، إذْ أدركت أنّ مـن المستحيل إنهاء العمـل فـي يوم واحد. كانـت كلما وضعت أمامهـا كومةً من الريشـ، وزفرَت أو ضربت كفيها ببعضهما خوفاً، كان الريش يتطاير، فتضطر إلى جمعه من جديد.

فمـا كان منهـا إلا أن سنـدت كوعيها علـى الطاولة وضعت وجههـا بين يديها وهتفـت: «ألا يوجد في دنيا الله كلها أحدٌ يرحمنـي؟» فسمعت صوتاً ناعماً يقول لها: «اطمئني يا ابنتي، لقد جئت لأساعدك». رفعت الفتاة عينيها فرأت امرأة عجوز تقـف إلى جانبها. أمسكت العجوز يد الفتاة برفق وقالت: «أسّري إليّ بهمومك». كان صـوت العجوز ينبع من القلـب، فحكت لها الفتاة عن حياتهـا البائسة، وعن الأعباء المتتالية التي توضع على كاهلها، بحيث لا تستطيع إنجازها، وأردفت قائلة:

Twitter: @ketab_n

«إذا لم أنته حتى مساء اليوم من نفض هذا الريش وترتيبه، فإن زوجة أبي ستضربني بالعصا، وقد هددتني بذلك، وأنا أعرفها، إنها لا تتراجع عن كلامها». وأخذت الدموع تسيل من عينيها مجدداً، فقالت لها العجوز الطيبة: «لا تقلقي يا ابنتي. ارتاحي جانباً، سأقوم أنا عنك بهذا العمل». استلقت الفتاة على سريرها وسرعان ما نامت، بينما جلست العجوز الطيبة إلى طاولة الشغل، وبلمح البصر كان الريش يتباعد عن بعضه ثم يتجمع مرتباً، إن تلمسه بأصابعها النحيلة. وسرعان ما كانت الكيلو غرامات الستة قد أنجزت. عندما استيقظت الفتاة وجدت أمامها أكواماً من الريش الأبيض كالثلج، والغرفة نظيفة ومرتبة، أما العجوز الطيبة فقد اختفت.

شكرت الفتاة ربها وجلست بهدوء إلى أن حل المساء، فدخلت عليها زوجة أبيها الغرفة وأصيبت بالدهشة لرؤيتها العمل منجزاً، فقالت: «أترين يا خسِعة ما يحقق المرء عندما يشتغل بهمة؟ أما كان بوسعك إنهاء عملٍ آخر أيضاً؟ ولكن لا، ها أنت تجلسين وتضعين يديك في حضنك». وفي أثناء خروجها قالت لنفسها: «هذه المخلوقة تستطيع أن تنجز أكثر مما يبدو عليها. لابد أن أكلّفها بأعمال أصعب».

في صباح اليوم التالي نادت الفتاةَ إليها وقالت لها: «إليك هذه الملعقة. أفرغي بها البركة الكبيرة المجاورة للبستان. وإذا لم تنهِ العمل حتى مساء اليوم، فأنت تعرفين ما ينتظرك». أخذت الفتاة الملعقة ورأت أنها مملوءة بالثقوب. وحتى لو لم تكن الملعقة كذلك، فإنه يستحيل تفريغ البركة بملعقة. لكنها بدأت العمل من فورها، فركعت على الضفة، حيث أخذت دموعها تنهمر على ماء البركة، وأخذت تفرغ بيد أن العجوز الطيبة ظهرت لها مجدداً، ولما عرفت سبب غمّها وألمها، قال لها: «اطمئني يا ابنتي، اذهبي إلى الدغل واستلقي هناك ريثما أنجز هذا العمل عنك». عندما بقيت العجوز الطيبة وحدها لمست البركةَ بيدها لمساً، فتصاعد ماؤها كالبخار في الجو وامتزج بالغيوم. وتدريجياً فرغت البركة، وعندما استيقظت الفتاة قبل الغروب واقتربت، لم تر في البركة سوى بعض السمك وهو يُلعِط.

ذهبت الفتاة إلى زوجة أبيها وأخبرتها بأن المهمة قد انتهت، فقالت تلك:

Twitter: @ketab_n

«كان عليـك أن تنهيه منذ حيـن» وشحب وجهها من الغضب، لكنها بدأت تفكر بشيء جديد.

في صباح اليوم الثالث قالت زوجة أبيها لها: «هناك على تلك الأرض المنبسطة عليـك أن تبني لي قصراً، وأن تنتهي من بنائه مسـاء اليوم». ارتعب الفتاة وقالت: «كيف يمكنني إنجاز عمل ضخم كهذا؟» فصرخت بها زوجة الأب: «أرفض أي اعتراض. إذا تمكنتِ بملعقة مثقوبة من تفريغ بركة، فيمكنك أن تبني قصراً أيضاً. وأريـد اليوم أن أسكن فيه. وإذا نقص شيء من تجهيزاته مهما صغر، فأنت تعرفين ما ينتظرك». ودفعت الفتاة خارج البيت. عندما وصلت الفتاة إلى الوادي وجدت الصخور هناك متراكمة فوق بعضها كالأبراج، لكنها وبكل جهدها لم تتمكن من تحريـك أصغرها، فجلست على الأرضـ وأخذت تبكي آملة بقدوم دعم العجوز الطيبة، التي لـم تدعها تنتظرها طويلاً. جاءت العجوز الطيبة وواستها وقالت لها: «استلـقِ في الظل هناك ونامي، ريثما أبني لـك القصر. وإذا كان الأمر سيفرِحُك، يمكنك أنتِ أن تعيشي فيه».

حالمـا غابت الفتاة، لمست العجوز الرمادية، فتحركت من فورها وتراصفت وتراكبـت فـوق بعضها وكأن ثمة عمالقة يبنـون جداراً. وشيئاً فشيئـاً اتخذ البناء شكلاً وكأن مئات الأيدي غير المرئية ترفع البناء حجراً فوق حجر. هدرت الأرض وارتفعـت منها أعمـدة ضخمة رتبت نفسهـا بنفسها إلى جانـب بعضها حسب الأبعـاد الصحيحة، وعلى السقف أخـذت تصطف ألواح القرميد. وعند منتصف النهار وعلى ذروة البرج أخذ مؤشر الرياح الكبير يدور في الهواء مثل عذراء ذهبية بردائهـا الخفّاق. وحتى المساء تم إنجاز القصر من الداخل. لا أعرفُ ماذا فعلت العجوز الطيبة، لكن جدران الغرف أُلبِست بالمخمل والحرير، وأقمشة الكراسي ازدانت بأشغال ملونة وكذلك الكراسـي ذات الذراعين، المصفوفة إلى طاولات رخاميـة، تحت ثريات كريستالية تنعكس تلألؤاتها على الأرضية الملساء اللماعة، إضافة إلى الببغـاوات الخضراء في الأقفاص الذهبية، والطيور النادرة ذات الشدو الجميل: كانت الفخامة تهيمن على كل شيء، ولكأن ملكاً سيسكن القصر. كانت

Twitter: @ketab_n

الشمس على وشك المغيب عندما استيقظت الفتاة من نومها لترى أمامها آلاف الأضواء تشع من القصر وما حوله، فأسرعت الخطا ودخلته من البوابة المفتوحة. كان الدرج مفروشاً ببساط أحمر والدرابزين الذهبي مزداناً بشجيرات مزهرة. عندما رأت فخامة الغرف جمدت في مكانها من الدهشة. لا أدري إلى متى كانت ستبقى على هذه الحال، لو لم تخطر زوجة أبيها في بالها، فتقول في نفسها: «آه لو أنها ترضى أخيراً فتتوقف عن جعل حياتي عذاباً مقيماً».

ذهبت الفتاة إلى زوجة أبيها وأخبرتها أن القصر صار جاهزاً، فنهضت تلك عن كرسيها وقالت: «سأنتقل الآن لأسكن فيه»، وعندما دخلته اضطرت إلى حجب عينيها بيدها من شدة الأضواء وبريقها، وقالت للفتاة: «أترين مدى سهولة الأمر عليك، كان عليّ أن أكلفك بمهمة أصعب». ثم تجولت عبر غرف القصر كلها، وتلصصت في كل الزوايا لتتأكد من عدم نقصان شيء، أو عدم بلوغه حالة الكمال، لكنها لم تجد شيئاً لتنتقده، فقالت: «سننزل الآن إلى الطابق الأرضي لنفحص المطبخ والقبو، وإذ كنتِ قد نسيت شيئاً، فلن تفلتي من العقاب»، ونظرت إلى الفتاة نظرة تقدح شرراً. لكن النار كانت مشتعلة في الموقد، والطعام يُطبخ في القدور. منكاش النار وجاروف الفحم مستندان إلى جدار الموقد وأواني وأدوات المطبخ النحاسية مصفوفة بأناقة على رفوف جدارية. لم يكن هناك أي نقص، ولا حتى صندوق الفحم أو دلو الماء. سألت زوجة الأب بصوت عالٍ: «أين مدخل القبو؟ إن لم يكن مليئاً ببراميل النبيذ فستكون عاقبتك وخيمة»، ورفعت بنفسها الباب الأرض ونزلت على الدرج، لكنها ما كادت تنزل درجتين حتى هوى عليها الباب الأرضي الثقيل الذي كان مائلاً على الجدار. سمعت الفتاة صرخة، فرفعت الباب الأرض بسرعة لتنزل وتساعدها، فوجدتها ميتة على أرض القبو أسفل الدرج.

بات القصر الفخم الآن ملكاً للفتاة وحدها، وكانت في أيامها الأولى فيه مضطربة تتحرك في أرجائه كالتائهة بلا سكينة وهي ترى الثياب الجميلة في الخزائن والصناديق المملوءة بالذهب والفضة واللآلئ والأحجار الكريمة، ولم

Twitter: @ketab_n

تخطر ببالها أمنية إلا ووجدتها متحققة فيه. وسرعان ما انتشرت أخبار جمال وثراء الفتاة في أرجاء المعمورة، وتدفق الخطّاب يومياً لطلب يدها، لكنها لم تُعجبَ بأي واحد منهم.

وأخيراً جاءها أميرٌ عرفَ كيف يحركُ قلبها. كان هناك في حديقة القصر شجرة زيزفون وارفة، جلسا تحتها ذات يوم بعيداً عن الأعين، فقال لها: «سأرحل إلى بلدي لأحصل على موافقة والدي الملك على زواجنا، أرجوكِ أن تنتظريني هنا تحت شجرة الزيزفون هذه. وسأعود بعد ساعات قليلة». قبّلته الفتاة على خده الأيسر وقالت: «كن مخلصاً لي ولا تدع أحداً يقبلك على هذا الخد. سأنتظرك هنا ريثما تعود».

بقيت الفتاة جالسة تحت الشجرة حتى غابت الشمس، لكنه لم يعد. جلست ثلاثة أيام تنتظره من الصباح وحتى المساء، ولكن من دون جدوى. وعندما لم يأت في اليوم الرابع أيضاً قالت: «مؤكدٌ أن مكروهاً قد أصابه، سأذهب بنفسي لأبحث عنه، ولن أعود حتى أجده». حزمت ثلاثةً من أجمل أثوابها معاً: الأول موشى بنجوم براقة، والثاني بأقمار فضية، والثالث بشمس ذهبية. وصرّت في منديلها بعض الأحجار الكريمة، وانطلقت على الطريق. سألت عن عريسها في كل مكان، ولكنْ لا أحد رآه، ولا أحد سمع به. جالت جميع الاتجاهات، لكنها لم تعثر عليه. فقررت أخيراً أن تشتغل عند فلاحٍ راعيةً، فطمرت أثوابها ومجوهراتها تحت صخرة. عاشت الفتاة حياتها راعيةً تهتم بشؤون القطيع، وهي حزينة يملؤها الشوق إلى حبيبها، وكان عندها عجل صغير عوّدته أن يألفها، إذ صارت تطعمه بيديها، وعندما كانت تقول له:

«يا عجلي الصغير اركع على ركبتيك،

وإياك أن تنسى راعيتك،

مثل الأمير الذي نسي عروسه،

Twitter: @ketab_n

التي انتظرته تحت الزيزفونة»،

كان يركع فعلاً فتربت له الراعية على رقبته.

وبعد أن أمضت سنتين وحيدة ومهمومة، انتشرت في البلاد شائعةٌ تقول بأن ابنة الملك ستحتفل بعرسها. وكان الطريق إلى المدينة يمر بالقرية التي تسكنها الفتاة، وصادف ذات يوم عندما كانت تسوق قطيعها إلى المرعى أن عبر حبيبها على الطريق. كان يركب جواده باعتزاز، ولم يلتفت نحوها، لكنها عندما دققت فيه النظر تعرفت فيه حبيبها، فأحست وكأن سكيناً حادة قد طعنتها في قلبها، فقالت: «آخ، كنت أظنه قد بقي مخلصاً لي، لكنه نسيني». وفي اليوم التالي عبر حبيبها ثانية على الطريق، وعندما اقترب منها خاطبت العجل الصغير قائلة:

«يا عجلي الصغير اركع على ركبتيك،

وإياك أن تنسى راعيتك،

مثل الأمير الذي نسي عروسه،

التي انتظرته تحت الزيزفونة»،

عندما سمع حبيبها الصوت نظر نحوها وأوقف جواده. دقق النظر في وجه الراعية، ثم وضع يديه أمام عينيه وكأنه يحاول تذكر شيء ما، لكنه تابع طريقه بسرعة، وسرعان ما اختفى عن الأنظار. فقالت الفتاة لنفسها: «آه، إنه لم يعد يتعرفني». وازداد حزنها وهمها. بعد فترة وجيزة أُعلن عن احتفال في القصر الملكي سيستمر ثلاثة أيام، وقد دعيت البلاد كلها لحضوره.

ففكرت الفتاة في نفسها: «حسنٌ، سأقوم بمحاولة أخيرة»، وعندما حل المساء، ذهبت إلى الصخرة التي طمرت تحتها كنزها. أخرجت الثوب ذا الشموس الذهبية وارتدته وتزينت بمجوهراتها، وحلّت شعرها الذي كانت تخبئه

Twitter: @ketab_n

تحت غطاء رأس قماشي فانهمر في حلقات طويلة. وهكذا ذهبت إلى المدينة من دون أن يلاحظها أحد في عتمة المساء. وعندما دخلت القاعة المضاءة بأنوار قوية، تراجع الجميع إعجاباً ودهشة، ولكن من دون أن يعرف أحدٌ من هي. استقبلها الأمير حال دخولها، لكنه أيضاً لم يتعرفها. قادها إلى الرقص وأُخذ بجمالها إلى حد أنه لم يعد يفكر بالعروس الأخرى.

عندما انتهى الحفل ليلاً. اختفت الفتاة في زحمة المغادرين ووصلت قبيل الفجر إلى القرية، حيث استبدلت ثوبها وارتدت ثياب الراعية. وفي المساء الثاني ارتدت الفتاة الثوب ذا الأقمار الفضية، وزينت شعرها بهلال من الأحجار الكريمة. عندما ظهرت في الحفل التفتت جميع العيون نحوها، أما الأمير فهرع إليها وراقصها وحدها طوال الوقت، يدفعه إلى ذلك حبٌ عارم، ولم يلتفت إلى أية فتاة أخرى. وقبل أن تغادر أخذ منها وعداً بأن تحضر أمسية الحفل الأخيرة.

عندما ظهرت في الحفل ثالث مرة كانت ترتدي ثوب النجوم، التي كانت تومض مع كل خطوة من خطواتها، وكان قوس شعرها وحزامها مرصعين بنجوم من أحجار كريمة. كان الأمير على أحر من الجمر في انتظارها، فشق طريقه بين المدعوين إليها، وقال لها: «أرجوك أخبريني، من أنت. يخيل إلي أني أعرفك منذ زمن طويل»، فأجابته الفتاة: «ألا تذكر ما فعلتُ عندما ودَّعتني» واقتربت منه وقبلته على خده الأيسر: وفي تلك اللحظة سقط ما يشبه الستار عن عينيه وتعرف العروسَ الحقيقية، فقال لها: «تعالي، لا أريد أن أبقى هنا»، ومدَّ إليها يده وقادها على الدرج إلى عربته، التي نهبت الطريق نهباً من شدة السرعة وكأن الريح تحملها، إلى أن وصلت إلى القصر العجيب. كانت نوافذه المضاءة مرئية من مسافة بعيدة، وعندما مرت العربة بشجرة الزيزفون كانت تعج بمئات اليراعات المضيئة. نفضت الشجرة أغصانها وأرسلت أريجها إليهما، وشدت الطيور وغرّدت، أما في القاعة فقد احتشدت الحاشية كلها، وكان الكاهن بانتظارهما ليعقد قرانهما.

Twitter: @ketab_n

(١٨٨)

الأرنب والقنفذ

تبـدو هذه الحكايـة يا أطفال وكأنهـا كذبة، لكنها حقيقيـة، لأن جدّي الذي سمعتُها منه، اعتادَ كلّما رواها لي أن يُسبِقها بقوله: «لا بد أن تكون القصة حقيقية يـا بني، وإلا لما استطعنا روايتها». وقد حدثـت الحكاية كما يلي: في صباح يوم أحدٍ مـن فصل الخريف، حين تزهو الحنطة السـوداء، كانت الشمس قد أشرقت بأشعتهـا الذهبية وهواء الصباح ينشر الدفء فوق أكوام الدريس، والقبرات تشدو فـي الجو، والنحل يطن بين أزهار الحنطة السـوداء، والناس متوجهون بلباس يوم الأحد إلى الكنيسة، ولنقل باختصار إن جميع المخلوقات كانت سعيدة، والقنفذ كذلك.

كان القنفـذ واقفاً عند باب بيته واضعاً ذراعيه فـوق بعضهما وهو يتابع بنظره حركـة هواء الصبـاح ويدندن أغنية، طبعـاً حسبَ إمكانياتِ قنفـذٍ على الغناء في صبيحـة يوم أحد جميل. وبينما كان يدندن الأغنية بصوتٍ خافت يكاد لا يُسمع، خطـر في باله فجأة أن بإمكانه أثناء تنظيف زوجتـه الأولاد وتلبيسهم، أن يتمشى حتى الحقل ليلقي نظرة علـى أوضاع اللفت. وقد كان اللفتُ أقرب المزروعات إلـى بيتـه، فاعتاد مع عائلته أن يأكل منـه. ولهذا السبب كان القنفـذ يعتبر رؤوسَ اللفـتِ ملكاً لـه. ومن دون تردد أغلق القنفذ باب البيـت وراءه وأخذ طريقه نحو الحقل. لم يبتعد عن البيت كثيراً، وكان على وشك أن ينعطف حول سياج البرقوق البري المحيط بالحقل من هذا الجانب، ليدخل الحقل، عندما التقى الأرنبَ الذي خرج للهدف نفسه، أي للاطمئنان على أوضاع الكرنب.

Twitter: @ketab_n

حينمـا التقت نظرات الاثنين ألقى القنفذُ التحيّةَ على الأرنب بود. أما الأرنب الـذي يعتبـر نفسَه سيـداً وجيهاً (مـع عجرفةٍ مقيتـة) فإنه لم يرد التحيـة، بل قال للقنفـذ وقد علت سُحنتَه سخريةٌ متعالية: «ماذا جرى لأراك تتجول في الحقل في هذا الوقت المبكـر من الصباح؟» فأجاب القنفذ: «خرجـتُ أتمشى». فضحك الأرنـب وقال: «تتمشى؟ أعتقدُ أنه يَحسُن بك استخـدام قدميك لأشياء أفضل». أزعـجَ هذا الجوابُ القنفذَ بشـكل كبير، فهو يحتملُ كلَ سـيء، إلا السخرية من قدميـه العوجاوين بطبيعتهما. فقال الأرنب: «أنت تتخيل أنك قادر بقدميك على التفوق عليّ، أليس كذلك؟» فأجاب الأرنبُ: «لا أتخيلُ بل أعتقد». فقال القنفذ: «التجربـةُ خيـر برهان. فـإذا تسابقنا في الجـري، أنا متأكد من أنـي سأسبقك». فأجاب الأرنـب: «الأمر فعلاً مضحك، أنت بقدميك العوجاوين تسبقني! ولكن لا مانـع إذا كنتَ راغباً في السبـاق. علامَ نتراهن؟» فأجـاب القنفذ: «على دينار ذهبي وزجاجةِ خمر». فقال الأرنب: قبلت الرهان. أعطِ الإشارة ولننطلق فوراً». فقـال القنفـذ: «لا، لا حاجة للعجلة. أنا لـم آكل شيئاً بعد. سأعـود إلى بيتي أولاً لأفطر. وبعد نصف ساعة سأكون هنا ثانية».

وافقَ الأرنـبُ، فتوجه القنفذ إلى بيته وهو يقول لنفسـه: «الأرنبُ يعتمد على ساقيـه الطويلتين، لكني رغـم ذلك سأتفوق عليه. صحيح أنـه سيدٌ وجيه، بيد أنه شخـص غبي، ولذلك لا بدّ أن يدفع». عندمـا وصل القنفذ إلى بيته، نادى زوجته وقـال لها: «البسي ثيابـك بسرعة يا امرأة، عليكِ أن تخرجـي معي إلى الحقل». فسألتـه: «مـا الأمر؟» فأجاب: «لقـد راهنتُ الأرنبَ على دينـار ذهبي وزجاجة خمـر، لأننا سنتسابـق في الجري، وعليـكِ أن تكوني هنـاك». فأخذت الزوجة تصيـح قائلة: «يا إلهي منك يا رجـل، لستَ فائق الذكاء، حسناً، ولكن هل فقدتَ عقلك نهائياً؟ كيف تراهن الأرنب على سباقٍ في الجري؟» فقال القنفذ: «اسكتي يا امرأة، هذا شأني أنا، ولا تُخرفي في مسائل تتعلق بالرجال. أسرعي البسي ثيابك ورافقينـي، هيا!» مـاذا كان بوسع زوجة القنفـذ أن تفعل؟ كان عليهـا أن تطيعه، شاءت أم أبت.

Twitter: @ketab_n

عندما خرجا سويّةً قال لها القنفذ: «انتبهي الآن جيداً لما سأقوله لك. سنُجري السباق هناك في الحقل الطويل. الأرنب سيركض في الأخدود الأول وأنا في الثاني، وسنبدأ من أعلى الحقل. ليس مطلوباً منك سوى أن تجلسي هنا في أسفل الأخدود الثاني. وعندما يقتربُ الأرنبُ من نهاية أخدوده ترفعين رأسك وتقولين له: «أنا وصلت!» وكانا قد وصلا إلى أسفل الحقل، فاشار القنفذ لزوجته إلى مكانها، وتابع طريقه إلى أعلى الحقل، ولما وصل سأله الأرنب فوراً: «هل يمكن أن نبدأ؟» فأجاب القنفذ: «طبعاً». فقال الأرنب: «هيا إذن!» ووقف كل منهما في أعلى أخدوده. عدَّ الأرنب: «واحد، اثنان، ثلاثة!» وانطلقا مثل العاصفة نحو أسفل الحقل. لكن القنفذَ لم يركض أكثر من ثلاث خطوات ثم انحنى في أخدوده متوارياً عن الأنظار، وبقي جالساً بهدوء. عندما اقترب الأرنب مندفعاً بشدة نحو نهاية أخدوده، صاحت زوجة القنفذ: «أنا وصلت!» دُهش الأرنب وذُهل، فقد ظن أن القنفذَ نفسه يخاطبه، ومن المعروف أن أنثى القنفذ تشبه الذكر إلى حد التماثل. ومع ذلك قال الأرنب في نفسه: «الأمورُ ليست سليمة»، ثم صاح: «سنتسابق إلى نقطة البداية!» وانطلق مثل الريح العاصفة بحيث طارت أذناه عالياً. بقيت زوجة القنفذ في مكانها مرتاحة، ولما اقترب الأرنب من نقطة البداية صاح به القنفذ: «أنا وصلت!» فصاح الأرنب وقد احتقن غضباً: «سنركض جولة ثانية!» فأجاب القنفذ: «لا مانع عندي، مهما كان عدد الجولات». وهكذا جرى الأرنبُ ثلاثاً وسبعين مرة، وفي كل مرة كان يسمعُ من القنفذ أو من زوجته عبارة: «أنا وصلت!» في المرة الرابعة والسبعين لم يصل الأرنب إلى النهاية، بل سقط في منتصف الأخدود على الأرض، وقد تدفق الدم من حلقه، فمات فوراً. أما القنفذ الفائز فأخذ ديناره الذهبي وزجاجة الخمر، ونادى زوجته لتخرج من أخدودها، وعادا معاً فرحين مسرورين إلى بيتهما. وإن لم يموتا بعدُ فهما حيين يرزقان.

وهكذا، في حقل بوكسْتِهودَر سابقَ القنفذُ الأرنبَ حتى الموت. ومنذ ذلك الوقت ما عادَ أرنبٌ في بوكستهودر يجرؤ على مسابقة القنفذ في الجري.

Twitter: @ketab_n

المغـزى من هـذه الحكاية، هو أولاً: أنـه لا يجوز لأحدٍ مهمـا اعتبرَ نفسَه وجيهـاً أن يسخر مـن إنسانٍ بسيط، ولـو كان قنفذاً. وثانياً: عنـد الإقدام على الـزواج، يُنصح بـأن يختار الإنسان امرأة من مستـواه الاجتماعي تكاد تشبهه. فمن كان قنفذاً يجب أن تكون امرأته قنفذة.

Twitter: @ketab_n

(١٨٩)

المغزل والمكوك والإبرة

يحكـى أن فتاة قد فقدت والديها وهي صغيرة. وفي بيت صغير في آخر القرية كانـت تسكن اشبينتها وحدها، وتكسب من الغـزل والنسج والخياطة، فأخذتها إليهـا وعلمتها على العمـل وأنشأتها على الأخلاق الحسنـة والتُّقى. عندما بلغت الفتـاة الخامسة عشرة من عمرها مرضت العجوز ونادتها إلى سريرها وقالت لها: «اشعـر يا ابنتي أن نهايتي اقتربت. سأترك لك هـذا البيت الصغير الذي سيحميك من أحـوال الطقس الرديئة، وسأترك لك المغزل والمكـوك والإبرة لتكسبي بهم قـوت يومك». ثم وضعت يديها على رأس الفتاة وباركتها وتابعت قائلة: «ليكن الرب وحده في قلبك دائماً، عندها ستسير أمورك على ما يرام» وأغمضت عينيها ورحلـت. وأثناء الجنازة مشت الفتـاة وراء النعش وهي تبكي بحرقة وشيعتها إلى مثواها الأخير.

عاشـت الفتـاة الآن وحدها فـي البيت الصغيـر واشتغلت بهمّـة ونشاط غزلاً ونسجـاً وخياطة، وكانت بركة العجـوز الطيبة تشمل كل ما تمد الفتاة يديها إليه. بـدا الأمر وكأن الكتّان يتكاثر من نفسه في الغرفـة. وعندما تنسج قطعة قماش أو بساطاً أو تخيط قميصاً كانت تجد فوراً من يشتري بضاعتها بسعر سخي، فتحصل على ما يزيد عن حاجتها وتتصدق على المحتاجين.

فـي تلك الأيام خـرج الأمير ابـن الملك في جولة فـي أنحاء البـلاد بحثاً عن عروس. نُصِح بأن لا يختار فتاة فقيرة، وهو لم يكن يريد فتاة غنية، فقال في نفسه: «من تجمع في ذاتها الفقر والغنى في الوقت نفسه، تلك ستكون زوجتي». عندما

Twitter: @ketab_n

وصل إلى القرية التي تعيش فيها الفتاة، سأل، مثلما فعل في الأماكن الأخرى، عن أغنى فتاة في القرية وعن أفقرهن. دلّه الناس أولاً إلى أغناهن، ثم أخبروه أن أفقرهن تسكن في البيت الصغير في آخر القرية.

كانت الفتاة الغنية جالسة أمام باب دارها بكامل ثيابها وزينتها، وعندما اقترب الأمير منها، نهضت وتوجهت إليه وانحنت له تحية. نظر الأمير إليها ثم تابع طريقه دون أن ينبس بكلمة. وعندما وصل إلى بيت الفتاة الفقيرة، لم يجد الفتاة جالسة أمام الباب، بل داخل غرفتها. أوقف جواده ونظر عبر النافذة إلى الداخل حيث تجلس الفتاة في ضوء الشمس وهي تغزل بنشاط. رفعت الفتاة نظرها، وعندما لاحظت أن الأمير ينظر إليها، احمرت خجلاً حتى صارت بحمرة الورد وخفضت عينيها وتابعت الغزل. لا أدري ما إذا كان الخيط هذه المرة قد حافظ على ثخنه، لكن الفتاة استمرت تغزل حتى غادر الأمير المكان على جواده. بعد ئذ اقتربت من النافذة وفتحتها وهي تقول: «يا للحر في الغرفة!» وتابعته بنظرها إلى أن غاب بياض ريش قبعته عن الأنظار. ثم عادت فجلست وتابعت الغزل، فخطر في بالها المثَلُ الذي كانت تذكره العجوز الطيبة أحياناً وهي جالسة منهمكة في عملها، فغنته الفتاة:

«اخرج يا مغزلي من البيت
وهات لي الخطيب إلى البيت».

وما الذي جرى؟ قفز المغزل في التو واللحظة من يدها وخرج من باب البيت، وعندما نهضت الفتاة وقد ملأتها الدهشة، وتابعته بنظرها، رأته يتراقص قافزاً عبر الحقل ساحباً وراءه خيطاً ذهبياً لماعاً. بعد برهة اختفى المغزل عن الأنظار. وبما أن الفتاة لا تملك مغزلاً آخر، تناولت المكوك بيدها وجلست إلى النول وبدأت تنسج. أما المغزل فتابع رقصه، وفي اللحظة التي انتهى فيها الخيط كان المغزل قد لحق بالأمير الذي قال: «ما هذا؟ يبدو أن المغزل يريد إرشادي إلى الطريق». فاستدار بجواده وتابع الخيط الذهبي. أما الفتاة التي كانت تنسج فقد أخذت تدندن:

Twitter: @ketab_n

«اخرج يا مغزلي من البيت

وهات لي الخطيب إلى البيت».

وللتـو أيضاً قفز المكوك من بين يديها وخـرج من باب البيت، وبدأ عند العتبة مباشرة بنسج بساط أجمل من كل ما رأته عين بشر حتى الآن: على جانبيه تفتحت ورود مختلفـة وليلـك وفـي وسطه علـى خلفية ذهبيـة تمددت أغصـان متسلقة خضـراء، تقفز من بينهـا أرانب صغيـرة وكبيرة، وتمتد رؤوس وعول وغزلان. وعلى ذرى الأغصان وقفت طيور ملونة، لا ينقصها سوى أن تغرد. أخذ المكوك يقفـز هنـا وهناك، وبدا الأمر وكأن كل شيء ينمو مـن نفسه. وبما أن المكوك قد غادر البيت، جلست الفتاة لتخيط، فأمسكت بالإبرة وأخذت تدندن:

«يا إبرتي الرشيقة ذات الرأس المدبب،

اجعلي البيت للخطيب نظيفاً ومرتَّب».

فقفـزت الإبـرة من بين أصابعها وطـارت هنا وهناك في أرجـاء الغرفة بسرعة كالبـرق. بـدا الأمـر وكأن أرواحـاً لا مرئية تعمـل، فسرعان ما غُطيـت المائدة والمقاعد بقماش أخضر والكراسي بمخمـل، وعُلقت على النوافذ ستائر حريرية مسدلـة. وما أن انتهـت الإبرة من لمساتها الأخيرة، حتـى رأت الفتاة عبر النافذة ريش قبعة الأمير، والذي أحضره المغزل متتبعاً الخيط الذهبي.

ترجـل الأمير عن جـواده، خطا فوق البساط إلى داخـل البيت، وعندما صار فـي وسط الغرفـة رأى الفتاة واقفة هناك في ثوبها الـرث، لكنها كانت تتوهج من تحته مثل وردة على غصنها. فقال لها الأمير: «أنت الأفقر والأغنى كذلك. تعالي معـي لتصبحي زوجتي». صمتت الفتاة، لكنهـا أعطته يدها، فقبلها الأمير وقادها إلـى خارج الدار وأركبها على جواده وأخذها إلـى القصر الملكي، حيث احتُفل بزواجهمـا بفرح غامر. أما المغـزل والمكوك والإبرة فقد تـم الاحتفاظ بهم في الخزنة في مكان لائق بارز.

Twitter: @ketab_n

(١٩٠)

الفلاح والشيطان

في قديم الزمان عاش فلاح ذكي وماكر، يُحكى الكثير عن مقالبه، لكن أجمل ما يروى عنه؛ هي قصة نصبه فخاً للشيطان وإيقاعه فيه، بحيث بدا الشيطان مغفلاً.

ذات يوم كان الفلاح قد أنهى حراثة حقله، وجهز نفسه للعودة إلى داره مع بداية الغسق. وإذ به يرى في وسط حقله كومة من الفحم المتوهج، وعندما اقترب منها تدفعه الدهشة، وجد شيطاناً أسود صغيراً جالساً فوقها، فخاطبه الفلاح قائلاً: «يبدو أنك تجلس على كنز؟!» فأجابه الشيطان: «طبعاً، وعلى كنز يحتوي من الذهب والفضة أكثر مما رأت عيناك طوال حياتك». فقال الفلاح: «لكنه في حقلي، فهو إذن ملكي». فأجابه الشيطان: «إنه لك، إذا أعطيتني لمدة سنتين نصف ما ينبت في حقلك. لدي من الأموال ما يكفي، لكنّ نفسي تطلب ثمار الأرض».

وافق الفلاح على الصفقة، لكنه قال للشيطان: «كيلا ينشأ بيننا نزاع على تقسيم المحصول، لكَ ما ينبت فوق التراب، ولي ما ينبت تحته». أُعجب الشيطان بهذه القسمة، لكن الفلاح الماكر بذر في حقله لفتاً. وعندما آن أوان الحصاد جاء الشيطان ليأخذ حصته، لكنه لم يجد سوى الأوراق الصفراء الذابلة، أما الفلاخ فكان سعيداً بحفر التربة وإخراج رؤوس اللفت. فقال له الشيطان: «هذه المرة كان المغنم لصالحك، والشرطُ لن يسري على المرة القادمة. عندها سيكون لك ما ينبت فوق التراب، ولي ما ينبت تحته». فأجاب الفلاح: «لا مانع عندي». ولكن في موسم البذار، لم يبذر الفلاح لفتاً كالسابق، بل حنطة. وفي

Twitter: @ketab_n

موسـم الحصاد خرج الفلاح إلى حقله وأخـذ يقطع السنابل بالمنجل حتى سطح التربة.

وعندما جـاء الشيطان كانت حصتـه جذور السنابل، فغضـب غضباً شديداً، واندسـ فـي شـق صخـري وغاب، فقـال الفـلاح: «هكـذا يكـون التعامل مع الغشاشين»، وذهب إلى مكان الكنز فحمله ورجع إلى بيته.

Twitter: @ketab_n

(١٩١)

فُتاتٌ على الطاولة

قــال الديك مرةً لدجاجاته: «هيا بسرعة إلى حجــرة الطعام لنلتقط الفتات عن الطاولة، فالسيدة خرجت لقضاء بعض الزيارات» فقالت الدجاجات: «لا، لا، لن نأتي، فأنتَ تعرف أن السيدة تعنفُنا وتزجُرنا دوماً». فقال الديك: «لا علم لها بما سنفعــل. هيا، هيا! ثم إنها لا تتكرم علينا بأي شــيء طيب». فكررت الدجاجات قولهــن: «لا، لا، أمر محسوم ومَقضي، لن نصعد على الطاولة». لكن الديك أخذ يلح ويصر إلى أن خضعن أخيراً والتقطن الفتات عن الطاولة بكل سرعة ممكنة.

وفي تلك اللحظات تماماً دخلت السيدة، فتناولت عصا وطاردتهن بها بقسوة إلــى خــارج الدار. وأخيــراً عندما ما اجتمعن أمــام باب الدار قالــت الدجاجات للديــك: «أ - أ - أ - ألــمْ نقلْ لك!» فأجابهن الديك وهو يضحك: «كو - كو - كو - كنتُ أعرف!» وسمح لهن بالذهاب.

Twitter: @ketab_n

(١٩٢)

الأرنب الصغير

فـي قديم الزمـان كان هناك أميرة تحكـم البلاد، وكان عندهـا، تحت السور المسنـن لبرج قصرها المنيف، غرفةٌ ذات اثنتي عشرة نافذة تطل على الاتجاهات كلهـا. وعندما كانت الأميـرة تصعد إليها وتنظر عبـر نوافذها كانت تشرف على مملكتهـا كلها. وتستطيع من النافذة الأولى أن ترى على نحوٍ أكثر حدةً من الناس الآخريـن، ومن الثانية أفضـل، ومن الثالثة أوضح، وهكـذا بتصاعدٍ، حتى النافذة الثانيـة العشرة التي تسمح لها بأن ترى كل شـيء، ما فوق وما تحت الأرض، فلا يكون خافياً عليها في مملكتها أي شيء على الإطلاق. ولأنها كانت معتزةً بنفسها، تأبـى الخضـوع لأحد، وتريد التفرد بالحكـم وحدها، فقد أعلنـت أنها لن تقبل الـزواج إلا بمن يستطيع أن يخفي نفسه عن أنظارها، فلا تستطيع اكتشاف مخبئه أبـداً. أما مَـن يحاولُ ويفشل، فسيُقطـع رأسُه ويُعلَّق على عمـود. وبمرور الزمن عُلق أمام القصر سبعةٌ وتسعون رأساً، وانقطع حبلُ المتقدمين إلى التجربة مدةً من الوقت، فسُرَّت الأميرة بذلـك وقالت لنفسها: «سأبقى الآن حرةً طوال حياتي». وفجـأة تقدم ثلاثة أخوة ليجربـوا حظوظهم. ظنَّ أكبرهم أنه سيكون في مأمن من عينيها إذا اختبأ في حجرٍ كلسي، لكنها رأته من النافذة الأولى، فأمرت بسحبه من الحجـر وقطع رأسه. أمـا الثاني فقد اختبأ في قبو القصر نفسـه، لكنها رأته أيضاً، ومن النافذة الأولى، فقُضي أمرُه، وعُلِّق رأسُه على العمود التاسع والتسعين. فتقدم إليها أصغرهم والتمس أن تمهله يوماً واحداً للتفكير، وأن تتفضل عليه بمحاولتين كهديـة، وإنْ أخفق في الثالثة فلن يأسـفَ على حياته. ولأنه كان شاباً جميلاً وقدم التماسه بودٍ صادق، قالت له: «حسناً، سأقبل التماسك، لكنك لن تنجح».

Twitter: @ketab_n

فكر طويلاً في اليوم التالي في كيفية الإختباء، ولكن عبثاً. فتناول بندقيته وخرج إلى الصيد. رأى غراباً فسدد نحوه وكاد يضغط على الزناد عندما صاح به الغراب: «لا تطلق، سأعوضك خيراً!» فأنزل بندقيته وتابع سيره حتى وصل إلى بحيرة فاجأ فيها سمكةً كبيرة صعدت من القاع إلى السطح. وعندما سدد وكاد يطلق، هتفت السمكة: «لا تطلق، سأعوضك خيراً!» فتركها لتغطس وتابع طريقه، فالتقى بثعلب يعرج. أطلق عليه النار فأخطأه، فصاح به الثعلب: «تعال واقلع ليّ الشوكة من قدمي، فهذا أفضل». فعلها الشاب، لكنه أراد من ثم قتل الثعلب وسلخ فرائه، فقال له الثعلب: «دعك مني وسأعوضك خيراً!» فتركه الشاب لحال سبيله وعاد إلى الدار بسبب حلول المساء.

كان عليه في اليوم التالي أن يختبئ، وفكر جاهداً بكل الإحتمالات المتاحة، لكنه لم يتوصل إلى نتيجة. فذهب إلى الغراب في الغابة وقال له: «لقد أبقيتُ عليكَ حياتَك، فأسعفني الآن، جِدْ لي مخبأ لا تراني فيه الأميرة». نكّس الغراب رأسه وفكر طويلاً، وأخيراً قال: «وجدتها!» وتناول بيضة من عشه، فبقها نصفين ووضع الشابَ فيها ثم أعادَها كما كانت عليه، ووضعها تحته في العش. عندما وقفت الأميرة على النافذة الأولى لم تستطع اكتشاف مكانه، ولا من النافذة الثانية، فبدأت تشعر بالخوف. لكنها رأته من النافذة الحادية عشرة، فأمرت بقتل الغراب وإحضار البيضة لها وكسرها، فكان على الشاب أن يخرج منها، وعندها قالت له: «أخفقتَ في المحاولة الأولى، المعفيّة من العقاب. إن لم تجد حلاً أفضل فقد ضعت».

في اليوم الثاني خرج الشاب إلى البحيرة ونادى السمكة وقال لها: «لقد أبقيتُ عليكِ حياتك، فأسعفيني الآن، جِدي لي مخبأ لا تراني فيه الأميرة». فكرت السمكة طويلاً، وأخيراً قالت: «وجدتها! سأحملك في بطني». وابتلعته وغاصت إلى قاع البحيرة. أخذت الأميرة تنظر عبر نوافذها بالتتالي إلى أن رأته عبر الحادية عشرة، فأمرت بصيد السمكة وذبحها، فخرج الشاب من بطنها. ويستطيع الكلُ أن يتصور كيف كان شعورُه. قالت له الأميرة: «المحاولتان باءتا بالفشل. يبدو أن رأسَك سيعلّق على العمود المئة».

Twitter: @ketab_n

في اليوم الأخير خرج الشابُ إلى الحقل بقلبٍ مثقل بالهم والحزن، فالتقى بالثعلب، وقال له: «أنت أعرَف الناسَ في إيجاد المخابئ. لقد أبقيتُ عليكَ حياتَك، فأسعفني الآن، جدْ لي مخبأ لا تراني فيه الأميرة». فأجابه الثعلب: «الأمر عسير» وقد ارتسم على وجهه تعبير اليائس. لكنه أخيراً قال: «وجدتها!» وأخذه من يده إلى نبع ماء، غطس فيه ثم خرج في هيئة تاجر حيوانات في السوق. وكان على الشاب أن يغطس أيضاً، ففعل وخرج متحولاً إلى أرنبٍ صغير جداً. توجه تاجر الحيوانات إلى سوق المدينة وعرض حيوانَه الصغيرَ اللطيفَ للبيع، وقد تكاثر الناس حوله ليروا بضاعته الغريبة. وأخيراً جاءت الأميرة نفسها، فأعجبها الأرنب أيّما إعجاب فاشترته ودفعت ثمنه بسخاء. وقبل أن يُناولها التاجر الأرنبَ الصغير، همسَ في أذنه: «عندما تذهب الأميرة إلى النافذة، عليكَ أن تختبئ تحت ضفيرتها». وآن أوان بحثت الأميرة عن الشاب، فاقتربت من النوافذ، الواحدة بعد الأخرى، من الأولى حتى الحادية عشرة ولم تستطع أن تراه. وحينما لم تره حتى في النافذة الثانية عشرة، احتقنت غيظاً وركبها الخوف، فضربت بيدها ضربة بالغة الشدة، أدت إلى تكسر زجاج النوافذ كلها وتناثره شظايا، كما اهتز القصر كله.

نزلت إلى القصر وشعرت بالأرنب الصغير مختبئاً تحت ضفيرتها، فأمسكته ورمته أرضاً وهي تصرخ: «اخرج، ابتعد عن عيني!» فركض الأرنب الصغير إلى تاجر الحيوانات، وأسرعا سوية إلى النبع، حيث غطسا وخرجا وقد استعادا هيئتيهما الأصليتين. شكر الشابُ الثعلبَ وقال له: «الغرابُ والسمكةُ يعتبران أحمقين مقارنةً بك. أنت من يعرف المداخل والمخارج الحقيقية، أنت حقاً سيد الماكرين!» من ثم توجه الشاب إلى القصر مباشرة، حيث كانت الأميرة في انتظاره وقد رضخت لقدَرِها، فأقيم احتفالٌ بعقد قرانهما، وصار الشابُ الآن ملكاً وسيداً على المملكة كلها. لم يحكِ لها الشاب أبداً عن طريقة اختبائه في المرة الثالثة، وهكذا اعتقدت الأميرة أنه قد نجح بالاعتماد على نباهته الخاصة، فاحترمته، لظنها: «إنه يعرف أكثر مني!».

Twitter: @ketab_n

(١٩٣)

معلم اللصوصية

ذات يوم وأمام بيتٍ ريفي فقير، جلس رجل عجوز وامرأته ليستريحا قليلاً من العمل. وفجأة اقتربت من دارهما عربة فخمة يجرها أربعة جياد سوداء، توقفت العربة وترجل منها سيدٌ يرتدي ثياباً فاخرة ثمينة. نهض الفلاح العجوز واقترب من السيد وسأله عن مبتغاه وبماذا يمكن أن يخدمه. مدَّ الغريب يده وصافح الفلاح قائلاً: «لا أرغب إلا في تذوق وجبة طعام ريفية. هلا قدّمتما لي صحن بطاطا كما اعتدتما تحضيره! عندها سأجلس إلى مائدتكما وأتمتع بتذوقه». ابتسم الفلاح العجوز وقال: «لا بد أن تكون موظفاً كبيراً في البلاط أو دوقاً أو أميراً. فكبار السادة تخطر لهم مثل هذه النزوات أحياناً. سنلبي لك طلبك».

قامت الفلاحة إلى المطبخ وبدأت في تنظيف حبات البطاطا وبشْرِها لتحضير طبق البطاطا المهروسة، كما يأكلها الفلاحون عادة. وفيما هي منهمكة في عملها قال الفلاح للغريب: «ريثما تنتهي زوجتي، تعال معي إلى بستان الدار، فما زال أمامي بعض الشغل هناك». كان الفلاح قد هيأ عدة حفر في البستان ليزرع فيها شجراً. فسأله الغريب: «أليس عندك أبناء ليساعدوك في عملك؟» فأجابه الفلاح: «لا، كان عندي ابن طبعاً، لكنه تركنا منذ مدة طويلة إلى الدنيا الواسعة. كان فتى عاقاً، ذكياً وخبيثاً في الوقت نفسه، لم يرغب في تعلم شيء، ولم يعمل أي شيء سوى مقالب لئيمة، وأخيراً هرب من الدار، ولم أسمع عنه شيئاً منذ ذلك الحين».

رفع الرجل شتلة شجرة، أنزلها في الحفرة وثبت إلى جانبها عموداً. وبعد أن ردم الحفرة بالتراب ودكّها، ربط الشجيرة إلى العمود بحبل من عيدان القش في

Twitter: @ketab_n

ثلاثة مواضع: تحت وفوق وفي الوسط. فقال الغريب: «قل لي، لماذا لا تربط تلك الشجرة العجفاء المعوجة في طرف البستان إلى عمود مثل هذه، لتنمو مستقيمة؟» ابتسم الفلاح العجوز وقال: «أنت تتكلم يا سيد انطلاقاً من رؤيتك أنت للأمر؛ ويبدو أنه لا علاقة لك بتاتاً بالبستنة. تلك الشجرة هرمة ومملوءة بالعقد، ولا يمكن لأحد أن يجعلها مستقيمة. على الإنسان أن يشد الشجرة ويربيها مادامت فتية». فقال الغريب: «مثل ابنك، لو أنك ربيته ما دام فتياً، لما كان قد هرب، لا شك في أنه الآن أعجف ومليء بالعقد». فعلّق الفلاح: «طبعاً، مضى وقت طويل على رحيله، ولا شك في أن مظهره قد تغير». فسأله الغريب: «ألن تتعرفه يا ترى إنْ ظهر امامك؟» فأجاب الفلاح: «لا أظنني سأتعرف وجهه، ولكن ثمة علامة على جسمه، وحْمَة تشبه حبة البازلاء على كتفه». ما أن قال الفلاح ذلك حتى خلع الغريب سترته وكشف عن كتفه ورأى الفلاح حبةَ البازلاء، فهتف الفلاح: «يا إلهي، أنت ابني حقاً»، وتحرك في قلبه حبه لابنه، ثم أضاف متسائلاً: «ولكن، كيف يمكنك أن تكون ابني، فأنت سيدٌ وجيه تعيش في نعيم وبحبوحة؟ كيف وصلت إلى ما أنت فيه؟» فأجابه ابنه: «آهٍ يا أبي، الشجرة الفتية لم تُربَط إلى أي عمود، فنشأت معوجة، أما الآن فقد هرمت ولن تستقيم ثانية. كيفَ وصلتُ إلى ما أنا فيه؟ صرتُ لصاً. ولكن لا ترتعب هكذا، فأنا معلم لصوصية، لا يصمدُ أمامي قفلٌ ولا مزلاج: ما أريدُه يصبح لي. لا تظن أني أسرق كأي لص عادي، فأنا لا أمدُّ يدي إلا إلى فائض الأثرياء. الفقراء آمنين من جهتي: بل إني أحبذ أن أعطيهم على أن آخذ منهم. وما يمكن الحصول عليه من دون جهد أو حيلة أو مهارة، لا أمدّ يدي إليه». فقال الأب: «أخ يا بني، الأمر لا يعجبني ولا يريحني، فاللص يبقى لصاً، وأقول لك إن هذه الأمور لا تنتهي على خير». وقاده من يده إلى أمه، التي ما أن سمعت أنه ابنها حتى بكت فرحاً. ولكنه عندما أخبرها بأنه قد صار معلم لصوصية سالت دموعها مدراراً على وجهها، بيد أنها قالت أخيراً: «حتى وإن صار لصاً، فهو ابني، وقد رأته عيناي ثانية».

جلسوا إلى الطاولة، وأكل الابن مع والديه الوجبة البسيطة ثانية، والتي لم يذقها

Twitter: @ketab_n

منذ مدة طويلة. قال له أبوه: «إذا عرف سيدنا، حاكم المنطقة، هناك في قصره، مَن أنت وما هي مهنتك، فإنه لن يأخذك بالأحضان كما فعل عندما حملك فوق حوض العماد، بل سيعلق مشنقتك». فأجاب الابن: «لا تقلق يا أبي، إنه لن يؤذيني لأني أتقن مهنتي. وسوف أزوره اليوم».

عندما اقترب المساء ركب معلم اللصوصية في عربته التي أوصلته إلى قصر الحاكم الذي استقبله بلياقة باعتباره سيداً وجيهاً. ولكن عندما عرّفه الغريب بنفسه، شحب وجه الحاكم وبقي صامتاً برهة طويلة، إلى أن قال له: «أنت ابني بالعماد، لذلك سأعفو عنك وأتساهل في التعامل معك. بما أنك تفتخر بكونك معلم لصوصية، فسأضع علمك على محكّ التجربة، فإن لم تنجح في الاختبار فستتأرجح من المشنقة على موسيقا نعيب الغربان». فقال المعلم: «سيدي الحاكم، كلفني بثلاث مهمات، ولتكن صعبة، فإن لم أنجح في إنجازها، فافعل بي ما تشاء». فكر الحاكم لحظات ثم قال: «حسناً، عليك أولاً أن تسرق حصاني الخاص من الاصطبل، وعليك ثانياً أن تأخذ شرشف السرير من تحتي وتحت زوجتي ليلاً، إضافة إلى خاتم زواج زوجتي من أصبعها، وعليك ثالثاً وأخيراً أن تخطف الكاهن والشماس من الكنيسة. احفظ ما قلته لك جيداً، فالأمر يتعلق برقبتك».

توجّه معلم اللصوصية إلى أقرب قرية حيث اشترى ثيابَ فلاحةٍ عجوز ولبسها، ثم دهن وجهه بلون بني ورسم فوقه بعض التجاعيد، بحيث ما عاد التعرفُ عليه ممكناً. وأخيراً ملأ برميلاً صغيراً بخمر هنغاري ثقيل ومزجه بمادة منومة قوية المفعول، ثم وضعه في سلةِ ظهرٍ ربطها على كتفيه ومشى بخطا وئيدة إلى قصر الحاكم. كان الوقت ظلاماً عندما وصل، فجلس على صخرة في الفناء وأخذ يسعل مثل امرأة عجوز مصدورة، ويفرك يديه ببعضهما وكأنه بردان. أمام باب اصطبل الخيل جلس بعض الجنود حول نار، فانتبه أحدهم إلى المرأة وناداها: «اقتربي أيتها الجدة وتدفئي معنا. يبدو أنك لا تجدين مأوى لقضاء الليل، وستقبلين بما يسنح لك». اقتربت العجوز بخطوات قصيرة ورجتهم مساعدتها في إنزال السلة عن ظهرها، وجلست معهم حول النار. فسألها أحد الجنود: «ماذا تحملين في

Twitter: @ketab_n

برميلك الصغير أيتها العجوز؟» فأجابت: «خمر طيب المذاق. أنا أرتزق من هذه التجارة. إذا دفعتم وكنتم ودودين فأنا مستعدة لصبِّ كأس لكلٍ منكم». فقال لها الجندي نفسه: «هاتي كأساً إذن»، وعندما تذوق الخمر قال: «بما أن الخمر جيد، فسأشرب كأساً أخرى»، فصبت له، وتبعهُ الآخرون. فهتف جندي آخر للحراس الجالسين في الاصطبل: «يا رفاق، الجدة هنا تحمل معها خمراً معتقاً مثلها، فليأخذ كل منكم جرعة لتبث الدفء في معدته أكثر من نارنا».

نقلت العجوز برميلها الصغير إلى الاصطبل حيث كان أحد الحراس راكباً على جواد الحاكم الخاص والمُسْرَج، والثاني يمسك بعناية والثالث بذيله. فصبت لهم من خمرها، واستمرت تصب لهم حتى نضب نبعها. بعد وقت قليل أُفلت العنان من يد الحارس الذي استلقى وأخذ يشخر، ثم تخلى الثاني عن الذيل واستلقى أيضاً وشخر بصوت أعلى من رفيقه. أما الجالس على السرج فقد بقي جالساً، لكنه انحنى إلى الأمام حتى كاد رأسه يلامس رقبة الجواد، وكان نائماً ويضخ الهواء من فمه مثل منفاخ الحداد. كان الجنود الجالسين حول النار خارج الاصطبل قد ناموا جميعهم مستلقين على الأرض بلا حراك مثل الحجارة. عندما رأى معلم اللصوصية أنه قد نجح في تنويمهم، وضع بدل العنان جبلاً في يد الحارس الأول، ومنفضةً من القش بدل الذيل في يد الثاني. ولكن كيف سيتصرف مع الجالسين فوق السرج؟ لم يُرد رميَه أرضاً، إذ أنه قد يستيقظ ويبدأ بالصياح. لكن المعلم وجد حلاً مناسباً، ففك حزام السرج، ثم ربط أطراف السرج بعدة حبال وجدها في لفافات معلقة على الجدار، وشد الحارسَ مع السرج نحو الأعلى وثبّت الحبالَ على عمود الاصطبل. وكيلا يُسمع في القصر وقع حوافر الجواد على حجارة الفناء، ألبسَ المعلمُ الحوافر بخرقٍ عتيقة وقاد الجواد بهدوء بعيداً عن الفناء، ثم اعتلاه بسرعة وانطلق به.

في مطلع النهار ركب المعلم الجواد المسروق وانطلق إلى قصر الحاكم، الذي كان لتوه قد استيقظ وأطل من النافذة. فناداه المعلم: «صباح الخير أيها الحاكم، إليك جوادك الذي نجحتُ في أخذه من اصطبلك. انظر إلى جنودك، ما أجملهم في نومهم. وعندما ستدخل إلى الاصطبل ستجد حرسك في غاية الارتياح لتنفيذهم

Twitter: @ketab_n

مهامهـم». اضطر الحاكم إلى الضحك مـن الموقف، ثم قال: «نجحتَ مرةً، لكنّ الحـظ لن يحالفك في المرة الثانية. وأحـذرك، إذ التقيتك وأنت تسرق فسأعاملك كلص».

مســاءً عندما أوت زوجة الحاكم إلى فراشهـا، أحكمت إغلاقَ يدها على خاتم الـزواج، وقال الحاكـم: «الأبواب كلها مقفلة بالمزلاج، سأبقـى مستيقظاً بانتظار اللصـ، إما إذا صعد إلينا عبر النافذة فسأطلق عليه النار وأقتله،» أما معلم اللصوصية فخرج في الليل إلى المشنقة وأنزل أحد المشانيق المعلقين هناك وحمله على ظهره حتـى القصر، وهنـاك وضع سلماً إلى نافذة غرفة نوم الحاكـم، ثم أركبَ المشنوقَ علـى كتفيه، وتسلق السلم. وعندما ظهر رأسُ المشنوقِ عبر النافذة، ضغط الحاكم فـي سريره على زنـاد مسدسه. وفوراً تـركَ المعلمُ المشنوقَ يسقـط، بينما قفز هو واختبـأ في إحدى الزوايـا. كان القمر البدرُ يضيء الليل بصـورة مكَّنت المعلمَ من رؤيـة الحاكم بوضوح وهو يخرج من النافذة وينزل على السلم ويحمل الميت إلى البستـان، حيث بدأ بحفر حفـرةٍ ليلقي فيها الميت. فقال المعلم لنفسه: «الآن حان الوقـت»، وتسلل من مخبئه بهدوء وصعد السلم إلـى زوجة الحاكم مباشرة، وقال مقلـداً صوت الحاكم بإتقان: «يا زوجتي العزيـزة، اللص مات، لكنه ابني بالعماد، وهـو ماجنٌ مسكين أكثر من كونه شريراً، لذلك لن أفضحه علناً، ثم إني أشفق على والديـه. سأدفنه بنفسي في البستان قبل انبلاج الفجـر، كيلا يعلَم أحد بالموضوع. أعطنـي شرشف السرير لألف به الجثة وأدفنها به كالكلاب». فناولته زوجة الحاكم الشرشف، فـأردف قائلاً: «أتعرفين، تنتابني الآن موجة مـن الكرم. أعطني الخاتم أيضـاً، فقد غامرَ المنحوسُ بحياته، فليأخذَه معه إلى قبـرِه إذن». لم تعارض زوجة الحاكـم زوجها المزعومِ، رغم عدم رغبتها في التخلي عن الخاتم، لكنها نزعته من أصبعهـا وناولتـه إياه. غادر المعلم حجـرة النوم مع الشرشـف والخاتم ونجح في الوصول إلى داره بسلام، قبل أن ينتهي الحاكم من عملية الدفن.

وكـم خـاب أمل الحاكـم في صباح اليـوم التالي عندمـا جاءه المعلـم وقدم له الشرشـف والخاتم، فقال له: «أتمارسُ السحرَ أيضـاً؟ من أخرجك من القبر الذي

Twitter: @ketab_n

دفنتــك فيه بنفسي، وأحياكَ مجــدداً؟» فأجابه المعلـم: «أنت لـم تدفنني، بل دفنتَ مشنوقــاً مسكينــاً»، وحكى لــه بالتفصيل كل ماجـرى، فأمرَّ لــه الحاكم بمهارته ومكره، وأضاف: «لكنك لـم تنته بعد، ما زلت هناك المهمة الثالثة، وإنْ لم تنجح في حلها، فليس أمامك من منقذ». ابتسم معلم اللصوصية ولم يجب بأي كلمة.

عندمــا حل الليل أتى معلم اللصوصية إلى كنيسة القرية حاملاً كيساً طويلاً على ظهــره وبقجةً تحــت ذراعه. كان الكيس مملــوءاً بالسراطيــن، والبقجة بشموع قصيرة. جلــس المعلم في المقبرة، أخرج سرطاناً مــن الكيس وألصق على ظهره مــن البقجة شمعة قصيرة. أشعل فتيل الشمعة ووضع السرطان على الأرض وتركه يمشــي. أخرج سرطاناً ثانية وكرر معه العمليــة نفسها إلى أن فرغ الكيس الطويل من السراطين. ومن ثم أخرج عباءة سوداء طويلة تشبه قفطان القسّ فلبسها وألصق على ذقنه لحية رمادية. وعندمــا اكتمل تنكره أخيراً، حمل الكيسَ الطويلَ ودخل إلــى الكنيسة وصعــد المنبر. أعلنت ساعة البرج الساعــة الثانية عشرة، ومع الدقة الأخيــرة صاح المعلم بصوت عالٍ رنان: «اسمعوا أيها البشر الخطاة، لقد جاءت نهاية الدنيا واقترب يوم النشور، اسمعوا، اسمعوا. من يريدُ منكم الدخول معي إلى الجنة، فليدخل في هذا الكيس. أنا بطرس الذي يفتح بوابة الجنة ويغلقها. انظروا، فــي المقبرة خارج الكنيسة يتجول الموتى وهم يجمعون أطرافهم، فتعالوا، تعالوا ودخلوا في الكيس، فالدنيا تتداعى». دوّى صوت المعلم في جميع أنحاء القرية، والقســ والشماس اللذان يسكنان قــرب الكنيسة كانا أول من سمعه، وعندما رأيا الشمــوع وهي تتجول بيــن القبور، لاحظــا أن ثمة أموراً غريبــة تحدث، فدخلا الكنيسة. استمعا إلى العظة برهة من الزمن، ثم وكز الشماس القس قائلاً: «يحسنُ بنا أن ننتهزَ الفرصة معاً للوصول إلى الجنة بطريقة سهلة قبل يوم القيامة». فأجاب القســ: «طبعاً، كنــت الآن أفكر بذلك. إذا كنت راغبــاً، فلنخطوا على الطريق». فقال الشماس: «هيا، ولكن تفضل أمامي يا سيدي وسأتبعك». تقدم القس وصعد المنبر، حيث فتح المعلم كيسه، فدخل القس وتبعه الشماس.

وفــوراً أحكــم المعلم ربط فوقــة الكيس وأمسكه من رقبته وجــره وراءه نازلاً

Twitter: @ketab_n

درج المنبر، وكلما انخبط رأسا الأحمقين بالدرجات، هتف المعلم: «إننا نجتاز الجبال الآن. ثم جر الكيس بالطريقة نفسها عبر القرية، وكلما مر الكيس في بركةٍ وحلٍ، هتف المعلم: «نحن نعبر الآن الغيوم المحملة بالماء». وأخيراً عندما جر الكيس وراءه صاعداً درج القصر، هتف: «نحن الآن على درجات السماء، وسنصل بعد قليل إلى فناء مدخلها». وحالما وصل إلى بسطه أعلى الدرج جر الكيس نحو بيت الحمام، ولما خفقت الحمامات بأجنحتها، هتف: «أتسمعان فرح الملائكة وهي تصفق بأجنحتها؟» ترك المعلم الكيس هناك وأنزل مزلاج الباب وغادر.

في صباح اليوم التالي ذهب المعلم إلى الحاكم وقال له إنه قد أنجز المهمة الثالثة، وأنه قد اختطف القس والشماس من الكنيسة. فسأله الحاكم: «وأين تركتهما؟» فأجابه: «إنهما مستلقيان داخل كيس، في بيت الحمام ويتخيلان أنهما في الجنة». صعد الحاكم بنفسه إلى برج الحمام وتأكد من أنه قد قال الحقيقة. وعندما حرر القس والشماس من سجنهما، قال له: «أنتَ كبيرُ اللصوص وقد ربحت. هذه المرة ستنفذ بجلدك، ولكن أسرع بمغادرة منطقتي، لأني إذا رأيتك فيها ثانية فسأرفعك بيدي إلى المشنقة».

ودَّع كبير اللصوص والديه وغادرهما ثانية إلى الدنيا الواسعة. ومنذ ذلك الحين لم يسمع أحد عنه شيئاً.

Twitter: @ketab_n

(١٩٤)

الطبّال

ذات مساء خرج طبّال شاب وحده إلى الحقول ووصل إلى شاطئ بحيرة، حيث رأى ثلاث قطع من الكتان الأبيض مرمية هناك، فقال في نفسه: «يا له من كتان فاخر»، ووضع إحدى القطع في جيبه. ثم عاد إلى داره ونسي موضوع الكتان واستلقى في فراشه.

وعندما أوشك على النوم، خيّل إليه أن ثمة مَن يناديه باسمه، فأنصت وسمع صوتاً خافتاً يناديه: «يا طبّال، يا طبّال، استيقظ». وبما أن الليل كان مدلهمّاً فإنه لم يتبين أحداً، ولكن تراءت له هيئة شخص تتحرك أمام سريره، كمن يسبح في الهواء، فسأل: «ماذا تريد؟» فأجابه الصوت: «أَعدْ إليّ قميصي الذي أخذتَه مساء أمس عند شاطئ البحيرة». فقال الطبال: «سأعيده لك، إذا أخبرتني من أنت». فأجاب الصوت: «آه، أنا ابنةُ ملك عظيم، لكني وقعت في قبضة ساحرة نفَتني إلى قمة جبل الزجاج. عليَّ كل يوم مع أختيّ الاثنتين أن أستحم في البحيرة. لكني لا أستطيع من دون قميصي أن أطير عائدة. أختاي طارتا، واضطررت أنا للبقاء. لذلك أرجوك أعد إليّ قميصي». فقال الطبال: «اطمئني أيتها المسكينة، سأعطيك إياه بكل سرور». وأخرجه من جيبه وناوله في العتمة لها. فأخذته بسرعة لتغادر به» فقال الطبال: «ابقِ لحظة، قد أستطيع مساعدتك». فأجابته: «لا تستطيع مساعدتي إلا إذا صعدتَ إلى جبل الزجاج وحررتَني من سلطة الساحرة. لكنك لن تستطيع الوصول إلى جبل الزجاج، وحتى إذا اقتربت منه جداً، لن تستطيع تسلقه». فقال الطبال: «ما أريدُه، أستطيعُه. أنا أرثي لحالك، ثم إني لا

Twitter: @ketab_n

أهاب شيئاً. لكنني لا أعرف الطريق إلى جبل الزجاج». فأجابته: «الطريق يمر من الغابة الكبيرة التي يسكنها العمالقة آكلو لحوم البشر. لا يجوز لي أن أقول أكثر من ذلك». وصمتت، ثم سمعها ترفُّ مغادرة.

مع بداية النهار جهّز الطبال نفسه، علق الطبل على كتفه وانطلق غير هيّاب إلى الغابة مباشرة. بعد أن قطع مسافة من دون أن يرى أياً من العمالقة، قال لنفسه: «لابد أنه أوقظ النوّامين» وجذب طبله إلى الأمام وضربه عدة ضربات متتالية سريعة، أفزعت الطيور على الأشجار فطارت زاعقة.

بعد قليل نهض وارتفع عملاقٌ كان مستلقياً على الحشائش نائماً، حتى بلغ طوله طول شجرة تنّوب، وصاح بالطبّال: «أيها الحقير، لماذا تقرع طبلك هنا، فتوقظني من أعماق نومي؟» فأجابه الطبال: «أنا أطبّل لأدل آلافاً من القادمين ورائي إلى الاتجاه الصحيح». فسأله العملاق: «وماذا يريدون في غابتي؟» فأجابه: «يريدون القضاء عليك وتطهير الغابةِ من غولٍ مثلك». فقال العملاق: «هوهو، سأفعسكم مثل النمل». فقال الطبال: «أتظن نفسك قادراً عليهم؟ عندما تنحني لتلتقط واحداً منهم، فإنه يهرب ويختبئ، ولكن عندما ستستلقي لتنام سيخرجون جميعهم من الأدغال ويزحفون عليك ويتسلقونك، وفي حزام كل منهم مطرقة من فولاذ، سيطرقون بها رأسك حتى ينفلق». انزعج العملاق واستاء، وقال في نفسه: «إذا تورطتُ مع الأقزام الماكرين، يحتمل أن ينقلب الأمر، فأصابُ أنا بالضرر. الذئاب والدببة أخنقها بأصابعي، لكني عاجزٌ عن حماية نفسي من ديدان الأرض هؤلاء»، ثم رفع صوته قائلاً: «اسمع أيها الصغير، انسحب من هنا، وأعدك بأني في المستقبل لن أتعرض لك ولصحابك بأي أذى. وإذا كانت لديك الآن أية رغبة، قلها لي لألبيها لك». فقال له الطبّال: «أنت ساقاك طويلتان وتستطيع أن تمشي أسرع مني، فاحملني إلى جبل الزجاج، وسأعطي لجماعتي إشارة للانسحاب، ليتركوك هذه المرة بسلام». فقال له العملاق: «تعال إذن أيها الدودة واجلس على كتفي، سأحملك إلى حيث تريد». ووضعَ الطبالَ على كتفه، فأخذ هذا يقرع طبلَه على راحته. أما العملاق فقال لنفسه: «لابد أنها الإشارة لجماعته، كي ينسحبوا».

Twitter: @ketab_n

بعد مدةٍ من المشي كان هناك عملاق آخر، أخذَ الطبالَ عن كتف الأول ووضعه في عروة زرٍّ سترته. تمسك الطبال بالزر الذي كان كبيراً مثل طشت الغسيل، وأخذ يتلفت حوله مسروراً. بعد مدة أخرى وصل العملاق الثاني إلى عملاق ثالث، أخذ الطبالَ من العروة ووضعه على حافة قبعته، فأخذ الطبالُ يتمشى فوقها، جيئة وذهاباً مشرفاً على المنطقة من فوق ذرى الأشجار. وعندما رأى جبلاً، في الأفق الأزرق البعيد، فكر: «لا شك أنه جبل الزجاج» وكان محقاً. مشى العملاق بضع خطوات أخرى وتوقف عند سفح الجبل، وأنزله عن قبعته إلى الأرض. طالبه الطبال بأن يحمله إلى قمة الجبل، لكن العملاق رفض، همهم بشيء في لحيته وعاد إلى الغابة.

وقف الطبال المسكين أمام الجبل الشامخ، السامق بارتفاع ثلاثة جبال فوق بعضها، والأملس مثل مرآة، ولم يدر طريقةً للوصول إلى قمته. أخذ يتسلق، ولكن عبثاً، إذ كان سرعان ما ينزلق عائداً إلى مكانه، ففكر: «لو كنت الآن طيراً لـ..». ولكن ما نفع التمني! إذْ لم ينبت لـه جناحان. وفيما كان يفكر بعجزه عن فعل شيء شاهد على مسافة غير بعيدة رجلين يتشاجران بعنف. توجه إليهما، وتبيَّن له أنهما يتنازعان بسبب سرج حصان مرمي أمامهما على الأرض، وكل منهما يدّعيه لنفسه. فخاطبهما قائلاً: «يا لكما من مخبولين! أتتشاجران بسبب سرج، وليس عندكما حصان لـه؟» فأجابه أحدهما: «قيمة السرج تكمن فيه، فمَن يجلسُ عليه ويتمنى الذهاب إلى أي مكان يشاء، ولو إلى آخر الدنيا، فسيجد نفسه هناك فور لفظه الأمنية. السرج ملكنا معاً، نركبه بالتناوب. الآن دوري أنا، لكنه لا يسمح لي بحقي». فقال لهما الطبال: «سأحل لكما هذا النزاع»، ومشى مسافة ثم غرس عصا بيضاء في الأرض وعاد إليهما وتابع كلامه: «اركضا الآن نحو الهدف، ومن يصل أولاً يركب السرج أولاً». انطلق الاثنان راكضين، ولكن ما أن قطعا بضع خطوات حتى ركب الطبال على السرج وتمنى أن يكون على قمة جبل الزجاج، فكان هناك بلمح البصر.

كانت قمة الجبل مكونة من سهلٍ فيه بيتٌ حجري عتيق، وهناك أمامه بركة

Twitter: @ketab_n

أسماك كبيرة، ووراءه غابة كثيفة موحشة. لم ير الطبال بشراً ولا حيوانات. كان كل شيء ساكناً، لا يُسمع سوى حفيف أشجار الغابة، وكانت الغيوم تسري قرب رأسه. اقترب الطبال من باب البيت وقرعه. بعد المرة الثالثة فتحت له الباب عجوز ذات وجه بني وعينين حمراوين وتضع نظارتين فوق أنفها الطويل. دققت النظر في الطبال ثم سألته عمّا يبغي، فأجابها: «الدخول والطعام والمبيت»، فقالت له العجوز: «لك هذا مقابل ثلاثة أعمال تنجزها لي»، فقال: «لا مانع عندي. أنا لا أنفر من أي عمل، مهما صعُب». فسمحت له العجوز بالدخول وقدمت له طعاماً ليأكل وسريراً مريحاً لينام فيه طويلاً. في الصباح وبعد أن شبع نوماً، ناولته العجوز كشتباناً بأصابعها المعروقة وقالت له: «اذهب الآن إلى البركة وأفرغ ماءها كله بهذا الكشتبان، وعليك إنجاز العمل قبل حلول الليل. أما أسماك البركة فعليك تصنيفها وترتيبها حسب النوع والحجم». فقال الطبال: «يا له من عمل مستغرب»، لكنه خرج إلى البركة وبدأ يفرغ الماء، واستمر حتى الظهر. ولكن كيف للإنسان أن يُفرغ مثل هذه البركة الكبيرة بكشتبان، ولو استمر ألف سنة؟،عند الظهر فكر الطبال: «هذا كله هدرٌ للوقت، سيّان اشتغلتُ أم لا»، وتوقف وجلس.

وإذا بصبيةٍ تخرج من باب البيت وتأتي إليه حاملةً سلةً فيها طعام، وضعتها أمامه وقالت له: «تبدو حزيناً جداً، فما بالك؟» نظر إليها فلفت نظره جمالها الباهر، ثم قال: «أخ، لن أستطيع إنجاز العمل الأول، فكيف سيكون الحال مع العملين الآخرين؟ لقد جئتُ باحثاً عن أميرة، يُفترضُ أنها تعيش الآن هنا، لكنني لم أجدها، لذلك سأتابع طريقي». فقالت له الفتاة: «ابق هنا، سأساعدك في محنتك. أنت متعب، ضع رأسك في حجري ونم. عندما تستيقظ ستجد العمل منجزاً». لم يتردد الطبال أبداً، وحالما غرق في نومه، أدارت في أصبعها خاتماً يحقق الأماني وقالت: «تبخر أيها الماء، أخرج أيها السمك!» وللتو تصاعد ماء البركة بخاراً أبيض وسرى مع بقية السحب، أما السمكات فأخذت تلعبط وتتقافز على الضفة وتصطفّ إلى جانب بعضها حسب النوع والوزن. عندما أفاق الطبال من نومه أدهشه رؤية العمل منجزاً بكامله. لكن الفتاة قالت له: «إحدى السمكات

Twitter: @ketab_n

بقيت منفردة عن أخواتها. عندما تأتيك العجوز مساءً وترى أن ما طلبتْه منك قد تم ستسألك: «لماذا هذه السمكة منفردة؟» عندها ارمِ السمكة في وجهها وقل لها: «إنها لك أيتها الساحرة الشمطاء!» مساءً جاءت العجوز، وعندما طرحت عليه السؤال، رمى السمكة في وجهها. تظاهرت العجوز وكأنها لم تلاحظ شيئاً وصمتت، لكنها رمته بنظرة تقدح شراً.

في صباح اليوم الثاني قالت له: «كانت مهمتك البارحة سهلة، لذلك يجب أن أكلفك بعمل أصعب. عليك اليوم أن تُسقط شجر الغابة كله وتجعل من الخشب حطباً وترتّبه قنطاراً قنطاراً. ويجب أن تنتهي مساء اليوم». ثم أعطته بلطة ومطرقة وفأسين. لكن البلطة كانت من الرصاص والمطرقة والفأسين من الصفيح. وعندما بدأ باستخدامهم انثنى نصل البلطة وانضغط معدن المطرقة والفأسين على نفسه، ولم يدرِ مخرجاً. ولكن ظهراً جاءت الفتاة حاملة الطعام، فواسته قائلة: «ضع رأسك في حجري ونم، وعندما تستيقظ يكون العمل قد أُنجز». أدارت خاتم الأماني، فتساقطت أشجار الغابة كلها بأصوات مدوية، وأخذ الخشب ينشق ويتحول إلى قطع حطب، ويرتب نفسه بنفسه قنطاراً قنطاراً، وكأن عمالقةً غير مرئيين قد أنهوا الشغل كله. عندما استيقظ الطبال قالت له الفتاة: «أترى، الحطب كله مرتب حسب الوزن بالقنطار، ولكن بقي غصن واحد فقط. وعندما تأتي العجوز مساء اليوم وتسألك عن الغصن، فاضربها به على وجهها وقل لها: «إنه لك أيتها الساحرة الشمطاء!»».

جاءت العجوز وقالت له: «أرأيت كم كان سهلاً ما كلفتك به! ولكن لمن تركتَ هذا الغصن؟» فأجابها: «إنه لك أيتها الساحرة الشمطاء!» وضربها به. بيد أنها تظاهرت وكأنها لم تشعر بالضربة، بل ضحكت بخبث وقالت: «عليك غداً صباحاً أن تجمع الحطب كله في كومةٍ واحدة وتوقدها حتى تحترق كلها». نهض مع انبلاج الفجر وبدأ بنقل قطع الحطب. ولكن كيف لإنسان واحد أن يحمل غابة بكاملها؟ تقدم عمله ببطء شديد، لكن الصبية لم تتخل عنه في محنته، بل جلبت له طعام الغداء، وبعد أن أكل وضع رأسه في حجرها ونام. وعندما أفاق

Twitter: @ketab_n

كانت الكومة الهائلة تشتعل بلهب عظيم امتدت ألسنته حتى المساء، فقالت له الفتاة: «استمع إلي، عندما تأتي الساحرة ستطلب منك أن تقوم بأمور عدة. فإذا نفذت طلباتها من دون خوف فإنها لن تتمكن من إيذائك، أما إذا فزعت فستمسك بك النار وتلتهمك. وبعد أن تنفذ طلباتها احملها بيديك الاثنتين وارمها إلى وسط النار المتقدة»، وذهبت الفتاة.

وبعد قليل جاءت العجوز متقدمة ببطء وهي تقول: «حوح، أنا بردانة، لكن هذه النار المتوهجة ستدفئ عظامي، فأتحسن وأرتاح. ولكن هناك قرمة لا تشتعل جيداً، أخرجها لي، وبعد أن تفعلها ستصبح حراً، وتستطيع أن تذهب إلى حيث تريد. هيا اقفز بنشاط». لم يتردد الطبال، بل قفز إلى داخل اللهيب، لكن اللهيب لم يمس حتى شعرة من رأسه بأذى. فحمل القرمة وخرج بها ووضعها على الأرض، ولكن ما أن لامس الخشب الأرض حتى تحول إلى الفتاة الباهرة الجمال التي ساعدته في محنته، وعرف من ثيابها الموشاة بالذهب أنها الأميرة. لكن العجوز ضحكت ضحكة تقطر سماً وقالت: «أتظن نفسك أنك قد حصلتَ عليها؟ لكنك لم تحصل عليها بعد». وكانت على وشك أن تهجم على الفتاة لتجذبها إليها، عندما أمسك الطبالُ الساحرةَ بكلتي يديه ورفعها عالياً ورمى بها بين شدقي اللهيب الذي أطبق عليها وكأنه فرحٌ بالتهامه الساحرةً.

بعد ذلك نظرت الأميرة إلى الطبال، وعندما رأت أنه شاب وسيم، وأنه قد خاطر بحياته من أجلها وفي سبيل خلاصها، أعطته يدها وقالت له: «لقد أقدمتَ على كل الأخطار من أجلي، وأنا سأفعلُ كل شيء من أجلك. إذا وعدتني بأن تكون مخلصاً لي فستصبح زوجي. لن تنقصنا الثروة أبداً، يكفينا ما جمعته الساحرة هنا». وقادته من يده إلى البيت الحجري حيث وجدا صناديق وعلباً مملوءة بالكنوز. تركا الذهب والفضة وأخذا الجواهر فقط. لم ترغب الأميرة في هدر مزيد من الوقت على جبل الزجاج، فقال لها الطبّال: «اركبي معي على سرجي وسنحلق نازلين كالطيور». فعلقت الأميرة: «لا يعجبني هذا السرج العتيق، لن أحتاج إلا إلى بَرمِ خاتم الأماني لنكون في الوطن»، فقال الطبال: «هيا بنا إذن،

Twitter: @ketab_n

تمني أن نكون عند بوابة المدينة»، ومن فورهم كانا هناك، فقال الطبال: «سأذهبُ إلى دار والديّ أولاً لأخبرهما بعودتي. انتظريني هنا في الحقل، فسأعود سريعاً». فقالت الأميرة: «أرجوكَ عندما تلتقي بوالديك، ألا تُقبّلهما على الخد الأيمن، وإلا فإنك ستنسى كل شيء عنّا، فأبقى هنا وحدي مهجورة في الحقل». فقال الطبال: «كيف لي أن أنساك؟» ووضع يده في يدها ووعدها بالعودة سريعاً.

وعندما دخل إلى دار والديه لم يتعرفه أحد، لأنه كان قد تغير كثيراً، فالأيام الثلاثة التي أمضاها على جبل الزجاج كانت ثلاث سنوات طويلة. فعرّفهما على نفسه، ومن شدة الفرحة أخذاه بالأحضان، فجاشت مشاعره في قلبه، وقبّل كلاً من والده ووالدته على الخدين كليهما. دون أن يفكر بتنبيه الأميرة له. وما أن قبّلهما على الخد الأيمن حتى مّحت من ذاكرته أي فكرة تتعلق بالأميرة. أفرغ الطبالُ جيوبه. وملأ الطاولةَ بحفناتٍ عامرةٍ من الجواهر. لم يدر الوالدان كيف يتصرفان بالثروة الهائلة، ومن ثم بنى الوالد قصراً فخماً، محاطاً بالحدائق والمروج والغابات، وكأن أميراً سيقيم فيه. وعندما صار جاهزاً قالت الأم لابنها: «لقد اخترتُ لك عروساً، وسنحتفلُ بزواجك بعد ثلاثة أيام». وكان الابن راضياً بكل ما فعله والده.

أما الأميرة المسكينة فقد انتظرت عودة الشاب طويلاً عند بوابة المدينة. وعندما حلَّ المساء قالت في نفسها: «لا ريب في أنه قبّل والديه على الخد الأيمن ونسيني». امتلأ قلبها حزناً، فبرمت الخاتم وتمنت نفسَها في بيتٍ صغيرٍ منعزلٍ في الغابة، ولم تعُد ترغبُ العودةَ إلى قصر والديها. وصارت كل مساءٍ تذهب إلى المدينة وتمر بداره، فكان يراها أحياناً ولكن من دون أن يتعرفها.

وأخيراً سمعت ما يتناقله الناس عن أن عرسَه سيقامُ غداً. قالت لنفسها: «سأحاول استعادة قلبه». عندما بدأ اليوم الأول من حفلة العرس، برمت في أصبعها خاتم الأماني وقالت: «أتمنى ثوباً بهياً كسطوع الشمس». وفوراً كان الثوب أمامها متلألئاً وكأنه منسوج من شعاع الشمس. وبعد أن اجتمع جميع

Twitter: @ketab_n

الضيوف دخلت الأميرة القاعة. أُخذ الجميعُ ببهاءِ ثوبها، ولا سيما العروسُ نفسها التـي كانت تعشق جمع الفساتين الجميلة، فتوجّهت إلـى الغريبة مباشرة وسألتها عما إذا كان فستانُها للبيع، فأجابتها: «لا لقاءَ نقود. ولكن إذا سمحتِ لي بقضاء الليلة الأولى على عتبة باب الغرفة التي ينام فيها العريس، فسأكون مستعدة للتخلي عن الفستـان لك». لـم تستطع العروس كبح رغبتها فيـه، فوافقت، لكنها مزجت منوّمـاً فـي نبيذ العريس، جعله يستغـرق في سبات عميق. عندمـا سكن كل شيء تكوَّرت الأميرةُ على عتبة غرفة النوم، ففتحت البابَ قليلاً وأخذت تردد:

«اسمعني يا طبال اسمعني،

أمْ أنك كلياً قد نسيتني؟

ألمْ تجلس إليّ على جبل الزجاج؟

ألمْ أُنقذ حياتك من الساحرة؟

ألم تعدني بالبقاء مخلصاً لي؟

اسمعني يا طبال اسمعني!»

لكـن ذلك كلـه كان بلا جدوى، فالطبـال لم يستيقظ. وعندمـا انبلج الصباح اضطرت الأميرة إلى الذهاب من دون أن تحقق مبتغاها.

فـي مسـاء اليوم التالي برمـت خاتمها وقالـت: «أتمنى ثوباً فضيـاً كالقمر». وعندمـا ظهرت في الحفلة بفستانها الناعم مثل ضـوء القمر، أثارت مجدداً رغبة العروس في امتلاكه، فمنحتها إياه، لقاء السماح لهـا بقضاء الليلة الثانية عند عتبة غرفة نوم العريس. فأخذت تردد في هدوء الليل:

«اسمعني يا طبال اسمعني،

Twitter: @ketab_n

أمْ أنك كلياً قد نسيتني؟

ألـمْ تجلس إليّ على جبل الزجاج؟

ألـمْ أُنقذ حياتك من الساحرة؟

ألـم تعدني بالبقاء مخلصاً لي؟

اسمعني يا طبال اسمعني!»

بيد أن الطبال المخدَّر بالمنوّم لم يكن قادراً على الاستيقاظ والاستماع. وبكل حـزن عادت الأميرة صباحاً إلـى بيتها في الغابة. لكن سكان الدار سمعوا شكوى الأميـرة وأخبروا العريس بها، وحكوا له أيضاً أنه لم يكن في حالةٍ تسمح له بتلقي الشكوى بسبب المنوم الذي مزجته العروس بنبيذه.

في مساء اليوم الثالث والأخير برمت الأميرة خاتم الأماني وقالت: «أتمنى ثوباً برّاقاً كالنجوم». وعندما ظهرت به في الحفلة، وقد فاق بهاؤه الفستانين السابقين، لم تقـدر العروس على لجم جموحها لامتلاكه فقالـت: «لا بد من أن أمتلك هذا الفستان». فتخلت لها الأميرة عنه لقاء السماح لها بقضاء الليل عند عتبة غرفة نوم العريسـ. والعريس لم يشرب النبيذ الذي قُدِّم له قبـل النوم، بل سفحَ الكأس وراء السرير. ولما ساد الهدوء الدار ليلاً، سمع صوتاً رقيقاً ينادية:

«اسمعني يا طبال اسمعني،

أمْ أنك كلياً قد نسيتني؟

ألـمْ تجلس إليّ على جبل الزجاج؟

ألـمْ أُنقذ حياتك من الساحرة؟

ألـم تعدني بالبقاء مخلصاً لي؟

Twitter: @ketab_n

اسمعني يا طبال اسمعني!»

فتذكر فجأة كل شيء وهتف: «أخ، كيف تصرفتُ بمثل هذا الغدر؟ لكنّ القبلةَ التـي نبعتْ من فرحة قلبي ولثمـتُ بها الخد الأيمن لوالدي ووالدتي هي المذنبة، فقـد خـدّرت ذاكرتي». وقفز من سريره وأخذ الأميرة مـن يدها وقادها إلى سرير والديـه، وقال لهما: «هذه هي عروسي الحقيقية. إذا تزوجتُ الأخرى فسأرتكب ظلماً فظيعاً». عندما سمع والـداه قصتهما وكيف جرت الأمور بينهما، منحاهما بركاتهما.

وأضيئـت الأنوار مجدداً في قاعة الحفل واستدعيت الفرقة الموسيقية، ودعي الأصدقـاء والأقـارب للعودة ثانية، وأقيـم العرسُ الحقيقي في أجـواء من الفرحة العارمـة. أما العروس الأولى فقـد احتفظتْ بالفساتين الثلاثـة الجميلة كنوع من التعويض، وكانت راضية.

Twitter: @ketab_n

(١٩٥)

سنبلة القمح

فـي الأزمان الغابـرة، عندما كان الرب يتجول بنفسه بيـن الناس على الأرض، كانـت خصوبـة التربة أكبر بكثير مما هي عليه الآن. آنـذاك لم تحمل السنابل من أربعين إلـى خمسين حبة، بل أربعمئة وحتى خمسمئة حبة. كانت الحبوب تنبت علـى عـود السنبلة من أسفله حتى أعـلاه؛ كان العود طويلاً جـداً، وبطولهِ كانت السنبلة أيضاً.

بيـد أن البشـر بطبيعتهم، يتناسون بركات الرب مع فائض الخير ويصيرون لا مباليـن مستهتريـن، فذات يوم مرت امـرأة وابنها الصغير إلـى جانب حقل قمح، وابنهـا الذي كان يتقافز هنا وهناك سقط فـي بركة وحلٍ فاتسخت ثيابه. فاقتلعت الأم حفنـة مـن السنابـل الجميلة ونظفـت بها ثيـاب ابنها. كان الـرب في تلك اللحظـات يعبر المكان ورأى ما جرى، فغضـب غضباً شديداً، وقال: «لن تحمل العيـدان سنابل بعد الآن، فالبشر ما عادوا يستحقـون فضل السماء عليهم». سمع العابرون والواقفون ذلك فأصابهم الرعب، وخرّوا على ركبهم وتوسلوا إلى الرب أن يتـرك على العود بعض الحبـوب، رحمة بالدجاج البـريء فحسب، طالما أن البشـر ما عادوا جديرين بالنعمة. والرب الذي تنبـأ ببؤسهم القادم، لبى التماسهم رحمة بهم. وهكذا لم يتبق من سنابل الماضي سوى ما ينمو الآن على العيدان.

Twitter: @ketab_n

(١٩٦)

القبر

ذات يـوم وقف فلاح غني في فناء داره وشمل بنظـرة حقوله وبساتينه: سنابل القمـح تنمو بقوة وأشجار الفاكهة مثقلة بالثمـار، محصول حبوب العام الماضي ما زال فـي كومةٍ هائلة على أرض المستودع، تكاد عوارض الأرضية الخشبية لا تحملهـا لثقلها. ثم دخل الفلاح إلى الإصطبل، حيـث وقفت الثيران المسّمنة والبقـرات السمينة والجياد المطهمة. عاد أخيراً إلى غرفتـه في الدار وألقى نظرة على صناديقه الحديدية التي أودع فيها أمواله. وفيما هو واقف يتملّى ثروته، سمع فجـأة قرعـاً عنيفاً. لم يكن القـرع على باب داره، بل على بـاب قلبه. انفتح باب قلبـه، ومن هنـاك سمع الفلاح الغني صوتاً يسأله: «هـل ساعدت أهلك بثروتك؟ هل فكرت فـي حاجة الفقراء؟ هل تقاسمت خبزك مع الجائعين؟ هل اكتفيت بما تملـك، أم طمعت دائماً بالمزيد؟» لم يتردد قلبه فـي الإجابة، فقال: «كنت قاسياً شديداً لـم أقدم أي خير لأهلي قط. عندما كان يأتيني محتاج كنتُ ألتفت عنه. لم أعبأ بالرب، بل أوليت اهتمامي لزيادة ثروتي. لو كان كل ما تحت السماء ملكي، لطلبـت المزيد». عندما سمع الفلاح هذا الجواب ارتعب بشدة، وأخذت ركبتاه ترتجفان، فكان لابد أن يجلس.

وعندهـا سمع القرع مجـدداً، ولكن على باب داره هذه المـرة. كان جارَه، وهـو رجل فقير كثير الأولاد، ولم يعـد قادراً على إطعامهم، وكان يفكر في نفسه قائـلاً: «أعـرف أن جاري غني، لكنه قاسـي القلب، ولا أظنـه سيساعدني. لكن أولادي يصرخـون طلباً للخبز، لذلك سأجـرؤ وأحاول». وقال للغني: «لا يسهل

Twitter: @ketab_n

عليـك التخلي عن شيء مما هو لك، أعرف ذلك. لكنني أقف أمامك غارقاً كمن وصـل الماء إلـى رأسه، أولادي جوعى، أقرضني أربعـة مكاييل من القمح». نظر إليـه الغني طويلاً، وبـدأ أول شعاع من الطيبة يذيب قطـرة من جليد الجشع»، ثم قـال: «لن أقرضك أربعة مكاييل من القمح، بـل سأمنحك ثمانية، بشرط أن تلبي لـي طلباً واحـداً». فسأله الفقير: «ماذا تريدني أن أفعـل؟» فأجاب الغني: «عندما أمـوت عليك أن تسهر ثلاث ليالٍ على قبري». انقبض قلب الفلاح الفقير من هذا الطلـب، ولكن نظراً لشدة محنته كان مستعداً للموافقة على أي شيء، فقبل شرط الغني وحمل القمح إلى داره.

بـدا الأمر وكأن الغني قد تنبأ بما سيحدث، فبعد ثلاثـة أيام سقط على الأرض ميتـاً. لم يعرف أحد سبب موته، ولكن لم يحـزن لموته أحد. وبعد أن دُفن تذكر الفقيـر وعده لـه. كان بوده التملّص منه، لكنه فكـر: «لقد كان طيبـاً تجاهك، فأشبعـتَ من قمحه أولادك الجوعى. وحتى لو لم يكن الأمر كذلك، أنتَ قطعت على نفسك عهداً ويجب أن تفي به».

مـع هبـوط الليل ذهب إلى مقبـرة الكنيسة وجلس على القبـر. كان كل شيء ساكنـاً، والقمر يضيء المقبرة، وأحياناً كانـت تعبر الجو بومة طائرة وهي تنعب. عندمـا أشرقت الشمـس عاد الفقير إلى بيتـه سالماً، وكذلك مضـت الليلة الثانية بـكل هدوء. أما فـي مساء اليوم الثالث فقد شعر الفقيـر بخوف كبير وكأن ثمة ما سيحـدث هذه الليلة. عندما وصل إلى المقبرة رأى عند جدارها رجلاً لم يسبق له أن رآه قـط. كان قد تجـاوز مرحلة الشباب مع ندوب في وجهـه، وعيناه تتلفتان حولـه بحدة. كان مغطى كله بمعطف عتيق ويحتذي جزمة ركوب الخيل. فسأله الفـلاح الفقير: «عمّا تبحث هنا؟ ألا تشعر بالقشعريـرة في المقبرة ليلاً؟» فأجابه الغريـب: «أنا لا أبحـث عن شيء ولا أخاف من شيء، أنـا مثل الفتى الذي خرج لتعلـم الخوف، وبذل جهوده عبثاً، لكنـه حصل على الأميرة زوجةً وعلى ثروات هائلـة معها، أما أنا فبقيـت فقيراً. لستُ سوى جندي مسرَّح من الخدمة، وأريد قضـاء الليل هنا لأني لا أملك مأوى ألجأ إليه». فقال الفلاح: «إذا كنتَ لا تخاف

Twitter: @ketab_n

فاجلس معي وساعدني في حراسة ذلك القبر». فأجاب الغريب: «الحراسة هي مهمة الجندي، وما سيواجهنا هنا، خيراً كان أم شراً، سنتحمله معاً». فتصافحا وتعاهدا وجلسا على القبر معاً.

بقي كل شيء ساكناً حتى منتصف الليل، وفجأة ترددت صفرات حادة في الهواء ورأى الحارسان الشيطان نفسه ماثلاً أمامهما، وصاح بهما: «انقلعا من هنا، أيها الأوغاد! مَن يرقد في هذا القبر ملكي أنا، وأريد أن آخذه إلي. فإن لم تبتعدا فسأخلع رقبتيكما معاً». فقال له الجندي: «أيها السيد ذو الرياش الحمراء، أنت لست نقيبي في الجيش لأطيع أوامرك، والخوفَ لم أتعلمه بعد. اذهب في حال سبيلك، نحن سنبقى جالسين هنا». فقال الشيطان في نفسه: «أفضل فخ لهاتين الحشرتين المنتوفتين هو الذهب»، فغير طبقة صوته وعزف على لهجةٍ أنيسة ودودة متسائلاً عما إذا كانا سيرحلان إذا أعطاهما كيساً من الذهب. فأجابه الجندي: «هذا كلام يُسمع، لكن كيساً واحداً مليئاً بالذهب لن يكفينا نحن الاثنين؛ فإذا كنتَ كريماً بالذهب لدرجة أن تملأ فردة جزمتي هذه، فسنخلي لك الميدان وننسحب». فقال الشيطان: «لكنني لا أحمل معي هذا المقدار الآن، بيد أني سأجلبه. في المدينة المجاورة هناك صراف تربطني به صداقة، وسيزودني بهذا المقدار». بعد أن اختفى الشيطان، خلع الجندي فردة جزمته اليسرى، وقال: «سننصب فخاً لهذا الفحّام الأسود، فاعطني سكينك يا صاحبي». انتزع الجندي بالسكين كعب الجزمة ووضعها إلى جانب حافة حفرة تغطيها الحشائش النامية عالياً، ثم قال: «هكذا سيكون كل شيء على ما يرام، وبإمكان الفحام الآن أن يأتي». وجلسا منتظرين.

لم يطل بهما الوقت حتى أتى الشيطان حاملاً بيده كيساً صغيراً من الذهب، فقال له الجندي: «أفرغ محتواه هنا»، ورفع فردة الجزمة قليلاً عن الأرض، وأردف: «اظن هذا لن يكفي». أفرغ الشيطان الكيس، فتساقطت القطع الذهبية عبر الجزمة إلى الحفرة، وبقيت الجزمة فارغة، فصاح الجندي: «يا لك من شيطان غبي! لا يكفِ. ألم أقل لك؟ ارجع واحضر المزيد». هزّ الشيطان رأسه، ثم غادر.

Twitter: @ketab_n

ورجع بعد ساعة حاملاً تحت ذراعه كيساً أكبر بكثير من سابقه، فقال له الجندي: «هيا أفرغه، لكنني أشك في أن الجزمة ستمتلئ». أخذت قطع الذهب ترن وهي تتساقط، بيد أن الجزمة بقيت فارغة. نظر الشيطان بنفسه بعينيه المتوهجتين داخل الجزمة وتأكد من ذلك، ثم هتف: «بطتا ساقيك هائلتين يا رجل!» وكشر بفمه. فأجابه الجندي: «هل ظننتَ أن لي حافر حصان مثلك؟ منذ متى هذا البخل أيها الشيطان؟ اعمل على أن تحضر معك ما يكفي من الذهب، وإلا فإن الصفقة لن تتم».

غادر الشيطان لثالث مرة وغاب مدة أطول من السابق، ولما ظهر مجدداً كان يلهث تحت ثقل الكيس الذي حمله على كتفه. أفرغه في فردة الجزمة، التي كالمرتين السابقتين، لم تمتلئ. فاحتقن غيظاً وسخطاً وكان على وشك أن ينتزع فردة الجزمة من يد الجندي، لولا أن أول أشعة الشمس المشرقة اخترق الجو، فهرب الشيطان الشرير وهو يطلق صيحة مدوية. وبذلك تم إنقاذ روح الميت المسكين.

أراد الفلاح الفقير اقتسام الذهب، لكن الجندي قال له: «وزع حصتي على الفقراء، وأنا سأسكن معك في كوخك، وسنعيش بما يتبقى بهدوء وسلام إلى ما يشاء الرب».

Twitter: @ketab_n

(١٩٧)

رينك رانك العجوز

فـي قديم الزمان كان لملك ابنة وحيدة، بنى من أجلها جبلاً زجاجياً وأعلن أن مَن يستطيع المشي عليه دون أن يسقط سيحصل على ابنته زوجةً. وكان هناك فتى يحـب الأميرة من كل قلبه، فسـأل الملكَ إذا ما كان بإمكانه الزواج بابنته؟ فأجابه الملـك: «بإمكانـك. إذا مشيتَ علـى الجبل دون أن تسقـط، ستحصل عليها». فقالـت الأميرة إنها سترافقه إلى الجبل وتمسـك به إنْ تعرض إلى خطر السقوط، وذهبـت معـه فعلاً إلى الجبـل. لكنهما عندما وصـلا في تسلقهمـا إلى منتصف الجبـل، انزلقـت الأميرة وسقطت، فانفتـح الجبل وسقطت الأميـرة داخله، ولم يستطع عريسهـا تحديد موقعها، لأن الجبل أغلق شدقيه ثانية. بكى العريس وناح جـداً، وكذلك حزن الملك حزناً شديداً وأمر بتكسير الجبل، معتقداً أنه سيتمكن من إيجادها وإخراجها منه. لكنهم لم يستطيعوا العثور على المكان الذي سقطت فيه.

فـي أثناء ذلك كانـت الأميرة قد سقطت إلـى عمق الجبل، إلـى مغارة كبيرة. وهنـاك ظهر لها رجل عجوز له لحية رمادية طويلة جداً، وقال لها إنها إذا رضيت بـأن تشتغل عنده خادمـة وتنفذ كل ما يأمرهـا به فسيبقي على حياتهـا، وإلا فإنه سيقتلها. فقبلت ونفذت كل ما أمرها به.

كان كل صبـاح يُخرج سلماً من جيبه ويسنده إلـى الجبل ويصعد حتى يغادر الجبل، ثم يسحب السلم إليه. كان عليها بعد ذهابه أن تطبخ الطعام وترتب سريره وتديـر شؤون المكان كله. وعندمـا يعود مساء يُحضر معه دائمـاً كمية كبيرة من

Twitter: @ketab_n

الذهب والفضة. بعد أن أمضت الأميرة عدة سنوات عنده وكبرت في السن، أطلق عليهـا لقب «السيدة خميرة»، وطالبها بأن تناديه: «رينك رانك العجوز». وذات يـوم بعد خروجه، رتبت له سريره وشطفت له صحونه، ثم أغلقت جميع الأبواب والنوافـذ بإحـكام، ولم يعد هناك سـوى نافذة جرّار صغيـرة تركتها مفتوحة لأن النـور يدخل منها. وعندما عاد العجـوز رينك رانك قرع الباب وهتف: «يا سيدة خميرة، افتحي لي الباب!» فأجابته: «لا، أيها العجوز رينك رانك، لن أفتح لك». فقال: «

«ها أنا رينك رانك المسكين أقف هنا،

مدة طويلة على سبع عشرة قدما،

إضافة إلى قدمي الذهبية.

يا سيدة خميرة اشطفي لي صحوني!»

فأجابته: «شطفتُ لك صحونك وانتهيت!» فكرر ثانية:

«ها أنا رينك رانك المسكين أقف هنا،

مدة طويلة على سبع عشرة قدما،

إضافة إلى قدمي الذهبية.

يا سيدة خميرة رتبي لي سريري!»

فأجابته: «رتبت لك سريرك وانتهيت!» فكرر ثالثة:

«ها أنا رينك رانك المسكين أقف هنا،

مدة طويلة على سبع عشرة قدما،

Twitter: @ketab_n

إضافة إلى قدمي الذهبية.

يا سيدة خميرة افتحي لي الباب!»

ودار حول داره ورأى النافذة الجرار الصغيرة ما زالت مفتوحة، فقال في نفسه: «عليك أن تنظر لترى ماذا تفعل ولماذا لا تفتح الباب». واقترب لينظر عبر النافذة، لكنه لم يستطع أن يمد رأسه عبر النافذة بسبب لحيته الطويلة، فأدخل لحيته أولاً عبر النافذة الصغيرة. وما أن صارت لحيته كلها داخل الدار حتى جاءت السيدة خميرة وجذبت الجرار بسرعة برباط، فأُغلقت النافذة وعلقت اللحية. أخذ العجوز يصيح بصوت يُرثى له، أنه يتألم جداً ويتوسل إليها أن تحرر لحيته ثانية. وعندها قالت له: «لن أحررها قبل أن تعطيني السلم الذي تتسلقه لتغادر الجبل». وشاء أم أبى في حاله تلك، اضطر أن يدلها إلى مكان السلم. عند ذلك ربطت خيطاً طويلاً إلى شباك النافذة الجرار، ثم سندت السلم وتسلقته خارجة من الجبل، ومن ثم جذبت بالخيط شباك النافذة الجرار.

ذهبت بعد ذلك إلى قصر والدها وأخبرته بما جرى لها. فرح الملك العجوز جداً بعودتها، ولا سيما أن عريسها ما زال حياً يرزق. ثم أمر الملكُ بهدم الجبل حتى وصلوا إلى المغارة وعثروا على العجوز رينك رانك مع كل ذهبه وفضته، فأمر الملك بقتله، وأخذَ ذهبه وفضته. أما الأميرة خميرة فتزوجت عريسها السابق وعاشا معاً في سعادة وهناء.

Twitter: @ketab_n

(١٩٨)

كرة الكريستال

في قديم الزمان كان لساحرة ثلاثة أبناء يحبّون بعضهم محبة أخوية، لكن العجوز لم تكن تثق بهم، وتظن أنهم ينوون سرقة قدرتها السحرية. لذلك سحرت كبيرهم وحولته إلى نسر، يسكن على جبل صخري، ويشاهد في السماء أحياناً، وهو يحوّم في دوائر كبيرة، صاعدة تارة وهابطة تارة أخرى. وحوّلت أوسطهم إلى حوت كبير يسكن أعماق البحر، ويشاهَد أحياناً وهو يقذف في الهواء نافورة عالية من الماء. وكان مسموحاً لكل منهما باستعادة هيئته البشرية لمدة ساعتين فقط يومياً.

أما أصغرهم الذي خشي أن تحوله أمه إلى حيوان مفترس، كدب أو ذئب مثلاً، فقد هرب من الدار خفية، بعد أن سمع أن في قصر الشمس الذهبية تجلس أميرة مسحورة بانتظار مَن يخلصها ويحررها. وقد جازف كثير من الشباب بحياتهم من أجلها حتى بلغ عددهم ثلاثة وعشرين شاباً، كانت خاتمتهم وخيمة، ومن ثم لم يعد يجرؤ أحد على التقدّم. وبما أن قلب الأخ الصغير لم يكن يعزف الخوف، فقد حسم أمره وقرر البحث عن قصر الشمس الذهبية.

جال طويلاً هنا وهناك، ولم يتمكن من العثور عليه، إلى أن وجد نفسه ذات يوم في غابة شاسعة، لم يعرف درب الخروج منها. وفجأة شاهد على مسافة منه عملاقين يشيران له بيديهما كي يقترب، وعندما وصل إليهما، قالا له: «إننا نتنازع حول قبعة، مَن منا يحق له امتلاكها. وبما أننا كلانا على نفس الدرجة من القوة، فلا مجال لأحدنا أن يتغلب على الآخر. أنتم البشر الصغار أكثر منا ذكاءً،

Twitter: @ketab_n

لذلك سنترك حسم الأمر لك أنت». فسألهما الشاب: «وهل هذه القبعة العتيقة تستحق النزاع؟» فأجابه أحدهما: «أنت تجهل خواصها. إنها قبعة الأماني، مَن يلبسها ويتمنى الذهاب حيثما شاء، يجد نفسه هناك فوراً». فقال لهما الشاب: «إليّ بالقبعة، سأمشي مسافة، وعندما أهتف لكما تتسابقان نحوي، والأول يفوز بالقبعة». وضع القبعة على رأسه ومشى، بيد أنه كان مشغول البال بالأميرة المسحورة، فنسي أمر العملاقين وتابع طريقه دون توقف إلى أن زفر أخيراً من أعماق قلبه قائلاً: «ليتني الآن في قصر الشمس الذهبية!» وما أن فارقت الكلمات شفتيه حتى وجد نفسه على جبل شامخ أمام بوابة القصر.

دخل الشاب القصر وجال عبر جميع غرفه إلى أن وجد الأميرة في الغرفة الأخيرة. ولكن عندما وقع نظره عليها ارتاع، فقد كانت بشرة وجهها رمادية اللون ومليئة بالتجاعيد، وعيناها مطفأتين وشعرها أحمر مشعث. فسألها مستغرباً: «هل أنت الأميرة التي يمتدح العالم كله جمالها؟» فأجابته: «آخ، هذه ليست هيئتي الحقيقية. عيون البشر لا تستطيع أن ترى سوى قبحي. ولكن لكي تراني على حقيقتي انظر في المرآة التي لا تضلل ولا تكذب». وناولته المرآة، فرأى فيها انعكاس صورة أجمل صبية في الدنيا كلها، ورأى عينيها تذرفان الدمع على وجنتيها حزناً. فسألها: «ما هو السبيل إلى تخليصك من السحر؟ أنا لا أهاب الخطر». فأجابته: «مَن يحصل على كرة الكريستال ويضعها أمام عيني الساحر، فإنه يكسر بذلك سلطته، فأستعيد أنا صورتي الحقيقية»، وصمتت برهة ثم أردفت: «لقد واجه كثيرون الموت في سبيل ذلك وقضوا. وأنت ما زلت فتياً، إني أشفق عليك من الأخطار الكبيرة التي ستواجهها». فقال الشاب: «لن يمنعني شيء عن مرادي. ولكن أرشديني إلى ما عليّ فعله». فقالت الأميرة: «يجب أن تُحيط علماً بكل شيء: عندما تهبط هذا الجبل الذي ينتصب القصر أعلاه، ستجد في السفح عند النبع ثوراً برياً ضخماً، عليك أن تصارعه. إذا تمكنت من قتله سينهض من جثته طائر ناري يحمل في جسمه بيضة متوهجة، وفي داخل هذه البيضة توجد كرة الكريستال بمنزلة صغارها. والطائر لن يُسقط البيضة إلا إذا أُجبر

Twitter: @ketab_n

علـى ذلك. ولكن إنْ سقطت على الأرض فإنهـا ستشتعل وتحرق كل ما حولها، وتذوب البيضة نفسها، ومعها كرة الكريستال، فيضيع كل جهدك هباء».

هبـط الشاب الجبل إلـى النبع حيث وجـد الثور البري الذي جـأر في وجهه بخوار مخيف. ولكن بعد مصارعة رهيبة تمكن الشاب من إغماد سيفه في جسد الثـور فخر أرضاً. وفي اللحظة نفسهـا نهض منه الطائر الناري ليحلق مغادراً، بيد أن النسر، شقيق الشاب، الذي كان لحظتها محلقاً بين الغيوم، انقض عليه وطارده باتجاه البحر وضربه بمنقاره ضربةً اضطرت الطائر الناري إلى إسقاط البيضة. إلا أنهـا لم تسقط في البحـر، بل على كوخ صيادٍ سمك علـى الشاطئ، فتصاعد منه الدخان وبدأ يشتعل. عندها ارتفعت أمواج البحر عالياً وتدفقت مندفعة فوق كوخ الصياد فأخمدت النار. كان الشقيق الثاني، الحوت، هو الذي حرك الموج ودفعه عاليـاً. بعد أن انطفأت النار فتش الشاب عـن البيضة بين الركام، ووجدها لحسن حظه. لم تكن قـد ذابت بعد، ولكن نتيجة الابتراد المفاجئ بالماء البارد تشققت قشرتها، فتمكن الشاب بسهولة من إخراج كرة الكريستال منها.

ولمـا ذهب بها الشاب ووضعها أمام عيني الساحـر، قال الأخير: «لقد زالت سلطتـي، وأصبحتَ أنت منذ الآن ملك قصر الشمس الذهبية، وبذلك تستطيع أن تعيـد لأخويك هيئتيهما البشريتين». هرع الشاب إلى الأميرة، ليجدها في غرفتها بكامل، روعتها وبهائها، ففرحا ببعضهما وتبادلا خاتميهما.

Twitter: @ketab_n

(١٩٩)

الآنسة مالين

كان لملكٍ ابنٌ وحيد، تقدم لطلب يد ابنة ملك آخر عظيم النفوذ. كان اسم الأميرة في البلاط الآنسة مالين، وكانت رائعة الجمال. ولأن أباها كان قد خطط لتزويجها برجل آخر، فقد رفض طلب الأمير.

بيد أن قلب الأمير والأميرة كانا متحابين ولا يريدان الابتعاد عن بعضهما، لذلك قالت الآنسة مالين لوالدها: «لا أريد يا أبي ولا أستطيع الزواج برجل آخر». فغضب والدها غضباً شديداً وأمر ببناء برج موحش لا تدخله أشعة الشمس ولا ضوء القمر. وحالما انتهى بناؤه قال لها الملك: «ستقضين في هذا البرج سبع سنوات، وبعدها سآتي لأرى ما إذا كان عنادك قد تحكم».

نُقلت إلى البرج مأكولات ومشروبات تكفي لسبع سنين، ثم سيقت الآنسة مالين ووصيفتها إلى داخله، ثم سُدت الفتحة بالحجارة والملاط، فعُزِلتا داخله عن السماء وعن الأرض، وجلستا لا تعرفان النهار من الليل. غالباً ما كان خطيبها الأمير يجول حول البرج ويناديها باسمها، لكن الأصوات ما كانت لتخترق جدرانه السميكة. فماذا كان بوسعهما أن يفعلا سوى الندب والشكوى، كلٌ على حده؟ وخلال ذلك أخذ الوقت ينصرم، وبناءً على تناقص المأكولات والمشروبات لاحظت الأميرة ووصيفتها أن السنوات السبع قد شارفت على نهايتها، واعتقدتا أن ساعة خلاصهما قد اقتربت. ومع ذلك لم تسمعا ضربة مطرقة، ولم يسقط حجر من جدران البرج. بدا الأمر وكأن والدها الملك قد نسيها. وحينما لم يتبق لديهما سوى القليل من الزاد وتوقعتا ميتةً بائسة، قالت الآنسة مالين: «علينا أن

Twitter: @ketab_n

نبـذل ما تبقى لدينا من قوة لفتح ثغرة في الجدار»، وتناولت سكين الخبز وبدأت تحفر وتنقب ملاط أحد الحجارة، وعندما تتعب تحل وصيفتها محلها.

بعـد عمل طويل ودؤوب تمكنتا من اقتلاع حجر، ثم ثان، وثالث وهلمجرا، وبعد ثلاثـة أيام سقط أول شعاع من النور داخل عتمـة سجنهما. ثم وسّعتا الثغرة وتمكنتا من الإطلال على الخارج. كانت السماء زرقاء، وتسرب إليهما هواء نقي منعش، لكـن المنظر أمامهما كان بائساً مقبضاً: قصـر أبيها كان خراباً، والمدينة والقرى المجـاورة لها على امتداد النظر كانت محترقـة والأرض يباب، ولم يقع نظرهمـا على أي إنسـان. قامتا بنقب حـواف الثغرة وتوسيعها حتـى تمكنتا من الزحف عبرها، فقفزت الوصيفة أولاً ثم الآنسة مالين. ولكن إلى أين تذهبان؟ لقد دمر الأعداء المملكة كلها وطردوا الملك وقتلوا السكان كلهم.

مشـت الفتاتان بحثاً عن بلد آخر، لكنهما لم تجـدا أي مأوى، ولا أي إنسان يعطيهمـا كسـرة خبز. فبلغتـا حداً اضطرتـا معه إلـى إسكات جوعهمـا الفظيع بـأكل نبات القرّاص. وصلتا بعد تجوال طويـل إلى بلد آخـر، فعرضتا نفسيهما كخادمتيـن، إلا أن جميع الأبواب التـي طرقتاها رفضتهما، ولم يُبدِ أحدٌ أي بادرة رحمـة تجاههما. وأخيراً وصلتـا إلى مدينة كبيرة، فتوجهتا إلـى القصر الملكي، ولكـن حتى هناك لم تجدا شغلاً، إلى أن قال الطباخ أخيراً إن بوسعه تشغيلهما في المطبخ لتنظيف المواقد ونقل الرماد.

وصـادف أن الأميـر ابن ملك البـلاد كان خطيب الآنسة ماليـن السابق، وقد اختـار والـده الآن خطيبة أخرى، لكنهـا قبيحة الوجه خبيثـة القلب. وتم تحديد موعد العرس مع وصول العروس، التي لم تسمح لأحد برؤية وجهها، وحجزت نفسها في حجرتها، وكُلِّفت الآنسة مالين بحملِ الطعام والشراب إليها من المطبخ مباشرة. عندما أزِف يـوم ذهاب العروس والعريس إلى الكنيسة للتكليل، خجلت العروس من قبحها، وخشيت إن ظهرت أمام الناس في الطريق أن يسخروا منها ويستهزئـوا بها. فخاطبـت الخادمة، الآنسة مالين، قائلـة: «أنتِ محظوظة جداً،

Twitter: @ketab_n

لقــد التوت قدمي ولن أتمكــن من السير بسهولة في الطريــق إلى الكنيسة. لذلك سترتدين ثوب زفافي وتأخذين مكاني، وفي هذا أكبر درجات الشرف التي يمكن أن تناليهــا». لكن الآنســة مالين رفضت وقالــت: «لا أطلب شرفــاً لا أستحقه». حاولــت العروس غوايتها بالذهب لكنها أبت أيضاً. وأخيراً قالت العروس بحنق: «إذا لم تطيعيني فستفقدين حياتك. لن أحتاج إلا لكلمة واحدة ليسقط رأسك أمام قدميك». فاضطرت الآنسة مالين للانصياع ولبست ثياب العرس البهية وتزينت بالجواهر التابعة لها.

وعندما ظهرت في القاعة الملكية ذُهل الجميع من روعة جمالها. وقال الملك لابنــه: «هذه هي العروس التي اخترتها لك والتي ستقودها أنت إلى الكنيسة». أما العريســ فقــد اندهش وقال في نفســه: «إنها تشبه حبيبتي الآنســة مالين، بل أكاد أعتقد أنها هي نفسها، لولا أن حبيبتي على الأرجح قد ماتت في البرج بعد سجنها الطويل». وأمسك بيدها وقادها إلى الكنيسة. كانت هناك على الطريق نبتة قرّاص، فخاطبتها الآنسة مالين قائلة:

«يا شجيرة القراص الصغيرة،

ما بالك تقفين هنا وحيدة؟

مرّت بي أيامٌ أكلتُكِ فيها

بلا ملح، ونيئة بلا طبخ».

فسألهــا الأميــر: «ماذا قلتِ؟» فأجابتــه: «لا شيء، فقد خطــرت ببالي الآنسة مالين». فاستغرب الأمير معرفتها بها، لكنه لم يعلّق على كلامها. ولما وصلا إلى الجسر المؤدي إلى الكنيسة، قالت الآنسة مالين:

«يا جسر الكنيسة لا تنكسر،

Twitter: @ketab_n

فأنا لست العروس الحقيقية».

فسألها الأمير ثانية: «ماذا قلت؟» فأجابته: «لا شيء، كنت أفكر بالآنسة مالين». فسألها: «أتعرفين الآنسة مالين؟» فقالت: «لا، كيف لي أن أعرفها؟ سمعت بها فقط». وعندما وصلا إلى باب الكنيسة، خاطبته قائلة:

«يا باب الكنيسة لا تنكسر،

فأنا لست العروس الحقيقية».

فكرر الأمير سؤالها: «ماذا قلت؟ فأجابته: «أخ، كنت فقط أفكر بالآنسة مالين». وعندما دخلا أخرج الأمير عقداً ثميناً أحاط به جيدها وعلّق حلقتي القفل ببعضهما. عند المذبح وضع الخوري يديهما في بعضهما وعقد قرانهما، ومن ثم قادها الأمير على الطريق عائدين إلى القصر، فلم تنبس بكلمة طوال الطريق. وحالما وصلا أسرعت الآنسة مالين إلى حجرة العروس وخلعت الثياب البهية والزينة، وارتدت مئزرها الرمادي، لكنها أبقت على العقد الذي ألبسها إياه العريس في جيدها.

عند هبوط الليل اقتيدت العروس إلى غرفة العريس، والمنديل ما زال يغطي وجهها، كيلا يلاحظ الخديعة. وبعد أن غادر الجميع الغرفة سواهما، قال لها العريس: «ما الذي قلتِه لشجيرة القراص على الطريق؟» فسألته بدورها: «أي شجيرة قراص؟ أنا لم أتكلم مع أيٍ من شجيرات القراص». فقال لها: «إنْ لم تكوني أنتِ من كلمها، فأنتِ لست العروس الحقيقية»، فتداركت الموقف وقالت له: «سأخرج إلى خادمتي التي تقرأ أفكاري». خرجت وصرخت في وجه الآنسة مالين قائلة: «أيتها الحقيرة، ماذا قلت لشجيرة القريص؟» فأجابتها: «لا أكثر من:

«يا شجيرة القريص الصغيرة،

ما بالك تقفين هنا وحيدة؟

Twitter: @ketab_n

مرَّت بي أيامٌ أكلتُكِ فيها

بلا ملح، ونيئة بلا طبخ».

رجعت العروس إلى الغرفة وقالت للعريس: «الآن تذكرت ما قلته لشجيرة القراص» وكررت الكلمات التي سمعتها للتو. فسألها العريس: «وماذا قلت لجسر الكنيسة عندما عبرناه؟» فتساءلت: «لجسر الكنيسة؟ أنا لا أتكلم مع جسور كنائس» فقال لها: «إذن أنتِ لست العروس الحقيقية»، فتداركت الموقف ثانية وقالت له: «سأخرج إلى خادمتي التي تقرأ أفكاري». خرجت وصرخت في وجه الآنسة مالين قائلة: «أيتها الحقيرة، ماذا قلت لجسر الكنيسة؟» فأجابتها: «لا أكثر من:

«يا جسر الكنيسة لا تنكسر،

فأنا لست العروس الحقيقية».

فعاودت الصياح في وجهها: «هذا سيكلفك حياتك»، وأسرعت عائدة إلى الغرفة وقالت للعريس: «الآن تذكرت ما قلته لجسر الكنيسة»، وكررت الكلمات. فسألها العريس: «وماذا قلت لباب الكنيسة؟» فتساءلت: «لباب الكنيسة؟ أنا لا أتكلم مع أبواب الكنائس». فقال لها: «إذن أنت لست العروس الحقيقية» فخرجت وصرخت في وجه الآنسة مالين قائلة: «أيتها الحقيرة، ماذا قلت لباب الكنيسة؟» فأجابتها: لا أكثر من:

«يا باب الكنيسة لا تنكسر،

فأنا لست العروس الحقيقية».

فعاودت الصياح في وجهها: «هذا سيؤدي إلى قطع رقبتك» وهاج غضبها، وأسرعت عائدة إلى غرفة العريس وقالت له: «الآن تذكرت ما قلته لباب الكنيسة»،

Twitter: @ketab_n

وكررت الكلمات، فسألها العريس: «ولكن أين العقد الذي قدمته لك عند باب الكنيسة؟» فسألته: «أي عقد؟ أنت لم تقدم لي أي عقد». فقال لها: «بل وضعته بيدي حول جيدك وعلّقت حلقتي القفل ببعضهما. إنْ كنتِ لا تذكرين ذلك، فأنت لست العروس الحقيقية». ورفع المنديل عن وجهها، وما أن وقع نظره على قبحها المريع حتى قفز فزعاً وصاح: «كيف جئت إلى هنا؟ من أنت؟» فأجابته: «أنا العروس التي خطبها لك أبوك. ولأنني خشيت من سخرية الناس إذ رأوني في الطريق، أمرتُ خادمة المواقد أن تلبس ثيابي وتأخذ مكاني في الذهاب إلى الكنيسة». فسألها: «وأين الفتاة الآن؟ اذهبي واحضريها إلى هنا! أريد أن أراها». خرجت العروس وأخبرت الخدم بأن خادمة المواقد محتالة، وأن عليهم إحضارها إلى الفناء وقطع رأسها. فأمسك الخدم بالآنسة مالين ليجرّوها إلى الفناء، لكنها صاحت بأعلى صوتها طالبة النجدة، حتى سمع الأمير صوتها من غرفته، فهرع وأمرهم بترك الفتاة فوراً. ومن ثم أُحضرت المشاعل فرأى العقد الذهبي الذي وضعه حول جيدها عند باب الكنيسة، فقال لها: «أنت العروس الحقيقية التي دخلت معي إلى الكنيسة، فتعالي معي إلى غرفتي». ولما صارا وحدهما قال لها: «على الطريق إلى الكنيسة ذكرتِ الآنسة مالين التي كانت خطيبتي، وإذا تخيلتُ أن يكون الأمرُ محتملاً، لاعتقدتُ بأنها ماثلةٌ أمامي الآن، فأنت تشبهينها في كل شيء». فقالت له: «أنا الآنسة مالين التي سُجنت سبعَ سنواتٍ في العتمة من أجلك، وعانت الجوع والعطش، وعاشت أياماً طويلة في الحاجة والفقر. والآن هاهي الشمس تضيئني مجدداً. فلقد تكلّلنا في الكنيسة معاً وأنا زوجتك الشرعية». فتبادلا القبل وعاشا معاً في سعادة طوال عمرهما. أما العروس المزيفة فكانت عقوبتها قطع رأسها.

والبرج الذي جلست فيه الآنسة مالين طويلاً فقد بقي قائماً، وكلما كان الأطفال يمرون بجواره كانوا يغنون:

«دينغ دونغ يا أولاد،

Twitter: @ketab_n

من كان أسير البرج والأحقاد؟

في البرج سُجنت أميرة،

نستطيع أن نتخيلها حزينة كسيرة.

الجدران صلدة تقاوم المعاول،

وحجارتها راسخةٌ، فلا تحاول.

خذْ سترتك يا هانس

والحق بي لتفوز بالماس».

Twitter: @ketab_n

(٢٠٠)

جزمة من جلد الجاموس

ذات يـوم في قديم الزمان سُرح من الجيش جندي لا يخاف من أي شيء، ولا يهتـم بأي شيء. وبمـا أنه لم يتعلم أي مهنة ليكسب منهـا رزقه، فقد أخذ يتجول متسولاً بعض القروش من الناس الطيبين. وسوى ثيابه التي يرتديها، لم يتبق له غير واقي مطرٍ عتيق وجزمةٍ طويلة من جلد الجاموس.

مشى ذات يوم بشكل مستقيم عبر الحقول، غير آبهٍ أو جسر، إلى أن دخل غابة لا يعرفهـا. رأى علـى جذع شجرة مقطوع، رجلاً حسن الثيـاب والهيئة جالساً، وكان يرتدي سترة صيادين خضراء. مد له الجندي يده مصافحاً وجلس إلى جانبه علـى العشب ومدد ساقيه، ثم قال لـه: «أراك ترتدي جزمة فاخرة ملمعة بالشمع. ولكـن إذا كنت مضطراً إلـى التجوّل مثلي، فجزمتك هذه لن تحتمل طويلاً. انظر إلـى جزمتـي، إنها من جلـد الجاموس وقـد خدمتني طويلاً فـي كل الظروف». بعـد برهة نهض الجندي قائـلاً: «لا أستطيع أن أطيل البقـاء، فالجوع يدفعني إلى الأمام. ولكن يا أخي (أبو جزمة ملمعة) إلى أين طريقك؟» فأجابه الصياد: «لست أدري، فقد دخلت الغابة وضعت فيها». فأجابه الجندي: «حالك من حالي إذن، والطيـور على أشكالها تقع. فلنبـق معاً بحثاً عن طريق الخـروج». ابتسم الصياد ابتسامة خفيفة ومشيا معاً وباستمرار إلى أن هبط الليل، فقال الجندي: «لن نخرج مـن الغابة اليوم، لكني أرى هناك نوراً يومض، وهناك سنجد لا شك شيئاً نأكله». وجـدا بيتاً حجرياً، فقرعا البـاب، وفتحت لهما امرأة عجـوز. قال لها الجندي: «إننـا نبحث عن مـأوى لنبات فيه الليلة، وعن لقمة نسد بهـا جوعنا، فبطني خاوٍ

Twitter: @ketab_n

مثل جراب جندي عتيق». فقالت العجوز: «لا يمكنكما البقاء هنا، فهذا وكر لصوص. وأفضل ما تفعلانه هو أن تبتعدا من هنا، قبل أن يعودوا ويجدونكما فتضيعان». فقال لها الجندي: «لن يكون الأمر بهذا السوء، فأنا لم آكل لقمة منذ يومين. بالنسبة إليّ الأمر سيّان، إنْ متُّ هنا أو في الغابة لا فرق، لذلك سأدخل». لم يرغب الصياد أن يتبعه، لكن الجندي جذبه من كمّه قائلاً: «تعال يا صاحبي، لن نموت فوراً». أشفقت العجوز عليهما فقالت لهما: «اختبئا وراء الموقد. إذا تركوا شيئاً من الطعام وناموا، فسأقدمه لكما في مكانكما».

ما كادا يجلسان في الزاوية حتى اندفع اثنا عشر لصاً داخلين، جلسوا إلى الطاولة الممدودة، وطالبوا بطعامهم بغلظة شديدة. أدخلت العجوز كمية كبيرة من اللحم المشوي، استمتع بها اللصوص. ولكن عندما وصلت رائحة الشواء إلى أنف الجندي، قال للصياد: «لم أعد أحتمل، سأجلس معهم إلى المائدة وآكل»، فأجابه: «ستودي بحياتنا يا رجل»، وأمسك به من كمه، بيد أن الجندي أخذ يسعل بصوت عال.

عندما سمع اللصوص السعال، رموا من أيديهم السكاكين والشوكات، وقفزوا عن كراسيهم واكتشفوا المختبئين وراء الموقد، فقال زعيمهم: «ما هذا أيها السيدان، لماذا تختبئان في الزاوية؟ ماذا تبغيان هنا؟ من أرسلكما للتجسس علينا؟ انتظروا، سنعلمكما الأرجحة من غصن أعجف». فقال الجندي بهدوء: «لنكن مهذبين يا جماعة! أنا جائع، أطعموني أولاً ثم افعلوا بي ما تشاؤون». تردد اللصوص لحظات، ثم قال زعيمهم: «يبدو أنك لست خائفاً، حسناً، ستحصل على الطعام أولاً ثم تموت». فقال الجندي: «سنرى» وجلس إلى المائدة وانقض على الشواء بكل حميّة، ثم قال: «يا أخي (أبو جزمة ملمعة) تعال كلْ، فلا شك أنك جائع مثلي، ولن تذوق في دارك شواءً أفضل من هذا»، لكن الصياد تأبى، واندهش اللصوص من سلوك الجندي فنظروا إليه طويلاً ثم قالوا: «لقد رفع الرجل الكلفة تماماً»، فقال الجندي: «لا بأس بالطعام، لكنه يحتاج إلى مشروب جيد أيضاً، أليس كذلك؟!» كان الزعيم رائق المزاج حينها، فقال للعجوز: «هاتي زجاجة

Twitter: @ketab_n

مـن القبو، ومـن أفضل نوع». انتزع الجنـدي سدادة الزجاجـة فأصدرت صوتاً كرصاصـة، ذهب إلى الصيـاد حاملاً الزجاجة بيده، وقال لـه: «انتبه يا صاحبي، سترى الآن أعجوبة الأعاجيب بأم عينيك: سأرفع الآن نخب القبيلة كلها».

ثم لـوَّح بالزجاجة فـوق رؤوس اللصوصـ، وهتف: «فلتتيبسـوا جميعكم، علـى أن يفتح كل منكم فمه ويرفع يمناه عالياً»، وغبَّ جرعة سخيةً من الزجاجة. مـا كادت الكلمات تغـادر شفتيه حتى تجمـد الجميع في أماكنهـم كالحجارة، بأفـواه مفتوحة وأيدٍ يمنى مرفوعة. فقال الصيـاد للجندي: «أرى أنك تجيد فنوناً أخـرى، ولكن دعنـا نذهب الآن»، فأجابه الجندي: «يـا صاحبي، لم يحن وقت الانسحـاب بعد، لقد هزمنا العدو، ولا بد الآن مـن جمع الغنائم. إنهم ثابتون في أماكنهم فاغري الأفواه مذهولين، إلى أن اسمح لهم بالحركة. تعال كل واشرب». أحضـرت العجـوز زجاجة فاخرة ثانية، ولـم يتوقف الجندي إلا بعـد أن أكل ما يكفي لثلاثة أيام قادمة.

وأخيـراً عندما طلع النهار قال: «حـان الوقت الآن للـمِّ خيامنا والانسحاب، وكيلا يطول طريقنا، فلتدلنا العجوز إلى أقصر الدروب إلى المدينة». عندما وصلا إلى المدينة ذهب الجندي إلى رفاقه القدامى وقال لهم: «لقد عثرت في الغابة على عشٍّ لطيور المشانق وأوقعتهم في الفـخ، فتعالوا معي لننتف ريشهم»، وقادهم الجندي إلى الوكر وهو يقول للصياد: «عليك أن تأتي معنا، لترى كيف سيخفقون بأجنحتهم عندمـا نمسكهم من أرجلهم». صفَّ الجنـدي رفاقه حول اللصوص المتجمديـن، ثـم تناول الزجاجة، وغـبَّ منها جرعة، ثم لوَّح بهـا فوقهم هاتفاً: «فلتحيوا جميعكم!» وفي التو استعادوا ليونتهم، لكن الرفاق رموهم أرضاً وقيدوا أيديهـم وأرجلهم بالحبال. ثم طلب الجنـدي من رفاقه أن يرموهم على عربةٍ مثل أكياسـ الطحين ويقتادوهم إلى سجـن المدينة. أما الصياد فقـد أخذ أحد الرفاق جانباً وكلفه بمهمة إضافية.

قـال الجندي للصياد: «يا أخي (أبو جزمـة ملمعة)، لقد نجحنا في دحر العدو

Twitter: @ketab_n

وأشبعنا بطنينا جيداً، والآن سنسير وراءهم متمهلين بارتياح». وعندما اقتربا من المدينة رأى الجندي حشداً من الناس يندفعون خارجين من بوابة المدينة، وهم يهتفون بفرح ويلوّحون بأغصان خضراء في أيديهم. ثم رأى فرقة الحرس الملكي تتقدم نحوهما، فالتفت إلى الصياد متسائلاً: «ما معنى هذا يا ترى؟» فأجابه الصياد: «ألا تعرف أن الملك كان غائباً لمدة طويلة عن مملكته، وأنه عائد اليوم؟ هاهم خارجون جميعهم لاستقباله». فقال الجندي: «ولكن أين الملك؟ إني لا أراه». فقال الصياد: «إنه أمامك. أنا الملك، وقد أبلغتهم بقدومي»، وفتح سترة الصيد، فتبدت تحتها الثياب الملكية. فزع الجندي ونزل على ركبته طالباً الصفح، لتعامله معه نتيجة جهله كزميلٍ عادي، ولمخاطبته إياه بذاك اللقب. مد الملك يده إليه مصافحاً وهو يقول: «أنتَ جندي شجاع وقد أنقذت حياتي. سوف لن تعاني شدةً بعد الآن، أنا سأهتم بك. وإذا هفَتْ نفسُك ذات يوم إلى شواءٍ لذيذ، كالذي تذوقناه في وكر اللصوص، فتعال إلى المطبخ الملكي. أما إذا رغبتَ برفع نخب فنونك الأخرى، فعليك أن تطلب الإذن مني أولاً».

Twitter: @ketab_n

(٢٠١)

المفتاح الذهبي

فـي فصل الشتـاء، عندما كان ثلج كثيف يغطي كل شـيء، اضطر فتى فقير إلى الخروج لجمع بعض الحطب على زحّافة. وبعد أن تمكن من جمعه وحمله على الزحافـة شعـر ببرد شديد، فلم يرغب في العودة إلى الـدار قبل أن يوقد ناراً ليدفئ أطرافـه قليلاً. جرف الثلج بعيداً عن بقعة في الأرض، ثم بدأ ينظفها من الحجارة، فعثر أثناء ذلك على مفتاح ذهبي صغير.

اعتقـد الفتـى أنه لابد أيضـاً من وجود قفل فـي المكان، مـا دام قد عثر على المفتـاح هنا. أخذ يحفر الأرض حتى عثر على صندوق حديدي صغير، فقال في نفسـه: «لو أن المفتاح يناسب هـذا الصندوق! لا شك أن فيه أشياء ثمينة». فتش، لكنـه لم يعثر على ثقب المفتاح. وبعد تدقيق شديد وجد الثقب، لكنه كان صغيراً جداً، يكاد لا يُرى. جرّب المفتاح، فدخل في الثقب بنجاح، وعندها أداره...

والآن علينا الإنتظار حتى يُكمل دورة المفتاح ويرفع الغطاء بشكل كامل، ومن ثم سوف نعرف ما هي الأشياء العجيبة الموجودة في الصندوق.

Twitter: @ketab_n

(٢٠٢)

اليد ذات السكين

في يوم من الأيام كان لفتاة ثلاثة أخوة يحتلون المنزلة الأولى عند أمهم في كل شيء، في حين كانت تهمل الأم ابنتها وتعنفها باستمرار وتكلفها يومياً صباحاً بأن تخرج لتجمع لها فحم الخُث من المروج المجدبة، إذْ كانوا يستخدمونه في موقد الطبخ والمدفأة. وفوق ذلك كله كانت تزودها أمها بأدوات مثلمة لتنجز بها العمل المنهك.

ولكن كان للفتاة مَن يحبها، وهو عفريتٌ يسكن في تلة صغيرة قرب دار الأم. وكلما مرت الفتاة بالتلة كان العفريت يمد يده من الصخرة وفي قبضته سكين حادة ذات قوة خارقة، تقطع كل شيء، فتأخذها الفتاة وتستخرج بها الفحم بيسر، لتعود إلى الدار بالكمية المطلوبة. وعندما تمر بالتلة تدق على الصخرة مرتين فتخرج اليد لتستعيد منها السكين.

لاحظت الأم أن ابنتها تنجز العمل بسهولة وسرعة، فحكت لأخوتها عن شكّها بأن هناك مَن يساعدَها، وإلا فإن الأمر غير ممكن. تسلل أخوتها في أثرها ورأوها تأخذ السكين السحرية، فلحقوا بها وأخذوا منها السكين بالقوة. ومن ثم عادوا ودقوا على الصخرة مثلما فعلت أختهم. وعندما مد العفريت الطيب يده، قطعوها بسكينه، فسحب العفريت يده المدّماة، ولأنه ظن أن حبيبته قد غدرت به وفعلتها، فقد اختفى منذ ذلك الحين.

Twitter: @ketab_n

(٢٠٣)

القط أبو جزمة

كان هناك طحان عنده ثلاثة أبناء، ويملك طاحوناً وحماراً وقطاً. توزع هؤلاء الأعمال في ما بينهم، فيطحن الأبناء الحبوب التي يجلبها الحمار إلى الطاحون والتي يعاود نقلها إلى الفرن طحيناً. وكان واجب القط أن يلاحق الفئران ويصطادها.

عندما توفي الأب، تقاسم الأبناء الإرث، فأخذ أكبرهم الطاحون وأوسطهم الحمار وأصغرهم القط، إذ لم يتبق له سواه. حزن الصغير لنصيبه وقال في نفسه: «إن حظي من أسوأ الحظوظ، فأخي الكبير يستطيع أن يطحن الحبوب، والأوسط يستطيع أن يركب الحمار، ولكن ماذا أستطيع أن أفعل أنا بالقط؟ هل أطلب من الخياط أن يصنع لي من فروته قفازين للشتاء، وأنتهي من هذه المشكلة؟» فقال له القط الذي فهم أفكار سيده: «استمع إلي، لا حاجة بك لأن تصنع من فروتي قفازين رديئين، بل اصنع لي جزمة، كي أستطيع الظهور بين الناس في صورة لائقة، وعندها سأتمكن من مساعدتك».

تعجب ابن الطحان من كلام القط، ولكن بما أن الحذّاء كان ماراً قرب الطاحون، ناداه ابن الطحان وطلب منه صنعَ جزمةٍ للقط. عندما صارت الجزمة جاهزة لبسها القط وأخذ كيساً ملأه بحبوب الذرة، ثم خاط حول فم الكيس حبلاً، إذا شدّه أُغلق فم الكيس. حمل القط الكيس على كتفه ومشى منتصباً على قدميه كالبشر، وغادر البيت بخطوات سريعة.

Twitter: @ketab_n

في ذلك الزمان كان يحكم البلادَ ملكٌ يحب أكل لحم الحجَل. ونتيجة لكثرة صيده بات الحجل نادر الوجود في البراري، في حين كانت الغابة تزدحم به. لكن حجلان الغابة شديدة الخوف والحذر، لذلك لم يستطع الصيادون الوصول إليها. كان القط يعرف هذا الأمر، ففكر بطريقة أفضل. عندما وصل إلى الغابة فتح الكيس ونثر حبوب الذرة في قعره، ثم مدد الحبل بين الحشائش حتى وصل بنهايته إلى شجرة كثيفة الأغصان، اختبأ وراءها متربصاً بكل هدوء. وسرعان ما أتت الحجلان التي ما كادت ترى حبوب الذرة حتى أخذت تدخل الكيس واحداً بعد الآخر. وحين صار عدد الحجلان في الكيس كافياً، شدّ القط الحبل فانغلق فم الكيس، فرفعه على كتفه واتجه مباشرة نحو قصر الملك. وعندما وصل إلى بوابة القصر، صاح به الحارس: «قف! إلى أين؟» فأجاب القط ببساطة: «إلى الملك». فقال له الحارس: «أمجنون أنت، كيف لقط مثلك أن يدخل إلى الملك؟» فتدخل حارس آخر قائلاً: «دعه يدخل، فقد يتسلى الملك بألاعيبه ويتخلص من الضجر الذي يشعر به غالباً».

ولما مثَل القط أمام الملك انحنى له احتراماً، ثم قال: «إن سيدي الأمير فلان بن فلان، صاحب القصور والسهول والغابات، يهديك السلام يا صاحب الجلالة، ويرسل إليك بعض طيور الحجل التي اصطادها بشبكته منذ فترة وجيزة». أُعجب الملك بالحجلان السمينة الطازجة، ولم يستطع أن يتمالك نفسه من فرط السرور، فأمر بأن يُملأ كيس القط ذهباً، حسب قدرة القط على حمله، ثم قال للقط: «خذْ هذا الذهب إلى سيدك وأبلغه شكرنا الجزيل على هديته».

أما ابن الطحان المسكين فكان جالساً في البيت إلى النافذة، سانداً رأسه على ساعده وهو يفكر بأنه قد أنفق آخر نقوده ثمناً لجزمة القط. فما الذي سيستطيع القط أن يقدمه له لقاء ذلك؟ وعندها دخل القط البيت وأنزل الكيس عن كتفه وفك الحبل، ثم نثر قطع الذهب أمام عيني ابن الطحان قائلاً: «هذا بعض ما سأقدمه لك لقاء الجزمة. وإضافة إلى ذلك فإن الملك يحييك ويشكرك». فرح ابن الطحان بهذه الثروة المفاجئة، بيد أنه لم يفهم تماماً كيف جرت الأمور. أما القط فقد

Twitter: @ketab_n

أخبـره بالقصة كلها وهو يخلع جزمته، ثم قال لـه: «صحيح أن لديك الآن ما يكفي من المال، لكني لن أتوقف عند هذا الحد. غداً سألبس جزمتي ثانية، وسأجعل منك إنساناً ثرياً... وقد قلتُ للملك إنك أمير».

وفي اليـوم الثاني خرج القط إلى الصيد لابساً جزمته، وقدّم للملك غنيمة صيده الجديدة. وهكذا جـرت الأمور في الأيام التالية، وفي كل مرة كان القط يحضر معه إلى البيت ذهباً جديداً. وقد أحبه الملك كثيراً إلى حد أن سمح له بالتجول في القصر بكل حرية، وبأن يدخل ويخرج متى شاء.

ذات يـوم كان القط واقفاً في مطبخ القصر فسمع حـوذي الملك يقول للطباخ: «لعـن الله الملك والأميرة معـاً. إذْ بدلاً من أن أذهب الآن لأرتـاح واستمتع بوقتي، يجـب علي أن أقـود عربة الملك في نزهة إلى البحيرة». حالما سمع القط هذا الخبر أسرع إلى البيت وقال لسيده: «إذا أردتَ أن تصبح أميراً وثرياً، فعليك الآن أن تخرج لتسبـح فـي البحيرة». لم يدرِ ابـن الطحان بماذا يجيب القط، لذلـك اتبع نصيحته، فخلع ثيابه كلها وغطس في مياه البحيرة، في حين جمع القطُ ثيابَ سيده وخبأه. وما كاد ينتهـي من عمله حتى اقتربت عربة الملك والأميرة. وعلى الفور بدأ القط يصيح ويندب ويقول: «أيها الملك الرحيم، لقد نزل سيدي الأمير ليسبح في البحيرة، فجاء لص وسرق ثيابه. سيدي الآن في الماء، وإذا بقي هناك فسيمرض من البرد ويموت».

عندمـا سمع الملـك هذا الكلام أمر الحوذي بالتوقف وأمـر أحد أتباعه بالعودة بسرعـة إلى القصـر ليحضر بعض ثياب الملـك. لبس ابن الطحـان الثياب الفاخرة وتقدم من الملك. وبما أن الملك كان يظن أن هدايا الحجلان قد أتته من هذا الأمير، ولمّا كان شاكراً له صنيعه، فقد طلب منه أن يرافقه وابنته الأميرة في نزهته. أما الأميرة الشابـة فلـم تشعر بأي حـرج من ركوب الأميـر إلى جانبها، بـل أحست بشيء من المودة نحوه، إذ كان شاباً ووسيماً.

وهكـذا انطلقـت العربة، وعلى متنهـا الملك والأميـرة، والأميـر المزعوم. أما القـط فقـد سبق العربةَ إلى مرجٍ كان يعمل فيه أكثر من مئة فلاح، فسألهم: «لمن هذا

Twitter: @ketab_n

المـرج أيها الفلاحون؟» فأجابوه: «إنه للساحر الكبيـر». فقال لهم: «اسمعوا! بعد قليـل سيمـر الملك من هنا في عربته، فإذا سألكم عن صاحـب المرج، قولوا له: إنه للأميـر. وإن لم تفعلوا فستندمون. هل فهمتم؟» وتابـع طريقه حتى وصل إلى حقل ذرة كبيـر واسع الأرجـاء إلى درجة أن العين لا ترى حـدوده، وكان في الحقل أكثر مـن مئتي فلاح يعملون. فسأل القط أحدهم: «لمـن حقل الذرة هذا؟» فأجابه: «إنه للساحـر الكبير». فقال له: «اسمع، واخبر زملاءك الفلاحين! بعد قليل سيمر الملك من هنا في عربته، فإذا سألكم عن صاحب الحقل، قولوا له: إنه للأمير. وإن لم تفعلوا فستندمـون! هل فهمت؟» وأخيـراً وصل القط إلى غابة شاسعـة، كان فيها أكثر من ثلاثمئـة رجل يعملون في قطع الأشجار وتحويل الخشب إلى حطب للتدفئة، فسأل مجموعـة منهم: «لمن هذه الغابة أيها الحطابون؟» فأجابوه: «إنها للساحر الكبير». فقـال لهم: «اسمعوا وأخبروا زملاءكم الحطابين! بعد قليل سيجر الملك من هنا في عربته، فإذا سألكم عن صاحب الغابة قولوا له: إنها للأمير. وإن لم تفعلوا فستندمون! هل فهمتم؟» وتابع القط طريقه.

أما الفلاح والحطابون فقد كانـوا يلاحقون القط بنظراتهم حتى يغيب. ولمّا بدا لهم منظـره وكلامه غريباً عجيباً، ويمشي بالجزمة كالبشر، فقد خافوا منه. بعد فترة قصيـرة وصل القط إلى قصر الساحر الكبير، فدخل ووقف بجرأة أمام الساحر الذي نظر إليه باحتقار، ثم سأله عن مراده من هذه الزيارة. انحنى القط انحناءة كبيرة تعبيراً عـن احترامه للساحر الكبير، ثم قال له: «سمعت أيها الساحر العظيم أن باستطاعتك أن تحـول نفسـك، حسب رغبتك، إلـى أي حيوان كان. إني أصـدق أن بإمكانك تحويـل نفسك إلى كلب أو ذئـب أو ثعلب مثلاً، ولكن يبدو لي مـن المستحيل أن تتحول إلى فيل ضخم. لهذا جئت لأتأكد من قدراتك بنفسي، أيها الساحر العظيم». فقـال الساحز بفخر: «هذا الأمر فـي غاية البساطة بالنسبة إلي»، وتحول في اللحظة نفسهـا إلى فيل ضخم. «يا للهول»، قال القـط وتابع: «وهل يمكنك أن تتحول إلى نمـر؟» فأجاب الساحر: «وهـذا أيضاً سهل»، وانقلب فجأة إلـى نمر. تظاهر القط بالرعـب وصـاح: «هذا أمر لا يصـدق، أمر خـارق. مثل هذا لا يحـدث حتى في

Twitter: @ketab_n

الأحــلام. ولكن أقصى درجات الروعة هي إذا استطعت بالعكس، أن تحول نفسك إلـى حيوان صغير، كالفـأر مثلاً. صحيح أن قدرتك أعظم من قـدرة أي ساحر آخر فـي العالم، لكنـي أعتقد أن مسألة الفأر هـذه مستحيلة تماماً. شعـر الساحر بالزهو والسـرور لكلمات القط، فقال له بلطف: «طبعاً أيها القـط الصغير العزيز، بإمكاني أن أفعـل هـذا»، وانقلب من فوره إلى فأر صغير وأخذ يتقافـز في الغرفة هنا وهناك، فانقض عليه القط بوثبة واحدة والتهمه.

أمـا الملك فقد تابع نزهته مع الأميرة والأمير المزعـوم، حتى وصلت العربة إلى المـرج الفسيح، فسأل الفلاحيـن: «لمن هذا المرج؟» فأجـاب الفلاحون بصوت واحـد: «إنـه لسمو الأميـر». وكان ذلك طبعاً بنـاء على أمر القـط العجيب. التفت الملـك إلى الأميـر وقال له: «أرضك كبيرة وجميلة أيهـا الأمير». بعد ذلك وصلت عربـة الملك إلى حقل الذرة، فسأل الملك ثانية: «لمن هذا الحقل الواسع؟» فأجابه الفلاحـون: «إنه لسمو الأمير». فقـال الملك: «حقولك واسعة حقـاً أيها الأمير». وفـي الغابة الشاسعة أيضاً سأل الملك الحطابين: «لمن كل هذه الأخشاب؟» فجاءه الجـواب: «إنها لسمـو الأمير». ازداد الملك إعجاباً بكل ما رأتـه عيناه أثناء نزهته، فقال للأمير المزعوم: «لا بد أنك رجل بالغ الثراء أيها الأمير. لا أعتقد أني أملك مثل هذه الغابة الرائعة».

وفي نهاية المطاف وصلت العربة بركابها إلى قصر الساحر، وعندما توقفت أمام البوابـة قفز القط وفتحها، ثم قال: «يا صاحب الجلالـة، إنك الآن أمام قصر سيدي الأميـر الذي لن ينسـى طوال حياته تفضلكـم مع سمو الأميرة بزيارتـه في قصره». فترجـل الملك من العربة والعجب يملؤه من ضخامة وروعة البناء الذي كاد يضاهي قصره الملكي فخامة وجمالاً. أما الأمير فقد رافق الأميرة إلى القاعة التي كانت تشع من كثرة الذهب والأحجار الكريمة التي تزين كل أطرافها.

وفي هذه القاعة عقد قران الأمير على الأميرة. وعندما توفي والدها الملك، صار الأمير ملكاً. أما القط أبو جزمة فقد تولى منصب الوزير الأول.

Twitter: @ketab_n

(٢٠٤)

هانس الأبلَه

في قديم الزمان كان هناك ملك يعيش وابنته الوحيدة حياة سعيدة. ولكن فجأة حملـت الأميرة وأنجبت طفلاً، ولم يعرف أحد مَن هو والده. احتار والد الأميرة طويـلاً حول ما عليه أن يفعله، إلـى أن أصدر أخيراً أمراً يقضي بأن على الأميرة أن تذهـب إلى الكنيسة حاملـةً الطفل، وأن يوضع في يد الطفـل ليمونة. والشخص الذي يعطيـه الطفلُ الليمونةَ يصبـح والداً للطفل وزوجاً للأميـرة. وقد تم ترتيب الأمر بحيث لم يُسمح بالدخول إلى الكنيسة يومها إلا للشباب الجميلي الهيئة.

وفـي المدينة كان يعيش شاب قصير القامة، أعوج المشية، ذو حدبة، وينقصه كثيـر من الذكاء، لذلك لُقب بهانس الأبله. تمكن هانـس الأبله من أن يتسلل إلى الكنيسـة بين المزدحمين، دون أن يـراه أحد. وعندما كان على الطفل أن يمد يده بالليمونـة، تلقفها منه هانس الأبله. ارتعبت الأميرة، وكاد الملك ينفجر حنقاً إلى درجة أن وضعها مع ابنها وهانس الأبله في عوامةٍ وأمر بدفعها في البحر، وسرعان ما ابتعدت العوامة من نفسها عن الشاطئ.

وعندمـا باتـوا وحيدين تماماً أخـذت الأميرة تندب حظها قائلـة: «أنت أيها الأحـدب البشـع الطويل الأنـف، أنت المسـؤول عن مصيبتي. مـا الذي دفعك للدخـول إلى الكنيسة؟ فالطفـل لا يهمك في شيء!» فأجابهـا هانس الأبله: «بل يهمني إلى حد ما، فقد تمنيتُ ذات يوم أن تُنجبي أنتِ طفلاً. وما أتمناه يتحقق». فقالـت له الأميرة: «إنْ كان ما تقوله صحيحاً، فتمنى لنا بعض الطعام لنأكله هنا». فقال لها هانس الأبله: «بوسعي ذلك»، وتمنى صحناً متخماً تماماً بالبطاطا. كان

Twitter: @ketab_n

بـود الأميرة أن تأكل شيئاً أفضل، لكن جوعها الشديـد جعلها تشاركه في القضاء على محتويات الصحن. وبعـد أن شبعا قال هانس الأبله: «سأتمنى لنا الآن سفينة جميلة!» وما أن نطق الكلمات، حتى وجدوا أنفسهم في سفينة فخمة فارهة، كل مـا يحتاجه الإنسان متوفر على متنهـا وبوفرة. قاد الربـان السفينة نحو الشاطئ، وعندما ترجلوا قـال هانس الأبله: «والآن فلينتصب قصـرٌ هنا!» فانتصب القصر فجـأة أمامهم، وجاءهم خدمٌ في ثياب مذهبة وقـادوا الأميرة والطفل إلى داخله. وحالما صـاروا وسط الصالة الكبرى قال هانس الأبلـه: «أتمنى نفسي الآن أميراً شاباً ووسيماً وذكياً!» وفجأة اختفت حدبته وجلَس ظهره وكذلك مشيته، ووقف أمام الأميرة شاباً وسيماً ولطيفاً أيضاً، نال إعجاب الأميرة وصار زوجها.

وقـد أمضيا مدة طويلة معاً في سعادة مشتركة. وذات يوم غادر الملك العجوز قصره على جواده في جولة، فضَّل الطريق ووصل إلى قصر هانس الأبله، فاستغرب وجـوده، لأنه لم يره سابقاً قط، ودخل. تعرفـت الأميرة والدها فوراً، في حين أنه لـم يتعرفهـا لظنه أن البحر قـد ابتلعها منذ زمـن. استضافته الأميـرة بحفاوة بالغة وكريمـة، وعندما أراد العـودة إلى دياره دسَّت في جيبه خفيـةً قدحاً ذهبياً. وبعد أن قطع مسافة من الطريق أرسلت بعض الفرسان في إثره، ليوقفوه ويفتشوه خشية أن يكـون قد سـرق قدحاً ذهبياً. ولما وجـدوه في جيبه، اقتـادوه معهم عائدين. أقسـم الملك للأميرة أنه لم يسرقه وأنه لا يعرف كيف وصل إلى جيبه، فقالت له: «لهـذا، يجب على الإنسـان ألا يدين الآخر فوراً»، وكشفت لـه عن شخصيتها. ففـرح الملك العجوز، وعاشوا معاً في سعادة وهناء، وبعد وفاة الملك الأب صار هانس المغفل ملكاً.

Twitter: @ketab_n

(٢٠٥)

ذو اللحية الزرقاء

فـي قديم الزمان عاش رجل في غابة مع أبنائه الثلاثة وابنته الجميلة. وذات يوم جاءت إلى المكان عربة ذهبية تجرها ستة جياد، ويرافقها عدد من الخدم. توقفت العربـة أمام باب الـدار وترجل منها ملكٌ، طلب من الرجـل أن يزوجه ابنته. فرح الرجـل بأن تنال ابنته مثل هذا الحظ، فوافق فوراً، لا سيما أن الخاطب لم يكن فيه ما يعاب، سوى لحيته الزرقاء، التي تصيب المرء بالقشعريرة كلما نظر إليها.

في البداية أرعب منظرُ اللحية الفتاةَ أيضاً، ولم ترغب في الزواج به، إلا أن إقناع أبيهـا لها أدى أخيراً إلى موافقتها. ولكن لأنها كانت تشعر في داخلها بخوف ما، فقـد ذهبت أولاً إلى إخوتها الثلاثة وقالت لهم: «يا إخوتي الأحبة، إذا سمعتموني أصـرخ، فأنجدوني، دعوا كل شـيء وراءكم وتعالوا لإنقـاذي». وعدها إخوتها الشباب بذلـك وقبّلوها قائلين: «وداعـاً يا أختنا الحبيبة، حالمـا نسمع صوتك، سنهـرع إليك علـى جيادنا». ثم جلست إلى جانب ذي اللحيـة الزرقاء في العربة التي حملتهما بعيداً.

عندمـا وصلت إلى قصره وجـدت كل شيء رائعاً، فكل ما تتمناه الملكة يُلبى، وعاشـا معـاً حياة سعيدة، بيد أنها لـم تستطع أن تُعوِّد نفسها علـى لحيته الزرقاء، فكانـت ترتعش داخلياً كلمـا رأته. بعد مضي مـدة من الزمن علـى هذه الحال، قـال لها الملك: «أنا مضطر إلى القيام برحلة طويلـة. إليكِ جميع مفاتيح القصر، بإمكانـك فتح الباب الذي تشائين ورؤية كل شيء، سوى الحجرة التي يفتحُ بابَها هـذا المفتـاحُ الذهبي الصغيـر، فإني أنهاكِ عنهـا. إنْ فتحتِهـا ضاعت حياتك». أخذت منه المفاتيح ووعدته بالطاعة.

Twitter: @ketab_n

وبعد أن سافر أخذت تفتح الأبواب، الواحد تلو الآخر، وشاهدت وراءها من الكنوز والبدائع ما دفعها للاعتقاد بأنها قد جُمعت من أطراف العالم كله في هذا المكان. ولم يتبق أمامها الآن سوى الحجرة المحظورة. كان مفتاحها ذهبياً، فظنت أن ما وراء بابها هو الأكثر روعة وبهاء؛ فثار فضولها وأخذ يؤرِّقها إلى حدٍ أنْ تمنّت لو أنها ترَ ما في الغرف الأخرى جميعها، لقاء أن ترى ما وراء هذا الباب. قاومت الفضول الحارق مدة من الزمن، لكنه هزمها أخيراً، فأخذت المفتاح واتجهت إلى الحجرة، وهي تقول لنفسها: «من سيراني إنْ فتحتُها؟ ثم إني سألقي نظرة فحسب». وفتحتها، فتدفق نحوها سيلٌ من الدماء، ورأت نساءً مقتولات معلقاتٍ على الجدران، ومن بعضهن لم يتبق سوى هياكل عظيمة، فذُعرت إلى درجة أن صفقت الباب فوراً فأغلقته، لكن المفتاح قفز نتيجة ذلك من الثقب وسقط في الدم. رفعته بسرعة وحاولت أن تمسح عنه آثار الدم، ولكن بلا جدوى، إذْ ما كانت تنتهي من مسحه عن وجهٍ حتى يظهر مجدداً على الوجه الثاني. جلست طوال النهار وهي تفرك المفتاح بجميع الوسائل المتاحة، من دون أن تحقق شيئاً، وأخيراً وضعت المفتاح بين التبن عسى أن يمتص التبنُ الدمَ أثناء الليل. في اليوم التالي رجع ذو اللحية الزرقاء من رحلته، وكان أول ما فعله هو مطالبتها بالمفاتيح، فخفق قلبها بشدة. أحضرت المفاتيح الأخرى آملةً أن لا يلاحظ نقصَ المفتاح الذهبي. لكنه عدّها واحداً واحداً، وحالما انتهى، سألها: «أين مفتاح الحجرة السرية؟» وهو يحدق في وجهها الذي توهج احمراراً عندما أجابته: «إنه فوق، لقد غيرتُ مكانه، غداً سأبحث عنه»، فقال لها: «بل اصعدي الآن يا زوجتي الحبيبة، لأني سأحتاج إليه اليوم». فقالت: «أخ، كنت أريد أن أخبرك أني أضعته في التبن، لذلك لابد أن أفتش عنه»، فأجابها: «أنتِ لم تضيّعيه، بل وضعته هناك ليمتص التبن بقع الدم. لقد تجاوزتِ أمري ودخلتِ الحجرة، لذلك ستدخلينها الآن وإنْ لم ترغبي في ذلك». وكان عليها أن تحضر المفتاحَ الذهبي الذي ما زال ملطخاً ببقع الدم، فقال لها ذو اللحية الزرقاء: «استعدي للموت، لأني سأقتلك الآن» واستل سيفه وقادها إلى ردهة المدخل. فقالت له: «دعني أصلي قبل أن أموت»، فقال: «إذاً اذهبي، ولكن أسرعي، فلا وقت لدي للانتظار طويلاً».

Twitter: @ketab_n

فهرعت صاعدة الدرج إلى الطابق الثاني وأخذت تصرخ من النافذة بأعلى صوتها: «يا إخوتي يا إخوتي الأحبة تعالوا إلي، أنقذوني!» كان إخوتها الثلاثة يجلسون في الغابة يحتسون نبيذاً بارداً، وفجأة قال أصغرهم: «أشعر وكأني قد سمعت صوت أختنا، انهضوا هيا! يجب أن نسرع لإنقاذها».

قفزوا على جيادهم وانطلقوا مثل ريح عاصفة. وبينما كانت أختهم راكعةً وقد دهمها الخوف، ناداها ذو اللحية الزرقاء من تحت: «ألم تنتهي بعد؟» وسمعت مع ندائه صوتَ شحذِه سيفه على الدرجة السفلى. نظرت من النافذة، لكنها لم تر سوى موجة غبار متصاعدة وبعيدة، وكأن قطيعاً هائجاً يقترب. فصرخت ثانية: «يا إخوتي، يا إخوتي الأحبة تعالوا إلي، أنقذوني!» وأخذ خوفها يكبر ويكبر. أما اللحية الزرقاء فقد ناداها ثانية: «إذا لم تنزلي الآن، فسآتي لأحضرك بنفسي، فسيفي قد شُحذ!» نظرت من النافذة ثانية فرأت إخوتها الثلاثة على جيادهم مسرعين نحوها يسابقون الطير، فصرخت لثالث مرة: «يا إخوتي، يا إخوتي الأحبة تعالوا إلي، أنقذوني!» وكان أصغرهم قد اقترب جداً، فسمعت صوته يقول: «اطمئني يا أختي الحبيبة، لحظات نكون عندك!» أما ذو اللحية الزرقاء فصاح بها: «كفاكِ صلاة الآن، لن أنتظر أكثر. إن لم تنزلي فسأحضرك بنفسي!» فأجابته: «آخ، دعني أصلي من أجل إخوتي الثلاثة الأحبة»، لكنه لم يسمع صوتها وصعد الدرج وجرّها إلى الطابق الأسفل، وما كادَ يمسكُ من شعرها ويهم بطعنها في قلبها حتى اقتحم إخوتها باب القصر وانتزعوا أختهم من بين يديه، ثم استلوا سيوفهم وقتلوه، فخرّ صريعاً. بعد ذلك علّقوا جثته في حجرة الدم إلى جانب النساء اللواتي قتلهن، ثم اصطحبوا أختهم إلى الدار وقد باتت جميع ثروات ذي اللحية الزرقاء ملكاً لها.

Twitter: @ketab_n

(٢٠٦)

آكل لحم البشر

ذات يـوم وضعت ملكةٌ طفلتها في مهد ذهبي، ودفعت المهد على ماء البحر، لكـن المهد لم يغرق، بل استمـر طافياً حتى وصل إلى جزيـرة يسكنها آكلة لحم البشـر. عندما بلغ المهد شاطـئ الجزيرة صادف أن كانـت زوجة ملك الجزيرة هنـاك، ولمّا رأت الطفلة البارعة الجمال قررت أن تربيهـا وتنشئها لتصبح زوجةً لابنهـا عندمـا يصير في سن الـزواج. لكنها اضطرت إلى تنفيـذ قرارها خفيةً عن زوجها، كبير آكلي لحم البشر، إذْ لو وقع نظره عليها لافترسها فوراً دون تردد.

عندمـا كبرت الطفلـة وصارت صبية بات مقرراً تزويجهـا بابن الملك البكر، لكن الصبية كانت تمقته فأخذت تبكي طوال النهار. وذات يوم فيما كانت جالسة علـى الشاطئ أتاها سابحـاً من البحر أميرٌ وسيم، فأعجبتـه وأعجبها فتعاهدا على الزواج. وفي أثناء ذلك وصلت الملكة آكلة لحم البشر، وغضبت غضباً شديداً لما رأته وسمعته، فهجمت على الأميـر الوسيم وأمسكت به قائلة: «انتظر، سأقدمك مشوياً في عرس ابني!»

في تلك الليلة نـام الأمير الوسيم والصبية وأبناء الملك الثلاثة في غرفة واحدة، وخلال الليل هاجـت شهية الملك فقال للملكة: «لا رغبة لي يا امرأة في الانتظار حتـى العرس، هاتي الأميـر لآكله فـوراً!» سمعـت الصبية الكلام عبـر الجدار، فنهضـت بسرعة ونزعت التـاج الذهبي عن رأس أحد أبنـاء الملك ووضعته على رأس الأمير. دخلت الحجرةَ آكلةُ لحـم البشر، وبسبب العتمة تلمست الرؤوس، وأخـذت لزوجها الرأس الذي لا يلبس تاجـاً، فافترسه فوراً. نتيجة لذلك امتلأت

Twitter: @ketab_n

الصبيــة خوفاً، وقالت لنفسها: «مع الصبــاح سينكشف كل شيء وستكون عاقبتنا وخيمة».

فنهضــت بخفــة وأحضرت فردةً واحدةً مــن جزمةِ الأميــالِ والعصا السحرية وقطعة كعكٍ حلوٍ في وسطها حبة فاصولياء تجيب عن جميع الأسئلة.

هربــت الصبيــة مع الأمير الوسيم وهــي تلبس في رجلها فــردة جزمة الأميال، فكانــت بــكل خطوة تخطوها ومعهــا الأمير تقطع ميلاً من الطريــق، وكانت بين الفينــة والأخرى تسأل الحبة: «أما زلت معنا يــا حبة الفاصولياء؟» فتجيبها: «نعم أنــا هنــا» لكنها أضافت في المــرة الأخيرة قائلــة: «هيا أسرعا، فأنــا أرى الملكة العجوز قادمة في فردة الجزمة التي تركتيها وراءك هناك!» فأخرجت الصبية العصا السحريــة وحوّلت نفسها إلى بجعة، والأميرَ إلى بركة تسبح فيها البجعة. وصلت الملكــة العجوز وحاولــت استدراج البجعة إليها على الشاطــئ، لكنها لم تنجح، فرجعــت إلــى بيتها حانقة، فيمــا تابع الأميــر والصبية طريقهما. بعــد مدة سألت الصبيــة حبــة الفاصولياء: «أما زلت معنا يا حبة الفاصوليــاء؟» فأجابتها: «نعم، أنا هنا، هاهي الملكة العجوز وراءنا ثانية بعد أن سخر الملك منها بسبب مراوغتكما لها». عندها تناولت الصبية العصا السحرية وحولت نفسها والأميرَ معاً إلى سحابة غبــار، حجبت الرؤية عن الملكة، فرجعت إلى القصر دون أن تحقق هدفها، فيما تابع الأمير والصبية طريقهما.

وبعــد مــدة أخــرى سألت الصبيــة حبــة الفاصولياء: «أمــا زلتِ معنــا يا حبة الفاصوليــاء؟» فأجابتها: «نعم، أنا هنا، لكنــي أرى آكلة لحم البشر تطاردنا لثالث مــرة، وبخطواتٍ واسعة جداً». فأخرجت الصبية العصا السحرية وحوّلت نفسها إلــى شجيرة ورود والأميــرَ إلى نحلة. وعندهــا وصلت آكلة اللحــم البشري إلى المكان والتبست عليها عملية التحول، رجعت خائبةً إلى القصر.

ولكن لم يعــد بإمكان الاثنين الآن استعادة هيئتيهمــا البشريتين لأن الصبية في المــرة الأخيــرة ونتيجة شدة الخوف رمــت العصا السحرية بعيــداً عن مطالهما.

Twitter: @ketab_n

لكنهما على طريق هروبهما من أكلة لحم البشر قطعا مسافة طويلة جداً، فإذا بشجيرة الورود موجودة الآن في حديقة قصر أم الصبية. وكانت النحلةُ واقفةً على الوردة نفسها، لتلسع بإبراتها كل من تسول نفسه قطف الوردة. وصادف أن نزلت الملكة نفسها إلى حديقتها وشاهدت الوردة الجميلة، فأدهشتها إلى حد أن رغبت في قطفها. لكن النحلة انقضت على يدها ولسعتها بقوة، جعلتها تترك الوردة. لكنها كانت قد كسرتها جزئياً، ورأت دماً ينبثق من عود الوردة، فطلبت جنيةً طيبةً لتفك السحر عن الوردة. وعندها تعرفت الملكة ابنتها فامتلأت فرحاً وسعادة، ثم أقيم حفلُ عرسٍ ضخم دعي إليه عدد كبير من الضيوف، الذين أتوا بثياب رائعة تبدي جمالها تحت آلاف الأضواء في قاعة الاحتفال، وعزفت الموسيقا ورقص الجميع حتى طلوع الفجر.

هل كنتِ أنتِ أيضاً بين المدعوين في العرس؟»

«طبعاً كنتُ هناك: كان غطاء رأسي من الزبدة، لكني مشيت تحت الشمس فذاب. وكان ثوبي من نسيج العنكبوت، وعندما مررت عبر الأشواك تمزق. أما حذائي فكان من زجاج، دست به على حجرٍ فانكسر نصفين».

Twitter: @ketab_n

(٢٠٧)

الأميرة ذات جلد الفأر

كان لملك ثلاث بنات، وأراد ذات يوم أن يعرف أيُّهن الأكثر حباً له، فاستدعاهن وطرح عليهن السـؤال. قالت الكبرى إنها تفضله علـى المملكة بأسرها، وقالت الوسطـى إنها تفضله على جميـع لآلئ ومجوهرات العالم، أمـا الثالثة فقالت إنها تفضلـه علـى الملح. غضب الملـك غضباً شديـداً لتشبيهها حبها لـه بشيء قليل القيمة، وسلّمها إلى خادمٍ في القصر وأمره بأن يقتادها إلى الغابة ويقتلها هناك.

عندمـا وصلا إلـى الغابة ترجت الأميـرة الخادم أن يحفظ لهـا حياتها، وكان خادماً وفياً لها، ما كان ليقتلها أبداً، بل أراد مرافقتها وتلبية طلباتها. بيد أن الأميرة الصغـرى لم تطلب سوى رداءٍ مـن جلد الفئران، وعندما أمَّـن لها الخادم طلبها، لفَّت نفسها بـه وغادرت الغابة. توجهت بعد ذلك مباشرة إلى بلاط ملك مجاور لمملكـة أبيها، زعمت أمامه أنها رجل ورجتـه أن يقبلها في خدمته. وافق الملك علـى الخادم المزعوم وعيّنه مسؤولاً عن خدمته الشخصية. فكان عليها كل مساء أن تخلع عنه جزمته، التي كان كل مرة يرميها على رأسها.

وذات مـرة سـأل الملك خادمه المزعوم عن بلده، فأجابـه: «من البلد التي لا تُرمى فيها الجزمات على الرؤوس» فتيقظ الملكُ لكلامه. وبعد فترة وجيزة أحضر أحـد الخدم إلى الملـك خاتماً وقال إن الخادم ذا جلد الفأر قـد أضاعه، وبما أنه خاتـم ثمين جداً، فلا شك في أنه قد سرقه مـن مكان ما. فاستدعى الملك خادمه المزعوم وسأله: «من أين لك هذا الخاتم؟» عندها لم يعد بمقدور الخادم المزعوم أن يستمـر في تنكره، فخلع عنه رداء جلد الفئـران، فانهمر شعرها الأشقر الذهبي

Twitter: @ketab_n

كسيلٍ وتبدى جمالها البديع إلى درجة أن خلع الملك تاجه عن رأسه وألبسها إياه وأعلنها زوجة له.

وبمناسبة حفل الزفاف وجّهت الأميرة الدعوة أيضاً إلى والدها الذي كان يظن أنها قد ماتت، فلم يتعرفها في الحفل. وعندما جلس المدعوون إلى المأدبة كانت جميع الأطباق التي قُدمت لوالدها خالية من الملح بتاتاً، فانزعج جداً وقال: «أفضل الموت على أكل هذه الأطعمة!» عندما قال ذلك قالت له ابنته الملكة: «الآن تفضلُ الموتَ على الحياة من دون ملح. ومع ذلك فقد أمرتَ بموتي لقولي إني أحبك أكثر من الملح!» عندها عرفَ فيها الملكُ ابنتَه الصغرى، فقبلّها وطلبَ صفحها عنه ووجدها أحب إليه من مملكته كلها ومن جميع لآلئ ومجوهرات العالم.

(٢٠٨)

اختبار البازلاء

في يوم من الأيام كان لملكٍ ابن وحيد في سن الزواج، وطلب من والده أن يجد له عروساً. فأجابه والده الملك: «سألبي رغبتك يا بني، ولكن ليس من اللائق أن تتزوج إلا أميرة، والأميرة في جوارنا غير متوفرة. لذلك سأعلن الأمر رسمياً، عسى أن يأتينا جوابٌ من مكان بعيد».

وتم بالفعل إرسال كتاب رسمي إلى جميع الجهات. ولم يمض بعض الوقت حتى وصلت أجوبةُ ما يكفي ويزيد من الأميرات. فكل يوم تقريباً كانت تصل إحداهن بناءً على الكتاب. ولكن بعد السؤال عن أصلها وفصلها ومكان منبتها، كان يتبيّن أنها ليست أميرة أصيلة، فتُستبعد وتعود أدراجها خائبة الرجاء. فقال الأمير: «إذا استمر الحال على هذا المنوال فإني لن أحصل على زوجة أبداً». فأجابته الملكة: «كن مطمئناً يا بني، ستجد العروس بأسرع مما تتوقع. غالباً ما يكمن الحظ وراء الباب، فما عليك إلا أن تفتحه ليدخل». وقد حصل فعلاً ما قالته الملكة.

بعد مدة قصيرة وذات مساء عاصف كانت الريح والأمطار فيه تضربان النوافذ، سُمع قرعٌ شديد على بوابة القصر الملكي. فتح الخدم، فدخلت فتاة بارعة الجمال، طلبت المثول أمام الملك فوراً. استغرب الملك هذه الزيارة المتأخرة فسألها عن موطنها واسمها ورغبتها، فأجابته: «أنا قادمة من مكان قصي، وأنا ابنة ملك عظيم. عندما وصل إلى مملكتنا إعلانكم مع صورة ابنكم، شعرت نحوه بحب قوي، فجهزت نفسي للسفر فوراً، وفي نيتي أن أصبح زوجته». فعلّق

Twitter: @ketab_n

الملك قائلاً: «يبدو لي الأمر مريباً بعض الشيء، ثم إنكِ لا تبدين كأميرة. منذ متى تسافر أميرةٌ وحدها من دون أي مرافقة، وفي ثيابٍ رديئة؟» فأجابته: «ما كان للمرافقة إلا أن تؤخرني. ألوانُ ثيابي بهتت في الشمس وأحالتها الأمطار نهائياً. إنْ كنتَ لا تصدق أني أميرة، فابعث رسولاً إلى والدي». فقال الملك: «الأمر سيطول بالنسبة إلي. فالوفد لن يستطيع السفر بمثل سرعتك، ولا بد للأمر أن يأخذ وقته، وقد تمضي سنوات قبل أن يعود الوفد. ألا يمكنك بطريقة أخرى أن تبرهني على أنك أميرة؟ وإلا فإن قمحك لن يُزهر عندنا، ويُفضل عندها أن تسرعي في العودة إلى ديارك». فقالت الملكة: «دعها تبقى. أنا سأختبرها، وسرعان ما سأعرف إنْ كانت حقاً أميرة».

صعدت الملكة بنفسها إلى برج القصر، وأمرت بتجهيز سرير حجرة بديعة. عندما أحضر الخدم الفراش وضعت الملكة فوقه ثلاثاً من حبوب البازلاء، أعلى الفراش وفي منتصفه وأسفله، ثم جُلبت ست فُرشٍ طريةٍ أخرى وفُردت فوق الأولى وغُطيت بشراشف من الكتان ولحافٍ محشوٍ بريش الإوز. عندما صار كل شيء جاهزاً قادت الملكة الفتاة إلى غرفة النوم في البرج، ثم قالت لها: «بعد هذا الطريق الطويل ستكونين متعبة حتماً يا ابنتي، خذي كفايتك من النوم، غداً سنتابع حديثنا».

ما أن طلع النهار حتى صعدت الملكة إلى البرج ودخلت غرفة النوم، وفي ظنها أن الفتاة مستغرقة في نوم عميق، لكنها كانت مستيقظة، فسألتها: «كيف نمتِ يا ابنتي؟» فأجابت الأميرة: «بصورة سيئة. لم أغمض عيني طوال الليل». فسألتها الملكة: «لماذا يا ابنتي، هل كان السرير. رديئاً؟» فأجابت الأميرة: «لم أستلق طوال عمري في مثل هذا السرير، إنه قاس من أعلاه إلى أسفله، شعرتُ وكأني مستلقية على حبوب بازلاء يابسة». فقالت الملكة: «أرى أنك أميرة أصيلة. سأرسل إليك ثياباً ملكية ولآلئ ومجوهرات، فتزيّني كعروس، لأننا اليوم سنقيم حفل العرس».

Twitter: @ketab_n

الفهرست

مقـــــدمة ٥
الملك الضفدع أو هاينريش الحديدي ٢١
صداقة القطة والفأرة ٢٥
طفل مريم ٢٩
حكاية الفتى الذي خرج ليتعلم الخوف ٣٤
الذئب والعنزات السبع الصغيرات ٤٤
يوحنا المخلص ٤٧
الصفقة الجيدة ٥٥
العازف العجيب.................................. ٦٠
الإخوة الإثنا عشر ٦٣
حثالة الزبائن.................................... ٦٨
الأخ والأخت الصغيران.......................... ٧١
خَسَّة.. ٧٨
الأقزام الثلاثة في الغابة ٨٣
الغزّالات الثلاث ٨٩
هِنْزِل وغْرِيتِل.................................... ٩٢
ورقات الأفعى الثلاث............................ ١٠٠
الحيّة البيضاء..................................... ١٠٤
القشة والفحمة وحبة الفاصولياء.................. ١٠٩
حكاية صياد السمك وزوجته...................... ١١١
الخياط الشجاع.................................. ١٢١

Twitter: @ketab_n

المُشَحّرة (سندريّلا)........................ ١٢٩
الأحجية.. ١٣٨
حكاية الفأر والعصفور وقطعة السجق ١٤١
الندّافة.. ١٤٣
الغربان السبعة................................. ١٤٧
ذات القبعة الحمراء ١٥٠
موسيقو مدينة بريمن ١٥٤
العظْمة التي غنّت............................... ١٥٨
الشيطان ذو الشعرات الذهبية الثلاث ١٦١
القملة والبرغوثة................................ ١٦٨
الفتاة المبتورة اليدين............................ ١٧١
هانس الذكي..................................... ١٧٧
اللغات الثلاث ١٧٨
إلْزِة الذكية ١٨١
الخياط في السماء ١٨٥
المائدة العجيبة والحمار الذهبي والهراوة الراقصة ١٨٨
عقلة الإصبع ١٩٩
عرس السيدة ثعلبة ٢٠٥
الأقزام ٢٠٨
العريس المجرم ٢١٢
السيد كوزْبِس ٢١٦
العرّاب ٢١٨
السيدة تْرودِه.................................... ٢٢٠
الموتُ عَرّاباً..................................... ٢٢٢
جولة عقلة الإصبع.............................. ٢٢٦
طائر الساحر ٢٣١

Twitter: @ketab_n

حكاية شجرة العرعر ٢٣٥
الكلب العجوز سلطان ٢٤٥
البجعات الست ٢٤٨
وردة الشوك ٢٥٣
طير اللَقطة ٢٥٧
الملك منقار ٢٦٠
بياض الثلج ٢٦٦
المحفظة والقبعة والبوق ٢٧٦
زَمْبَخْرَج ٢٨٢
رولاند الحبيب ٢٨٦
الطائر الذهبي ٢٩٠
الكلب والعصفور ٢٩٨
فريدر وكَترليز ٣٠٢
الأخـوان ٣٠٩
فَلّوح ٣٢٩
ملكة النحل ٣٣٥
الريشات الثلاث ٣٣٨
الإوزة الذهبية ٣٤٢
الفراء المُبرقش ٣٤٧
عروس الأرنب ٣٥٣
الصيادون الإثنا عشر ٣٥٥
المشعوذ ومعلمه ٣٥٨
يورِيْنْدِه ويورينْغِل ٣٦١
أبناء الحظ الثلاثة ٣٦٤
ستة يغزون الدنيا ٣٦٧
الذئب والإنسان ٣٧٢

Twitter: @ketab_n

الذئب والثعلب ٣٧٤
الثعلب والذئبة ٣٧٦
الثعلب والقطة ٣٧٨
القُرُنْفُلة ٣٧٩
غريتِل الذكية ٣٨٤
الجد العجوز والحفيد ٣٨٧
جنيَّة البِرْكة ٣٨٨
عن موت الدجاجة ٣٨٩
الطيِّب الماكر ٣٩٢
هانسِل المقامر ٤٠٢
هانْس المحظوظ ٤٠٥
هانْس يتزوج ٤١٠
أبناء الذهب ٤١٢
الثعلب والإوزات ٤١٧
الفقير والغني ٤١٨
القُبَّرة النشيطة الغرِّيدة ٤٢٢
راعية الإوز ٤٢٨
العملاق الشاب ٤٣٥
عفريت الأرض ٤٤٣
ملك الجبل الذهبي ٤٤٨
الغُرابة ٤٥٤
ابنة الفلاح الذكية ٤٥٩
الفلاّح هيلدِبراند ٤٦٣
العصافير الصغيرة الثلاثة ٤٦٧
ماء الحياة ٤٧٢
الدكتور العليم ٤٧٨

Twitter: @ketab_n

مارد القمقم.......................... ٤٨١
شقيق الشيطان الصدئ.......................... ٤٨٥
فروة الدب.......................... ٤٨٩
ملك السياج والدب.......................... ٤٩٤
العصيدة الحلوة.......................... ٤٩٧
الناس الأذكياء.......................... ٤٩٨
حكاية الحية.......................... ٥٠٢
صبي الطحان الفقير والقطة.......................... ٥٠٤
الرحّالان.......................... ٥٠٨
هانس يا قنفذي.......................... ٥١٨
قميص الموتى.......................... ٥٢٤
يهودي بين الأشواك.......................... ٥٢٥
الصياد المدرَّب.......................... ٥٢٩
مِدْراس الحنطة السماوي.......................... ٥٣٥
الأمير والأميرة.......................... ٥٣٧
حكاية الخياط الذكي.......................... ٥٤٥
الشمس الساطعة ستكشف الأمر.......................... ٥٤٨
الشعلة الزرقاء.......................... ٥٥٠
الولد العنيد.......................... ٥٥٥
الجراحون الثلاثة.......................... ٥٥٦
سَبعة من شْفابن.......................... ٥٥٩
الحرفيون الثلاثة.......................... ٥٦٣
الأمير الذي لا يخاف شيئاً.......................... ٥٦٧
حمير الملفوف.......................... ٥٧٣
المرأة العجوز في الغابة.......................... ٥٧٩
الأشقاء الثلاثة.......................... ٥٨٢

Twitter: @ketab_n

الشيطان وجدّته ٥٨٤
فرديناند المخلص وفرديناند المشعوذ ٥٨٨
المدفأة الحديدية ٥٩٤
الغزّالة الكسلانة ٦٠٠
الأشقاء الأربعة الموهوبون ٦٠٣
ذات العين وذات العينين وذات الثلاث ٦٠٧
كاترينِه الجميلة والخاطب بولتري ٦١٥
الثعلب والحصان ٦١٨
أحذية الرقص المهترئة ٦٢٠
الخدم الستة ٦٢٤
العروس البيضاء والعروس السوداء ٦٣١
هانس الحديدي ٦٣٧
ثلاث أميرات سوداوات ٦٤٥
كنوشت وأبناؤه الثلاثة ٦٤٧
فتاة براكل ٦٤٨
الخادمة ٦٤٩
الحمل والسمكة ٦٥١
جبل سيمِلي ٦٥٤
حُب السفر ٦٥٧
الحمار الصغير ٦٥٩
الإبن العاق ٦٦٣
حبة اللفت ٦٦٤
عن النار التي جعلت الشيخ شاباً ٦٦٧
حيوانات الرب وحيوانات الشيطان ٦٦٩
خشبة الديكة ٦٧١
المتسولة العجوز ٦٧٢

Twitter: @ketab_n

الكسالى الثلاثة........................ ٦٧٣
اثنا عشر خادماً كسولاً ٦٧٤
صبي الراعي ٦٧٧
دنانير النجوم........................ ٦٧٩
القرش المسروق ٦٨٠
امتحان العروس ٦٨١
زبالة الكتان........................ ٦٨٢
العصفور وأطفاله الأربعة ٦٨٣
حكاية أرض الأحلام الماكرة ٦٨٦
حكاية أكاذيب ديتْمارْش ٦٨٧
حزورة ٦٨٨
بيضاء الثلج وحمرة الورد........................ ٦٨٩
الخادم الذكي ٦٩٦
التابوت الزجاجي ٦٩٧
هاينْتس الكسلان ٧٠٣
طائر الرخ ٧٠٦
هانْس القوي........................ ٧١٣
فلاح في الجنة ٧٢٠
ليزِة النحيلة ٧٢١
بيت الغابة ٧٢٣
في السراء والضراء........................ ٧٢٩
ملك السياج ٧٣١
سمكة البْلايس ٧٣٤
مالك الحزين والهدهد ٧٣٥
البومة ٧٣٦
القمر ٧٣٩

Twitter: @ketab_n

سنوات العمر ٧٤٢
رُسُل الموت ٧٤٤
المعلم مِخْرَز........................ ٧٤٦
راعية الإوز عند النبع........................ ٧٥٠
أولاد حواء المختلفون ٧٦٠
حورية البركة........................ ٧٦٢
هدايا الأقزام ٧٦٧
العملاق والخياط........................ ٧٧٠
المسمار........................ ٧٧٢
الصبي المسكين في القبر........................ ٧٧٣
العروس الحقيقية ٧٧٧
الأرنب والقنفذ ٧٨٤
المغزل والمكوك والإبرة........................ ٧٨٨
الفلاح والشيطان........................ ٧٩١
فُتاتٌ على الطاولة ٧٩٣
الأرنب الصغير ٧٩٤
معلم اللصوصية ٧٩٧
الطبّال........................ ٨٠٤
سنبلة القمح........................ ٨١٤
القبر ٨١٥
رينك رانك العجوز........................ ٨١٩
كرة الكريستال........................ ٨٢٢
الآنسة مالين ٨٢٥
جزمة من جلد الجاموس ٨٣٢
المفتاح الذهبي ٨٣٦
اليد ذات السكين........................ ٨٣٧

Twitter: @ketab_n

القط أبو جزمة ٨٣٨
هانس الأبلَه........................... ٨٤٣
ذو اللحية الزرقاء ٨٤٥
آكل لحم البشر ٨٤٨
الأميرة ذات جلد الفأر ٨٥١
اختبار البازلاء.......................... ٨٥٣

Twitter: @ketab_n

حينما يُذكر اسم الأخوين غريم، تتبادر إلى الذاكرة، مجموعة «حكايات الأطفال والبيت» التي تُعد منذ قرابة قرنين من الزمن، مصدراً مهماً من مصادر متعة الصغار والكبار على حدٍ سواء، ليس في المنطقة الجغرافية الناطقة بالألمانية فحسب، بل في معظم بقاع العالم، عبر العديد من الترجمات والإصدارات المتعاقبة، بما فيها ترجمات متفرقة إلى العربية.

إنّ معظم هذه الحكايات يحمل طابعاً تعليمياً أخلاقيّاً، يُمرّر موعظته عبر المبالغة في تصوير الشخوص والحوادث والأفعال. إنها تتمحور حول قطبي الخير والشر اللذين يهيمنان على حياة الإنسان ويُسيّران مصيره منذ الولادة وحتى الموت. والحكايات على الرغم من توجهها إلى الأطفال، لا تستهين بالشر أو تستخف به، بل إنها تصوره جبّاراً بشعاً عاتياً وقوياً، لكن الخير إذا ما واجهه بجرأةٍ وذكاءٍ وتعاون فإنه قادر على تحقيق النصر، وغالباً ما تتدخل الطبيعة في لحظة لتُحقّق النصر، ولتوقع بأطراف الشر عقوباتٍ فظيعةٍ ومروعة، من حيث وقعها على خيال المستمع أو القارئ. وتفسير هذه المبالغة الشديدة في تصوير عقوبة الشر ـ سواء كان إنساناً أم حيواناً ـ أنها تقوم بدور الترهيب والردع عن الإقدام على فعل الشر، في حين تبدو أطراف الخير المنتصرة وهي ترفل بعد عناء في أثواب السعادة والهناء.

ISBN 978-2-843090-14-1
9 782843 090141